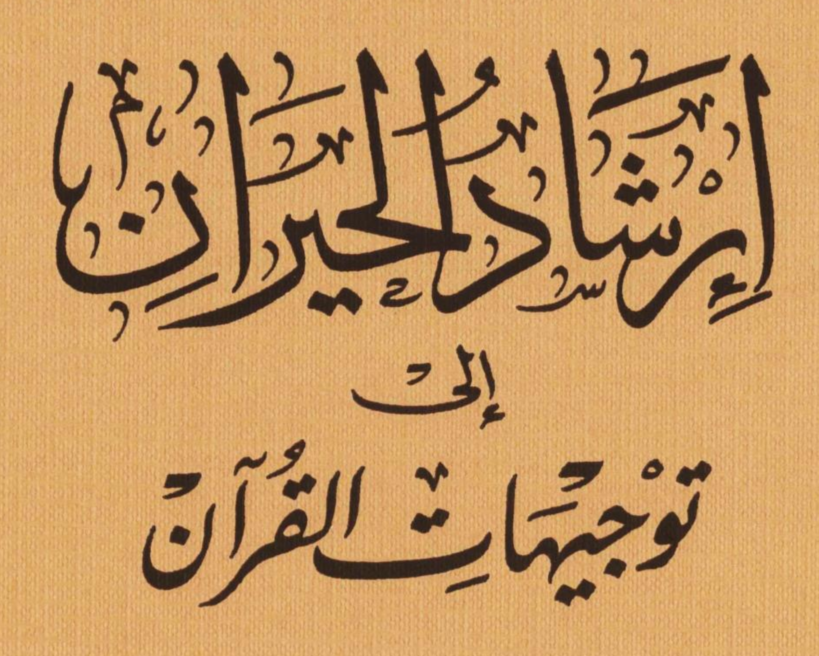
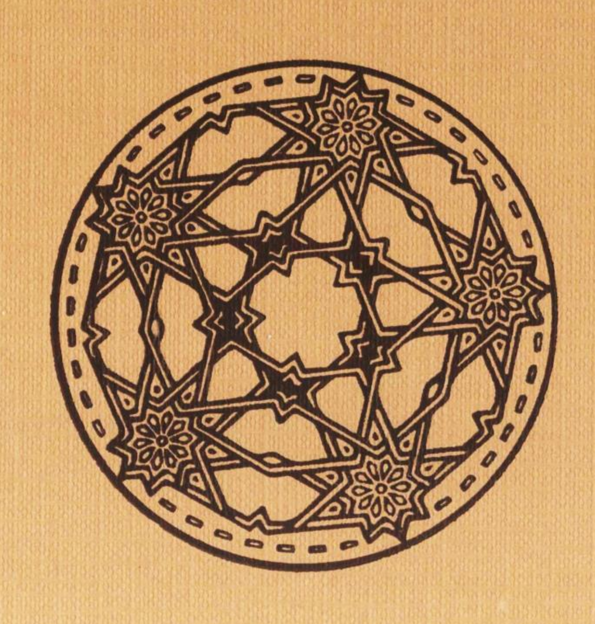


بقلم
فضيلة الشيخ
أحمد عبد السلام أبو مزيريق



دار المدار الإسلامي


إرشاد الحيران
إلى
توجيهات القرآن

إرشاد الحيران

إلى

توجيهات القرآن

8

بقلم

فضيلة الشيخ

أحمد عبد السلام أبو مزيريق

دار المدار الإسلامي

إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن 12/1
الشيخ أحمد عبد السلام أبو مزيريق

الطبعة الأولى
كانون الثاني/يناير/أي النار 2011 إفرنجي

موضوع الكتاب تفسير قرآني
تصميم الغلاف دار المدار الإسلامي
الحجم 17 × 24 سم
التجليد فنّي

ردمك **ISBN** 9959-29-182-0
(دار الكتب الوطنية/بنغازي ـ ليبيا)

رقم الإيداع المحلي 2003/5680

دار المدار الإسلامي
الصنائع، شارع جوستينيان، سنتر أريسكو، الطابق الخامس،
هاتف 04 03 75 1 961 + **خليوي** 89 39 93 3 961 +
05 03 75 1 961 + **فاكس** 07 03 75 1 961 +
ص.ب. 14/6703 بيروت ـ لبنان
بريد إلكتروني szrekany@inco.com.lb
الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية
زاوية الدهماني، شارع أبي داود، بجانب سوق المهاري، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى
هاتف وفاكس: 013 07 34 21 218 + **نقّال** 463 45 21 91 218 +
بريد إلكتروني: **oeabooks@yahoo.com**

1 ـ عرض دلائل وفوائد الهداية
في هذه السورة من البداية إلى النهاية



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (3) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (4) بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ (5) مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (6) وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7) وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ (8) ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ (9) لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (10)

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (11)
فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (12) لَا تَرْكُضُوا
وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (13)
قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (14) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ
حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (15) * وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا
لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ (17) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى
الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (18)
وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (19) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ (20) أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ (21)
لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ (22) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23) أَمِ اتَّخَذُوا
مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ
مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ (24)
وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ
بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27)

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿28﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿29﴾ * أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿30﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿31﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿32﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿33﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿34﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿35﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿36﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿37﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿38﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿39﴾

بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا
وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿40﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ
فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿41﴾
* قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ
بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿42﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ
تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا
يُصْحَبُونَ ﴿43﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ
عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ
نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿44﴾
قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ
إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿45﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿46﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿47﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿48﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ
مُشْفِقُونَ ﴿49﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿50﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**اقترب للناس حسابهم**. .﴾ اقترب: دنا وقت حساب الناس وهو يوم القيامة الذي يحاسب الناس فيه على أعمالهم. . والناس هنا: المشركون الذين أعرضوا عن القرآن واستبعدوا وقوعه. . ﴿**وهم في غفلة معرضون**﴾: اقترب منهم الحساب في حال غفلتهم وإعراضهم. . فالغفلة الذهول عن الشيء وعن طرق علمه. والإعراض: صرف العقل عن الاشتغال بما هو مهمٌّ. وصرف النظر والبعد عنه. وإعراضهم: هو إبايتهم التأمل في آيات القرآن التي تذكرهم بالبعث، وتستدل لهم عليه. . فهم غافلون عن الحساب وعن اقترابه، ومعرضون عما يذكّرهم به ويحذّرهم منه! ﴿**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون**. .﴾ الذكر: القرآن. أطلق عليه اسم الذكر الذي هو مصدرٌ لإفادة قوة وصفه بالتذكير والمُحدَثُ: الجديد نزوله بعدما اندثرت الكتب السابقة بتغيير أهلها. . ﴿**إلا استمعوه وهم يلعبون**﴾: ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الأحوال إلا حال استماعهم إياه للبين مستهزئين به. . ﴿**لاهية قلوبهم**﴾: حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب.

﴿**وأسروا النجوى**﴾: جعلوا نجواهم مقصودة بالكتمان، وبالغوا في إخفائها. . فالأسرار: هو الكتمان والكلام الخفي جدّاً. والنجوى: المحادثة الخفية. و﴿**الذين ظلموا**﴾: هم الذين أسروا النجوى. ﴿**هل هذا إلا بشر مثلكم**﴾: هو ما تناجوا به في السرّ. . فكيف تُقبلون عليه وتقبلون دعوته: ﴿**أفتأتون السحر وأنتم تبصرون**؟!. **قل ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم**﴾: بعدما حكى ما تناجوا به أمره بأن يخبرهم بأن الله الذي علم نجواهم يعلم كل قول في السماء والأرض من جهر أو سر. وأعلمهم بأنه المتصف بتمام العلم للمسموعات وغيرها بقوله: وهو السميع العليم.

﴿**بل قالوا أضغاث أحلام**﴾: إضراب من قول إلى قول. . فقولهم: هو سحر. . أضربوا عنه بقولهم: هو أضغاث أحلام. . ثم أضربوا عنه فقالوا: ﴿**بل**

افتراه. .﴾ فهو كلام مكذوب. . ثم أضربوا عن هذا القول فقالوا: **﴿هو شاعر. .﴾** فما أتى به هو شعر يخيل للسامع معاني لا حقيقة لها. . **﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾**: إن كان محمد رسولاً كما يقول فليأتنا بمعجزة مثل معجزة من أرسلوا قبله.

﴿ما ءامنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون﴾: إن الأمم التي أرسل إليها الأولون ما أغنت فيهم الآيات التي جاءتهم كما وددتم أن تكون لكم مثلها. . فما آمنوا؛ ولذلك حق عليهم الإهلاك. . فشأنكم أيها المشركون كشأنهم. . فكما أن أولئك لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون؟ بل هؤلاء أغنى وأطغى! **﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً يوحى إليهم﴾**: المقصود من هذا إبطال مقصودهم من قولهم: هل هذا إلا بشر مثلكم. . فهذا بيان لخطإهم في استدلالهم. . **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** بحقيقة الرسل: **﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام. .﴾** الجسد: الجسم المركب من عظم ولحم ودم وجلد وعروق وأعصاب.

وهو في حاجة إلى الطعام. . فالبشر لهم أجساد فلا يَسْتَغنون عن الطعام. **﴿وما كانوا خالدين. . ثم صدقناهم الوعد﴾**: حيث وعدناهم بالنصر على مكذبيهم. . **﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾**: أنجينا الرسل والمؤمنين بهم. . وننجي رسولنا ومن نشاء من عبادنا فيما بعد. **﴿وأهلكنا المسرفين﴾**: أهلكنا المفرطين في التكذيب بالإصرار والاستمرار. وسنهلك من أصر منكم بعد التحذير والإنذار. **﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم. .﴾** الكتاب: القرآن. وهو الذكر الذي قالوا عنه: إنه سحر وأضغاث أحلام وافتراء وشعر وذكرهم: يذكّرهم بما فيه صلاحهم.

والسمعة الطيبة والصيت الحسن. . **﴿أفلا تعقلون﴾**؟ حيث أعرضتم عنه وقلتم ما قلتم فيه! **﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة. .﴾** كم: خبرية. يراد بها تكثير ما بعدها. والقصم: الكسر الذي يفرق بين أجزاء المكسور وإزالة تأليفها بالكلية. والمراد به الإهلاك النهائي الشامل. من قرية: بيان لإبهام كم. كانت ظالمة: وصف لقرية. والمراد أهلها الذين ظلموا وتعدوا وكذبوا رسلهم. **﴿وأنشأنا بعدها قوماً آخرين﴾**: جملة معترضة قصد منها إهلاك الأولين وقطع دابرهم بالكلية. . **﴿فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون﴾**: مرتب على قوله وكم أهلكنا من قرية كانت ظالمة.

والإحساس: الإدراك بالحسّ. . فيكون برؤية ما يزعجهم أو بسماعه. . والبأس: العذاب. وإذا: فجائية. ومنها: من القرية. والركض: سرعة الهرب وشدة الخوف. وأصله الضرب بالرجل على الأرض. يطلق على ركض الفرس إذا أسرع في العدو. ﴿**لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون**﴾: تهكم بهم: بحيث لم ينفعهم الركض ولا يجدي الرجوع إلى ما كانوا فيه من الترف والدعة والسكون. . لعلكم تسألون: تكملة للتهكم حيث كنتم يسألكم السائلون عن أحوالكم عندما ترجعون إلى أوطانكم. . ﴿**قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين**﴾: لم يكن لهم جواب إلا هذا القول. . ﴿**فما زالت تلك دعواهم. . حتى جعلناهم حصيداً خامدين**﴾! . . والحصيد: فعيل بمعنى مفعول.

والحصد: جز الزرع والنبات بالمنجل لا باليد. وقد شاع إطلاق الحصيد على الزرع المحصود بمنزلة الاسم الجامد. والخامد: اسم فاعل، من خمدت النارُ تخمُد إذا زال لهيبها. ﴿**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين**﴾: المقصود من هذه الآية إيقاظ العقول إلى الاستدلال بما في خلق السماء والأرض وما بينهما من دقائق المناسبات وإعطاء كل مخلوق ما به قوامه. واللعب: الفعل أو القول الذي لا يقصد به تحصيل فائدة من مصلحة أو دفع مفسدة، ولا تحصيل نفع أو دفع ضر. مأخوذ من تعب الطفل الذي يخرج لعابه من شدة التعب وجهد النفس دون مصلحة.

وإنما عَمَلُ الحكيم ما فيه جد وحق وقصد يُجَلُّ عن العبث واللهو: ﴿**لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين. . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق. .**﴾ بل: للإضراب عن اتخاذ اللهو، وعن أن يكون الخلق لعباً، إضراب إبطال وارتقاء. أي: بل نحن نعمد إلى باطلكم فنقذف بالحق عليه كراهية للباطل بَلْهَ أن نعمل عملاً هو باطل ولعبٌ. والقذف، حقيقته: رمي جسم على جسم. واستعمل هنا لإيراد ما يُزيل ويبطل الشيء. . والدمغ: كسر الجسم الصلب الأجوف.

وأصل الدمغ مع كسر جمجمة الرأس فيصل إلى الدماغ. وهو كسر مميت. . فإذا هو زاهق. . الزاهق: المنفَلِت من موضعه. والهالك. والذي ينفلت دماغه من موضعه هالك قطعاً. ﴿**ولكم الويل مما تصفون**﴾: تقريع وتهديد مما يصفون به

الرسول والقرآن بقولهم: سحر وافتراء وشعر. . والويل: كلمة دعاء بسوء. ﴿**وله من في السماوات والأرض**﴾: خلقاً وملكاً وعبيداً وتدبيراً وتصرفاً وإحياء وإماتة وتعذيباً وإثابة من غير أن يكون لأحد في ذلك دخلٌ ما. . ﴿**ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون**﴾: الملائكة المقربون الذين هم عند الله في الملإ الأعلى لا يتكبرون عن عبادة ربهم، ولا يستحسرون.

والاستحسار: التعب الشديد الذي يقتضيه عملهم العظيم الدائم: ﴿**يسبحون الليل والنهار لا يفترون**﴾. والفتور: الانقطاع عن العمل بعد الإرهاق. وهي فترة يكون العامل فيها كَلّاً مرهقاً لا يستطيع العمل. ﴿**أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون**﴾: إضراب انتقالي، هو انتقال من إثبات صدق الرسول، وحجية دلالة القرآن إلى ابطال الشرك. وضمير اتخذوا عائد إلى المشركين. وآلهة من الأرض: ما اتخذوه من الحجر والخشب والصور المختلفة. . فقوله: هم ينشرون صفة لآلهة من الأرض. والإنشار: بعث الأموات من الأجداث. . فما دامُوا هم آلهة عندكم فلا بد أن يكونوا قادرين على البعث والنشور!. . ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾: لو حرف امتناع لامتناع.

كان: ثبت وحق. فيهما: السماوات والأرض. آلهة: تخلق وتنصرف وتفعل ما تريد. إلا الله: غير الله سبحانه. لفسدتا: لبطلتا بما فيهما جميعاً. . لكن السماوات والأرض باقيتان بالمشاهدة فلم يكن فيها غير الله: ﴿**فسبحان الله رب العرش عما يصفون! لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. .**﴾ من صفة الإله الحق أن يكون منفرداً بالفعل والحكم والتصرف ولا يسأله أحد عما يفعل. وأن يكون سائلاً عن أعمال كل مخلوق عما يعمل. وبذلك تنسجم الأمور ولا ترتبك فتفسد وتنهار. . ولما كان اتخاذُ المشركين آلهة باطلاً بالعقل أتبعه ببطلانه بالنقل الصحيح القاطع: ﴿**أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي. .**﴾ فلقن الله رسوله محمداً ـ ﷺ ـ أن يقول: هاتوا برهانكم على أن لله شركاء من شواهد الشرائع والرسل.

والبرهان: الحجة الواضحة التي تبرهن وتبين وتوضح بالدليل القاطع الملزم. . هذا ذكر من معي: القرآن الذي ذكر الدليل لي ولمن اتبعني. وذكر من قبلي: الكتب المنزلة من الله التي ذكرت للأنبياء السابقين وأممهم الدليل القاطع ببطلان

اتخاذ الآلهة.. ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون الحق**﴾: لا ترج منهم اعترافاً ببطلان شركهم من دليل العقل ولا من دليل النقل.. فالأكثر لا يعلمون الحق. وقليل منهم يعلمونه ويجحدونه استكباراً.. ﴿**فهم معرضون**﴾ عنه جميعاً.

﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾: رسالات الرسل جميعاً جاءت بالتوحيد وعبادة الله وحده من لدن آدم إلى خاتمهم محمد ـ عليهم السلام.. ولم يبق من رسالات الرسل نص قاطع يزيل الشرك من نفوس البشر إلا القرآن الخالد الذي حفظه الله من التغيير والتبديل والتزييف والتأويل. ﴿**وقالوا اتخذ الرحمان ولداً سبحانه بل عباد مكرمون**..﴾ الذين قالوا اتخذ الله ولداً كثيرون.. فأول ما يتبادر إلى الذهن من النص قول المشركين من العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله. وقال اليهود: عزير ابن الله. وقالت النصارى: المسيح ابن الله.. وقالت اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه.

وغير هؤلاء الذين نسبوا ملوكهم إلى الله وقدّسوهم بسبب هذا النسب: سبحانه.. بل عباد مكرمون: كالملائكة والأنبئاء.. ﴿**لا يسبقونه بالقول**﴾: لا يصدر منهم قول قبل قوله. ﴿**وهم بأمره يعملون**﴾: لا يعملون عملاً إلا عن أمر الله تعالى.. فكما أنهم لا يقولون قولاً لم يأذن فيه كذلك لا يعملون عملاً قولاً أو فعلاً إلا بأمره. ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**﴾: من علم الله بهم أشاد بعملهم.. ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾: لا فائدة من عبادتهم وتقديسهم حيث لم ينفع منها شيء.. فالكفار يرجون شفاعتهم بسبب عبادتهم.. ﴿**وهم من خشيته مشفقون**﴾: يعظمونه تعظيم من يخاف بطشته، ويحذر مخالفته.

والخشية: الخوف مع التعظيم. والإشفاق: الخوف مع الاعتناء. يقال: أشفق منه إذا خاف منه. وأشفق عليه إذا خاف عليه من الغير. ﴿**ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم**..﴾ فعلى فرض دعواهم هذا القول.. فلا ينجون من نتيجة هذا الحكم.. فهو على حد قوله تعالى: لئن أشركت ليحبطن عملك.. ﴿**كذلك نجزي الظالمين**﴾: هم الذين يدّعون الألوهية كفرعون.. والذين يدّعون ألوهية أحد من المخلوقين كالنصارى.. والظالم: من يضع الأشياء في غير موضعها.

﴿**أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما**..﴾ فكلمة

أولـم ير: وردت كثيراً في القرآن.. والذين كفروا هنا: الذين أنكروا القرآن أنه منزّل من عند الله، وأنه سحر وافتراء وشعر من محمد.. والرتق: الاتصال والتلاصق بين أجزاء الشيء. والفتق: ضده. وهو الانفصال والتباعد بين الأجزاء. ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون**﴾: جعل هنا بمعنى خلق. ومن ابتدائية والماء: هو الذي كان سبباً في رطوبة المادة التي تتكون فيها الحياة.. فإذا انعدم الماء انعدمت الرطوبة في الحي، وفقد الحياة. ﴿**وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم..**﴾ الرواسي: الجبال. والميد: الاضطراب وعدم الاستقرار.

﴿**وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً**﴾، الفجاج: جمع فج. وهو الطريق الواسع. والسبل: جمع سبيل. وهو الطريق مطلقاً. ﴿**لعلهم يهتدون**﴾: رجاء اهتداء المشركين إلى وحدانية الله. أو رجاء الاهتداء في سيرهم. ﴿**وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً..**﴾ السقف: أصله غطاء فضاء البيت الموضوع على جدرانه. وأطلق السقف على السماء على طريقة التشبيه البليغ. ﴿**وهم عن آياتها معرضون**﴾: آيات السماء ما تشتمل عليه من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والشهب وسيرها وشروقها وغروبها وظهورها وغيبتها، وابتناء ذلك على حساب قويم وترتيب عجيب. وكلها دلائل على الحكمة البالغة.. فلذلك سماها آيات.. فعقب على ذلك بقوله: وهم عن آياتها معرضون.

﴿**وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون**﴾ بيان لتلك الآيات التي هم عنها معرضون. وأنه وحده سبحانه وتعالى الذي خلق هذه على الكيفية العجيبة! والفلك: مدار الكواكب. والسبح: السير في الفضاء. وأصله العوم في الماء. ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**﴾. نَفَى الخلود عن جميع البشر ليرتب عليه قوله: ﴿**أفإن مت فهم الخالدون..**﴾ فقد قالوا: شاعر نتربص به ريب المنون.. فكأنهم هم الخالدون في الدنيا.. فلا يموتون: ﴿**كل نفس ذائقة الموت..**﴾ فلا مفر منه لمخلوق. ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون**﴾: لما حكم الله على كل نفس بالموت أعقب ذلك بأن الحياة التي تسبق الموت فيها ابتلاء بالشر والخير، وأن بعد الموت حياة ترجعون فيها إلى الله فيحاسبكم ويجازيكم. وجمعت الآية الموت والحياة والنشر. ﴿**وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزؤاً..**﴾ هذا وصف آخر لما يؤذي به المشركون رسول الله ـ ﷺ ـ

حين يرونه.. فإذا رأوه يقول بعضهم لبعض: أهذا الذي يذكر آلهتكم.. فمعنى اتخاذه هزؤاً: أنهم يجعلونه مستهزأً به.

ومعنى ﴿**يذكر آلهتكم**﴾: يذكرهم بسوء. ﴿**وهم بذكر الرحمان هم كافرون**﴾: ذكر الرحمان هنا القرآن. ومعنى كفرهم بذكر الرحمان إنكارهم أن يكون القرآن آية دالة على صدق الرسول. ﴿**خلق الإنسان من عجل**﴾: يسرع إلى الشيء قبل التدبر فيه. ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجاله بالوعيد: ﴿**سأريكم آياتي فلا تستعجلون**..﴾ لكن الإنسان خلق من عجل يريد أن يرى كل شيء حاضراً أمامه. ﴿**ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾: هذا دليل على أن الإنسان خلق من عجل.. فالمشركون استعجلوا البعث الذي وعدوا به.. ﴿**لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون**﴾: لو علم المشركون ما يحل بهم من العذاب لما أنكروا ولما استهزأُوا بالقرآن وبالرسول.. ﴿**بل تأتيهم بغتة فتبهتهم**..﴾ بل: للإضراب الانتقالي من تهويل ما أعد لهم إلى التهديد بأن ذلك يحل بهم بغتة وفجأة.. والبغتة: المفاجأة.

وهي حدوث شيء غير مترقب. والبهت: الغلب المفاجئ المعجز عن المدافعة: ﴿**فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون. ولقد استهزئ برسل من قبلك.. فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون**..﴾ الاستهزاء بالشيء. تحقيره وإهانته وعدم الاهتمام به. وحاق: شمل ولزم. والذين سخروا بالرسل السابقين هم مثل من قال الله فيهم: وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزؤاً.. وسخروا بهم: اسْتَقْصُوهُم وازدروا بهم. ﴿**قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمان**..﴾ مَنْ: اسم استفهام عن العاقل. والكلأ: الحفظ والمراقبة الشديدة.

من الرحمان: من نقمته وعذابه.. فالاستفهام إنكاري ليس هناك من يحفظ ويمنع: ﴿**أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا**﴾! فليس هناك آلهة تمنع من دون الله ﴿**لا يستطيعون نصر أنفسهم**﴾: كيف ينصرون غيرهم؟! ﴿**ولا هم منا يُصحبون**﴾: ولا يصحبون بالتأييد من الله؟! ﴿**بل متعنا هؤلاء وآباءهم**..﴾ بل غرهم إمهال الله لهم بتمتيعهم في الدنيا.. وكذلك متعنا آباءهم.. ﴿**حتى طال عليهم العمر**..﴾ طال عليه العمر: امتد به الأجل.. فعاش سنين طويلة. وهذا ما حصل لآبائهم.. أما هم فلا يطول بهم العمر؛ لأن علامات الإهلاك قد تراءت: ﴿**أفلا يرون أنا نأتي**

الأرض ننقصها من أطرافها..﴾ نقصان الأرض من أطرافها: يعني به نقصان أهل الشرك وزيادة المسلمين في مكة.. وفيه تلميح بالنصر النهائي بعد قليل: **﴿أفهم الغالبون؟!.. قل إنما أنذركم بالوحي﴾**: سلاحي الوحيد الآن الذي لاحت بوادر النصر به هو القرآن الذي أعرضوا عنه بسبب ما بهم من الصمم المانع لهم من سمع الوحي: **﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون..﴾** فهم لا يرجعون عن حالهم حتى يمسهم من العذاب شيء قليل: **﴿ولئن مستهم نفخة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين..﴾** والمس: أول ملاقاة جسم بجسم.. والنفحة: أول ملاقاة شيء بريحه أو بجزءٍ منه يسير.

وهذا أول ما يلاقيه المشرك من عذاب الآخرة. وهناك يعلم الحقيقة التي جاء بها القرآن، ويعلم صدق الرسول فيما أنذر به.. فيعترف كل مشرك بظلمه.. ويقولون: يا ويلنا إنا كنا ظالمين. **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً..﴾** الوضع، حقيقته: حط الشيء ونصبه في مكان. والموازين: جمع ميزان. وهو ما يوزن به الشيء ليعلم مقداره.. والقسط: العدل. ليوم القيامة: نضع الموازين عند يوم القيامة.. فلا تظلم نفس شيئاً: **﴿وإن كان مثقال حبة من خرْدَلٍ أتينا بها..﴾** المثقال: ما يماثل شيئاً في الثقل.. والحبة: الواحدة من ثمر النبات. مثل حبة القمح وغيرها مما له حب.. والخرْدَل: حبوب دقيقة جداً.

ومثله حب السمسم، أتينا بها: أحضرناها ووزناها وحكمنا على مقتضاها.. **﴿وكفى بنا حاسبين﴾**: إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا. **﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين..﴾** المراد بالفرقان هنا: التوراة وصف بأوصاف ثلاثة: كونه فرقاناً وضياء وذكراً للمتقين: **﴿الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون..﴾** فالذين يخشون ربهم ويخافون حسابه هم المتقون حقاً.. **﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه..﴾** هذا: إشارة إلى القرآن. وذكر: يذكر الناس.. مبارك: فيه الخير الكثير. وفرع على هذه الأوصاف العظيمة استفهام توبيخي تعجيبي من إنكارهم صدق هذا الكتاب، ومن استمرارهم على ذلك الانكار بقوله: **﴿أفأنتم له منكرون﴾؟!**

مبحث الإعراب

﴿اقترب﴾ فعل ماض. **﴿للناس﴾** متعلق به. **﴿حسابهم﴾** فاعل. **﴿وهم﴾** في

محل رفع مبتدأ. ﴿**في غفلة**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**معرضون**﴾ خبر ثان. والجملة في محل نصب حال من الناس. والواو واو الحال. ﴿**ما يأتيهم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**من ذكر**﴾ فاعل يأتي دخلت عليه من الزائدة فجُرّ لفظاً ورُفع محلاً.

﴿**من ربهم**﴾ متعلق بيأتيهم. ﴿**محدث**﴾ نعت لذكر. ﴿**إلا استمعوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستثناء. وجملة استمعوه في محل نصب حال من ضمير النصب في يأتيهم. وهذا الحال مستثنى من عموم أحوال: ما يأتيهم ذكر في حال إلا في حال استماعهم.. ﴿**وهم يلعبون**﴾ جملة يلعبون خَبَرُ ﴿**هم**﴾. والجملة من المبتدإ والخبر حال من ضمير الرفع في استمعوه. ﴿**لاهية**﴾ حال من المبتدإ. وهو هُمْ. ﴿**قلوبهم**﴾ فاعل باسم الفاعل. ﴿**وأسروا النجوى**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع بدل من ضمير الجماعة في أسروا. ﴿**ظلموا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**هل**﴾ حرف استفهام بمعنى النفي. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**إلا بشر**﴾ من الخبر المقدر. والتقدير: خبر المبتدإ.

﴿**مثلكم**﴾ نعت لبشر. ﴿**أفتأتون السحر**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه فاء التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**وأنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**تبصرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. وجملة المبتدإ وخبره في محل نصب حال من واو الجماعة. ﴿**قل**﴾ فعل أمر. ﴿**ربي**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم.. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ربي. ﴿**القول**﴾ مفعول به. وجملة يعلم خبر المبتدإ. وجملة المبتدإ وخبره مقول قل.. ﴿**في السماء**﴾ متعلق بيعلم. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماء. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿**السميع العليم**﴾ خبر بعد خبر. والجملة تذييل. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. وهو من حروف العطف. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل، ﴿**أضغاث**﴾ خبر لمبتدإ محذوف. ﴿**أحلام**﴾ مضاف إلى أضغاث. ﴿**بل افتراه**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الرسول محمد ـ ﷺ ـ والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة معطوفة ببل.. ﴿**بل هو شاعر**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر معطوفة على ما قبلها. ﴿**فليأتنا**﴾ فعل

مضارع مجزوم بلام الأمر. والفاء للتعقيب. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير يعود على الرسول. ﴿**بآية**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**كما**﴾ الكاف في محل جر نعت لآية. وما اسم موصول في محل جر بالكاف.

﴿**أرسل**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**الأولون**﴾ نائب الفاعل. والجملة صلة ما. أي: فليأتنا بآية مثل الآية التي أرسل بها الأولون: ﴿**ما آمنت**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف النفي. ﴿**قبلهم**﴾ متعلق بآمنت. ﴿**من قرية**﴾ فاعل آمنت دخل عليه حرف الجر الزائد. جُرت لفظاً ورفعت محلاً. ﴿**أهلكناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت لقرية. ﴿**أفهم**﴾ في محل رفع مبتدأ دخلت عليه فاء التفريع وهمزة الاستفهام. ﴿**يؤمنون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدأ.

﴿**وما أرسلنا**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف النفي. والواو للعطف. ﴿**قبلك**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**إلا رجالاً**﴾ مفعول أرسلنا. ﴿**يوحى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**إليهم**﴾ نائب الفاعل. وجملة يوحى إليهم نعت لرجال. ﴿**فاسألوا**﴾ فعل أمر للجماعة. والفاء للتعقيب. ﴿**أهل**﴾ مفعول به. ﴿**الذكر**﴾ مضاف إلى أهل. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها. فعل الشرط. ﴿**لا تعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر كان وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله. أي: إن كنتم لا تعلمون فاسألوا. . ﴿**وما جعلناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. والواو للعطف. ﴿**جسداً**﴾ مفعول ثان.

﴿**لا يأكلون الطعام**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. وجملة لا يأكلون الطعام نعت لما أضيف إليه جسداً. أي: وما جعلناهم ذوي جسد مستَغْنِين عن الطعام. ﴿**وما كانوا**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف النفي. والواو للعطف. ﴿**خالدين**﴾ خبر كان. ﴿**ثم صدقناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على ما قبله بثُمّ. ﴿**الوعد**﴾ مفعول ثان. ﴿**فأنجيناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على ما قبله. ﴿**ومن**﴾ في محل نصب معطوف على الضمير المفعول. ﴿**نشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والجملة صلة مَنْ. ﴿**وأهلكنا المسرفين**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على قوله: فأنجيناهم.

﴿**لقد أنزلنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**إليكم**﴾ متعلق بأنزلنا. ﴿**كتاباً**﴾ مفعول به. ﴿**فيه**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ذكركم**﴾

مبتدأ مؤخر. والجملة نعت لكتاب. ﴿**أفلا تعقلون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وفاء التفريع وحرف الاستفهام. ﴿**وكم**﴾ في محل نصب مفعول مقدم. ﴿**قصمنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**من قرية**﴾ بيان لكم. ﴿**كانت**﴾ اسمها ضمير يعود على قرية. ﴿**ظالمة**﴾ خبرها. والجملة نعت لقرية. ﴿**وأنشأنا**﴾ فعل وفاعل معطوف على قصمنا. ﴿**بعدها**﴾ متعلق بأنشأنا. ﴿**قوماً**﴾ مفعول به. ﴿**آخرين**﴾ نعت لقوم. ﴿**فلما أحسوا بأسنا**﴾ فعل وفاعل ومفعول فِعْلُ شرط لمّا. والفاء للتفريع.

﴿**إذا هم**﴾ في محل رفع مبتدأ دخلت عليه إذا الفجائية. ﴿**منها**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**يركضون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. وجملة إذا هم منها يركضون جواب شرط لمّا. ﴿**لا تركضوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لا الناهية فجزمته. ﴿**وارجعوا**﴾ أمر معطوف على النهي. ﴿**إلى ما**﴾ متعلق بارجعوا، ﴿**أُترفتم**﴾ فعل مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير يعود على ما. ﴿**فيه**﴾ متعلق بأترفتم. والجملة صلة ما. ﴿**ومساكنكم**﴾ معطوف على ما. . ﴿**لعلكم**﴾ لعل واسمها.

﴿**تسألون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. . وواو الجماعة نائب الفاعل. وجملة تسألون خبر لعلّ. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**يا ويلنا**﴾ منادى منصوب بالفتحة. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كنا**﴾ كان واسمها. ﴿**ظالمين**﴾ خبر كان. وكان واسمها وخبرها خبر إنّ. وجملة إنا كنا ظالمين مقول القول. ﴿**فما زالت**﴾ فعل ماض ناقص دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب. واسم زالت ضمير يعود على القول: يا ويلنا. . ﴿**تلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**دعواهم**﴾ خبره. والجملة خبر زالت. أي: فما زالت قولتهم مكررة. ﴿**حتى جعلناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف بحتى على قولهم المكرر. . ﴿**حصيداً خامدين**﴾ مفعول ثان مكرر لفعل الجمل.

﴿**وما خلقنا السماء**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. والواو للعطف. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماء. ﴿**وما**﴾ في محل نصب معطوف على السماوات. ﴿**بينهما**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**لاعبين**﴾ حال من فاعل خلقنا. ﴿**لو أردنا**﴾ فعل وفاعل. فعل شرط لو. ﴿**أن نتخذ**﴾ فعل مضارع منصوب بأن.

والفاعل نحن. ﴿**لهواً**﴾ مفعول به. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول أردنا. ﴿**لاتخذناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول جواب لو. واللام رابطة للجواب. ﴿**من لدنا**﴾ متعلق باتخذناه. ﴿**إن كنا**﴾ كان واسمها فعل شرط إن. ﴿**فاعلين**﴾ خبر كان. وجواب الشرط محذوف يدل عليه قوله: لاتخذناه من لدنا.. ﴿**بل نقذف**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الإضراب. والفاعل نحن.

﴿**بالحق على الباطل**﴾ متعلقان بنقذف. ﴿**فيدمغه**﴾ فعل مضارع مرتب على ما قبله. والفاعل ضمير يعود على الحق. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**فإذا هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. دخلت عليه إذا الفجائية وفاء التعقيب. ﴿**زاهقٌ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**ولكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**الويل**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**مما**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**تصفون**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**وله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**من**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة من. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**ومن**﴾ معطوف على من السابقة.

﴿**عنده**﴾ متعلق بمحذوف صلة من. ﴿**لا يستكبرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**عن عبادته**﴾ متعلق بيستكبرون. ﴿**ولا يستحسرون**﴾ معطوف على لا يستكبرون. وجملة لا يستكبرون في محل نصب حال من الموصول في قوله: من عنده. ﴿**يسبحون الليل**﴾ فعل وفاعل ومفعول فيه. والجملة بيانية لا محل لها من الإعراب. ﴿**والنهار**﴾ معطوف على الليل. وهما ظرفان للتسبيح. ﴿**لا يفترون**﴾ فعل مضارع منفي بلا. وواو الجماعة فاعل. والجملة بيان. ﴿**أم اتخذوا آلهة**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أم التي تفيد العطف والإضراب. ﴿**من الأرض**﴾ متعلق باتخذوا.

﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**ينشرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. وجملة هم ينشرون في محل نصب نعت لآلهة. ﴿**لو كان فيهما**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان مقدم. ﴿**آلهة**﴾ اسمها مؤخر. ﴿**إلا الله**﴾ إلا بمعنى غير وهو مرفوع نعت لآلهة، وحذف غير وجيء بإلاَّ بدله.. ﴿**لفسدتا**﴾ فعل وفاعل. واللام رابطة لجواب لو. ﴿**فسبحان**﴾ مفعول مطلق. والفاء للتعقيب. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبحان. ﴿**رب**﴾ بدل من الله. ﴿**العرش**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**عما**﴾ متعلق بسبحان. ﴿**يصفون**﴾ فعل وفاعل. صلة ما. ﴿**لا يسأل**﴾ فعل مضارع مبني

للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على الله. ولا نافية. ﴿**عما**﴾ متعلق بيسأل. ﴿**يفعل**﴾ فاعله ضمير يعود على الله صلة ما. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف.

﴿**يسألون**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل خبر المبتدإ. ﴿**أم اتخذوا**﴾ مثل أم اتخذوا آلهة.. ﴿**من دونه**﴾ متعلق باتخذوا. ﴿**آلهة**﴾ مفعول به. ﴿**قل**﴾ فعل أمر. ﴿**هاتوا**﴾ فعل أمر للجماعة. ﴿**برهانكم**﴾ مفعول به. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**ذكر**﴾ خبر. ﴿**مَن**﴾ في محل جر مضاف إلى ذكر. ﴿**معي**﴾ متعلق بمحذوف صلة من. ﴿**وذكر من قبلي**﴾ معطوف على ذكر من معي ﴿**بل أكثرهم**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف الإضراب العاطف. ﴿**لا يعلمون الحق**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. وجملة لا يعلمون خبر المبتدإ. ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتفريع.

﴿**معرضون**﴾ خبره. ﴿**وما أرسلنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والواو للعطف. ﴿**من قبلك**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**من رسول**﴾ مفعول به جر بمن الزائدة في محل نصب. ﴿**إلا يوحى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول دخل عليه حرف الاستثناء. ﴿**إليه**﴾ في محل نائب الفاعل. ﴿**أنه**﴾ أن واسمها. ﴿**لا إله**﴾ لا واسمها. ﴿**إلا أنا**﴾ بدل من خبر لا. وجملة لا إله إلا أنا خبر أن. وأن وما دخلت عليه تفسير ليوحى إليه. ﴿**فاعبدون**﴾ مفرع على قوله: أنه لا إله إلا أنا. ﴿**وقالوا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**اتخذ الرحمان ولداً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة مقول القول.

﴿**سبحانه**﴾ مفعول مطلق مضاف إليه ضمير يعود على الرحمان. ﴿**بل عباد**﴾ خبر لمبتدأ محذوف دخل عليه حرف الإضراب. أي: بل الملائكة عباد. ﴿**مكرمون**﴾ نعت لعباد. ﴿**لا يسبقونه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. ﴿**بالقول**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**بأمره**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ.

﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الرحمان. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**بين**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**أيديهم**﴾ مضاف إلى بين.

﴿**وما خلفهم**﴾ معطوف على ما بين أيديهم. ﴿**ولا يشفعون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والواو للعطف. ﴿**إلا لمن**﴾ متعلق بيشفعون. وإلاّ أداة استثناء مفرغ. ﴿**ارتضى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الرحمان. وجملة ارتضى صلة من. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**من خشيته**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**مشفقون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**ومن يقل**﴾ فعل الشرط مجزوم بمن. والفاعل ضمير يعود على مَن. ﴿**منهم**﴾ متعلق بيقل.

﴿**إني**﴾ إنّ واسمها. ﴿**إله**﴾ خبر إنّ. ﴿**من دونه**﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل يقل. ﴿**فذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء رابطة لجواب الشرط. ﴿**نجزيه**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**جهنم**﴾ مفعول ثان. وجملة نجزيه خبر المبتدإ. وجملة فذلك نجزيه جواب الشرط. ﴿**كذلك**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر مقدر. ﴿**نجزي**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن، ﴿**الظالمين**﴾ مفعول به. أي: نجزي الظالمين جزاء مثل من يقول إني إله من دون الله. ﴿**أولم ير الذين**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف النفي الجازم. وواو العطف وحرف الاستفهام. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**أن السماوات**﴾ أنّ واسمها. ﴿**والأرض**﴾ عطف على السماوات. ﴿**كانتا**﴾ كان واسمها.

﴿**رتقاً**﴾ خبرها. وجملة كانتا رتقاً خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يرى. ﴿**ففتقناهما**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للترتيب. ﴿**وجعلنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**من الماء**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**كل**﴾ مفعول به. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**حيّ**﴾ نعت لشيء. ﴿**أفلا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب: وحرف الاستفهام. ﴿**وجعلنا في الأرض**﴾ إعرابها مثل إعراب وجعلنا من الماء. ﴿**رواسي**﴾ مفعول به. ﴿**أن تميد**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير يعود على الأرض. ﴿**بهم**﴾ متعلق بتميد. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر للتعليل.

﴿**وجعلنا فيها**﴾ مثل سابقتها. ﴿**فجاجاً**﴾ مفعول به. ﴿**سبلاً**﴾ نعت لفجاج. ﴿**لعلهم**﴾ لعل واسمها. ﴿**يهتدون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر لعل. ﴿**وجعلنا السماء**﴾ فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿**سقفاً**﴾ مفعول ثان. ﴿**محفوظاً**﴾ نعت له.

﴿وهم﴾ في محل رفع مبتدأ. **﴿عن آياتها﴾** متعلق بما بعده. **﴿معرضون﴾** خبر المبتدإ. والجملة في موضع الحال من الذين كفروا المتقدم ذكره. **﴿وهو﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿الذي﴾** في محل رفع خبر. **﴿خلق﴾** فاعله ضمير يعود على الله.. **﴿الليل﴾** مفعول به.

﴿والنهار والشمس والقمر﴾ معطوفات على الليل. وجملة خلق صلة الذي. **﴿كل﴾** مبتدأ. والتنوين عوض عن المضاف إليه وهو المسوغ للابتداء بالنكرة. **﴿في فلك﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. **﴿يسبحون﴾** فعل وفاعل. والجملة حال من ضمير الشمس والقمر.. **﴿وما جعلنا﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والواو للعطف. **﴿لبشر﴾** متعلق بجعلنا. **﴿من قبلك﴾** كذلك. **﴿الخلد﴾** مفعول به. **﴿أفإن مت﴾** جملة شرطية دخل عليها فاء التعقيب وحرف الاستفهام. **﴿فهم﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿الخالدون﴾** خبر. والجملة جواب الشرط لربطه بالفاء. **﴿كل﴾** مبتدأ. **﴿نفس﴾** مضاف إلى كل. **﴿ذائقة﴾** خبر المبتدإ. **﴿الموت﴾** مضاف إلى ذائقة. من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله.

﴿ونبلوكم﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والواو للعطف. **﴿بالشر﴾** متعلق بنبلو والخير معطوف عليه. **﴿فتنة﴾** مفعول مطلق. **﴿وإلينا﴾** متعلق بما بعده. **﴿ترجعون﴾** الجملة من الفعل ونائب الفاعل معطوفة على نبلوكم بالشر.. **﴿وإذا رآك الذين كفروا﴾** فاعل. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والظرف متعلق بقوله: **﴿إن يتخذونك﴾** فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف النفي إنْ. **﴿إلا هزؤاً﴾** مفعول ثان. **﴿وهم﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿بذكر﴾** متعلق بالخبر. **﴿الرحمان﴾** مضاف إلى ذكر. **﴿هم﴾** ضمير فصل. **﴿كافرون﴾** خبر المبتدإ. والجملة في موضع الحال من ضمير الذين كفروا. **﴿خلق﴾** فعل ماض مبني للمجهول. **﴿الإنسان﴾** نائب الفاعل. **﴿من عجل﴾** متعلق بخلق.

﴿سأريكم﴾ فعل مضارع دال على الاستقبال. والفاعل ضمير المتكلم. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. **﴿آياتي﴾** مفعول ثان. **﴿فلا تستعجلون﴾** فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف النهي وفاء التفريع. وحذفت ياء المتكلم المفعول الثاني تخفيفاً لدلالة نون الوقاية عليها.. **﴿ويقولون﴾** فعل وفاعل. والواو

للعطف. ﴿**متى**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع خبر. ﴿**الوعد**﴾ عطف بيان. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها فعل شرط إن.

﴿**صادقين**﴾ خبر كان. وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله. ﴿**لو يعلم الذين**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط لو. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**حين**﴾ متعلق بيعلم. ﴿**لا يكفون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة مضافة إلى الظرف. ﴿**عن وجوههم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**النار**﴾ مفعول به. ﴿**ولا عن ظهورهم**﴾ معطوف على لا يكفون عن وجوههم.. ﴿**ولا هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ولا نافية، والواو للعطف. ﴿**ينصرون**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل خبر المبتدإ. وجواب لو مقدر؛ والتقدير: لو يعلم الذين كفروا حين يعذبون بأنواع العذاب لما كانوا على ما هم عليه.

﴿**بل تأتيهم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الإضراب العاطف. والفاعل هي ضمير يعود على النار. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**بغتة**﴾ حال من فاعل تأتي. ﴿**فتبهتهم**﴾ فعل مضارع دخل عليه فاء التعقيب. والفاعل ضمير يعود على النار أو الساعة. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**فلا يستطيعون ردها**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب. ﴿**ولا هم يُنظرون**﴾ مثل ولا هم ينصرون في الإعراب. ﴿**ولقد استهزئ**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**برسل**﴾ نائب الفاعل. ﴿**من قبلك**﴾ متعلق بمحذوف نعت لرسل. ﴿**فحاق**﴾ فعل ماض. والفاء للتعقيب.

﴿**بالذين**﴾ متعلق بحاق. ﴿**سخروا**﴾ صلة الذين. ﴿**منهم**﴾ متعلق بسخروا. ﴿**ما**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**به**﴾ متعلق بما بعده ﴿**يستهزؤون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كانوا.. صلة ما. ﴿**قل: مَنْ**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**يكلؤكم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**بالليل**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**والنهار**﴾ معطوف على الليل. ﴿**من الرحمان**﴾ متعلق بيكلؤكم. ﴿**بل هم**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف الإضراب العاطف. ﴿**عن ذكر**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**ربهم**﴾ مضاف إلى ذكر. ﴿**معرضون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**أم**﴾ منقطعة. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**آلهة**﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿تمنعهم﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الآلهة. والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿من دوننا﴾** متعلق بمحذوف نعت لآلهة. وجملة تمنعهم نعت ثان لآلهة. **﴿لا يستطيعون نصر﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. **﴿أنفسهم﴾** مضاف إلى نصر. والجملة بيانية. **﴿ولا هم﴾** في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف النفي وواو العطف. **﴿منا﴾** متعلق بما بعده **﴿يصحبون﴾** الجملة من الفعل ونائب الفاعل خبر المبتدإ. والجملة معطوفة على جملة لا يستطيعون نصر أنفسهم. **﴿بل متعنا هؤلاء﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الإضراب.

﴿وآباءهم﴾ معطوف على هؤلاء. **﴿حتى﴾** غائية. **﴿طال﴾** فعل ماض. **﴿عليهم﴾** متعلق به. **﴿العمر﴾** فاعل. **﴿أفلا يرون﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب وحرف الاستفهام **﴿أنا﴾** أنّ واسمها. **﴿نأتي﴾** فعل مضارع. والفاعل نحن. والجملة خبر أنّ. **﴿الأرض﴾** مفعول به. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يرون. **﴿ننقصها﴾** فعل مضارع. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول.

﴿من أطرافها﴾ متعلق بالفعل قبله. **﴿أفهم﴾** في محل رفع مبتدأ. دخل عليه فاء التعقيب وحرف الاستفهام. **﴿الغالبون﴾** خبر المبتدإ. **﴿قل: إنما﴾** كافة ومكفوفة. **﴿أنذركم﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿بالوحي﴾** متعلق بأنذركم. **﴿ولا يسمع الصمُّ الدعاء﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي وواو العطف. **﴿إذا﴾** متعلق بيسمع. **﴿ما﴾** زائدة. **﴿يُنذرون﴾** الفعل ونائب الفاعل في محل جر مضاف إلى الظرف. **﴿ولئن مستهم﴾** فعل ماض في محل جزم بإن الشرطية، واللام للقسم. والواو عاطفة. والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿نفحة﴾** فاعل. **﴿من عذاب﴾** متعلق بمحذوف نعت لنفحة.

﴿ربك﴾ مضاف إلى عذاب. **﴿ليقولن﴾** فعل وفاعل دخلت عليه نون التوكيد. وحذفت نون الرفع. والجملة جواب القسم سدت مسد جواب الشرط. **﴿يا ويلنا﴾** منادى منصوب بالفتحة. **﴿إنا﴾** إنّ واسمها. **﴿كنا﴾** كان واسمها. **﴿ظالمين﴾** خبر كان وجملة كنا ظالمين خبر إن. وجملة إنا كنا ظالمين مقول القول. **﴿ونضع﴾** فعل مضارع. والفاعل نحن. والواو للعطف. **﴿الموازين﴾** مفعول به. **﴿القسط﴾**

نعت للموازين. ﴿**ليوم**﴾ متعلق بنضع. ﴿**القيامة**﴾ مضاف ليوم. ﴿**فلا تظلم**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول دخل عليه حرف النفي وفاء التفريع. ﴿**نفس**﴾ نائب الفاعل. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول به. ﴿**وإن كان**﴾ فعل ماض تام يكتفي بفاعله. دخل عليه حرف الشرط. ﴿**مثقال**﴾ فاعل. ﴿**حبة**﴾ مضاف إلى مثقال.

﴿**من خرْدَل**﴾ متعلق بمحذوف نعت لحبة. ﴿**أتينا**﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب الشرط. ﴿**بها**﴾ متعلق بأتينا. ﴿**وكفى**﴾ فعل ماض. والواو للعطف. ﴿**بنا**﴾ في محل رفع فاعل. والباء زائدة. ﴿**حاسبين**﴾ تمييز. ﴿**ولقد آتينا موسى**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**وهارون**﴾ معطوف على موسى. ﴿**الفرقان**﴾ مفعول ثان. ﴿**وضياء**﴾ معطوف على الفرقان. ﴿**وذكراً**﴾ معطوف كذلك. ﴿**للمتقين**﴾ متعلق به. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت للمتقين. ﴿**يخشون ربهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**بالغيب**﴾ متعلق بيخشون. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**من الساعة**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**مشفقون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**وهذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**ذكر**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**مبارك**﴾ نعت لذكر. ﴿**أنزلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. وجملة أنزلناه خبر ثان. ﴿**أفأنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه فاء التفريع وهمزة الاستفهام. ﴿**له**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**منكرون**﴾ خبر المبتدإ. وجملة أفأنتم له منكرون استفهام توبيخي تعجيبي!

مبحث الأسلوب البلاغي

هذه السورة تسمى سورة الأنبئاء.. وهي مكية. وعدد آياتها: مائة وإحدى عشر. ومناسبتها لما قبلها: أن سورة طه ذكر في آخرها تهديد المعرضين بما سيحصل لهم.. في قوله: فتربصوا.. وذكر في أول هذه السورة اقتراب ذلك الوعيد: ﴿**اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون..**﴾ وافتتاح الكلام بهذه الجملة أسلوب بديع في الافتتاح؛ لما فيه من غرابة الأسلوب وإدخال الروح على المنذرين فإن المراد بالناس مشركوا مكة.. والاقتراب مبالغة في القرب.. فصيغة الافتعال الموضوعة للمطاوعة مستعملة في تحقق الفعل.

وفي إسناد الاقتراب إلى الحساب استعارة تمثيلية: شبه حال إظلال الحساب

لهم بحالة شخص يسعى ليقرب من ديار ناس.. ففيه تشبيه هيئة الحساب المعقولة بهيئة محسوسة وهي هيئة المغير والمعجل في الإغارة على القوم فهو يلح في السير تكلفاً للقرب من ديارهم.. والحساب الذي اقترب من الناس يشمل حسابهم في الآخرة. وهو قريب لتحقق وقوعه. وكل آتٍ قريبٌ.. ويشمل قرب حسابهم على موقفهم من الدعوة. وهو كناية عن اقتراب هلاك المستهزئين: إنا كفيناك المستهزئين.. وقد هلك معظم زعمائهم يوم بدر.. فالمراد بالناس مشركوا مكة: لأنهم الذين يُكنّى عنهم بالناس كثيراً في القرآن.

وجملة وهم في غفلة معرضون وصف كاشف لحالهم التي هم فيها.. فدلّت في على الظرفية المجازية التي هي شدة تمكن الوصف منهم. ذلك أن غفلتهم عن إنذار القرآن وما فيه من التهديد بالحساب العسير في الدنيا والآخرة: ﴿**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم**..﴾ جاءت هذه الآية تبين تمكن الغفلة منهم وإعراضهم.. فهم إذا سمعوا في القرآن تذكيراً لهم بالنظر والاستدلال اشتغلوا عنه باللعب واللهو.. فلم يفقهوا معانيه. ولم يكن حظهم منه مجرد سماع ألفاظه ونغمته المثيرة لأسماعهم لا لعقولهم.

وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون.. ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء.. والمراد بالذكر المحدث: ما في القرآن من تجدد الإنذار، وتكريره على الأسماع المرة بعد المرة في الليل والنهار.. ﴿**وأسروا النجوى**﴾: جملة موصولة بالعطف على ما هم عليه من الغفلة والإعراض وعدم الاهتمام بما يحذرهم منه القرآن.. فلم تكن غفلتهم عن القرآن بالأمر السلبي.. وإنما هم معارضون له مكذبون من جاء به.. فيتآمرون سراً بتوحيد موقفهم أمام الخطر الداهم بهم.. فإعراضهم عن القرآن إعراضٌ إيجابيٌ.. فهو تعدٍّ مقصود على الدعوة وصاحب الدعوة.. فالذين ظلموا هم الذين أسروا النجوى.

وظلمهم هذا خارج عن المعتاد حيث أنكروا الحق الذي جاء به رسول الله ـ ﷺ ـ ووصفوه بالسحر ونسبوه إلى البشر: ﴿**هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون**﴾؟!.. والمعنى: ما هذا الذي يَدّعي أنه رسول إلا بشر مثلكم.. وما أتى به سحر.. أفتقبلون منه هذا وأنتم على أتم حال من صحة العقل وسداد

الرأي؟! وإنما أسروا ذلك؛ لأنه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادئ الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم أمر النبوءة وإطفاء نور الدين.

﴿**قل ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم**﴾: هذه الآية فصلت ولم تعطف على ما قبلها؛ لأنها جاءت معترضة مقررة لمضمون ما قبلها متضمنة للوعيد.. ﴿**بل قالوا أضغاث أحلام**..﴾ فحرف الإضراب هنا مقصود منه الانتقال من حكاية قولهم السابق إلى حكاية قول آخر مضطرب.. فلم يقتصروا على أن يقولوا في حق النبئ: هل هذا إلا بشر مثلكم، وفي حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم: إنه سحر.. ﴿**بل افتراه**..﴾ انتقال من قول إلى قول.

ولم يقتصروا على قول واحد: قالوا أولاً: هو سحر.. ثم انتقلوا فقالوا: أضغاث أحلام.. ثم انتقلوا فقالوا: هو افتراء.. ثم انتقلوا فقالوا: ﴿**هو شاعر.. فَلْيَأْتِنَا بآية كما أرسل الأولون**..﴾ فهو تفريع على ما قبله من أقوالهم المترددة. وهي المطالبة بمعجزة غير القرآن من نوع ما يحكى عن الرسل السابقين.. ودخلت لام الأمر على فعل الغائب لمعنى إبلاغ الأمر إليه.. ﴿**ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون**﴾: هذا استئناف ابتداء جيء به جواباً على قولهم: كما أرسل الأولون.

والمعنى: أن الأمم التي أرسل إليها الأولون ما أغنت فيهم الآيات التي جاءتهم كما وددتم أن تكون لكم مثلها فما آمنوا؛ ولذلك حق عليهم الإهلاك.. فشأنكم شأنهم وإنما منع الله الآيات الخوارق عن مشركي مكة لأنه أراد استبقاءهم ليكون منهم مؤمنون وتكون ذرياتهم حملة هذا الدين في العالم.. وفرعت جملة أفهم يؤمنون على جملة ما آمنت قبلهم من قرية.. مقترنة باستفهام الإنكار. أي: فهم لا يؤمنون لو أتيناهم بآية كما اقترحوا، كما لم يؤمن الذين من قبلهم الذين جعلوهم مثالاً في قولهم: كما أرسل الأولون.. وهذا أَخْذٌ لهم بلازم قولهم. ﴿**وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً يوحى إليهم**..﴾ المقصود من هذا إبطال قولهم: هل هذا إلا بشر مثلكم.. فبين خطأهم في قولهم، بأن الرسل الأولين الذين اعترفوا برسالتهم ما كانوا إلا بشراً، وأن الرسالة ليست إلا وحياً من الله لمن اختاره من البشر.

وتوجيه الخطاب لهم في قوله ﴿**فاسألوا أهل الذكر**..﴾ بعد كون الكلام جرى

على أسلوب الغيبة التفات. ونكتته: أن الكلام لما كان في بيان الحقائق الواقعة أعرض عنهم في تقريره وجعل من الكلام الموجه إلى كل سامع وجعلوا فيه معبراً عنهم بضمائر الغيبة، ولما أريد تجهيلهم وإلجاؤهم إلى الحجة عليهم غُيِّر الكلام إلى الخطاب تسجيلاً عليهم وتقريعاً لهم بتجهيلهم: ﴿**وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين**..﴾ فهذا يفيد التهكم بهم؛ لأنهم لما قالوا: في حق الرسول: ما لهذا الرسول يأكل الطعام.. ثم سألوا أن يأتي بما أرسل به الأولون كان مقتضى أقوالهم أن الرسل الأولين كانوا في صور الأولين لكنهم لا يأكلون الطعام، وأكل الطعام من لوازم الحياة.. للزمهم لمّا قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام أن يكونوا قائلين بأن شأن الرسل أن يكونوا أجساداً بلا أرواح! وهذا من السخافة بمكانٍ! وأما قوله: وما كانوا خالدين.. فهو زيادة استدلال لتحقيق بشريتهم استدلالاً بما هو واقع من عدم كفاءة أولئك الرسل كما هو معلوم بالمشاهدة؛ لقطع معاذير الضالين.. فإن زعموا أن قد كان الرسل الأولون مخالفين للبشر فماذا يصنعون في لحاق الفناء إياهم؟!.. فهذا وجه زيادة وما كانوا خالدين.. وأتى في نفي الخلود عنهم بصيغة ما كانوا تحقيقاً لتمكن عدم الخلود منهم.. ﴿**ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين**﴾: أَهَمُّ مما ذكر: أنا صدقناهم الوعد فأنجيناهم وأهلكنا الذين كذّبوهم.

ومضمون هذا أهم في الغرضين: التبشير والإنذار.. فالتبشير للرسول والمؤمنين بأن الله صادقه وعده من النصر. والإنذار لمن ماثل أقوام الرسل الأولين. والكلام مسوق مساق التنويه بالرسل الأولين. وهو تعريض بوعيد الذين قالوا: فليأتنا بآية كما أرسل الأولون: إن كان أعجبكم ما أتى به الأولون فسألتم من رسولكم مثله ـ فإن حالكم كحال الذين أرسلوا إليهم ـ فترقبوا مثل ما نزل بهم، ويترقب رسولكم مثل ما لقي سلفه.. والإتيان بصيغة المستقبل في قوله: من نشاء احتباك؛ والتقدير: فأنجيناهم ومن شئنا.. وننجي رسولنا ومن نشاء منكم.

وهو تأميل لهم أن يؤمنوا؛ لأن من المكذبين يوم نزول هذه الآية من آمنوا فيما بعدُ.. فلذلك قال: وأهلكنا المسرفين، ولم يقل ونهلك.. والمقصود من ذكر الذين أهلكوا التعريض بالتهديد والتحذير أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك مع عدم التصريح بالوعيد. ﴿**لقد أنزلنا إليكم**﴾: كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقية

القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة إعراض الناس عما يأتيهم من آياته، واستهزاءهم به. وتسميتهم إياه تارة سحراً.. وتارة أضغاث أحلام.. وتارة أخرى مفترىً وشعراً.

وبيان علو رتبته إثر تحقيق رسالة محمد ـ ﷺ ـ ببيان أنه كسائر الرسل الكرام.. وصدر الكلام بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق اللفظي إظهاراً لمزيد الاعتناء بمضمونه وإيذاناً بكون المخاطبين في أقصى مراتب النكير: ولِلّهِ لقد أنزلنا إليكم يا معشر العرب كتاباً عظيم الشأن نيّر البرهان منوهاً بذكركم: ﴿**أفلا تعقلون**﴾؟!.. ففي هذا الاستفهام إنكار توبيخي فيه بعث للمخاطبين على التدبر في أمر هذا الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة.. وقوله تعالى: ﴿**وكم قصمنا من قرية..**﴾ نوع تفصيل لإجمال قوله: وأهلكنا المسرفين.

وبيان لكيفية إهلاكهم.. وسببه.. وتنبيه على كثرتهم.. وشدة العذاب الذي حل بهم: قصمنا.. ﴿**كانت ظالمة**﴾: هو السبب الموجب لهم.. فحصل منه ومن اسم الكثرة «كم» معنى العموم.. فيعلم المشركون التهديد بأن ذلك حال بهم لا محالة بحكم العموم، وأن هذا ليس مراداً به قرية معينة. ﴿**وأنشأنا بعدها قوماً آخرين**﴾: فيه تنبيه على استئصال الأولين وقطع دابرهم بالكلية. وهي جملة معترضة بين جملة وكم قصمنا من قرية وجملة ﴿**فلما أحسوا بأسنا..**﴾ فهذا تفريع على قوله: وكم قصمنا من قرية.. جيء به توبيخاً وتهَكُّماً بهم بما في إذا من المفاجأة: ﴿**إذا هم منها يركضون..**﴾ فهو تصوير لشدة الفزع. وجملة ﴿**لا تركضوا**﴾ معترضة وهي خطاب للراكضين بتخيل كونهم كالحاضرين المشاهدين في وقت حكاية قصتهم.

﴿**وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون**﴾: ارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعيم لتروا ما آل إليه.. فلعلكم ليسألكم سائل عن حال ما أصابكم فتعلموا كيف تجيبون؛ لأن شأن المسافر أن يسأله الذين يقدم إليهم عن حال البلاد التي تركها.. فبهذا تكملة للتهكم!. ﴿**وقالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين**﴾: لما علموا أن لا فائدة من الهروب أو الرجوع أيقنوا بالهلاك المحدق بهم من كل الجهات: ﴿**فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين**﴾.

فما زالت كلمتهم تلك: يا ويلنا إنا كنا ظالمين.. شبهت حالتهم بزرع حصد بعد أن كان يانعاً.. وبالنار الخامدة بعد أن كانت متأججة.. فحصل تشبيهان بليغان. ﴿**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على ما تضمنه قوله: لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم.. ففي ذلك الذكر تنبيه العقول إلى الحكمة التي اقتضت المناسبة بين خلق السماوات والأرض.. وبين إنزال الكتب المتضمنة للجزاء حسب ما تضمنه نظام الكون البديع.

والمقصود من ذلك إيقاظ العقول إلى الاستدلال بما في خلق السماوات والأرض وما بينهما من دقائق المناسبات وإعطاء كل مخلوق ما به قوامه.. فإذا كانت تلك سنة الله في خلق العوالم: ظرفها ومظروفها.. استدل بذلك على أن تلك السنة لا تتخلف في ترتب المسببات على أسبابها فيما يأتيه جنس المكلفين من الأعمال.. فهم تحت تصرف حكم خالق السماوات والأرض الحي القيوم. ولذلك كثر تعقيب ذكر نظام خلق السماوات والأرض بذكر الجزاء الآجل والبعث وإهلاك بعض الأمم الظالمة.

ومن أجل هذا انتفى عن خلق السماوات والأرض وما بينهما من المكلفين اللعب واللهو والعبث: أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون؟!.. أيحسب الإنسان أن يترك سدى؟!.. ﴿**لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين**﴾: استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو.. وهو تعليل لنفي أن يكون خلق السماوات والأرض لعباً.. وجملة إن كنا فاعلين، جملة شرطية مرتبطة بالتي قبلها ارتباط الشرط بجزائه المحذوف الدال عليه جواب لو. وهو جملة «لاتخذناه». فيكون تكريراً للتلازم.

فالله تعالى لا يتلهى بهذه المخلوقات كما يتلهى الملوك بما عندهم من زينة الدنيا ولعبها ولهوها.. ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما يصفون**﴾: هذا إضراب إبطال لما قبله ـ وانتقال وارتقاء لما يذكر بعده: بل نحن نعمد إلى باطلكم ولهوكم ولعبكم.. فنقذف بالحق عليه كراهية للباطل.. فيدمغه فإذا هو زاهق.. واستعير القذف هنا لإيراد ما يزيل ويبطل الشيء.. فعبارة يدمغه ترشيح واستعارة: حيث رشح القذف لإيراد ما يُبطل.

وحيث استعير الدمغ لمحق الباطل وإزالته.. وفي إذا الفجائية والجملة

الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى. . وجملة ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بأن لهم أيضاً مثل ما لأولئك من العذاب والعقاب. . ﴿**وله من في السماوات والأرض**﴾: كلام مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وأنه سبحانه يحق الحق ويبطل الباطل. . فله خاصة جميع المخلوقات: خلقاً وملكاً وتدبيراً وتصرفاً وإحياء وإماتة وتعذيباً وإثابة من غير أن يكون لأحد في ذلك دخل مّا استقلالاً أو استتباعاً.

﴿**ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون**﴾: الجملة وصلت بالعطف على ما قبلها عطف خاص على عام للاهتمام به. والمراد بهم الملائكة. والسين والتاء في يستحسرون للمبالغة في الوصف وعبر بالاستحسار هنا الذي هو التعب الشديد؛ لأنه المناسب للعمل الشديد. وجملة ﴿**يسبحون الليل والنهار**. .﴾ بيان لجملة ولا يستحسرون؛ لأن من لا يتعب من عمل لا يتركه. . فهو يواظب عليه ولا يَعْيَا منه. ﴿**أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون**﴾: أم هذه منقطعة عاطفة الجملة على الجملة عطف إضراب انتقالي: هو انتقال من إثبات صدق الرسول ـ ﷺ ـ وحجية دلالة القرآن إلى إبطال الإشراك. وأم تؤذن بأن الكلام بعدها مسوق مساق الاستفهام. وهو استفهام إنكاري.

ووصف الآلهة بأنها من الأرض تهكم بالمشركين وإظهار لغباوتهم وإفن رأيهم!. . وذكر الأرض هنا مقابلة لذكر قوله: ومن عنده. وقوله: هم ينشرون زيادة في التهكم. والمشركون لم يدّعوا لآلهتهم أنها تبعث الموتى، ولا هم معترفون بوقوع البعث. . ولكن نزلوا منزلة من يزعم ذلك إبداعاً في الإلزام. ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾: هذه الجملة مبينة للإنكار الذي في قوله: أم اتخذوا آلهة. . ولذلك فصلت ولم تعطف. والضمير الدال على التثنية عائد إلى السماوات والأرض من قوله: وله من في السماوات والأرض. وفساد السماوات والأرض ممتنع بالمشاهدة فكذلك يمتنع وجود إله غيرَ الله؛ لأن لو حرف امتناع لامتناع. والفاء في قوله تعالى: ﴿**فسبحان الله**. .﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان.

وإيراد اسم الله في موضع ضميره للإشعار بعلة الحكم، ولتربية المهابة

وإدخال الروعة. و﴿**رب العرش**﴾ توكيد للتنزه والتسبيح الذي لا يليق إلا بذاته تعالى؛ لأنه رب العرش العظيم!.. ﴿**لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون**﴾: هذه الآية جاءت بياناً بأنه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لأحد من مخلوقاته أن يناقشه ويسأله عما يفعل من أفعاله إثر بيان أن ليس له شريك في الملك.. فكونهم يُسألون كناية عن العبودية.. ففي قوله: لا يسأل عما يفعل كناية عن جريان أفعال الله تعالى على مقتضى الحكمة بحيث إنها لا مجال فيها لانتقاد منتقد إذا أتقن الناظر التدبر فيها أو كُشف له عما خفي منها.

﴿**أم اتخذوا من دونه آلهة**﴾: هذه الجملة تأكيد لجملة أم اتخذوا آلهة من الأرض.. فأُكّد ذلك الإضراب الانتقالي بمثله استعظاماً لفظاعته، وليُبنى عليه استدلال آخر كما بني على نظيره السابق. فإن الأول بني عليه دليل استحالة من طريق العقل. وهذا بني عليه دليل بطلان بشهادة الشرائع سابقها ولاحقها.. فلقن الله رسوله أن يقول: ﴿**هاتوا برهانكم. هذا ذكر من معي وذكر من قبلي**﴾: الإشارة في قوله: هذا.. تمييز البرهان الذي جاء به والذي جاء به من قبله من الرسل بحيث لا يستطيع المخاطب المغالطة فيه ولا في مضمونه.

والمعنى: أن هذا الوحي الوارد في شأن التوحيد المتضمن للبرهان القاطع العقلي ذكر أمتي، وذكر الأمم السالفة قد أقمته فأقيموا أنتم أيضاً برهانكم على ما تدّعونه من جهة العقل والنقل.. فإنه لا صحة لقول لا دليل عليه.. ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون الحق**﴾: إضراب عن الاستدلال بأنه استدلال ضائع فيهم.. فلا يرجى منهم اعتراف ببطلان شركهم من دليل العقل المتقدم، ولا من دليل شهادة الشرائع المذكور ثانياً. والمراد بكونهم لا يعلمون الحق: أنهم لا يتطلّبون عِلْمَهُ: كما دلت عليه قرينة التفريع عليه بقوله: ﴿**فهم معرضون**﴾.

﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾: لما أظهر الله لرسوله أن المعاندين لا يعلمون الحق لإعراضهم عن تلقيه أقبل عليه بتأييد مقاله الذي لقنه أن يجيبهم به: وهو قوله قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي.. ﴿**وقالوا اتخذ الرحمان ولدا سبحانه بل عباد مكرمون**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على ما سبق من أقوالهم الباطلة وما هم عليه من الشرك والضلال.. فهو انتقال من باطل إلى باطل آخر، وهو ادعاؤهم أن الله اتخذ ولدا.

ولما كان اتخاذ الولد نقصاً في جانب واجب الوجود أعقب مقالتهم بكلمة سبحانه.. ولما كان المراد من قوله: وقالوا اتخذ الرحمٰن ولداً.. أنهم زعموا الملائكة بنات الله تعالى أعقب حرف الإضراب عن قولهم بالإخبار بأنهم عباد: بل عباد مكرمون. فحذف المبتدأ للعلم به.. وجملة ﴿**لا يسبقونه بالقول**﴾ صفة أخرى لعبادٍ منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لأمر ربهم. وجملة ﴿**وهم بأمره يعملون**﴾ بيان لتبعيتهم لربهم في الأعمال إثر بيان تبعيتهم له في الأقوال.

وتقديم بأمره على يعملون لإفادة القصر.. وقوله ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**﴾ استئناف وقع تعليلاً لما قبله وتمهيداً بعده. فإن لعلمهم بإحاطة الله تعالى بما قدموا وأخروا من الأقوال والأفعال لا يزالون يراقبون أحوالهم.. فلا يقدمون على قول أو فعل بغير أمره.. فقوله تعالى: ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾ تخصيص بالذكر لبعض ما شمله قوله: لا يسبقونه بالقول.. اهتماماً بشأنه؛ لأنه مما كفروا سببه إذ جعلوا الآلهة شفعاء لهم عند الله.. ثم زاد بعظمتهم ربهم تقريراً بقوله: ﴿**وهم من خشيته مشفقون**﴾. والشرط في قوله: ﴿**ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم**﴾ شرط على سبيل الفرض: لو قاله واحد منهم مع العلم بأنهم لا يقولونه لأجل ما تقرر من شدة خشيتهم.. فالمقصود من هذا الشرط التعريض بالذين ادّعوا لهم الألوهية بأنهم ادعوا لهم ما لا يرضونه ولا يقولونه، وأنهم ادعوا ما يوجب لقائله نار جهنم.. ثم صرح بما اقتضاه التعريض فقال: ﴿**كذلك نجزي الظالمين**﴾. وهو مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله: مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها.

ويتعدون أطوارهم.. ﴿**أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما**﴾: هذا الكلام موصول بالعطف على ما تقدم من الاستدلال على أنواع الخلق وما فيه من العجائب بحيث يرى كل ناظر دلائل القدرة في السماوات والأرض من تحول وتغير في الجو والليل والنهار والرياح والسحاب والمطر.. وتحول الأرض من موات إلى نبات.. فالاستفهام إنكاري تعجيبي من حال المعرضين المنكرين الغافلين.. وهم الذين كفروا.

والمراد بالرتق والفتق هنا الالتئام والانفصال من إحياء وإماتة وحركة وسكون واجتماع وافتراق.. فالآية تشمل جميع ما يتحقق فيه معاني الرتق والفتق؛ إذ لا

مانع من اعتبار معنى عام يجمعها جميعاً.. حتى قول من يقول بأن السماوات والأرض كانتا شيئاً واحداً.. فانفصلت الأرض عن السماوات.. فتكون الآية قد اشتملت على عبرة نعم كل الناس وهو ما يشاهد بالنظر.. وعلى عبرة خاصة بأهل الفكر والعلم.. فهي من معجزات القرآن العلمية الداخلة في قوله تعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم الحق.. ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾: زيادة استدلال بما هو أظهر لرؤية الأبصار.. ففيه عبرة للناس في أكثر أحواله. وهو عبرة للمتأملين في دقائقه: في تكوين الحيوان من الرطوبات.

وهو تكوين التناسل وتكوين جميع الحيوان.. فإنه لا يتكون إلا من الرطوبة ولا يعيش إلا ملابساً لها.. فإذا انعدمت منه الرطوبة فقد الحياة! وفرع على هذا الدليل: ﴿**أفلا يؤمنون**﴾ إنكاراً عليهم عدم إيمانهم. وهو الإيمان الذي دعاهم إليه محمد ـ ﷺ ـ الإيمان بالله وحده.. ﴿**وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون**﴾: هذا من آثار فتق الأرض إذ أخرج منها الجبال وجعل فيها الطرق. والمقصود: إتمام المنة على الإنسان بجعل الأرض صالحة له.

وجملة لعلهم يهتدون مستأنفة إنشاء رجاء اهتداء المشركين إلى وحدانية الله.. فإن هذه الدلائل مشاهدة لهم واضحة الدلالة. ويراد بالاهتداء الاهتداء في السير. وتكون منة أخرى.. فهذه الجملة من الكلام الموجه.. ﴿**وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون**﴾: لما ذكر الاعتبار بخلق الأرض وما فيها ناسب. بحكم الطباق ذكر خلق الأرض.. وجملة وهم عن آياتها معرضون في موضع الحال. ﴿**وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون**﴾: لما كانت في إيجاد هذه الأشياء المعدودة منافع للناس سيقت في معرض المنّة بصوغها في صيغة الجملة الإسمية المعرفة الطرفين: وهو الذي.. لإفادة القصر.

وهو قصر إفراد إضافي بتنزيل المخاطبين من المشركين منزلة من يعتقد أن أصنامهم شركاء لله في خلق تلك الأشياء.. ولكون المنة والعبرة في إيجاد نفس الليل والنهار ونفس الشمس والقمر، لا في إيجادها على حالة خاصة جيء هنا بفعل الخلق لا بفعل الجعل. وجملة كل في فلك يسبحون مستأنفة استئنافاً بيانياً.

والسبح مستعار للسير في متسع.. ومن بدائع الإعجاز في هذه الآية أن قوله تعالى: كل في فلك - ر د و ي و ر ك فيه محسن بديعي.. فإن حروفه تقرأ من آخرها على الترتيب كما تقرأ من أولها مع خفة التركيب ووفرة الفائدة وجريانه مجرى المثل من غير تنافر ولا غرابة.

وهذا التركيب من مبتكرات القرآن على ما يظهر. ووجد منه الكثير بعد ما ذكره القرآن. مثل: «سر فلا كبابك فرس» «دام علا العاد». وفي القرآن كذلك: «وربك فكبر». ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**﴾: الكلام موصول بالعطف على ما تضمنته الآيات السابقة من دلائل الآفاق. وهذا المعطوف متضمن لآيات الله في الأنفس. وهو التصرف فيها بالإحياء والإماتة في الحيوان والإنسان على اختلاف مقامه وأحواله ولو كان رسولاً مثل محمد - ﷺ -.. فلا عبرة بقول المشركين: شاعر نتربص به ريب المنون.. أفإن مت فهم الخالدون: ﴿**كل نفس ذائقة الموت..**﴾ فسبحان الذي قهر العباد بالموت! ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون**﴾: وصلت هذه الجملة بالعطف علي قوله: كل نفس ذائقة الموت.

وذلك لبيان الغرض من الحياة والموت بالنسبة للإنسان: خَلَقَ المَوْتَ والحياةَ ليبلوكم أيكم أحسن عملا.. ففي الآية إيماء إلى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب.. ﴿**وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزؤا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمان هم كافرون**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على ما سبق من قول المشركين للرسول - ﷺ - في غيبته: إنه ساحر.. وشاعر.. وهنا تبين الآية ما يقول المشركون له عند رؤيته.. فهم يقولون مستهزئين: أهذا الذي يذكر آلهتكم.. فالاستفهام مستعمل في التعجيب. واسم الإشارة مستعمل فيما يقصدون من التحقير بقرينة الاستهزاء.. فكانوا متعجبين من الرسول كيف يتجرأ على آلهتكم بسوء؟!.

وكلامهم مسوق مساق الغيظ والغضب على الرسول - ﷺ - ! وجملة وهم بذكر الرحمان هم كافرون في موضع الحال من الذين كفروا.. فهم يعيبون على الرسول ذكر آلهتهم بسوء في حال غفلتهم عن ذكر الرحمان المنعم الحقيقي عليهم وعلى الناس جميعا! ﴿**خلق الإنسان من عجل**﴾: فصلت هذه الجملة فلم تعطف؛

لأنها جعلت مقدمة لما بعدها: ﴿**سأوريكم آياتي فلا تستعجلون**﴾. وهذه الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً جاء معترضاً بين الجمل التي تحكي أقوال المشركين وما تفرع عليها.. فالمعنى: وعد الله بأنهم سيرون آيات الله في نصر الدين. وذلك بما حصل بعد الهجرة من النصر، كيوم بدر، وما حصل بعده من أيام الإسلام التي كان النصر عاقبة المسلمين.

وتفرع على هذا الوعد النهي عن طلب التعجيل.. ﴿**ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾: وصلت الآية بالعطف على ما قبلها.. ففيها التفات من الخطاب إلى الغيبة.. فهم يقولون هذا استخفافاً بالتهديد الذي ووجهوا به.. والاستفهام مستعمل في التهكم مجازاً مرسلا بقرينة إن كنتم صادقين. والخطاب فيه للنبئ والمؤمنين الذين يتلون الآيات المنبئة عن مجيء الساعة.

وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه.. فإن قولهم: متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لإتيانه بطريق العجلة.. كأنه قيل: إن كنتم صادقين في هذا الوعد فليأتنا بسرعة. ﴿**لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون**﴾: استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه، وفظاعة ما فيه من العذاب، وأنهم إنما يستعجلونه لجهلهم بشأنه.. ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم.

وجواب لو محذوف؛ والتقدير: لو يعلم الذين كفروا وقت عجزهم عن كف العذاب المحيط بهم لما فعلوا ما فعلوا.. وما قالوا ما قالوا.. فهم عاجزون عن دفعه بأنفسهم، وفاقدون للنصر من غيرهم.. ﴿**بل تأتيهم بغتة فتبهتهم**﴾: إضراب انتقالي من تهويل ما أعد لهم إلى التهديد بأن ذلك يحل بهم بغتة وفجأة. والمراد بها الساعة التي أنكروها، وتهاونوا بها وتلاعبوا واستهزؤوا بمن أنذرهم بها.. فتبهتهم: مرتب على بغتة.. ﴿**فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون**﴾: تعقيب لبيان عجزهم وخيبة أملهم.

﴿**ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون**﴾: هذه الآية جاءت تسلية وتطميناً لرسول الله ـ ﷺ ـ ، عما حصل من معارضيه من استهزاء به ورفض لدعوته في ضمن الاستعجال، وعدة ضمنية بأنه سيصيبهم مثل ما أصاب المستهزئين بالرسل السابقين. وتصديرها بالقسم وحرف

التحقيق لزيادة تحقيق مضمونها. وتنوين رسل للتفخيم والتكثير.. ما: اسم موصول مفيد للتهويل. والضمير المجرور عائد إلى ما. أي: حاق بهم جزاء استهزائهم الذي كانوا يستهزئون به حيث أهلكوا بسببه.

﴿**قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمان**﴾: بعد تسلية الرسول وتطمينه على ما عملوا وما حصل عليه من نتائج تمشياً مع القاعدة العامة.. أمر الله رسوله أن يذكر الحاضر منهم بأن لا يفتروا بالإمهال.. بل يسارعوا بالرجوع إلى الرحمان.. فالاستفهام إنكار وتقريع على ما هم عليه من الإهمال.. ﴿**بل هم عن ذكر ربهم معرضون**﴾: جيء بعد التقريع بإضرابات ثلاثة انتقالية على سبيل التدريج الذي هو شأن الإضراب.. فالإضراب الأول قوله: بل هم عن ذكر ربهم معرضون.. وهو ارتقاء من التقريع المجعول للإصلاح إلى التأييس من صلاحهم بأنهم عن ذكر ربهم معرضون فلا يرجى منهم الانتفاع بالقوارع.. ثم أضرب إضراباً ثانياً بأم المقطعة التي هي أخت بل مع دلالتها على الاستفهام لقصد التقريع فقال: بأم المنقطعة ﴿**أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا**..﴾ فالاستفهام إنكار وتقريع. وهذا إبطال لمعتقدهم أنهم اتخذوا الأصنام شفعاء.. فجملة ﴿**لا يستطيعون نصر أنفسهم**﴾ مستأنفة معترضة.. والمعنى: كيف ينصرونهم وهم لا يستطيعون نصر أنفسهم؟!.. ﴿**ولا هم منا يصحبون**﴾: معطوف على لا يستطيعون.

والمعنى: ليسوا مؤيدين من الله بالقبول.. ثم أضرب إضراباً ثالثاً انتقل به إلى كشف سبب غرورهم الذي من جهلهم به حسبوا أنفسهم آمنين من أخذ الله إياهم بالعذاب فجرأهم ذلك على الاستهزاء بالوعيد. وهو قوله تعالى: ﴿**بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر**..﴾ فالإشارة بهؤلاء للحاضرين في الأذهان وهم كفار قريش. ﴿**أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون**﴾: تعقيب على ما سبق من طمعهم الفارغ وأملهم الكاذب فكيف يتوهمون ذلك وهم يرون أرضهم تنقص من أطرافها بدخول بعض أهلها في الإسلام.. أفهم الغالبون؟! واختيار الجملة الاسمية دون الفعلية لدلالتها بتعريف جزئيها على القصر.

﴿**قل إنما أنذركم بالوحي**﴾: بعدما بين الله تعالى من جهته غاية هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند إتيانه ونعي عليهم جهلهم بذلك

وإعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوي أحوالهم أمر رسوله بأن يقول لهم: إنما أنذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الصادق الناطق بإتيانها وفظاعة ما فيها من الأهوال.. فشأني أن أنذركم بالإخبار بذلك لا بالإتيان بها.. فإنه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية؛ إذ الإيمان برهاني لا عياني. وقوله: ﴿**ولا يسمع الصم الدعاء..**﴾ إما من تتمة الكلام الملقى تذييل له بطريق الاعتراض توبيخاً وتقريعاً وتسجيلاً عليهم بكمال الجهل والعناد.. وتقييد نفي السماع إذا ما ينذرون مع أن الصم لا يسمعون الكلام ـ إنذاراً كان أو تبشيراً ـ لبيان كمال شدة الصمم.

كما أن إيثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فإن الإنذار عادة يكون بأصوات عالية مكررة مقارنة لهيآت دالة عليه فإذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها. وإما من جهة الله تعالى. كأنه قيل قل لهم ذلك وأنت بمعزل عن أسماعهم. ﴿**ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على الآية التي قبلها.. فهي تبين سرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب إثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد القسمي. ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خرْدَلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين**﴾: وصلت هذه الآية بالآية التي قبلها؛ لبيان ما سيقع عند إتيان ما أنذروا به.. ولبيان أنهم مجازون على جميع ما أسلفوه من الكفر وتكذيب الرسول، بياناً بطريق ذكر العموم بعد الخصوص.

﴿**ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون**﴾: في نهاية الكلام مع المشركين المعرضين المنكرين المستهزئين اللاعبين يجيء بإقامة الحجة عليهم بما أنزل الله على موسى وهارون من الفرقان والضياء والذكر يهتدي به المتقون الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون. وفي هذا الكلام تعريض بالذين لم يهتدوا بكتاب موسى وهارون وهم اليهود الذين كفروا بالقرآن. وقد عقب هذا التعريض بذكر المقصود من سوق الكلام الناشىء هو عنه: ﴿**وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون**﴾؟! لقد ثبتت الحجة على اليهود من كتابهم. وثبتت الحجة على العرب من الكتاب العربي المبين.

خلاصة المعنى العام وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون**. .﴾ في هذا التوجيه الإنذار بالبعث، وتحقيق وقوعه، وإنه لتحقق وقوعه كان قريباً. وهو مطلع قوى يهز الغافلين هزاً والحساب يقترب وهم في غفلة. والآيات تعرض وهم معرضون عن الهدى: ﴿**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون**. .﴾ والموقف جد وهم لا يشعرون بالموقف وخطورته. وكلما جاءهم من القرآن جديد قابلوه باللهو والاستهتار، واستمعوه وهم هازلون يلعبون. . ﴿**لاهية قلوبهم**﴾. والقلوب هي موضع التأمل والتدبر والتفكير.

إنها صورة للنفوس الفارغة التي لا تعرف الجد. . فتلهو في أخطر المواقف. وتهْزَأ في مواطن الجد. وتستهتر في مواقف القداسة. . فالذكر الذي يأتيهم، يأتيهم من ربهم فيستقبلونه لاعبين بلا وقار ولا تقديس. والنفس التي تفرغ من الجد والاحتفال والقداسة تنتهي إلى حالة من التفاهة والجدب والانحلال. . فلا تصلح للنهوض بعبء، ولا الاضطلاع بواجب، ولا القيام بتكليف. وتغدو الحياة فيها عاطلة هينة رخيصة!. إن روح الاستهتار التي تلهو بالمقدسات روح مريضة. والاستهتار غير الاحتمال. . فالاحتمال قوة جادة شاعرة.

والاستهتار فقدان للشعور واسترخاء. وهؤلاء الذين يصفهم القرآن الكريم كانوا يواجهون ما ينزل من القرآن ليكون دستوراً للحياة، ومنهاجاً للعمل، وقانوناً للتعامل. . باللعب. ويواجهون اقتراب الحساب بالغفلة. وأمثال هؤلاء موجودون في كل زمان. . فحيثما خلت الروح من الجد والاحتفال والقداسة صارت إلى هذه الصورة المريضة التائهة التي يرسمها القرآن. والتي تحيل الحياة كلها إلى هزل فارغ لا هدف له ولا قوام!.

ثم بين الله موقف هؤلاء المستهترين اللاعبين المعرضين بقوله: ﴿**وأسروا النجوى**. .﴾ فقد كانوا يتناجون فيما بينهم ويتآمرون خفية كيف يصفون هذا الرسول الذي يدعوهم إلى الجد والتحوط والحذر. . يقولون عليه ظلماً ويصفونه بأوصاف بعيدة كل البعد عنه: ﴿**هل هذا إلا بشر مثلكم؟!. . أفتأتون السحر وأنتم تبصرون**﴾؟! فهم على موت قلوبهم وفراغها من الحياة لم يكونوا يملكون أنفسهم من أن تتزلزل بهذا القرآن. . فكانوا يلجأون في مقاومة تأثيره الطاغي إلى التعلات

وحبك المؤامرات واختلائهم ببعضهم حتى لا تظهر للناس حقيقة ما هم عليه من المهاترات.. فيقولون: إن محمداً بشر مثلكم.. فكيف تؤمنون له؟!.. وإن ما جاء به السحر.. فكيف تجيئون للسحر وتنقادون له.

وفيكم عيون وأنتم تبصرون؟!.. ثم أمر الله رسوله بأن يعلن للناس هذه الحقيقة التي غفلوا عنها فلم ينتبهوا لها: ﴿**قل ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم**..﴾ فقد أخبره الله بنجواهم التي أداروها بينهم خفية.. وأطلعه على كيدهم الذي يتقون به القرآن وأثره.. فما من نجوى في مكان على الأرض إلا وهو مطلع عليها. وما من مؤامرة يحدثونها إلا هو كاشفها ومطلع رسوله عليها.. وهو السميع للقول مهما خفي.. والعليم بالشيء مهما قل وبعُد: ولقد حاروا كيف يصفون هذا القرآن وكيف يتّقونه.. وكيف يصفون هذا الداعي وكيف يقفون في طريقه.. فقالوا: إنه سحر.. وقالوا: إنه أحلام مختلطة يراها هذا الدعيّ ويرويها.. وقالوا: إنه شاعر وما يقوله هو شعر.. وقالوا: إنه افتراه وزعم أنه من عند الله: ﴿**بل قالوا: أضغاث أحلام.. بل افتراه.. بل هو شاعر**..﴾ فلم يثبتوا على صفة له.. ولا على رأي يرونه فيه؛ لأنهم إنما يتمحلون ويحاولون أن يعللوا أثره المزلزل في نفوسهم بشتى التعلات.. فلا يستطيعون.. فينتقلون من ادعاء إلى ادعاء، ومن تعليل إلى تعليل، حائرين غير مستقرين.. ثم يخلصون من الحرج بأن يطلبوا بدل القرآن خارقة من الخوارق التي جاء بها الرسل الأولون: ﴿**فليأتنا بآية كما أرسل الأولون**..﴾ فقد جاءت الخوارق من قبل.. فلم يؤمن بها من جاءتهم.. فحل بهم الهلاك وفقاً لسنة الله التي لا تتخلف في إهلاك من يكذبون بالخوارق: ﴿**ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها**..﴾ ذلك أن من يبلغ به العناد ألا يؤمن بالخارقة المادية المحسوسة، لا يبقى له عذر، ولا يرجى له صلاح.. فيحق عليه الهلاك.

ولقد تكررت الآيات وتكرر التكذيب بها.. وتكرر كذلك إهلاك المكذبين.. فما بال هؤلاء؟ سيؤمنون بالخارقة لو جاءتهم؛ وهم ليسوا سوى بشر كهؤلاء الهالكين!.. ﴿**أفهم يؤمنون؟!. وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً يوحى إليهم**..﴾ فقد اقتضت حكمة الله أن يكون الرسل من البشر، يتلقون الوحي، فيدعون به الناس.. وما كان الرسل من قبل إلا رجالاً ذوي أجساد. وما جعل الله لهم أجساداً.. ثم

جعلهم لا يأكلون الطعام.. فأكل الطعام من مقتضيات الجسدية. والجسدية من مقتضيات البشرية. وهم بحكم أنهم بشر مخلوقون لم يكونوا خالدين.. هذه هي سنة الله المطردة.. فليسألوا أهل الكتاب الذين عرفوا الأنبياء من قبل إن كانوا هم لا يعلمون: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾.

﴿**وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين**..﴾ فقد كانوا الرسل من البشر ليعيشوا حياة البشر.. فتكون حياتهم الواقعية مصداق شريعتهم. وسلوكهم العملي نموذجاً حياً لما يدْعُون إليه الناس.. فالكلمة الحية الواقعية هي التي تُؤثر وتهدي؛ لأن الناس يرونها ممثَّلَةً في شخص مترجمة إلى حياة. ولو كان الرسل من غير البشر لا يأكلون الطعام، ولا يمشون في الأسواق، ولا يعاشرون النساء، ولا تعتلج صدورهم عواطف البشر وانفعالاتهم لما كانت هناك وشيجة بينهم وبين الناس.. فلا هم يحسّون دوافع البشر التي تحركهم، ولا البشر يتأسون بهم ويقتدون.

وأيّما داعيةٍ لا يحس مشاعر الذين يدعوهم ولا يحسون مشاعره.. فإنه يقف على هامش حياتهم. لا يتجاوب معهم ولا يتجاوبون معه. ومهما سمعوا من قوله فلم يحركهم للعمل بما يقول؛ لما بينه وبينهم من قطيعة في الحس والشعور. وأيّما داعيةٍ لا يصدق فعله قوله فإن كلماته تقف على أبواب الآذان لا تتعداها إلى القلوب مهما تكن كلماته بارعة وعباراته بليغة.. فالكلمة البسيطة التي يصاحبها الانفعال ويؤيدها العمل، هي الكلمة المثمرة التي تحرك الآخرين إلى العمل.

والذين كانوا يقترحون أن يكون الرسول من الملائكة؛ كالذين يقترحون اليوم أن يكون الرسول منزهاً عن انفعالات البشر.. فلا يتزوج ويزاول شؤون البيت ومطالب الأولاد.. فكل هؤلاء يتعنتون ويغفلون عن هذه الحقيقة. وهي أن الملائكة لا يحيون حياة البشر بحكم تكوينهم ولا يمكن أن يحيوها.. فلا يمكن أن يحسوا بدوافع الجسد ومقتضياته، ولا بمشاعر هذا المخلوق الآدمي ذي التكوين الخاص. وأن الرسول يجب أن يحس بهذه الدوافع والمشاعر، وأن يزاولها في حياته الواقعية ليرسم بحياته دستور الحياة العملي لمتبعيه من الناس.

وهنالك اعتبار آخر. وهو أن شعور الناس بأن الرسول ملك لا ينير في نفوسهم الرغبة في تقليده في جزئيات حياته؛ لأنه من جنس غير جنسهم، وطبيعة

غير طبيعتهم.. فلا مطمع لهم في تقليد منهجه في حياته اليومية. وحياة الرسل أسوة دافعة لغيرهم من الناس. وهذا وذلك فوق ما في ذلك الاقتراح من غفلة عن تكريم الله للجنس البشري كله باختيار الرسل منه؛ ليتصلوا بالملإ الأعلى ويتلقوا عنه.. لذلك كله اقتضت سنة الله الجارية اختيار الرسل من البشر، وأجرت عليهم كل ما يجري على البشر من ولادة وموت. ومن عواطف وانفعالات. ومن آلام وآمال. ومن أكل للطعام ومعاشرة للنساء.

وجعلت أكبر الرسل وأكملهم وخاتمهم وصاحب الرسالة الباقية فيهم.. أكمل نموذج لحياة الإنسان على الأرض، بكل ما فيها من دوافع وتجارب وعمل وحياة. تلك سنة الله في اختيار الرسل. ومثلها سُنّته في إنجائهم ومن معهم، وإهلاك المسرفين الظالمين المكذبين: ﴿**ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين..**﴾ فهي كذلك سنة جارية كسنة اختيارهم. وقد وعدهم الله النجاة هم والمؤمنون معهم إيماناً حقيقياً يصدقه العمل، فصدقهم وعده، وأهلك الذين كانوا يسرفون عليهم ويتجاوزون الحد معهم.

هذه السنة يخوف الله بها المشركين الذين كانوا يواجهون الرسول بالإسراف عليه وتكذيبه وإيذائه والمؤمنين معه. وينبههم إلى أنه رحمة بهم لم يرسل إليهم بخارقة مادية يتبعها هلاكهم إذا هم كذبوا بها كما كذب من قبلهم.. إنما أرسل إليهم بكتاب يشرفهم؛ لأنه بلغتهم، ويقوم حياتهم، ويخلق منهم أمة ذات سيادة في الأرض وذكر في الناس. وهو مفتوح للعقول تدبره وترتفع به في سلم البشرية: ﴿**لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون..**﴾ إن معجزة القرآن معجزة مفتوحة للأجيال وليست كالخوارق المادية التي تنقضي في جيل واحد.

ولا يتأثر بها إلا الذين يرونها من ذلك الجيل. ولقد كان به ذكر العرب ومجْدُهم حين حملوا رسالته.. فشرّقوا بها وغرّبوا.. فلم يكن لهم قبله ذكر، ولم يكن معهم ما يعطونه للبشرية فتعرفه لهم وتذكرهم به. ولقد ظلت البشرية تَذْكرهم وترفعهم طالما استمسكوا بهذا الكتاب، وقادوا به البشرية قروناً طويلة.. فسعدوا وسعدت بما معهم من ذلك الكتاب.. حتى إذا تخلوا عنه تخلت عنهم البشرية، وانحط فيها ذكرهم، وصاروا ذيلاً للقافلة يتخطفهم الناس.

وكانوا بكتابهم يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون! وما يملك العرب من

زاد يقدمونه للبشرية سوى هذا الزاد. وما يملكون من فكرة يقدمونها للإنسانية سوى هذه الفكرة.. فإن تقدموا للبشرية بكتابهم ذاك عرفتهم وذكرتهم ورفعتهم؛ لأنها تجد عندهم ما تنتفع به.. فأما إذا تقدموا إليها عرباً فحسب بجنسية العرب، فما هم؟ وما ذاك؟ وما قيمة هذا النسب بغير هذا الكتاب؟ إن البشرية لم تعرفهم إلا بكتابهم وعقيدتهم وسلوكهم المستمد من ذلك الكتاب وهذه العقيدة. لم تعرفهم لأنهم عرب فحسب.. فذلك لا يساوي شيئاً في تاريخ البشرية، ولا مدلول له في معجم الحضارة.. إنما عرفتهم لأنهم يحملون حضارة الإسلام ومُثُلَه وفكرته.

وهذا أمر له مدلوله في تاريخ البشرية ومعجم الحضارة. ذلك ما كان يشير إليه القرآن الكريم، وهو يقول للمشركين الذين كانوا يواجهون كل جديد يأتيهم منه باللهو والإعراض والغفلة والتكذيب. ولقد كانت رحمة بهم أن ينزل الله لهم هذا القرآن. ولا يأتيهم بالخارقة التي يطلبونها فلا يأخذهم وفق سنته بالقاصمة، كالقرى التي كذبت فاستأصلت.. وهنا يعرض مشهداً حياً من القصم والاستئصال: ﴿**وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين**..﴾ فالقصم أشد حركات القطع. وجرسها اللفظي يصور معناها، ويلقى ظل الشدة والعنف: التحطيم والقضاء الحاسم على القرى التي كانت ظالمة.. فإذا هي مدمرة محطمة. وهو عند القصم يوقع الفعل على القرى ليشمل ما فيها ومن فيها.

وعند الإنشاء يوقع الفعل على القوم الذين ينشأون ويعيدون إنشاء القرى. وهذه حقيقة في ذاتها. فالدمار يحل بالديار والديّار. والإنشاء يبدأ بالديارين.. فيعيدون إنشاء الدور.. ولكن عرض هذه الحقيقة في هذه الصورة يضخم عملية القصم والتدمير.. ثم ننظر فنشهد حركة القوم في تلك القرى وبأس الله يأخذهم، وهم كالفيران في المصيدة يضطربون من هنا إلى هناك قبيل الخمود: ﴿**فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون**..﴾ فهم يسارعون بالخروج من القرية ركضاً وعدواً، وقد تبين لهم أنهم مأخوذون ببأس الله كأنما الركض ينجيهم منه. وكأنما هم أسرع عدواً فلا يلحق بهم حيث يركضون.. ولكنها حركة الفأر في المصيدة بلا تفكير ولا شعور. عندئذ يتلقون التهكم المرير: ﴿**لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون**﴾! وما عاد هنالك مجال لسؤال ولا لجواب. إنما هو التهكم والاستهزاء.

عند ذلك يفيقون فيشعرون بأن لا مفر ولا مهرب من بأس الله المحيط. وأنه لا ينفعهم ركض ولا ينقذهم فرار.. فيحاولون الاعتراف والتوبة والاستغفار: ﴿**قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين**..﴾ ولكن فات الأوان.. فليقولوا ما يشاءون.. فإنهم لمتروكين يقولون حتى يقضى الأمر وتخمد الأنفاس: ﴿**فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين**..﴾ ويا له من حصيد آدمي، لا حركة فيه ولا حياة؛ وكان منذ لحظة يموج بالحركة وتضطرب فيه الحياة!

التوجيه الثاني: ﴿**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين**..﴾: في هذا التوجيه مقارنة بين موقف الناس اللاعبين اللاهين الغافلين وبين موقف الحق الجاد الذي لا لعب فيه ولا لهو.. لقد خلق الله سبحانه هذا الكون لحكمة لا لعباً ولا لهواً. ودبره بحكمة لا جزافاً ولا هوى. وبالجد الذي خلق به السماء والأرض وما بينهما أرسل الرسل. وأنزل الكتب. وفرض الفرائض. وشرع التكاليف.. فالجد أصيل في طبيعة هذا الكون. أصيل في تدبيره.

أصيل في العقيدة التي أرادها الله للناس. أصيل في الحساب الذي يأخذهم به بعد الممات. ولو أراد الله سبحانه أن يتخذ لهواً لاتخذه من لدنه لهواً ذاتياً لا يتعلق بشيء من هذه المخلوقات.. وهو مجرد فرض جدلي: ﴿**لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين**﴾. إنما الناموس المقرر والسنة المطردة أن لا يكون هناك لهو. إنما يكون هناك جد. ويكون هناك حق.. فيغلب الحق الأصيل على الباطل العارض: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق**﴾ هذه هي السنة المقررة.. فالحق أصيل في طبيعة الكون عميق في تكوين الوجود.

والباطل منفي عن خلقة هذا الكون أصلاً. طارئ لا أصالة فيه ولا سلطان له. يطارده الله ويقذف عليه بالحق فيدمغه. ولا بقاء لشيء يطارده الله. ولا حياة لشيء تقذفه يد الله فتدمغه! والله يخيل للناس أحياناً أن واقع الحياة يخالف هذه الحقيقة التي يقررها العليم الخبير. وذلك في الفترات التي يبدو فيها الباطل منتفشاً كأنه غالب. ويبدو فيها الحق منزوياً كأنه مغلوب. وإن هي إلا فترة من الزمان يمد الله فيها ما يشاء، للفتنة والابتلاء.. ثم تجري السنة الأزلية الباقية التي قام عليها بناء السماء والأرض.

وقامت عليها العقائد والدعوات سواء بسواء، والمؤمنون بالله لا يخالجهم

الشك في صدق وعده؛ وفي أصالة الحق في بناء الوجود ونظامه، وفي نصرة الحق الذي يقذف به على الباطل فيدمغه.. فإذا ابتلاهم الله بغلبة الباطل حيناً من الدهر عرفوا أنها الفتنة؛ وأدركوا أنه الابتلاء. وأحسوا أن ربهم يربيهم؛ لأن فيهم ضعفاً أو نقصاً.. وهو يريد أن يعدّهم لاستقبال الحق المنتصر، وأن يجعلهم ستار القدرة فيدعهم يجتازون فترة البلاء يستكملون فيها النقص ويعالجون فيها الضعف. وكلما سارعوا إلى العلاج قصر الله عليهم فترة الابتلاء. وحقق على أيديهم ما يشاء.

أما العاقبة فهي مقررة: بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق!.. هكذا يقرر القرآن الكريم تلك الحقيقة للمشركين الذين يقولون على القرآن وعلى الرسول.. ويصفونه بالسحر والشعر والافتراء. وهو الحق الغالب الذي يدمغ الباطل فإذا هو زاهق.. ثم يعقب على ذلك التقرير بإنذارهم عاقبة ما يتقولون: ﴿**ولكم الويل مما تصفون..**﴾ ثم يعرض لهم نموذجاً من نماذج الطاعة والعبادة في مقابل عصيانهم وإعراضهم.. نموذجاً ممن هم أقرب منهم إلى الله. ومع هذا فهم دائبون على طاعته وعبادته لا يفترون ولا يقصرون: ﴿**وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون..**﴾ ومن في السماوات والأرض لا يعلمهم إلا الله. ولا يحصيهم إلا الله.

والعلم البشري لا يستيقن إلا البشر. والمؤمنون يستيقنون من الملائكة والجن كذلك لذكرهما في القرآن. ولكننا لا نعرف عنهم إلا ما أخبرنا به خالقهم.. فإذا نحن قرأنا: وله من في السماوات والأرض عرفنا منهم من نعرف وتركنا علم من لا نعلم لخالق السماوات والأرض ومن فيهن. والذين عند ربك: المفهوم القريب أنهم الملائكة ولكننا لا نحدد ولا نقيد ما دام النص عاماً يشمل الملائكة وغيرهم.. ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته كما يستكبر هؤلاء المشركون. وفي ظل التسبيح الذي لا يفتر ولا ينقطع لله الواحد، مالك السماوات والأرض ومن فيهن، يجيء الإنكار على المشركين، واستنكار دعواهم في الآلهة.. ويعرض السياق دليل الوحدانية من المشهود في نظام الكون وناموسه الواحد الدال على المدبر الواحد؛ ومن المنقول عن الكتب السابقة: ﴿**أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون**﴾.

﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا. .**﴾ فالسؤال عن اتخاذهم آلهة هو سؤال استنكار للواقع منهم. ووصف تلك الآلهة بأنهم ينشرون الأموات ويبعثونهم أحياء فيه تهكم بتلك الآلهة التي اتخذوها. . فمن أول صفات الإله الحق أن ينشر الأموات. . فهل الآلهة التي اتخذوها تفعل هذا؟! إنها لا تفعل. ولا يدّعون لها هُمْ أنها تخلق حياة أو تعيد حياة. . فهي إذن فاقدة للصفة الأولى من صفات الإله.

ذلك منطق الواقع المشهود في الأرض. وهناك الدليل الكوني المستمد من واقع الوجود: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا. . فالكون قائم على الناموس الواحد الذي يربط بين أجزائه جميعاً، وبين حركات هذه الأجزاء وحركة المجموع المنظم. . هذا الناموس الواحد من صنع إرادة واحدة لإله واحد. . فلو تعددت الذوات لتعددت الإرادات ولتعددت النواميس تبعاً لها ـ فالإرادة مظهر الذات المريدة. والناموس مظهر الإرادة النافذة ـ لانعدمت الوحدة التي تنسق الجهاز الكوني كله وتوحِّد منهجه واتجاهه وسلوكه، ولوقع الاضطراب والفساد تبعاً لفقدان التناسق. هذا التناسق الملحوظ الذي لا ينكره أشد الملحدين؛ لأنه واقع محسوس.

وإن الفطرة السليمة التي تتلقى إيقاع الناموس الواحد للوجود كله لتشهد شهادة فطرية بوحدة هذا الناموس ووحدة الإرادة التي أوجدته، ووحدة الخالق المدبر لهذا الكون المنظم المنسق، الذي لا فساد في تكوينه ولا خلل في سيره: ﴿**فسبحان الله رب العرش عما يصفون**﴾. وهم يصفونه بأن له شركاء. . تنزّه الله المتعالى المسيطر: رب العرش. والعرش يعني الملك والسيطرة والاستعلاء. . تنزّه عما يقولون والوجود كله بنظامه وسلامته من الخلل والفساد يكذبهم فيما يقولون. . ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون. .**﴾ ومتى كان المسيطر على الوجود كله يسأل؟! ومن ذا الذي يسأله؟! وهو القاهر فوق عباده.

وإرادته طليقة لا يحدُّها قيد من إرادة أخرى. . ولا حتى من الناموس الذي ترتضيه هي وتتخذه حاكماً لنظام الوجود. والسؤال والحساب إنما يكونان بناء على حدود ترسم ومقياس يوضع. والإرادة الطليقة هي التي تصنع الحدود والمقاييس. ولا تتقيد بما تضع للكون من الحدود والمقاييس إلاّ كما تريد. والخلق مأخوذون بما تضع لهم من تلك الحدود فيهم يُسألون.

وإن الخلق ليستبد بهم الغرور أحياناً فيسألون سؤال المنكر المتعجب: لماذا صنع الله كذا؟!.. وما الحكمة في هذا الصنيع؟!.. فهم يتجاوزون في هذا حدود الأدب الواجب في حق المعبود. كما يتجاوزون حدود الإدراك الإنساني القاصر الذي لا يعرف العلل والأسباب والغايات، وهو محصور في حيزه المحدود.. إن الذي يعلم كل شيء، ويدبر كل شيء، ويسيطر على كل شيء، هو الذي يُقدّر ويُدبّر ويحكم: لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون.

وإلى جانب الدليل الكوني المستمد من طبيعة الوجود وواقعه؛ سألهم عن الدليل النقلي الذي يستندون إليه في دعوى الشرك التي لا تعتمد على دليل: ﴿**أم اتخذوا من دونه آلهة؛ قل: هاتوا برهانكم. هذا ذكر من معي وذكر من قبلي..**﴾ فهذا هو القرآن يشتمل على ذكر المعاصرين للرسول.. وهناك ذكر من سبقه من الرسل.. وليس فيما جاءوا به ذكر الشركاء.. فكل الديانات قائمة على عقيدة التوحيد.. فمن أين جاء المشركون بدعوى الشرك التي تتقضها طبيعة الكون، ولا يوجد من الكتب السابقة عليها دليل: ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون.. وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون..**﴾ فالتوحيد هي قاعدة العقيدة منذ أن بعث الله الرسل للناس ـ من عهد آدم إلى عهد محمد ـ لا تبديل فيها ولا تحويل: توحيد الإله وتوحيد المعبود.. فلا انفصال بين الألوهية والربوبية.

ولا مجال للشرك في الألوهية ولا في العبادة.. قاعدة ثابتة ثبوت النواميس الكونية، متصلة بهذه النواميس، وهي واحدة منها.. ثم يعرض السياق لدعوى المشركين من العرب أن لله ولداً. وهي إحدى المقولات الجاهلية السخيفة: ﴿**وقالوا اتخذ الرحمان ولداً سبحانه بل عباد مكرمون..**﴾ فدعوى النُبُوّة لله ـ سبحانه ـ دعوى اتُخذت لها عدة صور في الجاهليات المختلفة.. فعرفت عند مشركي العرب في صورة بنوة الملائكة لله.. وعند اليهود في صورة بنوة العزير لله.. وعند النصارى في صورة بنوة المسيح لله.. وكلها من انحرافات الجاهلية في شتى الصور والعصور.

والمفهوم أن الذي يعنيه السياق هنا هو دعوى العرب في بنوة الملائكة. وهو يردّ عليهم ببيان طبيعة الملائكة.. فهم ليسوا بنات لله ـ كما يزعمون ـ بل هم عباد

مكرمون عند الله. لا يقترحون عليه شيئاً تأدباً وطاعة وإجلالاً. . إنما يعملون بأمره لا يناقشون. وعِلْم الله بهم محيط: ﴿**لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**. .﴾ فلا يتقدمون بالشفاعة إلا لمن ارتضاه الله ورضي أن يقبل الشفاعة فيه: ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**. .﴾ فهم بطبيعتهم خائفون من الله مشفقون من خشيته ـ على قربهم وطهارتهم وطاعتهم التي لا استثناء فيها ولا انحراف عنها: ﴿**وهم من خشيته مشفقون**. .﴾ فهم لا يدّعون الألوهية قطعاً. ولو ادعوها ـ جدلاً ـ لكان جزاؤهم جزاء من يدّعي الألوهية كائناً من كان.

وهو جهنم. . ﴿**ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم**. .﴾ فذلك جزاء الظالمين الذين يدّعون هذه الدعوى الظالمة لكل حق، ولكل أحد، ولكل شيء في هذا الوجود. وكذلك تبدو دعوى المشركين في صورتها هذه واهية مستنكرة مستبعدة لا يدّعيها أحد. ولو ادعاها لذاق جزاءها الأليم: ﴿**كذلك نجزي الظالمين**﴾. وكذلك يلمس الوجدان بمشهد الملائكة طائعين لله، مشفقين من خشيته. بينما المشركون يتطاولون ويدّعون!!. .

التوجيه الثالث: ﴿**أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما**. .﴾: في هذا التوجيه لفت النظر فيما سبق وما يأتي من الدلائل والعبر. . فعند هذا الحد من عرض الأدلة الكونية الشاهدة بالوحدة. . والأدلة النقلية النافية للتعدد. . والأدلة الوجدانية التي تلمس القلوب. . يجول السياق بالقلب البشري في مجال الكون الضخمة، ويد القدرة تدبره بحكمة. وهم معرضون عن آياتها المعروضة على الأنظار والقلوب. . فهذه جولة في الكون المعروض للأنظار. . والقلوب غافلة عن آياته الكبار، وفيها ما يجيز اللب حين يتأمله بالبصيرة المفتوحة والقلب الواعي والحس اليقظ.

﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون**﴾؟!. . فهذا زيادة استدلال بما هو أظهر لرؤية الأبصار. والقرآن الكريم يوجه أنظار الكفار إلى عجائب صنع الله في الكون. . ويستنكر ألا يؤمنوا بها وهم يرونها مبثوثة في الوجود. . فكل ما حولهم في الكون يقود إلى الإيمان بالخالق المدبر الحكيم. . ثم يمضي في عرض مشاهد الكون الهائلة: ﴿**وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم**. .﴾ فهذه الجبال الرواسي يشاهدها الرائي أمامه شامخة قوية ثابتة لا تنتقل من مكان إلى مكان مثل

الرمل تعبث بها الرياح من هنا وهناك.. فهي ثابتة في أمكنتها لتكون علامة دائمة لا تتبدّل: ﴿**وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون**﴾. هذه فوائد الأرض للإنسان.

وهي توضح معنى الرتق والفتق في الأرض.. ثم يمضي السياق يوضح فوائد السماء وما فيها من رتق وفتق: ﴿**وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون. وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون**﴾. والتأمل في توالي الليل والنهار، وفي حركة الشمس والقمر. بهذه الدقة التي لا تختل مرة.. وبهذا الاطراد الذي لا يكف لحظة.. جدير بهدي القلب إلى وحدة الناموس. ووحدة الإرادة. ووحدة الخالق المدبر القدير.

وفي نهاية الشوط يربط السياق بين نواميس الكون في خلقه وتكوينه وتصريفه ونواميس الحياة البشرية في طبيعتها ونهايتها ومصيرها: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون..**﴾ فكل حادث فهو فان. وكل ما له بدء فله نهاية. وإذا كان الرسول - ﷺ - يموت، فهل هم يخلدون؟! وإذا كانوا لا يخلدون، فما لهم لا يعملون عمل الذي يموت؟! وما لهم لا يتبصرون ولا يتدبرون؟ هذا هو الناموس الذي يحكم الحياة. وهذه هي السنة التي ليس لها استثناء.. فما أجد الأحياء أن يحسبوا حساب هذا المذاق: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾.

إنه الموت نهاية كل حي، وعاقبة المطاف للرحلة القصيرة على الأرض. وإلى الله يرجع الجميع.. فأما ما يصيب الإنسان في أثناء الرحلة من شر وخير فهو فتنة له وابتلاء: ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون**﴾. والابتلاء بالشر مفهوم أمره؛ ليتكشف مدى احتمال المبتلي، ومدى صبره على الضر، ومدى ثقته بربه، ورجائه في رحمته.. فأما الابتلاء بالخير فهو في حاجة إلى بيان: إن الابتلاء بالخير أشد وطأة، وإن خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر.. إن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر.. ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير.

كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف.. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة ويكبحون جماح القوة الهائجة في كيانهم الجامعة في أوصالهم. كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان.. فلا تتهاوى

نفوسهم ولا تذل.. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الثراء والوجدان. وما يغريان به من متاع. وما يثيرانه من شهوات وأطماع! كثيرون يصبرون على التعذيب والايذاء فلا يخيفهم، ويصبرون على التهديد والوعيد فلا يرهبهم.

ولكنّ قليلين هم الذين يصبرون على الإغراء بالرغائب والمناصب والمتاع والثراء! كثيرون يصبرون على الكفاح والجراح.. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الدعة والمراح.. ثم لا يصابون بالحرص الذي يُذل أعناق الرجال. والاسترخاء الذي يقعد الهمم ويذلل الأرواح! إن الابتلاء بالشدة قد يثير الكبرياء، ويستحث المقاومة، ويجند الأعصاب، فتكون القوى كلها معبأة لاستقبال الشدة والصمود لها.. أما الرخاء فيرخي الأعصاب ويُنميها ويفقدها القدرة على اليقظة والمقاومة..

لذلك يجتاز الكثيرون مرحلة الشدة بنجاح.. حتى إذا جاءهم الرخاء سقطوا في الابتلاء وذلك شأن البشر.. إلا من عصم الله.. وهم قليل.. فاليقظة للنفس في الابتلاء بالخير أولى من اليقظة لها في الابتلاء بالشر. والصلة بالله في الحالين هي وحدها الضمان.. ثم بعد ذلك الشوط البعيد المديد في أرجاء الكون، وفي نواميس الوجود، وفي سنن الدعوات وفي مصائر البشر، وفي مصارع الغابرين.. يرتد السياق إلى مثل ما بدأ به في مطلع السورة عن استقبال الذين كفروا للرسول ـ ﷺ ـ وما معه من الوحي، واستهزائهم به وإصرارهم على الشرك والكفر بالرحمان: ﴿**وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزؤاً أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمان هم كافرون**..﴾ فهؤلاء الكفار يكفرون بالرحمان، خالق الكون ومدبره.

ليستكبرون على الرسول أن يذكر آلهتهم الأصنام بالسوء، بينما هم يكفرون بالرحمان دون أن يتحرجوا أو يتلوّموا.. وهو أمر عجيب جد عجيب! وإنهم ليلقون الرسول بالهزء يستكثرون عليه أن ينال من أصنامهم تلك.. ولا يستكثرون على أنفسهم ـ وهم عبيد من عبيد الله ـ أن يكفروا به، ويعرضوا عما أنزل لهم من قرآن.. وهي مفارقة عجيبة تكشف عن مدى الفساد الذي أصاب فطرتهم وتقديرهم للأمور.. ثم هم يستعجلون بما ينذرهم به الرسول من عذاب، ويحذرهم من عاقبته. والإنسان بطبعه عجول: ﴿**خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون**..﴾ فالعجلة في طبع الإنسان وتكوينه.

وهو يمد بصره دائماً إلى ما وراء اللحظة الحاضرة، يريد ليتناوله بيده، ويريد أن يحقق كل ما يخطر له بمجرد أن يخطر بباله. ويريد أن يستحضر كل ما يوعد به ولو كان في ذلك ضرره وإيذاؤه.. وهؤلاء المشركون كانوا يستعجلون بالعذاب، ويسألون متى هذا الوعد: **﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين..﴾** فها هو ذا القرآن يرسم لهم مشهداً من عذاب الآخرة، ويحذرهم ما أصاب المستهزئين قبلهم من عذاب الدنيا: **﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون. بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون﴾**.

﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون..﴾ لو يعلمون ما سيكون لكان لهم شأن غير شأنهم، ولكفّوا عن استهزائهم واستعجالهم.. فلينظروا ماذا سيكون.. فهاهم أولاء تحيط بهم النار من كل جانب.. فيحاولون في حركة مخيلة أن يكفوا النار عن وجوههم وعن ظهورهم، ولكنهم لا يستطيعون.. فكأنما تلقفتهم النار من كل جانب.. فلا هم يستطيعون ردها، ولا هم يؤخرون عنها، ولا هم يمهلون إلى أجل قريب.

وهذه المباغتة جزاء الاستعجال.. فلقد كانوا يقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين.. فكان الرد هو هذه البغتة التي تذهل العقول، وتشل الإرادة وتعجزهم عن التفكير والعمل، وتحرمهم مهلة الإنظار والتأجيل. ذلك عذاب الآخرة.. فأما عذاب الدنيا فقد حل بالمستهزئين قبلهم.. فإذا كانوا هم لم يُقدّر عليهم عذاب الاستئصال فعذاب القتل والأسر والغلب غير ممنوع. وليحذروا الاستهزاء برسولهم.. وإلا فمصير المستهزئين بالرسل معروف.

جرت به السنة التي لا تتخلف، وشهدت به مصارع المستهزئين.. أم إن لهم من يرعاهم بالليل والنهار من الرحمان، ويمنعهم من العذاب في الدنيا أو الآخرة من دون الله: **﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمان بل هم عن ذكر ربهم معرضون. أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا..﴾** فالله هو الحارس على كل نفس بالليل والنهار. وصفته هي الرحمة الكبرى. وليس من دونه راعٍ ولا حارس.. فاسألهم هل لهم حارس سواه؟! وهو سؤال للإنكار وللتوبيخ على غفلتهم عن ذكر الله وهو الذي يكلؤهم بالليل والنهار، ولا راعي لهم سواه: بل هم عن ذكر ربهم

معرضون.. ثم يعيد السؤال عليهم في صورة أخرى: أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا؟! فتكون هي التي تحرسهم إذن وتحفظهم.. كلا.. فهؤلاء الآلهة ﴿**لا يستطيعون نصر أنفسهم**..﴾ فهم من باب أولى لا يستطيعون نصر غيرهم.. ﴿**ولا هم منا يصحبون**..﴾ فيستمدوا القوة من صحبة القدرة لهم ـ كما استمدها هارون وموسى.. إن هذه الآلهة مجردة من القوة بذاتها.. فليس لها مدد من الله تستمد منه القوة.. فهي عاجزة عاجزة!.

وبعد هذا الجدل التهكمي الذي يكشف عن سخف ما يعتقده المشركون وخوائه من المنطق والدليل.. يضرب السياق عن مجادلتهم، ويكشف عن علة لجاجتهم.. ثم يلمس وجدانهم لمسة تهز القلوب، وهو يوجهها إلى تأمل يد القدرة، وهي تطوي رقعة الأرض تحت أقدام العاليين. ونقص أطرافها فتردهم إلى حيز منها منزو صغير، بعد السعة والمنعة والسلطان: ﴿**بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون**..﴾ فهذا هو المتاع الطويل الموروث الذي أفسد فطرتهم. والمتاع ترف. والترف يفسد القلب ويبلّد الحسَّ. وينتهي إلى ضعف الحساسية بالله، وانطماس البصيرة دون تأمل آياته. وهذا هو الابتلاء بالنعمة حين لا يستيقظ الإنسان لنفسه ويراقبها، ويصلها دائماً بالله فلا تنساه.

وفي ظل هذا المشهد الذي ترتعش له القلوب يؤمر الرسول أن يلقى إليهم كلمة الإنذار: ﴿**قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون**..﴾ فليحذروا أن يكونوا هم الصم الذين لا يسمعون! فتطوى رقعة الأرض تحت أقدامهم، وتقصّ يد القدرة أطرافهم، ونخيفهم وما هم فيه من متاع! ويتابع السياق إيقاعه المؤثر في القلوب فيصورهم لأنفسهم حين يمسهم العذاب: ﴿**ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين**..﴾ فهو الاعتراف بعد فوات الأوان.

ولخير منه أن يسمعوا نذير الوحي وفي الوقت متسع قبل أن تمسهم نفحة من العذاب ويختم الشوط بالإيقاع الأخير من مشاهد يوم الحساب: ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**..﴾ والحبة من خردل تصور أصغر ما تراه العيون وأخفه في

الميزان. وهي لا تترك يوم الحساب ولا تضيع. والميزان الدقيق يشيل بها أو يميل.. فلتنظر نفس ما قدمت لغد، وليصغ قلب إلى النذير. وليبادر الغافلون المعرضون المستهزئون قبل أن يحق النذير في الدنيا أو في الآخرة.. فإنهم إن نجوا من عذاب الدنيا فهناك عذاب الآخرة الذي تعد موازينه فلا تظلم نفس شيئاً، ولا يهمل مثقال حبة من خردل..

وهكذا ترتبط موازين الآخرة الدقيقة بنواميس الكون الدقيقة بسنن الدعوات التي بينت هذه الحقيقة: ﴿**ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون. وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون**﴾؟!.. فهذا كتاب موسى وهارون فرقان وضياء وذكر.. وهذا كتاب محمد ذكر مبارك منزل من عند الله كما أوتي موسى وهارون الفرقان من عند الله. فهناك وحدة في اسم الكتاب ووحدة في صفة الدعوة ووحدة في الوسيلة والغاية.. فهي في عمومها فرقان، وفي هذه الصفة تلتقي دعوة التوراة ودعوة القرآن.. فهما ذكر للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون.

ويخص المتقين الذين يخشون ربهم بالغيب؛ لأن الذين تستشعر قلوبهم خشية الله ولم يروه.. فهؤلاء هم الذين ينتفعون بالضياء ويسيرون على هداه.. فيكون كتاب الله لهم ذكراً: يذكرهم بالله ويرفع لهم ذكراً في الناس!

2 ـ عرض قصص الأنبياء الكرام تمهيد لتحقيق نصر الرسول عليه الصلاة والسلام

النص

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ (51)
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ (52)
قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (54) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ
مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ (55) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (56) وَتَٱللَّهِ
لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ (57)
فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58)
قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (59) قَالُوا۟
سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ (60) قَالُوا۟
فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوٓا۟
ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ (62) قَالَ
بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ (63)
فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (64)
ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ

يَنطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا
وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67)
قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ (68)
قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ (69) وَأَرَادُوا۟
بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ (70) وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى
ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ
إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ (72)
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ
ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا
عَٰبِدِينَ (73) * وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ
ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ (74)
وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (75) وَنُوحًا
إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ
ٱلْعَظِيمِ (76) وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ
إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ (77) وَدَاوُۥدَ
وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ
غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَٰهَا
سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ

ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿78﴾ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ
لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴿79﴾
وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ
ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿80﴾
وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا
دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴿81﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ
أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿82﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ
فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم
مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ﴿83﴾
وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ
ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿84﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ
ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿85﴾ * وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ
أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ
إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿86﴾
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ
نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿87﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ
رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿88﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ
وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ

فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿89﴾
وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿90﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿91﴾
وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿92﴾
فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ
لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿93﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿94﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ
يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿95﴾
وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ
أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا
فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿96﴾ إِنَّكُمۡ
وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ
جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿97﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ
مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿98﴾
لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿99﴾
* إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿100﴾
لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿101﴾

لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿102﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿103﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿104﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿105﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿106﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿107﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿108﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿109﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿110﴾ قُل رَّبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿111﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**ولقد آتينا إبراهيم رُشده**﴾: الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل الكبار. وهو الاهتداء الكامل المستند إلى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على إصلاح الخلق باستعمال النواميس الإلهية. ﴿**إذ قال لأبيه وقومه ما هذه**

التماثيل. .﴾ التماثيل جمع تمثال. والتمثال: اسم لشيء مصنوع مشبه بخلق من خلائق الله. . فينحت من حجر أو شجر. . وقد يكون من معدن نفيس أو خسيس. . **﴿التي أنتم لها عاكفون: عابدون لها. عاكفون عليها. . قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين. قال: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾**: والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر.

لعدم استناده إلى دليل مّا! **﴿قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾**: الذين يتلاعبون بالقول غير الجادّ يقصدون به المزاح والمداعبة. . **﴿قال: بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن﴾**: خلقهن وأنشأهن وسواهن على هذا المثال المشاهد. . **﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾**: جمع صنم. والصنم: كل ما عبد من دون الله. . وكيدها: التحيل على إلقاء الضرر بها. . فبينه بقوله: **﴿بعد أن تولوا مدبرين﴾**. وأسرع في تنفيذ كيده **﴿فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم. .﴾** والجُذاذ: اسم جمع جُذاذة. والجذ: القطع. أي: كسرها وجعلها قطعاً مبعثرة. . وأبقى الصنم الكبير على حاله. . **﴿قالوا: من فعل هذا بآلهتنا؟ إنه لمن الظالمين﴾**: حيث تعدى وتجرأ وفعل ما فعل. . **﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾**: جواب الذين سمعوا تهديد إبراهيم لأصنامهم. . والفتى: الشاب المكتمل لخصال الرجل الكاملة. . **﴿قالوا فأتوا به علي أعين الناس لعلهم يشهدون﴾**: أحضروه أمام الناس ليشهدوا ما يحل به. . **﴿قالوا: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟!!. . قال: بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون!!. . فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون. . ثم نكسوا على رءوسهم﴾**: تغيرت آراؤهم بعد أن كادوا يعترفون بحجة إبراهيم. . فرجعوا إلى المكابرة والانتصار للأصنام. . فقالوا: **﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾**.

﴿قال﴾ إبراهيم: **﴿أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم؟!. . أفّ لكم ولما تعبدون من دون الله. .﴾** أفّ اسم فعل دال على الضجر. وهو منقول من صورة تنفس المتضجّر لضيق نفسه من الغضب. **﴿قالوا: حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين. .﴾** التحريق: شدة الحرق بالنار. قلنا: يا نار كوني برداً: أمر من الله للنار بأن تكون عكس ما كانت عليه. وهو شدة البرودة. . وكوني سلاماً عليه. . حتى لا يتضرر من البرد! **﴿وأرادوا به كيداً﴾**: دبروا ما فعلوا

بإبراهيم خفية وحذراً من هروبه أو اختفائه.. فضاع كل ما دبروه.. ﴿**فجعلناهم الأخسرين**﴾. والأخسر: مبالغة في الخاسر.

﴿**ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين**﴾: هذه نجاة ثانية بعد نجاته من ضر النار. والأرض: أرض الشام. والمباركة: كثرة خيرها وسهولة الحياة فيها.. ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة**﴾: إسحاق: ابن إبراهيم. ويعقوب: ابن إسحاق. والنافلة: الزيادة فيما ينفع ديناً ودنيا.. ﴿**وكلاً جعلنا صالحين**﴾: كل من إبراهيم وإسحاق ويعقوب صالح ونبئ ورسول: ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين..**﴾ فهذه هي الشريعة التي جاء بها إبراهيم وإسحاق ويعقوب. وهي شريعة الإسلام التي جاء بها محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

﴿**ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين..**﴾ خص لوط بالذكر؛ لأنه أرسل برسالة خاصة إلى أمة خاصة وفي قرية خاصة. والخبائث التي كانت تعملها القرية فعل الفاحشة التي اخترعوها. وهي فعل قوم لوط: كما أُشيع فيها هذا الإسم.. فوصفوا بالقوم السوء الفاسقين.. ﴿**وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين**﴾: نجّى الله لوطاً من القرية التي هلكت. وأدخله الله في رحمته لصلاحه بالهداية والرسالة وعمل الخير وطاعة الله تعالى.

﴿**ونوحاً إذ نادى من قبل.. فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين! وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين..**﴾ الحرث: الناتج من حرث الأرض. وهو النبات.. والنفش: الانفلات للرعي ليلاً. والغنم: الضأن والمعز. ﴿**وسخرن مع داوود الجبال يسبحن والطير..**﴾ فالمعنى: أن داوود إذا سبح ين الجبال سمع من الجبال ترتيل التسبيح.

وهو التأويب في قوله: يا جبال أوبي معه.. وكذلك الطير إذا سمعت تسبيحه تغرد تغريداً مثل تسبيحه.. ﴿**وعلمناه صنعة لبوس لكم ليحصنكم من بأسكم**﴾: صنعة اللبوس: هي صنعة الدروع بالحلق الدقيقة على حسب الأعضاء وحركتها.

والإحصان: الوقاية والحماية. والبأس: الحرب. ﴿**ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها**. .﴾ سخر الله لسليمان الريح حسب مراده من قوة ورخاء تجري بها سفنه في البحر غادية ورائحة: غدوها شهر ورواحها شهر تغدو من الشام وتروح إلى الشام. وهي الأرض التي بارك الله فيها.

﴿**ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك**. .﴾ سخر الله لسليمان معجزة له الجن والشياطين يعملون له ما يشاء. . يغوصون البحار لاستخراج اللؤلؤ والمرجان. . ﴿**وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين**. .﴾ المس: الإصابة الخفيفة. والضر: ما يتضرر به المرء في جسده من مرض أو هزال. أو في ماله من نقص أو ضياع. . وكشف ما به من ضر: إزالة ما لحق به وإعادة ما فقده وزيادة. . وآتيناه أهله ومثلهم معهم. . ﴿**وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين**. .﴾ فهؤلاء الرسل الثلاثة وصفوا بالصبر؛ لأنه من سمات الصالحين. . ﴿**وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له فنجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين**. .﴾ وذو النون: وصف ليونس. . أي: صاحب الحوت.

والمغاضب: الذي يغضب على الغير ويغضب عليه الغير. ويونس دعا قومه فلم يستجيبوا فخرج من بينهم دون أمر من الله. . ونقدر: نضيق. وهو من القدر لا من القدرة. والظلمات: ظلمة الليل. وظلمة قعر البحر. وظلمة بطن الحوت. ﴿**وزكرياء إذ نادى ربه: رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه**. .﴾ تقدم ذكر زكرياء ويحيى في سورة مريم. وإصلاح امرأة زكرياء: جعلها صالحة للحمل. ﴿**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين**﴾: تعليل لما تقدم في الثناء على الأنبئاء. ﴿**والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين**﴾: تنويه بذكر مريم وابنها عيسى. . ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾: الإشارة في هذه إلى الأمة المقصود منها الملة الواحدة في دعوات الأنبئاء جميعاً. . وحدة في العقيدة ووحدة في العبادة ووحدة في السلوك.

﴿**وتقطعوا أمرهم بينهم..**﴾ فالتقطع: التفرق والتباعد والتخالف. والأمر: الحال المراد به الدين.. ﴿**كل إلينا راجعون**﴾، في نهاية الأمر.. ﴿**فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون**﴾: تفصيل للجزاء الذي تضمنه الرجوع إلى الله يوم القيامة، ﴿**وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون**﴾: ممنوع على قرية قدرنا إهلاكها عدم رجوعهم إلينا. أي: فهم راجعون إلينا فمُجازَوْن على كفرهم.. ﴿**حتى إذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون**﴾: فتح ياجوج وماجوج: إخراج الأموات إلى الحشر.

والتعبير بياجوج وماجوج الكثرة الهائلة. كقوله: جراد منتشر.. ﴿**واقترب الوعد الحق**﴾: تهديد للمشركين المعرضين عن الذكر المنكرين للبعث.. ﴿**فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا**﴾: مفاجأة خطيرة ترتبت على الإعراض والتكذيب. يقولون: ﴿**يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين..**﴾ فهو كلام المتندّم المتحسّر على ما فرط! ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها كل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون**﴾: هذا تحذير للمشركين من مغبة ما هم عليه من عبادة الأصنام التي هي ستكون حصب جهنم مثلهم نكاية فيهم إن هم استمروا على كفرهم.. فهو تهديد ووعيد شديد.

﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون. لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون**﴾: كلمات الآيات واضحة. ومن الأحسن أن تبقى الآيات كما هي.. فلا تحتاج إلى بيان. ﴿**يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب..**﴾ الطّيّ: رد بعض أجزاء الجسم اللين المطلوق على بعضه الآخر. والسجل: الأوراق المكتوبة. والكتاب: مجموع ما كتب بعد لف الأوراق أو طيّها. ﴿**كما بدأنا أول خلق نعيده..**﴾ مثل بدء الخلق تكون إعادته: ﴿**وعداً علينا إنا كنا فاعلين**﴾.

وهذا تحقيق لإعادة الخلق بالبعث. ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض. يرثها عبادي الصالحون..**﴾ فالله كتب في كتبه المنزلة على رسله من لدن آدم إلى محمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أن أرض الجنة وِرْثٌ للصالحين من عباد

الله المؤمنين. وقالوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء.. فنعم أجر العاملين. ﴿**إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين**..﴾ فالإشارة في هذا إلى ما ذكر في السورة من الأخبار والمواعظ والوعد والوعيد والبراهين الدالة على التوحيد وصحة الدعوة وصدق محمد ـ ﷺ ـ: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾.

﴿**قل إنما يوحي إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون**..﴾ فهذا هو البلاغ الحق لأهل الإيمان والصدق.. ﴿**فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء**﴾: فإن أعرضوا بعد هذا التبيين المفصل والجامع فأبلغهم الإنذار بحلول ما توعدهم الله به.. فقوله: ﴿**وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون**﴾ يشمل كل ما يوعدونه من عقاب في الدنيا والآخرة، إن عاشوا أو ماتوا. ﴿**إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون**..﴾ فهذا تعليل للإنذار بتحقيق حلول الوعيد بهم، وتعليل عدم العلم بقربه أو بعده. ﴿**وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين**﴾: ما أدري حكمة هذا التأخير! فلعله فتنة لكم أرادها الله ليملي لكم! ﴿**قل رب احكم بالحق وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون**﴾: أمر من الله لرسوله بأن يتجه إليه ويتركهم في غيهم وضلالهم بعد ما أنذرهم وحذرهم وأظهر لهم حقيقة الأمر واضحة.. فقد أعذر من أنذر.

مبحث الإعراب

﴿**ولقد آتينا إبراهيم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف ﴿**رشده**﴾ مفعول ثان. ﴿**من قبلُ**﴾ متعلق بآتينا. ﴿**وكنا**﴾ كان واسمها. والواو للعطف. ﴿**به**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**عالمين**﴾ خبر كان. ﴿**إذ**﴾ ظرف متعلق بآتينا. ﴿**قال**﴾ إبراهيم. ﴿**لأبيه**﴾ متعلق بقال. ﴿**وقومه**﴾ معطوف على أبيه. ﴿**ما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**هذه**﴾ في محل رفع خبر. ﴿**التماثيل**﴾ عطف بيان لاسم الإشارة. ﴿**التي**﴾ في محل رفع نعت للتماثيل. ﴿**أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**عاكفون**﴾ خبر المبتدإ. والجملة صلة التي. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**وجدنا آباءنا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة مقول القول. ﴿**لها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**عابدين**﴾ حال من المفعول.

﴿**قال**﴾ إبراهيم ﴿**لقد كنتم**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف التحقيق ولام

القسم. ﴿**أنتم**﴾ بدل من الضمير المرفوع. ﴿**وآباؤكم**﴾ معطوف على أنتم. ﴿**في ضلال**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**مبين**﴾ نعت لضلال. ﴿**قالوا: أجئتنا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بجئتنا. ﴿**أم أنت**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**من اللاعبين**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. والجملة معطوفة بأم على جملة أجئتنا. . ﴿**قال**﴾ إبراهيم. ﴿**بل ربكم**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف الإضراب. ﴿**ربُّ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**السماوات**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع نعت لرب.

﴿**فطرهن**﴾ صلة الذي. ﴿**وأنا**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**على ذلكم**﴾ متعلق بالشاهدين في قوله ﴿**من الشاهدين**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**وتالله**﴾ صيغة قسم. ﴿**لأكيدن**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**أصنامكم**﴾ مفعول به. والجملة جواب القسم. ﴿**بعد**﴾ متعلق بأكيدن. ﴿**أن تولوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى الظرف.

﴿**مدبرين**﴾ حال من الضمير الفاعل. ﴿**فجعلهم**﴾ فعل ماض دخل عليه فاء التعقيب. والفاعل ضمير يعود على إبراهيم. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**جذاذاً**﴾ مفعول ثان. ﴿**إلا كبيراً**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لكبير. ﴿**لعلهم**﴾ لعل واسمها. ﴿**إليه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يرجعون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر لعل. ﴿**قالوا: مَن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**فعل**﴾ فِعْلٌ ماض. والفاعل ضمير يعود على مَن. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**هذا**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**بآلهتنا**﴾ متعلق بفعل. ﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**لمن الظالمين**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. واللام لتوكيد الخبر. ﴿**قالوا: سمعنا فتى**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**يذكرهم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على فتى. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة في محل نصب نعت لفتىً.

﴿**يقال**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**له**﴾ متعلق به. ﴿**إبراهيم**﴾ نائب الفاعل. والجملة نعت ثان لفتى. ﴿**قالوا: فأتوا**﴾ فعل أمر للجماعة. والفاء للتعقيب. ﴿**به على أعين**﴾ متعلقان بأتوا. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى أعين. ﴿**لعلهم**﴾ لعل واسمها. ﴿**يشهدون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر لعل. ﴿**قالوا: أأنت**﴾ في

محل رفع مبتدأ. والهمزة للاستفهام. ﴿**فعلت**﴾ فعل وفاعل. ﴿**هذا**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**بآلهتنا**﴾ متعلق بفعلت. وجملة فعلت خبر المبتدإ. ﴿**يا إبراهيم**﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب. ﴿**قال**﴾ إبراهيم: ﴿**بل فعله**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف الإضراب. والضمير المتصل بالفعل. مفعول. ﴿**كبيرهم**﴾ فاعل. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع نعت لكبير. ﴿**فاسألوهم**﴾ فعل أمر للجماعة. والفاء للتعقيب. وضمير الغائبين يعود على الأصنام. ﴿**إن كانوا**﴾ كان واسمها. دخل عليها حرف الشرط الجازم.

﴿**ينطقون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجواب الشرط محذوف يدل عليه قوله: فاسألوهم. ﴿**فرجعوا**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**إلى أنفسهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**فقالوا**﴾ مرتب على رجعوا. ﴿**إنكم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أنتم**﴾ ضمير فصل. ﴿**الظالمون**﴾ خبر إنّ. ﴿**ثم نكسوا**﴾ عطف على رجعوا. والفعل مبني للمجهول. ﴿**على رؤوسهم**﴾ متعلق بالفعل. ﴿**لقد علمت**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**ما هؤلاء**﴾ ما عاملة عمل ليس. هؤلاء مبنية على الكسر في محل رفع اسم ما. ﴿**ينطقون**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل نصب خبر ما. ﴿**قال**﴾ إبراهيم. ﴿**أفتعبدون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**من دون**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**لا**﴾ حرف نفي.

﴿**ينفعكم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ما. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول ثان. وجملة لا ينفعكم صلة ما. ﴿**ولا يضركم**﴾ معطوف على لا ينفعكم. ﴿**أفّ**﴾ اسم فعل مبني على الكسر. وتنوينه للتنكير. ﴿**لكم**﴾ بيان لكلمة أف. ﴿**ولما**﴾ معطوف على لكم. ﴿**تعبدون**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**من دون**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**أفلا تعقلون**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف النفي وحرف التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**قالوا: حرقوه**﴾ فعل أمر للجماعة. ﴿**وانصروا**﴾ معطوف على حرقوه. ﴿**آلهتكم**﴾ مفعول به. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف الشرط. ﴿**فاعلين**﴾ خبر كان. وجواب الشرط محذوف دل عليه جملة ما قبله. ﴿**قلنا**﴾ فعل وفاعل.

﴿**يا نار**﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب. ﴿**كوني**﴾ فعل أمر. وياء

المخاطبة في محل رفع اسم كان. . ﴿**برداً**﴾ خبرها. ﴿**وسلاماً**﴾ معطوف على الخبر. ﴿**على إبراهيم**﴾ متعلق بسلام. ﴿**وأرادوا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**به**﴾ متعلق بأرادوا. ﴿**كيداً**﴾ مفعول به. ﴿**فجعلناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على أرادوا. ﴿**الأخسرين**﴾ مفعول ثان. ﴿**ونجيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**ولوطاً**﴾ مفعول معه. ﴿**إلى الأرض**﴾ متعلق بنجيناه المتضمن معنى أخرجناه. ﴿**التي**﴾ في محل جر نعت للأرض. ﴿**باركنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة التي. ﴿**فيها للعالمين**﴾ متعلقان بباركنا. ﴿**ووهبنا**﴾ عطف على نجيناه. ﴿**له**﴾ متعلق بوهبنا.

﴿**إسحاق**﴾ مفعول به. ﴿**ويعقوب**﴾ معطوف على إسحاق. ﴿**نافلة**﴾ منصوب على الحال من إسحاق ويعقوب. ﴿**وكلاً**﴾ مفعول أول مقدم. ﴿**جعلنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**صالحين**﴾ مفعول ثان. والجملة معطوفة على ما قبلها بالواو. ﴿**وجعلناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**أئمة**﴾ مفعول ثان. ﴿**يهدون**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لأئمة. ﴿**بأمرنا**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وأوحينا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**إليهم**﴾ متعلق بأوحينا. ﴿**فعل**﴾ مفعول به.

﴿**الخيرات**﴾ مضاف إلى فعل. ﴿**وإقام الصلاة. وإيتاء الزكاة**﴾ معطوفان على فعل الخيرات. ﴿**وكانوا**﴾ كان واسمها. والواو للعطف. ﴿**لنا**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**عابدين**﴾ خبر كان. ﴿**ولوطاً**﴾ مفعول أول مقدم. والواو للعطف. ﴿**آتيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والضمير يعود على لوط. من باب الاشتغال. ﴿**حكماً**﴾ مفعول ثان. ﴿**وعلماً**﴾ معطوف عليه. ﴿**ونجيناه**﴾ عطف على آتيناه. ﴿**من القرية**﴾ متعلق بنجيناه. ﴿**التي**﴾ في محل جر نعت للقرية. ﴿**كانت**﴾ اسم كان ضمير يعود على القرية. ﴿**تعمل**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على اسم كانت. ﴿**الخبائث**﴾ مفعول به. وجملة تعمل خبر كان. وجملة كانت تعمل صلة التي.

﴿**إنهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**قوم**﴾ خبر كان. ﴿**سوء**﴾ مضاف إلى قوم. ﴿**فاسقين**﴾ خبر ثان لكان. ﴿**وأدخلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**في رحمتنا**﴾ متعلق بأدخلناه. ﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**من الصالحين**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**ونوحاً**﴾ مفعول مقدم. ﴿**إذ نادى**﴾ فعل

ماض مضاف إلى الظرف. والفاعل ضمير يعود على نوح. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بنادى. ﴿**فاستجبنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة مرتبة على ما قبلها. ﴿**له**﴾ متعلق باستجبنا. ﴿**فنجيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب. ﴿**وأهله**﴾ معطوف على الضمير المنصوب. ﴿**من الكرب**﴾ متعلق بنجيناه.

﴿**العظيم**﴾ نعت للكرب. ﴿**ونصرناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. معطوف على نجيناه. ﴿**من القوم**﴾ متعلق بنصرناه. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت للقوم. ﴿**كذبوا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**إنهم**﴾ إن واسمها. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**قوم**﴾ خبر كان. ﴿**سوء**﴾ مضاف إلى قوم. وجملة كانوا قوم سوء خبر إنّ. ﴿**فأغرقناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب. ﴿**أجمعين**﴾ حال من الضمير المنصوب في أغرقناهم. ﴿**وداوود**﴾ معطوف على ما سبق من قوله: ولوطاً. . ﴿**وسليمان**﴾ معطوف على داوود. ﴿**إذ**﴾ ظرف متعلق بآتينا المقدر. أي: وآتينا داوود وسليمان حكماً وعلماً. ﴿**يحكمان**﴾ فعل وفاعل. ﴿**في الحرث**﴾ متعلق بيحكمان. ﴿**إذ**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**نفشت**﴾ فعل ماض. ﴿**فيه**﴾ متعلق به. ﴿**غنم**﴾ فاعل.

﴿**القوم**﴾ مضاف إلى غنم. ﴿**وكنا**﴾ كان واسمها. والواو للعطف. ﴿**لحكمهم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**شاهدين**﴾ خبر كان. ﴿**ففهمناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب. ﴿**سليمان**﴾ مفعول. . ﴿**وكلا**﴾ مفعول مقدم. ﴿**آتينا**﴾ فعل وفاعل. حكماً مفعول ثان. ﴿**وعلماً**﴾ معطوف عليه. ﴿**وسخرنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**مع**﴾ متعلق بسخرنا. ﴿**داوود**﴾ مضاف إلى مع. مجرور بالفتحة. ﴿**الجبال**﴾ مفعول به. ﴿**يسبحن**﴾ فعل وفاعل. والجملة بيانية. ﴿**والطير**﴾ معطوف على الجبال. ﴿**وكنا**﴾ كان واسمها. والواو للعطف. ﴿**فاعلين**﴾ خبر كان. ﴿**وعلمناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف.

﴿**صنعة**﴾ مفعول ثان. ﴿**لبوس**﴾ مضاف إلى صنعة. ﴿**لكم**﴾ متعلق بمحذوف نعت للبوس. ﴿**ليحصنكم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على داوود. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بعلمناه. . ﴿**من بأسكم**﴾ متعلق بيحصنكم. ﴿**فهل أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف الاستفهام، وفاء التعقيب. ﴿**شاكرون**﴾ خبر المبتدإ.

﴿**ولسليمان**﴾ متعلق بسخرنا المقدر عطف على سخرنا الأول. ﴿**الريح**﴾ مفعول به. ﴿**عاصفة**﴾ حال من الريح. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الريح والجملة حال ثانية. ﴿**بأمره إلى الأرض**﴾ متعلقان بتجري. ﴿**التي**﴾ في محل جر نعت للأرض. ﴿**باركنا**﴾ فعل وفاعل صلة التي. ﴿**فيها**﴾ متعلق بباركنا. ﴿**وكنا**﴾ كان واسمها. والواو للعطف. ﴿**بكل**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**عالمين**﴾ خبر كان. ﴿**ومن الشياطين**﴾ متعلق بمحذوف معطوف على سخرنا السابقة. أي: وسخرنا من الشياطين. ﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول سخرنا المقدّر. ﴿**يغوصون**﴾ فعل وفاعل صلة مَنْ. ﴿**له**﴾ متعلق بيغوصون. ﴿**ويعملون**﴾ معطوف على يغوصون.

﴿**عملاً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**دون**﴾ مبني على الفتح في محل نصب نعت للمفعول المطلق. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى دون. ﴿**وكنا**﴾ كان واسمها. والواو للعطف. ﴿**لهم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**حافظين**﴾ خبر كان. ﴿**وأيوب**﴾ معطوف على قوله: وداوود وسليمان.. ﴿**إذ**﴾ متعلق بمثل ما تعلق به إذ يحكمان.. ﴿**نادى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على أيوب.. ﴿**ربه**﴾ معمول نادى. ﴿**أني**﴾ أن واسمها. ﴿**مسني**﴾ فعل ماض. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. ﴿**الضر**﴾ فاعل. وجملة مسني الضر خبر أنّ. وأن وما دخلت عليه تفسير لمعنى الدعاء. ﴿**وأنت**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**أرحم**﴾ خبر المبتدإ.

﴿**الراحمين**﴾ مضاف إلى أرحم. ﴿**فاستجبنا**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**له**﴾ متعلق باستجبنا. ﴿**فكشفنا**﴾ مرتب على استجبنا. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**به من ضر**﴾ متعلقان بمحذوف صلة ما. ﴿**وآتيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**أهله**﴾ مفعول ثان. ﴿**ومثلهم**﴾ معطوف على أهله. ﴿**معهم**﴾ متعلق بمحذوف حال من مثلهم. ﴿**رحمة**﴾ مفعول لأجله. ﴿**من عندنا**﴾ متعلق برحمة. ﴿**وذكرى**﴾ معطوف على رحمة. ﴿**للعابدين**﴾ متعلق بذكرى. ﴿**وإسماعيل وإدريس وذا الكفل**﴾ معطوفات على ما عطف عليه ما قبله. ﴿**كل**﴾ مبتدأ. والتنوين عوض عن المضاف إليه. ﴿**من الصابرين**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ.

﴿**وأدخلناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**في رحمتنا**﴾ متعلق بأدخلناهم. ﴿**إنهم**﴾ إن واسمها. ﴿**من الصالحين**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**وذا**﴾ منصوب بالألف معطوف على ما عطف ما قبله من المفاعيل السابقة. ﴿**النون**﴾ مضاف إلى ذا. ﴿**إذ ذهب**﴾ مثل إذ نادى ﴿**مغاضباً**﴾ حال من ذا النون. ﴿**فظن**﴾ مرتب على ذهب. ﴿**أن لن نقدر**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. وأن مخففة من الثقيلة. واسمها ضمير الشأن. وفاعل نقدر نحن. وجملة لن نقدر خبر أن.. ﴿**عليه**﴾ متعلق بنقدر.. ﴿**فنادى**﴾ مرتب على ما قبله.

﴿**في الظلمات**﴾ متعلق بنادى. ﴿**أن**﴾ مخففة من الثقيلة. واسمها ضمير الشأن. ﴿**لا إله**﴾ لا واسمها. ﴿**إلا أنت**﴾ بدل من الخبر المقدر.. وجملة لا إله أنت خبر أن المخففة. ﴿**سبحانك**﴾ مفعول مطلق أضيف إليه ضمير المخاطب. ﴿**إني**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كنت**﴾ كان واسمها. ﴿**من الظالمين**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. وجملة كنت من الظالمين خبر إن. ﴿**فاستجبنا له ونجيناه من الغم**﴾ إعرابها مثل إعراب ما سبقها.. ﴿**وكذلك**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف. وذلك في محل جر بالكاف.. ﴿**ننجي**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**المؤمنين**﴾ مفعول به. والجملة معطوفة على قوله: فنجيناه.. ﴿**وزكرياء إذ نادى ربه**﴾ مثل وأيوب إذ نادى ربه في الإعراب. ﴿**ربّ**﴾ منادى حذف منه حرف النداء. وخفف بحذف ياء المتكلم.. ﴿**لا تذرني**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الدعاء الجازم. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**فرداً**﴾ حال من المفعول.

﴿**وأنت**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**خير**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الوارثين**﴾ مضاف إلى خير. ﴿**فاستجبنا له**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**ووهبنا**﴾ معطوف على استجبنا. ﴿**له**﴾ متعلق بوهبنا. ﴿**يحيى**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**وأصلحنا له زوجه**﴾ إعرابها مثل إعراب ووهبنا له يحيى. ﴿**إنهم**﴾ إن واسمها. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يسارعون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كانوا يسارعون خبر إنّ. ﴿**في الخيرات**﴾ متعلق بيسارعون. ﴿**ويدعوننا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**رغباً**﴾ حال من الفاعل. ﴿**ورهبا**﴾ معطوف عليه. ﴿**وكانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**لنا**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**خاشعين**﴾ خبر كان. والجملة معطوفة على ما قبلها.. ﴿**والتي**﴾ في محل نصب عطف على المنصوبات السابقة.

﴿**أحصنت**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على معلوم من السياق. وهي مريم. ﴿**فرجها**﴾ مفعول به. وجملة أحصنت صلة التي. ﴿**فنفخنا**﴾ مرتب على أحصنت. ﴿**فيها من روحنا**﴾ متعلقان بنفخنا. ﴿**وجعلناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**وابنها**﴾ معطوف على الضمير المنصوب. ﴿**آية**﴾ مفعول ثان.. ﴿**للعالمين**﴾ متعلق بآية. ﴿**إنّ هذه**﴾ إن واسمها. ﴿**أمتكم**﴾ خبرها. ﴿**أمة**﴾ حال من أمتكم. ﴿**واحدة**﴾ نعت لأمة. ﴿**وأنا**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**ربكم**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**فاعبدوني**﴾ فعل أمر للجماعة. والفاء للتعقيب. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به.. وحذفت الياء في رسم المصحف تخفيفاً.

﴿**وتقطعوا أمرهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**بينهم**﴾ متعلق بتقطعوا. ﴿**كل**﴾ مبتدأ. ﴿**إلينا**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**راجعون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**فمن**﴾ اسم شرط جازم. والفاء للتفريع. ﴿**يعمل**﴾ فعل الشرط مجزوم بالسكون. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**من الصالحات**﴾ متعلق بيعمل. ﴿**وهو مؤمن**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر في موضع الحال من ضمير مَنْ. ﴿**فلا كفران**﴾ لا واسمها. والفاء لربط الجواب. ﴿**لسعيه**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. وجملة فلا كفران لسعيه جواب الشرط. ﴿**وإنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**له**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**كاتبون**﴾ خبر إنّ. والجملة معطوفة على جواب الشرط. ﴿**وحرام**﴾ خبر مقدم. ﴿**على قرية**﴾ متعلق به.

﴿**أهلكناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت لقرية. ﴿**أنهم**﴾ أن واسمها. ﴿**لا يرجعون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. وجملة لا يرجعون خبرُ أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع مبتدأ مؤخر. وتقدير الكلام: عدم رجوع قرية أهلكها الله في الدنيا إلى الله يوم القيامة ممنوع.. بل لا بد من رجوعها إلى الله ليذيقها عذاب الآخرة بعد عذاب الدنيا! ﴿**حتى إذا فُتحت**﴾ فعل ماض مبني للمجهول دخل على الظرف بعد حتى. ﴿**ياجوج**﴾ نائب الفاعل. ﴿**وماجوج**﴾ معطوف على ياجوج. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**من كل**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**حدب**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**ينسلون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. والجملة معطوفة على فتحت ياجوج وماجوج.. ﴿**واقترب الوعد**﴾

فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**الحق**﴾ نعت للوعد. ﴿**فإذا هي**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف المفاجأة وحرف التعقيب.. ﴿**شاخصة**﴾ خبر المبتدإ.

﴿**أبصار**﴾ فاعل باسم الفاعل. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى أبصار. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**يا ويلنا**﴾ منادى منصوب بالفتحة. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**قد كنا**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف التحقيق. ﴿**في غفلة**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**من هذا**﴾ متعلق بغفلة. ﴿**بل كنا**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف الإضراب. ﴿**ظالمين**﴾ خبر كان. ﴿**إنكم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**وما**﴾ في محل نصب معطوف على اسم إنّ. ﴿**تعبدون**﴾ صلة ما. ﴿**من دون**﴾ متعلق بتعبدون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**حصب**﴾ خبر إن.

﴿**جهنم**﴾ مضاف إلى حصب مجرور بالفتحة. ﴿**أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**واردون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**لو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**كان هؤلاء آلهة**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها فعل الشرط. ﴿**ما وردوها**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. والجملة جواب الشرط. ﴿**وكل**﴾ مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**فيها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**خالدون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**لهم فيها**﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿**زفير**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**فيها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**لا يسمعون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدإ.

﴿**إن الذين**﴾ إن واسمها. ﴿**سبقت**﴾ فعل ماض. ﴿**لهم منا**﴾ متعلقان بسبقت. ﴿**الحسنى**﴾ فاعل سبقت مرفوع بضمة مقدرة على الألف. وجملة سبقت صلة الموصول. ﴿**أولئك**﴾ مبتدأ. ﴿**عنها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**مبعدون**﴾ خبر المبتدإ. وجملة أولئك عنها مبعدون خبر إنّ. ﴿**لا يسمعون حسيسها**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**فيما**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**اشتهت أنفسهم**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**خالدون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**لا يحزنهم**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**الفزع**﴾ فاعل. ﴿**الأكبر**﴾ نعت له. ﴿**وتتلقاهم**﴾ فعل مضارع معطوف على الفعل قبله. ﴿**الملائكة**﴾ فاعل. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يومكم**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع نعت ليوم.

﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**توعدون**﴾ فعل مبني للمجهول.. والجملة خبر كان. وجملة كنتم توعدون صلة الموصول. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بما سيأتي من قوله. كما بدأنا أول خلق نعيده. أي: نعيد الخلق مثل ما بدأناه يوم ﴿**نطوي**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**السماء**﴾ مفعول به. ﴿**كطي**﴾ مثل طي ﴿**السجل**﴾ مضاف إلى طي. ﴿**للكتاب**﴾ متعلق بمحذوف حال من السجل. ﴿**كما بدأنا أول**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والكاف للتشبيه وما كافة أو مصدرية أو موصولة. ﴿**خلق**﴾ مضاف إلى أول. ﴿**نعيده**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**وعداً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**علينا**﴾ متعلق بمحذوف نعت لوعداً. ﴿**إنا**﴾ إن واسمها. ﴿**كنا**﴾ كان واسمها. ﴿**فاعلين**﴾ خبرها. وجملة كنا فاعلين خبر إنّ.

﴿**ولقد كتبنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**في الزبور من بعد**﴾ متعلقان بكتبنا. ﴿**الذكر**﴾ مضاف إلى بعد. ﴿**أن الأرض**﴾ أنّ واسمها. ﴿**يرثها**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**عبادي**﴾ فاعل يرث مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم.. ﴿**الصالحون**﴾ نعت لعبادي. وجملة أن الأرض. تفسير لكتبنا.. وجملة يرثها عبادي الصالحون خبر أنّ. ﴿**إن في هذا**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**لبلاغاً**﴾ اسمها مؤخر. واللام مؤكدة. ﴿**لقوم**﴾ متعلق ببلاغاً. ﴿**عابدين**﴾ نعت لقوم. ﴿**وما أرسلناك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي وواو العطف.

﴿**إلا رحمة**﴾ مفعول ثان. ﴿**للعالمين**﴾ متعلق برحمة. ﴿**قُلْ: إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**يوحي**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**إِلَيَّ**﴾ متعلق به. ﴿**أنما إلهكم**﴾ مبتدأ دخل عليه أنما.. ﴿**إله**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**واحد**﴾ نعت لإله، وجملة أنما إلهكم نائب فاعل يوحَى. ﴿**فهل أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف الاستفهام وفاء التفريع. ﴿**مسلمون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**فإن تولوا**﴾ فعل وفاعل. وإن شرطية. والفاء للتعقيب. ﴿**فقل: آذنتكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. وجملة فقل آذنتكم جواب الشرط. ﴿**على سواء**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وإن أدري**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**وأن**﴾ حرف نفي. ﴿**أقريب**﴾ مبتدأ. ﴿**أم بعيد**﴾ معطوف عليه. ﴿**ما**﴾ في محل رفع فاعل سد مسد الخبر.

﴿**توعدون**﴾ بصيغة المجهول صلة ما. ﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**يعلم**﴾ فعل

مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. وجملة يعلم خبر إن. ﴿**الجهر**﴾ مفعول به. ﴿**من القول**﴾ متعلق بيعلم. ﴿**ويعلم**﴾ معطوف على يعلم الجهر. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**تكتمون**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**وإن أدري**﴾ مثل نظيرتها. ﴿**لعله**﴾ لعل واسمها. ﴿**فتنة**﴾ خبر لعل. ﴿**لكم**﴾ متعلق بفتنة. ﴿**ومتاع**﴾ معطوف على فتنة. ﴿**إلى حين**﴾ متعلق بمتاع ﴿**قل: رب**﴾ منادى.. ﴿**احكم**﴾ فعل دعاء. ﴿**بالحق**﴾ متعلق باحكم. ﴿**وربنا**﴾ مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**الرحمان**﴾ عطف بيان. ﴿**المستعان**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**على ما**﴾ متعلق بالمستعان. ﴿**تصفون**﴾ صلة ما.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين**﴾ ذكر قصة إبراهيم هنا مناسب لما ذكر قبلها من إنزال التوراة وجعله فرقاناً وضياء وإيتائه موسى وهارون.. وإنزال القرآن وجعله ذكراً ومباركاً وحجة على المنكرين المعرضين.. فكانت قصة إبراهيم مع قومه شاهداً على بطلان الشرك الذي كان مماثلاً لحال المشركين بمكة الذي جاء محمد ـ ﷺ ـ لقطع دابره. وفي ذكر قصة إبراهيم نعى على المشركين من العرب وعلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ إذ كانوا على الحالة التي نعاها جدهم إبراهيم على قومه. وكفى بذلك حجة عليهم. وأيضاً فإن شريعة إبراهيم أشهر شريعة بعد شريعة موسى عند أهل الكتاب.

وتأكيد الخبر عن إبراهيم بلام القسم وحرف التحقيق لتنزيل العرب في مخالفتهم لشريعة أبيهم إبراهيم منزلة المنكر لكون إبراهيم أوتي رشداً وهدياً.. فالعرب وأهل الكتاب في معزل عن رشد وهداية إبراهيم مهما ادعوا أنهم منه وإليه! وإبراهيم أوتي الرشد قبل إيتاء موسى وهارون الفرقان وقبل إيتاء محمد الذكر والقرآن. وزاده تنويهاً وتفخيماً تذييله بالجملة المعترضة: وكنا به عالمين؛ لأنه أهل لذلك الرشد: وهذا العلم الإلهي متعلق بنفسية إبراهيم العظيمة التي كان بها محل ثناء الله تعالى عليه في مواضع كثيرة من هذا الذكر المنزل على محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعلى هؤلاء الأنبئاء الكرام.

ولقد آتينا إبراهيم هذا الرشد حين دعا إبراهيم أباه وقومه إلى دينه القويم:

﴿إذ قال لأبيه وقومه: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾؟! والاستفهام في قوله: ما هذه التماثيل؟ يتسلط على الوصف في قوله: التي أنتم لها عاكفون. فكأنه قال: ما عبادتكم هذه التماثيل؟ أي: ما معناها وما مغزاها وما فائدتها؟!.. ولكنه صيغ بأسلوب توجه فيه الاستفهام إلى ذات التماثيل لإبهام السؤال عن كنه التماثيل في بادئ الكلام؛ إيماء إلى عدم الملاءمة بين حقيقتها المعبر عنها بالتماثيل وبين وصفها بالعبودية المعبر عنه بعكوفهم عليها.

وهذا من تجاهل العارف ـ في عرف علماء البلاغة ـ استعمله تمهيداً لتخطئتهم بعد أن يسمع جوابهم... فهم يظنونه سائلاً مستعلماً؛ ولذلك أجابوا سؤاله بقولهم: **﴿وجدنا آباءنا لها عابدين..﴾** فإن شأن السؤال بكلمة ما أنه لطلب شرح ماهية المسؤول عنه. والإشارة بهذه إلى التماثيل لزيادة كشف معناها الدال على انحطاطها عن رتبة الألوهية. والتعبير عنها بالتماثيل يسلب عنها الاستقلال الذاتي. وضمّن عاكفون معنى العبادة فعدي باللام بدل على؛ لإفادة ملازمة عبادتها. وجاءوا في جوابهم بما توهموا إقناعه به، وهو أن عبادة تلك الأصنام كانت من عادة آبائهم.. فحسبوه مثلهم يقدس عمل الآباء ولا ينظر في مصادفته الحق: قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين.. فأجابهم بقوله: **﴿لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾**! وأكده بلام القسم وحرف التحقيق.

ومن اجتلاب فعل الكون وحرف الظرفية.. فهو إيماء إلى تمكنهم في الضلال وانغماسهم فيه.. فهو ضلال بواح لا شبهة فيه. وأكد ذلك بوصفه بمبين. ولما ذكروا له آباءهم شرّكهم في التخطئة بدون هوادة بعطف الآباء عليهم ـ أنتم وآباؤكم ـ في ذلك؛ ليعلموا أنهم لا عذر لهم في اتباع آبائهم، ولا عذر لآبائهم في سنّ ذلك لهم؛ لمنافاة حقيقة تلك الأصنام لحقيقة الألوهية واستحقاق العبادة. ولإنكارهم أن يكون ما عليه آباؤهم ضلالاً، وإيقانهم أن آباءهم على الحق، شكّوا في حال إبراهيم: أنطق عن جد منه أم كان منه مزح ولعب؟ فاستفهموا وسألوه قائلين: **﴿أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾**؟!. وعدل عن الإخبار عنه بوصف لاعب إلى الإخبار بأنه من زمرة اللاعبين مبالغة في توغل كلامه ذلك في باب المزح بحيث يكون قائله متمكناً في اللعب، ومعدوداً من الفريق الموصوف باللعب.

وجاء إبراهيم في جوابهم بالإضراب عن قولهم: أم أنت من اللاعبين؛ لإبطال أن يكون من اللاعبين، فقال: ﴿**بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين**..﴾ فكان جواب إبراهيم إبطالاً لقولهم: أم أنت من اللاعبين مع مستند الإبطال بإقامة الدليل على أنه جاءهم بالحق. وأعلمهم بأنه مرسل إليهم وأنه شاهد على ما يعملون.. ثم انتقل إبراهيم ـ عليه السلام ـ من تغيير المنكر بالقول إلى تغييره باليد، معلناً عزمه على ذلك بقوله: ﴿**وتالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين**..﴾ فأكد عزمه بالقسم بالتاء دون الباء والواو؛ لأن التاء تختص بقسم على أمر متعجب منه.. وتختص باسم الله تعالى!.

وسمى تكسيره الأصنام كيداً على طريق الاستعارة؛ لاعتقاد المخاطبين أنهم يزعمون أن الأصنام تدفع عن نفسها.. فلا يستطيع من يمسها بسوء إلا على سبيل الكيد. وإنما قيد كيده بما بعد انصراف المخاطبين إشارة إلى أنه يلحق الضر بالأصنام في وقت التمكن منه وهو لا يتمكن من ذلك مع حضورهم.. فلو حاول كسرها بحضرتهم لكان عمله باطلا. وعندما انصرفوا وتولوا عنها مدبرين.. فراغ عليهم.. ﴿**فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم**..﴾ فبعد أن كسرها وحطمها جعل الفأس في رقبة الصنم الأكبر: ﴿**لعلهم إليه يرجعون**..﴾ فيخبرهم بمن كسر بقية الأصنام.

وحين رجعوا إلى بيت الأصنام ورأوا ما رأوا ﴿**قالوا: من فعل هذا بآلهتنا؟ إنه لمن الظالمين**..﴾ فالاستفهام على طريقة الإنكار والتوبيخ والتشنيع. وجملة إنه لمن الظالمين استئناف مقرر لما قبله. وبعض من سمع إبراهيم يتوعد أصنامهم أجابوا على هذا السؤال: ﴿**قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون**..﴾ فمعنى على أعين الناس: على مشاهدة الناس.. فاستعير حرف الاستعلاء لتمكن البصر فيه حتى كأن المرئى مظروف في الأعين.

﴿**قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟. قال بل فعله كبيرهم هذا**﴾: الكلام مستأنف ناشيء عن سؤال من حكاية قولهم؛ كأنه قيل فماذا فعلوا بإبراهيم بعد ذلك؟ هل أتوا به أولاً؟ فقيل أتوا به.. ثم قالوا.. فرد عليهم إبراهيم مستعملاً حرف الإضراب؛ لإبطال أن يكون هو الفاعل لذلك. وجاء بخبر مستعمل

في معنى التشكيك.. فإبراهيم في إنكاره أن يكون هو الفاعل أراد إلزامهم الحجة على انتفاء ألوهية الصنم الكبير، وانتفاء ألوهية الأصنام المحطمة بطريق الأولى.. فجملة ﴿**فاسألوهم أن كانوا ينطقون**﴾ للتهكم بهم بأن ما لا ينطق ولا يعرب عن نفسه لا يكون إلهاً قطعاً!!.

وانتبه القوم لخطورة هذه المحاورة مع هذا الفتى الذكي قوى الحجة.. ﴿**فقالوا: إنكم أنتم الظالمون**﴾ حيث اتهمتموه بالظلم دون دليل.. ولم تستطيعوا أن تردوا عليه الرد الحاسم. ولما وجدوا أنفسهم عاجزين من هذا الطريق رجعوا عنه إلى مسلك المكابرة والعناد.. ﴿**ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**﴾. والمعنى: ثم تغيرت آراؤهم بعد أن كادوا يعترفون بحجة إبراهيم.. فرجعوا إلى المكابرة والانتصار للأصنام.. فجملة لقد علمت ما هؤلاء ينطقون مقول قول محذوف دل عليه: فقالوا إنكم أنتم الظالمون.

ولما اعترفوا بأن الأصنام لا تستطيع النطق انتهز إبراهيم الفرصة لإرشادهم مفرعاً على اعترافهم بأنها لا تنطق استفهاماً إنكارياً على عبادتهم إياها: ﴿**قال**﴾ إبراهيم: ﴿**أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم**﴾؟! بزيادة أن تلك الأصنام لا تنفع ولا تضر. وجعل عدم استطاعتها النفع والضر ملزوماً لعدم النطق؛ لأن النطق هو واسطة الإفهام. ومن لا يستطيع الإفهام تبين أنه معدوم العقل وتوابعه من العلم والإرادة والقدرة: ﴿**أف لكم ولما تعبدون من دون الله**﴾! وكلمة أفّ يقولها المتضجر المتضايق من شيء يكرهه وينفر منه أشد النفور. واللام في لكم لبيان المتأفف بسببه.

وفرع على الإنكار والتضجر استفهاماً إنكارياً عن عدم تدبرهم في الأدلة الواضحة من العقل والحس فقال: ﴿**أفلا تعقلون؟!. قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين**﴾: لما غلب إبراهيم قومه بالحجة القاهرة لم يجدوا مخلصاً إلا بالحكم عليه بالإعدام حرقاً! وهكذا المبطل إذا قرعت باطلة حجة فساده غضب على المحق ولم يبق له مفزع إلا مناصبته والتشفي منه. واختار قوم إبراهيم أن يكون إعدامه بالتحريق، لأن التحريق بالنار أهول ما يعاقب به: لما فيه من الفظاعة والقساوة الدالة على شدة الغضب وشناعة الانتقام.

حرّقوه وانصروا آلهتكم! فهم متفقون على هذا الحكم بإرادة جماعية ملكاً

وحكومة وشعباً.. ففي قولهم إن كنتم فاعلين تحريض وتلهيب لحميتهم. **﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾**: جاء الكلام مفصولاً عما قبله؛ لأنه استئناف عن سؤال ينشأ عن قصة ما حصل من القوم لإبراهيم.. فهم حكموا عليه بالتحريق.. فنفذوه عندما ألقوه في الجحيم.. فجاء الأمر من الله إلى النار بسلب قوة الإحراق.. وجعلها برداً وسلاماً عليه! وتسمية عزمهم على إحراقه كيداً يقتضي أنهم دبروا وتشاوروا وتحاوروا كثيراً على الكيفية التي يتخلصون بها من إبراهيم عليه السلام.

وتعريف جزأى الجملة ـ فجعلناهم الأخسرين يفيد القصر. وهو قصر للمبالغة.. فلا يصدق هذا الوصف على غيرهم. وسميت خيبتهم خسارة على طريقة الاستعارة تشبيهاً لخيبتهم بخيبة التاجر في تجارته. وأفعل التفضيل أفاد زيادة على الخيبة وهو العذاب الذي حل بهم بعد خروج إبراهيم من أرضهم: **﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾**. وهجرة إبراهيم هي أول هجرة في الأرض لأجل الدين. وضمن نجيناه معنى الإخراج فعدى بحرف إلى.. والأرض هي أرض الشام التي باركها الله لأجل إبراهيم.

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين﴾: وهبة إسحاق لإبراهيم ازدياده له على الكبر وعجز زوجه وبأسها من الولادة: أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً!.. وبعد نافلة إسحاق نافلة يعقوب لإسحاق في حياة إبراهيم: وكلهم جعلهم الله صالحين. **﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا..﴾** فهم صالحون في أنفسهم مصلحون لغيرهم وبسبب ما فيهم من صلاح وإصلاح أوحى الله إليهم بشريعة فيها النجاح والفلاح: **﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾**.

وجملة وكانوا لنا عابدين زيادة تخصيص وتمييز عن غيرهم من وراثة الرسالة وتتابعها في أربعة أجيال متصلة: من إبراهيم إلى إسحاق إلى يعقوب إلى يوسف عليهم السلام. **﴿ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً﴾**: وصل هذا الكلام بالعطف على قوله: ولقد إتينا إبراهيم رشده.. وتقديم مفعول آتيناه للاهتمام بلوط، تنبيهاً على أنه محل العناية، ولأنه بعث بشريعة خاصة به.. **﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين﴾**: أعقبت قصة إبراهيم بقصة لوط للمناسبة.

وخص لوط بالذكر من بين الرسل لأن أحواله تابعة لأحوال إبراهيم في مقاومة أهل الشرك والفساد.. وإنما لم يذكر ما هم عليه قوم لوط من الشرك استغناء بذكر الفاحشة الفظيعة التي غطت مساويها مساوى الشرك: إنهم كانوا قوم سوء فاسقين.. فاستحقوا الهلاك والدمار.. ﴿**ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له**﴾: لما ذكر أشهر الرسل وهو إبراهيم أعقب بذكر أول رسول. وهو نوح.. فقد كافح الشرك ومساويه قبل أن يكافحه إبراهيم.. ومعنى نادى: دعا ربه أن ينصره على المكذبين من قومه بدليل قوله تعالى: ﴿**فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم**﴾.

﴿**ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا..**﴾ فقوله تعالى: ﴿**إنهم قوم سوء**﴾ تعليل لما قبله، وتمهيد لما بعده من قوله تعالى: ﴿**فأغرقناهم أجمعين..**﴾ فإن الإصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الإهلاك قطعاً. ﴿**وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين**﴾: وصلت الآية بالعطف على ما سبقها.. أي: وآتينا داوود وسليمان حكماً وعلما، كما آتينا من قبلهما.. فهما من الذين أرسلهم الله للبشر للهدى والإرشاد والحكم بين الناس بالسداد. وهذه القضية التي تضمنتها الآية مظهر من مظاهر العدل، ومبلغ تدقيق فقه القضاء، والجمع بين المصالح والتفاضل بين مراتب الاجتهاد.. فمضمونها أنها الفقه في الدين الذي جاء به المرسلون من قبل. والمعروض منه قضية واحدة، وهي نفش الغنم في الحرث.

وعرضت على داوود وسليمان.. فجاء حكمهما مختلفاً بعض الشيء.. ﴿**ففهمناها سليمان..**﴾ فحكم فيها بما هو الأرجح. وجملة ﴿**وكلاً آتينا حكماً وعلما**﴾ تذييل للاحتراس لدفع توهم أن حكم داوود كان خطأ أو جوراً. وإنما كان حكم سليمان أعمق وأوسع. وهذا الحكم مشترك بينهما. واختص داوود بأمر، وهو قوله تعالى: ﴿**وسخرنا مع داوود الجبال يسجن والطير وكنا فاعلين. وعلمناه صنعة لبوس لكم ليحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون..**﴾ فجملة وكنا فاعلين معترضة بين الإخبار عما أوتيه داوود.. فهي منة من الله.. ثم ذكر ما اختص به سليمان بقوله: ﴿**ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها..**﴾ وجملة ﴿**وكنا بكل شيء عالمين**﴾ معترضة بين الجمل المسوقة لذكر

عناية الله بسليمان.. ﴿**ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك..**﴾ فجاءت أعمال الشياطين هنا مجملة وقد جاءت مفصلة في سور أخرى.. ومعنى ﴿**وكنا لهم حافظين**﴾: أن الله بقدرته سخرهم لسليمان ومنعهم من أن يفلتوا منه أو أن يعصوه.. والموهبة التي اختص بها داوود والمقدرة التي اختص بها سليمان لم تكن لهما لما في ذاتهما من اختصاص العبقرية والذكاء كما يقال اليوم في الرجل الموهوب.. وإنما هي اختصاص من الله لمن يشاء من عباده: يختص برحمته من يشاء.. ﴿**وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين..**﴾ فهذه الآية موصولة بالعطف على آتينا.. أي: وآتينا أيوب حكماً وعلما إذ نادى ربه.. فإذ ظرف قيد به إيتاء أيوب رباطة القلب وحكمة الصبر؛ لأن ذلك الوقت كان أجلى مظاهر علمه وحكمته.. فصار أيوب مضرب المثل في الصبر.

واكتفى أيوب بهذا النداء المتضمن الثناء والدعاء.. فجاء التعقيب السريع المتضمن للإجابة بمطلوبه: ﴿**فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر..**﴾ ما به: ما موصولة قصد بها الإبهام. من ضر: تفسير للإبهام؛ لقصد تهويل ذلك الضر لكثرة أنواعه.. ﴿**وآتيناه أهله ومثلهم معهم..**﴾ أي: إرجاع ما سلب منه من أهل: ﴿**رحمة من عندنا وذكرى للعابدين وإسماعيل وإدريس وذا الكفل**﴾: موصول بما قبله بالعطف. وجمع هؤلاء الثلاثة في سلك واحد لاشتراكهم في خصيصة الصبر؛ كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿**كل من الصابرين**﴾. جرى ذلك لمناسبة ذكر المثل الأشهر في الصبر. وهو أيوب.

وجملة ﴿**إنهم من الصالحين**﴾ تعليل لإدخالهم في الرحمة، وتذييل للكلام يفيد أن تلك سنة الله مع جميع الصالحين. ﴿**وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾: وصلت هذه الآية كما وصل ما قبلها بغرض واحد من أغراض قصص هؤلاء الأنبياء .. لقب يونس عليه السلام بذي النون وصاحب الحوت. وقصته هنا مجملة. فصلت في سور أخرى.. فقوله: إذ ذهب مغاضباً هنا.. مثل قوله في سورة الصافات: إذ أبق إلى الفلك المشحون.. ﴿**فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجي المؤمنين..**﴾ فهذه الآية فسرتها آية الصافات: فنبذناه بالعراء وهو سقيم.. وجملة وكذلك ننجي المؤمنين تذييل.

والإشارة بكذلك إلى الإنجاء الذي أنجي به يونس. وفي هذا تعريض للمشركين من العرب بأن الله منجي المؤمنين من الغم والنكد الذي يلاقونه من سوء معاملة المشركين إياهم في بلادهم. **﴿وزكرياء إذ نادى ربه: رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه﴾**: القول في عطف وزكرياء.. كالقول في نظائره السابقة.. وجملة رب لا تذرني فرداً مبينة ومفسرة لجملة نادى ربه.. وأطلق الفرد على من لا ولد له تشبيهاً له بالمنفرد الذي لا قرين له. وجملة وأنت خير الوارثين ثناء لتمهيد الإجابة ودل ذكر الإرث على أنه سأل الولد لأجل أن يرثه: كما صرح به في سورة مريم.. **﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات..﴾** فهذا تعليل لما فُصّل من فنون إحسان الله تعالى، المتعلقة بالأنبياء المذكورين. والفرق بين سارع في كذا وسارع إلى كذا واضح.

وعطف على التعليل أنهم يدعون الله رغبة في ثوابه ورهبة من غضبه: **﴿ويدعوننا رغبا ورهباً.. وكانوا لنا خاشعين﴾** تذييل. **﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾**: لما انتهى التنويه بفضل رجال من الأنبياء أعقب بالثناء على امرأة فاضلة مصطفاة شريفة.. وعبر عن مريم بالموصول ـ التي ـ دلالة على أنها قد اشتهرت بمضمون الصلة ـ أحصنت فرجها.. وليبنى على تلك الصلة ما تفرع عليها من قوله: فنفخنا فيها من روحنا.. وإضافة الروح إلى الله إضافة تشريف لمريم ولعيسى: وجعلناها وابنها آية للعالمين.

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾: هذه الآية مستأنفة والخطاب للمؤمنين المعاصرين لنزول القرآن. وهي تبين حقيقة الإسلام الذي كان عليه جميع الرسل المذكورين قبل هذه الآية. والتأكيد في إنّ. لرد من ينكر ويفرق بين الرسل ـ ويجعل الأمم شيعاً وأحزاباً. وأفاد قوله تعالى: وأنا ربكم فاعبدون الحصر.. **﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾**: عطف الكلام على ما قبله للفرق بين ما عليه الرسل ومن تبع الرسل، ومن أعرض عنهم وخالف ملّتهم.. وجملة **﴿كل إلينا راجعون﴾** مستأنفة استئنافاً بيانياً لجواب سؤال يجيش في نفس سامع قوله تعالى: وتقطعوا أمرهم.. ففيه تهديد بما سيلقونه جزاء تفرقهم وتقطعهم.. **﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون﴾**: هذه الآية جاءت تفريعاً على الوعيد المعرض به في قوله: كل إلينا راجعون.

وقدم وعد المؤمنين بجزاء أعمالهم الصالحة اهتماماً به. ولوقوعه بعد الوعيد تعجيلاً لمسرة المؤمنين قبل أن يسمعوا قوارع تفصيل الوعيد.. والجزاء هنا ثابت وواضح. ﴿**وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون**﴾: هذه الآية جاءت معترضة بين وعد المؤمنين ووعيد الكافرين. والمراد بالقرية أهلها. وهذا يعم كل قرية من قرى الكفر. والمعنى: ممنوع على قرية قدرنا إهلاكها في الدنيا أن لا يرجعوا إلينا في الآخرة.. فهو إثبات للبعث بنفي ضده. وهو أبلغ من صريح الإثبات؛ لأنه إثبات بطريق الملازمة. فكأنه إثبات الشيء بحجة.

ويفيد تأكيداً لقوله: كل إلينا راجعون. وجملة أهلكناها إدماج للوعيد بعذاب الدنيا قبل الآخرة. ﴿**حتى إذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون**﴾: حتى إذا أخرجت الأموات كياجوج وماجوج.. فجاء الكلام على التشبيه البليغ. ﴿**واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا**..﴾ تهديد على ما هم عليه من الغفلة والإعراض؛ مثل ما سبق من قوله تعالى: اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون. وجملة ﴿**يا ويلنا**﴾ مقول قول محذوف، كما هو ظاهر.

ودلت في في قولهم: ﴿**كنا في غفلة**..﴾ على تمكن الغفلة منهم حتى كأنها محيطة بهم إحاطة الظرف بالمظروف. وهي غفلة الإعراض عن أدلة الجزاء والبعث. وبل في قولهم: ﴿**بل كنا ظالمين**﴾ للإضراب الإبطالي. والمشار إليه بهذا هو مجموع تلك الأحوال من الحشر والحساب والجزاء: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون**..﴾ فهذا جواب عن قولهم: يا ويلنا قد كنا.. وهو ارتقاء في الوعيد من مجرد قول واعتراف إلى خزي وعذاب واقع بهم وبما عبدوا من دون الله. وهو غاية الإنصاف! وجملة أنتم لها واردون بيان لجملة إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم.. وقد زيد في نكايتهم بإظهار خطئهم في عبادتهم تلك الأصنام بأن أشهدوا إيرادها النار وقيل لهم: ﴿**لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها**﴾.

وذيل ذلك بقوله: ﴿**وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون**..﴾ فالآية واضحة السياق في المقصود غنية عن التلفيق.. فالآية حكت ما يجري يوم الحشر وليس سياقها إنذاراً للمشركين.. فجملة ﴿**إن الذين سبقت**

لهم منا الحسنى﴾ مستأنفة استئنافاً ابتدائياً دعا إليه مقابلة حكاية حال الكافرين وما يقال لهم يوم القيامة بحكاية ما يلقاه الذين آمنوا يوم القيامة وما يقال لهم. وذكر الموصول في تعريفهم للإيحاء إلى أن سبب فوزهم هو سبق تقدير الهداية لهم. وجملة **﴿لا يسمعون حسيسها﴾** بيان لمعنى مبعدون. وعقب ذلك بما هو أخص من السلامة، وهو النعيم الملائم.

وجيء فيه بما يدل على العموم. وهو **﴿فيما اشتهت أنفسهم﴾**، وما يدل على الدوام، وهو **﴿خالدون﴾**. وجملة **﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾** خبر ثان عن الموصول. والمراد به هنا فزع الحشر حين لا يعرف أحد ما سيؤول إليه أمره.. فيكونون في أمن من ذلك بطمأنة الملائكة إياهم.. وذلك مفاد قوله: **﴿وتتلقاهم الملائكة..﴾** وجملة **﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾** مقول لقول محذوف. والإشارة باسم إشارة القريب ـ هذا ـ لتعيين اليوم وتمييزه بأنه اليوم الحاضر.

وإضافة يوم إلى ضمير المخاطبين لإفادة اختصاصه بهم وكون فائدتهم حاصلة فيه. **﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما بدأنا أول خلق نعيده﴾**: هذا الكلام مستأنف قصد منه إعادة ذكر البعث والاستدلال على وقوعه وإمكانه إبطالاً لإحالة الكافرين وقوعه.. والمناسبة في هذا الانتقال هو ما جرى من ذكر الحشر والعقاب والثواب من قوله: لهم فيها زفير.. وقوله: إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى.

وقد رتب نظم هذه الجملة على التقديم والتأخير لأغراض بليغة. وأصل الجملة: نعيد الخلق كما بدأنا أول خلق يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعداً علينا. فحول النظم.. فقدم الظرف بادىء ذي بدء للتشويق إلى متعلقه، ولما في الجملة التي أضيف إليها الظرف من الغرابة والطباق؛ إذ يجعل ابتداء خلق جديد وهو البعث موقتا بوقت نقص خلق قديم، وهو طي السماء. وقدم كما بدأنا أول خلق؛ للتعجيل بإيراد الدليل قبل الدعوى؛ لتتمكن في النفس فضل تمكن. وكل ذلك وجوه للاهتمام بتحقيق وقوع البعث.

وعقب ذلك بما يفيد تحقق حصول البعث من كونه وعداً على الله بتضمين الوعد معنى الإيجاب فعدى بحرف واحد على قوله: **﴿وعداً علينا﴾**. وجملة **﴿إنا كنا فاعلين﴾** مؤكدة بحرف التوكيد لتنزيل المخاطبين منزلة من ينكر قدرة الله؛

لأنهم لما نفوا البعث بعلة تعذر إعادة الأجسام بعد فنائها فقد لزمهم إحالتهم ذلك في جانب قدرة الله. ومعنى كطي السجل للكتاب: مثل صاحب السجل عندما يطوي ما كتبه بعد انتهاء كتابته.. وظاهر ما أفاده الكاف من التشبيه في قوله: كما بدأنا أول خلق نعيده: أن إعادة خلق الأجسام شبهت بابتداء خلقها.

ووجه الشبه هو إمكان كليهما.. والقدرة عليهما. وهو الذي سيق له الكلام. **﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾**: هذه الآية وصلت بالعطف على قوله: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى.. الخ فالأرض هنا هي أرض الجنة كما هو مصرح به في آية الزمر: وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء.. والمراد بالزبور المكتوب. وهو ما أنزل على الرسل مكتوباً.. والمراد بالذكر المذكور بطريق الوصايا غير المكتوبة.. والذكر قبل الزبور وهو من عهد آدم. وهي وصايا لم تكتب في الصحف.. وبعدها جاءت كتب الأنبياء تباعاً.

وعباد الله الصالحون: هم المؤمنون بالشرائع المسموعة والمقروءة. وهذا التوجيه يؤخذ من قول الله في قصة آدم من سورة طه: «فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى..» **﴿إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين﴾**: هذه الآية جاءت تعليلاً لما ذكر من وعد المؤمنين بوراثة الجنة التي وعد بها في شرائعه من عهد آدم عليه السلام ـ إلى عهد محمد عليه الصلاة والسلام. **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**: هذه هي خلاصة الشرائع التي جاء بها الرسل السابقون.. فبلغها يا محمد للناس من جديد: **﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد.. فهل أنتم مسلمون﴾**؟!.

وصيغت الجملة في صيغة حصر الوحي إليه في مضمونها؛ لأن مضمونها هو أصل الشريعة الأعظم. وكل ما تشتمل عليه الشريعة متفرع عليه.. فجاء في جملة واحدة: فهل أنتم مسلمون؟! والاستفهام حقيقي. أي: فهل تسلمون بعد هذا البيان؟ والاسم الفاعل مستعمل في الحال على أصله. أي: فهل أنتم مسلمون الآن، استبطاء لتأخر إسلامهم. وصيغ ذلك في الجملة الاسمية الدالة على الثبات.. **﴿فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء﴾**: هذا إنذار لهم وتسجيل عليهم إن

استمروا على كفرهم وأعرضوا عن هذا الإنذار النهائي الخطير. وجملة ﴿**وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون**﴾ تشمل كل ما يوعدونه من عقاب في الدنيا والآخرة.. وعلق فعل أدري عن العمل بسبب حرف الاستفهام.

﴿**إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون**﴾: جاءت هذه الآية تعليلاً للإنذار بتحقيق حلول الوعيد بهم وتعليل عدم العلم بقُربه أو بُعده.. ﴿**وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين**﴾: عطف على جملة وإن أدري أقريب.. فلعله فتنة لكم أرادها الله ليملي لكم.. وعلى كل حال فهو متاع موقت تقتضيه مشيئة الله المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم. ﴿**قل رب احكم بالحق وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون**﴾: هذا استئناف ابتدائي. قصد من هذا الاستئناف التلويح إلى عاقبة أمر هذا الدين المرجوة المستقبلة لتكون قصة هذا الدين وصاحبه مستوفاة المبدإ والعاقبة على وزان ما ذكر قبلها من قصص الرسل السابقين.. فاستجاب الله لرسوله محمد كما استجاب للرسل من قبله.. فخيب آمال أعدائه.. فأظهره الله عليهم وأذلهم وقطع دابرهم.. وهذه الجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الوعد والوعيد والحفاوة والتهديد!..

خلاصة المعنى العام وما فيه من التوجيهات والأحكام:

التوجيه الأول: ﴿**ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين...**﴾: في هذا التوجيه الإشادة بموقف إبراهيم من قومه حين أنكر عليهم عبادتهم الأصنام ودعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له. يبتدئ السياق بالإشارة إلى سبق هداية إبراهيم إلى الرشد. ويعني به الهداية إلى التوحيد.. فهذا هو الرشد الأكبر الذي تنصرف إليه لفظة الرشد في هذا المقام.. فآتاه الله رشده. وكان عالماً بحاله وباستعداده لحمل الأمانة التي يحملها المرسلون: ﴿**إذ قال لأبيه وقومه: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون**﴾؟.. فكانت قولته هذه دليل رشده. سمي تلك الأحجار والخشب باسمها: هذه التماثيل.. ولم يقل إنها آلهة، واستنكر أن يعكفوا عليها بالعبادة. وكلمة عاكفون تفيد الانكباب الدائم المستمر.

وهم لا يقضون وقتهم كله في عبادتها.. ولكنهم يتعلقون بها.. فهو عكوف معنوي لا زمني. وهو يُسخف هذا التعلق ويبشعه بتصويرهم منكبين أبداً على هذه

التماثيل.. فكان جوابهم وحجتهم أن قالوا ﴿**وجدنا آباءنا لها عابدين**﴾! وهو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميتة، في مقابل حرية الإيمان وانطلاقه للنظر والتدبر، وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمها الحقيقية لا التقليدية.. فالإيمان بالله طلاقة وتحرر من القداسات الوهمية التقليدية والوراثات المتحجرة التي لا تقوم على دليل: ﴿**قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين..**﴾ وما كانت عبادة الآباء لتكسب هذه التماثيل قيمةً ليست لها.

ولا لتخلع عليها قداسة لا تستحقها.. فالقيم لا تنبع من تقليد الآباء وتقديسهم إنما تنبع من التقويم المتحرر الطليق. وعندما واجههم إبراهيم بهذه الطلاقة في التقدير، وبهذه الصراحة في الحكم راحوا يسألون: ﴿**قالوا: أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين**﴾؟.. وهو سؤال المزعزع العقيدة الذي لا يطمئن إلى ما هو عليه، لأنه لم يتدبره ولم يتحقق منه.. ولكنه كذلك معطل الفكر والروح بتأثير الوهم والتقليد.. فهو لا يدري أي الأقوال حق. والعبادة تقوم على اليقين لا على الوهم المزعزع الذي لا يستند إلى دليل.

وهذا هو التيه الذي يخبط فيه من لا يدينون بعقيدة التوحيد الناصعة الواضحة المستقيمة في العقل والضمير.. فأما إبراهيم فهو مستيقن واثق عارف بربه متمثل له في خاطره وفكره، يقولها كلمة المؤمن المطمئن لإيمانه: ﴿**قال: بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين..**﴾ فهو رب واحد: رب الناس ورب السماوات والأرض. ربوبيته ناشئة عن كونه الخالق.. فهذه هي العقيدة المستقيمة الناصعة. لا كما يعتقد المشركون أن الآلهة أرباب، في الوقت الذي يقرون أنها لا تخلق.. وأن الخالق هو الله.. ثم هم يعبدون تلك الآلهة التي لا تخلق شيئاً وهم يعلمون!.. فإبراهيم واثق وثوق الذي يشهد على واقع لا شك فيه: وأنا على ذلكم من الشاهدين.. فإبراهيم لم يشهد خلق السماوات والأرض، ولم يشهد خلق نفسه ولا قومه.. ولكن الأمر من الوضوح والثبوت إلى حد أن يشهد المؤمنون عليه واثقين.. فكل ما في الكون لينطق بوحدة الخالق المدبر.

وكل ما في الكون ليهتف بالإنسان إلى الإقرار بوحدانية الخالق المدبر، وبوحدة الناموس الذي يدبر الكون ويصرّفه.. ثم يعلن إبراهيم لمن كان يواجههم

من قومه بهذا الحوار: أنه قد اعتزم في شأن آلهتهم أمراً لا رجعة فيه: ﴿**وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين**..﴾ ويترك ما اعتزمه من الكيد للأصنام مبهماً لا يفصح عنه.. فلا يذكر السياق كيف ردوا عليه.. ولعلهم كانوا مطمئنين إلى أنه لن يستطيع لآلهتهم كيداً.. فتركوه!.. ﴿**فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون**..﴾ فتحولت الآلهة المعبودة إلى قطع صغيرة من الحجارة والأخشاب المهشمة.. إلا كبير الأصنام فقد تركه إبراهيم لعلهم إليه يرجعون فيسألونه كيف وقعت الواقعة وهو حاضر فلم يدفع عن صغار الآلهة! ولعلهم حينئذ يراجعون القضية كلها، فيرجعون إلى صوابهم، ويدركون منه ما في عبادة هذه الأصنام من سخف وتهافت.

وعاد القوم ليروا آلهتهم جذاذاً إلا ذلك الكبير!.. ولكنه لم يرجعوا إليه يسألونه ولا إلى أنفسهم يسألونها: إن كانت هذه آلهة فكيف وقع لها ما وقع دون أن تدفع عن أنفسها شيئاً. وهذا كبيرها كيف لم يدفع عنها؟ لم يسألوا أنفسهم هذا السؤال؛ لأن الخرافة قد عطلت عقولهم عن التفكير، ولأن التقليد قد غل أفكارهم عن التأمل والتدبر.. فإذا هم يدعون هذا السؤال الطبيعي لينقموا على من حطّم آلهتهم، وصنع بها هذا الصنيع: ﴿**قالوا: من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين**﴾؟!.. فعندئذ نذكر الذين سمعوا إبراهيم ينكر على أبيه ومن معه عبادة هذه التماثيل، ويتوعدهم أن يكيد لأصنامهم بعد انصرافهم عنها: ﴿**قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم**..﴾ ويبدو من هذا أن إبراهيم كان شاباً صغير السن حينما آتاه الله رشده.. فاستنكر عبادة الأصنام وحطمها هذا التحطيم.

﴿**قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون**﴾: لقد قصدوا إلى التشهير به، وإعلان فعلته على رؤوس الأشهاد: ﴿**قالوا: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم**﴾؟!.. فهم ما يزالون مصرين على أنها آلهة وهي جذاذ مهشمة!.. فأما إبراهيم فهو يتهكم بهم ويسخر منهم، وهو فرد وحده وهم كثير.. ذلك أنه ينظر بعقله المفتوح وقلبه الواصل.. فلا يملك إلا أن يهزأ بهم ويسخر، وأن يجيبهم إجابة تناسب هذا المستوى العقلي الدون: ﴿**قال: بل فعله كبيرهم هذا**..﴾ فالتهكم واضح في هذا الجواب الساخر.. فهو أراد أن يقول لهم: إن هذه التماثيل لا تدري من حطمها: إن كنت أنا أم هذا الصنم الكبير الذي لا يملك

مثلها حراكاً.. فهي جماد لا إدراك لها أصلاً، وأنتم كذلك مثلها مسلوبوا الإدراك لا تميزون بين الجائز والمستحيل.. فلا تعرفون إن كنت أنا الذي حطمتها أم إن هذا التمثال هو الذي حطمها: ﴿**فاسألوهم إن كانوا ينطقون**..﴾ فيبدو أن هذا التهكم الساخر قد هزهم هزاً وردهم إلى شيء من التدبر والتفكر: ﴿**فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون**..﴾ وكانت بادرة خير أن يستشعروا ما في موقفهم من سخف، وما في عبادتهم لهذه التماثيل من ظلم. وأن تتفتح بصيرتهم لأول مرة فيتدبروا ذلك السخف الذي يأخذون به أنفسهم، وذلك الظلم الذي هم فيه سادرون.. ولكنها لم تكن إلا ومضة واحدة أعقبها الظلام.. وإلا خفقة واحدة عادت بعدها قلوبهم إلى الخمود: ﴿**ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**..﴾ وحقاً: لقد كانت الأولى رجعة إلى النفوس.. وكانت الثانية نكسة على الرؤوس.. كانت الأولى حركة في النفس للنظر والتدبر.. أما الثانية فكانت انقلاباً على الرأس.. فلا عقل ولا تفكير.. وإلاّ.. فإن قولهم هذا الأخير هو الحجة عليهم.

وأية حجة لإبراهيم أقوى من أن هؤلاء لا ينطقون؟!.. فمن ثم يجبههم بعنف وضيق على غير عادته، وهو الصبور الحليم.. فالسخف هنا يجاوز صبر الحليم: ﴿**قال: أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله! أفلا تعقلون**﴾؟!.. فهي قولةٌ يظهر فيها ضيق الصدر وغيظ النفس والعجب من السخف الذي يتجاوز كل مألوف!.. فعند ذلك أخذتهم العزة بالإثم كما تأخذ الطغاة دائماً حين يفقدون الحجة ويعوزهم الدليل.. فيلجأون إلى القوة الغاشمة والعذاب الغليظ: ﴿**قالوا: حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين**..﴾ فيا لها من آلهة ينصرها عبادها، وهي لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضراً.

ولا تحاول لها ولا لعبادها نصراً!.. قالوا حرقوه.. ولكن كلمة أخرى قد قيلت.. فأبطلت كل قول، وأحبطت كل كيد.. ذلك أنها الكلمة العليا التي لا ترد: ﴿**قلنا: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم**..﴾ فكانت برداً وسلاماً على إبراهيم.. كيف.. ولماذا نسأل عن هذه وحدها. وكوني هذه هي الكلمة التي تكون بها أكوان وتنشأ بها عوالم وتخلق بها نواميس.. فلا نسأل كيف لم تحرق النار إبراهيم، والمشهود المعروف أن النار تحرق الأجسام الحية؟ فالذي قال للنار: كوني حارقة.

هو الذي قال لها: كوني برداً وسلاماً.. فهي الكلمة الواحدة التي تنشئ مدلولها عند قولها كيفما كان هذا المدلول. مألوفاً للبشر أو غير مألوف. إن الذين يقيسون أعمال الله سبحانه إلى أعمال البشر، هم الذين يسألون: كيف هذا؟ وكيف أمكن أن يكون؟ فأما الذين يدركون الفرق بين العملين، واختلاف القدرتين فإنهم لا يسألون أصلاً. ولا يحاولون أن يجعلوا تعليلاً. علمياً أو غير علمي.. فالمسألة في هذا الميدان أصلاً، ليست في ميدان التعليل والتحليل بموازين البشر ومقاييس البشر. وكل منهج في تصور مثل هذه المعجزات غير منهج الإحالة إلى القدرة المطلقة هو منهج فاسد من أساسه؛ لأن أعمال الله غير خاضعة لمقاييس البشر وعلمهم القليل المحدود.

إن علينا فقط أن نؤمن بأن هذا قد كان، لأن صانعه يملك أن يكون. أما كيف صنع بالنار فإذا هي برد وسلام؟ وكيف صنع بإبراهيم فلا تحرقه النار.. فذلك ما سكت عنه النص القرآني؛ لأنه لا سبيل إلى إدراكه بعقل البشر المحدود. وليس لنا إلا النص القرآني من دليل. وما كان تحويل النار برداً وسلاماً على إبراهيم إلا مثلاً تقع نظائره في صور شتى.. ولكنها لا تهز المشاعر كما يهزها هذا المثل السافر الجاهر. فكم من ضيقات وكربات تحيط بالأشخاص والجماعات من شأنها أن تكون القاصمة القاضية، وإن هي إلا لفتة صغيرة فإذا هي تحيي ولا تميت وتنعش ولا تخمد وتعود بالخير وهي الشر المستطير.

إن كلمة يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم لتتكرر في حياة الأشخاص والجماعات والأمم؛ وفي حياة الأفكار والعقائد والدعوات، وإن هي إلا رمز للكلمة التي تبطل كل قول، وتحبط كل كيد؛ لأنها الكلمة العليا التي لا تُرد: ﴿**وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين. ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين..**﴾ فنجى الله إبراهيم ومعه لوط من العذاب الذي سيحل بالقوم الكافرين.. فهاجرا إلى أرض الشام.. فكانت مهبط الوحي فترة طويلة، ومبعث الرسل من نسل إبراهيم. وفيها الأرض المقدسة وثاني الحرمين.

وفيها بركة الخصب والرزق إلى جانب بركة الوحي والنبوءة جيلاً بعد جيل: ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين. وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين..**﴾

لقد ترك إبراهيم وطناً وأهلاً وقوماً.. فعوضه الله الأرض المباركة وطناً خيراً من وطنه. وعوضه ابنه إسحاق وحفيده يعقوب أهلاً خيراً من أهله. وعوض من ذريته أمة عظيمة العدد قوماً خيراً من قومه. وجعل من نسله أئمة يهدون الناس بأمر الله.. وأوحى إليهم أن يفعلوا الخيرات على اختلافها، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. وكانوا طائعين لله عابدين.. فنعم العوض ونعم الجزاء ونعمة الخاتمة التي قسمها الله لإبراهيم. لقد ابتلاه الله بالضراء فصبر.. فكانت الخاتمة الكريمة اللائقة بصبره الجميل.

التوجيه الثاني: ﴿ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين..﴾: في هذا التوجيه ذكر مجموعة من الأنبئاء وفي مقدمتهم لوط الذي هاجر مع إبراهيم من أرض العراق إلى أرض الشام.. فقصة لوط قد سبقت مفصلة في غير هذه السورة. ويشير إليها هنا مجرد إشارة.. فأقام لوط في أرض ومع قوم غير أرض إبراهيم وقوم إبراهيم.. فكانوا أهل القرية يعملون الخبائث التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين. وهي إتيان الذكور جهرة وبلا حياء أو تحرج.. فأهلك الله القرية وأهلها. وأنجى لوطاً وأهله إلا امرأته. كما نص عيها في كثير من آيات القرآن.. ثم يشير إلى نوح إشارة سريعة كذلك: **﴿ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم. ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين..﴾** فنوح سابق لإبراهيم ولوط.

قد أرسله الله إلى قوم سوء فأغرقهم الله أجمعين ونجاه ومن آمن معه من الكرب العظيم.. ثم يفصل بعض الشيء في حلقة من قصة داوود وسليمان: **﴿وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين.. ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً..﴾** فداوود وسليمان يحكمان في قضية الغنم التي دخلت ليلاً في الحرث فافسدته.. فحكم داوود لصاحب الحرث أن يأخذ الغنم مقابل ما أفسدت من الحرث.. ويحكم سليمان بأن يأخذ صاحب الحرث الغنم ينتفع بها.. ويقوم صاحب الغنم على الحرث يصلحه حتى يعود كما كان.. ثم يأخذ بعد ذلك ما له من الغنم وما له من الزرع. وهي الرواية التي اشتهرت بين المفسرين. وكان حكم داوود وحكم سليمان اجتهاداً منهما.

وكان الله حاضراً حكمهما.. فألهم الله سليمان حكماً أحكم، وفهمه ذلك الوجه وهو أصوب. لقد اتجه داوود في حكمه إلى مجرد التعويض لصاحب الحرث. وهذا عدل فحسب.. ولكن حكم سليمان تضمن مع العدل البناء والتعمير، وجعل العدل دافعاً إلى البناء والتعمير. وهذا هو العدل الحي الإيجابي في صورته البانية الدافعة. وهو فتح من الله وإلهام يهبه من يشاء. ولقد أوتي داوود وسليمان كلاهما الحكمة والعلم. وليس في قضاء داوود من خطأ.. ولكن قضاء سليمان أصوب لأنه من نبع الإلهام.. ثم يعرض السياق ما اختص به كلاً منهما فيبدأ بالوالد: ﴿**وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين**﴾.

﴿**وعلمناه صنعة لبوس لكم ليحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون..**﴾ فقد أعطى الله داوود قوة في العبادة تسبيحاً وتحميداً وتهليلاً واشترك معه في هذه الجبال تؤوب معه، والطير تسبح بحمد ربها.. كل قد علم صلاته وتسبيحه.. وإن من شيء إلا يسبح بحمده.. ولكن لا تفقهون تسبيحهم.. وأعطى الله داوود قوة في العلم؛ إذ علمه صنعة لبوس الحرب التي يدافع بها عن العقيدة والعبادة.. كما هو شأن الرسل في دعوتهم: لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس.. فذلك شأن داوود.. فأما شأن سليمان فهو أعظم: ﴿**ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها..**﴾ فالنص هنا يقرر أن الله سخر لسليمان الريح وهي عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي بارك الله فيها وهي أرض الشام.. والأظهر أنها السفن تسيرها الرياح غدوها شهر ورواحها شهر.. فقوله: ﴿**وكنا بكل شيء عالمين**﴾ إظهار للقدرة والعلم المطلق لا كعلم البشر المحدود.

﴿**ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك..**﴾ فمن الخصائص التي خص الله بها سليمان تسخير الجن له، والشياطين وهم مردة الجن: يغوصون في أعماق البحر أو أعماق اليابسة ليستخرجوا كنوزها المخبوءة لسليمان.. أو ليعملوا له أعمالاً غير هذا وذاك.. فالجن خلق من خلق الله خافين على البشر. يسخرهم حين يشاء لمن يشاء كما يشاء: ﴿**وكنا لهم حافظين..**﴾ حفظهم فلا يهربون ولا يفسدون ولا يخرجون على طاعة عبده. وعند هذا الحد المأمون يقف الباحث في ظلال النصوص.. فلا يسبح في خيالات الإسرائيليات.

هذا ما أنعم الله به على إبراهيم ولوط وداوود وسليمان عليهم السلام وهو الابتلاء بالسراء. ويجيء الابتلاء بالضراء في قصة أيوب عليه السلام: ﴿**وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين.. فاستجبنا له.. فكشفنا ما به من ضر..**﴾ فقصة ابتلاء أيوب من أروع قصص الابتلاء.

والنصوص القرآنية تشير إلى مجملها دون تفصيل وهي في هذا الموضع تعرض دعاء أيوب واستجابة الله للدعاء. وأيوب هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله ووصف ربه بصفته: أني مسني الضر.. وأنت أرحم الراحمين.. ثم لا يدعو بتغيير حاله صبراً على بلائه.. ولا يقترح شيئاً على ربه تأدباً معه وتوقيراً لجلاله.. فهو نموذج للعبد الصابر. لا يضيق صدره بالبلاء، ولا يتململ من الضر الذي نزل به صبراً على الضراء.. بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه.. فيدع الأمر كله إليه، اطمئناناً إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال. وفي اللحظة التي توجه فيها أيوب إلى ربه بهذه الثقة وبذلك الأدب كانت الاستجابة، وكانت الرحمة، وكانت نهاية الابتلاء: ﴿**فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم..**﴾ رفع عنه الضر في بدنه فإذا هو معافى صحيح.

ورفع عنه الضر في أهله فعوضه عمن فقد منهم.. ورزقه مثلهم.. ﴿**رحمة من عندنا**﴾ فكل نعمة فهي رحمة من عند الله ومنة. ﴿**وذكرى للعابدين..**﴾ تذكرهم بالله وبلائه، ورحمته في البلاء وبعد البلاء. وإن في بلاء أيوب لمثلاً للبشرية كلها. وإن في صبر أيوب لعبرة للبشرية كلها. وإنه لأفق للصبر والأدب وحسن العاقبة تطلع إليه الأبصار. والإشارة للعابدين بمناسبة البلاء إشارة لها مغزاها.. فالعابدوين معرضون للابتلاء والبلاء. وتلك تكاليف العبادة، وتكاليف العقيدة، وتكاليف الإيمان. والأمر جد لا لعب. والعقيدة أمانة لا تسلم إلا للأمناء القادرين عليها، المستعدين لتكاليفها. وليست كلمة تقولها الشفاه. ولا دعوى يدعيها من يشاء.

ولا بد من الصبر ليجتاز العابدون البلاء. بعد ذلك يشير السياق مجرد إشارة إلى إسماعيل وإدريس وذي الكفل: ﴿**وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين. وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين..**﴾ فهو عنصر الصبر كذلك يشير إليه في قصص هؤلاء الرسل. أما إسماعيل فقد صبر على ابتلاء ربه له بالذبح

فاستسلم لله وقال: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. وأما إدريس فقد كان زمانه مجهولاً وكذلك مكانه ولكن وصف هنا بالصبر على نحو من أنحاء الصبر الذي يستحق التسجيل في كتاب الله الباقي. وكذلك ذو الكفل.. فلم يبين القرآن زمانه ولا مكانه ولا قومه.. فالنص القرآني يكفي في هذا الموضع لتسجيل صفة الصبر لذي الكفل. ولعله من أنبئاء اليمن كذي القرنين.. وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين: هذا هو المقصود بذكرهم في هذا السياق.. ثم تجيء قصة يونس ـ عليه السلام ـ وهو ذو النون: ﴿**وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾.

﴿**فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين..**﴾ وقصة تأتي هنا في صورة إشارة سريعة مراعاة للتناسق في السياق. وتُفصّل في سورة الصافات.. ولكن لا بد من بعض التفصيل هنا لهذه الإشارة كي تكون مفهومة. سمي يونس ـ عليه السلام ـ ذا النون، وصاحب الحوت.. فالنون هو الحوت.. فالتقمه الحوت وهو مليم.. وقصة ذلك: أنه أرسل إلى قرية فدعا أهلها إلى الله فاستعصوا عليه فضاق بهم صدراً وغادرهم مغاضباً ولم يصبر على معاناة الدعوة معهم. ظاناً أن الله لن يضيق عليه الأرض فهي فسيحة، والقرى كثيرة والأقوام متعددون.. وما دام هؤلاء يستعصون على الدعوة فسيوجهه الله إلى قوم آخرين.

وقاده غضبه الجامح وضيقه الخانق إلى شاطئ البحر فوجد سفينة مشحونة فركب فيها.. حتى إذا كانت في اللجة ثقلت. وقال رُبّانها: إنه لا بد من إلقاء أحد ركابها في البحر لينجو سائر من فيها من الغرق.. فساهموا فجاء السهم على يونس. فألقوه أو ألقى هو بنفسه فالتقمه الحوت مضيقاً عليه أشد الضيق.. فلما كان في الظلمات: ظلمة جوف الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل نادى: أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.. فاستجاب الله دعاءه ونجاه من الغم الذي هو فيه. ولفظه الحوت على الساحل سقيماً ضعيفاً ـ وهذا سر التعبير بقوله: ونجيناه من الغم بالواو دون الفاء التي تقتضي التعقيب السريع.. ففي هذه الحلقة من قصة يونس لفتات ولمسات نقف أمامها لحظات: إن يونس لم يصبر على تكاليف الرسالة فضاق صدراً بالقوم. وألقى عبء الدعوة وذهب مغاضباً: ضيق

الصدر حرج النفس.. فأوقعه الله في الضيق الذي تهون إلى جانبه مضايقات المكذبين.

ولولا أن تاب إلى ربه، واعترف بظلمه لنفسه ودعوته وواجبه لما فرج الله عنه هذا الضيق.. ولكن قدرة الله ورحمته به حفظته ونجته من الغم الذي يعانيه. وأصحاب الدعوات لا بد أن يحتملوا تكاليفها، وأن يصبروا على التكذيب بها والإيذاء من أجلها. وتكذيب الصادق الواثق مرير على النفس حقاً.. ولكنه بعض تكاليف الرسالة.. فلا بد لمن يكلفون حمل الرسالات والدعوات من أجلها أن يصبروا ويحتملوا.. ولا بد أن يثابروا ويثبتوا.. ولا بد أن يكرروا الدعوة ويُبدئوا فيها ويعيدوا.

إنهم لا يجوز لهم أن ييأسوا من صلاح النفوس واستجابة القلوب، مهما واجهوا من إنكار وتكذيب، ومن عتوّ وجحود.. فإذا كانت المرة المئة لم تصل إلى القلوب فقد تصل المرة الواحدة بعد المئة، وقد تصل المرة الواحدة بعد الألف.. فلو صبروا هذه المرة وحاولوا ولم يقنطوا لتفتحت لهم أوصاد القلوب.. إن طريق الدعوات ليس هيناً ليناً، واستجابة القلوب للدعوات ليست قريبة يسيرة.. فهناك ركام من الباطل والضلال والتقاليد والعادات، والنظم والأوضاع يجثم على القلوب، ولا بد من إزالة هذا الركام، ولا بد من استحياء القلوب بكل وسيلة، ولا بد من لمس جميع المراكز الحساسة، ومن محاولة العثور على العصب الموصل.. وإحدى اللمسات ستصادف مع المثابرة والصبر والرجاء.. ولمسة واحدة قد تحوّل الكائن البشري تحويلاً تاماً في لحظة، متى أصابت اللمسة موضعها.

وإن الإنسان ليدهش أحياناً وهو يحاول ألف محاولة.. ثم إذا لمسة عابرة تصيب موضعها في الجهاز البشري فينتفض كله بأيسر مجهود، وقد أعيا من قبل على كل الجهود.. فإن الداعية أداة في يد القدرة. والله أدعى لدعوته وأحفظ.. فليؤد هو واجبه في كل ظرف وفي كل جوّ، والبقية على الله.. والهدى هدى الله، وإن في قصة ذي النون لدرساً لأصحاب الدعوات ينبغي أن يتأملوه. وإن في رجعة ذي النون إلى ربه واعترافه بظلمه لعبرة لأصحاب الدعوات ينبغي أن يتدبروها. وإن في رحمة الله لذي النون واستجابة دعائه المنيب في الظلمات لبشرى

للمؤمنين: وكذلك ننجي المؤمنين. ثم إشارة إلى قصة زكرياء ويحيى.. واستجابة الله لزكرياء عندما دعاه: ﴿**وزكرياء إذ نادى ربه: رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين**﴾.

﴿**فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه..**﴾ وقصة مولد يحيى سبقت مفصلة في سورة مريم وفي سورة آل عمران. وهي ترد هنا متناسقة مع السياق.. فتبدأ بدعاء زكرياء: رب لا تذرني فرداً بلا عقب يقوم على التراث.. فلا ينسى زكرياء أن الله هو وارث العقيدة ووارث المال: وأنت خير الوارثين، إنما هو يريد من ذريته من يحسن الخلافة بعده في أهله ودينه وماله.. فكانت الاستجابة سريعة ومباشرة: فاستجبنا له، ووهبنا له يحيى، وأصلحنا له زوجه. ويختصر السياق تفصيلات هذا كله ليصل مباشرة إلى استجابة الله للدعاء: ﴿**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات..**﴾ فسارع الله في استجابة الدعاء. ﴿**ويدعوننا رغباً ورهباً..**﴾ رغبة في الرضوان ورهبة من الغضب.. فقلوبهم وثيقة الصلة دائمة التطلع: ﴿**وكانوا لنا خاشعين..**﴾ لا متكبرين ولا متجبرين.

بهذه الصفات في زكرياء وزوجه وابنهما يحيى استحق الوالدان أن ينعم الله عليهما بالابن الصالح.. فكانت أسرة مباركة تستحق رحمة الله ورضاه! أخيراً يذكر مريم بمناسبة ذكر ابنها عيسى عليه السلام: ﴿**والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين..**﴾ فلا يذكر هنا اسم مريم؛ لأن المقصود في سلسلة الأنبياء هو ابنها عيسى عليه السلام، وقد جاءت هي تبعاً له في السياق.. إنما يذكر صفتها المتعلقة بولدها: والتي أحصنت فرجها.. أحصنته فصانته من كل مباشرة.. فقد أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا.. وجعلناها وابنها آية للعالمين.. وهي آية غير مسبوقة ولا ملحوقة. آية فذة واحدة في تاريخ البشرية جميعاً. ذلك أن المثل الواحد من هذا النوع يكفي لتتأمله البشرية في أجيالها جميعاً. وتدرك يد القدرة الطليقة التي تخلق النواميس ولكنها لا تحتبس داخل النواميس.

التوجيه الثالث: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون..**﴾: في هذا التوجيه استعراض شامل لما تقدم من نماذج من الرسل الذين ذكروا في هذه السورة.. فهم أمة واحدة تدين بعقيدة واحدة، وتنهج نهجاً واحداً، هو الاتجاه

إلى الله دون سواه. أمة واحدة في الأرض. ورب واحد لا إله غيره ولا معبود إلا إياه. أمة واحدة وفق سنة واحدة. وهنا يلتقى هذا الاستعراض بالمحور الذي تدور عليه السورة كلها، وتشترك في تقرير عقيدة التوحيد، تشهد بها مع سنن الكون وناموس الوجود.

ومع وحدة أمة الرسل، ووحدة القاعدة التي تقوم عليها الرسالات.. فقد تقطع أتباعُهُم أمرَهم بينهم.. فكأنما اقتطع كل منهم قطعة وذهب بها: ﴿**وتقطعوا أمرهم بينهم**..﴾ وثار بينهم الجدل وكثر بينهم الخلاف.. وهاجت بينهم العداوة والبغضاء.. وقع ذلك بين أتباع الرسول الواحد.. حتى ليقتل بعضهم بعضاً باسم العقيدة. والعقيدة واحدة. وأمة الرسل كلها واحدة. لقد تقطعوا أمرهم بينهم في الدنيا.. ولكنهم جميعاً سيرجعون إلى الله في الآخرة: ﴿**كل إلينا راجعون**..﴾ فالمرجع إليه وحده. وهو الذي يتولى حسابهم ويعلم ما كانوا عليه من هدى أو ضلال: ﴿**فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون**..﴾ فهذا هو قانون العمل والجزاء.. لا جحود ولا كفران للعمل الصالح متى قام على قاعدة الإيمان.. وهو مكتوب عند الله لا يضيع منه شيء ولا يغيب.

ولا بد من الإيمان لتكون للعمل الصالح قيمته وثمرته.. بل لتثبت للإيمان حقيقته. إن الإيمان هو قاعدة الحياة؛ لأنه الصلة الحقيقية بين الإنسان وهذا الوجود. والرابطة التي تشد الوجود بما فيه ومن فيه إلى خالقه الواحد. وترده إلى الناموس الواحد الذي ارتضاه. ولا بد من القاعدة ليقوم البناء. والعمل الصالح هو هذا النباء ـ فهو منهار من أساسه ما لم يقم على قاعدته. والعمل الصالح هو ثمرة الإيمان التي تثبّت وجوده وحيوته في الضمير. والإسلام بالذات عقيدة متحركة متى تمّ وجودُها في الضمير تحولت إلى عمل صالح هو الصورة الظاهرة للإيمان المضمر.. والثمرة اليانعة للجذور الممتدة في الأعماق.

ومن ثم يقرن القرآن دائماً بين الإيمان والعمل الصالح كلما ذكر العمل والجزاء.. فلا جزاء على إيمان عاطل خامد لا يعمل ولا يثمر. ولا على عمل منقطع لا يقوم على الإيمان. والعمل الطيب الذي لا يصدر عن إيمان إنما هو مصادفة عابرة؛ لأنه غير مرتبط بمنهج مرسوم، ولا موصول بناموس مطرد. وإن هو إلا شهوة أو نزوة غير موصولة بالباعث الأصيل للعمل الصالح في هذا الوجود

وهو الإيمان بإله يرضى عن العمل الصالح؛ لأنه وسيلة البناء في هذا الكون، ووسيلة الكمال الذي قدره الله لهذه الحياة.. فهو حركة ذات غاية مرتبطة بغاية الحياة ومصيرها، لا فلتة عابرة ولا نزوة عارضة ولا رمية بغير هدف، ولا اتجاهاً معزولا عن اتجاه الكون وناموسه الكبير.

والجزاء على العمل يتم في الآخرة.. حتى ولو قدم منه قسط في الدنيا.. فالقرى التي هلكت بعذاب الاستئصال ستعود كذلك حتماً لتنال جزاءها الأخير. وعدم عودتها ممتنعة.. فهي راجعة بكل تأكيد: ﴿**وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون..**﴾ إنما يفرد السياق هذه القرى بالذكر بعد أن قال: كل إلينا راجعون.. لأنه قد يخطر للذهن أن هلاكها في الدنيا كان نهاية أمرها، ونهاية حسابها وجزائها.. فهو يؤكد رجعتها إلى الله، وينفي عدم الرجعة نفياً قاطعاً في صورة التحريم لوقوعه.. وهو تعبير فيه شيء من الغرابة بحيث يحتاج إلى دقة في النظر وتعمق في البحث.. ثم يختتم السياق بالعرض الأخير للبشر جميعاً عندما يرجعون ويجتمعون للحشر في صعيد واحد يمثلهم في الكثرة بياجوج وماجوج وبالزحام والتراكم والاضطراب بالجراد المنتشر.. ﴿**حتى إذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون..**﴾ ويحذر من هذا المصير باقترابه وتحقيق وقوعه على ما سبق من قوله: اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون وفي المشهد المعروض هنا يبرز عنصر المفاجأة التي تبهت المفجوئين الغافلين المعرضين: ﴿**فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا..**﴾ ثم يميل السياق عن حكاية حالهم إلى إبرازهم يتكلمون: ﴿**يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا.. بل كنا ظالمين**﴾!.. فهو تفجع المفجوء الذي تنكشف له الحقيقة المروعة بغتة.. فيذهل ويشخص بصرهُ فلا يطرف.. فيدعو بالويل والهلاك، ويعترف ويندم.. ولكن بعد فوات الأوان!.. وحين يصدر هذا الاعتراف في ذهول المفاجأة يصدر الحكم القاطع الذي لا مرد له: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون..**﴾ فكأنما هم اللحظة في ساحة العرض يردون جهنم هم وآلهتهم المدّعاة.. وكأنما هم يُقذفون فيها قذفاً بلا رفق ولا أناة.. وكأنما تحصب بهم حصباً كما تحصب بالنواة.. فعندئذ يوجه إليهم البرهان على كذب ما يدعون لها من كونها آلهة من هذا الواقع المشهود: ﴿**لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها..**﴾ وهو برهان وجداني ينتزع من هذا المشهد المعروض عليهم في الدنيا، وكأنما هو واقع

في الآخرة.. ثم يستمر السياق على أنهم قد وردوا جهنم فعلاً، فيصف مقامهم فيها ويصور حالهم هناك، وهي حال المكروب المذهوب بإدراكه من هول ما هو فيه: ﴿**وكل فيها خالدون. لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون**﴾.

التوجيه الرابع: ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون..**﴾: في هذا التوجيه عرض كامل لما يلقاه المؤمنون الذين سبقت لهم من ربهم الحسنى.. فأبعدهم الله عن جهنم التي وقودها الناس والحجارة المعبودة: ﴿**لا يسمعون حسيسها**﴾ ولا يرون لهيبها، ولا يناولون من هولها شيئاً ينغص حياتهم: ﴿**وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون..**﴾ فهم آمنون مطمئنون. وتتلقاهم الملائكة بالسلام والترحاب تبشرهم بما يلقونه من النعيم المقيم في جنات النعيم: ﴿**لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون**﴾.

ويأتي الدليل من النص الصادق القاطع الذي لا شك فيه: ﴿**يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين..**﴾ فهذا هو وعد الله الذي لا يتخلف.. وعد اقتضاه الله على نفسه. وبينه لرسله وأنزله في كتبه: ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر: أن الأرض يرثها عبادي الصالحون..**﴾ فهم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.

وقالوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء.. فنعم أجر العاملين. هذا هو التوجيه السليم الذي ينساق متناسقاً مع السياق: ﴿**إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين..**﴾ فهذه لفتة نظر إلى ما في هذا القرآن من العبر.. ففي هذا القرآن وما يكشفه من سنن في الكون والحياة، ومن مصائر الناس في الدنيا والآخرة، ومن قواعد العمل والجزاء.. فإن في هذا لبلاغاً وكفاية للمستعدين لاستقبال هدى الله. للطائعين العابدين المتهئين للتلقي والتدبر والانتفاع بما أنزل الله من الرحمة على الرحمة المهداة من الله مولى النعمة والرحمة: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾.

لقد أرسل الله رسوله محمداً - ﷺ - رحمة للناس كافة؛ ليأخذ بأيديهم إلى الهدى، ويوجههم إلى سبيل الرشاد.. فما يهتدي إلا أولئك المتهيئون المستعدون. وإن كانت الرحمة في هذه الدنيا تتحقق للمؤمنين ولغير المؤمنين. إن المنهج الذي جاء به محمد - ﷺ - منهج يُسعد البشرية كلها. ويقودها إلى الكمال

المقدر لها في هذه الحياة. ولقد جاءت هذه الرسالة للبشرية حيثما بلغت سن الرشد العقلي: جاءت كتاباً مفتوحاً للعقول في مقبل الأجيال، شاملاً لأصول الحياة البشرية التي لا تتبدل، مستعداً لتلبية الحاجات المتجددة التي يعلمها خالق البشر، وهو أعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير.

ولقد وضع هذا الكتاب أصول المنهج الدائم لحياة إنسانية متجددة. وترك للبشرية أن تستنبط الأحكام الجزئية التي تحتاج إليها ارتباطات حياتها النامية المتجددة، واستنباط وسائل تنفيذها كذلك بحسب ظروف الحياة وملابساتها دون اصطدام بأصول المنهج الدائم. وكفل للعقل البشري حرية العمل بكفالة حقه في التفكير، وبكفالة مجتمع يسمح لهذا العقل بالتفكير.. ثم ترك له الحرية في دائرة الأصول المنهجية التي وضعها لحياة البشر، كما تنمو وترقى وتصل إلى الكمال المقدر لحياة الناس في هذه الأرض.

ولقد دلت تجارب البشرية حتى اللحظة على أن ذلك المنهج كان وما يزال سابقاً لخطوات البشرية في عمومه، قابلاً لأن تنمو الحياة في ظلاله بكل ارتباطاتها نمواً مطرداً. وهو يقودها دائماً ولا يتخلف عنها ولا يقعد بها ولا يشدها إلى الخلف؛ لأنه سابق دائماً على خطواتها متسع دائماً لكامل خطواتها. وهو في تلبيته لرغبة البشرية في النمو والتقدم لا يكبت طاقاتها في صورة من صور الكبت الفردي أو الجماعي، ولا يحرمها الاستمتاع بثمرات جهدها وطيبات الحياة التي تحققها.

وقيمة هذا المنهج أنه متوازن متناسق. لا يعذب الجسد ليسمو بالروح ولا يهمل الروح ليستمتع الجسد. ولا يقيد طاقات الفرد ورغائبه الفطرية السليمة ليحقق مصلحة الجماعة.. ولا يطلق للفرد نزواته وشهواته الطاغية المنحرفة لتؤذي حياة الجماعة أو تسخرها لإمتاع فرد أو أفراد. وكافة التكاليف التي يضعها ذلك المنهج على كاهل الإنسان ملحوظ فيها أنها في حدود طاقته. ولمصلحته.. وقد زود بالاستعدادات والمقدرات التي تعينه على أداء تلك التكاليف وتجعلها محببة لديه ـ مهما لقي من أجلها الآلام أحياناً ـ لأنها تلبي رغبة من رغائبه، أو تصرف طاقة من طاقاته. ولقد كانت رسالة محمد ـ ﷺ ـ رحمة لقومه ورحمة للبشرية كلها من بعده. والمبادئ التي جاء بها كانت غريبة في أول الأمر على ضمير البشرية لبعد ما كان بينها وبين واقع الحياة الواقعية والروحية من مسافة.. ولكن البشرية أخذت من

يومها تقرب شيئاً فشيئاً من آفاق هذه المبادئ فتزول غرابتها في حسها. وتتبناها وتنفذها ولو تحت عنوانات أخرى.

لقد جاء الإسلام لينادي بإنسانية واحدة، تذوب فيها الفوارق الجنسية والجغرافية، لتلتقي في عقيدة واحدة ونظام اجتماعي واحد.. وكان هذا غريباً على ضمير البشرية وتفكيرها وواقعها يومذاك. والأشراف يعدون أنفسهم من طينة غير طينة العبيد.. فجاء الإسلام ليسوي بين الناس جميعهم ويجعلهم سواسية في الحقوق والواجبات. في الوقت الذي كانت فيه البشرية تفرق الناس طبقات.. فكان غريباً على ضمير البشرية يومذاك أن ينادي ذلك المنهج السابق المتقدم بمبدإ المساواة المطلقة في الحكم والقضاء.. وغير هذا وذاك كثير يشهد بأن الرسالة المحمدية كانت رحمة للبشرية، وأن محمداً ـ ﷺ ـ إنما أرسل رحمة للعالمين. وإن البشرية اليوم لفي أشد الحاجة إلى حس هذه الرحمة ونداها.. وهي قلقة حائرة، شاردة في متاعات المادية وجحيم الحروب، وجفاف الأرواح والقلوب. وبعد إبراز معنى الرحمة وتقريره يؤمر الرسول بأن يواجه المكذبين المستهزئين بخلاصة رسالته التي تنبع منها الرحمة للعالمين: ﴿**قل: إنما يُوحى إليّ: أنما إلهكم إله واحد.. فهل أنتم مسلمون**﴾؟! فهذا هو عنصر الرحمة الأصيل في تلك الرسالة. عنصر التوحيد المطلق الذي ينقذ البشرية من أوهام الجاهلية، ومن أثقال الوثنية، ومن ضغط الوهم والخرافة.

والذي يقيم الحياة على قاعدتها الركينة.. فيربطها بالوجود كله وفق نواميس واضحة وسنن ثابتة. لا وِفْقَ أهواء ونزوات وشهوات.. والذي يكفل لكل إنسان أن يقف مرفوع الرأس.. فلا تنحني الرؤوس إلا لله الواحد القهار. هذا هو طريق الرحمة.. فهل أنتم مسلمون؟! وهذا هو السؤال الواحد الذي يكلف رسول الله أن يلقيه على المكذبين المستهزئين.. ﴿**فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء**﴾: كشفت لكم ما عندي.. فأنا وأنتم على علم سواء.. والإيذان يكون في الحرب لإنهاء فترة السلم. وإعلام الفريق الآخر أنها حرب لا سلام.

والمقصود من هذا الإيذان أن يعلمهم بأنه قد نفض يده منهم وتركهم عالمين بمصيرهم، وأنذرهم عاقبة أمرهم.. فلم يعد لهم بعد ذلك عذر.. فليذوقوا وبال أمرهم وهم عالمون. ﴿**وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون**﴾: آذنتكم على سواء

ولست أدري متى يحل بكم ما توعدون.. فهو غيب من غيب الله. لا يعلمه إلا الله. وهو وحده يعلم متى يأخذكم بعذابه في الدنيا أو في الآخرة سواء. وهو يعلم سركم وجهركم.. فما تخفي عليه منكم خافية: ﴿**إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون**..﴾ فأمركم كله مكشوف له. وحين يعذبكم يعذبكم بما يعلم من أمركم ظاهره وخافيه.

وإذا أخر عنكم العذاب فحكمة تأخيره عند الله: ﴿**وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين**..﴾ وما أدري ما يريد الله بهذا التأخير.. فلعله أن يريد أن يكون فتنة لكم وابتلاء.. فيمتعكم إلى أجل.. ثم يأخذكم أخذ عزيز مقتدر. وبهذا التجهيل يلمس قلوبهم لمسة قوية، ويدعهم يتوقعون كل احتمال، ويتوجسون خيفة من المفاجأة التي تأخذهم بغتة. وتوقظ قلوبهم من غفلة المتاع.. فلعل وراءه الفتنة والبلاء. وتوقع العذاب على غير موعد مضروب كفيل بأن يترك النفس متوجّسة، والأعصاب متوفزة، ترتقب في كل لحظة أن يرفع الستار المسدل عن الغيب المخبوء. وإن القلب البشري ليغفل عما ينتظره من غيب الله.

وإن المتاع ليخدع.. فينسى الإنسان أن وراء الستار المسدل ما وراءه مما لا يدريه ولا يكشف عنه إلا الله في موعده المغيب المجهول.. فهذا الإنذار يرد القلوب إلى اليقظة، ويعذر إليها بين يدي الله قبل فوات الأوان.. وهنا يتوجه الأمر إلى الرسول ـ وقد أدى الأمانة وبلغ الرسالة وآذنهم على سواء وحذرهم بغتة البلاء ـ بأن يقول متّجهاً إلى ربه يطلب حُكمه الحق بينه وبين المستهزئين الغافلين، ويستعينه على كيدهم وتكذيبهم وهو وحده المستعان: ﴿**قل رب احكم بالحق وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون**..﴾ فصفة الرحمة الكبيرة تبدو هنا ذات مدلول.. فهو الذي أرسله رحمة للعالمين.. فكذب به المكذبون واستهزأ به المستهزئون.. فالرحمان هو الكفيل بأن يرحم رسوله ويعينه على ما يصفون. وبهذا المقطع القوي تختم السورة كما بدأت بذلك المقطع القوي.. فيتقابل طرفاها في إيقاع نافذ قوي مثير عميق. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

3 ـ توجيه الخطاب إلى الناس بوقوع البعث والحساب وما يترتب عليه من وعيد العقاب ووعد الثواب



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ (2) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ (3) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ (4) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٖ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلٗا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجِۭ بَهِيجٖ (5)﴾

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
قَدِيرٞ ﴿6﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن
فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿7﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى
وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿8﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا
خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿9﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ
يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿10﴾ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ
وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿11﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ
وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿12﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ
مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿13﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿14﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ
أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ
ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿15﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ﴿16﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿17﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ
وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ
إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿18﴾ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ
فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ
مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ
وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿19﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن
يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿20﴾
إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿21﴾
وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿22﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم**﴾: هذا نداء للناس كلهم من المؤمنين وأهل الكتاب والمشركين الذين يسمعون هذه الآية من الموجودين يوم نزولها ومن يأتون بعدهم إلى يوم القيامة ليتلقوا الأمر بتقوى الله وخشيته. ﴿**إن زلزلة الساعة شيء**

عظيم﴾: تعليل للأمر بالتقوى. والزلزلة حركة عنيفة مرعبة متكررة مذهلة: **﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت. .﴾** فالذهول نسيان ما من شأنه أن لا يُنسى. . والمرضعة المرأة التي ترضع ولدها في الوقت أما المرضع فهي التي من شأنها أن ترضع. **﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾**: ذات الحمل من كانت تحمل جنيناً في بطنها.

والوضع هنا الإسقاط والإجهاض. **﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾**: سكارى جمع سكران، وهو الذي اختل عقله من أثر شرب الخمر. ونفي السكر لنفي وجود سببه **﴿ولكن عذاب الله شديد. .﴾** فهم سكارى من هَوْلِ ما يرون من أسباب الفزع والهلع الذي يعتريهم عندما يحل بهم من عذاب الله الشديد. **﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾**: بعض الناس وهم الكفرة الفجرة. . والمجادلة بغير علم المخاصمة والمحاجة الناشئة عن سوء نظر وسوء تفكير. . فلا علم له بحقائق الأمور. **﴿ويتبع كل شيطان مريد﴾**: اتباع الشيطان الانقياد إلى وسوسته التي يجدها في نفسه من تزيين الكفر وحمله على المعاندة والمجادلة بالباطل.

والمَريد العاتي في الشيطنة المتجرد للفساد. وأصله العرى المنبئ عن التمحص له. والمراد بكل شيطان مريد إبليس وجنوده من رؤساء الكفر وزعماء الضلال. **﴿كُتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾**: وجب على الشيطان إضلال متوليه ودلالته على عذاب السعير. **﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب﴾**: استدلال على إمكان البعث بما ذكر من قوله: فإنا خلقناكم من تراب. والذي خلق من تراب هو أصل النوع. وهو آدم. . **﴿ثم من نطفة﴾**: اسم لمني الرجل الذي يصب في رحم المرأة.

والنطف: القطر والصب. **﴿ثم من علقة﴾**: ما يعلق بالرحم من تكون النطفة والبيضة. **﴿ثم من مضغة﴾**: اللحم المتكون من العلقة. والمضغة قدر ما يمضغ من اللحم. **﴿مخلقة وغير مخلقة﴾**: التخليق صيغة تدل على تكرير الفعل. والمعنى: خلقاً بعد خلق. . حتى تكون جنيناً متحركاً في الرحم: **﴿لنبين لكم﴾**: لنظهر لكم إذا تأملتم دليلاً واضحاً على إمكان البعث. **﴿ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى﴾**: الإقرار بقاء الحمل في الرحم إلى مدة معلوم قدرها الله له.

وهو تسعة أشهر في الغالب وقد يزيد وينقص.. ﴿**ثم نخرجكم طفلاً**﴾: يخرج الجنين من بطن أمه طفلاً صغيراً لا يعلم شيئاً.. ﴿**ثم لتبلغوا أشدكم**﴾: بعد مراحل الطفولة ومرحلة الشباب.. حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك.. ﴿**ومنكم من يتوفى**﴾: يموت طفلاً وعلاماً وشاباً أو رجلاً.. ﴿**ومنكم من يرد إلى أرذل العمر**﴾: يُعمّر.. حتى يشيب ويهرم.. ﴿**لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً**﴾: تعليل لبلوغ الإنسان أرذل العمر. وهذا معنى قوله: ومن نعمّره ننكسه في الخلق.. فقد شملت ضعف الجسم وضعف العقل.. ﴿**وترى الأرض هامدة**﴾: همود الأرض جفافها وزوال نباتها.. ﴿**فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت**﴾: الاهتزاز التحرك إلى أعلى مع التحرك يميناً وشمالاً وخلفاً وأماماً.

وهو تحرك البتة اليابسة بعد وصول الماء إليها.. والربو الزيادة.. ﴿**وأنبتت من كل زوج بهيج**﴾: الإنبات إخراج النبات. والزوج الصنف. والبهيج الحسن المنظر السار للناظر. ﴿**ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير**﴾: الإشارة بذلك إلى ما تقدم من أطوار خلق الإنسان وفنائه.. ومن إحياء الأرض بعد موتها وانبثاق النبت منها. والباء للملابسة.. وهذه الملابسة ملابسة الدليل لمدلوله.. فالذي قدر على ما ذكر يقدر أن يعيد الميت بعد ما قُبِر: ﴿**وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور**﴾.

﴿**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير**﴾: مثل ما تقدم من قوله تعالى: ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد. والمراد فريق المعاندين المكابرين الذين يجادلون في الله بغير علم بعد أن بلغهم الإنذار بزلزلة الساعة.. فهم كذلك يجادلون في الله بغير علم بعد أن وضحت لهم الأدلة على وقوع البعث. والمراد بالعلم العلم الضروري. والهدى الاستدلال والنظر الصحيح الهادي إلى المعرفة. والكتاب المنير الوحي المظهر للحق.

والمعنى من الناس من يجادل في الله من غير تمسك بمقدمة ضرورية، ولا بحجة نظرية، ولا ببرهان سمعي. ﴿**ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله**﴾: عاطفاً لجانبه وطاوياً لشحه معرضاً متكبراً. والثني: ليّ الشيء. يقال: ثني عنان فرسه إذا

لواه ليدير رأس فرسه إلى الجهة التي يريد أن يوجهه إليها. والعطف: المنكب والجانب. واللام في قوله: ليضل لتعليل المجادلة. والإضلال: الإبعاد. وسبيل الله: الدين الحق. ﴿**له في الدنيا خزي**﴾: خزي الدنيا الهوان والمذلة والأمر والقهر.. ﴿**ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق**﴾: النار المحرقة التي يعذب بها الكافر ليذوق ألمها وحرها يوم القيامة: ﴿**ذلك بما قدمت يداك..**﴾ فالإشارة بذلك إلى ما ذكر من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

يقال له هذا الكلام تبكيتاً وتوبيخاً.. ذلك حاصل لك بسبب ما أسلفته يداك.. ﴿**وأن الله ليس بظلام للعبيد**﴾: والأمر أن الله تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم. ﴿**ومن الناس من يعبد الله على حرف**﴾: فريق من الناس مترددون مذبذبون يقيسون صحة الدين بوجود الخير فيه. وباطله بوجود الابتلاء بالشر.. فالحرف في قوله على حرف الطرف والجانب: ﴿**فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه**﴾. وهو تفسير لقوله: يعبد الله على حرف. ومعنى اطمأن: استقر وسكن في مكانه. ومصدره الاطمئنان. واسم المصدر الطمأنينة. والانقلاب: مطاوع قلبه إذا كبّه. أي سقط على وجهه: ﴿**خسر الدنيا والآخرة..**﴾ فضيع ما له في الدنيا من الاطمئنان وصلاح البال وضيّع ما له في الآخرة من ثواب وحسن مآل: ﴿**ذلك هو الخسران المبين**﴾.

فذلك هو الخسران الذي ما بعده خسران!. ﴿**يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه**﴾: انقلب على وجهه يعبد الأصنام التي لا تضر من تركها ورفضها، ولا تنفع من يعبدها وتقرب إليها. ﴿**ذلك هو الضلال البعيد**﴾: التيه الذي ما بعده تيه!.. ﴿**يَدْعُو لَمَن ضره أقرب من نفعه**﴾: الأصنام التي يعبدها الكافر مضرتها متحققة ونفعها بعيد كل البعد: ﴿**لبئس المولى ولبئس العشير**﴾! ذمّ لها ولهم. وتشنيع عليها وعليهم! والمولى: الموالي والمدافع. والعشير: المعاشر والملازم والملائم.. ﴿**إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾: هذا مقابل لقوله: خسر الدنيا والآخرة.. فذكر حال ما يلقاه المؤمنون في الآخرة بعد ذكر حال ما يلقاه الكافرون من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.. وجملة ﴿**إن الله يفعل ما يريد**﴾ تعليل للكلام المتقدم المفصل لحال الكافرين ومصير المؤمنين.

﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾: من كان متردداً في تحقق دعوة محمد - ﷺ - ويظن عدم نصره إياه في الدنيا والآخرة فليمت بغيظه وحنقه عليه. ومد السبب إلى السماء: ربط الحبل إلى فوق.. ثم ليتعلق به لتقطع نفسه أو ليقطعه فيسقط إلى الأرض.. فلينظر من يظن: هل يذهبن كيده غيظه؟!. **﴿وكذلك أنزلناه آيات بينات﴾**: ومثل هذا الإنزال أنزلنا القرآن آيات بينات.. فهو بيان لا يشبهه أي بيان من غيره.. ثم علله بقوله: **﴿وأن الله يهدي من يريد﴾**. ولام التعليل محذوفة.

وآيات القرآن واضحة.. غير أن الله يهدي بها من أراد هدايته. ومن أراد ضلالته يتعامى عنه فلم يهتد به؛ لأن الله لم يرده: **﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد﴾**: هذه الآية بينت أحوال الفرق بعضهم مع بعض في مختلف الأديان، تحقيقاً لقوله: إن الله يفعل ما يريد. والذين آمنوا هم الذين كانوا على فطرة الإيمان السابق.. والذين هادوا اليهود.. والنصارى معروفون.. والصابين الصابئة الذين يعبدون الكواكب.. والمجوس عباد النار، مثل أهل فارس.. والذين أشركوا المشركون وهم أكثر النحل.. فكل من هؤلاء وأولئك يدّعى أنه على دين.. فالله يفصل بينهم يوم القيامة فيما هم فيه من الاختلاف والادّعاء.. إن الله على كل شيء شهيد لا يحتاج في هذا الفصل من شهيد.

﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض﴾: الرؤية علمية. والخطاب لغير معين. وسجود من في السماوات ومن في الأرض الانقياد التام والطاعة الكاملة في الانقياد لأمر الله.. ومثلها الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب. وأما سجود كثير من الناس وهم المؤمنون فهو سجود طاعة وعبادة امتثالاً لأمر ربهم باختيارهم.. وأما قوله: **﴿وكثير حق عليه العذاب﴾** فهم الذين لم يسجدوا لله طوعاً.. بل سجدوا لغير الله جهلاً. **﴿ومن يُهِنِ الله فما له من مكرم﴾**: حيث كان إباؤهم السجود لله سبباً في أحقية العذاب استهانة بهم وحرماناً من إكرامهم وإنعامهم: **﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾**. والجملة علة لما سبقها.

﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾: اسم إشارة المثنى بيان لما يفيده قوله:

وكثر من الناس وكثير حق عليه العذاب.. فهو تقسيم للناس إلى فريقين: أهل توحيد، وأهل شرك.. فالإشارة إلى ما يستفاد من الكلام السابق بتنزيه منزلة ما يشاهد بالعين. والاختصام: افتعال من الخصومة. وهي الجدل والاختلاف بالقول. يُقال: خاصمه. وتخاصما. واختصما. والمراد من هذه الآية ما يعم جميع المؤمنين وجميع مخالفيهم في الدين.. ﴿**فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار**﴾: هذا تفصيل لما أجمل في الكلام السابق. قُطّعت: قدرت على مقادير جثتهم.. والثياب من النار ثياب محرقة للجلود. ﴿**يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود**﴾: صب الماء من فوق الرأس معلوم.

والحميم الماء الحار الذي بلغت حرارته إذابة ما في البطون ومحق الجلود. ﴿**ولهم مقامع من حديد**﴾: المقامع جمع مقمع. وهي آلة القمع التي يضرب بها من يراد قمعه وضربه وقهره وإذلاله.. فهذه المقامع من حديد. ﴿**كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق**﴾: أنهم لشدة ما يغمهم يحاولون الخروج فيعادون فيها بالمقامع.. فيحصل لهم ألم الخيبة.. ويقال لهم: ذوقوا عذاب الحريق! إهانة بالقول بعد الإهانة بالفعل. ﴿**إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يُحلون فيها من أساور من ذهب ولباسهم فيها حرير**﴾.

﴿**وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد**﴾: هذا مقابل ما أعد للذين كفروا في المكان واللباس وخطاب الكرامة.. فقوله: يدخل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جنات.. مقابل قوله: كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها.. وقوله: يحلون فيها من أسار من ذهب.. يقابل قوله: يصب من فوق رؤوسهم الحميم.. وقوله ولباسهم فيها حرير يقابل قوله: قطعت لهم ثياب من نار.. وقوله: وهدوا إلى الطيب من القول.. يقابل قوله: وذوقوا عذاب الحريق. والتحلية: وضع الحلى على أعضاء الجسم. يقال: حلاّه ألبسه الحلى. والأساور: جمع أسورة الذي هو جمع سوار. أشير بجمع الجمع إلى التكثير. والسوار حلية الأيدي. والذهب: معدن أصفر لماع نفيس محبوب للنفوس. واللؤلؤ: الدر. ويقال له الجمان والجوهر. يستخرج من البحر. ويستخرجه غواصون مدربون على التقاطه من قاع البحر. والحرير: لباس يصنع من خيوط تفرزها دودة القز. والحرير أنواع..

مبحث الإعراب

﴿**يا أيها**﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب. وها للتنبيه. ﴿**الناس**﴾ نعت لأي، تابع للفظها. ﴿**اتقوا**﴾ فعل أمر لجماعة الناس. ﴿**ربكم**﴾ مفعول به. ﴿**إن زلزلة**﴾ إن واسمها. ﴿**الساعة**﴾ مضاف إلى زلزلة. ﴿**شيء**﴾ خبر إنّ. ﴿**عظيم**﴾ نعت لشيء. والجملة تعليل. ﴿**يوم**﴾ ظرف تقدم على عامله. ﴿**ترونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة مضافة إلى الظرف. ﴿**تذهل**﴾ فعل مضارع متعلق به الظرف المتقدم. ﴿**كل**﴾ فاعل تذهل. ﴿**مرضعة**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**عما**﴾ متعلق بتذهل. ﴿**أرضعت**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على المرضعة. والجملة صلة ما. ﴿**وتضع كل**﴾ فعل وفاعل معطوف على تذهل. ﴿**ذات**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**حمل**﴾ مضاف إلى ذات.

﴿**حملها**﴾ مفعول به. ﴿**وترى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. والواو للعطف. ﴿**الناس**﴾ مفعول به. ﴿**سكارى**﴾ حال من الناس. ﴿**وما**﴾ الواو للحال. وما نافية تعمل عمل ليس. ﴿**هم**﴾ في محل رفع اسم ما. ﴿**بسكارى**﴾ خبرها جر بحرف الجر الزائد في محل نصب. والجملة حالية. ﴿**ولكن عذاب**﴾ لكن واسمها. والواو للعطف. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**شديد**﴾ خبر لكنّ. ﴿**ومِنَ**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**الناس**﴾ مجرور بمن. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**يجادل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلتها. ﴿**في الله بغير**﴾ متعلقان بيجادل.

﴿**علم**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**ويتبع**﴾ فعل مضارع معطوف على يجادل. ﴿**كلَّ**﴾ مفعول به. ﴿**شيطان**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**مريد**﴾ نعت لشيطان. ﴿**كتب**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**عليه**﴾ متعلق به. ﴿**أنه**﴾ أن واسمها. ﴿**من**﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ. ﴿**تولاه**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**فأنه**﴾ أن واسمها. والفاء للربط. ﴿**يضله**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير يعود على الشيطان. وجملة يضله خبر أن. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع خبر مَنْ. وجملة من تولاه فأنّه.. خبر أن. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع نائب فاعل كتب.

﴿**ويهديه**﴾ معطوف على يضله. ﴿**العذاب**﴾ متعلق بيهديه. ﴿**السعير**﴾ مضاف إلى عذاب. والتقدير: كتب على الشيطان إضلال كل من يتولاه. وهديه إلى عذاب السعير. ﴿**يا أيها الناس**﴾ تقدم إعراب مثله. ﴿**إن**﴾ شرطية. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**في ريب**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**من البعث**﴾ متعلق بريب. ﴿**فإنا**﴾ إن واسمها. ﴿**خلقناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إن. وجملة إنا خلقناكم جواب الشرط لربطها بالفاء. ﴿**من تراب**﴾ متعلق بخلقناكم. ﴿**ثم من نطفة**﴾ معطوف على قوله من تراب. ﴿**ثم من علقة**﴾ معطوف على من نطفة. ﴿**ثم من مضغة**﴾ معطوف على من علقة. ﴿**مخلقة**﴾ نعت لمضغة. ﴿**وغير**﴾ معطوف على مخلقة.

﴿**مخلقة**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**لنبين**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل نحن. ﴿**لكم**﴾ متعلق بنبين. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بخلقنا. ﴿**ونقر**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والجملة معطوفة على قوله: فإنا خلقناكم. ﴿**في الأرحام**﴾ متعلق بنقر. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**نشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والجملة صلة ما. ﴿**إلى أجل**﴾ متعلق بنقر. ﴿**مسمى**﴾ نعت لأجل مجرور مقدرة على الألف المحذوفة.

﴿**ثم نخرجكم**﴾ معطوف على نقر. ﴿**طفلاً**﴾ منصوب على الحال من ضمير المخاطبين. ﴿**ثم لتبلغوا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وواو الجماعة فاعل. وثم للعطف. ﴿**أشدكم**﴾ مفعول به. والضمير فيه مضاف إليه. والتقدير: ثم تكبرون لبلوغ أشدكم في الكمال والتمام. ﴿**ومنكم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**مَنْ**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**يتوفى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلتها. ﴿**ومنكم من يرد**﴾ عطف على قوله: ومنكم من يتوفى. وهي مثلها في الإعراب. ﴿**إلى أرذل**﴾ متعلق بيُرد. ﴿**العمر**﴾ مضاف إلى أرذل.

﴿**لكي لا يعلم**﴾ فعل مضارع منصوب بكي. ولا نافية. واللام للتعليل. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. وتقدير الكلام يرد إلى أرذل العمر لأجل عدم علمه شيئاً من بعد ما كان يعلم.. ﴿**من بعد**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**علم**﴾ مضاف إلى

بعد. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول به. ﴿**وترى**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير المخاطب. والواو للعطف. ﴿**الأرض**﴾ مفعول به. ﴿**هامدة**﴾ حال من الأرض. ﴿**فإذا أنزلنا**﴾ جملة شرطية مفرعة على ما قبلها. ﴿**عليها**﴾ متعلق بأنزلنا. ﴿**الماء**﴾ مفعول به. ﴿**اهتزت**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الأرض. والجملة جواب إذا. ﴿**وربت**﴾ معطوف على اهتزت. ﴿**وأنبتت**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**من كل**﴾ متعلق بأنبتت.

﴿**زوج**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**بهيج**﴾ نعت لزوج. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بأن الله**﴾ أن واسمها. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**الحق**﴾ خبر أنّ. وجملة أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. أي ذلك المذكور حاصل بكون الله إلهاً حقاً. ﴿**وأنه**﴾ معطوف على أنه. ﴿**يحيى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الموتى**﴾ مفعول به. والجملة خبر أن. ﴿**وأنه**﴾ كذلك. ﴿**على كل**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**قدير**﴾ خبر أنّ. ﴿**وأن الساعة آتية**﴾ عطف كذلك. ﴿**لا ريب**﴾ لا واسمها. ﴿**فيها**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. وجملة لا ريب فيها حال من الساعة.

﴿**وأن الله يبعث**﴾ مثل إعراب ما قبله. ﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**في القبور**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. ﴿**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم**﴾: تقدم إعراب مثل هذا عند قوله تعالى: ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد. ﴿**ولا هدى ولا كتاب**﴾ معطوفان على قوله: بغير علم. ﴿**منير**﴾ نعت لكتاب. ﴿**ثاني**﴾ منصوب على الحال من فاعل يجادل. ﴿**عطفه**﴾ مضاف إلى ثاني. ﴿**ليضل**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على مَنْ.

﴿**عن سبيل**﴾ متعلق بيضل. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ولام التعليل داخل على المصدر المنسبك مع أن المقدرة. والتقدير: يجادل في الله لإضلال الناس عن سبيل الله. ﴿**له في الدنيا**﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿**خزي**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة بيانية. ﴿**ونذيقه**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**يوم**﴾ متعلق بنذيقه. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**عذاب**﴾ مفعول ثان. ﴿**الحريق**﴾ مضاف إلى عذاب. والجملة معطوفة على ما قبلها.

﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بما**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**قدمت يداك**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**وأن الله**﴾ أن واسمها. ﴿**ليس**﴾ فعل ماض ناقص. واسم ليس ضمير يعود على الله.

﴿**بظلام**﴾ خبر ليس جر بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**للعبيد**﴾ متعلق بظلام. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع خبر لمبتدإ مقدر. والتقدير: والأمر نَفْيُ ظلم الله لعبيده بغير ذنب من قبلهم. والجملة تذييلية. ﴿**ومن الناس من يعبد الله**﴾ مثل ما سبق من قوله: ومن الناس من يجادل.. ﴿**على حرف**﴾ متعلق بيعبد. ﴿**فإن أصابه**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف الشرط وفاء التعقيب. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**خير**﴾ فاعل. ﴿**اطمأن**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**به**﴾ متعلق باطمأنّ. وهو جواب شرط إن. ﴿**وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه**﴾ معطوف على فعل الشرط الأول وجوابه. وهو مثله في الإعراب. ﴿**خسر**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على من يعبد الله على حرف.

﴿**الدنيا**﴾ مفعول به. ﴿**والآخرة**﴾ معطوف عليه. والجملة بيانية. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**الخسران**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**المبين**﴾ نعت للخسران. ﴿**يدعو**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير مثل سابقه. ﴿**من دون**﴾ متعلق بيدعو. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول يدعو. ﴿**لا يضره**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلة ما. ﴿**وما لا ينفعه**﴾ معطوف على ما لا يضره. وهو مثله في الإعراب. ﴿**ذلك هو الضلال البعيد**﴾ إعرابه مثل إعراب ذلك هو الخسران المبين. ﴿**يدعو**﴾ مثل يدعو السابق. ﴿**لمن**﴾ في محل نصب مفعول يدعو. واللام للتوكيد. ﴿**ضرُّه**﴾ مبتدأ. ﴿**أقرب**﴾ خبره. ﴿**من نفعه**﴾ متعلق بأقرب. والجملة صلة مَنْ. ﴿**لبئس المولى**﴾ فعل وفاعل. واللام للقسم. ﴿**ولبئيس العشير**﴾ عطف على بئس المولى. والجملة مستأنفة لإنشاء الذم. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها.

﴿**يُدخل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر إنّ. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول أول. ﴿**آمنوا**﴾ فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على آمنوا. ﴿**جنات**﴾ مفعول

ثان. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. ﴿**من تحتها**﴾ متعلق بتجري. ﴿**الأنهار**﴾ فاعل. وجملة تجري من تحتها الأنهار نعت لجنات. ﴿**إن الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يفعل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر إنّ. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يريد**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة ما. وجملة إن الله يفعل ما يريد تعليلية. ﴿**مَنْ**﴾ اسم شرط. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على مَنْ.

﴿**يظن**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة خبر كان. وجملة كان فعل الشرط. ﴿**أنْ**﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن. ﴿**لن ينصره**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. والجملة خبر أن المخففة. . ﴿**في الدنيا**﴾ متعلق بينصره. ﴿**والآخرة**﴾ معطوف على الدنيا. ﴿**فليمدد**﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر. والفاء رابطة. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**بسبب**﴾ متعلق بيمدد. ﴿**إلى السماء**﴾ كذلك. وجملة فليمدد جواب الشرط. ﴿**ثم ليقطع**﴾ معطوف على فليمدد. ﴿**فلينظر**﴾ مرتب على ثم ليقطع.

﴿**هل يذهبن**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**كيده**﴾ فاعل. ﴿**ما**﴾ حرف مصدر. ﴿**يغيظ**﴾ فعل مضارع. وهو مؤول مع ما بمصدر منصوب مفعول به. أي: هل يذهبن كيدُه غيظه؟ ﴿**وكذلك**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب نعت لمصدر مقدر. واسم الإشارة في محل جر بالكاف، والواو للعطف. ﴿**أنزلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**آيات**﴾ حال من المفعول. ﴿**بينات**﴾ نعت لآيات. ﴿**وأن الله**﴾ أن واسمها. ﴿**يهدي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر أنّ.

﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يريد**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة مَنْ. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام مقدر. والتقدير: أنزلنا القرآن آيات. . ولهداية الله من يريد هدايته. ﴿**إن الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**والذين هادوا**﴾ معطوف على الذين آمنوا. ﴿**والصابين والنصارى والمجوس**﴾ معطوفات على اسم إنّ. ﴿**والذين أشركوا**﴾ مثل والذين هادوا في الإعراب.

﴿**إن الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يفصل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر إن. وجملة إن الله يفصل.. خبر إن في قوله: إن الذين آمنوا. ﴿**بينهم يوم**﴾ متعلقان بيفصل. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**على كل**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**شهيد**﴾ خبر إن. والجملة تعليل. ﴿**ألم تر**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والهمزة للاستفهام. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**أن الله**﴾ أن واسمها. ﴿**يسجد**﴾ فعل مضارع. ﴿**له**﴾ متعلق به. ﴿**مَنْ**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. والجملة خبر أن. ﴿**ومن في الأرض**﴾ معطوف على من في السماوات.

﴿**والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب**﴾ معطوفات على فاعل يسجد. ﴿**وكثير**﴾ فاعل بفعل مقدر. والتقدير: ويسجد له كثير. ﴿**من الناس**﴾ بيان لكثير. ﴿**وكثير**﴾ معطوف على كثير من الناس، ﴿**حق**﴾ فعل ماض. ﴿**عليه**﴾ متعلق به. ﴿**العذاب**﴾ فاعل. وجملة حق عليه العذاب نعت لكثير. ﴿**ومن**﴾ اسم شرط جازم. ﴿**يهن الله**﴾ فعل وفاعل. وهو فعل الشرط. ﴿**فما له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. وما نافية، والفاء رابطة. ﴿**من مكرم**﴾ مبتدأ مؤخر جر بحرف الجر الزائد في محل رفع. والجملة في محل جزم جواب الشرط.

﴿**إن الله يفعل**﴾ الجملة من إن واسمها وجملة خبرها تعليل. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول. ﴿**يشاء**﴾ فاعله ضمير يعود على الله. والجملة صلة ما. ﴿**هذان**﴾ مبتدأ مرفوع بالألف. ﴿**خصمان**﴾ خبره. ﴿**اختصموا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**في ربهم**﴾ متعلق باختصموا. ﴿**فالذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتفريع. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**قطعت**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**لهم**﴾ متعلق به. ﴿**ثياب**﴾ نائب الفاعل. ﴿**من نار**﴾ متعلق بمحذوف نعت لثياب. وجملة قطعت لهم ثياب من نار في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**يصب**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**من فوق**﴾ متعلق بيصب. ﴿**رؤوسهم**﴾ مضاف إلى فوق. ﴿**الحميم**﴾ نائب الفاعل. ﴿**يصهر**﴾ مثل يصب. ﴿**به**﴾ متعلق بيصهر. ﴿**ما**﴾ في محل رفع نائب الفاعل.

﴿**في بطونهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**والجلود**﴾ معطوف على ما. ﴿**ولهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. والواو للعطف. ﴿**مقامع**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**من حديد**﴾ متعلق بمحذوف نعت لمقامع. ﴿**كلما**﴾ ظرف متضمن معنى

الشرط. ﴿**أرادوا**﴾ فعل وفاعل. فعل الشرط. ﴿**أن يخرجوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول أرادوا. ﴿**منها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**من غم**﴾ بدل من قوله: منها. ﴿**أعيدوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل جواب الشرط. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وذوقوا**﴾ فعل أمر للجماعة. ﴿**عذاب**﴾ مفعول به. ﴿**الحريق**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**إن الله يدخل الذين آمنوا وعلموا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ تقدم إعراب مثلها.

﴿**يحلون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. وواو الجماعة نائب الفاعل.، ﴿**فيها**﴾ متعلق بيحلون. ﴿**من أساور**﴾ مفعول ثان ليحلون. مجرور بمن الزائدة في محل نصب. ﴿**من ذهب**﴾ متعلق بمحذوف نعت لأساور. ﴿**ولؤلؤاً**﴾ معطوف على محل أساور. ﴿**ولباسهم**﴾ مبتدأ. ﴿**فيها**﴾ متعلق به. ﴿**حرير**﴾ خبر المبتدإ. والجملة معطوفة على جملة يُحلّون.. ﴿**وهدوا**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. وواو الجماعة نائب الفاعل. والجملة معطوفة على ما قبلها.. ﴿**إلى الطيب**﴾ متعلق بهدوا. ﴿**من القول**﴾ بيان للطيب. ﴿**وهدوا إلى صراط**﴾ معطوفة على ما قبلها. ﴿**الحميد**﴾ مضاف إلى صراط.

مبحث الأسلوب البلاغي

سميت هذه السورة بسورة الحج؛ لأن الله ذكر فيها كيف أمر إبراهيم بالدعوة إلى الحج. وذكر ما شرع فيها للناس يومئذ من النسك تنويهاً بالحج وما فيه من فضائل ومنافع. وتقريعاً للذين يصدون المؤمنين عن المسجد الحرام. ومناسبتها للسورة التي قبلها واضحة من أن اقتراب الحساب للناس، وأنه ممكن وواقع لا محالة.. فأنذر الناس في نهايتها بقوله: فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون أنذر الناس في أول هذه السورة بوقوع البعث والحساب وما يترتب عليه من وعيد الكافرين بالعقاب ووعد المؤمنين بالثواب فقال: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم.**.﴾ فالخطاب هنا يعم حكمه المكلفين عند النزول، ومن سينتظم في سلكهم بعد من الموجودين من القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك إلى يوم القيامة.

والمأمور به هنا مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يضر من فعل

وترك. ويندرج فيه الإيمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرح اندراجاً أولياً. والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأييد الأمر وتأكيد إيجاب الامتثال به ترهيباً وترغيباً. وقوله تعالى: إن زلزلة الساعة شيء عظيم تعليل لموجب الأمر بذكر بعض عقوباته الهائلة!.. فإن ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مبادئه ومقدماته من الأحوال والأهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة. والزلزلة هنا جاءت على طريق المجاز عن الأهوال والمفزعات التي تحصل يوم القيامة... فإن ذلك تستعار له الزلزلة.

والإتيان بلفظ شيء للتهويل بتوغله في التنكير: والمعنى: أن زلزلة الساعة لا يعرف كنهها إلا بأنها شيء عظيم! وهذا من المواقع التي يحسن فيها موقع كلمة شيء. والعظيم استعارة للقوى الشديد. والمقام يفيد أنه عظيم في الشر. ﴿**يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت**...﴾ فجملة يوم ترونها... بيان لجملة إن زلزلة الساعة شيء عظيم؛ لأن ما ذكر في هذه الجملة بيّن كونها شيئاً عظيماً! وهو أنه عظيم في الشر والرعب. ويتعلق يوم ترونها بفعل تذهل. وتقديمه على عامله للاهتمام بالتوقيت بذلك اليوم وتوقع رؤيته لكل مخاطب من الناس.

وذكر لفظ الذهول هنا دون النسيان؛ لأنه أدل على شدة التشاغل. وزيادة كلمة كل في قوله: كل مرضعة... للدلالة على أن هذا الذهول يعتري كل مرضعة، وليس هو لبعض المراضع باحتمال ضعف في ذاكرتها. وتقتضي هذه الكناية كناية عن تعميم هذا الهول لكل الناس؛ لأن خصوصية هذا المعنى بهذا المقام أنه أظهر في تصوير حالة الفزع والهلع بحيث يذهل فيه من هو في حال شدة التيقظ لوفرة دواعي اليقظة.

وذلك أن المرأة لشدة شفقتها كثيرة الاستحضار لما تشفق عليه. وأن المرضعة التي ألقمت ثديها رضيعها أشد النساء شفقة على رضيعها. وأنها في حال ملابسة الإرضاع أبعد شيء عن الذهول... فإذا ذهلت عن رضيعها في هذه الأحوال دل ذلك على أن الهول العارض هول خارق للعادة! وهذا من بديع الكناية عن شدة ذلك الهول؛ لأن استلزام ذهول المرضعة عن رضيعها لشدة الهول يستلزم شدة الهول لغيرها بطريق الأولى... فهو لزوم بدرجة ثانية. وهذا النوع من الكناية يسمى الإيماء.

والإتيان بالموصول وصلته في تعريف المذهول عنه دون أن يقول: عن ابنها؛ للدلالة على أنها تذهل عن شيء هو نصب عينيها، وهي في عمل متعلق به وهو الإرضاع زيادة في التكني عن شدة الهول. وقوله: ﴿**وتضع كل ذات حمل حملها**﴾، هو كناية أيضاً كقوله: تذهل كل مرضعة عما أرضعت... فوضع الحمل لا يكون إلا لشدة اضطراب نفس الحامل من فرط الفزع والخوف؛ لأن الحمل في قرار مكين. والخطاب في قوله: ﴿**وترى الناس سكارى**...﴾ لغير مُعيّن... وهو كل من تتأتى منه الرؤية من الناس. وهو مساو في المعنى للخطاب الذي في قوله: يوم ترونها. وإنما أوثر الإفراد هنا للتفنن؛ كراهية إعادة الجمع.

وعدل عن فعل المضي إلى المضارع في قوله: وترى... لاستحضار الحالة والتعجيب منها. ووصف الناس بسكارى على طريقة التشبيه البليغ. وقوله بعده: ﴿**وما هم بسكارى**﴾ قرينة على قصد التشبيه، وليبنى عليه قوله بعده: ﴿**ولكن عذاب الله شديد. ومن الناس من يجادل في الله بغير علم**﴾: وُصل الكلام بالعطف على قوله: يا أيها الناس اتقوا ربكم... فالناس فريقان: فريق يمتثل الأمر فيتقي الله ويخشى عذابه... وفريق يعرض عن ذلك ويعارضه بالجدل الباطل في شأن الله تعالى من وحدانيته وصفاته ورسالته... وهذا الفريق هم أئمة الشرك وزعماء الكفر؛ لأنهم الذين يتصدون للمجادلة بما لهم من أغاليط وسفسطة، وما لهم من مقدرة على التمويه... فهو يجادل بغير علم، ﴿**ويتبع كل شيطان مريد**...﴾ فهو مغرور بمخادعة الشيطان له دون وعي بأن الشيطان ﴿**كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير**﴾! والكتابة مستعارة للثبوت واللزوم. وأطلق على لزوم ذلك فعل كتب عليه بمعنى وجب... فقد شاع أن العقد إذا أريد تحقيق العمل به كتب في صحيفة. ﴿**يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب**...﴾ أعاد خطاب الناس بعد أن أنذرهم بزلزلة الساعة. وذكر أن منهم من يجادل في الله بغير علم... فأعاد خطابهم بالاستدلال على إمكان البعث، وتنظيره بما هو أعظم منه.

وهو الخلق الأول... فالذي خلق الإنسان من عدم وأخرجه من تراب... ثم كونه من ماء... ثم خلقه أطواراً عجيبة إلى أن يتوفاه... فهو قادر على إعادة خلقه بعد فنائه. وجعل ريبهم في البعث مفروضان بإن الشرطية، مع أن ريبهم

محقق للدلالة على أن المقام لما حفّ به من الأدلة المبطلة لريبهم يُنزّل منزلة مقام من لا يتحقق ريبه. والظرفية المفادة بفي مجازية. شبهت ملابسة الريب إياهم بإحاطة الظرف بالمظروف.

وجملة ﴿**فإنا خلقناكم من تراب**﴾ واقعة موقع جواب الشرط، ولكنها لا يصلح لفظها لأن يكون جواباً لهذا الشرط؛ بل هي دليل عليه. والتقدير: . . . فانظروا في بدء خلقكم. . . فإنا خلقناكم من تراب. . . ﴿**ثم من نطفة. . .**﴾ ففيه تراخ بين التراب وكون الإنسان نطفة. يوضحه قوله تعالى في سورة السجدة: ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. . . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. . . ﴿**ثم من علقة. . .**﴾ فهو تراخ بين النطفة والعلقة. . . ﴿**ثم من مضغة**﴾ مستبينة الخلق مصورة بعدما كانت غير مصورة ـ ﴿**مخلقة وغير مخلقة**﴾ ـ والمراد تفصيل حال المضغة، وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء. . . ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً.

ومِنْ المكررة أربع مرات هنا ابتدائية، وتكريرها توكيد. وهذا من معجزات القرآن العلمية التي عبر عنها بقوله في سورة الزمر: يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث: ظلمة النطفة وظلمة العلقة وظلمة المضغة. وبعد هذه المراحل الثلاث يتكون الجنين. . . فيمكن بعد ذلك معرفة حاله. . . وهو ما عبر عنه بقوله تعالى: ﴿**لنبين لكم**﴾. حذف مفعول لنبين لتذهب النفس في تقديره كل مذهب، مما يرجع إلى بيان ما في هذه التصرفات من القدرة والحكمة.

وجملة ﴿**ونقر في الأرحام ما نشاء. . .**﴾ عطف على جملة فإنا خلقناكم من تراب. . . وعدل عن فعل المضي إلى الفعل المضارع للدلالة على استحضار تلك الحالة لما فيها من مشابهة استقرار الأجساد في الأجداث. . ثم إخراجها منها بالبعث كما يخرج الطفل من قرارة الرحم. . .فللأموات في القبور أجل مسمى، كما للأجنة في الأرحام أجل مسمى. . . ﴿**ثم نخرجكم طفلاً**﴾: عطفت هذه الجملة بثم للدلالة على التراخي الرتبي. فإن إخراج الجنين هو المقصود. . وجملة ﴿**ثم لتبلغوا أشدكم**﴾ مرتبطة بجملة ثم نخرجكم طفلاً ارتباط العلة بالمعلول. والمعلل فعل نخرجكم. .وإذ قد كانت بين حال الطفل وحال بلوغ الأشد أطواراً كثيرة عُلم أن بلوغ الأشد هو العلة الكاملة لحكمة إخراج الطفل.

وقد أشير إلى ما قبل بلوغ الأشد وما بعده بقوله: ﴿**ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر**...﴾ وجيء بقوله: ومنكم من يتوفى... على وجه الاعتراض استقراء لأحوال الأطوار الدالة على عظيم القدرة والحكمة الإلهية مع التنبيه على تخلل الوجود والعدم أطوار الإنسان بدءاً ونهاية كما يقتضيه مقام الاستدلال على البعث. وجيء بقوله: ﴿**لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً**﴾ علة غائية لقوله: ومنكم من يرد إلى أرذل العمر؛ لأنه مما اقتضته الحكمة في نظام الخلق.. فإن ضعف القوى الجسمية يستتبع ضعف القوى العقلية على حدّ قوله تعالى: ومنْ نعمره ننكسه في الخلق ... و«شيئاً» واقع في سياق النفي يعم كل معلوم. ولذلك مراتب في ضعف العقل بحسب توغله في أرذل العمر.

﴿**وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج**﴾: وصل الكلام بالعطف على قوله: فإنا خلقناكم من تراب... والخطاب لغير معين.. فيعم كل من يسمع هذا الكلام. وهذا ارتقاء في الاستدلال على الإحياء بعد الموت بقياس التمثيل؛ لأنه استدلال بحالة مشاهدة... فلذلك افتتح بفعل الرؤية بخلاف الاستدلال بخلق الإنسان... فإن مبدأه غير مشاهد... فقيل في شأنه: فإنا خلقناكم من تراب. وهو أصل النوع؛ لأن آدم خلق من تراب... فلم يشاهده أحد من البشر. ومحل الاستدلال هو قوله: فإنا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت... فهو مناسب لقوله في الاستدلال الأول: فإنا خلقناكم من تراب... فهمود الأرض بمنزلة موت الإنسان، واهتزازها وإنباتها بعد ذلك يماثل الإحياء بعد الموت.

واهتزاز الأرض تمثيل لحال ارتفاع ترابها بالماء، وحال ارتفاع وجهها بما عليه من النبات بحال الذي يهتز ويتحرك إلى أعلى. وفي قوله: وأنبتت من كل زوج بهيج إعْجازٌ عِلْمِيٌّ ظهر للناس بعد نزول القرآن بزمن بعيد! وهو أن النبات مكون من ذكر وأنثى في كل نوع من أنواع النبات. «ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون».

ووصف الزوج بالبهيج إدْماجاً للامتنان في أثناء الاستدلال امتناناً بجمال صورة الأرض المنبت فيها أنواع النبات في اللون والطعم والشكل... ذلك بأن الله هو الحق: هذا تذليل مقرر لما سبق من الدلائل في الآفاق والأنفس... فالإشارة إلى

ما تقدم من خلق الإنسان وفنائه، ومن إحياء الأرض بعد موتها وانبثاق النبات منها.

والباء في قوله ﴿**بأن الله...**﴾ للملابسة. وهذه االملابسة ملابسة الدليل لمدلوله: ذلك الخلق وذلك الإنبات البهيج ملابس لحقيّة إلهية الله الخالق الحكيم. ﴿**وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير. وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور**﴾: فهذه الأمور الخمسة المعدودة في هذه الآية ناتجة عن خلق الإنسان وتطوره من طور إلى طور... وعن إحياء الأرض وتنوعها بأنواع النباتات الناشئة عن إحياء الأرض بإنزال الماء... ﴿**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله**﴾: ومع هذه الأدلة الساطعة والحجج القاطعة يوجد من الناس من يجادل مجادلة المبطل لهذه الحقائق... فهو يجادل بغير علم ضروري، ولا علم نظري، ولا كتاب شرعي، معرضاً عن الدليل الصحيح، ومقبلاً على الدعاوي الكاذبة ليضل الناس عن الدين الحق الذي جاء بهذه الأدلة الصادقة... ولكن خاب ظنه وباء بالخسران في الدنيا والآخرة: ﴿**له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق. ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد**﴾: ذلك الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة حاصل بسبب ما أسلفته يداك التي كانتا طوع إرادتك باختيارك تركك الهدى وتمسكك بالضلال.

وأن الله ليس بظلام للعبيد عندما يجازيهم بحسب ما اجترحوا من سيآت، وما عملوا من منكرات... ﴿**ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خيراً اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين**﴾: هذه الآية متصلة بالعطف على قوله: ومن الناس من يجادل في الله بغير علم... فهي شروع في بيان حال المذبذبين إثر بيان حال المجاهرين... فمن الناس من يعبد الله على طرف من الدين لا ثبات له فيه؛ كالذي ينحرف إلى طرف الجيش... فإن أحس بظفر قرّ. وإن أحس بهزيمة فرّ. وهذا تمثيل لحال المتردد في عمله، يريد تجربة عاقبته بحال من يمشي على حرف جبل، فهو متهيىء لأن ينزل عنه إلى أسفله... فلما رجع إلى ما كان عليه خسر الدنيا والآخرة.

والإشارة في قوله: ذلك هو الخسران المبين إلى قوله: خسر الدنيا والآخرة

بسبب انقلابه إلى الكفر بعد أن كان متردداً. وفيه زيادة تمييز المسند إليه لتقرير مدلوله في الأذهان. والقصر المستفاد من تعريف المسند قصر ادعائي. والمقصود من القصر الادعائي تحقيق الخبر ونفي الشك في وقوعه. وضمير الوصل أكد معنى القصر. فأفاد تقوية الخبر المقصور، **﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه. . .﴾** جملة بينت لما صار إليه أمرالمتردد بعد ما انقلب على وجهه . . **﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾**: الإشارة إلى الدعاء المستفاد من يدعو. . والقول في الإشارة وفي ضمير الفصل والقصر مثل ما تقدم في قوله: ذلك هو الخسران المبين.

﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾: استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور، وتقرير كونه ضلالا بعيداً مع إزاحة ما عسى يتوهم من نفى الضرر عن معبوده بطريق: المباشرة نفيه عنه بطريق التسبيب أيضاً . ومضمون هذا الكلام ارتقاء في تضليل هذا الكافر. . فبعد أن بيّن له أنّه يعبد ما لا غناء له فيه زاد فبين أنه يعبد ما فيه ضر. ولما كان الضر الحاصل من الأصنام ليس ضراً ناشئاً عن فعلها، بل هو ضر ملابس لها، أثبت الضر بطريق الإضافة للضمير دون طريق الإسناد؛ لأن الإضافة أوسع من الإسناد. وكون الضر أقرب من النفع كناية عن تمحضه للضر وانتفاء النفع منه واللام في قوله لَمَنْ لام الابتداء. وهي تفيد تأكيد مضمون الجملة الواقعة بعدها. وقدمت عن تأخير إذ حقها أن تدخل على صلة من الموصولة. والأصل: يدعو من لضره أقرب من نفعه.

وجملة لبئس المولى ولبئس العشير إنشاء ذم للأصنام التي يدعونها بأنها شر الموالي وشر العشراء؛ لأن شأن المولى جلب النفع لمولاه وشأن العشير جلب الخير لعشيره. **﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾**: جملة مستأنفة جيء بها لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين لله تعالى، وأنّ الله عز وجل يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من أجلِّ المنافع وأعظم الخيرات، إثر بيان غاية سوء حال الكفرة ومآلهم من فريقي المجاهرين والمذبذبين، وأن معبودهم لا يجديهم شيئاً من النفع. . . بل يضرهم مضرة عظيمة. . . وجملة **﴿إن الله يفعل ما يريد﴾** تعليل لاختلاف أحوال الناس في الدنيا والآخرة.

وفعل الله ما يريد هو إيجاد أسباب أفعال العباد في سنة نظام العالم. . . وتبيينه الخير والشر. . . وترتيبه الثواب والعقاب. وذلك لا يحيط بتفاصيله إلا الله تعالى. **﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة﴾**: لما كان هذا الثواب العظيم معداً لمن آمن بالله ورسوله، وهو وعد لنصرة هذا الدين، ونصرة من جاء به، ونصرة من عمل به عقب بقوله: من كان يظن. . . تحقيقاً لها وتقريراً لثبوتها على أبلغ وجه وآكده. وفيه إيجاز بارع واختصار رائع: والمعنى: أن الله ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه، ولا عاطف يثنيه. . . فمن كان يغيظه ذلك من أعاديه وحساده، ويظن أن لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الأمور، ومباشرة ما يرده من المكايد فليبالغ في استفراغ المجهود، وليبالغ في الجد كل جد معهود. . فقصارى أمره وعاقبة مكره أن يختنق خنقاً ويموت شنقاً: **﴿فليمدد بسبب إلى السماء. . ثم ليقطع. . فلينظر: هل يذهبن كيده ما يغيظ؟! . . وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد﴾**: هذه الآية موصولة بالعطف على الآيات التي قبلها عطف غرض على غرض، والمناسبة ظاهرة. . فهي استئناف ابتدائي.

وتعقيب لما تضمنته الآيات السابقة من تبيين أحوال الناس تجاه دعوة الإسلام بما لا يبقى بعده التباس عقبت بالتنويه لتبيينها: بأنْ شُبِّه ذلك التبيين بنفسه، كناية عن بلوغه الغاية في جنسه بحيث لا يلحق بأوضح منه. والمعنى: ومثل هذا الإنزال أنزلنا القرآن آيات بينات. وعطف على التنويه تعليل إنزاله كذلك بأن الله يهدي من يريد هديه بالقرآن. . فلام التعليل محذوفة. وحذف حرف الجر مع أنْ مطرد. **﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾**: هذه الآية جاءت فذلكة لما تقدم من البيان الواضح الذي جاء به القرآن ومع هذا فإن الاهتداء به لا يكون إلا بتوفيق الله وهديه بدليل ما يوجد من النحل والملل والعقائد المختلفة السالفة منها واللاحقة.

وكل منهم يدّعِي أنه على الحق. . فلا يفصل بينهم ويوضح أمرهم إلا الله يوم القيامة. وهذا الكلام بما فيه من إجمال هو جار مجرى التفويض. ومثله يكون كناية عن تصويب المتكلم طريقته، وتخطئة طريقة خصمه؛ لأن مثل ذلك التفويض لله لا يكون إلا من الواثق بأنه على الحق. . وذلك من قبيل الكناية التعريضية.

وأعيدت إنّ في صدر الجملة الواقعة خبراً عن اسم إنّ الأولى، توكيداً لفظياً للخبر؛ لطول الفصل بين اسم إنّ وخبرها. وكون خبرها جملة، وهو توكيد حسن بسبب طول الفصل. وجملة ﴿**إن الله على كل شيء شهيد**﴾ مستأنفة استئنافاً ابتدائياً للإعلام بإحاطة علم الله بأحوالهم واختلافهم ونحلهم ومذاهبهم.. فلا يخفى عليه شيء من أمرهم. ﴿**ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء**﴾: هذه الآية مستأنفة لابتداء استدلال على انفراد الله تعالى بالإلهية. وهي مرتبطة بما قبلها ارتباط الدليل بالمطلوب.. فإن دلائل أحوال المخلوقات كلها عاقلها وجمادها شاهدة بِتَفَرُّدِ الله بالإلهية.

وفي تلك الدلالة شهادة على بطلان دعوة من يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه.. والرؤية علمية. والخطاب لغير معين. والاستفهام إنكاري.. وقد استعمل السجود هنا في حقيقته ومجازه بالنسبة للعقلاء وغيرهم.. فكثير من الناس سجدوا لله سجود طاعة وانقياد فكان سجودهم على الحقيقة. وسجود الموجودات غير الإنسانية ليس إلا سجود التسخير والانطياع لأمر الله.

وجملة كثير حق عليه العذاب مكنى بها عن ترك السجود لله تعالى.. فاستحقوا الإهانة وحُرِموا الإكرام بالسعادة. وجملة إن الله يفعل ما يشاء تعليل لما سبقها من الكلام. ﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم**﴾: موقع هذا الكلام موقع الاستئناف البياني. واسم الإشارة المثنى مشير إلى ما يفيده قوله: وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب.. ففريق يسجد لله تعالى، وفريق يسجد لغيره.

والإخبار عن الفريقين بأنهما خصمان مسوق لغير إفادة الخبر، بل تمهيداً لما يأتي بعده من التفصيل: ﴿**فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار..**﴾ فهو تفصيل لما أجمل في قوله: إن الله يفصل بينهم يوم القيامة. ﴿**يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق**﴾: هذا ما أعده الله للكافرين يوم القيامة من لباس وشراب وما يحيط بهم من نكال وعذاب.. أما ما أعده الله للمؤمنين من الثواب فهو قوله تعالى: ﴿**إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا**

الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير. وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد﴾.

غُيّر الأسلوب في هذه الآية بإسناد الإدخال إلى الله عزَّ وجلَّ: إن الله يُدخل الذين آمنوا. وتصدير الجملة بحرف التوكيد، إيذاناً بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة، وإظهاراً لمزيد العناية بأمر المؤمنين، ودلالة على تحقق مضمون الكلام.. ففي هذا الأسلوب مقابلة بديعة لوصف حال المؤمنين المقابل لحال الكافرين في المكان واللباس والخطاب... فإن قوله تعالى: إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات.. مقابل لقوله: كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها.

وقوله: يحلون فيها من أساور من ذهب، مقابل لقوله: يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود. وقوله: ولباسهم فيها حرير، مقابل لقوله: قطعت لهم ثياب من نار. وقوله: وهدوا إلى الطيب من القول.. مقابل لقوله: وذوقوا عذاب الحريق. وجملة وهدوا إلى صراط الحميد تكملة لوصف حال المؤمنين لمناسبة ذكر الهداية في قوله: وهدوا إلى الطيب من القول. وفي هذه الجملة إيماء إلى سبب استحقاق تلك النعم: أنه الهداية السابقة إلى دين الله في الحياة الدنيا.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم...﴾: في هذا التوجيه نداء عام. وهو نداء الناس جميعاً إلى تقوى الله، وتخويفهم من زلزلة الساعة، ووصف الهول المصاحب لها.. وهكذا يبدأ هذا التوجيه بالتهويل المجمل، وبالتجهيل الذي يلقى ظل الهول يقصر عن تعريفه التعبير.. فيقال: إنه زلزلة. وإن الزلزلة شيء عظيم، من غير تحديد ولا تعريف.. ثم يأخذ في التفصيل.. فإذا هو أشد رهبة من التهويل: **﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد..﴾** فهو مشهد حافل بكل مرضعة ذاهلة عما أرضعت تنظر ولا ترى، وتتحرك ولا تعي.

وبكل حامل تُسقط حملها للهول المروع ينتابها. وبالناس سكارى وما هم بسكارى. يتبدى السكر في نظراتهم الذاهلة، وفي خطواتهم المترنحة. مشهد مزدحم بذلك الحشد المتماوج. تكاد العين تبصره لحظة التلاوة.. بينما الخيال يتملاه، والهول الشاخص يُذهله.. فلا يكاد يبلغ أقصاه.. وهو هول حي لا يقاس بالحجم والضخامة.. ولكن يقاس بوقعه في النفوس الآدمية: في المرضعات الذاهلات عما أرضعن ـ وما تذهل المرضعة عن طفلها وفي فمه ثديها إلا للهول الذي لا يدع بقية من وعي ـ والحوامل الملقيات حملهن، وبالناس سكارى وما هم بسكارى: ولكن عذاب الله شديد.

إنه مطلع عنيف مرهوب، تتزلزل له القلوب.. ففي ظل هذا الهول المروع يذكر أن هنالك من الناس من يتطاول.. فيجادل في الله، ولا يستشعر تقواه: ﴿**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم**..﴾ والجدال في الله، سواء في وجوده تعالى.. أو في وحدانيته.. أو في قدرته.. أو في علمه.. أو في صفة من صفاته.. الجدال في شيء من هذا في ظل ذلك الهول الذي ينتظر الناس جميعاً.. والذي لا نجاة منه إلا بتقوى الله ورضاه.. ذلك الجدال يبدو عجيباً من ذي عقل وقلب لا يتقي شر ذلك الهول المزلزل المجتاح. ويا ليته كان جدالاً عن علم ومعرفة وتيقن.. ولكنه جدال بغير علم: جدال التطاول المجرد عن الدليل.

جدال الضلال الناشئ من اتباع الشيطان.. فهذا الصنف من الناس يجادل في الله بالهوى، ﴿**ويتبع كل شيطان مريد**﴾ عاتٍ مخالف للحق متبجّح: ﴿**كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير**..﴾ فهو حتم مقدور أن يضل تابعه عن الهدى والصواب.. وأن يقوده إلى عذاب السعير.. فيا لها من هداية هي الضلال المهلك.. أم إن الناس في ريب من البعث؟ ومن شك من زلزلة الساعة؟ إن كانوا يشكون في إعادة الحياة فليتدبروا كيف تنشأ الحياة، ولينظروا في أنفسهم، وفي الأرض من حولهم، حيث تنطق لهم الدلائل بأن الأمر مألوف ميسور.. ولكنهم هم الذين يمرون على الدلائل في أنفسهم وفي الأرض غافلين: ﴿**يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب**..﴾ فالبعث إعادة لحياة كانت.. فهو في تقدير البشر ـ أيسر من إنشاء الحياة.

وإن لم يكن ـ بالقياس إلى قدرة الله ـ شيء أيسر، ولا شيء أصعب.. فالبدء

كالإعادة أثر لتوجه الإرادة.. ولكن القرآن يأخذ البشر بمقاييسهم ومنطقهم وإدراكهم.. فيوجه قلوبهم إلى تدبر المشهود المعهود لهم، وهو يقع لهم كل لحظة ويمر بهم في كل برهة. وهو من الخوارق لو تدبروه بالعين البصيرة والقلب المفتوح والحس المدرك.. ولكنهم يمرون به أو يمر بهم دون وعي ولا انتباه.. فما هؤلاء الناس؟ ما هم؟ من أين جاءوا؟ وكيف كانوا؟ وفي أي الأطوار مروا؟ آدم خلق من تراب.. ولكن أين التراب وأين الإنسان؟ إنها نقلة ضخمة بعيدة الأغوار.

تشهد بالقدرة التي لا يعجزها البعث وهي أنشأت ذلك الخلق من تراب.. ﴿**ثم من نطفة.. ثم من علقة.. ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ـ لنبين لكم ـ ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى.. ثم نخرجكم طفلاً**..﴾ فما تلك النطفة؟ إنها ماء الرجل يحمل جرثومة الحياة، وتكمن فيها خصائص الإنسان المقبل.. ثم تتحول هذه النطفة إلى علقة. وما هي هذه العلقة: إنها ما تجمع في الرحم من نطفة الرجل وبويضة المرأة.. ثم تتحول العلقة إلى مضغة.

وما هي هذه المضغة؟ هي قطعة من دم غليظ لا تحمل سمة ولا شكلاً.. ثم تخلّق فتأخذ شكلها بتحولها إلى هيكل عظمي يكسى باللحم؛ لنبين لكم.. فهنا محطة بين المضغة والطفل.. ثم يمضي السياق مع أطوار الجنين: ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى.. فما شاء الله أن يتم تمامه أقره في الأرحام حتى يحين أجل الوضع.. ثم يخرجكم طفلاً.. ثم يمضي السياق مع أطوار ذلك الطفل بعد أن يرى النور ويفارق المكمن الذي تمت فيه تلك الخوارق الضخام في خفية عن الأنظار!.. ﴿**ثم لتبلغوا أشدكم**..﴾ فتستوفوا نموكم العضلي، ونموكم العقلي، ونموكم النفسي.. وكم بين الطفل الوليد والإنسان الشديد!.. ﴿**ومنكم من يتوفى**..﴾ فيموت من يموت في هذه المراحل.. ﴿**ومنكم من يرد إلى أرذل العُمر**..﴾ فهو صفحة مفتوحة للتدبر ما تزال.. فبعد العلم وبعد الرشد وبعد الوعي وبعد الاكتمال.. فإذا هو يرتد طفلاً: طفلاً في عواطفه وانفعالاته.

طفلاً في وعيه ومعلوماته. طفلاً في تقديره وتدبيره. طفلاً أقل شيء يرضيه وأقل شيء يبكيه.. طفلاً في حافظته فلا تمسك شيئاً. وفي ذاكرته فلا تستحضر شيئاً. طفلاً في أخذه الأحداث والتجارب فرادى لا يربط بينها رابط، ولا تؤدى

في حسه ووعيه إلى نتيجة؛ لأنه ينسى أولها قبل أن يأتي إلى آخرها.

﴿**لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً**﴾، ولكي يفلت من عقله ووعيه ذلك العلم الذي ربما تحايل به وتطاول، وجادل في الله وصفاته بالباطل!.. ثم تستطرد الآية إلى عرض مشاهد الخلق والإحياء في الأرض والنبات بعد عرض مشاهد الخلق والإحياء في الإنسان: ﴿**وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج**..﴾ فالهمود درجة بين الحياة والموت وهكذا تكون الأرض قبل نزول الماء عليها. وهو العنصر الأصيل في الحياة والأحياء.. فإذا نزل عليها الماء اهتزت وربت.

وهي حركة عجيبة سجلها القرآن قبل أن تسجلها الملاحظة العلمية بمئات الأعوام!.. فالتربة الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز وهي تتشرّب الماء وتنتفخ فتربو.. ثم تتفتح بالحياة عن النبات من كل زوج بهيج. وهل أبهج من الحياة وهي تتفتح بعد الكمون وتنتفض بعد الهمود؟!.. وهكذا يتحدث القرآن عن القرابة بين أبناء الحياة جميعاً.. فيسلكهم في آية واحدة من آياته. وإنها للفتة عجيبة إلى هذه القرابة الوثيقة. وإنها لدليل على وحدة عنصر الحياة، وعلى وحدة الإرادة الدافعة لها هنا وهناك: في الأرض والنبات والحيوان والإنسان: ﴿**ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير**﴾.

﴿**وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور**..﴾ ذلك: إنشاء الإنسان من التراب.. ثم تصوره في مراحل تكونه.. وتطور الطفل في مراحل حياته.. وانبعاث الحياة من الأرض بعد الهمود.. ذلك متعلق بأن الله هو الحق.. فهو من السنن المطردة التي تنشأ من أن خالقها هو الحق الذي لا تختل سننه ولا تتخلف. وأن اتجاه الحياة هذا الاتجاه في هذه الأطوار ليدل على الإرادة التي تدفعها وتنسق خطاها وترتب مراحلها.. فهناك ارتباط وثيق بين أن الله هو الحق وبين هذا الاطراد والثبات والاتجاه الذي لا يحيد. وأنه يحيي الموتى.. فإحياء الموتى هو إعادة للحياة.

والذي أنشأ الحياة الأولى هو الذي ينشئُها للمرة الآخرة.. وأن الله يبعث من في القبور.. ليلاقوا ما يستحقونه من الجزاء.. فهذا البعث تقتضيه حكمة الخلق والتدبير. وإن هذه الأطوار التي يمر بها الجنين.. ثم يمر بها الطفل بعد أن يرى

النور لتشير إلى أن الإرادة المدبرة لهذه الأطوار ستدفع بالإنسان إلى حيث يبلغ كماله الممكن في دار الكمال؛ إذ أن الإنسان لا يبلغ كماله في حياة الأرض.. فهو يقف.. ثم يتراجع.. فلا بد من دار أخرى يتم فيها كمال الإنسان.. فدلالة هذه الأطوار على البعث دلالة مزدوجة.. فهي تدل على البعث من ناحية أن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة. وهي تدل على البعث؛ لأن الإرادة المدبرة تكمل تطوير الإنسان في الدار الآخرة.. وهكذا تلتقي نواميس الخلق والإعادة، ونواميس الخلق والبعث، ونواميس الحساب والجزاء.

وتشهد كلها بوجود الخالق المدبر القادر الذي ليس في وجوده جدال. ومع هذه الدلائل المتضافرة.. فهناك من يجادل في الله: ﴿**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفة ليضل عن سبيل الله..**﴾ فالجدال في الله بعد تلك الدلائل يبدو غريباً مستنكراً.. فكيف إذا كان جدالاً بغير علم لا يستند إلى دليل ولا يقوم على معرفة ولا يستمد من كتاب ينير القلب والعقل ويوضح الحق ويهدي إلى اليقين.

والتعبير يرسم صورة لهذا الصنف من الناس. صورة فيها الكبر المتعجرف: ثاني عطفه.. مائلاً مزوراً بجنبه.. فهو لا يستند إلى حق فيعوض عن هذا بالعجرفة والكبر: ليضل عن سبيل الله.. فلا يكفي أن يضل بنفسه.. إنما يحمل غيره على الضلال. هذا الكبر الضال المضل لا بد أن يقمع، ولا بد أن يحطم: ﴿**له في الدنيا خزي..**﴾ فالخزي هو المقابل للكبر.. والله لا يدع المتكبرين المتعجرفين الضالين المضلين حتى يحطم تلك الكبرياء الزائفة وينكسها ولو بعد حين.. إنما يمهلهم أحياناً ليكون الخزي أعظم والتحقير أوقع. أما عذاب الآخرة فهو أشد وأوجع: ﴿**ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق..**﴾ وفي لحظة ينقلب ذلك الوعيد المنظور إلى واقع مشهود، بلفتة صغيرة في السياق من الحكاية إلى الخطاب: ﴿**ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد..**﴾ وكأنما هو اللحظة يلقى التقريع والتبكيت مع العذاب والحريق.

التوجيه الثاني: ﴿**ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه..**﴾: في هذا التوجيه عرض نموذج آخر من الناس.. ذلك الذي يزن العقيدة بميزان الربح والخسارة.. ويظنها صفقة في سوق

التجارة. إن العقيدة هي الركيزة الثابتة في حياة المؤمن، تضطرب الدنيا من حوله فيثبت هو على هذه الركيزة. وتتجاذبه الأحداث والدوافع فيتشبث هو بالصخرة التي لا تتزعزع.. وتتهاوى من حوله الأسناد فيستند هو إلى القاعدة التي لا تتحول ولا تزول. هذه قيمة العقيدة في حياة المؤمن.

ومن ثمّ يجب أن يستوي عليها متمكناً منها واثقاً بها، لا يتلجلج فيها ولا ينتظر عليها جزاء. ذلك أنها الحمى الذي يلجأ إليه، والسند الذي يستند عليه. أجل: هي في ذاتها جزاء على تفتح القلب للنور وطلبه للهدى. ومن ثم يهبه الله العقيدة ليأوى إليها ويطمئن بها. هي في ذاتها جزاء يدرك المؤمن قيمته حين يرى الحيارى الشاردين من حوله تتجاذبهم الرياح وتتقاذفهم الزوابع ويستبد بهم القلق. بينما هو بعقيدته مطمئن القلب ثابت القدم هادئ البال موصول بالله مطمئن بهذا الاتصال.

أما ذلك الصنف من الناس الذي يتحدث عنه السياق فيجعل العقيدة صفقة في سوق التجارة: فإن أصابه خير اطمأن به.. وقال: إن الإيمان خير.. فها هو ذا يجلب النفع ويدرّ الضرع وينمى الزرع ويربح التجارة ويكفل الرواج.. وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة.. خسر الدنيا بالبلاء الذي أصابه فلم يصبر عليه ولم يتماسك له ولم يرجع إلى الله فيه.. وخسر الآخرة بانقلابه على وجهه وانكفائه عن عقيدته وانتكاسه عن الهدى الذي كان ميسراً له. والتعبير القرآني يصوره في عبادته لله على حرف غير متمكن من العقيدة ولا متثبّت في العبادة.

يصوره في حركة جسدية متأرجحة قابلة للسقوط عند الدفعة الأولى.. ومن ثم ينقلب على وجهه عن مس الفتنة، ووقفته المتأرجحة تمهد من قبلُ لهذا الانقلاب! إن حساب الربح والخسارة يصلح للتجارة.. ولكنه لا يصلح للعقيدة.. فالعقيدة حق يُعتنق لذاته بانفعال القلب المتلقى للنور والهدى الذي لا يملك إلا أن ينفعل بما يتلقى. والعقيدة تحمل جزاءها في ذاتها: بما فيها من طمأنينة وراحة ورضى.. فهي لا تطلب جزاءها خارجاً عن ذاتها.. والمؤمن يعبد ربه شكراً له على هدايته إليه وعلى اطمئنانه للقرب منه والأنس به.. فإن كان هنالك جزاء فهو فضل من الله ومنّة لا استحقاقاً على الإيمان أو العبادة.

والمؤمن لا يجرب ربه.. فهو قابل ابتداءً لكل ما يقدره له.. مستسلم ابتداءً لكل ما يناله من السراء والضراء. وليست هي صفقة في السوق بين بائع وشار.. إنما هي إسلام المخلوق للخالق صاحب الأمر فيه ومصدر وجوده من الأساس. والذي ينقلب على وجهه عند مس الفتنة يخسر الخسارة التي لا شبهة فيها ولا ريب: ﴿**ذلك هو الخسران المبين..**﴾ يخسر الطمأنينة والثقة والهدوء والرضى.. إلى جوار خسارة المال أو الولد أو الصحة أو أعراض الحياة الأخرى التي يفتن الله بها عباده، ويبتلي بها ثقتهم فيه وصبرهم على بلائه وإخلاصهم أنفسهم له واستعدادهم لقبول قضائه وقدره.. ويخسر الآخرة وما فيها من نعيم وقربى ورضوان.. فيا له من خسران!!.. فإلى أين يتجه هذا الذي يعبد الله على حرف إلى أين يتجه بعيداً عن الله؟ إنه: ﴿**يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه..**﴾ يدعو صنماً أو وثناً على طريقة الجاهلية الأولى.. ويدعو شخصاً أو جهة أو مصلحة على طريقة الجاهلية المتناثرة في كل زمان ومكان.

كلما انحرف الناس عن الاتجاه إلى الله وحده والسير على صراطه ونهجه.. فما هذا كله؟ إنه الضلال عن المتجه الوحيد الذي يجدي فيه الدعاء: ﴿**ذلك هو الضلال البعيد..**﴾ المفرق في البعد عن الهدى والاهتداء.. ﴿**يدعو لمن ضره أقرب من نفعه..**﴾ من وثن أو شيطان أو سند من بني الإنسان.. وهذا كله لا يملك ضراً ولا نفعاً. وهو أقرب لأن ينشأ عنه الضر. وضره أقرب من نفعه. ضره في عالم الضمير بتوزيع القلب، وإثقاله بالوهم، وإثقاله بالذل. وضره في عالم الواقع وكفى بما يعقبه في الآخرة من ضلال وخسران: ﴿**لبئس المولى**﴾، ذلك الضعيف الذي لا سلطان له في ضر أو نفع: ﴿**ولبئس العشير**﴾، ذلك الذي ينشأ عنه الخسران، يستوي في ذلك المولى والعشير من الأصنام والأوثان، والمولى والعشير من بني الإنسان.

ممن يتخذهم بعض الناس آلهة أو أشباه آلهة في كل زمان ومكان. والله يدخر للمؤمنين به ما هو خير من عرض الدنيا كله.. حتى لو خسروا ذلك العرض كله في الفتنة والابتلاء: ﴿**إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد..**﴾ فمن مسه الضر في فتنة من الفتن، وفي ابتلاء من الابتلاءات فليثبت ولا يتزعزع، وليستبق ثقته برحمة الله وعونه وقدرته

على كشف الضراء، وعلى العوض والجزاء.. فأما من يفقد ثقته في نصر الله في الدنيا والآخرة، ويقنط من عون الله له في المحنة حين تشتد المحنة.. فدونه فليفعل بنفسه ما يشاء، وليذهب بنفسه كل مذهب.. فما شيء من ذلك بمبدل ما به من البلاء: ﴿**من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ..**﴾ فهو مشهد متحرك لغيظ النفس، وللحركات المصاحبة لذلك الغيظ، يجسم هذه الحالة التي يبلغ فيها الضيق بالنفس أقصاه، عندما ينزل بها الضر وهي على غير اتصال بالله.

والذي ييأس في الضر من عون الله يفقد كل نافذة مضيئة وكل نسمة رخية وكل رجاء في الفرج، ويستبد به الضيق ويثقل على صدره الكرب فيزيد هذا كله من وقع الكرب والبلاء. ألا إنه لا سبيل إلى احتمال البلاء إلا بالرجاء في نصر الله، ولا سبيل إلى الفرج إلا بالتوجه إلى الله. ولا سبيل إلى الاستعلاء على الضر والكفاح للخلاص إلا بالاستعانة بالله. وكل حركة يائسة لا ثمرة لها ولا نتيجة إلا زيادة الكرب ومضاعفة الشعور به والعجز عن دفعه بغير عون الله.

بمثل هذا البيان لحالات الهدى والضلال، ونماذج الهدى والضلال أنزل الله هذا القرآن ليهتدي به من يفتح الله قلبه فيقسم الله له الهداية: ﴿**وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد..**﴾ فإرادة الله قد قررت سبق الهدى والضلال.. فمن طلب الهدى تحققت إرادة الله بهدايته وفق سنته. وكذلك من طلب الضلال. إنما يفرد هنا حالة الهدى بالذكر بمناسبة ما في الآيات من بيان يقتضي الهدى في قلب المستقيم.. فأما الفِرَق المختلفة في الاعتقاد فأمرها إلى الله يوم القيامة.

وهو العليم بكل ما في عقائدها من حق أو باطل، ومن هدى أو ضلال: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد..**﴾ قد سبق تعريف هذه الفرق.. وهي تذكر هنا بمناسبة أن الله يهدي من يريد.. فهو أعلم بالمهتدين والضالين.. وعليه حساب الجميع.. والأمر إليه في النهاية. وهو على كل شيء شهيد. وإذا كان الناس بتفكيرهم ونزعاتهم وميولهم.. فإن الكون كله ـ فيما عداهم ـ يتجه بفطرته إلى خالقه: يخضع لناموسه ويسجد لوجهه: ﴿**ألم ترَ أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال**

والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء. .﴾ ويتدبر القلب هذا النص فإذا حشد من الخلائق مما يدرك الإنسان ومما لا يدرك.

وإذا حشد من الأفلاك والأجرام. مما يعلم الإنسان ومما لا يعلم. وإذا حشد من الجبال والشجر والدواب في هذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان. . إذا بتلك الحشود كلها في موكب خاشع تسجد كلها لله، وتتجه إليه وحده دون سواه. تتجه إليه وحده في وحدة واتساق. إلا ذلك الإنسان. . فهو وحده الذي يتفرق ويختلف: وكثير من الناس. . يتجهون إلى الله ويسجدون له طاعة وعبادة بنية وإرادة. . وكثير حق عليه العذاب. . فلم يسجد ولم يخضع وأعلى الرفض لكل هذه الأوامر. . فاستحق بذلك هوان الدنيا وعذاب الآخرة. . ومن يهن الله فما له من مكرم. . فلا كرامة إلا بإكرام الله. ولا عزة إلا بعزة الله. وقد ذل وهان من دان لغير الله.

التوجيه الثالث: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم. .﴾: في هذا التوجيه عرض الفريقين اللذين سبق ذكرهم: الذين جادلوا في الله بغير علم. . والذين عبدوا الله على حرف فانقلبوا على وجوههم في حضيض الشرك مثل من جادل في الله بغير علم. . والذين آمنوا بالله وعملوا بما أمر الله وساروا على منهج الله. . عرفوا نعمة الله وفهموا كتاب الله واقتدوا برسول الله. . فنالوا من الله رضاه. فيعرض القسم الأول بما أعد الله لهم من العذاب والهوان . . . التَعْنيف مصور كأنه معروض للعيان: **﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار. .﴾** فهذه ثياب من نار تقطع وتُفصَل على قدر جسم الكافر تحيط بالجسم من كل مكان.

وثياب تختلف في الأشكال والألوان. . ولكنها كلها من النيران!. . **﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود. .﴾** فهذا حميم شديد الحرارة يصب من فوق الرؤوس يُصهر به ما في البطون والجلود عند صبه على الرؤوس!. . **﴿ولهم مقامع من حديد. .﴾** فهذه سياط من حديد اشتعلت ناراً واحمرت يضربون بها وجوههم وأدبارهم. . فهذا هو العذاب يشتد ويتجاوز الطاقة. . فيحاول الكافرون أن يجدوا مهرباً من هذا الحر الشديد والماء والصديد والضرب المؤلم بالحديد. . فيهمّوا بالخروج من هذا الغم: **﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها. .﴾** فلا جدوى من هذه المحاولات.

بل تزيدهم عذاباً فوق العذاب الذي هم فيه.. فما أفظعه من مزيد!..
﴿**وذوقوا عذاب الحريق**..﴾ ويظل الخيال يكرر هذه المشاهد من أولى حلقاتها..
حتى يصل إلى حلقة محاولة الخروج والرد العنيف ليبدأ في العرض من جديد!
ولا يبارح الخيال هذا المشهد العنيف المتجدد إلا أن يلتفت إلى الجانب الآخر
الذي يستطرد السياق إلى عرضه: ﴿**إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها
حرير**﴾.

﴿**وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد**..﴾ فأصل الموضوع
أن هناك خصمين اختصموا في ربهم.. فأما الذين كفروا به فقد كنا نشهد مصيرهم
المفجع منذ لحظة.. أما الذين آمنوا.. فهم هنالك: في الجنات تجري من تحتها
الأنهار.. بدل الحريق والزفير والشهيق والماء الحار. يحلون فيها من أساور من
ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير.. فملابسهم لم تقطع من نار.. إنما فصلت من
الحرير.. ولهم فوقها حلي من الذهب واللؤلؤ.. وقد هداهم الله إلى الطيب من
القول.. وهداهم إلى صراط الحميد.. فلا مشقة حتى في القول أو في الطريق.
والهداية إلى الطيب من القول والهداية إلى صراط الحميد نعمة تذكر في مشهد
النعيم. نعمة الطمأنينة واليسر والتوفيق.. وذلك عاقبة الخصام في الله.. فهذا
فريق وذلك فريق.. فليتدبر تلك العاقبة من لا تكفيه الآيات البينات، ومن يجادل
في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

4 ـ بيان موقف الذين كفروا من البيت الحرام وبيان بعض ما في الحج من الأحكام

النص

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ
وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿23﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ
بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿24﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا
وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿25﴾
لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ
مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ
فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿26﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟
تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ
ٱلْعَتِيقِ ﴿27﴾ * ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ
لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ
فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿28﴾
حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا

خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿29﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿30﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿31﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿32﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿33﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿34﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿35﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله..**﴾ كلمة الذين كفروا صارت لقب لأهل مكة الذين عارضوا القرآن وقت نزوله. وهي كلمة تقابل كلمة الذين آمنوا. والصد: المنع والمعارضة.. وسبيل الله: الإسلام. والمراد بصدهم عن المسجد

الحرام: صدهم المسلمين عن دخول المسجد والصلاة فيه واستمر ذلك إلى يوم الفتح. وكان دخول المسلمين المسجد عام عمرة القضاء بشروط.. ووصف المسجد الحرام بقوله: ﴿**الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادي**﴾؛ لأنه يستوي فيه الناس كلهم في أحقية التعبد: المقيم فيه المستقر.. والبادي الذي يأتيه من بعيد. ﴿**ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم**..﴾ الإلحاد: الانحراف عن الاستقامة.. والظلم: سوء المعاملة والتعدي والفسوق والعصيان.

وإذاقة العذاب الأليم: إحساس وقع العذاب الشديد الإيلام بجميع حواسه: سمعاً وبصراً وشماً وذوقاً ولمساً.. وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت.. إذ: اسم زمان مجرد عن الظرفية عامله مقدر. والتقدير: واذكر وقت بوأنا.. والتبوئة: التهيؤ لما سيكون من بناء وإسكان وإيواء.. ومكان البيت: الأرض التي بنى عليها إبراهيم وإسماعيل الكعبة. وسميت الكعبة البيت الحرام لمبيت الناس فيه وبقائهم للعبادة.. وكل مكان يسكن فيه ليلاً يسمى بيتاً سواء كان مبنياً أو منصوباً.. ﴿**أن طَهِّرَا بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود**﴾: أمر الله إبراهيم ببناء البيت الحرام وتعميره وتطهيره حساً من الأوساخ والأدناس ومعنى من الأوثان والأرجاس. بعد الأمر بتوحيد الله وعبادته والمعاملة بالحسنى لجميع الناس. والطواف بالبيت المشي حول الكعبة تعبداً لله.

والمراد بالقائمين الداعون وقوفاً تجاه الكعبة. ومنه سمّي مقام إبراهيم. وهو مكان قيامه للدعاء والصلاة.. والركع: جمع راكع. ووزن فُعّل يكثر جمعاً لفاعل وصفاً إذا كان صحيح اللام. نحو: عُذّل وسُجّد.. والسجود: جمع ساجد، مثل: الرقود والقعود. وهو من جموع أصحاب الأوصاف المشابهة مصادر أفعالها. ﴿**وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق**..﴾ التأذين: رفع الصوت بالإعلام بشيء. وأصله مضاعف أذِن إذا سَمِع. ثم صار بمعنى بلغهُ الخبر فجاء منه آذن بمعنى أخبر. وأذّن بما فيه من مضاعفة الحروف مشعر بتكرير الفعل. ولكونه بمعنى الإخبار يُعدّى إلى المفعول الثاني بالباء. والناس: يعم كل البشر: ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً.

والمراد بالحج: القصد إلى بيت الله الحرام لأداء النسك. وجملة يأتوك جواب للأمر.. ورجالاً: سيراً على الأرجل. وعلى كل ضامر: راكبين.

والضامر: قليل لحم البطن. وأطلق على الهزيل من مشقة السفر وطوله.. يأتين من كل فج عميق: تأتي هذه الجماعات رجالاً وركباناً من كل مكان ذي فجاج بعيد سحيق.. فأصل الفج الشق بين جبلين.. والعميق البعيد النازل. ومن شأن الطرقات بين الجبال أن تكون عميقة سافلة بين قمم الجبال الشاهقة. **﴿ليشهدوا منافع لهم﴾**: هذا تعليل للأمر بالإتيان إلى البيت.. والشهود: الحضور.

والمنافع: المصالح الدينية والدنيوية.. ففي مجمع الحج فوائد جمة للناس. **﴿ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام..﴾** ذكر اسم الله: التسمية عند الذبح شكراً على هذا الرزق. وبهيمة الأنعام: الإبل والبقر والضأن والمعز. والأيام المعلومات أيام التشريق. وهي أيام العيد الثلاثة.. **﴿فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير..﴾** البائس الفقير: وصفان لشخصين مختلفين: المسكين العاجز الذي لا يقدر على دفع عجزه.. والفقير المحتاج إلى من يعينه.. **﴿ثم ليقضوا تفثهم..﴾** قضاء التفث: إتمام مناسك الحج.. **﴿وليوفوا نذورهم﴾**: ما أنذروه من طاعة الله زيادة على ما وجب من مناسك الحج.. **﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾**: وليكثروا من الطواف حول الكعبة.. والعتيق: المحرر غير المملوك للناس.. فالبيت ملك لكل المسلمين.

فلا ملك لأحد عليه!.. **﴿ذلك﴾**: كلمة يؤتى بها للفصل بين كلامين. والمراد بها التنبيه. **﴿ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾**: هذا انتقال إلى بيان ما يجب الحفاظ عليه من أحكام الإسلام ومناسك الحج.. والحرمات: كل ما يجب احترامه من شرائع الإسلام؛ لأن عاقبته خير عند الله لمن حافظ على أمره ولم ينتهك حرماته. **﴿وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾**: من تعظيم حرمات الله اتباع ما شرع الله من تحليل وتحريم. وقد أباح الله أكل لحوم الأنعام.. إلا ما حرم من الميتة والخنزير والدم.. **﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾**.

هذا نهى عن كل ما حرم الله من أفعال وأقوال الجاهلية فيما حرموا وحللوا وأوجبوا وشرّعوا.. فحقيقة الرجس الخبث والقذارة.. وعبادة الأوثان من أقبح الرجس الذي يتعلق بالنفوس والقلوب والعقول. وقول الزور: هو ما يقوله المشركون: هذا حلال وهذا حرام.. **﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾**: اجتنبوا ما

حرم الله عليكم، والتزموا ما شرع لكم من الدين الحنيف الذي بينه لكم، غير مشركين به.

﴿**ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق**..﴾ الخرور: السقوط.. وتخطّفه: مضاعف خطف للمبالغة. والخطف: أخذ شيء بسرعة. والهوى: نزول شيء من علوّ إلى الأرض. والسحيق: البعيد. ولا نجاة لمن حل فيه. ﴿**ذلك.. ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**﴾: تكرير لنظيره السابق. الشعائر: جمع شعيرة؛ المعلم الواضح. مشتقة من الشعور. وشعائر الله: لقب لمناسك الحج. والشعيرة بمعنى مشعرة.. أو مشعر بها؛ فعيلة بمعنى مفعولة. وسبب تعظيم هذه الشعائر تقوى القلوب. ﴿**لكم فيها منافع إلى أجل مسمى**﴾: يدخل في حرمات الله وشعائره ما يهدى من الأنعام في موسم الحج.. والمنافع: تقدم معناها.

ومنافع الهدايا قبل نحرها.. العمل عليها؛ بخلاف ما كانت تفعله الجاهلية.. والأجل المسمى وقت نحرها.. ﴿**ثم محلها إلى البيت العتيق**..﴾ المحل: مصدر، من حلّ يحلّ إذا بلغ المكان واستقر فيه. والبيت العتيق تقدم معناه. ﴿**ولكل أمة جعلنا منسكاً**..﴾ الأمة: الجماعة التي هدفها واحد. والمنسك: المتعبد، وما يتقرب به إلى الله. مثل: مناسك الحج.. والنسك التي تُهدى في موسم الحج.. ﴿**ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام**﴾. وذكر اسم على بهيمة الأنعام عند ذبحها شرط لا بد منه بخلاف ما كانت تفعله الجاهلية تقرباً إلى أصنامها.. ﴿**فإلهكم إله واحد فله أسلموا**﴾: فإذا كان إلهكم.. فأخلصوا له التقرب.. ولا تشوبوه بالشرك.

﴿**وبشر المخبتين**..﴾ المخبت: المتواضع الذي لا تكبُّر عنده. وأصل المخبت من سلك الخبت: وهو المكان المنخفض لسهولة المشي فيه: ﴿**الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾: تفسير للمخبتين. والوجل: الخوف الشديد. ﴿**والصابرين على ما أصابهم**﴾: المراد بالصبر ما يصيب المؤمن من أذى في سبيل الإسلام. ﴿**والمقيمي الصلاة**﴾: المحافظين عليها.. ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾؛ لما في قلوبهم من الحنان والرقة والعطف.. فالإنفاق يشمل كل ما يعطى للمحتاج.. ﴿**والبدن جعلناها لكم من شعائر الله**..﴾ البُدْن: جمع بدنة. وهي البعير العظيم

البدَن. وهم اسم مأخوذ من البدانة. وتقدم معنى ﴿**لكم فيها خير. . فاذكروا اسم الله عليها صواف. .**﴾ وتقدم معنى ذكر اسم على ما ينحر أو يذبح. . والصواف: جمع صافة، وهي المجتمعة المنتظمة. . ﴿**فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر. .**﴾ وجبت: سقطت إلى الأرض على جنوبها. القانع: المتصف بالقنوع. وهو التذلل. والمعتر: الذي يتعرض ولا يسأل.

﴿**كذلك سخرناهم لكم. .**﴾ فهذا امتنان بما سخر للناس من هذه الأنعام. . ﴿**لعلكم تشكرون. . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها**﴾: لن يبلغ مرضاة الله ولن يقع منه موقع القبول. . ﴿**ولكن يناله التقوى منكم**﴾. والمقصود من نفي أن يصل إلى الله لحومها ودماؤها إبطال ما يفعله المشركون من نضح الدماء في المذابح وحول الكعبة. وهي عقيدة وثنية قديمة أبطلها الإسلام، وبين المقصود من هذه الهدايا وعللها بقول الله تعالى: ﴿**كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين**﴾.

مبحث الإعراب

﴿**إن الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كفروا**﴾ فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿**ويصدون**﴾ معطوف عليه. ﴿**عن سبيل**﴾ متعلق بيصدون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**والمسجد**﴾ معطوف على الله. ﴿**الحرام**﴾ نعت للمسجد. ﴿**الذي**﴾ في محل جر نعت ثان. ﴿**جعلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**للناس**﴾ متعلق بجعلناه. ﴿**سواءً**﴾ خبر مقدم. ﴿**العاكف**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**فيه**﴾ متعلق به. ﴿**والبادي**﴾ معطوف على العاكف مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة للتخفيف. وخبر إن محذوف دل عليه قوله: ﴿**ومن يرد**﴾. . أي: إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام. . يريدون أن يلحدوا ويظلموا.

وجاء الجواب نتيجة للإلحاد والظلم: ﴿**نذقه من عذاب أليم**﴾ وجملة ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم فعل الشرط وجوابه. وكلمة بإلحاد مجرورة بحرف الجر الزائد في محل نصب مفعول. وكلمة بظلم متعلق بمحذوف نعت لإلحاد. ومن عذاب مفعول ثان لنذقه مجرور بحرف من الزائد. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. ﴿**وإذ**﴾ اسم زمان مجرد عن الظرفية منصوب بفعل مقدر. والتقدير:

واذكر إذ ﴿**بوأنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لإبراهيم**﴾ متعلق ببوأنا. ﴿**مكان**﴾ مفعول به. ﴿**البيت**﴾ مضاف إلى مكان.

﴿**أن لا تشرك**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. وأن تفسيرية. والفاعل ضمير يعود على إبراهيم. ﴿**بي**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول به. ﴿**وطهر**﴾ فعل أمر موجه إلى إبراهيم. ﴿**بيتي**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم.. ﴿**للطائفين**﴾ متعلق بطهّر. ﴿**والقائمين والركع**﴾ معطوفان على الطائفين. ﴿**السجود**﴾ نعت للركع. ﴿**وأذن**﴾ معطوف على طهّر. ﴿**في الناس بالحج**﴾ متعلقان بأذّن.

﴿**يأتوك**﴾ جواب الأمر مجزوم بحذف النون. وواو الجماعة فاعل. وضمير المخاطب في محل نصب مفعول به. ﴿**رجالاً**﴾ حال من واو الجماعة. ﴿**وعلى كل**﴾ متعلق بمحذوف معطوف على الحال. أي: وراكبين على كل. ﴿**ضامر**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**يأتين**﴾ فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة. والنون في محل رفع فاعل. ﴿**من كل**﴾ متعلق بيأتين. ﴿**فج**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**عميق**﴾ نعت لفجّ. وجملة يأتين حال ثانية من واو الجماعة. وأنت ضمير الفاعل باعتبار الجماعة.

﴿**ليشهدوا منافع**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل الجارة لمصدر الفعل. والجار والمجرور متعلق بيأتوك.. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لمنافع ﴿**ويذكروا اسم**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على قوله: ليشهدوا منافع.. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى اسم. ﴿**على ما**﴾ متعلق بيذكروا. ﴿**رزقهم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة صلة ما. ﴿**في أيام**﴾ متعلق بيذكروا نعت لأيام. ﴿**معلومات**﴾ نعت لأيام ﴿**من بهيمة**﴾ متعلق برزقهم. ﴿**الأنعام**﴾ مضاف إلى بهيمة. ﴿**فكلوا**﴾ فعل أمر لجماعة المخاطبين. والفاء للتفريع. ﴿**منها**﴾ متعلق بكلوا.

﴿**وأطعموا البائس الفقير**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على كلوا. ﴿**ثم ليقضوا تفثهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه لام الأمر وحرف العطف. ﴿**وليوفوا نذورهم**﴾ معطوف على ما قبله. وهو مثله في الإعراب. ﴿**وليطوفوا**﴾ كذلك. ﴿**بالبيت**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**العتيق**﴾ نعت للبيت. ﴿**ذلك**﴾ في محل

رفع مبتدأ. والخبر محذوف. أي: ذلك بيان. ﴿**ومن يعظم**﴾ فعل مضارع مجزوم بمن الشرطية. والواو للعطف. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**حرمات**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى حرمات. ﴿**فهو**﴾ في محل رِفع مبتدأ. ﴿**خير**﴾ خبره. والجملة جواب الشرط والفاء رابطة. ﴿**له**﴾ متعلق بخير. ﴿**عند**﴾ كذلك. ﴿**ربه**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**وأحلت**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. والواو للعطف.

﴿**لكم**﴾ متعلق بأحلت. ﴿**الأنعام**﴾ نائب الفاعل. ﴿**إلا ما**﴾ في محل نصب مستثنى بإلا. ﴿**يتلى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على ما. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بيتلى. ﴿**فاجتنبوا**﴾ فعل أمر للمخاطبين. والفاء للتفريع. ﴿**الرجس**﴾ مفعول به. ﴿**من الأوثان**﴾ بيان لمجمل الرجس. ﴿**واجتنبوا قول**﴾ معطوف على قوله: فاجتنبوا الرجس.. ﴿**الزور**﴾ مضاف إلى قول. ﴿**حنفاء**﴾ حال من واو الجماعة. ﴿**لله**﴾ متعلق بالحال. ﴿**غير**﴾ حال كذلك. ﴿**مشركين**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**ومن يشرك**﴾ فعل الشرط مجزوم بمن. والواو للعطف. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**بالله**﴾ متعلق بيشرك. ﴿**فكأنما**﴾ كفت عن العمل بما. والفاء لربط الجواب. ﴿**خر**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ.

﴿**من السماء**﴾ متعلق بخر. والجملة جواب الشرط. ﴿**فتخطفه**﴾ مرتب على خر.. ﴿**الطيرُ**﴾ فاعل تخطف. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**أو تهوي**﴾ معطوف على تخطف. ﴿**به**﴾ متعلق بتهوي. ﴿**الريح**﴾ فاعل. ﴿**في مكان**﴾ متعلق بتهوي. ﴿**سحيق**﴾ نعت لمكان. ﴿**ذلك.. ومن يعظم شعائر الله**﴾ مثل إعراب ذلك ومن يعظم حرمات الله. ﴿**فإنها**﴾ إنّ واسمها. ﴿**من تقوى**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. والجملة جواب الشرط. والفاء رابطة. ﴿**القلوب**﴾ مضاف إلى تقوى. ﴿**لكم فيها**﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿**منافع**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة مقررة لما قبلها. ﴿**إلى أجل**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**ثم محلها**﴾ معطوف على منافع. ﴿**إلى البيت**﴾ متعلق بالخبر المقدر. ﴿**العتيق**﴾ نعت للبيت. ﴿**ولكل**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**أمة**﴾ مضاف إلى كل.

﴿**جعلنا منسكاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**ليذكروا اسم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ولام التعليل دخلت على أن والفعل المنسبكين بالمصدر فجرته. وهو متعلق

بجعلنا. ﴿الله﴾ مضاف إلى اسم. ﴿على ما﴾ متعلق بيذكروا. ﴿رزقهم﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة صلة ما. ﴿من بهيمة﴾ بيان لما. ﴿الأنعام﴾ مضاف إلى بهيمة. ﴿فإلهكم﴾ مبتدأ. والفاء للتفريع. ﴿إله﴾ خبر. ﴿واحد﴾ نعت له. ﴿فله﴾ متعلق بقوله: ﴿أسلموا﴾ فعل أمر للمخاطبين. والفاء للتفريع. ﴿وبشر﴾ فعل أمر موجه للمخاطب. ﴿المخبتين﴾ مفعول به. ﴿الذين﴾ في محل نصب نعت للمخبتين. ﴿إذا﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿ذُكر﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿الله﴾ نائب الفاعل.

﴿وجلت قلوبهم﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب إذا. ﴿والصابرين﴾ معطوف على الذين.. ﴿على ما﴾ متعلق بالصابرين. ﴿أصابهم﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على ما. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة صلة ما. ﴿والمقيمي﴾ عطف على الذين كذلك. ﴿الصلاة﴾ مضاف إلى المقيمي. ﴿ومما﴾ متعلق بينفقون . ﴿رزقناهم﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿ينفقون﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على الذين.. ﴿والبدن﴾ مفعول بفعل مقدر. ﴿جعلناها﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة مفسرة للجملة المقدرة. والتقدير: وجعلنا البدن: جعلناها ﴿لكم من شعائر﴾ متعلقان بجعلنا. ﴿الله﴾ مضاف إلى شعائر. ﴿لكم﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿فيها﴾ متعلق بما بعده: ﴿خير﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة مقررة لما قبلها. ﴿فاذكروا﴾ مفرع على ما قبله. ﴿اسم﴾ مفعول به. ﴿الله﴾ مضاف إلى اسم. ﴿عليها﴾ متعلق باذكروا. ﴿صواف﴾ حال من ضمير البدن ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ فعل وفاعل شرط لإذا. ﴿فكلوا﴾ جواب الشرط. ﴿منها﴾ متعلق بكلوا.

﴿وأطعموا﴾ معطوف على كلوا. ﴿القانع﴾ مفعول به. ﴿والمعتر﴾ معطوف عليه. ﴿كذلك﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب نعت لمصدر مقدر. وذلك في محل جر بالكاف. ﴿سخرناها﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿لكم﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿لعلكم﴾ لعل واسمها. ﴿تشكرون﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل رفع خبر لعل. ﴿لن ينال﴾ فعل مضارع منصوب بلن. ﴿الله﴾ مفعول به. ﴿لحومها﴾ فاعل ينال. ﴿ولادماؤها﴾ معطوف على لحومها. ﴿ولكن يناله﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستدراك. والواو للعطف. والضمير المتصل بالفعل مفعول.

﴿**التقوى**﴾ فاعل ينال. ﴿**منكم**﴾ متعلق بمحذوف نعت للتقوى. ﴿**كذلك سخرها لكم**﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة كذلك سخرناها لكم. ﴿**لتكبروا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. واللام للتعليل. وما بعدها مجرور بها متعلق بسخرها. ﴿**على ما**﴾ متعلق بتكبروا. ﴿**هداكم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة ما. ﴿**وبشر**﴾ فعل أمر للمخاطب. والواو للعطف. ﴿**المحسنين**﴾ مفعول به. والجملة تذييل.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**إن الذين كفروا. .**﴾ هذا الكلام مستأنف استئنافاً بيانياً. . يبين سبب العذاب الذي أعد للذين كفروا في الدنيا والآخرة. وهو كفرهم وصدهم عن سبيل الله والمسجد الحرام. وفيه مع هذه المناسبة لما قبله تخلص بديع إلى ما بعده من بيان حق المسلمين في المسجد الحرام. وتهويل أمر الإلحاد فيه والتنويه به وتنزيهه عن أن يكون مأوى للشرك ورجس الظلم والعدوان. وتأكيد الخبر بحرف التأكيد للاهتمام به. وجاء يصدون في قوله: ﴿**ويصدون عن سبيل الله**﴾. بصيغة المضارع للدلالة على تكرر ذلك منهم، وأنه دأبهم سواء فيه أهل مكة وغيرهم؛ لأن البقية ظاهر وهم على ذلك الصد ووافقوهم. أما صيغة الماضي في قوله: إن الذين كفروا. . فلأن ذلك الفعل صار كاللقب لهم. وسبيل الله الإسلام. . فصدهم عنه هو الذي حقق لهم عذاب النار. والصد عن المسجد الحرام مما شمله الصد عن سبيل الله فخص بالذكر للاهتمام به. ووصف المسجد الحرام بقوله: ﴿**الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادي**﴾ للإيماء إلى علة مؤاخذة المشركين بصدهم عنه من يستحقه. . وخبر إن الذين كفروا. . محذوف دل عليه قوله: ﴿**ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم. .**﴾ فإن الصد عن سبيل الله إلحاد بظلم. . فهذه الجملة تذييل لما قبلها لما في مَن الشرطية من العموم. والباء في قوله: بإلحاد زائدة للتوكيد. والباء في قوله: بظلم للملابسة.

ومن في قوله: نذقه من عذاب أليم مزيدة للتوكيد. ﴿**وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت. .**﴾ فالكلام متصل بالعطف على ما قبله عطف قصة على قصة والكلام موجه إلى الرسول محمد ـ ﷺ ـ يُعلمه الله فيه حقيقة البيت، وما سبب الأمر ببنائه؟. . وما هو القصد من بنائه؟ جواب هذا الكلام: ﴿**أن لا تشرك بي شيئاً. .**﴾

فقوله ﴿**وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود**﴾ مؤذن بكلام مقدر دل عليه قوله: بوأنا لإبراهيم مكان البيت.. والمعنى: بوأنا وأمرناه ببناء البيت في ذلك المكان. وبعد أن بناه أوحينا إليه: لا تشرك بي شيئاً، وطهر بيتي.. وإضافة البيت إلى الله تشريف للبيت.

﴿**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق**﴾: هذه الآية متصلة بالعطف على جملة وطهر بيتي.. ففيه إشارة إلى أن من إكرام الزائر تنظيف المنزل، وأن ذلك يكون نزول الزائر بالمكان. وأذن بما فيه من مضاعفة الحروف مشعر بتكرير الفعل. والأمر موجه إلى إبراهيم؛ لأن أول من بنى هذا البيت وحج ودعا الناس في زمنه إلى الحج. وقد كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ رحالة.. فلعله كان ينادى في الناس في كل مكان يحل فيه. وقوله: ﴿**ليشهدوا منافع لهم**﴾، علة لإتيان الناس إلى البيت. وتنكير منافع للتعظيم المراد منه الكثرة.

وهي المصالح الدينية والدنيوية.. ففي مجمع الحج فوائد جمة للناس: لأفرادهم من الثواب والمغفرة لكل حاج.. ولمجتمعهم؛ لأن في الاجتماع صلاحاً في الدنيا بالتعارف والتعامل.. ﴿**ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام**﴾: خص من المنافع أن يذكروا اسم الله في أيام معلومات.. وهو النحر والذبح للهدايا في يوم النحر وما بعده من أيام التشريق. والأيام المعلومات أيام النحر.. والأيام المعدودات أيام الرمى من غير يوم العيد.. ﴿**فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير**﴾: مفرع على ما قبله.

وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب.. ثم عاد الأسلوب إلى الغيبة في قوله: ﴿**ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق**﴾. وهو الغرض المهم من مناسك الحج. ﴿**ذلك.. ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه**﴾: اسم الإشارة مستعمل هنا للفصل بين كلامين، أو بين وجهين من كلام واحد. والقصد منه التنبيه على الاهتمام بما سيذكر بعده. وهو من أساليب الاقتضاب في الانتقال.

وأوثر اسم إشارة البعيد ـ ذلك ـ للدلالة على بعد المنزلة، كناية عن تعظيم مضمون ما قبله، وجملة ومن يعظم حرمات الله.. متصلة بالعطف على جملة وإذْ بوأنا لإبراهيم مكان البيت.. عطف الغرض على الغرض. وهو انتقال إلى بيان ما يجب الحفاظ عليه من الحنيفية، والتنبيه إلى أن الإسلام بنى على أساسها. والكلام

موجه إلى المسلمين تنبيهاً لهم على أن تلك الحرمات لم يعطل الإسلام حرمتها.. ﴿**وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم**﴾: لما ذكر بهيمة الأنعام وتعظيم حرمات الله أعقب ذلك بإبطال ما حرمه المشركون على أنفسهم.. والمستثنى مذكور في آيات أخر كما هو معلوم.

﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور**﴾: تفريع على ما تضمنه الكلام السابق من كون حرمات الله يجب تعظيمها.. فجاء الأمر باجتناب ما ليس من حرمات الله. وهو ما يفعله المشركون من تعظيم الأوثان ومن قولهم: هذا حلال وهذا حرام.. و﴿**حنفاء لله**﴾: تكونوا إن اجتنبتم ذلك حنفاء لله. ﴿**غير مشركين به**﴾: بيان زائد على معنى حنفاء لله. كما في قوله تعالى: إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين. ﴿**ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق**﴾: أعقب نهيهم عن الأوثان بتمثيل فظاعة حال من يشرك بالله في مصيره بالشرك إلى حال انحطاط وتلقف الضلالات إياه ويأسه من النجاة ما دام مشركاً تمثيلاً بديعاً؛ إذ كان من قبيل التمثيل القابل لتفريق أجزائه إلى تشبيهات.. فالمشرك لما عدل عن الإيمان الفطري وكان في مكنته.. فكأنه كان في السماء فسقط منها فتوزعته أنواع المهالك.. فقوله: أو تهوي به الريح تخيير في نتيجة التشبيه.

أشارت الآية إلى أن الكافرين قسمان: قسم شركهُ ذبذبة وشك.. فهذا مشبه بمن تخطفته الطير.. وقسم مصمم على الكفر مستقر فيه.. فهو مشبه بمن ألقته الريح في مكان سحيق. ﴿**ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**﴾: هذا تكرير لنظيره السابق.. فمضمون ومن يعظم شعائر الله.. أخص من مضمون جملة ومن يعظم حرمات الله.. وذكر الأخص بعد الأعم للاهتمام. وعطف هذه الجملة للعناية بالشعائر: ﴿**لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق**﴾. فصلت الجملة عما قبلها فلم تعطف؛ لأنها جاءت بياناً لبعض الشعائر. وهي الهدايا التي تهدى للحرم أيام موسم الحج. وهو تشريع لإباحة الانتفاع بها انتفاعاً لا يتلفها.

وهو رد على المشركين إذ كانوا إذا قلدوا الهدى وأشعروه حظروا الانتفاع به: من ركوب وحمل عليه وشرب لبنه وغير ذلك. والأجل المسمى هو وقت نحرها.

﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام. . فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾: جاء هذا الكلام متصلاً بما قبله بالعطف زيادة في توضيح المقصود من المناسك وبيان الغرض من الهدايا. وهو أن يذكروا اسم الله عليها. والمقصود من هذا الرد على المشركين: إذ جعلوا لأصنامهم مناسك تشابه مناسك الحج، وجعلوا لها مواقيت ومذابح.

وقد فرع على هذا الانفراد بالإلهية بقوله: فإلهكم إله واحد. وهذا التفريع تمهيد للتفريع بعده: فله أسلموا. وهو المقصود. وتقديم المجرور في قوله: فله أسلموا للحصر. **﴿وبشر المخبتين: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم. والصابرين على ما أصابهم. والمقيمي الصلاة. ومما رزقناهم ينفقون﴾**. ذكرت هذه الآية هنا معترضة بين ذكر المنن السابقة واللاحقة. والخطاب موجه إلى الرسول ـ ﷺ ـ ومعنى المخبتين: ما جاء مبيناً له من قوله: الذين إذا ذكر الله. . وهي أربع صفات: وجل القلوب عند ذكر الله.

والصبر على الأذى في سبيله. وإقامة الصلاة. والإنفاق. وكل هذه الصفات الأربع مظاهر للتواضع. **﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾**: وصلت هذه الجملة بالعطف على جملة ولكل أمة جعلنا منسكاً. . وتقديم البدن على عامله للاهتمام بها تنويهاً بشأنها. ومعنى كونها من شعائر الله أن الله جعلها معالم تؤذن بالحج، وجعل لها حرمة. وجملة **﴿لكم فيها خير﴾** مستأنفة مقررة لما قبلها. وتقديم لكم على المبتدإ ليتأتى كون المبتدإ نكرة ليفيد تنوينه التعظيم.

وتقديم فيها على متعلقه وهو خير للاهتمام بما تجمعه وتحتوي عليه من الفوائد. وفرع على ذلك أن أمرهم بأن يذكروا اسم الله عليها حين نحرها: **﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾**: بيان لكيفية نحر الهدايا بأن تكون مجتمعة منتظمة. . **﴿فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾**: تفريع على قوله: فاذكروا اسم الله عليها صواف.

والقصد من هذا التوقيت المبادرة بالانتفاع بها إسراعاً إلى الخير الحاصل منها. وهذا إبطال لما كان عليه أهل الجاهلية من تحريم الانتفاع مما يتقرب به إلى آلهتهم. . وجملة **﴿كذلك سخرناها لكم﴾** استئناف للامتنان بما خلق من المخلوقات لنفع الناس. والأمارة الدالة على إرادة ذلك أنه سخرها للناس مع

ضعف الإنسان وقوة تلك الأنعام.. ومعنى ﴿**لعلكم تشكرون**﴾: خلقناها مسخرة لكم استجلاباً لأن تشكروا الله بإفراده بالعبادة. وهذا تعريض بالمشركين إذ وضعوا الشرك موضع الشكر.

﴿**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم**﴾: فصل الكلام عما قبله فلم يعطف: لأنه تعليل لجملة كذلك سخرناها لكم.. والمقصود من نفي أن يصل إلى الله لحومها ودماؤها إبطال ما يفعله المشركون من نضح الدماء في المذابح وحول الكعبة والتلطيخ به. ونشر أجزاء من اللحم تبركاً به.. فإراقة الدماء وتقطيع اللحوم ليسا مقصودين بالتعبد، ولكنهما وسيلة لنفع الناس بالهدايا.. فكان توهم التقرب بتلطيخ دماء القرابين وانتفاع المتقرب إليه بتلك الدماء عقيدة وثنية قديمة.. فربما كانوا يطرحون ما يتقربون به من لحم وطعام فلا يدعون أحداً يأكله. وكان اليونان يحرقون لحوم القرابين حتى تصير رماداً. ويتوهمون أن رائحة الشواء تسر الآلهة المتقرب إليها بالقرابين. وكان المصريون يلقون الطعام للتماسيح التي في النيل لأنها مقدسة. ﴿**كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين**﴾: إعادة قوله: كذلك سخرها لكم على قوله كذلك سخرناها لكم تنبيه إلى أن الثناء على الله مسخرها هو رأس الشكر المنبه عليه في الآية السابقة. ففي هذه الآية توكيد وزيادة توجيه وبيان لما عليه المؤمن من الإحسان بخلاف الكافرين الذين يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام.. فهو رد العجز على الصدر. وهو ربط الكلام آخره بأوله. حتى ينسجم الموضوع ويتسق السياق على نسق واحد بداية ونهاية!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد...**﴾: في هذا التوجيه حديث عن الذين كفروا وموقفهم من الدعوة التي جاء بها الإسلام وما فعلوا ويفعلون مع الذين تابعو النبئ ـ عليه الصلاة والسلام.. فقد عارضوا الدعوة في مكة ومنعوا المسلمين من الصلاة في المسجد الحرام. وفي هذا كفر بالله وصد عن سبيله وصد عن عبادة الله في بيت الله... فكان ذلك فعل المشركين من قريش: صد الناس عن دين الله، وهو سبيله الواصل إليه، وهو طريقه الذي شرعه للناس، وهو نهجه

الذي اختاره للعباد، ومنع المسلمين من العمرة ـ كما فعلوا عام الحديبية.

وهو صد عن المسجد الحرام، وهو الذي جعله الله للناس منطقة أمان ودار سلام وواحة اطمئنان... يستوي فيه المقيم، بمكة والطارىء عليها... فهو بيت الله الذي يتساوى فيه عباد الله... فلا يملكه أحد منهم، ولا يمتاز فيه أحد منهم: سواء العاكف فيه والبادي، وهكذا سبق الإسلام سبقاً بعيداً بإنشاء واحة السلام، ومنطقة الأمان، ودار الإنسان المفتوحة لكل إنسان!... والنص القاطع يهدد كل من يريد اعوجاجاً في هذا النهج المستقيم بالعذاب الأليم: ﴿**ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم**...﴾ فما بال من يريد ويفعل؟!.. إن التعبير يهدد ويتوعّد على مجرد الإرادة زيادة في التحذير، ومبالغة في التوكيد، وذلك من دقائق التعبير.

ويرجع بالكلام إلى كيفية نشأة هذا البيت والغرض من إنشائه... فيرجع إلى نشأته على يد إبراهيم بتوجيه ربه وإرشاده. ويرجع إلى القاعدة التي أقيم عليها، وهي قاعدة التوحيد. وإلى الغرض من إقامته. وهو عبادة الله الواحد. وتخصيصه للطائفين والقائمين: ﴿**وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود**...﴾ فللتوحيد أقيم هذا البيت من أول لحظة: عرّف الله مكانه لإبراهيم ـ وأمره بأن يقيمه على هذا الأساس: ألاّ تشرك بي شيئاً... فهو بيت الله وحده دون سواه... وأمره أن يطهره من الأرجاس المعنوية والأوساخ المادية للطائفين به والقائمين للدعاء فيه: وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود... فهؤلاء هم الذين أُنْشِئَ البيت لهم... فليس البيت للمشركين المتنجسين حساً ومعنىً، الذين يعبدون الأصنام ويتوجهون بالعبادة إلى غير الله...

التوجيه الثاني: ﴿**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق**﴾: في هذا التوجيه أمْرُ الله لإبراهيم بدعوة الناس إلى حج هذا البيت الذي جعل للناس جميعاً: سواء القريب والبعيد... فيتقاطرون على هذا البيت من كل فج: رجالاً يسعون على أقدامهم... وركوباً على كل ضامر جهده السير فضمر من التعب والجوع...

وما يزال وعد الله يتحقق منذ أن دعا إبراهيم ـ عليه السلام ـ الناس إلى حج هذا البيت إلى اليوم وإلى الغد... وما تزال أفئدة من الناس تهوى إلى البيت

الحرام، وترف إلى رؤيته والطواف به. . . الغني القادر الذي يجد الظهر يركبه، ووسيلة الركوب المختلفة تنقله. والفقير المعدم الذي لا يجد إلا قدميه. وعشرات الألوف من هؤلاء يتقاطرون من فجاج الأرض البعيدة تلبية لدعوة الله التي أذن بها إبراهيم منذ آلاف الأعوام. ويقف السياق يبين بعض معالم الحج وغاياته: ﴿**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام. . .**﴾ فالمنافع التي يشهدها الحجيج كثيرة. . . فالحج موسم ومؤتمر: الحج موسم تجارة وموسم عبادة.

والحج مؤتمر اجتماع وتعارف، ومؤتمر تنسيق وتعاون. وهو الفريضة التي تلتقي فيها فوائد الدنيا وثواب الآخرة، كما تلتقي فيها ذكريات العقيدة البعيدة والقريبة. . . أصحاب السلع والتجارة يجدون في موسم الحج سوقاً رائجة. حيث تجيء إلى البلد الحرام ثمرات كل شيء من أطراف الأرض. ويقدم الحجيج من كل فج ومن كل قطر، ومعهم من خيرات بلادهم ما تفرق في أرجاء الأرض في شتى المواسم. يتجمع كله في البلد الحرام في موسم واحد. . . فهو موسم تجارة ومعرض نتاج وسوق عالمية تقام في كل عام. والحج موسم عبادة تصفو فيه الأرواح وهي تستشعر قربها من الله في بيته الحرام. وهي ترف حول هذا البيت وتستروح الذكريات التي تحوم عليه وترف كالأطياف من قريب ومن بعيد: طيف إبراهيم الخليل، وهو يودع البيت فلذة كبده إسماعيل وأمه. . . فيتوجه بقلبه الخافق الواجف إلى ربه: ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم. . . ربنا ليقيموا الصلاة. . . فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون. . . وطيف إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ـ يرفعان القواعد من البيت في إنابة وخشوع: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. . . ثم تتواكب الأطياف والذكريات من إبراهيم وإسماعيل إلى رسول الله محمد صلي الله عليه وسلم عليهم أجمعين. . . فيتذكر الحاج قصة الفيل وأحداثها. . . وقصة الدعوة وأحداثها. . . وبيعة الأنصار ونتائجها. . . والحج بعد ذلك كله مؤتمر جامع للمسلمين قاطبة.

مؤتمر يجدون فيه أصلهم العريق الضارب في أعماق الزمن منذ أبيهم إبراهيم

الخليل: ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا. . . ويجدون محورهم الذي يشدهم جميعاً إليه: هذه القبلة التي يتوجهون إليها جميعاً ويلتقون عليها جميعاً. . . ويجدون رايتهم التي يفيئون إليها: راية العقيدة الواحدة التي تتوارى في ظلها فوارق الأجناس والألوان والأوطان. . . ويجدون قوتهم التي قد ينسونها حينا. . . قوة التجمع والتوحد والترابط الذي يضم الملايين: الملايين التي لا يقف لها أحد لو فاءت إلى رايتها الواحدة التي لا تتعدد: راية العقيدة والتوحيد! وهو مؤتمر للتعارف والتشاور وتنسيق الخطط وتوحيد القوى وتبادل المنافع والسلع والمعارف والتجارب. . . وتنظيم ذلك العالم الإسلامي الواحد الكامل المتكامل مرة في كل عام، في ظل الله، بالقرب من بيت الله.

وفي ظلال الطاعات البعيدة والقريبة والذكريات الغائبة والحاضرة، في أنسب مكان وأنسب جو وأنسب زمان. . . فذلك إذ يقول الله سبحانه: ليشهدوا منافع لهم. . . كل جيل بحسب ظروفه وحاجاته وتجاربه ومقتضياته. وذلك بعض ما أراده الله بالحج يوم أن فرضه وأمر إبراهيم أن يؤذن به في الناس. ويمضي السياق يشير إلى بعض مناسك الحج وشعائره وأهدافها. ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام. . . فالأيام المعلومات أيام العيد الثلاثة. وهي أيام التشريق. تشريق لحم الهدايا وتوزيعه. والنص يقدم ذكر اسم الله المصاحب لنحر الذبائح. . . فالمقصود من النحر هو التقرب إلى الله.

ومن ثم. . . فإن أظهر ما يبرز في عملية النحر هو ذكر اسم الله على الذبيحة. وكأنما هو المقصود من النحر لا النحر ذاته. . . والنحر ذكرى لفداء إسماعيل. . . فهو ذكرى لآية من آيات الله وطاعة من طاعات عبديه: إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ فوق ما هو صدقة وقربى لله بإطعام الفقراء. والأمر بالأكل من الذبيحة يوم النحر هو أمر للإباحة أو الاستحباب، وهو أظهر لمخالفة المشركين في تركهم القربان، دون أكل منه تعبداً وتزهداً. . . أما الأمر بإطعام البائس الفقير فهو أمر للوجوب.

وهو الغرض الذي شرعت من أجله: ﴿**فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير**. . .﴾ وبالنحر ينتهي الإحرام. . . فيحل للحاج حلق شعره أو تقصيره، وقص الأظافر والاستحمام. . . مما كان ممنوعاً عليه في فترة الإحرام. وهو الذي

يقول عنه: ﴿**ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم**...﴾ التي نذروهامن الذبائح غير الهدي الذي هو من أركان الحج التي يوجبها بسبب من أسباب الهدي المعروفة... ﴿**وليطوفوا بالبيت العتيق**...﴾ طواف الإفاضة بعد الوقوف بعرفات وبه يحل للحج ما كان ممنوعاً عليه من محرمات الإحرام. والبيت العتيق هو المسجد الحرام حفظه الله فلم يغلب عليه جبار. وحفظه الله من البلى والدثور فما يزال معموراً منذ إبراهيم، ولن يزال.

تلك قصة بناء البيت الحرام. وذلك أساسه الذي قام عليه... فهو البيت الذي أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام بإقامته على التوحيد، وتطهيره من الشرك... وأمره أن يؤذن في الناس بالحج إليه. ليذكروا اسم الله، لا أسماء الآلهة المدعاة، على ما رزقهم من بهيمة الأنعام. ويأكلوامنها ويطعموا البائس الفقير على اسم الله دون سواه. فهو بيت حرام حرمات الله فيه مصونة، وأولها عقيدة التوحيد، وفتح أبوابه للطائفين والقائمين والركع السجود. إلى جانب حرمة الدماء وحرمة العهود والمواثيق وحرمة الهدنة والسلام.

التوجيه الثالث: ﴿**ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه**...﴾ في هذا التوجيه بيان لحرمات الله... وبيان لما فيها من الخير عند الله، وفيه تشريف لمن يعظم حرمات الله. وتعظيم حرمات الله يتبعه التحرج من المساس بها. وذلك خير عند الله. خير في عالم الضمير والمشاعر. وخير في عالم الحياة والواقع... فالضمير الذي يتحرج هو الضمير الذي يتطهر. والحياة التي ترعى فيها حرمات الله هي الحياة التي يأمن فيها البشر من البغي والاعتداء.

ويجدون فيها مثابة أمن وراحة سلام ومنطقة اطمئنان... ولما كان المشركون يحرمون بعض الأنعام ـ كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي.... ـ فيجعلون لها حرمة وهي ليست من حرمات الله بينما هم يعتدون على حرمات الله... فإن النص يتحدث عن حل الأنعام إلا ما حرم الله منها؛ كالميتة والدم... وما أهل لغير الله به: ﴿**وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم**...﴾ وذلك كي لا تكون هنالك حرمات إلا لله، وألاّ يشرّع أحد إلا بإذن الله، ولا يحكم إلا بشريعة الله. وبمناسبة حل الأنعام يأمر باجتناب الرجس من الأوثان.

وقد كان المشركون يذبحون عندها ويذكرون اسمها على ذبائحهم... فهي

رجس وخبث ووسخ... فالرجس دنس للنفس. والشرك بالله دنس يصيب الضمير ويلوث القلوب، ويشوب نقاءها وطهارتها كما شوب النجاسة الثوب والمكان؛ ولأن الشرك افتراء على الله وزور... فهو يحذر من قول الزور كافة: ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور**...﴾ ويغلظ النص من جريمة قول الزور إذ يقرنها إلى الشرك... إنما يريد الله من الناس أن يميلوا عن الشرك كله... وأن يجتنبوا الزور كله... وأن يستقيموا على التوحيد الصادق الخالص: ﴿**حنفاء لله غير مشركين به**...﴾ ثم يرسم النص مشهداً عنيفاً يصور حال من تزل قدماه عن أفق التوحيد فيهوي إلى درك الشرك فإذا هو ضائع ذاهب بدداً كأن لم يكن من قبل: ﴿**ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق**...﴾ إنه مشهد الهوى من شاهق... وفي مثل لمح البصر يتمزق... أو تقذف به الريح بعيداً عن الأنظار في هوة ليس لها قرار... والملحوظ هو سرعة الحركة مع عنفها وتعاقب خطواتها في اللفظ، وفي المنظر بسرعة الاختفاء... فهي صورة صادقة لحال من يشرك بالله.... فيهوي من أفق الإيمان السامق إلى حيث الفناء والانطواء... إذ يفقد القاعدة الثابتة التي يطمئن إليها. قاعدة التوحيد.

ويفقد المستقر الآمن الذي يؤوب إليه... فتتخطفه الأهواء تخطف الجوارح.. وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرياح... وهو لا يمسك بالعروة الوثقى، ولا يستقر على القاعدة الثابتة التي تربطه بهذا الوجود الذي يعيش فيه... ثم يعود السياق من تعظيم حرمات الله باتقائها والتحرج من المساس بها... إلى تعظيم شعائر الله ـ وهي ذبائح الحج ـ باستسمانها وغلاء أثمانها: ﴿**ذلك... ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**...﴾ فيربط بين الهدي الذي ينحره الحاج وتقوى القلوب؛ إذ أن التقوى هي الغاية من مناسك الحج وشعائره... فهذه المناسك والشعائر إن هي إلا رموز تعبيرية عن التوجه إلى رب البيت وطاعته.

وقد تحمل في طياتها ذكريات قديمة من عهد إبراهيم وما تلاه... وهي ذكريات الطاعة والإنابة، والتوجه إلى الله منذ نشأة هذه الأمة المسلمة... فهي والدعاء والصلاة سواء. وهذه الأنعام التي تتخذ هدياً ينحر في نهاية أيام الإحرام يجوز لصاحبها الانتفاع بها. إن كان في حاجة إليها يركبها... أو في حاجة إلى

ألبانها يشربها... حتى تبلغ محلها وهو البيت العتيق... ثم تنحر هناك: ﴿**لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق...**﴾ فهذه الذبائح يذكر القرآن الكريم أنها شعيرة معروفة شرعها الله لكل أمة مستقيمة على شرع الله... ثم انحرفت بعض الأمم عن شرع الله فغيرت هذه الشعيرة إلى مقاصد أخرى جاهلية... فجاء الإسلام... فوجهها وجهتها الصحيحة حين يتوجه بها إلى الله وحده دون سواه: ﴿**ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام...**﴾ فالإسلام يوجّه المشاعر والاتجاهات، ولا يجعلها تتيه في الأوهام والضلالات... فيتوجه بها كلها إلى الله... فصل لربك وانحر.. فمن ثم يعني بتوجيه الشعور والعمل... قل: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين.

والإسلام يوجه العبادة والنشاط والحركة كلها ولو كانت عادة إلى تلك الوجهة الواحدة. وبذلك تصطبغ الحياة كلها بصبغة العقيدة الأصيلة الجادة. وعلى هذا الأساس حرم من الذبائح ما أهل لغير الله به مثل ما يذبح للقبور والأنصاب وباسم الملوك والرؤساء والأحباب بقصد التقرب إليهم واحتفال بمقدمهم كما يفعل الآن كل منافق نصّاب! وقد فرض الإسلام ذكر اسم الله على الذبيحة.. واللفظ وحده لا يكفي... بل القصد والتوجه هو فصل الخطاب!... فيجعل اسم الله على الذبيحة هو الغرض البارز وتحته القصد المميز بين الخطإ والصواب!... ثم يعقب النص بتقرير الوحدانية: ﴿**فإلهكم إله واحد...**﴾ وبالأمر بالإسلام له وحده: ﴿**فله أسلموا...**﴾ وليس هو إسلام الإجبار والاضطرار إنما هو إسلام التسليم والاطمئنان: ﴿**وبشر المخبتين...**﴾ ومن هم المخبتون؟ ﴿**الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم...**﴾ فبمجرد ذكر الله يحرك الوجل في ضمائرهم ومشاعرهم... ﴿**والصابرين على ما أصابهم...**﴾ فلا اعتراض لهم على قضاء الله فيهم... ﴿**والمقيمي الصلاة...**﴾ فهم يعبدون الله حق عبادته... ﴿**ومما رزقناهم ينفقون...**﴾ فهم لا يضنون على الله بما في أيديهم... وهكذا يربط بين العقيدة والشعائر... فهي منبثقة من العقيدة وقائمة عليها.

والشعائر تعبير عن هذه العقيدة ورمز لها. والمهم أن تصطبغ الحياة كلها ويصطبغ نشاطها كله بتلك الصبغة فتتوجه الطاقة ويتوحد الاتجاه، ولا تتمزق

النفس الإنسانية في شتى الاتجاهات... ويستطرد السياق في تقرير هذا المعنى وتوكيده، وهو يبين شعائر الحج بنحر البدن: ﴿**والبدن جعلناها لكم من شعائر الله...**﴾ فيخص البدن بالذكر لأنها أعظم الهدي... فيقرّ أن الله أراد بها الخير لهم: ﴿**لكم فيها خير...**﴾ فجعل فيها خيراً: وهي حية تركب وتحلب وهي ذبيحة تُهدى وتُطعم... فجزاء ما جعلها الله خيراً لهم: أن يذكروا اسم الله عليها ويتوجهوا بها إليه، وهي تُهيَّأ للنحر بصفّها: ﴿**فاذكروا اسم الله عليها صواف... فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر...**﴾ فلهذا سخرها الله للناس ليشكروا على ما قدّر لهم فيها من الخير حيّة وذبيحة: ﴿**كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون...**﴾ وهم حين يؤمرون بنحرها باسم الله: ﴿**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها...**﴾ فإن اللحوم والدماء لا تصل إلى الله... ﴿**ولكن يناله التقوى منكم...**﴾. إنما تصل إليه تقوى القلوب وتوجهاتها.

لا كما كان المشركون يلطخون أوثانهم وآلهتهم بدماء القرابين على طريقة الشرك المنحرفة الغليظة!... ﴿**كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم...**﴾ فقد هداكم إلى توحيده والاتجاه إليه، وإدراك حقيقة الصلة بين الرب والعباد، وحقيقة الصلة بين العمل والاتجاه: ﴿**وبشر المحسنين**﴾، الذين يحسنون التصور، ويحسنون الشعور، ويحسنون العبادة، ويحسنون الصلة بالله في كل نشاط الحياة. وهكذا لا يخطو المسلم في حياته خطوة ولا يتحرك في ليله أو نهاره حركة إلا وهو ينظر فيها إلى الله ويجيّش قلبه فيها بتقواه، ويتطلع فيها إلى وجهه ورضاه... فإذا الحياة كلها عبادة تتحقق بها إرادة الله من خلق العباد وتصلح بها الحياة في الأرض وهي موصولة السبب بالسماء والملإ الأعلى! قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين.

تلك الشعائر والعبادات لا بد لها من حماية تدفع عنها الذين يصدون عن سبيل الله وتمنعهم من الاعتداء على حرية العقيدة وحرية العبادة. وعلى قداسة المعابد وحرمة المشاعر والشعائر... فمن ثم أذن الله للمسلمين بعد الهجرة في قتال المشركين ليدفعوا عن أنفسهم وعن عقيدتهم اعتداء المعتدين بعد أن بلغ أقصاه وليحققوا لأنفسهم ولغيرهم حرية العقيدة وحرية العبادة في ظل دين الله.

5 ـ دفاع الله عن أهل الإسلام تأييد لدعوة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام

النص

* إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ (36)
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ
لَقَدِيرٌ (37) ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ
رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ
لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا
ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (38)
ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ
وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ (39)
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ
وَعَادٞ وَثَمُودُ (40) وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ (41) وَأَصۡحَٰبُ
مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ
فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ (42) فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا
وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ
وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ (43) أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ
قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى

ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿44﴾
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ
رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿45﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿46﴾ * قُلْ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿47﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿48﴾ وَٱلَّذِينَ
سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿49﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ
أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ
ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿50﴾ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿51﴾ وَلِيَعْلَمَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿52﴾
وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ
ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿53﴾
ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿54﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟

بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿55﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ
رِزْقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿56﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم
مُّدْخَلٗا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿57﴾ * ذَٰلِكَۖ
وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ
لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿58﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ
فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿59﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ
هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ
ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿60﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ
مُخْضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿61﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿62﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي
فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿63﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿64﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ

وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿65﴾ وَإِن جَادَلُوكَ
فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿66﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿67﴾
* أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ
إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿68﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
مِن نَّصِيرٍ ﴿69﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ
عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ
وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿70﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا
وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ
ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿71﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿72﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي
مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
بَصِيرٌ ﴿73﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿74﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا

وَاسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَافْعَلُواْ الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ (75) وَجَاهِدُواْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ
هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ
مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ
وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ
وَاعْتَصِمُواْ بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (76)

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**إن الله يدافع عن الذين آمنوا**﴾: يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله حسبما تجدد منهم القصد إلى الإضرار بالمسلمين: ﴿**إن الله لا يحب كل خوان كفور...**﴾ الخوان: شديد الخوْن. والخون كالخيانة: الغدر بالأمانة. والمراد بالخوان هنا الكافر؛ لأن الكفر خيانة لعهد الله الذي أخذه الله على بني آدم. والكفور: شديد الكفر... ﴿**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا**﴾: رخص للذين كانوا مضطهدين في الرد بالمثل... فإن قاتلوكم فاقتلوهم... بسبب ما حصل لهم من التعدي والأذى من قبل المشركين في مكة: ﴿**وإن الله على نصرهم لقدير...**﴾ فوعدهم بالنصر بعدما كانوا ملتزمين بالصبر: ﴿**الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله...**﴾ فقولهم: ربنا الله لا يوجب إخراجهم من ديارهم... فإخراجهم من ديارهم على هذه الحال اعتداء على حق الغير: ﴿**ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً...**﴾ فهذا بيان لحكمة

الدفاع عن الحق في كل زمان ومكان وجاء مع كل رسول حكماً من أحكام الأديان.

الصوامع: جمع صومعة. وهي بناء مستطيل مرتفع يصعد إليه بدرج وبأعلاه بيت. كان الرهبان من النصارى يتخذونه للعبادة ليكونوا بعداء عن مشاغلة الناس إياهم. وكانوا يوقدون به مصابيح للإعانة على السهر للعبادة، ولإضاءة الطريق للمارين. من أجل ذلك سميت الصومعة بالمنارة. قال امرؤ القيس: تضيء الظلام بالعشي كأنها: منارة مُمْسى راهب متبتل. والبيع: جمع بيعة. وهي معبد النصارى في المدن والقرى. والمراد بها كنائس النصارى قبل مجيء الإسلام. والصلوات: جمع صلاة. المراد بها كنائس اليهود. وأصلها في العبرية: صلوتا.

ومساجد: جمع مسجد. الأصل فيه محل السجود... ثم استعمل شرعاً للمساجد في الإسلام. وأول مسجد بناه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسجد المدينة. ﴿**يذكر فيها اسم الله كثيراً**﴾: وصف لما تقدم... على حسب ما كانت عليه من صحة ديانة موسى وديانة عيسى وديانة أهل التوحيد... ولما جاء الإسلام ناسخاً وخاتماً لا تعتبر هذه المعابد الآن محلاً لذكر الله: ﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز...**﴾ فهذا وعد للمؤمنين ووعيد وتهديد للكافرين... ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾: هذا بيان لمن ينصر الله فينصره الله: وهم من وصفوا بهذه الأوصاف. التمكين: التوثيق وأصله إقرار شيء في مكان. وهو مستعمل هنا في التسليط والتمليك.

﴿**وإن يكذبوك**﴾: إن يحصل من قومك تكذيب لك يا محمد فلا تعجب من ذلك؛ ﴿**فقد كذبت قبلهم قوم نوح...**﴾ إلى آخر الآية. والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول ـ عليه الصلاة والسلام. والإملاء: ترك المتلبس بالعصيان دون تعجيل عقوبته وتأخيرها إلى وقت لاحق. والأخذ، حقيقته: التناول بما لم يكن في اليد. واستعمل هنا للقدرة عليهم بتسليط الإهلاك بعد إمهالهم. وجملة ﴿**فكيف كان نكير**﴾ استفهام تعجيبي. والمعنى: فاعجب من تكبري كيف حصل!. والنكير: الإنكار الزجرى لتغيير الحالة التي عليها الذي ينكر عليه: ﴿**فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة..**﴾ كأيّن: اسم دال على الإخبار عن عدد كثير.

والقرية: المكان العامر بأهله المستقرين فيه. ﴿**فهي خاوية على عروشها**...﴾ الخواء: السقوط، من خوى النجم إذا سقط. والعروش: جمع عرش. وهو السقف... ﴿**وبئر معطلة**...﴾ البئر المعطلة: ما كان بها ماء لا ينتفع به لهلاك أهلها. ﴿**وقصر مشيد**...﴾ القصر: المسكن المبني بالحجارة المجصص، المكون من عدة حجرات ومرافق للراحة والنزهات. والمشيد: البناء المرتفع المجصّص... فلا يرقى لعلوه، ولا ينقب لشدته! ﴿**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها**﴾؟: الاستفهام تعجيبي من حالهم في عدم الاعتبار بمصارع الأمم المكذبة لأنبئائها.

وكأن سيرهم لم يكن؛ لأن قلوبهم لم تع، وآذانهم لم تسمع: ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**...﴾ فهذا هو حالهم وواقعهم... ولكنهم يكابرون ويستهزئون: ﴿**ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون**...﴾ فهم يستعجلونك بالعذاب استهزاء وتكذيباً لجهلهم بأن وعد الله حق. ولقصر نظرهم في عدّ السنين بالشهور والأيام: وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون! ﴿**وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير**﴾!. تقدم معنى هذه الكلمات فيما سبق... فجملة وإليّ المصير تذليل مقرر لمضمون ما سبق من الإهلاك في الدنيا... ثم مصيرهم يوم القيامة إلى اللهفيجازيهم على كفرهم بالعذاب الدائم الأليم: ولعذاب الآخرة أشد وأبقى. ﴿**قل: يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين**...﴾ فهذه الآية تبين وظيفة الرسول... فالنذير: المحذّر من شر متوقع.

والمبين: المفصح الموضع... ﴿**فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم**﴾: تفريع وتعقيب لما سيتوقع من أمر إنذار الناس... فالذين خافوا هذا الإنذار فآمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما سبق منهم من الشرك والكفر والعصيان... ورزق كريم... ﴿**والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم**..﴾ فالذين سَعوْا هُمُ الفريق المقابل للذين آمنوا. والسعي: المشي الشديد... ويطلق على شدة الحرص في العمل. والمعاجز: السابق الطالب عجز مسايره عن الوصول إلى غايته وعن اللحاق به.

﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبئ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في**

أمنيته...﴾ فالرسول: هو الرجل المبعوث من الله إلى الناس بشريعة... والنبئ: من أوحى الله إليه بإصلاح أمر قوم يحملهم على شريعة سابقة... فالنبئ أعم من الرسول... فكل رسول نبئ وليس كل نبئ رسولاً. والتمني: كلمة مشهورة. وحقيقتها: طلب الشيء العسير حصوله. والأمنية: الشيء المُتَمَنَّى. وإنما يتمنى الرسل والأنبئاء أن يكون قومهم كلهم صالحين مهتدين والإلقاء: رمي الشيء من اليد. واستعمل هنا للوسوسة وتسويل الفساد التي يلقيها الشيطان في قلوب المكذبين. والله تعالى يعيد الإرشاد ويكرر الهدى على لسان الرسول ويفضح وساوس الشيطان وسوء فعله بالبيان الواضح... **﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان... ثم يحكم الله آياته...﴾** فالنسخ هنا معناه الإزالة.

والإحكام التثبيت **﴿ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾**. لام ليجعل لام العاقبة. والذين في قلوبهم مرض هم المترددون في قبول الإيمان. والقاسية قلوبهم هم الكافرون المصممون على الكفر. والفريقان هم المراد بالظالمين في قوله: **﴿وإن الظالمين لفي شقاق بعيد﴾**. والشقاق: الاختلاف والعداوة... والبعيد هنا مستعمل في معنى البالغ حداً قوياً في حقيقته. **﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به...﴾** اللام في قوله: وليعلم لام التعليل.

والذين أوتوا العلم هم المؤمنون. وهذا ثناء على أصحاب الرسل بأنهم أوتوا العلم. وهو علم الدين الذي جاءت به الرسل... **﴿فتخبت له قلوبهم..﴾** الإخبات: الاطمئنان والخشوع. **﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾**: الذين كفروا هنا من كفر بالقرآن، بقرينة قوله: ولا يزال... وحتى تأتيهم الساعة... واليوم العقيم: اليوم المشؤوم... **﴿الملك يومئذٍ لله يحكم بينهم..﴾** الملك: السلطان والتصرف الكامل الشامل يوم إذ تأتيهم الساعة لله وحده فلا أحد يملك شيئاً في ذلك اليوم.

يحكم بينهم بإظهار المحق وإبطال المبطل... **﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم﴾**: هذا تفصيل لأثر الحكم... **﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا... فأولئك لهم عذاب مهين. والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنّهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين. ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن**

الله لعليم حليم﴾: الذين هاجروا في سبيل الله هم الذين خرجوا من مكة إلى المدينة: الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق... والذين قتلوا هم من استُشهد في قتال الكفار. والرزق الحسن والمدخل المرضي هي الجنة وما فيها من النعيم المقيم أعدت للمؤمنين السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان... وخص المهاجرين هنا لمزية الهجرة.

والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون. الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون. **﴿ذلك... ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغِيَ عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور﴾**: جيء باسم الإشارة للفصل بين الكلامين فما بعد اسم الإشارة راجع إلى الكلام السابق من قوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا... فعاد الكلام هنا إلى الوعد بنصر الله القوم المعتَدَى عليهم كما وعدهم بأن يدخلهم في الآخرة مدخلاً يرضونه والمراد بالعقاب في قوله ومن عاقب القتال الذي أذن فيه للمؤمنين. وفي قوله: بمثل ما عوقب به إخراج المؤمنين من ديارهم بغير حق وما حصل قبله.. والبغي: التعدي على الغير بدون حق.

ولينصرنه الله هو قسم من الله على نصر المهاجرين. **﴿ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾**: يشير بقوله: ذلك إلى النصر المتقدم. أي: ذلك النصر واقع بسبب أنه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض، والمداولة بين الأشياء المتضادة، مثل ما يحصل بين الليل والنهار من زيادة ونقصان وغشيان ظلمة الليل على ضوء النهار وبالعكس. وهذا هو معنى الإيلاج. وهو إدخال شيء في شيء آخر... وهما مثل للكفر والإيمان. قد يتغلب الكفر على الإيمان. وتلك الأيام نداولها بين الناس. **﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما تدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير﴾**: اسم الإشارة هنا تكرير لاسم الإشارة الذي سبقه.

والحق: الأمر المطابق للواقع. مأخوذ من حق الشيء إذا ثبت. والباطل ضد الحق... فالأصنام المدّعاة لا حقيقة لها. **﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير﴾**: هذا استدلال على انفراد الله بالخلق والتصريف والتدبير... فهو الرب الحق المستحق للعبادة. وتصبح معناه صيرورة

الشيء في الصباح. واخضرار الأرض ظهور النبات الأخضر. وجملة إن الله لطيف خبير في موقع التعليل للإنزال. أي: أنزل الماء المتفرع عليه الاخضرار؛ لأنه لطيف: رفيق بمخلوقاته، ولأنه عليم بترتيب المسببات على أسبابها. ﴿**له ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد**﴾: هذا تنبيه على اختصاص الله بالخالقية والملك الحق.

﴿**ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجرى في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه**﴾: هذا استدلال على ما تقدم.. فالتسخير: تسهيل الانتفاع بدون مانع. والإمساك: الشد. والوقوع: السقوط. وموقع جملة ﴿**إن الله بالناس لرؤوف رحيم**﴾ موقع التعليل للتسخير. والإمساك باعتبار الاستثناء؛ لأنه في جميع ذلك رأفة بالناس... والرؤوف صفة مشبهة. وهي صفة تقتضي صرف الضر. والرحيم: صفة تقتضي النفع لمحتاجه... ﴿**وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم...**﴾ أحياكم: في الدنيا... ثم يميتكم بعد هذه الحياة... ثم يحييكم بالبعث يوم القيامة. ﴿**إن الإنسان لكفور**﴾: الإنسان المشرك. والكفور: مبالغة في الكافر.

﴿**لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه...**﴾ المنسك هنا: المنهج والطريقة المتعبد بها.. ﴿**فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم**﴾: فبعد ما تبين منهج الإسلام بتوضيح المناسك المطلوبة... فلا ينازعنك في هذا الأمر الواضح الذي بينه لك ربك وادع إليه الناس جميعاً؛ لأنك على الحق المبين وعلى الصراط المستقيم: ﴿**وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون. الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون**﴾: إن تبين عدم اقتناعهم بالأدلة التي تقطع المنازعة وأبوا إلا دوام المجادلة تشغيباً واستهزاء ففوض أمرهم إلى الله تعالى.

وجملة الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون خطاب موجه إلى الرسول والمؤمنين فيه تأييد لهم. ﴿**ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض**﴾: زيادة في تحقيق التأييد الذي تضمنه سابقه... وجملة ﴿**إن ذلك في كتاب**﴾ بيان للجملة قبلها... فشأن ما في الكتاب أن لا تتطرق إليه الزيادة والنقصان. وجملة ﴿**إن ذلك على الله يسير**﴾ بيان لمضمون ما تقدم من الكلام.. ﴿**ويعبدون من دون**

الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم﴾: يعبدون ما لا يجدون عذراً لعيادته من الشرائع السالفة، وما ليس لهم به علم من عقيدة جازمة؛ لأن العقيدة الجازمة لا تكون إلا عن دليل.

ويرجون نصر ما يعبدون ظلماً: ﴿**وما للظالمين من نصير. . .**﴾ فلا تنفعهم عبادة الأصنام. ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر. . .**﴾ الآيات البينات: الدلائل والحجج التي جاء بها القرآن. والمنكر الذي يعرف في وجوه الذين كفروا: ما يظهر على وجوههم من الغيظ والغضب. وجملة ﴿**يكادون يسطون**﴾ من جملة المنكر الذي يظهر في وجوههم. والسطو: البطش. والمعنى: يقربون أن يصولوا على الذين يتلون عليهم الآيات من شدة الغضب والغيظ من سماع القرآن. ﴿**قل أفأنبئكم بشر من ذلكم؟: النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير**﴾: فإن كنتم غاضبين لما تلي عليكم من الآيات فازدادوا غضباً بهذا الذي أنبئكم به.

وهو شر مما غضبتم منه؛ لأنه النار. . . ﴿**يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له**﴾: الخطاب بيا أيها الناس للمشركين؛ لأنهم المقصود بالرد وبالزجر. . . وضرب المثل: ذكره وبيانه. والمثل: شاع في تشبيه حالة بحالة. وهذا المثل ينبغي أن يستمع له لغرابته. ﴿**إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له**﴾: هذا بيان للمثل المضروب. والذباب: اسم جمع ذبابة. وهي حشرة طائرة معروفة في كل زمان ومكان. . . فقوله: ولو اجتمعوا له مبالغة في النفي. أي: لن يستطيعوا ذلك الخلق وهم مفترقون. . . بل ولو اجتمعوا وتعاونوا على خلق ذبابة لن يستطيعوا.

﴿**وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه**﴾: زيادة في بيان عجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه. . . ﴿**ضعف الطالب والمطلوب**﴾: تذييل وفذلكة للغرض من التمثيل. وهذه الجملة كلام أرسل مثلاً. ﴿**ما قدروا الله حق قدره إنّ الله لقوي عزيز**﴾: ما عظموه حق تعظيمه؛ إذا أشركوا معه كل ضعيف ذليل أحقر من كل حقير!. . . إن الله لقوي عزيز!. . . ﴿**الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير**﴾: الله يختار من ملائكته رسلاً ينزلون بالوحي، ومن الناس رسلاً ينزل عليهم الملك من الملائكة

بالرسالة.. ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور**﴾: جملة مقررة لمضمون جملة إن الله سميع بصير.

﴿**يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون**﴾: توجيه الخطاب إلى المؤمنين بعد توجيه الخطاب إلى الناس قبله لما فيه من الأمر بخلاصة أحكام الشريعة من صلاة وعبادة وفعل الخير وجهاد في الله... ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده...**﴾ وبهذه الخصال المشروعة خصكم واختاركم لها: ﴿**هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج...**﴾ فنفي الحرج في دين الإسلام واضح في كل مشروعاته... ﴿**ملة أبيكم إبراهيم**﴾: زيادة في التنويه بهذا الدين... ونسبة إبراهيم إلى جميع المؤمنين نسبة دينية والملة: الشريعة المكتوبة. ﴿**هو سماكم المسلمين من قبل**﴾: الله سمى المسلمين في شرائعه السابقة... ﴿**وفي هذا**﴾: في هذا القرآن الذي أنزل على الرسول: ﴿**ليكون الرسول شهيداً عليكم**﴾، باتباع ما جاء به وبالعمل على الوجه المشروع.

﴿**وتكونوا شهداء على الناس**﴾: كل من سار على نهجكم وعمل مثل عملكم... ﴿**فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾: فاشكروا الله بالدوام على إقامة وإيتاء الزكاة. ﴿**واعتصموا بالله**﴾: اجعلوا الله ملجأكم ومنجاكم. والاعتصام: افتعال من العصم. وهو المنع من الضر: والنجاة من كل شر. ﴿**هو مولاكم**﴾: تعليل للأمر بالاعتصام: لأن المولى معتصم به ويُرْجع إليه... فالمولى: السيد الذي يراعي صلاح عبده.. ﴿**فنعم المولى ونعم النصير**﴾: تفريع لإنشاء الثناء على الله؛ لأنه أحسن مولى وأحسن نصيرا!.

مبحث الإعراب

﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**يدافع**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة في محل رفع خبر إنّ. وجملة إن الله يدافع جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿**عن الذين**﴾ متعلق بيدافع. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**إن الله**﴾ مثل السابقة. ﴿**لا يحب**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر إنّ. ﴿**كل**﴾ مفعول به. ﴿**خوان**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**كفور**﴾ نعت لخوان. وجملة إن الله لا يحب تعليلية. ﴿**أذن**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول.

﴿للذين﴾ متعلق بأذن. ﴿يقاتلون﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. وواو الجماعة نائب الفاعل. والجملة صلة الذين. ﴿بأنهم﴾ أن واسمها دخل عليها حرف الجر. ﴿ظلموا﴾ فعل ماض مبني للمجهول. والجملة خبر أن. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بأذن. وجملة أذن للذين يقاتلون بدل اشتمال من قوله: إن الله يدافع... ﴿وإن الله﴾ إن واسمها. والواو عاطفة.

﴿على نصرهم﴾ متعلق بما بعده ﴿لقدير﴾ خبر إن. والجملة معطوفة على قوله: أذن للذين يقاتلون... ﴿الذين﴾ بدل من الذين يقاتلون. ﴿أخرجوا﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل صلة الموصول. ﴿من ديارهم بغير حق﴾ متعلقان بأخرجوا... ﴿إلا أن يقولوا﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة وأن ما دخلت عليه في تأويل مصدر مستثنى بإلا. والاستثناء من عموم الحق. ﴿ربنا﴾ مبتدأ. ﴿الله﴾ خبره. والجملة في محل نصب مقول القول. ﴿ولولا﴾ حرف امتناع لوجود. متضمن معنى الشرط. والواو للعطف. ﴿دفاع﴾ مبتدأ. ﴿الله﴾ مضاف إلى دفاع. إضافة المصدر إلى فاعله. ﴿الناس﴾ مفعول باسم المصدر. ﴿بعضهم﴾ بدل من الناس. ﴿ببعض﴾ متعلق بدفاع. وخبر المبتدإ محذوف. أي: موجود.

﴿لهُدمت﴾ فعل ماضي مبني للمجهول. ﴿صوامع﴾ نائب الفاعل. وجملة لهدمت صامع جواب شرط لولا. واللام رابط لجواب الشرط. وجملة ولولا دفاع الله الناس... اعتراضية وهي تفيد تعليل مضمون جملة أذن للذين يقاتلون... ﴿وبيع وصلوات ومساجد﴾ معطوفات على صوامع ﴿يذكر﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول. ﴿فيها﴾ متعلق به. ﴿اسم﴾ نائب الفاعل. ﴿الله﴾ مضاف إلى اسم ﴿كثيراً﴾ نعت لمفعول مطلق مقدر. والتقدير: يذكر فيها اسم الله ذكراً كثيراً. والجملة نعت لمساجد: ﴿ولينصرن الله﴾ فعل وفاعل دخل عليه لام القسم. وأكد بنون التوكيد الثقيلة فبنى على الفتح. والواو للعطف. ﴿من﴾ في محل نصب مفعول به.

﴿ينصره﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على من. والضمير المتصل بالفعل عائد على الله، في محل نصب مفعول. وجملة ينصره صلة من. ﴿إن الله﴾ إن واسمها. ﴿لقوي عزيز﴾ خبران لإنّ. واللام للتوكيد. وجملة إن الله لقوي عزيز تعليلية. ﴿الذين﴾ بدل من الذين أُخرجوا من ديارهم... ﴿إن مكناهم﴾ فعل

وفاعل ومفعول فعل شرط إن. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بمكناهم. ﴿**أقاموا الصلاة**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة في محل جزم جواب الشرط. وجملة إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة صلة الموصول. ﴿**وآتوا الزكاة**﴾ معطوف على أقاموا الصلاة. ﴿**وأمروا**﴾ كذلك. ﴿**بالمعروف**﴾ متعلق بأمروا. ﴿**ونهوا**﴾ معطوف على أمروا. ﴿**عن المنكر**﴾ متعلق بنهوا. ﴿**ولله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عاقبة**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**الأمور**﴾ مضاف إلى عاقبة. والجملة معطوفة على قوله: ولينصرن الله من ينصره. ﴿**وإن يكذبوك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه إن الشرطية الجازمة. والفعل مجزوم بحذف النون. والواو عاطفة فقد ﴿**كذبت**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق وفاء الربط.

﴿**قبلهم**﴾ متعلق بكذبت. ﴿**قوم**﴾ فاعل. ﴿**نوح**﴾ مضاف إلى قوم. وجملة فقد كذبت في محل جزم دال على جواب الشرط. وجواب الشرط مقدر؛ والتقدير: وإن يكذبوك فلا غرابة في تكذيبهم... فإنه قد كذبت قبلهم... ﴿**وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين**﴾ معطوفات كلها على قوم نوح. ﴿**وكذب**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول. ﴿**موسى**﴾ نائب الفاعل مرفوع بضمة مقدرة على الألف. والجملة معطوفة على قوله: فقد كذبت... ﴿**فأمليت**﴾ فعل وفاعل، والفاء للترتيب على ما قبله. ﴿**للكافرين**﴾ متعلق بأمليت، ﴿**ثم أخذتهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. مرتب بثم على ما قبله. ﴿**فكيف**﴾ اسم استفهام تعجيبي مبني على الفتح في محل نصب. ﴿**كان نكيري**﴾ كان واسمها. وخبرها اسم الاستفهام المتقدم. والفاء للتعقيب. ﴿**فكأين**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتفريع.

﴿**من قرية**﴾ متعلق بمحذوف نعت لمعنى كأين. أي: كثير مكذب من القرى. ﴿**أهلكناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**وهي ظالمة**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر في موضع الحال من ضمير القرية. ﴿**فهي خاوية**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر مرتبة على جملة أهكلناها. ﴿**على عروشها**﴾ متعلق بخاوية. ﴿**وبئر**﴾ معطوف على قرية. ﴿**معطلة**﴾ نعت لبئر. ﴿**وقصر مشيد**﴾ مثل بئر معطلة... ﴿**أفلم يسيروا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لم الجازمة، وفاء التفريع، وهمزة الاستفهام. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بالفعل. ﴿**فتكون**﴾ فعل مضارع ناقص منصوب

بأن مضمرة بعد فاء السببية. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكون. ﴿**قلوب**﴾ اسم تكون. ﴿**يعقلون**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل رفع نعت لقلوب. ﴿**بها**﴾ متعلق بيعقلون. ﴿**أو آذان يسمعون بها**﴾ مثل قلوب يعقلون بها. ﴿**فإنها**﴾ إن واسمها. والفاء للتفريع. ﴿**لا تعمى الأبصار**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر إنّ.

﴿**ولكن تعمى القلوب**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستدراك. والواو للعطف. ﴿**التي**﴾ في محل رفع نعت للقلوب. ﴿**في الصدور**﴾ متعلق بمحذوف صلة التي. ﴿**ويستعجلونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**بالعذاب**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولن يخلف الله وعده**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي والنصب. والواو للعطف. ﴿**وإن يوماً**﴾ إن واسمها. ﴿**عند**﴾ متعلق بمحذوف نعت ليوم. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**كألف**﴾ الكاف في محل رفع خبر إنّ. وألف مجرور بالكاف. ﴿**سنة**﴾ مضاف إلى ألف. ﴿**مما**﴾ متعلق بمحذوف نعت لسنة. ﴿**تعدون**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**وكأين من قرية**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**أمليت**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**لها**﴾ متعلق بأمليت.

﴿**وهي ظالمة**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر في موضع الحال من ضمير القرية. ﴿**ثم أخذتها**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف بثم على أمليت. ﴿**وإليّ**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**المصير**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله. ﴿**قل**﴾ فعل أمر موجه إلى الرسول - ﷺ - ﴿**يا أيها الناس**﴾ تقدم إعراب مثله في أول السورة. ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**أنا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لكم**﴾ متعلق بما بعده. : ﴿**نذير**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**مبين**﴾ نعت لنذير. ﴿**فالذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتفريع. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**وعملوا**﴾ معطوف على الصلة. ﴿**الصالحات**﴾ مفعول به. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مغفرة**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة في محل رفع خبر لقوله: فالذين آمنوا وعملوا الصالحات. ﴿**ورزق**﴾ معطوف على مغفرة. ﴿**كريم**﴾ نعت لرزق. ﴿**والذين سعوا**﴾ معطوف على قوله: فالذين آمنوا. . الخ ﴿**في آياتنا**﴾ متعلق بسعوا ﴿**معاجزين**﴾ حال من ضمير سعوا.

﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أصحاب**﴾ خبره. ﴿**الجحيم**﴾ مضاف إلى أصحاب والجملة خبر الذين سعوا. . ﴿**وما أرسلنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿**من قبلك**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**من رسول**﴾ مجرور بمن الزائدة في محل نصب مفعول. ﴿**ولا نبئ**﴾ معطوف عليه. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**تمنى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على من رسول ولا نبئ. ﴿**ألقى الشيطان**﴾ فعل وفاعل. جواب الشرط. ﴿**في أمنيته**﴾ متعلق بألقى. ﴿**فينسخ الله**﴾ فعل وفاعل مرتب على ما قبله. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول. ﴿**يُلقي الشيطان**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**ثم يحكم الله آياته**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف بثم على ما قبله. ﴿**والله عليم حكيم**﴾ جملة المبتدإ والخبر تذييل لا محل لها من الإعراب.

﴿**ليجعل**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على الله. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بقوله: فينسخ. . ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول أول ليجعل. ﴿**يلقي الشيطان**﴾ صلة ما. ﴿**فتنة**﴾ مفعول ثان. ﴿**للذين**﴾ متعلق بفتنة. ﴿**في قلوبهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مرض**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة صلة الموصول. ﴿**والقاسية**﴾ معطوف على قوله: للذين في قلوبهم مرض. ﴿**قلوبهم**﴾ فاعل باسم الفاعل. ﴿**وإن الظالمين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لفي شقاق**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**بعيد**﴾ نعت لشقاق. والجملة تذييل.

﴿**وليعلم**﴾ معطوف على قوله: ليجعل وهو مثله في الإعرب. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع فاعل يعلم. ﴿**أوتوا**﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل الواو. ﴿**العلم**﴾ مفعول به. والجملة صلة الموصول. ﴿**أنه**﴾ أن واسمها. ﴿**الحق**﴾ خبر أنّ. ﴿**من ربك**﴾ متعلق بمحذوف حال من الحق. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب بيعلم. . ﴿**فيؤمنوا**﴾ مرتب على قوله ليعلم، منصوب بحذف النون. . وواو الجماعة فاعل. ﴿**به**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**فتخبت**﴾ مرتب على فيؤمنوا. ﴿**له**﴾ متعلق بتخبت. ﴿**قلوبهم**﴾ فاعل. ﴿**وإن الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لهادي**﴾ خبر إن مرفوع بضمة مقدرة على الياء. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى هادي. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**إلى صراط**﴾ متعلق بهادي. ﴿**مستقيم**﴾ نعت لصراط. والجملة تذييل.

﴿**ولا يزال**﴾ فعل مضارع ناقص منفي بلا. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع اسم يزال. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**في مرية**﴾ متعلق بمحذوف خبر يزال. وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**منه**﴾ متعلق بمرية. ﴿**حتى تأتيهم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى. ﴿**الساعة**﴾ فاعل. ﴿**بغتة**﴾ حال من الساعة. ﴿**أو يأتيهم عذاب**﴾ معطوف على قوله: حتى تأتيهم الساعة.. ﴿**يوم**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**عقيم**﴾ نعت ليوم. ﴿**الملك**﴾ مبتدأ. ﴿**يومئذ لله**﴾ متعلقان بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**يحكم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**بينهم**﴾ متعلق بيحكم. ﴿**فالذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتفريع. ﴿**آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ تقدم إعراب مثلها.. ﴿**في جنات**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**النعيم**﴾ مضاف إلى جنات.

﴿**والذين كفروا**﴾ معطوف على فالذين آمنوا وعملوا الصالحات. ﴿**وكذبوا**﴾ معطوف على كفروا ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**فأولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للربط. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عذاب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**مهين**﴾ نعت لعذاب. وجملة لهم عذاب خبر لقوله: فأولئك. وجملة فأولئك لهم عذاب مهين خبر المبتدإ الأول. وهو قوله: والذين كفروا وكذبوا... ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**هاجروا**﴾ فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿**في سبيل**﴾ متعلق بهاجروا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**ثم قتلوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل معطوف بثم على هاجروا. ﴿**أو ماتوا**﴾ معطوف على قتلوا. ﴿**ليرزقنهم**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. واللام كذلك للتوكيد. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**رزقاً**﴾ مفعول ثان. ﴿**حسناً**﴾ نعت لرزق. ﴿**وإن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**لهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**خير**﴾ خبره. ﴿**الرازقين**﴾ مضاف إلى خير.

﴿**ليدخلنهم**﴾ مثل ليرزقنهم. ﴿**مدخلاً**﴾ مفعول ثان. ﴿**يرضونه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت لمدخل. ﴿**وإن الله**﴾ إنّ واسمها. والواو للعطف. ﴿**لعليم حليم**﴾ خبَرَانِ لإنّ. واللام لتوكيد الخبر. والجملة تذييلية. ﴿**ذلك**﴾ تقدم مثله في قوله: ذلك ومن يعظم.. و﴿**من**﴾ اسم شرط. ﴿**عاقب**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**بمثل**﴾ متعلق بعاقب. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى

مثل. ﴿**عوقب**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**له**﴾ متعلق بِعُوقب. ثم ﴿**بغى**﴾ عليه معطوف بثم على عوقب. وهو مثله في الإعراب.

﴿**لينصرنه**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. واللام واقعة في جواب قسم مقدر. وقد سد جواب القسم مسد جواب الشرط. ﴿**إن الله لعفو غفور**﴾ الجملة تعليلية. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بأن الله**﴾ أن واسمها. ﴿**يولج**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الليل**﴾ مفعول به. ﴿**في النهار**﴾ متعلق بيولج. و﴿**يولج النهار في الليل**﴾ عطف على ما قبله وهو مثله في الإعراب. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بمحذوف خبر ذلك.

﴿**وأنّ الله سميع بصير**﴾ الجملة منْ أنّ واسمِها وخبرِها معطوفة على قوله بأن الله يولج.. ﴿**ذلك بأن الله هو الحق**﴾ إعراب هذه الجملة مثل ذلك بأن الله.. و﴿**أن ما**﴾ في محل نصب اسم أنّ. ﴿**تدعون**﴾ فعل وفاعل. صلة ما. ﴿**من دونه**﴾ متعلق بتدعون. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**الباطلُ**﴾ خبرُ أنّ. والجملة عطف على ما قبلها. وكذلك: ﴿**وأنّ الله هو العليّ الكبير**﴾. ﴿**ألم**﴾ تر فعل مضارع دخلت عليه لم الجازمة وحرف الاستفهام. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**أن الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**أنزل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**ماء**﴾ مفعول به. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول تر.

﴿**فتصبح**﴾ فعل مضارع ناقص. والفاء للتعقيب. ﴿**الأرضُ**﴾ اسم تصبح. ﴿**مخضرةً**﴾ خبرها. ﴿**إن الله لطيف خبير**﴾الجملة من إنّ واسمها وخبرها تعليلية. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ما**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. وما ﴿**في الأرض**﴾ معطوف على ما في السماوات. وهو مثله في الإعراب. ﴿**وإن الله لهو الغني الحميد**﴾ هذه الجملة مثل جملة وأن الله هو العلي الكبير في الإعراب. ﴿**ألم تر أن الله سخر**﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة ألم تر أن الله أنزل.. ﴿**لكم**﴾ متعلق بسخر. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به.

﴿**في الأرض**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. و﴿**الفلك**﴾ معطوف على المفعول. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الفلك. ﴿**في البحر بأمره**﴾ متعلقان بتجري. وجملة تجري في البحر حال من الفلك. و﴿**يمسك**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**السماء**﴾ مفعول ﴿**أن تقع**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير يعود على السماء. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف مقدر. والتقدير: ويمسك السماء من وقوعها على الأرض. . ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**بالناس**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**لرؤوف رحيم**﴾ خبرَانِ لإِنّ. واللام للتوكيد. والجملة تعليلية. و﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر. والجملة معطوفة على قوله: ويمسك. ﴿**وأحياكم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على اسم الموصول. والضمير المتصل بالفعل مفعول به. وجملة أحياكم صلة الذي. ﴿**ثم يميتكم**﴾ معطوف بثم على أحياكم.

﴿**ثم يحييكم**﴾ معطوف على ثم يميتكم. ﴿**إن الإنسان**﴾ إن واسمها. ﴿**لكفور**﴾ خبرُ إنّ. واللام للتوكيد. والجملة تذييل. ﴿**لكل**﴾ متعلق بالفعل بعده. ﴿**أمة**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**جعلنا منسكاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة مستأنفة. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**ناسكوه**﴾ خبر المبتدأ. والجملة نعت لمنسك. ﴿**فلا ينازعك**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. وعلامة جزمه حذف النون. والنون الموجودة نون التوكيد. وحذف واو الجماعة الفاعل لالتقاء الساكنين. والفاء للتفريع. ﴿**في الأمر**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وادع**﴾ فعل أمر موجه إلى الرسول. ﴿**إلى ربك**﴾ متعلق بادع. ﴿**إنك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لعلى هدى**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**مستقيم**﴾ نعت لهدى. والجملة تعليل. وجملة وادع إلى ربك معطوفة على جملة فلا ينازعنك. . ﴿**وإن جادلوك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط الجازم.

﴿**فقل**﴾ فعل أمر موجه إلى الرسول. ﴿**اللَّهُ**﴾ مبتدأ. ﴿**أعلم**﴾ خبره. والجملة مقول القول. ﴿**بما**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**تعملون**﴾ صلة ما. وجملة فقل الله أعلم جواب الشرط رُبطت بالفاء. ﴿**الله**﴾ مبتدأ. ﴿**يحكم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**بينكم يوم**﴾ متعلقان بيحكم. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**فيما**﴾ متعلق بيحكم ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**فيه**﴾ متعلق بما

بعده: ﴿**تختلفون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كنتم فيه تختلفون صلة ما.

﴿**ألم تعلم**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والهمزة للاستفهام. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**أن الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر أنّ. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول. ﴿**في السماء**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. و﴿**الأرض**﴾ معطوف على السماء. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول تعلم. ﴿**إن ذلك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**في كتاب**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. وجملة إنّ ذلك في كتاب بيانية. ﴿**إن ذلك**﴾ مثل ما قبلها. ﴿**على الله**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**يسير**﴾ خبر إنّ. و﴿**يعبدون**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**من دون**﴾ متعلق بيعبدون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول.

﴿**لم ينزل**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة ما. ﴿**به**﴾ متعلق بينزل. ﴿**سلطاناً**﴾ مفعول به. و﴿**ما**﴾ معطوفة على ما لم ينزل. ﴿**ليس لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**به**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**علمٌ**﴾ اسم ليس. وجملة ليس لهم به علم صلة ما. ﴿**وما للظالمين**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. وما نافية والواو للعطف. ﴿**من نصير**﴾ مبتدأ مؤخر جر بحرف الجر الزائد في محل رفع. وجملة وما للظالمين من نصير معطوفة على جملة ويعبدون من دون الله. ﴿**وإذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**تتلى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بتتلى. ﴿**آياتنا**﴾ نائب الفاعل ﴿**بينات**﴾ حال من آياتنا. ﴿**تعرف**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. والجملة جواب إذا.

﴿**في وجوه**﴾ متعلق بتعرف. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى وجوه. ﴿**كفروا صلة الذين**﴾. ﴿**المنكر**﴾ مفعول به. وجملة وإذا تتلى.. معطوفة على جملة ويعبدون من دون.. ﴿**يكادون**﴾ فعل مضارع ناقص، وواو الجماعة اسمها. ﴿**يسطون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر يكاد. وجملة يكادون يسطون بدل اشتمال من جملة تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر. ﴿**بالذين**﴾ متعلق بيسطون. ﴿**يتلون**﴾ فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بيتلون ﴿**آياتنا**﴾ مفعول

به. ﴿**قل: أفأنبئكم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف التفريع وحرف الاستفهام. والفاعل ضمير المتكلم. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**بشر**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**من ذلكم**﴾ متعلق بشر. ﴿**النارُ**﴾ مبتدأ. و﴿**عدها**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل بالفعل مفعول ثان لوعد. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**الذين**﴾ مفعول أول لوعد. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. وجملة وعدها الله خبر النار. وجملة النار وعدها الله. والنار.. بيانية.

و﴿**بئس المصير**﴾ الجملة من الفعل والفاعل تذييل. ﴿**يا أيها الناس**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**ضرب**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**مثلٌ**﴾ نائب الفاعل. ﴿**فاستمعوا**﴾ فعل أمر للناس. والفاء للتعقيب. ﴿**له**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إن الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**تدعون**﴾ صلة الذين ﴿**من دون**﴾ متعلق بتدعون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**لن يخلقوا ذباباً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه لن الناصبة. ﴿**ولو اجتمعوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لو الوصلية. والواو للعطف. ﴿**له**﴾ متعلق باجتمعوا. وجملة لن يخلقوا ذبابا.. خبر إنّ. وجملة إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً بيان لقوله: ضرب مثل.. و﴿**إن يسلبهم الذبابُ شيئاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول فعل شرط إنْ.

﴿**لا يستنقدوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول جواب شرط إن مجزوم بحذف النون ﴿**منه**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ضعف**﴾ فعل ماض. ﴿**الطالب**﴾ فاعل. و﴿**المطلوب**﴾ معطوف عليه. والجملة تذييل. ﴿**ما قدروا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. ﴿**حقَّ**﴾ مفعول مطلق. ﴿**قدره**﴾ مضاف إلى حق. وجملة ما قدروا الله حق قدره تذييل. ﴿**إن الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لقوي عزيز**﴾ خبران لإن. واللام للتوكيد. والجملة تعليل. ﴿**الله**﴾ مبتدأ. ﴿**يصطفي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**من الملائكة**﴾ متعلق بيصطفى. ﴿**رسلا**﴾ مفعول به. و﴿**من الناس**﴾ معطوف على قوله: من الملائكة.

﴿**إن الله سميع بصير**﴾ مثل إن الله لقوي عزيز.. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**بين**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**أيديهم**﴾ مضاف إلى بين. و﴿**ما خلفهم**﴾ معطوف على قوله: ما بين

أيديهم. و﴿**إلى الله**﴾ متعلق بالفعل بعده: ﴿**ترجع**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**الأمورُ**﴾ نائب الفاعل. ﴿**يا أيها الذين**﴾ أيُّ منادى مبني على الضم في محل نصب. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب نعت لأي باعتبار محلها. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**اركعوا**﴾ فعل أمر للمؤمنين. ﴿**واسجدوا واعبدوا**﴾ معطوفان على اركعوا. ﴿**ربكم**﴾ مفعول به. ﴿**وافعلوا**﴾ كذلك. ﴿**الخير**﴾ مفعول به.

﴿**لعلكم**﴾ لعل واسمها. ﴿**تفلحون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر لعل. و﴿**جاهدوا**﴾ معطوف على ما قبله من الأوامر. ﴿**في الله**﴾ متعلق بجاهدوا. ﴿**حق**﴾ مفعول مطلق. ﴿**جهاده**﴾ مضاف إلى حق. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**اجتباكم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والضمير المتصل بالفعل مفعول به. و﴿**ما جعل**﴾ معطوف على اجتباكم. وجملة اجتباكم خبر المبتدإ. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بجعل. ﴿**في الدين**﴾ كذلك. ﴿**من حرج**﴾ مفعول جر بحرف الجر لفظاً ونصب محلاً. ﴿**ملّةَ**﴾ مفعول بفعل مقدر. أي: اتبعوا ملة ﴿**أبيكم**﴾ مضاف إلى ملة. ﴿**إبراهيم**﴾ عطف بيان لأبيكم مجرور بالفتحة. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿**سماكم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**المسلمين**﴾ مفعول ثان. ﴿**من قبلُ**﴾ متعلق بسماكم. ﴿**وفي هذا**﴾ معطوف على قوله: من قبل. ﴿**ليكون الرسول شهيداً**﴾ الجملة من يكون واسمها وخبرها معللة باللام. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**وتكونوا شهداء**﴾ معطوف على قوله: ليكون الرسول شهيداً عليكم. ﴿**على الناس**﴾ متعلق بشهداء. ﴿**فأقيموا**﴾ فعل أمر موجه إلى المخاطبين. والفاء للتفريع. ﴿**الصلاة**﴾ مفعول به. ﴿**وآتوا الزكاة**﴾ معطوف على قوله: فأقيموا الصلاة. و﴿**اعتصموا**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**بالله**﴾ متعلق واعتصموا. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**مولاكم**﴾ خبر المبتدإ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**فنعم المولى**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**ونعم النصير**﴾ معطوف على قوله: فنعم المولى. وجملة هو مولاكم مستأنفة معللة للأمر بالاعتصام بالله.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**إن الله يدافع عن الذين آمنوا**﴾: فصل الكلام عما قبله فلم يعطف؛ لأنه

استئناف بياني جاء جواباً لسؤال يخطر في نفوس المؤمنين ينشأ من قوله تعالى: إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام.. فإنه توعّد المشركين على صدهم عن سبيل الله والمسجد الحرام بالعَذاب الأليم. وبشر المؤمنين المخبتين والمحسنين بما يتبادر منه ضد وعيد المشركين. وذلك ثواب الآخرة. وطال الكلام في ذلك بما تبعه.

لا جرم تشوفت نفوس المؤمنين إلى معرفة عاقبة أمرهم في الدنيا. وهل يُنتصر لهم من أعدائهم أو يدخر لهم الخيرُ كله إلى الدار الآخرة.. فكان المقام خليقاً بأن يطمئِنَ اللَّهُ نفوسَهم بأنه كما أعد لهم نعيم الآخرة، هو أيضاً مدافع عنهم في الدنيا وناصرهم. وتصدير الكلام بحرف التوكيد لإبراز الاعتناء التام بمضمونه. وصيغة المفاعلة: إما للمبالغة، أو للدلالة على مكرر الدفع.. وحذف مفعول يدافع لدلالة المقام. والتعبير بالموصول لما فيه من الإيماء إلى وجه بناء الخبر. وأن دفاع الله عنهم لأجل إيمانهم. وجملة **﴿إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾** تعليل لتقييد الدفاع بكونه عن الذين آمنوا، بأن الله لا يحب الكافرين الخائنين الذين بلغوا في الخيانة والكفر مبلغاً لا نهاية له.

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾: فصل الكلام عما قبله فلم يُعطف؛ لوقوعه بدل اشتمال من جملة إن الله يدافع.. فدفاع الله عن الناس يكون تارة بالإذن لهم بمقاتلة من أراد الله مدافعتهم عنهم؛ فإنه إذا أذن بمقاتلتهم كان متكفلاً لهم بالنصر. وجملة **﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾** موصولة بالعطف على جملة أذن للذين يقاتلون.. فهذا وعد من الله بالنصر وارد على طريقة كلام العظيم المقتدر بإيراد الوعد في صورة الإخبار بأن ذلك بمحل العلم منه.. وتوكيد هذا الخبر بحرف التوكيد لتحقيقه. واللام في قوله: لقدير زيادة في التحقيق.

﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾: جاء هذا الكلام مفصولاً عما قبله؛ لأنه جاء بياناً لما قبله. وهو بيان لسبب الإذن بالقتال.. فإن إيمانهم بالله لا ينجر منه اعتداء على غيرهم.. فالاعتداء عليهم بالإخراج من ديارهم لأجل ذلك ظلم ما بعده ظلم!.. **﴿ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾**: وصلت الجملة بواو العطف. وتسمى واو الاستئناف. ومفاد هذه الجملة تعليل مضمون جملة أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا.

والمعنى: أن الدفاع عن الحق من سنن الشرائع في كل زمان ومكان جاء به موسى وعيسى، وجاء به خاتمهم محمد عليهم الصلاة والسلام. وخصت المساجد بذكر اسم الله كثيراً؛ لأنها هي التي بقيت في آخر الشرائع العامة الخاتمة، والناسخة لما قبلها من الشرائع. **﴿ولينصرن الله من ينصره﴾**: وصلت هذه الجملة بالعطف على ما قبلها؛ لأنها جاءت تذييلاً مقرراً لمضمون ما قبله؛ لما فيها من العموم. وجملة **﴿إن الله لقوي عزيز﴾** تعليل لجملة ولينصرن الله من ينصره. وما في هذه الجملة من التوكيدات مثل ما سبق في الجملة التي قبلها.

﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾: فصل هذا الكلام مقصود منه بيان وصف الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق: بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكين الله إياهم في الأرض، وإعطائه إياهم زمام الأحكام، مبنيُ عنْ عِدةٍ كريمة على أبلغ وجه وألطفه.. فالكلام مسوق للتنبيه على الشكر على نعمة النصر: بأن يأتوا بما أمر الله به من أصول الإسلام.. فإن بذلك دوام نصرهم، وانتظام عقد جماعتهم، والسلامة من اختلال أمرهم.. فإن حادوا عن ذلك فقد فرطوا في ضمان نصرهم وأمرهم إلى الله: **﴿ولله عاقبة الأمور!.. وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى﴾**: لما نعى الله على المشركين مساويهم في شؤون الدين بإشراكهم وإنكارهم البعث وصدهم عن الإسلام والمسجد الحرام وما ناسب ذلك في غرضه من إخراج أهله منه عُطف عنها إلى ضلالهم بتكذيب النبئ ـ ﷺ ـ؛ ولهذا جاء الكلام موصولاً بما قبله.. فقصد من ذلك تسلية الرسول.. ومتضمن للوعد الكريم بإهلاك من يعاديه من الكفرة، وتعيين لكيفية نصر الله لرسوله، وتمثيلهم بأمثال الأمم التي استأصلها الله، وتهديدهم بالمصير إلى مصيرهم: **﴿فأمليت للكافرين.. ثم أخذتهم! فكيف كان نكير﴾**؟!.. فالفاء فأمليت للكافرين للتعقيب.

دلالة على أن تقدير هلاكهم حاصل من وقت تكذيبهم، وإنما أخر لهم. وهو تعقيب موزع.. فلكل قوم من هؤلاء تعقيب إملائه. والأخذ حاصل بعد الإملاء بمهلة.. فلذلك عُطِف فعلُه بحرف المهلة. وعطفت جملة فكيف كان نكيري بالفاء؛ لأن حق ذلك الاستفهام أن يحصل عند ذكر ذلك الأخذ. وهو استفهام

تعجيبي. ووجه التعجيب منه: أنهم أبدلوا بالنعمة محنة.. وبالحياة هلاكاً.. وبالعمارة خراباً.. فهو عبرة لغيرهم!.. ﴿**فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد**﴾: تفرع ذكر جملة كأين من قرية على جملة فكيف كان نكيري فعُطفت عليها بفاء التفريع.

والتعقيب في الذكر لا في الوجود؛ لأن الإملاء لكثير من القرى ثم أخذها بعد الإملاء لها يُبيّن كيفية نكير الله وغضبه على القرى الظالمة ويفسره.. فناسب أن يذكر التفسير عقب المفسر بحرف التفريع.. ثم هو يفيد بما ذكر فيه من اسم كثرة العدد شمولاً للأقوام الذين ذُكروا من قبل في قوله: فقد كذبت قبلهم قوم نوح.. إلخ.. فيكون لتلك الجملة بمنزلة التذييل. ﴿**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها**﴾: هذا تفريع على جملة فكأيّن من قرية أهلكناها وما بعدها.. فالاستفهام تعجيبي من حالهم في عدم الاعتبار بمصارع الأمم المكذبة لأنبيائها. والفاء في قوله: فتكون سببية جوابية. وأطلقت القلوب على تقاسيم العقل على وجه المجاز المرسل. ونزلت عقولهم منزلة المعدوم كما نزل سيرهم في الأرض منزلة المعدوم.

وفي ذكر الآذان اكتفاء عن ذكر الأبصار؛ إذ يعلم أن القلوب التي تعقل إنما طريق علمها مشاهدة آثار العذاب والاستئصال كما أشار إليه قوله بعد ذلك: ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**..﴾ فحصل من مجموع نظم الآية أنهم بمنزلة الأنعام: لهم آلات الاستدلال وقد انعدمت منهم آثارها.. فلهم قلوب لا يَعقلون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها. أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون!!.. فالفاء في جملة فإنها لا تعمى الأبصار تفريع على جواب النفي في قوله: فتكونَ لهم قلوب يعقلون بها، وفذلكة للكلام السابق، وتذييل له بما في هذه الجملة من العموم. وحرف التوكيد في قوله: فإنّها لا تعمى الأبصار لغرابة الحكم.

والقصر المستفاد من النفي وحرف الاستدراك قصر ادعائي للمبالغة بجعل فقد حاسة المسمى بالعمى كأنه غير عمي. وجعل عدم الاعتداء إلى دلالة المبصرات مع سلامة حاسة البصر هو العمى مبالغة في استحقاقه لهذا الاسم الذي استعير إليه.. فالقصر ترشيح للاستعارة ففي هذه الآية أفانين من البلاغة والبيان وبداعة

النظم. ﴿**ويستعجلونك بالعذاب**﴾: وصل الكلام بالعطف على قوله: وإن يكذبوك.. فإن من تكذيبهم أنهم كذبوا بالوعيد.. فقالوا: لو كان محمد صادقاً في وعيده لعجل لنا هذا الوعيد.. فكانوا يسألونه التعجيل بنزول العذاب استهزاء! وحكى ويستعجلونك بصيغة المضارع للإشارة إلى تكريرهم ذلك تجديداً منهم للاستهزاء. ولما كان استعجالهم إياه تعريضاً منهم بأنهم موقنون. بأنه غير واقع أعقب بقوله: ﴿**ولن يخلف الله وعده..**﴾ فالعذاب الموعود لهم واقع لا محالة؛ لأنه وعد من الله والله لا يخلف وعده. وفيه تأنيس للنبئ والمؤمنين.. فقوله: ﴿**وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون**﴾ خبر مستعمل في التعريض بالوعيد.

وهذا اليوم هو يوم القيامة. ﴿**وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها**﴾: وصل الكلام بما قبله باعتبار ما تضمنه استعجالهم بالعذاب من التعريض بأنهم آيسون منه لتأخر وقوعه.. فذُكّروا بأن أمماً كثيرة أمهلت.. ثم حل بها العذاب.. فوزان هذه الآية وزان قوله آنفاً: فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة الخ.

إلا أن الأولى قصد منها كثرة الأمم التي أهلكت لئلا يتوهم من ذكر قوم نوح ومن عطف عليهم أن الهلاك لم يتجاوزهم، ولذلك اقتصر فيها على ذكر الإهلاك. وهذه الآية القصد منها التذكير بأن تأخير الوعيد لا يقتضي إبطاله. ولذلك اقتصر فيها على ذكر الإمهال.. ثم الأخذ بعده المناسب للإملاء من حيث إنه دخول في القبضة بعد بُعده عنها ـ أخذتها ـ! وجملة ﴿**وإليّ المصير**﴾، تذييل. وتقديم المجرور للحصر الحقيقي. وهو يقتضي أن المصير إلى الله كائن لا محالة. وهو المقصود من الحصر. وهو كناية عن عدم الإفلات!.

﴿**قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين**﴾: فُصل الكلام عما قبله فلم يُعطف؛ لأنه استئناف جاء بعد المواعظ السالفة والإنذارات. وافتتاحه بقل للاهتمام به. وافتتاح المقول بنداء الناس للفت انتباههم إلى هذا الكلام. والغرض من خطاب الناس إعلامهم بأن تكذيبهم واستهزاءهم لا يغيظ النبئ ولا يصده عن أداء رسالته.. ففي ذلك قمع لهم؛ إذ كانوا يحسبون أنهم بتكذيبهم واستهزائهم يملّونه فيترك دعوتهم. وفيه تثبيت وتسلية للنبئ فيما يلقاه منهم. وقصر النبِئ على صفة النذارة قصرٌ إضافيٌّ.

وفي تقديم المجرور المؤذن بالاهتمام بنذارتهم إيماء إلى أنهم مشرفون على شر عظيم.. ثم فرع على الأمر بالقول تقسيم الناس في تلقى هذا الإنذار المأمور الرسولُ بتبليغه إلى مصدق ومكذب لبيان حال كلا الفريقين في الدنيا والآخرة ترغيباً في الحالة الحسنى، وترهيباً من الحالة السوأى.. فقال تعالى: **﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم. والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم﴾**. والكلام في قوله سعوا.. تمثيل: شبهت هيئة تفننهم في التكذيب بالقرآن وتطلب المعاذير لنقص دلائله من قولهم: هو سحر.. هو شعر.. هو أساطير الأولين.. وتعرضهم للمجادلات والمناقضات للنبئ من قولهم: هو مجنون.. بهيئة الساعي طريق يسابق غيره ليفوز بالوصول.. والتصدير باسم الإشارة في قوله: أولئك أصحاب الجحيم للتنبيه على أن المخبر عنهم جديرون بما سَيرِد بعد اسم الإشارة من الحكم لأجل ما ذكر قبله من الأوصاف.

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبئ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمينته﴾: الكلام موصول بالعطف على قوله: قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين.. فانتقل الكلام إلى تفصيل تسلية النبئ وتثبيته على دعوته مهما لقى من قومه من عنت ومشقة.. فقد لقى من كان قبله من الرسل والأنبئاء ما هو أشد وأعنف.. فقد ألقى الشيطان في طريقهم العوائق والحواجز.. وإنما يتمنى الرسل والأنبئاء أن يكون قومهم كلهم صالحين مهتدين.. فاستعير إلقاء الشيطان للوسوسة في قلوب المعارضين من أقوام الرسل بشيء يلقى من اليد بين الناس.

ومفعول ألقى محذوف دل عليه المقام؛ لأن الشيطان إنما يلقى الشر والفساد.. فإسناد التمني إلى الأنبئاء دل على أنه تمني الهدى والصلاح. وإسناد الإلقاء إلى الشيطان دل على أنه إلقاء الضلال والفساد.. فالتقدير: أدخل الشيطان في نفوس الأقوام ضلالات، تفسد ما قاله الأنبئاء من الإرشاد.. فإلقاء الشيطان بوسوسته أن يأمر الناس بالتكذيب والعصيان. ويلقي في قلوب أئمة الكفر مطاعن يبثونها في قومهم. ويروج الشبهات بإلقاء الشكوك التي تصرف نظر العقل عن تذكر البرهان.

والله تعالى يعيد الإرشاد ويكرر الهدى على لسان النبئ ويفضح وساوس الشيطان وسوء فعله بالبيان الواضح: **﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان.. ثم يحكم الله**

آياته والله عليم حكيم﴾. ومعنى هذه الآية: أن الرسل والأنبياء يَرْجُون اهتداء قومهم ما استطاعوا.. فيبلغونهم ما أمروا بتبليغه ويعظونهم ويدعونهم بالحجة والمجادلة الحسنة حتى يظنوا أن أمنيتهم قد نجحت ويقترب القوم من الإيمان.. فيأتي الشيطان فلا يزال يوسوس في نفوس الكفار فينكصون على أعقابهم.. وتلك الوساوس ضروب شتى: من تذكيرهم بحب آلهتهم.. ومن تخويفهم بسوء عاقبة نبذ دينهم.. ونحو ذلك من ضروب الضلالات التي حكيت عنهم في تفاصيل القرآن به فيتمسك أهل الضلالة بدينهم ويصدون عن دعوة رسلهم.

وكلما أفسد الشيطان دعوة الرسل أمر الله رسله فعاودوا الإرشاد وكرروه.. فبتلك المعاودة ينسخ ما ألقاه الشيطان وتثبت الآيات.. ثم علل هذا كله بقوله: **﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم..﴾** فالمعنى: أن الله مكن الشيطان من ذلك الفعل بأصل فطرته من يوم خلق فيه داعية الإضلال. ونسخ ما يلقيه الشيطان بواسطة رسله وآياته ليكون من ذلك عاقبة سيئة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم.. فالذين في قلوبهم مرض هم المترددون في قبول الإيمان. والقاسية قلوبهم هم الكافرون المصممون على الكفر. والفريقان هم المراد بالظالمين في قوله: **﴿وإن الظالمين لفي شقاق بعيد﴾**. وذكر الظالمين إظهار في مقام الإضمار؛ للإيماء إلى أن علة كونهم في شقاق بعيد هي ظلمهم..

ثم يبين ما عليه المؤمنون من العلم بالحق وما هم فيه من الهدى: **﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾**. والذين أوتوا العلم هم المؤمنون بقرينة مقابلته بالذين في قلوبهم مرض. والمراد بالعلم الوحي والكتب التي أوتيها أصحاب الرسل. وهذا ثناء على أتباع الرسل بأنهم أوتوا العلم.. فلِهذا وصفهم بهذه الصفات الجليلة النبيلة.

﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾: لما حكى عن الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم أنّ ما يلقيه لهم الشيطان من إبطال ما جاءت به الرسل يكون عليهم فتنة، خص في هذه الآية الكافرين بالقرآن بعد أن عمهم مع جملة الكافرين بالرسل.. فخصهم بأنهم يستمر شكهم فيما جاء به محمد ـ ﷺ ـ ويترددون في الإقدام على الإسلام إلى أن يحال

بينهم وبينه بحلول الساعة بغتة وبحلول ما فيها من عذاب يوم عقيم. واليوم العقيم اليوم المشؤوم الذي لا خير فيه ولا يرجى بعده خير.. فذلك يومئذٍ يوم عسير على الكافرين غير يسير! ﴿**الملك يومئذٍ لله يحكم بينهم**﴾: استئناف بياني يوضح كيفية ذلك اليوم العقيم. وجملة يحكم بينهم بيان للكيفية التي تكون في ذلك اليوم.

وقد فصل الحكم بقوله: ﴿**فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم.. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين**﴾. والمقصود بالكلام هو جملة يحكم بينهم.. وإنما قدمت جملة الملك يومئذٍ لله تمهيداً لها، وليقع البيان بالبدل بعد الإبهام الذي في المبدل منه.. ثم فصل هذا بما للمؤمنين من ثواب، وما للكافرين من عقاب. ﴿**والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم**﴾: هاتان الآيتان موصولتان بالعطف هنا بالواو، على قوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات عطف خاص على عام تنويهاً بما للمهاجرين السابقين سواء من قتل منهم في الميدان أو مات على فراشه دون قتل أو طعان.

وتعظيماً لشأنهم بهذا النعيم الخاص بهم دون المؤمنين بزيادة في نعيم الجنان. وذيلت الآيتان بقوله: وإن الله لهو خير الرازقين.. وإن الله لعليم حليم، نظراً للفرق بين ما يلقاه هؤلاء المهاجرون وما يلقاه غيرهم؛ لأنهم هم المؤمنون السابقون. ﴿**ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغِيَ عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور**﴾: جاء الكلام مفصولاً عما قبله؛ لأنه جاء خلاصة لما تقدم من الوعد بالنصر. وتمهيداً لما يأتي بعده من تحديد قانون العقاب. والعقاب الحاصل من المأذون له في القتال وهو مظلوم هو الدفاع عن نفسه وعن دينه يرد الظلم قتلاً وأسراً وتشريداً.. وسمى اعتداء المشركين على المؤمنين عقاباً لأنهم عذبوا المؤمنين في مكة انتقاماً واعتداءً لأجل قولهم: ربنا الله!.

ومعنى بمثل ما عوقب به المماثلة في الجنس.. فإن المشركين آذوا المسلمين وأرغموهم على مغادرة موطنهم.. فيكون عقابهم على ذلك بإخراج من يمكنهم أن يخرجوه من ذلك الوطن. ولا يستطيعون ذلك إلا بالجهاد.. وثم في قوله: ثم بُغي عليه، للتراخي الرتبي.. فإن البغي عليه أهم من كونه عاقب بمثل ما عوقب

به: إذ كان مبدوءاً بالظلم، كما يقال: البادىء أظلم. وجملة إن الله لعفو غفور تعليل للاقتصار على الإذن في العقاب بالمماثلة دون الزيادة في الانتقام مع أن البادىء أظلم! ﴿**ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل**﴾: الإشارة هنا إلى الكلام السابق الدال على تكفل النصر. فإن النصر يقتضي تغليب أحد الضدين على ضده.. فإن إدخال ظلمة الليل على ضوء النهار وبالعكس.

وكذلك تغليب مدة الليل على مدة النهار وبالعكس في فصول السنة؛ لما تقرر من اشتهار التضاد بين الليل والنهار. والجمع بين ذكر إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل للإيماء إلى تقلب أحوال الزمان.. فقد يصير المغلوب غالباً ويصير ذلك الغالب مغلوباً. مع ما فيه من التنبيه على تمام القدرة بحيث تتعلق بالأفعال المتضادة ولا تلزم طريقة واحدة.. وفيه إدماج التنبيه بأن العذاب الذي استبطأه المشركون منوط بحلول أجله. وما الأجل إلا إيلاج ليل في نهار ونهار في ليل.

وفي ذكر الليل والنهار في هذا المقام إدماج تشبيه الكفر بالليل، والإسلام بالنهار.. ثم عطف ﴿**وأن الله سميع بصير**﴾ السبب للإشارة إلى علم الله بالأحوال كلها.. فهو ينصر من ينصره بعلمه وحكمته، ويعد بالنصر من علم أنه ناصره لا محالة. ﴿**ذلك بأن الله هو الحق وأن ما تدعون من دونه هو الباطل**﴾: اسم الإشارة هنا تكرير لاسم الإشارة الذي سبقه. ولذلك لم يعطف.. ثم أخبر عنه بسبب آخر لنصر المؤمنين على المشركين بأن الله هو الرب الحق إذا أراد فعل وقدَر.. فهو ينصر أولياءه.. وأن ما يدعوه المشركون من دون الله هو الباطل.. فلا يستطيعون نصرهم ولا أنفسهم ينصرون.

والقصر في هذه الجملة المستفاد من ضمير الفصل قصر حقيقي.. ثم عطف عليه قوله: ﴿**وأن الله هو العلي الكبير**﴾، تقريراً لمضمون ما سبقه. ﴿**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة**﴾: الكلام مستأنف. والخطاب لكل من تصلح منه الرؤية.. والمناسبة هي ما جرى من أن الله هو الحق.. فهو استدلال على انفراد الله بالخلق والتدبير.. فهو الرب الحق المستحق للعبادة. وجملة ﴿**إن الله لطيف خبير**﴾ تعليل لإنزال الماء.. فأنزل الماء المتفرع عليه اخضرار الأرض بنباتها؛ لأنه لطيف بعباده خبير بما يصلحهم.. ﴿**له ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد**﴾: زيادة في التنبيه على

اختصاص الله بالخلق والمُلك الحق؛ ليعلم من ذلك أنه المختص بالعبادة.

وإنما لم تعطف الآية على التي قبلها مع اتحادهما في الغرض؛ لأن هذه تتنزل من الأولى منزلة التذييل بالعموم الشامل لما تضمنته الآية التي قبلها. وجملة وإن الله لهو الغنى الحميد عطف على ما قبلها.. وتقديم المجرور للدلالة على القصر. وفي ضمير الفصل إفادة أنه المختص بالغنَى دون غيره والحمد لا يكون إلا للرب الحق.. فأكد الحصر بحرف التوكيد وبلام الابتداء تحقيقاً لنسبة القصر إلى المقصور عليه.

﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾: فصلت هذه الآية عن الآية التي قبلها فلم تعطف عليها. فهو تكرير لما في الآية السابقة زيادة في الامتنان والاستدلال. وهذا تذكير بنعمة تسخير الحيوان وغيره.. ففيه إدماج الاستدلال على انفراد الله بالتسخير. وكما سخر الله الناس ما ظهر على وجه الأرض من موجودات مع ما في طبع كثير منها من مقتضيات إتلاف الإنسان، وكما سخر لهم الأحوال التي تبدو للناس من مظاهر الأفق على كثرته وسعتها وتباعدها، ومع ما في تلك الأحوال من مقتضيات تعذر الضبط، كذلك سخر لمصلحة الناس ما في السماوات من الموجودات بالإمساك المنظم المنوط بما قدره الله.

وقد استوعبت الآية العوالم الثلاثة: البر والبحر والجو.. فالإعجاز العلمي في هذه الآية أعظم من الإعجاز اللفظيّ.. فقد استخدم الإنسان في هذا العصر الجو للنقل كما استخدم البحر والبر.. فموقع الجملة في قوله: **﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾** موقع التعليل للتسخير والإمساك باعتبار الاستثناء؛ لأن في جميع ذلك رأفة بالناس بتيسير منافعهم الذي في ضمنه دفع الضر عنهم. **﴿وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾**: بعد أن أدمج الاستدلال على البعث بالمواعظ والمنن والتذكير بالنعم أعيد الكلام على البعث هنا بمنزلة نتيجة القياس.. فذُكّر الملحدون بالحياة الأولى التي لا ريب فيها، وبالإماتة التي لا يرتابون فيها، وبأن بعد الإماتة إحياء آخر كما أُخِذَ من الدلائل السابقة.

وهذا محل الاستدلال.. فجملة وهو الذي أحياكم موصولة بالعطف على جملة ويمسك السماء أن تقع على الأرض.. فهي من جملة النعم.. تناسب أن

تعطف على سابقتها المتضمنة امتناناً واستدلالاً كذلك. وجملة **﴿إن الإنسان لكفور﴾** تذييل يجمع المقصد من تعداد نعم المنعم بحلائل النعم المقتضية انفراد الله باستحقاق الشكر واعتراف الخلق له بوحدانية الربوبية والألوهية.

﴿لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر﴾: كلام مستأنف جيء به لزجر معاصري النبئ - ﷺ - من أهل الكتاب والمشركين من العرب الذين يدّعون نسبتهم إلى إبراهيم وأنهم على دينه أو هو على دينهم.. فبين هذا الكلام أن كل أمة لها منسك وشريعة تلتزم بها.. فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى عيسى منسكها التوراة.. والتي كانت من مبعث عيسى إلى مبعث الرسول منسكهم الإنجيل.. وأما الأمة الموجودة عند مبعث الرسول محمد - ﷺ - ومن بعدهم من الموجودين إلى يوم القيامة فهم أمة واحدة منسكهم القرآن ليس إلاّ.. فالفاء في قوله تعالى: فلا ينازعنك في الأمر لترتيب النهي على ما قبلها.. فإن تعيينه تعالى لكل أمة من الأمم التي من جملتهم هذه الأمة شريعة مستقلة، بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها، موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله وعدم منازعتهم إياه في أمر الدين زعماً منهم أن شريعتهم ما عُين لآبائهم الأولين من التوراة والإنجيل. وهما شريعتان لمن مضى من الأمم قبل انقسامهما. وهؤلاء أمة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب.

والنهي في قوله: فلا ينازعك في الأمر كناية عن نهيه عن الالتفات إلى نزاعهم المنبىء على زعمهم أنهم على دين موسى أو دين عيسى.. **﴿وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم﴾**: وُصل هذا الكلام بالعطف على قوله: فلا ينازعنك في الأمر. القصد منه الأمر بالاستمرار على الدعوة وعدم الاكتفاء بظهور الحجة. وفي حذف مفعول ادع إيذان بالتعميم. وجملة إنك لعلى هدى مستقيم تعليل للدوام على الدعوة. وعلى مستعارة للتمكن من الهدى.

ووصف الهدى بالمستقيم استعارة مكنية: شُبّه الهدى بالطريق للوصول إلى المطلوب ورمز إليه بالمستقيم؛ لأن المستقيم أسرع إيصالاً.. فدين الإسلام أيسر الشرائع في الإيصال إلى الكمال الإنساني الذي هو غاية الأديان.. وفي هذا الخبر تثبيت للنبئ.. وتجديد لنشاطه في الاضطلاع بأعباء الدعوة. **﴿وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون﴾**: وصل الكلام بالعطف على ما قبله؛ إن تبين عدم اقتناعهم

بالأدلة التي تقطع المنازعة وأبَوْ إلا دوام المجادلة تشغيباً واستهزاء.. فقل: الله أعلم بما تعملون.

وفي قوله: الله أعلم بما تعملون تفويض أمرهم إلى الله تعالى.. فهو كناية عن قطع المجادلة معهم. وإدماج بتعريضٍ بالوعيد والإنذار بكلام موجه صالح لما يتظاهرون به من طلب الحجة، ولما في نفوسهم من إبطال العناد. وجملة **﴿الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾**، كلام مستأنف ليس من المقول.. فهو خطاب للنبيء، وليس خطاباً للمشركين.. فالمقصود تأييد الرسول والمؤمنين. وما كانوا فيه يختلفون: هو ما عبر عنه بالأمر في قوله: فلا ينازعنك في الأمر.

﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾: زيادة في تحقيق التأييد الذي تضمنه قوله: الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون.. فهو لا يفوته شيء من أعمالكم فيجازي كلا على حساب عمله.. فالكلام كناية عن جزاء كل بما يليق به. والخطاب هنا للرسول. والاستفهام تقريري.. فهو كناية عن تسلية الرسول.. فلا يضيق صدره منهم.. وجملة **﴿إن ذلك في كتاب﴾** بيان للجملة قبلها؛ لأن شأن الكتاب أن لا تتطرق إليه الزيادة والنقصان. وجملة **﴿إن ذلك على الله يسير﴾** بيان لمضمون الاستفهام من الكناية عن الجزاء.

﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم﴾: لما كان جدال المشركين جدالاً باطلاً ونزاعهم الرسول نزاعاً فاشلاً وضحت هذه الآية أباطيل المشركين وأحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم من بناء أمر دينهم على غير مبني من دليل سمعي أو عقلي.. فهم يعبدون أصناماً لا حقيقة لها ويرجون منها النصر: **﴿وما للظالمين من نصير﴾**! ومع هذا.. فهم متمسكون بعبادتهم الباطلة، ومعرضون عن آيات الله البينات الواضحة القاطعة: **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر..﴾** فهذا الكلام كناية عن امتلاء نفوسهم من الإنكار والغيظ حتى تجاوز أثره بواطنهم فظهر على وجوههم.

وجملة **﴿يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾** بيان لقوله تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر. **﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾**: كلام مستأنف يفيد زيادة إغاظتهم. والاستفهام مستعمل في الاستئذان. وهو استئذان تهكمي.. فإن

كنتم غاضبين لما تلى عليكم من الآيات فازدادوا غضباً بهذا الذي أنبئكم به: **﴿النار..﴾** فقد اجتمع في النار كل شر. **﴿وعدها الله الذين كفروا..﴾** فالذكر كفروا بالقرآن أكفر من كل من كفر! **﴿وبئس المصير﴾** مصير هؤلاء الفجار!.. **﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له﴾**: أعقبت تضاعيف الحجج والمواعظ والإنذارات التي اشتملت عليها السورة مما فيه مقنع للعلم بأن إله الناس واحد، وأن ما يُعبد من دونه باطل. أعقبت تلك كلها بمثل جامع لوصف حال تلك المعبودات وعابديها.

والخطاب بيا أيها الناس للمشركين؛ لأنهم المقصود بالرد والزجر.. وبقرينة قوله: **﴿إن الذين تدعون﴾**. وفي افتتاح السورة بيا أيها الناس.. وتنهيتها بمثل ذلك شبه برد العجز على الصدر. ومما يزيده حسناً أن يكون العجز جامعاً لما في الصدر وما بعده.. حتى يكون كالنتيجة للاستدلال والخلاصة للموضوع. وضرب المثل ذكره وبيانه. استعير الضرب للقول والذكر تشبيهاً بوضع الشيء بشدة.. فالمثل هنا تشبيه تمثيلي يوضح حالة الأصنام في فرط العجز عن إيجاد أضعف المخلوقات.. وفرع على التهيئة لتلقي هذا المثل الأمر بالاستماع له وإلقاء السمع لوعيه وترقب بيان إجماله توخياً للتفطن لما يتلى بعد: **﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له..﴾** فأكد إثبات بحرف توكيد الإثبات وهو إنّ.. وأكد ما فيه من النفي بحرف توكيد النفي لَنْ؛ لتنزيل المخاطبين منزلة المنكرين لمضمون الخبر؛ لأن جعلهم الأصنام آلهة يتقتضي إثباتهم الخلق إليها.

وقد نفى عنها الخلق في المستقبل لأنه أظهر في إفحام الذين ادعوا لها الإلهية؛ لأن نفي أن تخلق في المستقبل يقتضي نفي ذلك في الماضي بالأحرى.. وهذا التحدي والإفحام باقيان لكل من يتعدى ويدّعي أن غير الله يخلق.. وجملة ولو اجتمعوا له ومبالغة في نفي الخلق لأقل شيء وأضعف شيء. وجملة **﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه﴾** بيان لعجز الآلهة المعبودة عن الامتناع عما يفعل بها الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه.. ففي الكلام غاية التجهيل للمشركين في إشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات، المنفرد بإيجاد كافة الموجودات. وجملة **﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾** تذييل وفذلكة للعرض من التمثيل. وهذه

الجملة كلام أرسل مثلاً. وذلك من بلاغة الكلام. ولوضوحه لا يحتاج إلى زيادة كلام! . .

﴿ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز﴾: تذييل للمثل بأنهم عبادتهم الأصنام مع الله استخفاف بحق الخالق العظيم. . فالمعنى ما عظموه حق تعظيمه إذْ أشركوا معه الضعفاء العجز. وجملة إن الله لقوي عزيز تعليل لمضمون الجملة قبلها. وتوكيد الجملة بحرف التوكيد ولام الابتداء مع أن مضمونها مما لا يُختلف فيه؛ لتنزيل علمهم بذلك منزلة الإنكار؛ لأنهم لما تجروا على موجَب العلم حين أشركوا مع القوي العزيز ضعفاء أذلة. . وفيه تهديد ووعيد شديد. . **﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾**: لما نفت الآيات السابقة أن يكون للأصنام التي يعبدها المشركون مزية في نصرهم. . ونفى على المشركين تكذيبهم. . وقد كان من دعاوي التكذيب أنهم أحالوا أن يأتيهم رسول من البشر أعقب ذلك بإبطال أقوالهم بأن الله يصطفي من يشاء اصطفاءه من الملائكة ومن الناس دون الحجارة. وأنه يصطفيهم ليرسلهم إلى الناس. . فالجملة استئناف ابتدائي.

وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: الله يصطفي، دون أن يقول: نصطفي؛ لإفادة الاختصاص. وجملة **﴿إن الله سميع بصير﴾**، تعليل لمضمون الجملة قبلها؛ لأن المحيط علمه بالأشياء هو الذي يختص بالاصطفاء وليس لأهل العقول ما بلغت بهم عقولهم من الفطنة والاختيار أن يطلعوا على خفايا الأمور فيصطفوا للمقامات العليا من قد تخفى عنهم نقائصهم بَلْهَ اصطفاء الحجارة الصماء. **﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور﴾**: جملة مقررة لمضمون جملة إن الله سميع بصير. وفائدتها زيادةً على التقرير أنها تعريض بوجوب مراقبتهم ربهم في السر والعلانية؛ لأنه لا تخفى عليه خافية.

وما بين أيديهم مستعار لما يظهرونه. . وما خلفهم هو ما يخفونه؛ لأن الشيء الذي يظهره صاحبه يجعله بين يديه، والشيء الذي يخفيه يجعله وراءه. وجملة وإلى الله ترجع الأمور تذييل مقرر لمضمون ما في الجملة قبله من البشارة والنذارة. وتقديم المجرور لإفادة الحصر الحقيقي. والتعريف في الأمور للاستغراق. **﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾**: هذه الآية وما بعدها جاءت تلخص الغرض المقصود من سورة

الحج، وتمهد لما يأتي في سورة المؤمنون.. ففيها براعة المقطع، وبراعة المطلع.

وتربط بين السورتين برباط رائع ومقنع.. فقد ربط بين آخر هذه السورة بقوله: يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا.. وبين السورة الآتية بقوله قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون.. وترتيب الأوامر في هذه الآية جاءت حسب المطلوب: الأول فالأول.. فالمراد بالركوع والسجود الصلوات.. وتخصيص الركوع والسجود بالذكر من بين أعمال الصلاة؛ لأنهما أعظم أركانها.. وتخصيص الصلاة بالذكر قبل الأمر ببقية العبادات تنبيه على أن الصلاة عماد الدين.. ثم جاء الأمر ببقية العبادات من زكاة وصوم وحج.. ثم جاء الأمر بفعل كل خير.. والرجاء المستفاد من لعلكم تفلحون مستعمل في معنى تقريب الفلاح لمن بلغوا بأعمالهم هذا الحد.. ثم جاء الأمر بالجهاد الحق في قوله: ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده**﴾.

وهذا أمر بالأخذ في وسائل النصر الذي يترتب عليه حفظ كيان الدين في كل عصر. ﴿**هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾: هذا تعليل للأمر الذي كلف الله به المؤمنين: هو اختاركم لتلقي دينه ونشره ونصره والمحافظة عليه حتى يظهره الله على الدين كله. وبين حقيقة هذا الدين وأنه جاء للناس سهلاً ميسراً دون مشقة وحرج. وقوله: ﴿**ملة أبيكم إبراهيم**﴾ زيادة في التنويه بهذا الدين. وتحريض على الأخذ به؛ بأنه دين جاء به رسولان: إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام..

وجملة ﴿**هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا**﴾ بيان وتوضيح لقوله: هو اجتباكم. وقد سمى اللَّهُ جميع الرسل والمؤمنين مسلمين من قبل القرآن وفي هذا القرآن: ﴿**ليكون الرسول شهيداً عليكم..**﴾ فهو تعليل لما سبقه من الكلام. والغرض من هذا متابعة الأمة لرسولها في كل ما جاء به وأمرهم به من عمل.. فالأمة مقيدة بالعمل المشروع المؤيد بعمل الرسول من قول أو فعل أو إقرار.. ومن ترك ما أمروا بتركه سواء جاء من طريق الكتاب أو من طريق السنّة التي أجمع عليها أهل الحل والعقد من صحابة الرسول وتابعيهم.. ﴿**وتكونوا شهداء على الناس**﴾: عطف على العلة السابقة.. فأصحاب الرسول شهداء بعملهم على جميع

الناس من كون عملهم مشروعاً أو غير مشروع. وهذا سد مانع من كل ما يتطرق إلى الدين من بدع ومخالفات لا تستند على هذا المبدإ السديد.

﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله﴾: هذا تفريع على ما سبقه.. فاشكروا الله بالدوام على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والاعتصام بالله. وجملة **﴿هو مولاكم﴾** مستأنفة معللة للأمر بالاعتصام بالله؛ لأن المولى يعتصم به ويُرجع إليه لعظيم قدرته وبديع حكمته. وجملة **﴿نعم المولى ونعم النصير﴾** تفريع على ما قبله.. فهو إنشاء يتضمن تحقيق حسن ولاية الله تعالى وحسن نصره. وبذلك الاعتبار حَسُن تفريعه على الأمر بالاعتصام به. وهذا من براعة الختام، كما هو بيّن لذوي الأفهام!!..

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور...﴾: في هذا التوجيه وعد الله بالنصر للمؤمنين. وتمكينهم في الأرض ليقيموا شعائر الله في الأرض.. فإن قوى الشر والضلال لا يردعها شيء إلا الوقوف بقوة تفوق قوتها، وعقيدة تحطم ما عندها من أوهام وخرافات.. فلا بدّ للإيمان والخير والحق من قوة تحميها من بطش المغرورين! ولم يشإِ الله أن يترك الإيمان والخير والحق عزلاً تكافح قوى الطغيان والشر والباطل اعتماداً على قوة الإيمان في النفوس وتغلغل الحق في الفِطَر وعمق الخير في القلوب.. فالقوة المادية التي يملكها الباطل قد تزلزل القلوب وتفتن النفوس وتزيغ الفِطر، وللصبر حد وللاحتمال أمد، وللطاقة البشرية مدى تنتهي إليه .والله أعلم بقلوب الناس ونفوسهم.

ومن ثَمّ لم يشأ أن يترك المؤمنين للفتنة، إلا ريثما يستعدون للمقاومة، ويتهيأون للدفاع، ويتمكنون من وسائل الجهاد.. فعندئذٍ آذن لهم في القتال لرد العدوان. وقبل أن يأذن لهم بالانطلاق إلى المعركة آذنهم أنه هو يستولي الدفاع عنهم.. فهم في حمايته وتأييده. وأنه يكره أعداءهم لكفرهم وخيانتهم.. فهم مخذولون حتماً! وأنه حكم لهم بأحقية دفاعهم وسلامة موقفهم من الناحية الأدبية.. فهم مظلومون غير معتدين ولا متبطرين: **﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم**

ظلموا..﴾ وأن لهم أن يطمئنوا إلى حماية الله لهم ونصره إياهم: **﴿وإن الله على نصرهم لقدير..﴾** وأن لهم ما يبرر خوضهم للمعركة.. فهم منتدبون لمهمة إنسانية كبيرة، لا يعود خيرها عليهم وحدهم.. إنما يعود على الجبهة المؤمنة كلها.. ففي الدفاع ضمان لحرية العقيدة وحرية العبادة من يوم أن بعث الله الرسل لأهل هذه الأرض.. وذلك فوق أنهم مظلومون أخرجوا من ديارهم بغير حق: **﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله..﴾** فهي أصدق كلمة أن تقال.. وأحق كلمة بأن تقال.. ومن أجل هذه الكلمة وحدها كان إخراجهم.. فهو البغي المطلق الذي لا يستند إلى شبهة من ناحية المعتدين.

وهو التحرض من كل هدف شخصي من ناحية المعتدَى عليهم.. إنما هي العقيدة وحدها من أجلها يُخرجون. لا الصراع على عَرَض من أعراض هذه الأرض التي تشتجر فيها الأطماع، وتتعارض فيها المصالح، وتختلف فيها الاتجاهات، وتتضارب فيها المنافع. ووراء هذا كله تلك القاعدة العامة.. حاجة العقيدة إلى الدفاع عنها: **﴿ولولا دفاع الله الناس بعضهم لبعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً..﴾** فالباطل متبجح لا يكلف ولا يقف عن العدوان إلا أن يدفع بمثل القوة التي يصول بها ويجول.. ولا يكفي الحق أنه الحق ليقف عدوان الباطل عليه.. بل لا بدّ من القوة تحميه وتدفع عنه.

وهي قاعدة كلية جاءت بها كل الأديان السابقة على الإسلام لا تتبدل ما دام الإنسان هو الإنسان!. ولا بدّ من وقفة أمام هذه النصوص القليلة الكلمات العميقة الدلالة، وما وراءها من أسرار في عالم النفس وعالم الحياة: إن الله يبدأ الإذن بالقتال للذين قاتلهم المشركون، واعتدى عليهم المبطلون، بأن الله يدافع عن الذين آمنوا، وأنه يكره المعتدين عليهم من الكفار الخائنين.. فقد ضمن للمؤمنين إذنْ أنه هو تعالى يدافع عنهم. ومن يدافع الله عنه فهو ممنوع حتماً من عدوه، ظاهر حتماً على عدوه.. ففيم إذنْ يأذن لهم بالقتال؟ وفيم إذنْ يكتب عليهم الجهاد؟ وفيم إذن يقاتلون فيصيبهم القتل والجرح، والجهد والمشقة والتضحية والآلام.

والعاقبة معروفة، والله قادر على تحقيق العاقبة لهم بلا جهد ولا مشقة، ولا تضحية ولا ألم ولا قتل ولا قتال؟. والجواب: أنّ حكمة الله في هذا هي العليا، وأنّ لله الحجة البالغة.. والذي ندركه نحن البشر من تلك الحكمة، ويظهر لعقولنا

ومداركنا من تجاربنا ومعارفنا أنّ الله سبحانه لم يرد أن يكون حملة دعوته وحماتها من التنابلة الكسالى الذين يجلسون في استرخاء.. ثم يتنزل عليهم نصره سهلاً هيناً بلا عناء لمجرد أنهم يقيمون الصلاة ويرتلون القرآن ويتوجهون إلى الله بالدعاء كلما مسهم الأذى ووقع عليهم الاعتداء!.

نعم: إنهم يجب أن يقيموا الصلاة وأن يرتلوا القرآن وأن يتوجهوا إلى الله بالدعاء في السراء والضراء.. ولكن هذه العبادة وحدها لا تؤهلهم لحمل دعوة الله وحمايتها.. إنما هي الزاد الذي يتزودونه للمعركة، والذخيرة التي يدخرونها للموقعة، والسلاح الذي يطمئنون إليه وهم يواجهون الباطل بمثل سلاحه ويزيدون عنه سلاح التقوى والإيمان والاتصال بالله.. فقد شاء الله تعالى أن يجعل دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم؛ كي يتم نضجهم هم في أثناء المعركة.. فالبنية الإنسانية لا تستيقظ كل الطاقات المذخورة فيها كما تستيقظ وهي تواجه الخطر، وهي تدفع وتدافع، وهي تستجمع كل قوتها لتواجه القوة المهاجمة.. فعندئذٍ تتحفز كل خلية بكل ما أودع فيها من استعداد لتؤدي دورها؛ ولتتساند مع الخلايا الأخرى في العمليات المشتركة؛ ولتؤتى أقصى ما تملكه، وتبذل آخر ما تنطوي عليه، وتصل إلى أكمل ما هو مقدور لها وما هي مهيأة له من الكمال.

والأمة التي تقوم على دعوة الله في حاجة إلى استيقاظ كل خلاياها واحتشاد كل قواها وتوفر كل استعدادها، وتجمع كل طاقاتها؛ يتم نموها ويكمل نضجها، وتتهيأ بذلك لحمل الأمانة الضخمة والقيام عليها. والنصر السريع الذي لا يكلف عناء، والذي يتنزل هيناً ليناً على القاعدين المستريحين يعطل تلك الطاقات عن الظهور؛ لأنه لا يحفزها ولا يدعوها.. وذلك فوق أن النصر السريع الهين اللين سهل فقدانُه وضياعُه: أولاً؛ لأنه رخيص الثمن لم تبذل فيه تضحيات عزيزة. وثانياً؛ لأن الذين نالوه لم تدرب قواهم على الاحتفاظ به ولم تُشحذ طاقاتهم وتُحشد لكسبه.. فهي لا تتحفز ولا تحتشد للدفاع عنه.

وهناك التربية الوجدانية والتربية العملية تلك التي تنشأ من النصر والهزيمة والكر والفر، والقوة والضعف والتقدم والتقهقر. ومن المشاعر المصاحبة لها.. من الأمل والألم، ومن الفرح والضم، ومن الاطمئنان والقلق، ومن الشعور

بالضعف والشعور بالقوة. . . ومعها التجمع والفناء في العقيدة والجماعة والتنسيق بين الاتجاهات في ثنايا المعركة وقبلها وبعدها، وكشف نقط الضعف ونقط القوة، وتدبير الأمور في جميع الحالات. . وكلها ضرورية للأمة التي تحمل الدعوة وتقوم عليها وعلى الناس. من أجل هذا كله، ومن أجل غيره مما يعلمه الله. . جعل الله دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم.

ولم يجعله لقية تهبط عليهم من السماء بلا عناء! والإسلام مع هذا لا يعد القتال غاية لذاته، ولا يأذن به إلا لغاية أكبر من المهادنة والموادعة. . فالسلام هو غاية الإسلام. . ولكنه السلام الذي لا اعتداء فيه. . فلا ظلم ولا بغي ولا عدوان. أما حيث يقع البغي والعدوان على أي مقوم من مقومات الإنسانية الفاضلة؛ كحرية العقيدة وحرية العبادة، والعدل في الحكم والعدل في الجزاء والعدل في توزيع المغانم والمغارم والحقوق والواجبات، واستقامة السلوك الفردي والجماعي على حدود الله. . أما حيث يقع البغي على أي مقوم من هذه المقومات في أية صورة من الصور: سواء وقع من فرد على فرد، أو من فرد على جماعة أو من جماعة على فرد أو جماعة، أو من دولة على دولة فالإسلام لا يرضى حينئذٍ بسلام يقوم على هذا العدوان. . فليس السلام في الإسلام هو المهادنة والموادعة. . إنما هو تحقق الخير والعدل على النهج الذي رسمه الله للعباد. . ومع هذا. . فقد يبطىء النصر؛ لأن بنية الأمة المؤمنة لم تنضج بعدُ نضجَها المطلوب. . ولم يتم بعدُ تمامَها المحسوب. . ولم تحشد بعدُ طاقاتها، ولم تتحفز كل خلية وتتجمع لتعرف أقصى المنخور فيها من قوى واستعدادات. . فلو نالت النصر حينئذٍ لفقدته وشيكاً لعدم قدرتها على حمايته طويلاً!.

وقد يبطىء النصر حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة، وآخر ما تملكه من رصيد. . فلا تستبقي عزيزاً ولا غالياً لا تبذله هيناً رخيصاً في سبيل الله!. وقد يبطىء النصر حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها. . فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سند من الله لا تكفل النصر. . إنما يتنزل النصر من عند الله عندما تبذل آخر ما في طوقها. . ثم تكل الأمر بعدها إلى الله. وقد يبطىء النصر لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله، وهي تعاني وتتألم وتبدل؛ ولا تجد لها سند إلا الله، ولا متوجهاً إلا إليه وحده في الضراء.

وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصر عندما يتأذّن به الله. . فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها به الله. وقد يبطىء النصر؛ لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ودعوته. . فهي تقاتل لمغنم تحققه. . أو تقاتل حمية لذاتها. . أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها. . والله يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله، بريئاً من المشاعر الأخرى التي تلابسه. . وقد سُئل رسول الله ـ ﷺ ـ: الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليُرى. . فأيها في سبيل الله؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.

وقد يبطىء النصر؛ لأن في الشر الذي تكافحه الأمة المؤمنة بقيةً من خير يريد الله أن يجرد الشر منها ليتمحض خالصاً ويذهب الشر وحده هالكاً لا تتلبس به ذرّةٌ من خير تذهب في الغمار!. وقد يبطىء النصر؛ لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تماماً. . فلو غلبه المؤمنون حينئذٍ فقد يجد له أنصاراً من المخدوعين فيه لم يقتنعوا بعدُ بِفسَادِهِ وضرورة زواله. . فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة. . فيشاء الله أن يبقى الباطل حتى ينكشف عارياً للناس ويذهب غير مأسوف عليه من ذى بقية! من أجل هذا كله ومن أجل غيره مما يعلمه الله قد يبطىء النصر. . فتتضاعف التضحيات وتتضاعف الآلام مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية.

وللنصر تكاليفه وأعباؤه حين يتأذن الله به بعد استيفاء أسبابه وأداء ثمنه، وتهيؤ الجو حوله لاستقباله واستبقائه: ﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾. وعدُ الله المؤكد الوثيق المتحقق الذي لا يتخلف هو أن ينصر من ينصره. . فمن هم هؤلاء الذين ينصرون الله فيستحقون نصر الله القوي العزيز الذي لا يُهزم من يتولاه؟ إنهم هؤلاء: الذين إن مكناهم في الأرض. . فحققنا لهم النصر، وثبتنا لهم الأمر. . فعبدوا الله ووثقوا صلتهم به، واتجهوا إليه طائعين خاضعين مستسلمين. . فأدوا حق المال وانتصروا على شح النفس، وتطهروا من الحرص، وغلبوا وسوسة الشيطان، وسدوا خلة الجماعة، وكفلوا الضعاف فيها والمحاويج وحققوا لها صفة الجسم الحي. . ودعوا إلى الخير

والصلاح ودفعوا إليه الناس.. وقاوموا الشر والفساد، وحققوا بهذا وذاك صفة الأمة المسلمة التي لا تبقى على منكر وهي قادرة على تغييره.. ولا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه.. هؤلاء هم الذين ينصرون الله إذ ينصرون نهجه الذي أراده للناس في الحياة، معتزين بالله وحده دون سواه.

وهؤلاء هم الذين يعدهم الله بالنصر على وجه التحقيق واليقين.. فهو النصر القائم على أسبابه ومقتضياته.. المشروط بتكاليفه وأعبائه.. والأمر بعد ذلك لله، يصرّفه كيف يشاء.. فيبدل الهزيمة نصراً والنصر هزيمة عندما تختل القوائم، أو تهمل التكاليف: ولله عاقبة الأمور.. إنه النصر الذي يؤدي إلى تحقيق المنهج الإلهي في الحياة: من انتصار الحق والعدل والحرية المتجهة إلى الخير والصلاح. المنظور فيه إلى هذه الغاية التي يتوارى في ظلها الأشخاص والذوات والمطامع والشهوات.. فهو نصر له سببه.. وله ثمنه.. وله تكاليفه.. وله شروطه.. فلا يعطى لأحد جزافاً أو محاباة.. ولا يبقى لأحد لا يحقق غايته ومقتضاه..

التوجيه الثاني: ﴿**وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود. وقوم إبراهيم وقوم لوط. وأصحاب مدين وكذب موسى..**﴾: توجيه الخطاب إلى الرسول ـ ﷺ ـ يعده بالنصر ويطمئنه بالفوز والبشر.. يعلمه فيه أن سنة الله لا تتبدل ولا تتغير.. فهي سنّة مطردة في الرسالات كلها ـ قبل الرسالة الأخيرة ـ أن يجيء الرسل بالآيات فيكذب بها المكذبون.. فليس الرسول بدعاً من الرسل حين يكذبه المشركون. والعاقبة معروفة، والسنّة مطردة.. حتى من جاء بآية عظيمة مثل آية موسى.. وفي جميع تلك الحالات أملى الله للكافرين حيناً من الزمان ـ كما يملي لقريش ـ ثم أخذهم أخذاً شديداً: ﴿**فأمليت للكافرين.. ثم أخذتهم.. فكيف كان نكيري**﴾؟!.

وبعد الاستعراض السريع لمصارع أولئك الأقوام يعمم في عرض مصارع الغابرين: ﴿**فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد..**﴾ فهي كثيرة تلك القرى المهلكة بظلمها. والتعبير يعرض مصارعها في مشهد شاخص مؤثر: فهي خاوية على عروشها.. والعروش السقوف. وتكون قائمة على الجدران عند قيام البنيان. فإذا انهدمت خرت العروش وسقطت فوقها السيسان. وكان منظرها هكذا موحشاً كئيباً مؤثراً. داعياً إلى التأمل في صورتها الخالية، وصورتها البادية.

والربوع الخربة أوحش شيء للنفس، وأشدها استجاشة للذكرى والعبرة والخشوع!. وإلى جوار القرى الخاوية على عروشها.. الآبار المعطلة المهجورة تُذكّر بالورد والورّاد؛ وتتزاحم حولها الأخيلة وهي مهجورة خواء.. ثم إلى جوارها القصور المشيدة الشامخة المحصنة، وهي خالية من السكان موحشة من الأحياء.. تطوف بها الرؤى والأشباح والذكريات والأطياف! يعرض السياق هذه المشاهد.. ثم يسأل في استنكار عن آثارها في نفوس المشركين الكفار: ﴿**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها..**﴾ إن مصارع الغابرين حيالهم شاخصةٌ موحية: تتحدث بالعبر وتنطق بالعظات: أفلم يسيروا في الأرض.. فيروها.. فتوحى لهم بالعبرة؟! وتنطق لهم بلسانها البليغ؟! وتحدثهم بما تنطوي عليه من عبر؟!.. فتكون لهم قلوب يعقلون بها.. فتدرك ما وراء هذه الآثار الدوارس من سنة لا تتخلف ولا تتبدل.

أو آذان يسمعون بها.. فتسمع أحاديث الأحياء عن تلك الدور المهدمة والآبار المعطلة والقصور الموحشة! أفلم تكن لهم قلوب؟!.. فإنهم يرون ولا يدركون.. ويسمعون ولا يعتبرون!: ﴿**فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾!.. ويمعن في تحديد مواضع القلوب: التي في الصدور، زيادة في التوكيد، وزيادة في إثبات لتلك القلوب على وجه التحديد؛ إذ لو كانت هذه القلوب مبصرة لجاشت بالذكرى، وتنبهت للعبرة، وجنحت إلى الإيمان خشية العاقبة الماثلة في مصارع الغابرين وهي حولهم كثيراً.. ولكنهم بدلاً من التأمل في تلك المصارع والجنوح إلى الإيمان والتقوى من العذاب راحوا يستعجلون بالعذاب الذي أخره الله عنهم إلى أجل معلوم: ﴿**ويستعجلونك بالعذاب..**﴾ وذلك دأب الظالمين في كل حين.. يرون مصارع الظالمين ويقرأون أخبارهم ويعلمون مصائرهم.. ثم إذ هم يسلكون طريقهم غير ناظرين إلى نهاية الطريق.

فإذا ذكروا بما نال أسلافهم استبعدوا أن يصيبهم ما أصابهم.. ثم يطغى بهم الغرور والاستهتار إذا أملى لهم الله على سبيل الاختبار.. فإذا هم يسخرون ممن يخوفهم ذلك المصير. وإذا هم ـ من السخرية ـ يستعجلون ما يُوعَدون.. ﴿**ولن يخلف الله وعده..**﴾ فهو آت في موعده الذي أراده الله وقدره وفق حكمته. واستعجال الناس به لا يعجله؛ كي لا تبطل الحكمة المقصودة من تأجيله. وتقدير

الزمن في حساب الله غيره في حساب البشر: **﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾**. ولقد أملى الله للكثير من تلك القرى الهالكة.. فلم يكن هذا الإملاء منجياً لهم من المصير المحتوم، والسنّة المطردة في هلاك الظالمين: **﴿وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة.. ثم أخذتها.. وإلى المصير﴾**! فما بال هؤلاء المشركين يستعجلون بالعذاب، ويهزأون بالوعيد بسبب إملاء الله لهم حيناً من الزمان إلى أجل معلوم؟!..

التوجيه الثالث: ﴿قل: يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين..﴾: في هذا التوجيه يلتفت السياق بالخطاب إلى الرسول ـ ﷺ ـ لينذر الناس ويبين لهم ما ينتظرهم من مصير.. فيمحّص السياق وظيفة الرسول في هذا المقام للإنذار لما يقتضيه التكذيب والاستهزاء واستعجال العذاب من إبراز الإنذار.. ثم يأخذ في تفصيل المصير: **﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم..﴾** فالذين آمنوا وأتبعوا إيمانهم بثمرته من العمل الصالح الدال على تحققه.. فجزاؤهم مغفرة من ربهم لما سلف من ذنوبهم أو تقصيرهم.. ورزق كريم..

﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم..﴾ فأما الذين بذلوا غاية جهدهم في تعطيل آيات الله عن أن تبلغ القلوب، وتتحقق في حياة الناس.. فأما هؤلاء فقد جعلهم الله مالكين للجحيم. ويا لسوئها من ملكية في مقابل ذلك الرزق الكريم!. **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبئ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾**: في هذا الكلام تطمين للرسول وتثبيت له على الاستمرار في الدعوة بصرف النظر عما يعتريها من عقبات ومعوقات من الذين يسعون معاجزين في تلك الآيات الواضحات. وما ذلك إلا من إلقاء الشيطان في نفوس هؤلاء المعوقين من الشبهات.. **﴿فينسخ الله ما يلقى الشيطان..﴾** فيزيل هؤلاء المعارضين من الطريق بالأدلة القاطعة والقوة المانعة القامعة.. **﴿ثم يحكم الله آياته﴾** في نهاية المطاف. **﴿والله عليم حكيم﴾** حيث جعل المعركة بين الحق والباطل بهذه الكيفية بين الناس ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيى عن بينة.

إن الرسل عندما يكلفون حمل الرسالة إلى الناس يكون أحبَّ شيءٍ إلى نفوسهم أن يجتمع الناس على الدعوة، وأن يدركوا الخير الذي جاءوهم به من عند الله فيتبعوه.. ولكن العقبات في طريق الدعوات كثير. منها وسوسة الشيطان

لأوليائه بالوقوف أمام الدعوة بالتشكيك والتكذيب والإعراض.. ولكن الله يحول دون كيد الشيطان ويبين الحكم الفاصل الموضح تلك الشبهات التي يلقيها الشيطان في أوهام أتباعه ليحول بينهم وبين أماني الرسل التي أرادوها للناس: ﴿**ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد**﴾.

﴿**وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم..**﴾ ثم يعقب السياق على تلك الآيات وما فيها من صيانة لدعوة الله من كيد الشيطان بأن الذين يكفرون بها مدحورون ينتظرهم العذاب المهين: ﴿**ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم..**﴾ فذلك شأن الذين كفروا مع القرآن كله.. فهم لا يزالون في ريبة من القرآن وشك.. فمنشأ هذه الريبة أن قلوبهم لم تخالطها بشاشته فتدرك ما فيه من حقيقة وصدق. ويظل هذا حالهم: حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم.. فوصف يوم القيامة بالعقيم يلقى ظلاً خاصاً.. فهو يوم ما بعده يوم.. فهو اليوم الأخير: يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار. في هذا اليوم الملك لله وحده.. فلا ملك لأحد.. والحكم يومئذٍ لله وحده: ﴿**الملك يومئذٍ لله يحكم بينهم**﴾. وهو يقضي لكل فريق بجزائه المقسوم: ﴿**فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم..**﴾

﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين..**﴾ فالعذاب المهين جزاء الكيد لدين الله.. وجزاء التكذيب بآياته البينات.. وجزاء الاستكبار عن الطاعة لله والتسليم..

التوجيه الرابع: ﴿**والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً..**﴾: في هذا التوجيه إشارة وتنويه بالمهاجرين، وبيان لما أعد الله لهم من عوض عما تركوه من ديار وأموال. فالذين هاجروا في سبيل الله هم الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.. وهم المهاجرون من مكة إلى المدينة. والهجرة كانت قبل فتح مكة وقيام الدولة الإسلامية. أما بعد الفتح.. فلم تُعد هجرة.. ولكن جهاد وعمل.. فمن جاهد في سبيل الله وعمل كان له حكم الهجرة، وكان له ثوابها.. والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا

ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين.. سواء لاقوا الله شهداء بالقتل، أو لاقوه على فراشهم بالموت.. فهذه خصوصية للمهاجرين من مكة إلى المدينة من صحابة رسول الله.. فلقد خرجوا من ديارهم وأموالهم في سبيله مستعدين لكل مصير.

واستروحوا الشهادة في هجرتهم عن أي طريق. وضحوا بكل عرض الحياة. وتجردوا بهذا لِلّه.. فتكفل الله لهم بالعوض الكريم عما فقدوه: ﴿**ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين..**﴾ فهو رزق أكرم وأجزل من كل ما تركوا: ﴿**ليدخلنهم مدخلاً يرضونه..**﴾ فقد خرجوا مخرجاً يرضى الله.. فتعهد لهم الله بأن يدخلهم مدخلاً يرضونه. وإنه لمظهر لتكريم الله لهم بأن يتوخى ما يرضونه فيحققه لهم، وهم عباده: وهو خالقهم سبحانه. ﴿**وإن الله لعليم حليم**﴾: عليم بما وقع عليهم من ظلم وأذى.. وبما يرضي نفوسهم ويعوضها.. حليم يمهل.. ثم يوفى الظالم والمظلوم الجزاء الأوفى: فأما الذين يقع عليهم العدوان من البشر فقد لا يحلمون ولا يصبرون.. فيردون العدوان ويعاقبون بمثل ما وقع عليهم من الأذى.

فإن لم يكف المعتدون وعاودوا البغي على المظلومين تكفل الله عندئذٍ بنصر المظلومين على المعتدين: ﴿**ذلك.. ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور..**﴾ فشرط هذا النصر أن يكون العقاب قصاصاً على اعتداء لا عدواناً ولا تبطراً، وأن لا يتجاوز العقاب مثل ما وقع من العدوان دون مغالاة.. ويعقب على رد الاعتداء بمثله بأن الله عفو غفور. فهو الذي يملك العفو والمغفرة. أما البشر فقد لا يعفون ولا يغفرون. وقد يؤثرون القصاص ورد العدوان. وهذا لهم بحكم بشريتهم ولهم النصر من الله. بعد ذلك يربط السياق بين وعد الله بالنصر لمن يعاقب بمثل ما عوقب به ثم يقع عليه البغي.

يربط بين هذا الوعد وسنن الله الكونية الكبرى. التي تشهد بقدرة الله على تحقيق وعده كما تشهد بدقة السنن الكونية المطردة مما يوحى بأن ذلك النصر هو إحدى هذه السنن التي لا تتخلف: ﴿**ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير..**﴾ فهي ظاهرية طبيعية تمر بالبشر صباحاً ومساءً، وصيفاً وشتاءً، الليل يدخل في النهار عند المغيب والنهار يدخل في الليل

عند الشروق. والليل يدخل في النهار وهو يطول في مدخل الشتاء. والنهار يدخل في الليل وهو يمتد عند مطلع الصيف. ويرى البشر هذه الظاهرة. وتلك من إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل فينسيهم طول رؤيتها وطول ألفتها ما وراءها من دقة النواميس واطرادها.. فلا تختل مرة ولا تتوقف مرة، وهي تشهد بالقدرة التي تصرّف هذا الكون وفق تلك النواميس.

والسياق يوجه النظر إلى تلك الظاهرة الكونية المكرورة التي يمر عليها الناس غافلين، ليفتح بصائرهم ومشاعرهم على يد القدرة، وهي تطوي النهار من جانب وتسدل الليل من جانب. وهي تطوي الليل من جانب وتنشر النهار من جانب في دقة عجيبة لا تختل، وفي اطراد عجيب لا يتخلف.. وكذلك نصر الله لمن يقع عليه البغي وهو يدفع عن نفسه العدوان. إنه سنة مطردة كسنة إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل.. فكذلك يزوى الليل سلطان المتجبرين وينشر سلطان العادلين.. فهي سنة كونية كتلك السنة.

يمر عليها الناس غافلين كما يمرون على دلائل القدرة في صفحة الكون وهم لا يشعرون!. ذلك مرتبط بأن الله هو الحق.. فالحق هو المسيطر على نظام هذا الكون. وكل ما دون الله باطل: يختل ويتخلّف ولا يطرد أو يستقيم: ﴿**ذلك بأن الله هو الحق وأن ما تدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير**.﴾ وذلك تعليل كاف وضمان شافٍ لانتصار الحق والعدل، وهزيمة الباطل والبغي. وهو كذلك ضمان لاطراد سنن الكون وثباتها، وعدم تخلخلها أو تخلفها. ومن هذه السنن انتصار الحق وهزيمة البغي. والله أعلى من الطغاة وأكبر من الجبارين: وأن الله هو العلي الكبير. فلن يدع البغي يستعلي والظلم يستطيل.

ويستعرض السياق في استعراض دلائل القدرة في مشاهد الكون المعروضة للناس في كل حين: ﴿**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة**.﴾ فنزول الماء من السماء ورؤية الأرض بعده مخضرة بين عشيةٍ وصباح.. ظاهرة واقعة مكرورة، قد تذهب الألفة بجدتها في النفوس.. فأما حين يتفتح الحس الشاعر فإن هذا المشهد في الأرض يستجيش في القلب شتى المشاعر والأحاسيس. وإن القلب ليحس أحياناً أن هذا النبت الصغير الطالع من سواد الطين بخضرته وغضارته أطفال صغار تبتسم في غرارة لهذا الوجود الشائق البهيج، وتكاد من فرحتها بالنور تطير.

والذي يحس على هذا النحو يستطيع أن يدرك ما في التعقيب بقوله: ﴿**إن الله لطيف خبير**. .﴾ من لطف وعمق ومشاكلة للون هذا الإحساس، ولحقيقة ذلك المشهد وطبيعته. . فمن اللطف الإلهي ذلك الدبيب اللطيف: دبيب النبتة الصغيرة من جوف الثرى وهي نحيلة ضئيلة ويد القدرة تمدها في الهواء، وتمدها بالشوق إلى الارتفاع على جاذبية الأرض وتقلة الطين. . وبالخبرة الإلهية يتم تدبير الأمر في إنزال الماء بقدر في الوقت المناسب وبالقدر المطلوب. .

فيتم امتزاج الماء بالتربة وبخلايا النبات الحية المتطلعة إلى الانطلاق والنور. والماء ينزل من سَماءِ الله إلى أرضه فينشيء فيها الحياة ويوفر فيها الغذاء والثراء. والله المالك لما في السماء والأرض، غني عما في السماء والأرض، وهو يرزق الأحياء بالماء والنبات.

وهو الغني عنهم وعما يرزقون: ﴿**له ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد**. .﴾ فما به من حاجة إلى من في السماء والأرض. . أو ما في السماوات وما في الأرض. . فهو الغني عن الجميع. . وهو المحمود على آلائه المشكور على نعمائه المستحق للحمد من الجميع. ويستطرد السياق مرة أخرى إلى استعراض دلائل القدرة المعروضة للناس في كل حين: ﴿**ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض**. .﴾ ففي هذه الأرض كم من قوة وكم من ثروة سخرها الله لهذا الإنسان. . فجعل نواميسها موافقة لفطرته وطاقاته. . . فلو اختلفت فطرة الإنسان وتركيبه عن نواميس هذه الأرض ما استطاع الحياة عليها فضلاً على الانتفاع بها وبما فيها. . فلو اختلف تركيبه الجسدي عن الدرجة التي يحتمل فيها جو هذه الأرض واستنشاق هوائها والتغذي بطعامها والارتواء بمائها لما عاش لحظة! ولو اختلفت كثافة بدنه أو كثافة الأرض عما هي عليه ما استقرت قدماه على الأرض، ولطار في الهواء أو غاص في الثرى. . ولو خلا وجه هذه الأرض من الهواء أو كان هذا الهواء أكثف مما هو أو أخف لاختنق هذا الإنسان أو لعجز عن استنشاق الهواء مادة الحياة. . فتوافُق نواميس هذه الأرض وفطرةِ هذا الإنسان هو الذي سخر الأرض وما فيها لهذا الإنسان. وهو من أمر الله.

ولقد سخر الله له ما في الأرض مما وهبه من طاقات وإدراكات صالحة لاستغلال ثروات هذه الأرض، وما أودعه الله إياها من ثروات وطاقات ظاهرة

وكامنة.. فيكشف منها الإنسان واحدة بعد واحدة. وكلما احتاج إلى ثروة جديدة فضّ كنوزاً جديدة. وكلما خشي أن ينفد رصيده من تلك الكنوز نكشف له منها رصيد جديد.. فها هو ذا اليوم لم يستنفد بعد ثروة النفط وسائر المعادن.. ثم فتح له كنز الطاقة الذرية وغيرها.. وإن يكن بعد كالطفل فيعبث بالنار فيحرق نفسه بها ويحرق سواه.. إلا حين يهتدي بمنهج الله في الحياة.. فيوجه طاقاتها وثرواتها إلى العمران والبناء.. فيقوم بالخلافة في الأرض كما أرادها الله.

﴿**والفلك تجري في البحر بأمره**..﴾ فهو الذي خلق النواميس التي تسمح بجريان الفلك في البحر. وعلم الإنسان كيف يهتدي إلى هذه النواميس.. فيسخرها لمصلحته وينتفع بها هذا الانتفاع. ولو اختلفت طبيعة البحر أو طبيعة الفلك.. أو لو اختلفت مدارك الإنسان.. فما كان شيء من هذا الذي كان! ﴿**ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه**..﴾ فهو الذي خلق الكون وفق هذا النظام.. فلا دخل في هذا لأي إنسان! فالله الذي اختار هذا، وحكّم فيه تلك النواميس التي تظل بها النجوم والكواكب مرفوعة متباعدة ومع هذا متماسكة متجاذبة.. فلا تسقط ولا يصدم بعضها بعضاً على وفق هذه القاعدة.. وكل تفسير فلكي للنظام الكوني ما يزيد على أنه محاولة لتفسير الناموس المنظم للوضع القائم الذي أنشأه خالق هذا النظام؛ وإن كان بعضهم ينسى هذه الحقيقة الواضحة.. فيخيل إليه أنه حين يفسر النظام الكوني ينفي يدَ القدرة عن هذا الكون ويستبعد آثارها! وهذا وهْمٌ عجيب! وانحراف في التفكير غريب! فإن الاهتداء إلى تفسير القانون ـ على فرض صحته، والنظريات الفلكية ليست سوى فروض مدروسة لتفسير الظواهر الكونية تصح أو لا تصح، وتثبت اليوم وتبطل غداً بفرض جديد ـ لا ينفي وجود واضع القانون، وأثره في إعمال هذا القانون.

والله سبحانه يمسك السماء أن تقع على الأرض بفعل ذلك الناموس الذي يعمل فيها وهو من صنعه: إلا بإذنه، وذلك يوم يعطل الناموس الذي يُعمله لحكمة ويعطله كذلك لحكمة. وينتهي السياق في استعراض دلائل القدرة ودقة الناموس بالانتقال من الكون إلى النفس؛ وعرض سنن الحياة والموت في عالم الإنسان: ﴿**وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم**..﴾ فالحياة الأولى معجزة تتجدد في كل حياة تنشأ آناء الليل وأطراف النهار.. وسرها اللطيف ما يزال غيباً يحار العقل البشرى في تصور كنهه.. وفيه مجال فسيح للتأمل والتدبر.

والموت سر آخر يعجز العقل البشري عن تصور كنهه وهو يتم في لحظة خاطفة. والمسافة بين طبيعة الموت وطبيعة الحياة مسافة عريضة ضخمة.. وفيه مجال فسيح للتأمل والتدبر.. والحياة بعد الموت ـ وهي غيب من الغيب، ولكن دليله حاضر من النشأة الأولى.. وفيه مجال كذلك للتأمل والتدبر ولكن هذا الإنسان لا يتأمل ولا يتدبر هذه الدلائل والأسرار: ﴿**إن الإنسان لكفور**﴾! والسياق يستعرض هذه الدلائل كلها.. ويوجه القلوب إليها في معرض التوكيد لنصرة الله لمن يقع عليه البغي وهو يرد عن نفسه العدوان.. وذلك على طريقة في استخدام المشاهد الكونية لاستجاشة القلوب، وفي ربط سنن الحق والعدل في الخلق بسنن الكون ونواميس الوجود.

التوجيه الخامس: ﴿**لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر..**﴾: في هذا التوجيه يتوجه الله بالخطاب إلى رسوله ـ ﷺ ـ ليمضي على طريقه غير ملتفت إلى المعارضين وجدالهم له.. فلا يمكنهم من نزاعه في منهجه الذي اختاره له وكلفه بتبليغه وسلوكه.. فلقد جعل الله لكل أمة مضت منهجاً وطريقة في تشريعها التي سارت عليها. وهكذا جعل الله لكل أمة منسكاً هم ناسكوه ومنْهَجاً هُمْ سَالكوه.. فلا داعي إذن لأن يشغل الرسول نفسه بمجادلة المعارضين المخالفين لمنهجه الناسخ الخاتم لكل المناهج والشرائع.. فالله سبحانه وتعالى يأمر رسوله بألا يدع لهم فرصة لينازعوه أمره، ويجادلوه في منهجه.. كما يأمره أن يمضي على منهجه لا يتلفت ولا ينشغل بجدل المجادلين.. فهو منهج مستقيم: ﴿**وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم..**﴾ فليطمئن إذن على استقامة منهجه، واستقامته هو على الهدى في الطريق.. فإن تعرض القوم لجداله فليختصر القول.. فلا ضرورة لإضاعة الوقت والجهد: ﴿**وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون..**﴾ فإنما يجدي الجدل مع الذين قلوبهم مستعدة لقبول الهدى، التي تطلب المعرفة وتبحث حقيقةً عنِ الدليل.

لا مع القلوب المصرة على الضلال، المكابِرة التي لا تحفل لكل هذا الحشد من الدواعي والدلائل في الأنفس والآفاق، وهي كثيرة معروضة للأنظار والقلوب.. فليكلهم إلى الله.. فهو الذي يحكم بين المناسك والمناهج وأتباعها الحكم الفاصل الأخير: ﴿**الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون..**﴾

فهو الحُكم الذي لا يجادل فيه أحد!.. فلا جدال في ذلك اليوم، ولا نزاع في الحكم الأخير!.

والله يحكم بعلم كاملٍ لا يند عنه سبب ولا دليل.. ولا تخفى عليه خافية في العمل والشعور.. فهو الذي يعلم ما في السماء والأرض كله، ومن ضمنه عملهم ونياتهم، وهو بها محيط: ﴿**ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير..**﴾ فعلم الله الكامل الدقيق لا يخفى عليه شيء في السماء ولا في الأرض، ولا يتأثر بالمؤثرات التي تُنسِي وتمحو.. فهو كتاب يضم علم كل شيء ويحتويه: وإن العقل البشري ليصيبه الكلال وهو يتأمل ـ مجرد تأمل ـ بعض ما في السماء والأرض، ويتصور إحاطة علم الله بكل هذا الحشد من الأشياء والأشخاص والأعمال والنيات والخواطر والحركات في عالم المنظور وعالم الضمير.. ولكن هذا كله بالقياس إلى قدرة الله وعلمه شيء يسير: إن ذلك على الله يسير.. وبعد أن يأمر ﷻ رسوله أن لا يدع للمشركين فرصة لمنازعته في منهجه المستقيم يكشف عما في منهج المشركين من عوج، وعما فيه من ضعف، وعما فيه من جهل وظلم للحق؛ ويقرر أنهم محرومون من عونه تعالى ونصرته.

وهم بذلك محرومون من النصير: ﴿**ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير..**﴾ فما لِوَضع ولا لشرع من قوة إلا أن يستمد قوته من الله.. فما لم ينزل به الله من عنده قوة هو ضعيف هزيل، خلو من عنصر القوة الأصيل. وهؤلاء إنما يعبدون آلهة من الأصنام والأوثان، أو من الناس والشيطان فهذه كلها لم ينزل بها قوة من عنده.. فهي محرومة من القوة. وهم لا يعبدونها عن علم ولا دليل يقتنعون به.. إنما هو الوهم والخرافة. وما لهم من نصير يلجأون إليه وقد حرموا من نصرة الله العزيز القدير.

وأعجب شيء أنهم وهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم لا يستمعون لدعوة الحق، ولا يتلقون الحديث عنها بالقبول.. إنما تأخذهم العزة بالإثم ويكادون يبطشون بمن يتلون عليهم كلام الله: ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا..**﴾ فهم لا يناهضون الحجة بالحجة، ولا يقرعون الدليل بالدليل..

إنما هم يلجأون إلى العنف والبطش عندما تعوزهم الحجة ويخذلهم الدليل. وذلك شأن الطغاة دائماً يشتجر في نفوسهم العتو، وتهيج فيهم روح البطش، ولا يستمعون الكلمة الحق؛ لأنهم يدركون أن ليس لهم ما يدفعون به هذه الكلمة إلا العنف الغليظ! ومن ثم يواجههم القرآن الكريم بالتهديد والوعيد: ﴿**قل أفأنبئكم بشر من ذلكم**..﴾ بشر من ذلكم المنكر الذي تنطوون عليه.. ومن ذلك البطش الذي تهمون به.. ﴿**النار.. وعدها الله الذين كفروا**..﴾ فهو الرد المناسب للبطش والمنكر.. وبئس المصير!..

التوجيه السادس: ﴿**يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له: إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له**..﴾: في هذا التوجيه إعلان عام على الناس جميعاً.. إعلاناً مدوياً في الآفاق يعلن عن ضعف الآلهة المدعاة.. الآلهة كلها التي يتخذها الناس من دون الله.. ومن بينها تلك الآلهة التي يستنصر بها أولئك الظالمون، ويركن إليها أولئك الغاشمون. يعلن عن هذا الضعف في صورة مَثَلٍ معروض للأسماع والأبصار. مصور في مشهد شاخص متحرك تتملاه العيون والقلوب.. مشهد يرسم الضعف المزري ويمثله أبرع تمثيل.. إنه النداء العام.

والنفير البعيد الصدى: يا أيها الناس.. فإذا تجمع الناس على هذا النداء أُعلِنوا أنهم أمامَ مَثَلٍ عام يُضرب.. لا حالة خاصة ولمناسبة حاضرة: ضرب مثل فاستمعوا له.. هذا المثل يضع قاعدة ويقرر حقيقة: إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له.. كلُّ مَن تدعون من دون الله من آلهة مدعاة: من أصنام وأوثان.. ومن أشخاص وقيم وأوضاع.. تنتصرون بها من دون الله، وتستعينون بقوتها، وتطلبون منها النصر والجاه.. كلهم لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له.. والذباب صغير حقير.. ولكن هؤلاء الذين يدعونهم آلهة لا يقدرون ـ ولو اجتمعوا وتساندوا ـ على خلق هذا الذباب الصغير الحقير!.. فخلق الذباب مستحيل، كخلق الجمل والفيل؛ لأن الذباب يحتوي على ذلك السر المعجز.

وهو سر الحياة.. فيستوي في استحالة خلقه مع الجمل والفيل.. ولكن الأسلوب القرءاني المعجز يختار الذباب الصغير الحقير؛ لأن العجز عن خلقه يلقي في الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفيل! دون أن يخل هذا بالحقيقة في التعبير، وهذا من بدائع الأسلوب القرآني العجيب!.. ثم

يخطو خطوة أوسع في إبراز الضعف المزري: ﴿**وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه**..﴾ فالآلهة المدعاة لا تملك استنفاذ شيء من الذباب حين يسلبها إياه؛ سواء كانت أصناماً أو أوثاناً أو أشخاصاً! وكم من عزيز يسلبه الذباب من الناس فلا يملكون رده.

وقد اختير الذباب بالذات وهو ضعيف حقير، وهو في الوقت ذاته جريء خطير!.. يحمل أخطر الأمراض وأفتك الأدواء.. ويسلب أغلى النفائس وأعز الأشياء.. يسلب العيون والجوارح والأعضاء، وقد يسلب الأرواح عندما تتفاقم هذه الأدواء! إن الذباب يحمل ميكروب السل والتيفود وغيرها.. فيسلب ما لا سبيل إلى استنقاذه وهو الضعيف الحقير!. ويختم ذلك المثل المصوِّر الموحِي بهذا التعقيب: ﴿**ضعف الطالب والمطلوب**..﴾ فهي جملة تقرر ما ألقاه المثل من ظلال، وما أوحى به إلى المشاعر والقلوب.. وفي أنسب الظروف.. والمشاعر تفيض بالزراية والاحتقار لضعف الآلهة المدعاة يندد بسوء تقديرهم لله.

ويعرض قوة الله الحق، الحقيق بأنه إله: ﴿**ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز**..﴾ ما قدروا الله حق قدره وهم يشركون به تلك الآلهة الكليلة العاجزة التي لا تخلق ذباباً ولو تجمعت له. بل لا تستنقذ ما يسلبها الذباب إياه!.. ما قدروا الله حق قدره وهم يرون آثار قدرته، وبدائع مخلوقاته.. ثم يشركون به من لا يستطيع خلق الذباب الحقير!. ما قدروا الله حق قدره وهم يستعينون بتلك الآلهة العاجزة الكليلة عن استنقاذ ما يسلبها إياه الذباب، ويتركون الله القوي العزيز!. إنه تقرير وتقريع في أشد المواقف مناسبة للخشوع والخضوع!.

وهنا يذكر أن الله القوي العزيز يختار رسله من الملائكة إلى الأنبياء. ويختار رسله من البشر إلى الناس. وذلك عن علم وخبرة وقدرة: ﴿**الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس**..﴾ فعن صاحب القوة العزيز الجناب يصدر الاختيار للملائكة والرسل، ومن لدن القوي العزيز جاء محمد - ﷺ - جاء بسلطان من عند الله القوي العزيز الذي اختاره واصطفاه.. فكيف يقف له من يركن إلى تلك الآلهة العاجزة الضعيفة المزدراة؟!.. ﴿**إن الله سميع بصير**..﴾ فهو يسمع ويرى.. فيعلم: ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**..﴾ علماً كاملاً شاملاً.. لا يند عنه حاضر ولا غائب، ولا قريب ولا بعيد. ﴿**وإلى الله ترجع الأمور**..﴾ فهو الحَكم الأخير، وله السيطرة والتدبير..

والآن وقد كشف عما في منسك المشركين من سخف وضعف، وعما في عبادتهم من قصور وجهل.. الآن يتوجه بالخطاب إلى الأمة المسلمة لتنهض بتكاليف دعوتها، وتستقيم على نهجها العريق القويم.

التوجيه السابع: ﴿يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون..﴾: ففي هذا التوجيه يجمع المنهاج الذي رسمه الله لهذه الأمة.. ويلخص تكاليفها التي ناطها بها، ويقرر مكانها الذي قدره لها، ويثبت جذورها في الماضي والحاضر والمستقبل.. متى استقامت على المنهج الذي أراده لها الله.

إنه يبدأ بأمر الذين آمنوا بالركوع والسجود. وهما ركنا الصلاة البارزان. ويكنى عن الصلاة بالركوع والسجود ليمنحها صورة بارزة، وحركة ظاهرة في التعبير. ترسمها مشهداً شاخصاً وهيئة منظورة؛ لأن التعبير على هذا النحو أوقع أثراً وأقوى استجاشة للشعور.. ثم يثنى بالأمر بالعبادة. وهي أشمل من الصلاة.. فعبادة الله تشمل الفرائض كلها، وتزيد عليها كذلك كل عمل وكل حركة وكل خالجة يتوجه بها الفرد إلى الله.. فكل نشاط الإنسان في الحياة يمكن أن يتحول إلى عبادة متى توجه القلب به إلى الله.. حتى اللذائذ التي ينالها من طيبات الحياة.. بلفتة صغيرة تُصبح عبادات تكتب له بها حسنات. وما عليه إلا أن يذكر الله الذي أنعم بها، وينوي بها أن يتقوى على طاعته وعبادته.. فإذا هي عبادات وحسنات.

ولم يتحول في طبيعتها شيء.. ولكن تحول القصد منها والاتجاه.. ثم يختم بفعل الخير عامة: في التعامل مع الناس بعد التعامل مع الله بالصلاة والعبادة. يأمر الله الأمة المؤمنة بهذا؛ رجاء أن تفلح.. فهذه هي أسباب الفلاح: العبادة تصلها بالله فتقوم حياتها على قاعدة ثابتة وطريق واصل. وفعل الخير يؤدي إلى استقامة الحياة الجماعية على قاعدة من الإيمان وأصالة الاتجاه.. فإذا استعدت الأمة المسلمة بهذه العدة من الصلة بالله واستقامة الحياة.. فاستقام ضميرها واستقامت حياتها.. نهضت بالتبعة الشاقة: ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده..**﴾ فهو تعبير شامل جامع دقيق: يصور تكليفاً ضخماً يحتاج إلى تلك التعبئة وهذه الذخيرة وذلك الإعداد.. فالجهاد في سبيل الله يشمل جهاد الأعداء، وجهاد النفس،

وجهاد الشر والفساد.. كلها سواء! فقد انتدب الله هذه الأمة لهذه الأمانة الضخمة، واختارهم لها من بين عباده: ﴿**هو اجتباكم**..﴾ فإن هذا الاختيار ليضخم التبعة، ولا يجعل هنالك مجالاً للتخلي عنها أو الفرار.. وإنه لإكرام من الله لهذه الأمة ينبغي أن يقابل منها بالشكر وحسن الأداء!.

وهو تكليف محفوف برحمة الله: ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**..﴾ فهذا الدين كله بتكاليفه وعباداته وشرائعه ملحوظ فيه فطرة الإنسان وطاقته.. ملحوظ فيه تلبيته تلك الفطرة.. وإطلاق هذه الطاقة، والاتجاه بها إلى البناء والاستعلاء.. فلا تبقي حبيسة كالبخار المكتوم. ولا تنطلق انطلاق الحيوان الغشوم!.. وهو منهج عريق أصيل في ماضي البشرية.. موصول الماضي بالحاضر: ﴿**ملة أبيكم إبراهيم**..﴾ فهو منبع التوحيد التي اتصلت حلقاته منذ عهده.. فلم تنقطع من الأرض، ولم تفصل بينها فجوات مضيعة لمعالم العقيدة كالفجوات التي كانت بينهما رسالات قبل إبراهيم.. فقد استمرت الرسالات بعد إبراهيم تَتْرَى.. وقد سمى الله هذه الأمة الموحدة بالمسلمين. سماها كذلك من قبل. وسماها كذلك في القرآن: ﴿**هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا**..﴾ فالإسلام إسلام الوجه والقلب لله وحده بلا شريك.

فكانت الأمة المسلمة ذات منهج واحد على تتابع الأجيال والرسل والرسالات.. حتى انتهى بها المطاف إلى أمة محمد ـ ﷺ ـ.. وحتى سلمت إليها الأمانة، وعهد إليها بالوصاية على البشرية.. فاتصل ماضيها بحاضرها بمستقبلها كما أرادها الله: ﴿**ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس**..﴾ فالرسول يشهد على هذه الأمة ويحدد نهجها واتجاهها، ويقرر صوابها وخطأها.. وهي تشهد على الناس بمثل هذا.. فهي القوامة على البشرية جمعاء بعد نبيئها.. فهي الوصية على الناس بموازين شريعتها وتربيتها وفكرتها عن الكون والحياة، ولن تكون كذلك إلا وهي أمينة على منهجها العريق المتصل الوشائج المختار من الله.

ولقد ظلت هذه الأمة وصية على البشرية طالما استمسكت بذلك المنهج الإلهي وطبقته في حياتها الواقعية؛ كما هو معلوم من سيرة الصحابة في عهد الخلفاء الراشدين وما بعده.. حتى إذا انحرفت عنه، وتخلت عن تكاليفه؛ كما هو واقع اليوم ـ ردها الله عن مكان القيادة إلى مكان التابع في ذيل القافلة.. وما

تزال، ولن تزال.. حتى تعود إلى هذا الأمر الذي اجتباها له الله. هذا الأمر يقتضي الاحتشاد له والاستعداد.. فمن ثَم يأمرها القرآن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والاعتصام بالله: ﴿**فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير**﴾.

فالصلاة صلة الفرد الضعيف الفاني بمصدر القوة والزاد.. والزكاة صلة الجماعة بعضها ببعض، والتأمين من الحاجة والفساد والاعتصام بالله العروة الوثقى التي لا تنفصم بين المعبود والعباد. بهذه العدة تملك الأمة المسلمة أن تنهض بتكاليف الوصاية على البشرية التي اجتباها لها الله. وتملك الانتفاع بالموارد والطاقات المادية التي تعارف الناس على أنها مصادر القوة في الأرض. والقرآن الكريم لا يغفل عن شأنها.. بل يدعو إلى إعدادها.. ولكن مع حشد القوى والطاقات والزاد الذي لا ينفد، والذي لا يملكه إلا المؤمنون بالله.. فيوجهون به الحياة إلى الخير والصلاح والاستعلاء.. إن قيمة المنهج الإلهي للبشرية أنه يمضي بها قدماً إلى الكمال المقدر لها في هذه الأرض.

ولا يكتفي أن يقودها اللذائذ والمتاع وحدهما كما تقاد الأنعام. وإن القيم الإنسانية العليا لتعتمد على كفاية الحياة المادية.. ولكنها لا تقف عن هذه المدارج الأولى.. فكذلك يريدها الإسلام في كنف الوصاية الرشيدة المستقيمة على منهج الله في ظل الله!..

﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً.. ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾.

1 ـ سورة المؤمنون تبين حقيقة الرسالة بأوضح بيان وأقوى دلالة



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿1﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿2﴾ وَالَّذِينَ
هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿3﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿4﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿5﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿6﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْعَادُونَ ﴿7﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿8﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿9﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿10﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿11﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ
مِنْ طِينٍ ﴿12﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿13﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً
فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ
لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿14﴾
ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿15﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿16﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿17﴾

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ
ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿18﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ
لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿19﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ
مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿20﴾ * وَإِنَّ لَكُمْ
فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ
كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿21﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿22﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿23﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿24﴾ إِنْ هُوَ
إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿25﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿26﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ
بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا
مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿27﴾
فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿28﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا
مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿29﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا

لَمُبْتَلِينَ ﴿30﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿31﴾
فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿32﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿33﴾ وَلَئِنْ
أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿34﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ
تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿35﴾ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿36﴾
إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿37﴾ إِنْ هُوَ
إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿38﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى
بِمَا كَذَّبُونِ ﴿39﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿40﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿41﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿42﴾
مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿43﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿44﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ ﴿45﴾ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿46﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿47﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ
لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿48﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟

مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٥٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٢﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٣﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٤﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٥﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٦﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٧﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**قد أفلح المؤمنون**. .﴾ الفلاح: الفوز، والنجاة، والبقاء في النعيم والخير. وأفلح: ظفر بالنعيم الأبدي. ﴿**الذين هم في صلاتهم خاشعون**. .﴾ الخشوع: الخوف والتذلل. . ﴿**والذين هم عن اللغو معرضون**. .﴾ اللغو: ما لا يعتد به، ولا يفيد، من كلام وغيره. . والمعرض: التارك للشيء الصادّ عنه. ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**. .﴾ الفروج: جمع فرج وهو العورة من الرجل والمرأة. والمراد به هنا: عضو التناسل. والمحافظ على الشيء: الأمين عليه. ﴿**إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم**. .﴾ ملك اليمين: المرأة المملوكة للرجل بالتسري. كما كان في صدر الإسلام وقبل إلغاء الرق. ﴿**فإنهم غير ملومين**. .﴾ الملوم: الذي يُذم فعله ويلام عليه لشناعته. . ﴿**فمن ابتغى وراء ذلك**. .﴾ الابتغاء: الطلب. وراء ذلك: غير الزواج وملك اليمين. ﴿**فأولئك هم العادون**﴾: الكاملون في العدوان المتناهون فيه. متجاوزون الحدَّ في الظلم. ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**. .﴾ الأمانات: جمع أمانة. وهي ما يؤتمر عليه ويحافظ. سُمّي

الشيء المؤتمن عليه والمعاهَد عليه أمانة وعهداً. والمراد به العموم في كل ما أؤتمن عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق. راعون: حافظون. والراعي: القائم على الشيء بحفظ وإصلاح، كراعي الغنم. ﴿**والذين هم على صلواتهم يحافظون**﴾: يداومون على الصلوات المفروضة في أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها. ﴿**أولئك**﴾: الجامعون لهذه الأوصاف. ﴿**هم الوارثون**﴾: الأحقّاء بأن يسموا وراثين دون من عداهم عن ورث رغائب الأموال والذخائر وكرائمهما: ﴿**الذين يرثون الفردوس. .**﴾ الفردوس: الجنة. . والأصل البستان الجامع لأصناف الفواكه الواسع المرتفع قدراً. ﴿**والخلود**﴾: المكث الدائم. ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. .**﴾ الإنسان: آدم عليه السلام. والسلالة: الخلاصة من طين بيان لسلالة. والمعنى: أن آدم خلقه الله من طين. . ثم سُلّ منه بقية أولاده. وتفصيله في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء. . ثم جعلناه**﴾: جعلنا الجنس باعتبار أفراده المغايرة لآدم ﴿**نطفة**﴾: ماء قليلاً. وهو ماء الرجل المنصب في رحم المرأة: ﴿**في قرار مكين. .**﴾ القرار: المستقر. والمكين: الحصين والمراد به رحم المرأة. ﴿**ثم خلقنا النطفة علقة**﴾: صيرناها في رحم المرأة قطعة دم عالقة فيه. .

﴿**فخلقنا العلقة مضغة**﴾: فانتقلت العلقة مضغة قطعة مثل ما يمضغ من اللحم. ﴿**فخلقنا المضغة عظاماً**﴾: فصارت المضغة عظاماً متشابكة بعضها ببعض على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة. ﴿**فكسونا العظام لحماً**﴾: كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدارٍ لائق به، وهيأة مناسبة له. . ﴿**ثم أنشأناه خلقً آخر**﴾: هي صورة البدن والروح والقوى. . فصار خلقاً مبايناً لما كان عليه. . فجعله حيواناً بعد أن كان جماداً. وناطقاً وسميعاً وبصيراً. وكان بضد هذه الصفات. . ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾: فتعالى أمره في قدرته وعلمه وحكمته. . ﴿**ثم إنكم بعد ذلك لميتون**﴾: بعد هذا الخلق تموتون عند انقضاء آجالكم. . ﴿**ثم إنكم يوم القيامة تبعثون**﴾: تحيون للجزاء. ﴿**ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق**﴾: جمع طريقة. وهي السماوات؛ لأنها طرق الملائكة ومتقلباتهم. وهذا الإخبار بالغيب. أو الطريق طرق الأفلاك في الفضاء كما هو معلوم للبشر من البحث في علم الفلك. والفوق ما علا. . ﴿**وما كنا عن الخلق غافلين. .**﴾ بل نحفظ كل مخلوق أينما كان وندبر أمره ونهيء له ما يحتاجه وفي

مقدمة هذه المخلوقات الإنسان! ﴿**وأنزلنا من السماء ماء بقدر**﴾: بتقدير لائق لاستجلاب منافع الإنسان والحيوان.. ﴿**فأسكناه في الأرض**﴾: أسكن الله الماء النازل من السماء في الأرض؛ ليكون ذخيرة ينتفع به الإنسان في كل زمان ومكان. ﴿**وإنا على ذهاب به لقادرون**﴾: قادرون على إزالته كما قدرنا على إنزاله. ﴿**فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون**﴾: أنشأ الله للناس بسبب المطر جنات من نخيل وأعناب وفواكه أخرى منها يأكل الناس ويتمتعون بها. ﴿**وشجرة تخرج من طور سيناء**﴾: هي شجرة الزيتون التي تخرج من طور سيناء: من أرض فلسطين وما حولها. ﴿**تنبت بالدهن وصبغ للآكلين**﴾: تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به، وكونه إدامًا للطعام.. ﴿**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها**﴾: والعبرة التي في الأنعام هي ما يحصل منها من منافع. وأعظمها الألبان التي تخرج من بين فرث ودم.. ﴿**ولكم فيها منافع كثيرة**﴾: سوى الألبان. وهي منافع الأصواف والأوبار والأشعار. ﴿**ومنها تأكلون**﴾: تنتفعون بأعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها.. ﴿**وعليها وعلى الفلك تحملون**﴾: تحملكم الأنعام في البر والفلك في البحر. والمراد بالأنعام هنا الإبل لمقارنتها بالفلك.. فالإبل سفينة البر والفلك سفينة البحر. والعبرة: الطريقة التي توصل الإنسان إلى معرفة النعمة. ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون**﴾: نوح أول رسول كذبه قومه.. فهم أول معارض لدعوة الله: ﴿**فقال الملأ الذين كفروا من قومه: ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم**﴾: هي أول مقالة قيلت لرسول بعثه الله.. فهم ينكرون بعثه رسول من البشر: ﴿**ولو شاء الله لأنزل ملائكة. ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين..**﴾ فهم يتعجبون من إرسال البشر ولا يتعجبون من عبادة الحجر: ﴿**إن هو إلا رجل به جنة.. فتربصوا به حتى حين**﴾. قد حددوا موقفهم منه ومن دعوته.. فهو رفض قاطع لها.. ﴿**قال رب انصرني بما كذبون**﴾: كذلك حدد موقفه منهم بأن طلب من الله النصر عليهم: ﴿**فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا..**﴾ فأمره الله بصنع الفلك تحت عين الله ورعايته، وأمره كيف يصنع الفلك.. ﴿**فإذا جاء أمرنا**﴾: عذابنا.. ﴿**وفار التنور**﴾: تفجر الماء من العيون كما يتفجر الدخان من التنور أول فيعانها.. ففار الماء فوران التنور. مثل قوله: ﴿**وفجرنا الأرض عيوناً. فاسلك**﴾: أدخل فيها: في الفلك. ﴿**من كل**﴾: صنف

من الحيوان ﴿**زوجين اثنين**﴾: ذكر وأنثى من كل صنفين اثنين فقط. ﴿**وأهلك**﴾: الذين آمنوا معك. ﴿**إلا من سبق عليه القول منهم**﴾: هم ابنه وزوجه الكافران ومن كفر مثلهم. ﴿**ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون**﴾: قد انتهى الأمر: بإغراق الذين ظلموا.. فما عليك إلا أن تتجه إلينا بالدعاء والحمد: ﴿**فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين..**﴾ ثم بعد ما حصل من أمر الله يأتي بالتعليق عليه بقوله: ﴿**إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين..**﴾ فهو مثل قوله في سورة القمر: ﴿**ولقد تركناها آية فهو من مدكر؟!. ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين**﴾: ثم بعد إهلاك قوم نوح خلقنا جيلاً آخر وأمة أخرى. والقرن: الزمن الذي يقترن فيه الجيل من الآباء والأجداد والأولاد والأحفاد. وقد قُدّر بمائة عام على ما اصطلح عليه.. فالمراد بالقرن الآخرين قوم هود.. ﴿**فأرسلنا فيهم رسولاً منهم**﴾: أرسل الله رسول هود إلى قومه: ﴿**أن عبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون**﴾ هذه المقالة مثل مقالة نوح لقومه. وقد قالها الرسل جميعاً.. ﴿**وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا: ما هذا إلا بشر مثلكم: يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون**﴾ الملأ: أشراف القوم. يملؤون المكان والعيون. والإتراف: التنعم الزائد بالمتاع الزائد.. واعتبروا البشرية تنافي الرسالة. وما هذه الدعوة إلا قصد التغلب والتسلّط: ﴿**ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذن لخاسرون**﴾!.. فهو يريدكم مسخرين له وعبيداً تحت أمره ونهيه.. ﴿**أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون**﴾: يخوفكم بالبعث، وهو بعيد محال الوقوع بعد صيرورة الأجساد تراباً وعظاماً: ﴿**هيهات هيهات لما توعدون**﴾!.. هيهات: اسم فعل ماض بمعنى بعدما توعدون من البعث بعد الموت. وهو محال لا يدل من حس أو مشاهدة: ﴿**إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا**﴾: ما الحياة إلا هذه الحياة المشاهدة: نموت ونحيا.. كلما يموت جيل يأتي بعده جيل وهكذا دواليك.. وما يهلكنا إلا الدهر.. ﴿**وما نحن بمبعوثين**﴾: زيادة في توكيد النفي والاستنكار والاستهزاء بمن يقول لهم هذا الوعد: ﴿**إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين**﴾!.. ثم يتجه الرسول كما اتجه قبله نوح إلى ربه داعياً: ﴿**قال رب انصرني بما كذبون..**﴾ فيجيب الله طلبه: ﴿**قال عما قليل ليصبحن نادمين..**

فأخذتهم الصيحة بالحق. . فجعلناهم غثاء. . فبعداً للقوم الظالمين. .﴾ الغثاء: ما يحمله السيل مما بلي واسودّ من الورق والعيدان. ومعنى هذا: هلاكاً يصير به الهالك بعيداً عن الناس. **﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين﴾**: قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم. . **﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾**: كل أمة لها أجل محدود معدود لهلاكها لا تتأخر عنه ولا تتقدم. . **﴿ثم أرسلنا رسلنا تترَا. .﴾** تترَا: متتابعين واحداً بعد واحد: **﴿كل ما جاء أمة رسولها كذبوه﴾**: بيان لموقف كل أمة مع رسولها. . **﴿فأتبعنا بعضهم بعضاً﴾**: في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضاً في التكذيب. **﴿وجعلناهم أحاديث﴾**: أخباراً يسمع بها ويتعجب منها. والأحاديث: اسم جمع للحديث. . وتكون جمعاً للأحدوثة. وهو ما يتحدث به الناس تلهياً وتعجباً. **﴿فبعدًا لقوم لا يؤمنون﴾**: مثل ما سبق من قوله: **﴿فبعداً للقوم الظالمين. . ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا﴾**: هي الآيات التسع: من اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون. **﴿وسلطان مبين﴾**: إجمال بعد التفصيل؛ لأن مجموع الآية حجة قاطعة ملزمة للخصم. **﴿إلى فرعون وملإه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين﴾**: أرسل الله موسى وأخاه هارون إلى فرعون وملإه وهم كبار قومه. أرسلهما الله بالحجة القاطعة. . **﴿فاستكبروا وكانوا قوماً عالين﴾**: أعرضوا عن دعوة موسى الواضحة. وكان شأنهم الكبرياء والعلو. . **﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾**؟!. . فهذا مفرع على قوله: **﴿فاستكبروا. .﴾** فأفصحوا عن سبب استكبارهم وعلوهم. . **﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين. .﴾** ثم بعد ذلك **﴿آتينا موسى الكتاب﴾**: التوراة؛ يهتدي به بنو إسرائيل: **﴿لعلهم يهتدون. وجعلنا ابن مريم﴾**: عيسى، **﴿وأمه﴾**: مريم عليهما السلام **﴿آية﴾**: علامة دالة على قدرتنا. . **﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾**: أمسكناهما في أرض مرتفعة مستقرة ينتفع بها ساكنها. ومعين: ماء جار نافع ظاهر للعيان. والمراد بها أرض فلسطين. **﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾**: قلنا لكل رسول بمن مضى ذكرهم. . **﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾**: هذا مما قيل للرسل. . الأمة الواحدة: أمة الإسلام. وكل الرسل جاءوا بدين الإسلام. . **﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً. .﴾** فتفرع على ما أمرناهم به على ألسنة الرسل من التوحيد أنهم أتوا بعكس المطلوب منهم. . فالتقطع شدة التفرق وكثرة الفرق.

والزبر: جمع زبور. وهو الكتاب. ﴿**كل حزب بما لديهم فرحون**﴾: تقطعوا على أحزاب مختلفة. وتمسك كل حزب بما عنده. وهو فرح به لا يرى غيره صالحاً.. ﴿**فذرهم في غمرتهم حتى حين**﴾: الخطاب موجه إلى الرسول.. والمخاطبون بهذا الكلام قريش؛ لأنهم تحزبوا ضد الدعوة. والغمرة حقيقتها: الماء الذي يغمر قامة الإنسان بحيث يغرقه. والمراد بالغمرة هنا: الجهالة والغفلة.. ﴿**حتى حين**﴾: حين ينتهي أمرهم.. أيحسبون أن الذي نمدهم به من المال والبنين نسارع لهم به فيما فيه خيرهم وإكرامهم؟!.. لا.. ﴿**بل لا يشعرون**﴾: أن هذا السراج لهم؛ ليزدادوا إثماً. وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات!.

مبحث الإعراب

﴿**قد أفلح المؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع نعت لفاعل أفلح. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**في صلاتهم**﴾ متعلق بالخبر بعده؛ ﴿**خاشعون**﴾ خبر المبتدأ. والجملة صلة الذين. ﴿**والذين**﴾ عطف على الذين.. ﴿**هم عن اللغو معرضون**﴾ مثل ﴿**هم في صلاتهم خاشعون**﴾. ﴿**والذين هم للزكاة فاعلون**﴾ كذلك. ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾ مثل ما سبقها. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**على أزواجهم**﴾ متعلق بفعل مقدر. ﴿**أو ما**﴾ في محل جر معطوف على أزواجهم. ﴿**ملكت أيمانُهم**﴾ فعل وفاعل. ولجملة صلة ما. ﴿**فإنهم**﴾ إن واسمها. والفاء للتعقيب. ﴿**غير**﴾ خبر إنّ. ﴿**ملومين**﴾ مضاف إلى غير. والجملة تعليلية. ﴿**فمن**﴾ اسم شرط جازم. والفاء للتفريع. ﴿**ابتغى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**وراء**﴾ ظرف مكان متعلق بابتغى. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى وراء. ﴿**فأولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ ثانٍ. ﴿**العادون**﴾ خبره. وجملة المبتدإ الثاني وخبره خبر المبتدإ الأول. وهذه الجملة جواب الشرط بقرينة فاء الربط. ﴿**والذين**﴾ معطوفة على ﴿**الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لأماناتهم**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**وعهدهم**﴾ معطوف عليه. ﴿**راعون**﴾ خبر المبتدإ. والجملة صلة الذين. ﴿**والذين هم على صلاتهم يحافظون**﴾ مثل الجمل السابقة في الإعراب. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ أول. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿**الوارثون**﴾ خبر المبتدإ الثاني. والمبتدأ الثني وخبره خبر المبتدإ الأول. ﴿**الذين**﴾

في محل رفع نعت للوارثون. ﴿**يرثون الفردوس**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الذين. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**فيها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**خالدون**﴾ خبر المبتدإ. والجملة بيانية مقررة لما قبلها. ﴿**ولقد خلقنا الإنسان**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**من سلالة**﴾ متعلق بخلقنا. ﴿**من طين**﴾ بيان لما قبله. ﴿**ثم جعلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف العطف ـ ثمّ ـ. ﴿**نطفة**﴾ منصوب على الحال من الضمير المفعول. ﴿**في قرار**﴾ متعلق بمحذوف مفعول ثانٍ لجعلنا. ﴿**مكين**﴾ نعت لقرار. ﴿**ثم خلقنا النطفة علقة**﴾ معطوفة بثم على ما قبلها. ﴿**فخلقنا العلقة مضغة**﴾ معطوفة بالفاء على ما قبلها. ﴿**فخلقنا المضغة عظاماً**﴾ معطوفة بالفاء على ما قبلها. ﴿**فكسونا العظام لحماً**﴾ معطوفة على ما قبلها كذلك. ﴿**ثم أنشأناه خلقاً**﴾ معطوف بثُم على ما قبله. ﴿**آخر**﴾ نعت لخلقاً. ﴿**فتبارك الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه فاء التفريع. ﴿**أحسن**﴾ عطف بيان. ﴿**الخالقين**﴾ مضاف إلى أحسن. ﴿**ثم إنكم**﴾ إن واسمها وثم للعطف. ﴿**بعدَ**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بالخبر بعده، ﴿**ذلك**﴾ مضاف إلى الظرف في محل جر. ﴿**لميتون**﴾ خبر إنّ. واللام لتقوية الخبر. ﴿**ثم إنكم يوم القيامة تبعثون**﴾ معطوف بثم على ما قبله. وجملة تبعثون من الفعل المبني للمجهول ونائب الفاعل خبر إنّ. ويوم متعلق به. ﴿**ولقد خلقنا**﴾ مثل ولقد خلقنا الإنسان. ﴿**فوقكم**﴾ متعلق بخلقنا ﴿**سبع**﴾ مفعول به. ﴿**طرائق**﴾ مضاف إلى سبع. مجرور بالفتحة على صيغة منتهى الجموع. ﴿**وما كنا**﴾ كان واسمها. دخل عليها حرف النفي وواو العطف. ﴿**عن الخلق**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**غافلين**﴾ خبر كان. ﴿**وأنزلنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بأنزلنا. ﴿**ماء**﴾ مفعول به. ﴿**بقدر**﴾ متعلق بأنزلنا. ﴿**فأسكناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على أنزلنا. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بأسكناه. ﴿**وإنا**﴾ إن واسمها. ﴿**على ذهاب**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**به**﴾ متعلق بذهاب. ﴿**لقادرون**﴾ خبرُ إنّ. واللام لتقوية الخبر. ﴿**فأنشأنا**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**لكم به**﴾ متعلقان بأنشأنا. ﴿**جنات**﴾ مفعول به. ﴿**من نخيل**﴾ متعلق بمحذوف نعت لجنات. ﴿**وأعناب**﴾ معطوف على جنات. ﴿**لكم فيها**﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿**فواكه**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**كثيرة**﴾ نعت لفوكه. ﴿**ومنها**﴾ متعلق بالفعل بعده، والواو للعطف، ﴿**تأكلون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**وشجرةً**﴾ عطف على جنات. ﴿**تخرج**﴾ فعل مضارع.

والفاعل ضمير يعود على شجرة. والجملة نعت لها. ﴿**من طور**﴾ متعلق بتخرج. ﴿**سيناء**﴾ مضاف إلى طور. مجرور بالفتحة. ﴿**تنبت**﴾ مثل تخرج. ﴿**بالدهن**﴾ متعلق بتنبت. ﴿**وصبغ**﴾ معطوف على الدهن. ﴿**للآكلين**﴾ متعلق بصبغ. ﴿**وإن لكم في الأنعام**﴾ متعلقان بمحذوف خبرُ إنّ مقدم. ﴿**لعبرةً**﴾ اسم إنّ مؤخر. واللام لتقوية الخبر. ﴿**نسقيكم**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**مما**﴾ متعلق بنسقيكم. ﴿**في بطونها**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون**﴾ تدم إعراب مثلها في قوله: ﴿**لكم فيها فواكه**. .﴾ ﴿**وعليها وعلى الفلك**﴾ متعلقان بالفعل بعدهما: ﴿**تحملون**﴾ الفعل مبني للمجهول وواو الجماعة نائب الفاء. معطوف على قوله: ﴿**لكم فيها منافع كثيرة**﴾. ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً**﴾ فعل وفعل ومفعول. دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**إلى قومه**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**فقال**﴾ نوح لقومه: ﴿**يا قومِ**﴾ منادي منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة. ﴿**اعبدو الله**﴾ أمر لقومه بعبادة الله. ﴿**ما لكم**﴾ ما نافية. لكم متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**من إله**﴾ مبتدأ مؤخر جر لفظه بحرف الجر الزائد ومحله الرفع. ﴿**غيرُه**﴾ نعت له باعتبار محله. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**أفلا تتقون**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب وهمزة الاستفهام. ﴿**فقال الملأُ**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع نعت للملأ. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**من قومه**﴾ متعلق بالصلة. ﴿**ما هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. دخل عليه حرف النفي. ﴿**إلا بشر**﴾ خبر المبتدإ. و﴿**إلا**﴾ أداة استثناء لا عمل لها. ﴿**مثلكم**﴾ **نعت لبشر**. ﴿**يريد**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على بشر. والجملة نعت ثانٍ لبشر. ﴿**أن يتفضل**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفعل هو فاعل يريد. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يريد. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بيتفضل. ﴿**ولو شاء الله**﴾ فعل وفاعل. فعل شرط لو. ﴿**لأنزل**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**ملائكة**﴾ مفعول به. وجملة لأنزل جواب لو. ﴿**ما سمعنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**بهذا في آبائنا**﴾ متعلقان بسمعنا. ﴿**الأولين**﴾ نعت لآبائنا. ﴿**إن هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. دخل عليه حرف النفي. ﴿**إلا رجل**﴾ خبر للمتبدإ. ﴿**به**﴾﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**جنة**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة نعت لرجل.

﴿فتربصوا﴾ أمر للجماعة مرتب على ما قبله. **﴿به﴾** متعلق بتربصوا. **﴿حتى حين﴾** مثل الجار والمجرور قبله. **﴿قال﴾** نوح عليه السلام. **﴿رب﴾** منادَى حذف منه حرف النداء وياء المتكلم. **﴿انصرني﴾** فعل دعاء. **﴿بما﴾** متعلق به. **﴿كذبوني﴾** فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. **﴿فأوحينا﴾** فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. **﴿إليه﴾** متعلق بأوحينا. **﴿أنِ﴾** حرف تفسير. **﴿اصنع﴾** فعل أمر. والفاعل ضمير يعود على نوح. **﴿الفلك﴾** مفعول به. **﴿بأعيننا﴾** متعلق بمحذوف حال من الفلك. **﴿ووحينا﴾** معطوف على أعيننا. **﴿فإذا جاء أمرنا﴾** فعل وفاعل دخلت عليه أداة الشرط وفاء التعقيب. **﴿وفار التنور﴾** معطوف على الفعل قبله. **﴿فاسلك﴾** فعل أمر جواب إذا الشرطية. والفاء لربط الجواب. **﴿فيها من كل﴾** متعلقان باسلك. **﴿زوجين﴾** مضاف إلى كل. **﴿اثنين﴾** مفعول به. **﴿وأهلك﴾** مفعول بفعل مقدر معطوف على قوله: **﴿فاسلك..﴾** **﴿إلا مَن﴾** في محل نصب مستثنى من أهلك. سبق فعل ماضٍ. **﴿عليه﴾** متعلق به. **﴿القول﴾** فاعل. والجملة صلة مَنْ. **﴿ولا تخاطبني﴾** فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. والنون للوقاية. والجملة معطوفة على ما قبلها. **﴿في الذين﴾** متعلق بتخاطبني. **﴿ظلموا﴾** فعل وفاعل صلة الذين. **﴿إنهم﴾** إنّ واسمها. **﴿مغرقون﴾** خبرها. والجملة تعليلية. **﴿فإذا استويت﴾** فعل وفاعل دخلت عليه أداة الشرط وفاء التعقيب. **﴿أنت﴾** ضمير فصل. **﴿ومَنْ﴾** في محل رفع معطوف على الفاعل. **﴿معك﴾** متعلق بمحذوف صلة مَنْ. **﴿على الفلك﴾** متعلق باستويت.

﴿فقل:﴾ جواب إذا.. **﴿الحمد﴾** مبتدأ. **﴿لله﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. والجملة مقول القول. **﴿الذي﴾** في محل جر نعت لله. **﴿نجانا﴾** فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على الله. وضمير الجماعة المتصل بالفعل في محل نصب مفعول به. وجملة نجانا صلة الموصول. **﴿من القوم﴾** متعلق بنجانا. **﴿الظالمين﴾** نعت للقوم. **﴿وقل﴾** عطف على قل الحمد لله.. **﴿رب﴾** منادي. **﴿أنزلني﴾** فعل دعاء. **﴿منزلاً﴾** مفعول مطلق. **﴿مباركاً﴾** نعت له. **﴿وأنت﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿خيرُ﴾** خبره. **﴿المنزلين﴾** مضاف إلى خير. والجملة معطوفة على ما قبلها. وجملة **﴿أنزلني..﴾** مفعول القول. **﴿إن في ذلك﴾** متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. **﴿لآيات﴾** اسم إنّ مؤخر. واللام لتقوية الخبر. **﴿وإنْ﴾**

مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن. ﴿**كنا**﴾ كان واسمها. ﴿**لمبتلين**﴾ خبرها. واللام لتقوية الخبر. وجملة ﴿**كنا لمبتلين**﴾ في محل رفع خبر إن المخففة.. ﴿**ثم أنشأنا**﴾ فعل وفاعل معطوف بثم على ما قبله. ﴿**من بعدهم**﴾ متعلق بأنشأنا. ﴿**قرناً**﴾ مفعول به. ﴿**آخرين**﴾ نعت لقرن. ﴿**فأرسلنا**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**فيهم**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**رسولاً**﴾ مفعول به. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لرسول. ﴿**أن اعبدوا**﴾ فعل أمر للجماعة دخلت عليه أن المفسرة. ﴿**الله**﴾ مفعول به. ﴿**ما لكم من إله غيره**﴾ تقدم إعراب مثلها.. ﴿**أفلا تتقون**﴾ كما سبق في الجملة قبلها.. ﴿**وقال الملأ**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف من قومه.. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع نعت للملأ. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**وكذبوا**﴾ معطوف على كفروا. ﴿**بلقاء**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**الآخرة**﴾ مضاف إلى لقاء. ﴿**وأترفناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**في الحياة**﴾ متعلق بأترفنا.. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. ﴿**ما هذا إلا بشر مثلكم**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**يأكل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على بسر. ﴿**مما**﴾ متعلق بيأكل. ﴿**تأكلون**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**منه**﴾ متعلق به. ﴿**ويشرب مما تشربون**﴾ معطوفة على الجملة قبلها. ﴿**ولئن أطعتم بشراً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه إن الشرطية. ولام القسم وواو العطف. ﴿**مثلكم**﴾ نعت لبشر. ﴿**إنكم**﴾ إن واسمها. ﴿**إذنْ**﴾ حرف جواب وجزاء. ﴿**لخاسرون**﴾ خبر إن. واللام لتقوية الخبر. وجملة ﴿**إنكم إذاً لخاسرون**﴾ جواب القسم سدت مسدّ جواب الشرط. ﴿**أيعدكم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام. والفاعل ضمير يعود على . والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**أنكم**﴾ أن واسمها. ﴿**إذا متم**﴾ فعل وفاعل شرط إذا. ﴿**وكنتم تراباً**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها معطوفة على متم. ﴿**وعظاماً**﴾ عطف على تراب. ﴿**أنكم**﴾ توكيد أنكم السابقة. ﴿**مخرجون**﴾ خبر أن. وجواب إذا متم.. مقدر. يدل عليه قوله: ﴿**أيعدكم**﴾. ﴿**هيهات**﴾ اسم فعل ماضٍ. ﴿**هيهات**﴾ توكيد لفظي. ﴿**لما**﴾ في محل رفع فاعل بهيهات. واللام صلة ﴿**توعدون**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل صلة ما. ﴿**إن هي**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف النفي. ﴿**إلا حياتنا**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الدنيا**﴾ نعت لحياتنا. ﴿**نموت**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**ونحيا**﴾ معطوف على نموت. وجملة ﴿**نموت ونحيا**﴾ تفسير لما قبلها. ﴿**وما نحن**﴾ ما واسمها. ﴿**بمبعوثين**﴾ خبر ما جُرَّ بحرف الجر الزائد في محل

نصب. والجملة معطوفة على نموت ونحيا. ﴿**إن هو إلا رجل**﴾ تقدم إعراب مثله. ﴿**افترى**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على رجل. ﴿**على الله**﴾ متعلق بافترى. ﴿**كذباً**﴾ مفعول به. وجملة افترى نعت لرجل. ﴿**وما نحن له**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**بمؤمنين**﴾. الجملة من ما واسمها وخبرها معطوفة على ما قبلها. ﴿**قال رسولهم. رب انصرني بما كذبون**﴾ إعرابها مثل إعراب قول نوح: رب انصرني بما كذبون. ﴿**قال**﴾ الله تعالى: ﴿**عما قليل**﴾ عن قليل ﴿**ليصبحن**﴾ فعل مضارع ناقص. والنون الثقيلة للتوكيد. ونون الرفع حذفت لتوالي الأمثال. وواو الجماعة اسم يصبح وهو محذوف لالتقاء الساكنين واللام للقسم. ﴿**نادمين**﴾ خبر يصبحن. وعما قليل متعلق به. ﴿**فأخذتهم**﴾ تعقيب على ما قبله. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**الصيحة**﴾ فاعل. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بأخذت.. ﴿**فجعلناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على ما قبله. ﴿**غثاء**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**فبعداً**﴾ مفعول مطلق. والفاء للتعقيب. ﴿**للقوم**﴾ متعلق ببعداً. ﴿**الظالمين**﴾ نعت للقوم. ﴿**ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين**﴾ تقدم إعراب مثل هذا الكلام.. ﴿**ما تسبق**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. ﴿**من أمة**﴾ جر بحرف الجر الزائد في محل رفع فاعل تسبق. ﴿**أجلها**﴾ مفعول به. ﴿**وما يستأخرون**﴾ معطوف على ما تسبق.. ﴿**ثم أرسلنا رسلنا**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على ما قبله بثُم. ﴿**تترَا**﴾ منصوب على الحال من رسلنا. ﴿**كلّما**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**جاء**﴾ فعل ماضٍ. ﴿**أمةً**﴾ مفعول به. ﴿**رسولُها**﴾ فاعل. ﴿**كذبوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول جواب الشرط. ﴿**فأتبعنا بعضهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول.. والفاء للتعقيب. ﴿**بعضاً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**وجعلناهم**﴾ معطوف على أتبعنا. ﴿**أحاديث**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**فبعدًا لقوم**﴾ إعرابه مثل إعراب ﴿**فبعداً للقوم الظالمين**﴾. ﴿**لا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي والجملة في محل جر نعت لقوم. ﴿**ثم أرسلنا موسى**﴾ فعل وفعل ومفعول معطوف بثم. ﴿**وأخاه**﴾ معطوف على موسى منصوب بالألف. ﴿**هارون**﴾ عطف بيان لأخاه. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**وسلطان**﴾ معطوف على آياتنا. ﴿**مبين**﴾ نعت لسلطان. ﴿**إلى فرعون**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**وملإه**﴾ معطوف على فرعون. ﴿**فاستكبروا**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**وكانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**قوماً**﴾ خبر كان. ﴿**عالين**﴾ نعت لقوم. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**فقالوا**﴾ فعل وفاعل مرتب على ما قبله.

﴿**أنؤمن**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام. والفاعل نحن. ﴿**لبشرين**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**مثلنا**﴾ نعت لبشرين. ﴿**وقومُهما**﴾ مبتدأ. ﴿**لنا**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**عابدون**﴾ خبر المبتدإ. والجملة في محل نصب حال من فعل نؤمن. والواو للحال. ﴿**فكذبوهما**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب. ﴿**فكانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**من المهلكين**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. والجملة مرتبة على ما قبلها. ﴿**ولقد آتينا موسى**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**الكتاب**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**لعلهم**﴾ لعلّ واسمها. ﴿**يهتدون**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل رفع خبر لعلّ. ﴿**وجعلنا ابن**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**مريم**﴾ مضاف إلى ابن مجرور بالفتحة. ﴿**وأمَّه**﴾ معطوف على ابن. ﴿**آية**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**وآويناهما**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة معطوف على جعلنا. . ﴿**إلى ربوة**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ذات**﴾ نعت لربوة. ﴿**قرار**﴾ مضاف إلى ذات. ﴿**ومعين**﴾ معطوف على قرار. ﴿**يا أيها**﴾ أيُّ منادي مبني على الضم في محل نصب. ﴿**الرسل**﴾ نعت لأيُّ باعتبار لفظها. ﴿**كلوا**﴾ فعل أمر للرسل. ﴿**من الطيبات**﴾ متعلق بكلوا. ﴿**واعملوا**﴾ عطف على كلوا. ﴿**صالحاً**﴾ مفعول به. ﴿**إني**﴾ إنّ واسمها. ﴿**بما**﴾ متعلق بخبر إنّ. ﴿**تعملون**﴾ صلة ما. ﴿**عليم**﴾ خبر إنّ. ﴿**وأنّ هذه**﴾ أن واسمها. ﴿**أمتكم**﴾ خبرها. ﴿**أمة**﴾ منصوب على الحال من أمتكم. ﴿**واحدة**﴾ نعت لأمة. ﴿**وأنا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**ربكم**﴾ خبر المتبدإ. والجملتان معطوفتان على قوله: ﴿**إني بما تعملون عليم**﴾. أي: لأني بما تعملون عليم، ولأن هذه أمتكم أمة واحدة، ولأن أنا ربكم. ﴿**فاتقون**﴾ أمر للرسل بالتقوى تعقيب على الأوامر التي سبقته. ﴿**فتقطعوا أمرهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. مرتب على ما قبله بظهور عصيانهم بعد أمر الرسول بالطاعة. ﴿**بينهم**﴾ متعلق بتقطعوا. ﴿**زبراً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**كل**﴾ مبتدأ. ﴿**حزب**﴾ مضف إلى كل. ﴿**بما**﴾ متعلق بالخبر بعده، ﴿**لديهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**فرحون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**فذرهم**﴾ فعل أمر معقب على ما قبله. وفعله ضمير يعود على المخاطب. وهو الرسول ﷺ. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**في غمرتهم حتى حين**﴾ متعلقان بذرهم. ﴿**أيحسبون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**أنّ ما**﴾ أن واسمها. ﴿**نمدّهم**﴾ فعل مضارع والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة صلة ما. ﴿**به من مال**﴾

متعلقان بنمدهم. ﴿**ونبين**﴾ معطوف على مال. ﴿**نسارع لهم في الخيرات**﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب الجملة التي قبلها. ﴿**بل**﴾ حرف عطف. ومعناها. ﴿**لا يشعرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**قد أفلح المؤمنون**﴾: ربط أول هذه السورة بآخر السورة التي قبلها يظهر من قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون..**﴾ ومن قوله تعالى: ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون..**﴾ وافتتاح السورة بقد تحقيقاً لثبوت فلاحهم في السابق واللاحق.. فالمعنى: قد فازوا بكل خير، ونجوا من كل ضير، حسبما كان ذلك متوقعاً من حالهم.. فإن إيمانهم وما تفرع عليه من أعمالهم الصالحة، من دواعي الفلاح بموجب الوعد الكريم.. فقوله تعالى: ﴿**الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾ وما عطف عليه صفات مخصصة لهم كما ينبىء عنه إضافة الصلاة إليهم. ﴿**والذين هم عن اللغو معرضون**﴾: جاءت هذه الآية موصولة بالعطف على ما قبلها؛ لأن الإعراض عن اللغو ترك ما لا فائدة فيه والخشوع في الصلاة فعل ما كلفوا به. ومن الأساليب البلاغية في هذه الآية: جعْلُ الجملة اسمية. وبناء الحكم على الضمير. والتعبير عنه بالاسم. وتقديم الصلة عليه. وإقامة الإعراض مقام الترك؛ ليدل على تباعدهم عنه رأساً مباشرة وتسبباً وميلاً وحضوراً.. ﴿**والذين هم للزكاة فاعلون**﴾: وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة؛ للدلالة على أنهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والحالية.

والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروءة اجتنابُه. وتوسيط حديث الإعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع في الصلاة. ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون**﴾: وصف رابع من أوصاف المؤمنين. وهو حفظ فروجهم من الوقوع في الممنوع، واقتصارهم على الزواج المشروع. وجملة ﴿**فإنهم غير ملومين**﴾ تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم من الأزواج والأماء في وقت كان فيه التسري من الأمر المشروع.. ﴿**فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون**﴾: تعقيب على قوله: ﴿**إلا على أزواجهم أو ما ملكت**

أيمانهم. .﴾ فليس غير الزواج الآن مباحاً للرجل والمرأة. وكل من يبتغي غير الزواج الشرعي فهو متعدٍّ على حدود الله ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون. ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾: هذان وصفان من أوصاف المؤمنين. وهما حفظ الأمانات، والوفاء بالعهد من جهة الحق أو من جهة الخلق. ﴿**والذين هم على صلواتهم يحافظون**﴾: هذا هو الوصف السابع من أوصاف المؤمنين. وهو المحافظة على الصلوات المفروضة في أوقاتها المحدودة وشروطها وأركانها المعدودة. ﴿**أولئك**﴾: إشارة إلى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات السبع. وإيثارها على الإضمار للإشعار بامتيازهم بها عن غيرهم، ونزولهم منزلة المشار إليه بالمشاهدة. . وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو طبقتهم ورفعة منزلتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف. . ﴿**هم الوارثون**﴾: الأحقاء بأن يُسموا وُرّاثاً دون من عداهم ممن ورث رغائب الأموال. . ﴿**الذين يرثون الفردوس**﴾: بيان لما يرثونه، وتقييد للوراثة بعد إطلاقها، وتفسير لها بعد إبهامها، تفخيماً لشأنها ورفعاً لمحلها. وهو استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه!. ﴿**هم فيها خالدون**﴾: جملة مستأنفة مقررة لما قبلها. ﴿**ولقد خلقنا الإنسان**﴾: شروع في بيان مبدإ خلق الإنسان وتقلبه في أطوار الخلقة وأدوار الفطرة بياناً إجمالياً إثر بيان حال بعض أفراده السعداء. واللام جواب قسم. وقد للتحقيق. والواو عاطفة على ما قبلها. .

والمراد بالإنسان الجنس المنسل من آدم المخلوق من طين: ﴿**من سلالة من طين. . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. .**﴾ وهكذا تسلسل الإنسان في أطوار خلقه. . ﴿**ثم خلقنا النطفة علقة. . فخلقنا العلقة مضغة. . فخلقنا المضغة عظاماً. . فكسونا العظام لحماً. . ثم أنشأناه خلقاً آخر. .**﴾ واختلاف حروف العطف هنا لاختلاف المُدَدِ التي بين المعطوف والمعطوف عليه. . ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾: تعقيب على ما تقدم. . والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة. وإدخال الروعة. والإشعار بأن ما ذكر من الأفاعيل العجيبة من أحكام الألوهية. وللإيذان بأن حق كل من سمع ما فصّل من آثار قدرة الله تعالى أو لاحظه أن يسارع إلى التكلم بهذا القول إجلالاً وإعظاماً لشؤونه سبحانه وتعالى: ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين!. ثم إنكم بعد ذلك لميتون**﴾: معطوف بثم على ما قبله لما فيه من المهلة بين الخلق والموت. . ﴿**ثم إنكم يوم القيامة تبعثون**﴾: عطف هذه

الجملة بثم على ما قبلها لما فيها من المهملة بين الموت والبعث. ﴿**ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين**﴾: هذا بيان لخلق ما يحتاج إليه بقاؤهم إثر بيان خلقهم. والخطاب موجه لكل إنسان. ﴿**وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على ما قبلها لما فيها من لفت الانتباه إلى السبب في حياة الناس وهو المطر النازل من السماء حسب الحاجة في الحال والمآل. وتلك نعمة يجب شكر المنعم بها. ﴿**فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون**﴾: رتبت هذه الآية على ما قبلها؛ لأنها متفرعة عن قوله: ﴿**وأنزلنا من السماء ماء بقدر. .**﴾ وقوله: ﴿**وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين**﴾ عطف خاص على عام؛ لما في هذه الشجرة من الفوائد. . فالمراد بالشجرة شجرة الزيتون. ﴿**وإن لكم في الأنعام لعبرة**﴾: بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان إثر بيان النعم الواصلة إليهم من جهة الماء والنبات. . فقد بيّن أنها مع كونها في نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتّى عبرة لا بد من أن يعتبروا بها ويستدلوا بأحوالها على عظيم قدرة الله تعالى وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه. . ﴿**نسقيكم مما في بطونها**﴾: تفصيل لما فيها من مواقع العبرة. وما في بطونها من اللبن. . ﴿**ولكم فيها منافع كثيرة**﴾: غير ما ذُكر. . ﴿**ومنها تأكلون**﴾: تنتفعون بأعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها. . ﴿**وعليها وعلى الفلك تحملون**﴾: في الجمع بين الأنعام، وهي الإبل هنا، وبين الفلك في إيقاع الحمل عليها مبالغة في تحملها للحمل. وهو الداعي إلى تأخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها عن ذكر منفعة الأكل المتعلقة بعينها.

﴿**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه**﴾: هذا شروع في بيان إهمال الأمم السابقة، وتركهم النظر والاعتبار فيما عُدّد من النعم الفائتة للحصر، وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم، وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب. تحذيراً للمخاطبين. وتقديمُ قصة نوح على سائر القصص مما لا يخفى وجهُه. وفي إيرادها إثر قوله تعالى: ﴿**وعلى الفلك تحملون**﴾ من حسن الموقع ما لا يوصف. وتصدير القصة بواو العطف ولام القسم وحرف التحقيق لإظهار كمال الاعتناء بمضمون القصة. ﴿**فقال يا قوم اعبدوا الله**﴾: تعقيب على الإرسال بالتصريح بهذا المقال: ﴿**ما لكم من إله غيره. .**﴾ فهو تعليل للأمر بالعبادة. وتخصيص وتبيين لمن يستحق هذه العبادة.

﴿أفلا تتقون﴾: الاستفهام هنا لإنكار الواقع حيث أشركوا مع الله غيره. **﴿فقال الملأُ الذين كفروا من قومه: ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾**: فعندما قال لهم نوح هذا الكلام بادروه بالرد عليه منكرين رسالته ورافضين دعوته واتهموه بأنه يريد أن يكون صاحب السلطة والحكم عليهم. وكيف يرسل رسولاً من البشر ولم ينزل عليهم ملكاً من السماء؟!. **﴿ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين. إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين﴾**: غاية ما وصلوا إليه من الإنكار أن وصفوه بالجنون.. فلا قيمة له ولا اعتبار!!. **﴿قال رب انصرني بما كذبوني﴾**: هذا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلام الكفرة. كأنه قيل: فماذا قال نوح بعد ما سمع منهم هذه الأباطيل؟ فقيل: قال لما رآهم قد أصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال حتى يئس من إيمانهم بالكلية: **﴿رب انصرني بما كذبوني..﴾** فجاء الرد سريعاً بقوله: **﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا..﴾** فأوحى اللَّهُ إليه وأمره بصنع السفينة ـ الفلك ـ تحمله هو ومن آمن معه عندما يأتي أمر الله.. **﴿فإذا جاء أمرنا وفار التنور..﴾** ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قدر.. فالكلام هنا موجز مفسر بأطناب في آيات أخرى من القرآن الكريم.. فاقتصر هنا على قوله: **﴿فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون. فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾**. الخطاب من قوله: **﴿فأوحينا إليه﴾** إلى قوله: **﴿وأنت خير المنزلين﴾** موجه إلى نوح عليه السلام لإظهار فضله باستجابته لأمر ربه..

﴿إن في ذلك لآيات﴾: فيما ذكر في قصة نوح لعلامات ودلائل وعبر يعتبر بها أهل البصائر.. **﴿وإن كنا لمبتلين﴾**: إن شأن هذا الأمر لابتلاء واختبار لكل من يتذكر ويتدبر ويعتبر: ولقد تركناها آية فهل من مدّكر؟!.. **﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾**: بعد ما هلك قوم نوح وانتهى أمرهم أنشأنا بعدهم قرناً آخرين.. فلم يذكر السياق: من هم؟.. ولكن مضَتْ عادة القرآن أن يذكر بعد قوم نوح قومَ هود. وإلى عاد أخاهم هوداً.. **﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم..﴾** فقالَ لهم: **﴿أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾**؟! قول هذا الرسول

هنا مثل قول نوح هناك.. **﴿وقال الملأُ من قومه﴾**: حكاية لقولهم الباطل إثر حكاية القول الحق.. **﴿الذين كفروا﴾**: صفة للملإ. وصفوا بذلك ذمّاً لَهُم، وتنبيهاً على علوهم في الكفر. وتأخيره عن قوله: **﴿من قومه﴾** لعطف قوله: **﴿وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا﴾**: إترافهم في الدنيا جعلهم يكذبون بالآخرة. وهذا وذاك ناتج عن كفرهم بالله. **﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾**: هذا ما قاله الأشراف لأتباعهم. وإيثار مثلكم على مثلنا للمبالغة في تهوين أمر الرسول الذي أرسل إليهم وتوهينه! **﴿يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾**: هذا تقرير للمماثلة. **﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذن لخاسرون﴾**: وقعت إِذَنْ بين اسم إنّ وخبرها تأكيداً لمضمون الشرط. والجملة جواب لقسم مقدر. والتقدير: والله لئن أطعتم بشراً مثلكم.. إلخ **﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون﴾**: استئناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباع الرسول بإنكار وقوع ما يدعوهم إلى الإيمان به واستبعاده: **﴿هيهات هيهات لما توعدون!.. إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾**: لما استبعدوا وقوع البعث صرحوا بما ينفيه بالجملة.. فليس هناك بعث بعد الموت وما هي الحياة إلا هذه الحياة الدنيا يموت جيل ويأتي بعده جيل وهكذا أبد الدهر.. **﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين﴾**: تصميم على الكفر بالله.. وتصريح بتكذيب الرسول حيث ادعوا أنه رجل افترى على الله كذباً.. وقولهم: افترى على الله كذباً تمويه وتضليل؛ لأنهم لا يؤمنون بالله.. فهم دهريون ملحدون! **﴿قال رب انصرني بما كذبوني﴾**: كلمة هذا الرسول هنا مثل كلمة نوح هناك. **﴿قال عما قليل ليصبحن نادمين﴾**: أجاب الله دعوته مثل ما أجاب دعوة نوح.. **﴿فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء﴾**: أصيبوا بصيحة هائلة فقضت عليهم جميعاً.. **﴿فبعداً للقوم الظالمين!.. ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين﴾**: بعدما هلكوا وانتهى أمرهم مثل ما هلك قوم نوح، أنشأ الله قروناً أمماً متتابعة في أجيال متعاقبة. وإن من أمة إلا خلا فيها نذير. **﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون!. ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾**: أرسلنا رسلنا متتابعين متفرقين في المكان والزمان: **﴿كلما جاء أمة رسولها كذبوه﴾**: استئناف مبين لمجيء كل رسول لأمته، ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة.. **﴿فأتبعنا بعضهم بعضاً.. وجعلناهم أحاديث﴾**: أتبعنا بعضهم بعضاً في الهلاك حسبما تبع بعضُهم بعضاً في

مباشرة أسبابه التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي.. فلم يبق منهم إلا حكايات يعتبر بها المعتبرون.. **﴿فبعداً لقوم لا يؤمنون!.. ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملإه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين﴾**: مرت القرون وتتابع الرسل وهلك من هلك من الأمم المكذبة حتى وصل الأمر إلى زمن موسى وهارون أخيه.. فأرسلهما الله إلى فرعون وملإيه.. **﴿فاستكبروا وكانوا قوماً عالين..﴾** فلم يؤمنوا بما جاء به موسى وهارون من الآيات.. **﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون؟!.. فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾**! وهذه القصص كما نرى تدل على أن مدار شُبَهِ المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء على أحوالهم، بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات أفرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان. وجهلهم بأن مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة النعوت العلية وإحراز الملكات السنية موهبة واكتساباً.. **﴿ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون﴾**: وصلت هذه الآية بالعطف على ما قبلها.. فبعد ما أغرق الله فرعون وقومه أعطاه التوراة لإرشاد قومه إلى الحق رجاء أن يهتدوا به إلى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والأحكام. **﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾**: هذه الآية تكملة لذكر سلسلة الرسل من لدن نوح إلى موسى وهارون إلى عيسى عليهم السلام. وخص عيسى بأنه آية؛ لأنه ولد من غير أب. وخصت أمه بأنها آية لولادتها عيسى من غير مسيس بشر. وجملة **﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾** زيادة في تنعمهما في حياتهما. **﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾**: بينت هذه الآية أن التنعم لم يكن خاصاً بعيسى وأمه.. وإنما هو عام لجميع الرسل.. فهو شرع قديم أُمر به الجميع. **﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقوني﴾**: جملة **﴿وأنا ربكم﴾** موصولة بالعطف على قوله وأن هذه المعطوفة على الأمر بالأكل والطيب والعمل الصالح.. **﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾**: ترتبت هذه الآية على ما قبلها لبيان ما ظهر من أمم الرسل بعدهم من مخالفة الأمر وشق العصا. والمعنى: تقطعوا أمر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعاً متفرقة وأدياناً مختلفة: **﴿كل حزب بما لديهم فرحون.. فذرهم في غمرتهم حتى حين﴾**: الخطاب موجه إلى الرسول ﷺ والفاء لترتيب الأمر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم.. فاتركهم وشأنهم إلى

وقت يحل بهم فيه العذاب. ﴿**أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات؟.. بل لا يشعرون**﴾!..

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون...**﴾: في هذا التوجيه عرض شامل لأوصاف المؤمنين.. ففيه الوعد الصادق.. بل القرار الأكيد بفلاح المؤمنين! وعد الله لا يخلف الله وعده.. وقرار الله لا يملك أحد رده.. الفلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة.. فلاح الفرد المؤمن وفلاح الجماعة المؤمنة.. الفلاح الذي يحسه المؤمن بقلبه ويجد مصداقه في واقع حياته.. والذي يشمل ما يعرفه من معاني الفلاح، وما لا يعرفونه مما يدخره لعباده المؤمنين.. فمن هم المؤمنون الذين كتب الله لهم هذه الوثيقة، ووعدهم هذا الوعد، وأعلن عن فلاحهم هذا الإعلان؟! من هم المؤمنون المكتوب لهم الخير والنصر والسعادة والتوفيق والمتاع الطيب في الأرض، والمكتوب لهم الفوز والنجاة، والثواب والرضوان في الآخرة.. ثم ما شاء الله غير هذا أو ذلك في الدار بين مما لا يعلمه إلا الله! إنهم هؤلاء الذين يفصل هذا التوجه صفاتهم بعد آية الافتتاح: ﴿**الذين هم في صلاتهم خاشعون..**﴾ فالخشوع في الصلاة استشعار القلوب رهبة الموقف في الصلاة بين يدي الله فتسكن وتخشع.. فيسري الخشوع منها إلى الجوارح والملامح والحركات. ويغشى أرواحهم جلال الله في حضرته فتختفي من أذهانهم جميع الشواغل ولا تشتغل بسواه. وهم مستغرقون في الشعور به مشغولون بنجواه. ويتوارى عن حسهم في تلك الحضرة القدسية كل ما حولهم وكل ما بهم فلا يشهدون إلا لله. ولا يحسون إلا إياه. ولا يتذوقون إلا معناه. ويتطهر وجدانهم من كل دنس، وينفضون عنهم كل شائبة.. فما يضمون جوانحهم على شيء من هذا مع جلال الله.. عندئذ تتصل الذرة التائهة بمصدرها.. وتجد الروح الحائرة طريقها.. ويعرف القلب الموحش مثواه.. وعندئذ تتضاءل القيم والأشياء والأشخاص إلا ما يتصل منها بالله. ﴿**والذين هم عن اللغو معرضون..**﴾ فهم معرضون عن لغو القول. ولغو الفعل. ولغو الاهتمام والشعور.. إن للقلب المؤمن ما يشغله عن اللغو واللهو والهذر.. له ما يشغله من ذكر الله وتصور جلاله وتدبر آياته في الأنفس والآفاق.. وكل مشهد من

مشاهد الكون يستغرق اللبث ويشغل الفكر، ويحرك الوجدان.. وله ما يشغله من تكاليف العقيدة: تكاليفها في تطهير القلب وتزكية النفس وتنقية الضمير. وتكاليفها في السلوك، ومحاولة الثبات على المرتقى العالي الذي يتطلبه الإيمان. وتكاليفها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصيانة حياة الجماعة من الفساد والانحراف. وتكاليفها في الجهاد لحمايتها ونصرتها وعزتها: والسهر عليها من كيد الأعداء.. فهي تكاليف لا تنتهي، ولا يغفل عنها المؤمن، ولا يعفي نفسه منها. وهي مفروضة عليه فرض عين أو فرض كفاية. وفيها الكفاية لاستغراق الجهد البشري والعمر البشري. والطاقة البشرية محدودة. وهي إما أن تتفق في هذا الذي يصلح الحياة وينميها ويرقيها وإما أن تنفق في الهذر واللغو واللهو. والمؤمن مدفوع بحكم عقيدته إلى إنفاقها في البناء والتعمير والإصلاح. ولا ينفي هذا أن يُروِّح المؤمن عن نفسه في الحين بعد الحين.. ولكن هذا شيء آخر غير الهذر واللغو والفراغ. ﴿**والذين هم للزكاة فاعلون..**﴾ فبعد إقبالهم على الله وانصرافهم عن اللغو في الحياة اتجهوا إلى تطهير نفوسهم من الشح وتحصين أموالهم من الضياع.. فالزكاة طهارة للقلب والمال: طهارة للقلب من الشح. واستعلاء على حب النفس. وانتصار على وسوسة الشيطان بالفقر. وثقة بما عند الله من العِوَض والجزاء. وطَهَارَةٌ للمال، تجعل ما بقي منه بعدها طيباً حلالاً. لا يتعلق به حق - إلا في حالات الضرورة - ولا تحوم حوله شبهة. وهي صيانة للجماعة من الخلل الذي ينشئه العوز في جانب والترف في جانب.. فهي تأمين اجتماعي للأفراد جميعاً. وهي ضمان اجتماعي للعاجزين. وهي وقاية للجماعة كلها من التفكك والانحلال. ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾، وهذه طهارة الروح والبيت والجماعة. ووقاية النفس والأسرة والمجتمع.. يحفظ الفروج من دنس المباشرة في غِير حلال.. وحفظ القلوب من التطلع إلى غير حَلال.. وحفظ الجماعة من انطلاق الشهوات فيها بغير حساب.. ومن فساد البيوت فيها والأنساب. والجماعة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة معرضة للخلل والفساد؛ لأنه لا أمن فيها للبيت. ولا حرمة فيها للأسرة. والبيت هو الوحدة الأولى في بناء الجماعة؛ إذ هو المحضن الذي تنشأ فيه الطفولة وتتدرج. ولا بد له من الأمن والاستقرار والطهارة ليعيش فيه الوالدان مطمئناً كلاهما للآخر. والجماعة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة قذرة هابطة تحت سلم البشرية الراقية.. فالمقياس

الذي لا يخطىء للارتقاء البشري هو تحكم الإرادة الإنسانية وغلبتها، وتنظيم الدوافع الفطرية في صورة مثمرة نظيفة لا يخجل الأطفال معها من الطريقة التي جاءوا بها إلى هذا العالم؛ لأنها طريقة نظيفة معروفة، يعرف فيها كل طفل أباه. لا كالحيوان الهابط الذي تلقي الأنثى فيه الذكر للقاح، وبدافع اللقاح.. ثم لا يعرف الفصيل كيف جاء ولا من أين جاء؟!. والقرآن هنا يحدد المواضع النظيفة التي يحل للرجل أن يودعه بذور الحياة: ﴿**إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين..**﴾ فمسألة الأزواج لا تثير شبهة ولا تستدعي جدلاً.. فهي النظام المشروع المعروف. أما مسألة ملك اليمين فقد تستدعي شيئاً من البيان: الإسلام جاء والرق نظام عالمي. واسترقاق أسرى الحرب نظام دولي.. فما كان يمكن والإسلام مشتبك في حروب مع أعدائه الواقفين بالقوة المادية في طريقه أن يلغي هذا النظام من جانب واحد فيصبح أسارى المسلمين رقيقاً عند أعدائه بينما هو يحرر أسارى الأعداء.. فجفف الإسلام كل منابع الرق ـ عدا أسرى الحرب ـ إلى أن يتاح للبشرية وضع نظام دولي للتعامل بالمثل في مسألة الأسرى. ومن هنا كان يجيء إلى المعسكر الإسلامي أسيرات، تقضي قاعدة التعامل بالمثل باسترقاقهن. ومن مقتضيات هذا الاسترقاق أن لا يرتفعن إلى مستوى الزوجات بالنكاح.. فأباح الإسلام حينئذ الاستمتاع بالتسري لمن يملكهن خاصة إلا أن يتحررن لِسبب من الأسباب الكثيرة التي جعلها الإسلام سبلاً لتحرير الرقيق. ولعل هذا الاستمتاع ملحوظ فيه تلبية الحاجة الفطرية للأسيرات أنفسهن؛ كي لا يشبعنها عن طريق الفوضى القذرة في المخالطة الجنسية كما يقع في زماننا هذا مع أسيرات الحرب بعد معاهدات تحريم الرقيق ـ هذه الفوضى التي لا يحبُّها الإسلام! ـ وذلك حتى يأذن الله فيرتفعن إلى مرتبة الحرية. والأَمَةُ تصل إلى مرتبة الحريّة بوسائل كثيرة.. إذا ولدت لسيدها ثم مات عنها. وإذا أعتقها هو تطوعاً أو في كفارة. وإذا طلبت أن تكاتبه على مبلغ من المال فافتدت به رقبتها.. وعلى أية حال فقد كان الاسترقاق في الحرب ضرورة وقتية. هي ضرورة المعاملة بالمثل في عالم كله يسترق الأسرى. ولم يكن جزءاً من النظام الاجتماعي في الإسلام.. ﴿**فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون**﴾: ابتغى وراء الزوجات وملك اليمين. ولا زيادة بطريقة من الطرق.. فمن ابتغى وراء ذلك فقد تعدى الدائرة المباحة، ووقع في الحرمات، واعتدى على الأعراض التي لم يستحلها بنكاح ولا بجهاد. وهنا تفسد

النفس لشعورها بأنها ترعى في كلإٍ غير مباح، ويفسد البيت لأنه لا ضمان له ولا اطمئنان، وتفسد الجماعة لأن ذئابها تنطلق فتنهش من هنا ومن هناك، وهذا كله هو الذي يتوقاه الإسلام. **﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾**: راعون لأماناتهم وعهدهم أفراداً. وراعون لأماناتهم وعهدهم جماعة.. والأمانات كثيرة في عنق الفرد وفي عنق الجماعة؛ وفي أولها أمانة الفطرة؛ وقد فطرها الله مستقيمة متناسقة مع ناموس الوجود الذي هي منه وإليه شاهدة بوجود الخالق ووحدانيته بحكم إحساسها الداخلي بوحدة الناموس الذي يحكمها ويحكم الوجود، ووحدة الإرادة المختارة لهذا الناموس، المدبرة لهذا الوجود.. والمؤمنون يرعون تلك الأمانة الكبرى فلا يدَعُون فطرتهم تنحرف عن استقامتها فتظل قائمة بأمانتها شاهدة بوجود الخالق ووحدانيته.. ثم تأتي سائر الأمانات تبعاً لتلك الأمانة الكبرى. والعهد الأول هو عهد الفطرة كذلك: هو العهد الذي قطعه الله على فطرة البشر، بالإيمان بوجوده وبتوحيده. وعلى هذا العهد الأول تقوم جميع العهود والمواثيق.. فكل عهد يقطعه المؤمن يجعل الله شهيداً عليه فيه، ويرجع في الوفاء به إلى تقوى الله وخشيته. والجماعة المسلمة مسؤولة عن أماناتها العامة، مسؤولة عن عهدها مع الله تعالى، وما يترتب على هذا العهد من تبعات. والنص يجمل التعبير ويدعه يشمل كلَّ أمانة وكلَّ عهد.. ويصف المؤمنين بأنهم لأماناتهم وعهدهم راعون.. فهي صفة دائمة لهم في كل حين. وما تستقيم حياة الجماعة إلا أن تؤدى فيها الأمانات، وتُرعى فيها العهود، ويطمئن كل من فيها إلى هذه القاعدة الأساسية للحياة المشتركة، الضرورية لتوفير الثقة والأمن والاطمئنان. **﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾**: لا يفوتونها كسلاً.. ولا يضيعونها إهمالاً.. ولا يقصرون في إقامتها كما ينبغي أن تقام.. إنما يؤدونها في أوقاتها كاملة الفرائض والسنن مستوفية الأركان والآداب.. فالصلاة صلة ما بين العبد والرب.. فالذي لا يحافظ عليها لا ينتظر أن يحافظ على صلة ما بينه وبين ربه وما بينه وبين الناس محافظة حقيقية مبعثها صدق الإيمان ونظافة الضمير.. ولقد بدأت صفاة المؤمنين بالصلاة وختمت بالصلاة؛ للدلالة على عظيم مكانتها في بناء الإيمان. تلك الخصائص تحدد شخصية المؤمنين المكتوب لهم الفلاح.. فهي خصائص ذات أثر حاسم في تحديد خصائص الجماعة المؤمنة، ونوع الحياة التي تحياها. الحياة الفاضلة اللائقة بالإنسان الذي كرمه الله، وأراد له التدرج في مدارج

الكمال. ولم يرد له أن يحيا حياة الحيوان، يستمتع فيها ويأكل ما تأكل الأنعام. ولما كانت الحياة في هذه الأرض لا تحقق الكمال لمقدر لبني الإنسان، فقد شاء الله أن يصل المؤمنون الذين ساروا في الطريق إلى الغاية المقدرة لهم هنالك في الفردوس دار الخلود بلا فناء، والأمن بلا خوف، والاستقرار بلا زوال: ﴿**أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**..﴾ فتلك غاية الفلاح الذي كتبه الله للمؤمنين. وليس بعدها من غاية تمتد إليها عين أو خيال..

التوجيه الثاني: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين**..﴾: في هذا التوجيه عرض لنشأة الإنسان وأطوار حياته: مبتدئاً بأصل النشأة الإنسانية منتهياً إلى البعث في الآخرة مع الربط بين الحياتين في السياق. وفي أطوار هذه النشأة وتتابعها بهذا النظام وبهذا الاطراد ما يشهد بوجود المنشىء أولاً. وما يشهد بالقصد والتدبير في تلك النشأة وفي اتجاهها أخيراً.. فلا يمكن أن يكون الأمر مصادفة عابرة، ولا خبط عشواء بدون قصد ولا تدبير.. ثم تسير هذه السيرة التي لا تنحرف ولا تخطىء ولا تتخلف، ولا تسير في طريق آخر من شتى الطرق التي يمكن عقلاً وتصوراً أن تسير فيها.. إنما تسير النشأة الإنسانية في هذا الطريق دون سواه من شتى الطرق الممكنة بناء على قصد وتدبير من الإرادة الخالقة المدبرة في هذا الوجود. كما أن في عرض تلك الأطوار بهذا التتابع الدقيق المطرد، ما يشير إلى أن الإيمان بالخالق المدبر والسير على نهج المؤمنين الذي بينه في المقطع السابق.. هو وحده الطريق إلى بلوغ الكمال المقدر لتلك النشأة؛ في الحياتين: الدنيا والأخرى. وهذا هو المحور الذي يجمع بين المقطعين في سياق السورة. والنص يشير إلى أطوار نشأة الإنسان من سلالة آدم الذي نشأ من طين.. فالقرآن يقرر هذه الحقيقة ليتخذها مجالاً للتدبر في صنع الله، ولتأمل النقلة البعيدة بين الطين وهذا الإنسان..

ومن آياته ﴿**أن خلقكم من تراب.. ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**﴾!!.. ذلك أصل نشأة الجنس الإنساني: ﴿**من سلالة من طين**..﴾ فأما نشأة الفرد الإنساني بعد آدم وزوجه.. فتمضي في طريق آخر معروف: ﴿**ثم جعلناه نطفة في قرار مكين**..﴾ فقد جرت سنة الله أن يكون وجود كل فرد من أفراد الإنسان ناشىء من نطفة تخرج من صلب الرجل فتستقر في رحم المرأة، ثابتة في الرحم.. فهذه هي

القاعدة المطردة في نشأة كل فرد من أفراد الإنسان إلا عيسى ابن مريم فقد تكوّن في رحم أمه مريم من دون نطفة رجل.. ﴿**وجعلنا ابن مريم وأمه آية..**﴾ فهذا الإنسان الضخم يختصر ويلخص بكل عناصره وبكل خصائصه في تلك النطفة. ومن النطفة إلى العلقة: ﴿**ثم خلقنا النطفة علقة..**﴾ فحينما تمتزج خلية الذكر ببويضة الأنثى وتعلق هذه بجدار الرحم نقطة صغيرة في أول الأمر تتغذى بدم الأم.. ومن العلقة إلى المضغة: ﴿**فخلقنا العلقة مضغة..**﴾ فحينما تكبر تلك النقطة العالقة بالرحم تتحول إلى قطعة من دم غليظ مختلط.. ثم تمضي هذه الخليقة في ذلك الخط الثابت الذي لا ينحرف ولا يتحول ولا تتوانى حركته المنظمة الرتيبة، وبتلك القوة الكامنة في الخلية المستمدة من الناموس الماضي في طريقه بين التدبير والتقدير. حتى تجيء مرحلة العظام.. ﴿**فخلقنا المضغة عظاماً.. فكسونا العظام لحماً..**﴾ فهنا يقف الإنسان مدهوشاً أمام ما كَشَفَ عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين لم تُعرف على وجه الدقة إلا أخيراً بعد تقدم علم الأجنة التشريحي. ذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم. وقد ثبت أن خلايا العظام هي التي تتكون أولاً في الجنين. ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام وتمام الهيكل العظمي للجنين. وهي الحقيقة التي يسجلها النص القرآني.. فسبحان العليم الخبير!.. ﴿**ثم أنشأناه خلقاً آخر..**﴾ فهذا هو الإنسان ذو الخصائص المتميزة.. فجنين الإنسان يشبه جنين الحيوان في أطواره الجسدية.. ولكن جنين الإنسان يُنشأ خلقاً آخر، ويتحول إلى تلك الخليقة المتميزة المستعدة للارتقاء، ويبقى جنين الحيوان في مرتبة الحيوان، مجرداً عن خصائص الارتقاء والكمال التي يمتاز بها جنين الإنسان!. إن الجنين الإنساني مزود بخصائص معينة هي التي تسلك به طريقه الإنساني فيما بعد. وهو يُنشأ خلقاً آخر في آخر أطواره الجنينية؛ بينما يقف الجنين الحيواني عند التطور الحيواني؛ لأنه غير مزود بتلك الخصائص. ومن ثَم فإنه لا يمكن أن يتجاوز الحيوان مرتبته الحيوانية فيتطور إلى مرتبة الإنسان تطوراً آلياً ـ كما تقول النظريات المادية فهما نوعان مختلفان، اختلفا بتلك النفخة الإلهية التي بها صارت سلالة الطين إنساناً.. إنما الإنسان والحيوان يتشابهان في التكوين الحيواني.. ثم يبقى الحيوان حيواناً في مكانه لا يتعداه. ويتحول الإنسان خلقاً آخر قابلاً لما هو مهيأ له من الكمال بواسطة خصائص مميزة وهبها له الله عن تدبير مقصود لا عن طريق

تطور آلي من نوع الحيوان إلى نوع الإنسان.. ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**..﴾ فليس هناك من يخلق سوى الله. فأحسن هنا ليست للتفضيل، وإنما هي للحسن المطلق في خلق الله. الذي أودع فطرة الإنسان تلك القدرة على السير في هذه الأطوار، وفق السنة التي لا تتبدل ولا تنحرف ولا تتخلف.. حتى تبلغ بالإنسان ما هو مقدر له من مراتب الكمال الإنساني، على أدق ما يكون النظام. وإن الناس ليقفون داهشين أمام ما يسمونه معجزات العلم، حين يصنع الإنسان جهازاً يتبع طريقاً خاصاً في تحركه دون تدخل مباشر من الإنسان.. فأين هذا من سير الجنين في مراحله تلك وأطواره وتحولاته، وبين كل مرحلة ومرحلة فوارق هائلة في طبيعتها، وتحولات كاملة في ماهيتها؟ غير أن البشر يمرون على هذه الخوارق مغمضي العيون مغلقي القلوب؛ لأن طول الألفة أنساهم أمرها الخارق العجيب.. فإن مجرد التفكر في أن الإنسان ـ هذا الكائن المعقد ـ كله ملخص وكامن بجميع خصائصه وسماته وشياته في تلك النقطة الصغيرة التي لا تراها العين المجردة؛ وأن تلك الخصائص والسمات والشيات كلها تنمو وتتفتح وتتحرك في مراحل التطور الجنينية حتى تبرز واضحة عندما ينشأ خلقاً آخر.. فإذا هي ناطقة بارزة في الطفل مرة أخرى. وإذا كان طفل يحمل وراثاته الخاصة فوق الوراثات البشرية العامة. هذه الوراثات وتلك التي كانت كامنة في تلك النقطة الصغيرة.. فإن مجرد التفكر في هذه الحقيقة التي تتكرر لحظة لكاف وحده أن يفتح مغاليق القلوب على ذلك التدبير العجيب الغريب.. ثم يتابع السياق خطاه لاستكمال مراحل الرحلة، وأطوار النشأة.. فالحياة الإنسانية التي نشأت من الأرض لا تنتهي في الأرض؛ لأن عنصراً غير أرضي قد امتزج بها، وتدخَّل في خط سيرها؛ ولأن تلك النفخة العلوية قد جعلت لها غاية غير غاية الجسد الحيواني، ونهاية غير نهاية اللحم والدم القريبة؛ وجعلت كمالها الحقيقي لا يتم في هذه الأرض، ولا في هذه الحياة الدنيا.. إنما يتم هنالك في مرحلة جديدة وفي الحياة الأخرى: ﴿**ثم إنكم بعد ذلك لميتون.. ثم إنكم يوم القيامة تبعثون**..﴾ فهو الموت نهاية الحياة الأرضية، وبرزخ ما بين الدنيا والآخرة. وهو إذاً طور من أطوار النشأة الإنسانية وليس نهاية الأطوار.. ثم هو البعث المؤذن بالطور الأخير من أطوار تلك النشأة. وبعده تبدأ الحياة الكاملة المبرأة من النقائص الأرضية ومن ضرورات اللحم والدم ومن الخوف والقلق، ومن التحول والتطور؛ لأنها نهاية الكمال المقدر لهذا الإنسان.

ذلك لمن يسلك طريق الكمال: الطريق الذي رسمه المقطع الأول في السورة: طريق المؤمنين. . فأما من ارتكس في مرحلة الحياة الدنيا إلى درك الحيوان. . فهو صائر في الحياة الأخرى إلى غاية الارتكاس. حيث تهدر آدميته، ويستحيل حصَباً من حصب جهنم، وقوداً للنار التي وقودها الناسِ والحجارة. والناس من هذا الصنف هو والحجارة سواء. . .

التوجيه الثالث: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين. .﴾: في هذا التوجيه استعراض دلائل الإيمان في الآفاق بعد استعراضها في التوجيه السابق في الأنفس. . إن السياق يمضي في استعراض هذه الدلائل، وهو يربط بينها جميعاً. يربط بينها بوصفها من دلائل القدرة. ويربط بينها كذلك بوصفها من دلائل التدبير. فهي متناسقة في تكوينها، متناسقة في وظائفها، متناسقة في اتجاهها. . فكلها محكومة بناموس واحد. وكلها تتعاون في وظائفها. وكلها محسوب فيها لهذا الإنسان الذي كرمه الله حساب. والسبع الطرائق هي سبع خلائق ملكوتية فوق اليسر وفوق ما يرى ويتخيل البشر. خلقها الله بتدبير وحكمة وحفظها بناموس ثابت مطرد. . **﴿وما كنا عن الخلق غافلين. .﴾** فهنا تتصل تلك الطرائق بالأرض: الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتَنزّل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً. . فباتصال الأمر بينهما يحصل التناسق بين إنزال الماء من السماء واستقراره في الأرض: **﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض. .﴾** فالماء نازل من السماء وله علاقة بالملكوت الأعلى وما فيه من تنظيم وتدبير، هو الذي يسمح بنزول الماء من السماء بقدر. . ويسمح كذلك بإسكانه في الأرض. ونظرية أن المياه الجوفية ناشئة من المياه السطحية الآتية من المطر، وأنها تتسرب إلى باطن الأرض فتحفظ هناك. . نظرية حديثة. . فقد كان المظنون إلى وقت قريب أنه لا علاقة بين المياه الجوفية والمياه السطحية. . ولكن ها هو ذا القرآن الكريم يقول هذه الحقيقة قبل ألف وأربعمائة عام!. . فإنزاله بقدر: بحكمة وتدبير، لا أكثر فيفرق ويفسد. . ولا أقل، فيكون الجدب والمحِل. . ولا في غير أوانه، فيذهب بدداً بلا فائدة. . **﴿فأسكناه في الأرض. .﴾** فما أشبهه وهو مستكن في الأرض بماء النطفة وهو مستقر في الرحم!. . كلاهما مستقر هنالك بتدبير الله لتنشأ عنه الحياة. . فهذا من تنسيق المشاهد على طريقة القرآن في التصوير. . فيبقى كل في

قراره ما قرر له البقاء.. فإن أراد الله إزالته فيزول: ﴿**وإنا على ذهاب به لقادرون**..﴾ يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد.. فيفور الماء في طبقات الأرض البعيدة بِكَسْرٍ أو شق في الطبقات الصخرية التي استقر عليها فحفظته. أو بغير هذا من الأسباب.. فالذي أمسكه بقدرته قادر على تبديده وإضاعته.. إنما هو فضل الله على الناس برحمته ونعمته. ومثل الماء غيض ما في الرحم من نطفة أو علقة أو مضغة غير مخلقة.. فتذهب هباء كأن لم تكن!. ثم من الماء تنشأ الحياة: ﴿**فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب**..﴾ فالنخيل والأعناب نموذجان من الحياة التي تنشأ بالماء في عالم النبات ـ كما ينشأ الناس من ماء النطفة في عالم الإنسان ـ نموذجان قريبان لتطور المخاطبين إذ ذاك بالقرآن، يشيران إلى نظائرهما الكثيرة التي تحيا بالماء من عالم النبات وعالم الحيوان. ويخصص من الأنواع الأخرى شجرة الزيتون.. فبعد ما قال: ﴿**فأنشأنا لكم به جنات من نخيلٍ وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون**﴾ عطف عليه قوله: ﴿**وشجرة**..﴾ أي: أنشأنا لكم به شجرة.. وشجرة الزيتون من أكثر الشجر فائدة في ظلها وورقها وخشبها ومنظرها. والأهم من هذا زيتها.. وهو غذاء ودواء وضياء.. فهي شجرة مباركة تخرج من أرض مباركة.. من الماء المبارك النازل من الماء.. ثم يعرج من عالم النبات إلى عالم الحيوان: ﴿**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون**..﴾ فهذه المخلوقات المسخرة للإنسان بقدرة الله وتدبيره، وتوزيعه للوظائف والخصائص في هذا الكون الكبير.. فيها عبرة لمن ينظر إليها بالقلب المفتوح والحس البصير، ويتدبّر ما وراءها من حكمة ومن تقدير؛ ويرى أن اللبن السائغ اللطيف الذي يشربه الناس منها يخرج من بطونها.. فهو مستخلص من الغذاء الذي تهضمه وتمثله فتحوله غدد اللبن إلى هذا السائل السائغ اللطيف!.. ولكم فيها منافع كثيرة: يحملها أولاً.. ثم يخصص منها منفعتين: ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون.. وقد أحل الله للإنسان كل الأنعام من الإبل والبقر والضأن والمعز.. ويربط السياق بين حمل الإنسان على الأنعام ـ الإبل ـ وحمله على الفلك، بوصفهما مسخرين بنظم الله الكوني، الذي ينظم وظائف الخلائق جميعاً، كما ينسق بين وجودها جيمعاً.. فهذا التكوين الخاص للماء، والتكوين الخاص للسفن، والتكوين الخاص لطبيعة الهواء فوق الماء والسفن.. هو الذي

يسمح للفلك أن تطفو فوق سطح الماء. ولو اختل تركيب واحد من الثلاثة، أو اختلف أدنى اختلاف ما أمكن أن تتم الملاحة التي عرفتها البشرية قديماً، وما تزال تعتمد عليها جل الاعتماد. وكل هذا من دلائل الإيمان الكونية لمن يتدبرها تدبر الفهم والإدراك. وكلها ذات صلة بالمقطع الأول في السورة والمقطع الثاني، متناسقة معهما في السياق.

التوجيه الرابع: ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه.. فقال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.. أفلا تتقون**﴾؟: في هذا التوجيه انتقال من دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق إلى حقيقة الإيمان التي جاء بها الرسل جميعاً.. ويبين كيف استقبال الناس لهذه الحقيقة الواحدة التي لا تتبدل على مدار الزمان وتعدد الرسالات، وتتابع الرسل من لدن نوح.. فإذا نحن نشهد موكب الرسل.. وهم يلقون إلى البشرية بالكلمة الواحدة ذات المدلول الواحد والاتجاه الواحد.. حتى ليوحد ترجمتها في العربية ـ وقد قيلت بشتى اللغات التي أرسل بها الرسل إلى أقوامهم ـ فإذا الكلمة التي قالها نوح هي ذاتها بنصها يقولها كل من جاء بعده من المرسلين: ﴿**اعبدوا الله ما لكم من إله غيره..**﴾ فيها كلمة الحق التي لا تتبدل. وهي التي يقوم عليها الوجود ويشهد بها كل ما في الوجود. ﴿**أفلا تتقون**﴾؟!، وتخافون عاقبة الإنكار للحقيقة الأولى التي تقوم عليها الحقائق جميعاً وتستشعرون ما في إنكارها من تجنٍّ على الحق الباهر، وما يعقب التجني من استحقاق للعذاب الأليم.. ولكن كبراء قوم نوح من الكفار لا يناقشون هذه الكلمة ولا يتدبرون شواهدها، ولا يستطيعون التخلص من النظرة الضيقة المتعلقة بأشخاص وبشخص الرجل الذي يدعوهم.. ولا يرتفعون إلى الأفق الطليق الذي ينظرون منه إلى تلك الحقيقة الضخمة مجردة عن الأشخاص والذوات.. فإذا هم يتركون الحقيقة الكبرى التي يقوم عليها الوجود ويشهد بها كل ما في الوجود؛ ليتحدثوا عن شخص نوح: ﴿**فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم..**﴾ فهم ينظرون من هذه الزاوية الضيقة الصغيرة إلى تلك الدعوة الكبيرة.. فما كانوا إذن ليدركوا طبيعتها ولا ليروا حقيقتها ـ وذواتهم الصغيرة الضئيلة تحجب عنهم جوهرها وتعمي عليهم عنصرها.. وتقف حائلاً بين قلوبهم وبينها.. فإذا القضية كلها في نظرهم قضية رجل منهم لا يفترق في شيء عنهم: يريد أن يتفضل عليهم وأن يجعل لنفسه منزلة فوق منزلتهم!. وهم في اندفاعهم

الصغير لرد نوح عن المنزلة التي يتوهمون أنه يعمل لها، ويتوسل بدعوى الرسالة.. في اندفاعهم هذا الصغير لا يردون فضل نوح وحده.. بل يردون فضل الإنسانية التي هم منها، ويرفضون تكريم الله لهذا الجنس، ويستكثرون أن يرسل الله رسولاً من البشر إن يكن لا بد مرسلاً: ﴿**ولو شاء الله لأنزل ملائكة..**﴾ ذلك أنهم لا يجدون في أرواحهم تلك النفحة العلوية التي تصل البشر بالملإ الأعلى، وتجعل المختارين من البشرية يتلقون ذلك الفيض العلوي ويطيقونه، ويحملونه إلى إخوانهم من البشر، فيهدونهم إلى مصدره الوضيء. وهم يحيلون الأمر إلى السوابق المألوفة لا إلى العقل المتدبر: ﴿**ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين..**﴾ ومثل هذا يقع دائماً عندما يطمس التقليد على حركة الفكر وحرية القلب.. فلا يتدبر الناس ما هو بين أيديهم من القضايا، ليهتدوا على ضوء الواقع إلى حكم مباشر عليها.. إنما هم يبحثون في ركام الماضي عن سابقة يستندون إليها.. فإن لم يجدوا هذه السابقة رفضوا القضية وطرحوها. وعند هذه الجماعات الجاحدة الخامدة أن ما كان مرةً يمكن أن يكون ثانية.. فأما الذي لم يكن فإنه لا يمكن أن يكون! وهكذا تجمد الحياة وتقف حركتها، وتتسمر خطاها عند جيل معين ﴿**في آبائنا الأولين**﴾. ويا ليتهم يدركون أنهم جامدون متحجرون.. إنما هم يتهمون دعاة التحرر والانطلاق بالجنون ـ وهم يدعونهم إلى التدبر والتفكر، والتخلية بين قلوبهم ودلائل الإيمان الناطقة في الوجود. فإذا هم يتلقون هذه الدعوة بالتبجح والاتهام: ﴿**إن هو إلا رجل به جنة.. فتربصوا به حتى حين..**﴾ إلى أن يأخذه الموت ويريحكم منه ومن دعوته ومن إلحاحه عليكم بالقول الجديد!. عندئذ لم يجد نوح منفذاً إلى تلك القلوب الجامدة المتحجرة، ولم يجد له موئلاً من السخرية والأذى، إلا أن يتوجه إلى ربه وحده يشكو إليه ما لقيه من تكذيب ويطلب منه النصر بسبب هذا التكذيب: ﴿**قال رب انصرني بما كذبون..**﴾ وعندما يتجمد الأحياء على هذا النحو، وتَهُمّ الحياة بالحركة إلى الأمام في طريق الكمال المرسوم.. فتجدهم عقبة في الطريق.. فعندئذ أن تتحطم هذه التحجرات وإما أن تدعها الحياة في مكانها وتمضي.. والأمر الأول هو الذي حدث لقوم نوح. ذلك أنهم كانوا في فجر التاريخ وفي أول الطريق.. فشاءت إرادة الله أن تطيح بهم من الطريق.. ﴿**فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا.. فإذا جاء أمرنا وفار التنور.. فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم**

ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾. وهكذا مضت سنة الله في تطهير الطريق من العقبات المتحجرة لتمضي الحياة في طريقها المرسوم. ولما كانت البشرية قد أَسِنَتْ على عهد نوح وجمدت كالشجرة الناشئة تعوقها الآفة عن النمو.. فتيبس وتعجز وهي رقيقة العود.. فكان العلاج هو الطوفان الذي يجتاح كل شيء ويجرف كل شيء ويغسل التربة لتعاد بذرة الحياة السليمة من جديد.. فتنشأ على نظافة.. فتمتد وتكبر حتى حين. وقد شاء الله أن يصنع نوح الفلك بيده؛ لأنه لا بد للإنسان من الأخذ في الأسباب والوسائل وبذل الحرمان في طوقه؛ ليستحق المدد من ربه.. فالمدد لا يأتي للقاعدين المستريحين المسترخين. الذين ينتظرون ولا يزيدون شيئاً على الانتظار. ونوح قدر الله له أن يكون أبا البشر الثاني.. فدفع به إلى الأخذ بالأسباب مع رعاية الله له وتعليمه صناعة الفلك ليتم أمر الله وتتحقق مشيئته على هذا الطريق: حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم.. ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر. وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى على أمر قدر. ذلك هو الأمر الذي قضى به على قوم نوح: **﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾**!.. ولا يفصل هنا ما حدث للقوم بعد هذا الأمر.. فقد قضى الأمر وتقرر.. ثم يمضي السياق في تعليم نوح كيف يشكر نعمة ربه وكيف يحمد فضله وكيف يستهديه طريقه: **﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين.. وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين..﴾** فهكذا يحمد الله، وهكذا يتوجه إليه، وهكذا يوصف ـ سبحانه ـ بصفاته، ويعترف بآياته. وهكذا يتأدب في حقه العباد، وفي طليعتهم النبيُّون ليكونوا أسوة للآخرين.. ثم يعقب على القصة كلها وما تتضمنه خطواتها من دلائل القدرة والحكمة: **﴿إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين..﴾** والابتلاء ألوان: ابتلاء للصبر. وابتلاء للشكر. وابتلاء للأجر. وابتلاء للتوجيه. وابتلاء للتأديب. وابتلاء للتمحيص. وابتلاء للتقويم. وفي قصة نوح ألوان من الابتلاء له ولقومه ولأبنائه القادمين.. ثم يمضي السياق يعرض مشهد آخر من مشاهد الرسالة الواحدة والتكذيب المكرور.. فإن استعراض قصص الرسل في هذه السورة ليس للتقصّي والتفصيل.. إنما هو لتقرير الكلمة، الكلمة الواحدة التي جاء بها الجميع، والاستقبال الواحد الذي لقوه من الجميع. ومن ثم بدأ يذكر نوح ليحدد نقطة

البدء؛ وانتهى بموسى وعيسى ليحدد النقطة الأخيرة قبل الرسالة الأخيرة: ﴿**ثم أنشأنا من بعدهم**﴾ ـ من بعد نوح وقومه ـ ﴿**قرناً آخرين. .**﴾ فلم يحدد السياق مَنْ هم. . ﴿**فأرسلنا فيهم رسولاً منهم: أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون**﴾؟. . ذات الكلمة الواحدة التي قالها مِن قبله نوح. . يحكيها بالألفاظ ذاتها مع اختلاف اللغات التي كانت تتخاطب بها القرون. . فماذا كان الجواب؟ إنه الجواب ذاته على وجه التقريب: ﴿**وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا: ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون. ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون. .**﴾ فالاعتراض من المكرور هو الاعتراض على بشرية الرسول. وهو الاعتراض الناشىء من انقطاع الصلة بين قلوب هؤلاء الكبراء المترفين وبين النفخة العلوية التي تصل الإنسان بخالقه الكريم. . فالترف يفسد الفطرة، ويغلظ المشاعر، ويسد المنافذ، ويفقد القلوب تلك الحساسية المرهفة التي تتلقى وتتأثر وتستجيب. ومن هنا يحارب الإسلام الترف. . وتقيم نظمه الاجتماعية على أساس: أنه لا يسمح للمترفين بالوجود في الجماعة المسلمة؛ لأنهم كالعفن يفسد ما حوله. . حتى لينخرُ فيه السوس، ويسبح فيه الدود! ثم يزيدُ المترفون هنا إنكار البعث بعد الموت والبلى؛ ويعجبون من هذا الرسول الذي ينبئهم بهذا الأمر الغريب: ﴿**أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون؟ هيهات هيهات لما توعدون: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين. .**﴾ فمثل هؤلاء لا يمكن أن يدركوا حكمة الحياة الكبرى؛ ودقة التدبير في أطوارها للوصول بها إلى غايتها البعيدة. هذه الغاية التي لا تتحقق بكمالها في هذه الأرض. . فالخير لا يلقى جزاءه الكامل في الحياة الدنيا. والشر كذلك. . إنما يستكملان هذا الجزاء هنالك، حيث يصل المؤمنون الصالحون إلى قمّة الحياة المثلى التي لا خوف فيها ولا نصب. . ولا تحول فيها ولا زوال. . ويصل المرتكسون المنتكسون إلى درك الحياة السفلية التي تهدر فيها آدميتهم. . ويرتدون فيها أحجاراً ووقوداً للنيران!. .

فمثل هؤلاء لا يدركون هذه المعاني، ولا يستدلون من أطوار الحياة الأولى ـ التي سبقت في السورة ـ على أطوارها الأخيرة؛ ولا يتنبهون إلى أن القوة المدبرة لتلك الأطوار لا تقف بالحياة عند مرحلة الموت والبلى ـ كما يظنون ـ. . لذلك هم يستعجبون ويعجبون من ذلك الذي يعدهم أنهم مخرجون. . ويستبعدون في

جهالة أن ذلك يكون.. ويجزمون في تبجح بأن ليس هنالك إلا حياة واحدة وموت واحد.. يموت جيل ويحيا بعده جيل.. فأما الذين ماتوا وصاروا تراباً وعظاماً فهيهات هيهات الحياة لهم، كما يقول ذلك الرجل الغريب! وهيهات هيهات البعث الذي يعدهم به. وقد صاروا عظاماً ورفاتاً!.. ثم إنهم لا يقفون عند هذه الجهالة.. إنما هم يتهمون رسولهم بالافتراء على الله ـ ولا يعرفون الله إلا في هذه اللحظة ولهذا الغرض من اتهام الرسول: ﴿**إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين..**﴾ فعندئذ لم يجد الرسول إلا أن يستنصر ربه كما استنصره مِن قبلِه نوح.. وبالعبارة ذاتها التي توجه بها إلى ربه نوح: ﴿**قال رب انصرني بما كذبون..**﴾ وعندئذ وقعت الاستجابة بعد أن استوفى القوم أجلهم؛ ولم يعد فيهم خير يرجى بعد العناد والغفلة والتكذيب: ﴿**قال عما قليل ليصبحن نادمين..**﴾ ولكن حيث لا ينفع الندم ولا يجدى المتاب: ﴿**فأخذتهم الصيحة بالحق.. فجعلناهم غثاء..**﴾ فهؤلاء لما تخلوا عن الخصائص التي كرمهم الله بها، وغفلوا عن حكمة وجودهم في الحياة الدنيا، وقطعوا ما بينهم وبين الملإ الأعلى..

لم يبق فيهم ما يستحق التكريم.. فإذا هم غثاء كغثاء السيل ملقى بلا احتفال ولا اهتمام! وذلك من فرائد التعبير القرآني الدقيق!.. ويزيدهم على هذه المهانة الطرد من رحمة الله والبعد عن اهتمام الناس: ﴿**فبعداً للقوم الظالمين..**﴾ بعداً في الحياة وفي الذكرى في عالم الواقع وفي عالم الضمير.. ثم يمضي السياق بعد ذلك في استعراض القرون: ﴿**ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين. ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون. ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون..**﴾ هكذا في إجمال يلخص تاريخ الدعوة، ويقرر سنة الله الجارية في الأمد الطويل.. فكل قرن يستوفي أجله ويمضي.. وكلهم يكذبون.. وكلما كذب المكذبون أخذتهم سنة الله.. وبقيت العبرة ماثلة في مصارعهم لمن يعتبرون: وجعلناهم أحاديث تتنقلها القرون.. ويختم هذا الاستعراض الخاطف المجمل باللعنة والطرد والاستبعاد من العيون والقلوب: ﴿**فعبداً لقوم لا يؤمنون..**﴾ ثم يجمل قصة موسى في الرسالة والتكذيب لتتمشى مع نسق العرض وهدفه المقصود: ﴿**ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملإيه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين..**﴾

ويبرز في هذا الاستعراض الاعتراض ذاته على بشرية الرسل: ﴿**فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا. .**﴾ ويزيد عليه تلك الملابسة الخاصة بوضع بني إسرائيل في مصر: ﴿**وقومهما لنا عابدون. .**﴾

مسخرون خاضعون وهي أدعى - في اعتبار فرعون وملئه - إلى الاستهانة بموسى وهارون!. . فأما آيات الله التي معهما وسلطانه الذي بأيديهم فكل هذا لا إيقاع له في مثل تلك القلوب المطموسة المستغرقة في ملابسات هذه الأرض وأوضاعها الباطلة وقيمها الرخيصة. . ثم إشارة مجملة إلى عيسى وأمه، والآية البارزة في خلقه وهي كآيات موسى كذب بها المكذبون: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون. وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين. .**﴾

التوجيه الخامس: ﴿**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم. .**﴾: في هذا التوجيه يتوجه الخطاب إلى الرسل جميعاً، وكأنما هم مجتمعون في صعيد واحد، في وقتٍ واحد؛ فهذه الفوارق الزمانية والمكانية لا اعتبار لها أمام وحدة الحقيقة التي تربط بينهم جميعاً. . فهذا نداء للرسل ليمارسوا طبيعتهم البشرية التي ينكرها عليهم الغافلون. . ونداء لهم ليصلحوا في هذه الأرض. . فليس المطلوب من الرسول أن يتجرد من بشريته. . إنما المطلوب أن يرتقي بهذه البشرية فيه إلى أفقها الكريم الوضيء الذي أراده الله لها. وجعل الأنبياء رواداً لهذا الأفق ومثلاً أعلى. والله الذي يقدر عملهم بعد ذلك بميزانه الدقيق. وتتلاشى آماد الزمان وأبعاد المكان أمام وحدة الحقيقة التي جاء بها الرسل ووحدة الطبيعة التي تميزهم، ووحدة الخالق الذي أرسلهم، ووحدة الاتجاه الذي يتجهونه أجمعين: ﴿**وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون. فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون. .**﴾ فقد مضى الرسل أمة واحدة، ذات كلمة واحدة، وعبادة واحدة، ووجهة واحدة. . فإذا الناس من بعدهم أحزاب متنازعة، لا تلتقي على منهج ولا طريق. . فيُخرج التعبير القرآني المبدع هذا التنازع في صورة حسية عنيفة! لقد تنازعوا الأمر حتى مزقوه بينهم مزقاً، وقطعوه في أيديهم قطعاً. . ثم مضى كل حزب بالمزقة التي خرجت في يده. . مضى فرحاً لا يفكر في شيء، ولا يلتفت إلى شيء؛ مضى وأغلق على حسه جميع المنافذ التي تأتيه منها أية

نسمة طليقة، أو يدخل إليه منها أيّ شعاع مضيء! وعاش الجميع في هذه الغمرة مذهولين مشغولين بما هم فيه، مغمورين لا تنفذ إليهم نسمة محيية ولا شعاع منير!..

وحين يرسم لهم هذه الصورة يتوجه الخطاب إلى الرسول ﷺ: ﴿**فذرهم في غمرتهم حتى حين..**﴾ فذرهم يا محمد في هذه الغمرة غافلين مشغولين بما هم فيه.. حتى يفجأهم المصير حين يجيء موعده المحتوم.. ثم يأخذ السياق في التهكم عليهم والسخرية من غفلتهم؛ إذ يحسبون أن الإملاء لهم بعض الوقت وإمدادهم بالأموال والبنين في فترة الاختبار مقصود به المسارعة لهم في الخيرات وإيثارهم بالنعمة والعطاء.. ﴿**أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات**﴾؟!.. إنما هي الفتنة وإنما هو الابتلاء: ﴿**بل لا يشعرون**﴾: لا يشعرون بما وراء المال والبنين من مصير قاتم ومن شر مستطير.

2 ـ عرض أوصاف المؤمنين بالتفصيل مع عرض ما يقابلها بالحجة والدليل

النص

* إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿58﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿59﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿60﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿61﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿62﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿63﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿64﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿65﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿66﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿67﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿68﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿69﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿70﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿71﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿72﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ

وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿73﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿74﴾
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿75﴾
* وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿76﴾
وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿77﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿78﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿79﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿80﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿81﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿82﴾
قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿83﴾
لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿84﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿85﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿86﴾
قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿87﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿88﴾ قُلْ مَنۢ
بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿89﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿90﴾
بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿91﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ

وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿92﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿93﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى
مَا يُوعَدُونَ ﴿94﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿95﴾
وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿96﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ
أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿97﴾ * وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ
مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿98﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿99﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿100﴾
لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ
وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿101﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ
فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿102﴾ فَمَن ثَقُلَتْ
مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿103﴾ وَمَنْ خَفَّتْ
مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿104﴾
تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿105﴾
أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿106﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿107﴾
رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿108﴾
قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿109﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ

مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿110﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿111﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿112﴾ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿113﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿114﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿115﴾ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿116﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿117﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿118﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿119﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون**. .﴾ الخشية: الخوف من العظيم القادر. والإشفاق: توقع المكروه. ﴿**والذين هم بآيات ربهم يؤمنون**. .﴾ الآيات: الدلائل التي تضمنها القرآن من الدلائل العقلية والنقلية. ﴿**والذين هم بربهم لا يشركون**. .﴾ الشرك: شرك في الألوهية بأن يعبد مع الله غيره. وهو الشرك الجلي. وشرك في الربوبية بأن يقصد غير الله في طلب العون. وهو الشرك الخفي. ﴿**والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون**. .﴾ يؤتون:

يعطون ما أعطوا من الصدقات. والوجل: أشد الخوف. وهو خوفهم من عدم قبول ما أعطوه. خوف التقصير فيما طلب منهم عند رجوعهم إلى الله يوم الحساب والجزاء.

﴿**أولئك يسارعون في الخيرات**﴾: منقلبون في فنون الخيرات لا أنهم خارجون عنها متوجهون إليها.. ﴿**وهم لها سابقون**﴾: يرغبون في الطاعات أشد الرغبة حيث سبقوا غيرهم. ﴿**ولا نكلف نفساً إلا وسعها**﴾: بيان لسهولة التكليف لمن رغب فيه. ﴿**ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون**﴾: لدينا كتاب مسجل فيه جميع أعمال الناس من خير وشر.. مثل قوله تعالى: ﴿**هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**..﴾ فليس هناك ظلم.. بل كلٌّ يجازى حسب عمله.. ﴿**بل قلوبهم في غمرة من هذا**﴾: بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي بيّن في القرآن من أن لديه تعالى كتاباً ينطق بالحق ويظهر لهم أعمالهم السيئة على رؤوس الأشهاد فيُجْزَوْن بها.. ﴿**ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون**﴾: لهم أعمال منكرة قبيحة دون ما وصفوا به من أنهم في غمرة ساهون.. فهم مستمرون في هذه الأعمال.. ﴿**حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون**..﴾ فهم مستمرون على كفرهم حتى يأخذهم العذاب الذي سببه ما عمله المنعمون منهم.. فأخذوا جميعاً بغتة وفجأة.. فإذا هم يصرخون مستغيثين!.. ﴿**لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون**﴾: يقال لهم تبكيتاً وتقنيطاً: ﴿**لا تجأروا اليوم**..﴾ فلا ينفع الصراخ والعويل: ﴿**إنكم منا لا تنصرون**﴾!.. ﴿**قد كانت آياتي تتلى عليكم**..﴾ الآيات هنا: آيات القرآن بقرينة تتلى.. ﴿**فكنتم على أعقابكم تنكصون**..﴾ النكوص: الرجوع من حيث أتى والمراد به هنا: الفراد والتولي بقرينة الأعقاب. ﴿**مستكبرين به**﴾: مكذبين بالقرآن عتواً واستكباراً.. ﴿**سامراً**﴾: اسم لجمع السامرين. وهم المتحدثون في سمر الليل. ﴿**تهجرون**﴾: من أهجر في القول إذا قال الهُجر. وهو اللغو والسب والكلام السيء. وكان المشركون في مكة يتكلمون في سمرهم بسب القرآن والرسول.. ﴿**أفلم يدبروا القول**﴾: إنكار على إعراضهم وتكذيبهم بالقرآن، حيث لم يتدبروه ليعرفوا ما فيه من إعجاز النظم وصحّة المدلول والإخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به، فضلاً عما فعلوا في شأنه من القبائح.. ﴿**أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين**..﴾ فهذا انتقال من توبيخ إلى توبيخ آخر. حيث استغربوا واستبدعوا

واستبعدوا ما جاءهم به القرآن! والقرآن كتاب جاء به الرسول من عند الله كما جاءت الرسل بالكتب للأمم السابقة.. ﴿**أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون**﴾: إضراب وانتقال من التوبيخ السابق المكرر إلى توبيخ آخر أدهى وأمر.. بل ألم يعرفوا محمداً صادقاً أميناً كاملاً في أوصافه.. حتى لا يلتبس أمرُه على من كان حادقاً فطيناً!. ﴿**أم يقولون به جنة..**﴾ فهو انتقال إلى توبيخ آخر غريب عجيب!.. فهم يقولون إن محمداً مجنون بعدما كانوا يقولون عنه: الصادق الأمين!.. والجنة: الجنون. وهو الخلل العقلي الذي يصيب الإنسان. كانوا يعتقدون أنه من مس الجن. والجنة والجنون مرض خفي في الدماغ صعب علاجه ميؤوس من الشفاء منه.. ﴿**بل جاءهم بالحق**﴾: ليس الأمر كما زعموا في حق القرآن والرسول.. بل جاءهم بالحق الذي لا يأتيه الباطل أصلاً.. ﴿**ولكن أكثرهم للحق كارهون**﴾: لما في حيلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل. ﴿**ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن**﴾: لو كان الحق تبعاً لأهوائهم لفسد كل شيء لاختلاف الأهواء والغايات، ولطلب كل واحد غير ما يطلبه الآخر.. فينعدم الحق وتنهدم حقائق الأشياء.. ﴿**بل أتيناهم بذكرهم**﴾: المراد بالذكر القرآن الذي هو فخر العرب وشرفهم.. ﴿**فهم عن ذكرهم معرضون**﴾: مزيد تشنيع لهم وتقريع.. ﴿**أم تسألهم خرجاً**﴾: هذا توبيخ آخر على موقفهم من الدعوة.. فالخرج: الذي يعطى مقابل عمل يعمله العامل لغيره.. ﴿**فخراج ربك خير**﴾: ما يعطيه الله لك من خيري الدنيا والآخرة هو الخير والحق: أما ما يعطاه العامل مقابل عمله فهو تافه فانٍ فلا فائدة فيه. ﴿**وهو خير الرازقين. وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم**﴾: والله إنك يا محمد لتدعو الناس إلى صراط مستقيم. وهو دين الإسلام. ﴿**وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون..**﴾ الناكب: العادل عن الشيء المعرض عنه. وهو الحائر في الضلال. ﴿**ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون..**﴾ لو رحم الله الكفار وأزال عنهم كل مكروه لزادوا هم في الكفر والضلال والعناد. واللّجّ والحجاج: الاستمرار على الخصام وعدم الإقلاع عن ذلك. والطغيان: أشد الكبر بالإفراط في الكفر وعداوة الرسول.. والعمه: التردد في الضلال بسبب عدم البصيرة. ﴿**ولقد أخذناهم بالعذاب**﴾: والله لقد أخذنا الكفار الجاحدين بالعذاب في الدنيا.. ﴿**فما استكانوا لربهم وما يتضرعون..**﴾ فهذا شأن من سبق من الأمم

الضالة تستمر في طغيانها.. ﴿**حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون**﴾: استمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال إلى أن فتح الله عليهم باباً ذا عذاب شديد.. فإذا هم متحيرون آيسون من كل خير. والإبلاس: شدة اليأس من النجاة. ﴿**وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون**﴾: خلق الله هذه الحواس للإنسان ليشاهد بها الآيات الكونية ويسمع بها الآيات المنزلة. وتتفكر بعقله.. ولكن الكافرين لم يستفيدوا منها.. ﴿**وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون**..﴾ الذرء في الأرض: البث والانتشار فيها بالتناسل.. وإليه: لا إلى غيره، تحشرون: يوم القيامة للحساب.. ﴿**وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون**﴾: يحيي النسم بالإنشاء ويميتها بالإمتاء.. وهو المتصرف في تعاقب الليل والنهار واختلافهما بالزيادة والنقصان. أفلا تعقلون؟!.. فلم يعقلوا.. ﴿**بل قالوا: مثل ما قال الأولون: قالوا: أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً إنا لمبعوثون؟!.. لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل.. إن هذا إلا أساطير الأولين**﴾! فلا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب! وعدّوا كل ما وعدوا به من الأكاذيب وخرافات الأولين!.. ﴿**قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون**﴾؟!.. سؤال موجه إلى المنكرين.. وجوابه: ﴿**سيقولون لله**﴾! ويأتي إليهم الرد: ﴿**قل: أفلا تذكرون**﴾؟!.. ثم يجيء الأمر للرسول بأن يوجه إليهم سؤالاً آخر: ﴿**قل: من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم**..﴾ ويأتي الجواب: ﴿**سيقولون: لله!.. قل: أفلا تتقون؟!.. قل من بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون؟! سيقولون: لله! قل: فأنى تسحرون**﴾؟!.. الكلام هنا واضح لا يحتاج إلى توضيح.. ﴿**بل أتيناهم بالحق**..﴾ بل: حرف إضراب إبطالي هنا. أتيناهم بالحق: جئناهم بكتاب فصلناه على علم.. وإنهم لكاذبون فيما قالوا من الشرك وإنكار البعث.. ﴿**ما اتخذ الله من ولد**..﴾ كما يقول النصارى واليهود والمشركون.. ﴿**وما كان معه من إله**..﴾ كما يقول عبدة الأصنام.. ﴿**إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض**..﴾ فهذا أمر باطل لا يقول به عاقل! ﴿**سبحان الله عما يصفون! عالم الغيب والشهادة.. فتعالى عما يشركون!.. قل: رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين**﴾: أمر الله رسوله بأن يقول هذا الكلام.. ﴿**وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون**..﴾ فهو رد على إنكارهم الدعوة وما فيها.. ﴿**ادفع**

بالتي هي أحسن السيئة﴾ فلا تؤاخذهم بفعلهم وقولهم.. بل عاملهم بما أحسن.. **﴿نحن أعلم بما يصفون..﴾** فلا يجزيك كفرهم.. **﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين..﴾** أعوذ: أتحصّن.. والهمزات: الوساوس التي تلقيها الشياطين في صدور الناس. وأصل الهمز: النخس بالمهماز.. ومنه مهماز رائض الدواب. **﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾**: أمر الله رسوله بأن يتعوذ من حضورهم بعد أن يأمره بأن يتعوذ من همزاتهم.. **﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت..﴾** فحتى هنا ابتدائية دخلت على الجملة الشرطية. وهي مع ذلك غاية لما قبلها.. والمعنى: يستمرون على التكذيب والإنكار وعبادة الأوثان.. حتى إذا جاء أحدهم.. **﴿كلا﴾**: ردع وزجر ورد عن طلب الرجعة واستبعاد لها.. **﴿إنها كلمة هو قائلها﴾**: هذه الكلمة لا تفيده شيئاً.. بل هي مجرد كلمة خرجت من فيه.. فقوله: **﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾** عدم قبول توبة التائب عند معاينة علامات الموت.. **﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾**: فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية وبعثوا من البرزخ إلى موقف الحساب.. فيومئذ تنقطع الأنساب وتذهب الأحساب ولا يسأل حميم حميماً.. **﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾**: فمن كانت له عقائد صحيحة وأعمال صالحة يكون لها وزن عند الله فأولئك هم الفائزون.. **﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾**: ومن لم يكن له من العقائد والأعمال ما له وزن وقدر عند الله، وهم الكفار فأولئك الذين ضيعوا أنفسهم بتضييع زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها.. **﴿تلفح وجوههم النار..﴾** اللفح: حر النار يصيب الوجه أو الجلد.. ومعنى تلفح وجوههم النار: تحرقها وتشوهها.. **﴿وهم فيها كالحون﴾**: الكالح الذي قد قلصت شفته عن أسنانه، نحو ما يرى من رؤوس الغنم عند شيها بالنار إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاه. ويطلق الكلح على قبح اللون عموماً.. **﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم﴾**؟ يقول الله للكافرين يوم القيامة هذا السؤال. تعنيفاً وتوبيخاً وتذكيراً لما به استحقوا هذا العذاب.. **﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين﴾**: هذا هو جواب السؤال. وهو اعتراف منهم بشقوتهم وضلالهم في الدنيا، بأن ما أصابهم قد أصابهم بسوء صنيعهم.. **﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾**: أخرجنا من النار وأرجعنا إلى الدنيا.. فإن عدنا بعد ذلك لِمَا كُنّا عليه من الكفر

والمعاصي فإنا ظالمون متجاوزون الحد.. ﴿**قال اخسئوا فيها ولا تكلمون**﴾: اسكتوا سكوت هوان وذل.. فلا خروج من النار!.. الخَسْءُ، والخسوء: الطرد، والمقت. وهي كلمة في أصل اللغة تقال لطرد الكلب. وقوله تعالى: ﴿**إنه كان فريق من عبادي**..﴾ إلخ. تعليل لما قبله من الزجر.. فهم كانوا يسخرون من الذين يدعون الله في الدنيا.. حتى أنكروا الله بسبب المؤمنين به.. فضحكوا منهم واستذلوهم!.. ﴿**إني جزيتهم اليوم بما صبروا**..﴾ وجزيت المستهزئين منكم بما كفروا.. ﴿**أنهم هم الفائزون**﴾، وأنتم الخاسرون. ﴿**قال: كم لبثتم في الأرض عدد سنين**﴾؟ سؤال موجه إليهم من الله.. فأجابوا: ﴿**قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم**..﴾ فهو استقصار لمدة لبثهم في الدنيا.. فاسأل العادين الذين يعدون الأيام والأعمار.. ﴿**قال: إن لبثتم إلا قليلاً**﴾: ما لبثتم في الدنيا إلا زمناً قليلاً: ﴿**لو أنكم كنتم تعلمون**..﴾ لعلمتم قلة لبثكم في الدنيا. ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً**..﴾ العبث: العمل الذي لا فائدة فيه. ﴿**وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾ عطف على أنما.. فإن خلقكم بغير بعث من قبيل العبث الذي تنزه عنه: ﴿**فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم**﴾: تنزه عن العبث، وتعالى عن الشرك.. فهو الملك الحق.. ﴿**ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه**..﴾ لا برهان له به: بلا حجة قاطعة. والبرهان: الدليل القاطع. ﴿**إنه لا يفلح الكافرون**..﴾ وإنما يفلح المؤمنون.. ﴿**وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين**..﴾.

مبحث الإعراب

﴿**إنّ**﴾ حرف توكيد ونصب.. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب اسم إنّ. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**من خشية**﴾ متعلق بالخبر بعده، ﴿**ربهم**﴾ مضاف إلى خشية: ﴿**مشفقون**﴾ خبر المبتدإ. والجملة من المبتدإ والخبر صلة الموصول. ﴿**والذين هم بآيات ربهم يؤمنون**﴾ الجملة معطوفة على اسم إنّ. وهي مثلها في الإعراب. ﴿**والذين هم بربهم لا يشركون**﴾ كذلك. ﴿**والذين**﴾ في محل نصب عطف على اسم إنّ. ﴿**يؤتون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**آتوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**وقلوبُهم**﴾ مبتدأ. ﴿**وجِلةٌ**﴾ خبره. والجملة في موضع الحال من الضمير الفاعل. والواو للحال. ﴿**أنهم**﴾ أنّ

واسمها. ﴿**إلى ربهم**﴾ متعلق بخبر إنّ. ﴿**راجعون**﴾ خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر. والتقدير: وقلوبهم وجلة من وجههم إلى ربهم: تعظيماً لربهم وتصغيراً لأنفسهم. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يسارعون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**في الخيرات**﴾ متعلق بالفعل قبله. وجملة يسارعون خبر المبتدإ. وجملة أولئك يسارعون في محل رفع خبرُ إنّ في قوله: ﴿**إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون**﴾. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**سابقون**﴾ خبر المتبدإ. والجملة معطوفة على جملة أولئك يسارعون في الخيرات. ﴿**ولا نكلف**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي وواو العطف. والفاعل نحن. ﴿**نفساً**﴾ مفعول به. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء لا عمل لها هنا. ﴿**وسعَها**﴾ بدل من المفعول الثاني المقدر. والتقدير: ولا نكلف نفساً شيئاً إلا وسعَها. ﴿**ولدينا**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. والواو للعطف. ﴿**كتاب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**ينطق**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على كتاب. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بينطق. والجملة نعت لكتاب. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**لا يظلمون**﴾ لا نافية. والجملة من الفعل ونائب الفاعل في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. ﴿**قلوبهم**﴾ مبتدأ. ﴿**في غَمْرَةٍ**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**من هذا**﴾ متعلق بغمرةٍ. ﴿**ولهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. والواو للعطف. ﴿**أعمال**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**من دون**﴾ متعلق بمحذوف نعت لأعمال. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى دون. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لها**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**عاملون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**حتى**﴾ ابتدائية. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**أخذنا مترفيهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**بالعذاب**﴾ متعلق بأخذنا. ﴿**إذا**﴾ فجائية واقعة في جواب الشرط. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يجأرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدأ. وجملة إذا هم يجأرون جواب شرط إذا. ﴿**لا تجأروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. والفعل مجزوم بحذف النون. ﴿**اليوم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إنكم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**منا**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**لا تنصرون**﴾ لا نافية. والجملة من الفعل ونائب الفاعل في محل رفع خبرُ إنّ. ﴿**قد كانت آياتي**﴾ كان واسمها. دخل عليها حرف التحقيق. ﴿**تتلى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على آياتي. والجملة في محل نصب خبر كان. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بتتلى. ﴿**فكنتم**﴾ كان

واسمها. والفاء للتعقيب. ﴿**على أعقابكم**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**تنكصون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. ﴿**مستكبرين**﴾ حال من واو المخاطبين. ﴿**به**﴾ متعلق بمستكبرين. ﴿**سامراً**﴾ حال ثانية من ضمير المخاطبين. ﴿**تهجرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لسامراً. ﴿**أفلم يدبروا القول**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي الجازم. وفاء التعقيب. وهمزة الاستفهام. ﴿**أم جاءهم**﴾ أم منقطعة. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**ما**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**لم يأت**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والفاعل ضمير يعود على ما. ﴿**آباءهم**﴾ مفعول به. ﴿**الأولين**﴾ نعت لآبائهم. وجملة لم يأت صلة ما. ﴿**أم لم يعرفوا رسولهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي الجازم وأم المنقطعة. ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**له**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**منكرون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**أم يقولون**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أم المنقطعة. ﴿**به**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**جنة**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة مقول القول. ﴿**بل جاءهم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الرسول. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وبل للإضراب. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بجاء. ﴿**وأكثرهم**﴾ مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**للحق**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**كارهون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**ولو اتبع الحق أهواءهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه لو الشرطية. ﴿**لفسدت السماوات**﴾ فعل وفاعل جواب لو. واللام رابطة للجواب. والجملة من قوله: ﴿**ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت**﴾ معطوفة على ما قبلها. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**ومن**﴾ في محل رفع معطوف على السماوات. ﴿**فيهن**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. ﴿**أتيناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**بذكرهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتعقيب. ﴿**عن ذكرهم**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**معرضون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**أم**﴾ مثل ما قبلها. ﴿**تسألهم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الرسول والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**خرجاً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**فخراج**﴾ مبتدأ. والفاء للتعقيب. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى خراج. ﴿**خير**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**خير**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الرازقين**﴾ مضاف إلى خير. ﴿**وإنك**﴾ إنّ واسمها. والواو للعطف. ﴿**لتدعوهم**﴾ فعل مضارع دخل عليه لام التوكيد. والفاعل ضمير يعود على الرسول. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**إلى صراط**﴾ متعلق بتدعوهم. ﴿**مستقيم**﴾ نعت لصراط.

وجملة لتدعوهم في محل رفع خبر إنّ. ﴿**وإن الذين**﴾ إنّ واسمها. والواو للعطف. ﴿**لا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة صلة الذين ﴿**بالآخرة**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**عن الصراط**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**لناكبون**﴾ خبر إنّ. واللام لتوكيد الخبر. ﴿**ولو رحمناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط، وواو العطف. ﴿**وكشفنا ما**﴾ معطوف على رحمناهم. ﴿**بهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**من ضر**﴾ بيان لما. ﴿**للجوا**﴾ فعل وفاعل جواب لو. واللام رابطة للجواب. ﴿**في طغيانهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**يعمهون**﴾ فعل وفاعل. والجملة حال من ضمير الجماعة. ﴿**ولقد أخذناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**بالعذاب**﴾ متعلق بأخذناهم. ﴿**فما استكانوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب. ﴿**لربهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وما يتضرعون**﴾ معطوف على قوله: ﴿**فما استكانوا**. .﴾ ﴿**حتى**﴾ ابتدائية. إذا شرطية. ﴿**فتحنا**﴾ فعل الشرط. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بفتحنا. ﴿**باباً**﴾ مفعول به. ﴿**ذا**﴾ نعت لباب ﴿**عذاب**﴾ مضاف إلى ذا. ﴿**شديد**﴾ نعت لعذاب. ﴿**إذا**﴾ فجائية. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**فيه**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**مبلسون**﴾ خبر المبتدإ. وجملة إذا هم فيه مبلسون جواب شرط إذا. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**أنشأ**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على الذي. والجملة صلة الموصول. ﴿**لكم**﴾ متعلق بأنشأ. ﴿**السمع**﴾ مفعول به. ﴿**والأبصار والأفئدة**﴾ معطوفان على السمع. ﴿**قليلاً**﴾ نعت لمصدر مقدر مفعول مطلق. ﴿**ما تشكرون**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه ما المصدرية. ﴿**وهو الذي ذرأكم**﴾ معطوف على قوله: ﴿**وهو الذي أنشأكم**﴾. وهو مثله في الإعراب. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بذرأكم. ﴿**وإليه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**تحشرون**﴾ الفعل ونائب الفاعل معطوف على ذرأكم. ﴿**وهو الذي**﴾ مثل ما سبق وهو الذي أنشأكم. . ﴿**يحيي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الذي. والجملة صلة الموصول. ﴿**ويميت**﴾ معطوف على يحيي. ﴿**وله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. والواو للعطف. ﴿**اختلاف**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**الليل**﴾ مضاف إلى اختلاف. ﴿**والنهار**﴾ معطوف على الليل. ﴿**أفلا تعقلون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. ﴿**قالوا مثل**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى مثل. ﴿**قال**

﴿الأولون﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. **﴿قالوا﴾** فعل وفاعل. **﴿أئذَا﴾** ظرف متضمن معنى الشرط دخل عليه حرف الاستفهام. **﴿متنا﴾** فعل وفاعل. فعل الشرط. **﴿وكنا﴾** كان واسمها. **﴿تراباً﴾** خبرها. والجملة معطوفة على متنا. **﴿وعظاماً﴾** معطوف على الخبر قبله. **﴿إنا﴾** إنّ واسمها. **﴿لمبعوثون﴾** خبر إنّ. واللام للتوكيد. وجملة **﴿إنا لمبعوثون﴾** جواب شرط إذا. **﴿لقد وعدنا﴾** فعل ماضٍ مبني للمجهول. وضمير المتكلمين نائب الفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. **﴿نحن﴾** ضمير فصل. **﴿وآباؤنا﴾** معطوف على نائب الفاعل. **﴿هذا﴾** في محل نصب مفعول وعدنا. **﴿من قبل﴾** متعلق بوعدنا. **﴿إن هذا﴾** في محل رفع مبتدأ. إنْ حرف نفي. **﴿إلا﴾** أداة استثناء. **﴿أساطير﴾** خبر المبتدإ. **﴿الأولين﴾** مضاف إلى أساطير. **﴿قل: لمن﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿الأرض﴾** مبتدأ مؤخر. **﴿ومن﴾** معطوف على الأرض في محل رفع. **﴿فيها﴾** متعلق بمحذوف صلة مَنْ. **﴿إن كنتم﴾** كان واسمها دخل عليها حرف الشرط. **﴿تعلمون﴾** فعل وفاعل. والجملة في محل نصب خبر كان. وجواب إن كنتم تعلمون محذوف دل عليه ما قبله. **﴿سيقولون﴾** فعل وفاعل. والسين حرف استقبال. **﴿لله﴾** متعلق بمحذوف خبر لمتبدإ مقدر؛ والتقدير سيقولون: الأرضُ والسماوات ومن فيهما لله. **﴿أفلا تذكرون﴾** إعرابها مثل إعراب أفلا تذكرون. **﴿قل: من﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿ربُّ﴾** خبر المبتدإ. **﴿السماوات﴾** مضاف إلى رب. **﴿السبع﴾** نعت للسماوات **﴿وربُّ﴾** عطف على الخبر **﴿العرش﴾** مضاف إلى رب. **﴿العظيم﴾** نعت للعرش. **﴿سيقولون لله. قل: أفلا تتقون؟﴾** تقدم إعراب مثلها. **﴿قل: مَنْ﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿بيده﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿ملكوتُ﴾** مبتدأ مؤخر. **﴿كل﴾** مضاف إلى ملكوت. **﴿شيء﴾** مضاف إلى كل. وجملة بيده ملكوت.. خبر المبتدإ ـ مَنْ ـ. **﴿وهو﴾** في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. **﴿يجير﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإ. **﴿ولا يجار﴾** فعل مضارع مبني للمجهول دخل عليه حرف النفي وواو العطف. **﴿عليه﴾** نائب الفاعل. **﴿إن كنتم تعلمون﴾** تقدم إعراب مثلها. **﴿سيقولون: لله﴾** كذلك.. **﴿قل: فأنى تسحرون﴾** الفعل ونائب الفاعل دخل عليه أداة الاستفهام وفاء التعليل. **﴿بل أتيناهم﴾** فعل وفاعل ومفعول معطوف على ما قبله بحرف الإضراب. **﴿بالحق﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿وإنهم﴾** إن واسمها.

والواو للعطف. ﴿**لكاذبون**﴾ خبر إنّ. واللام لتوكيد الخبر. ﴿**ما**﴾ حرف نفي. ﴿**اتخذ الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**من ولد**﴾ مفعول اتخذ جُرّ بحرف الجر الزائد. ﴿**وما كان**﴾ معطوف على ما اتخذ. ﴿**معه**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**من إله**﴾ اسمها جُرّ بحرف الجر الزائد. ﴿**إذنْ**﴾ حرف جواب وجزاء. ﴿**لذهب كل**﴾ فعل وفاعل دخل عليه لام التوكيد. ﴿**إله**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**بما**﴾ متعلق بذهب. ﴿**خلق**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على كل. والجملة صلة ما. ﴿**ولعلا**﴾ فعل ماضٍ معطوف على لذهب. ﴿**بعضهم**﴾ فاعل علا. ﴿**على بعض**﴾ متعلق بعلا. ﴿**سبحان**﴾ مفعول مطلق. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبحان. ﴿**عما**﴾ متعلق بسبحان. ﴿**يصفون**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**عالمُ**﴾ خبر لمبتدإ محذوف. أي: هو ﴿**الغيب**﴾ مضاف إلى عالم. ﴿**والشهادة**﴾ معطوف على الغيب. ﴿**فتعالى**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على الله. والفاء للتعقيب. ﴿**عما**﴾ متعلق بتعالى. ﴿**يشركون**﴾ صلة ما. ﴿**قل: رب**﴾ منادي، حذف منه حرف النداء وياء المتكلم تخفيفاً. ﴿**إما**﴾ إن شرطية، وما زائدة. ﴿**تريني**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. في محل جزم فعل الشرط. والفاعل ضمير يعود على رب. وضمير المتكلم المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول ثانٍ. ﴿**يوعدون**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل صلة ما. ﴿**رب**﴾ مثل المنادَى الأول. ﴿**فلا تجعلني**﴾ الفاء رابطة للجواب. ولا حرف دعاء جازم. وتجعلي مجزوم بلا. والنون للوقاية. وياء المتكلم مفعول به. والجملة في محل جزم جواب الشرط. ﴿**في القوم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الظالمين**﴾ نعت للقوم. ﴿**وإنا**﴾ إن واسمها. والواو للعطف. ﴿**على**﴾ جرت ما بعدها بعد تأويله بالمصدر. ﴿**أن نريك**﴾ فعل مضارع منصوب بأن المصدرية. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول ثانٍ. والجار والمجرور متعلق بما بعده: ﴿**لقادرون**﴾ خبر إنّ. واللام للتوكيد. وجملة ﴿**نعدهم**﴾ صلة ما. ﴿**ادفع**﴾ فعل أمر للمخاطب. ﴿**بالتي**﴾ متعلق بادفع. ﴿**هي**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أحسن**﴾ خبره. والجملة صلة التي. ﴿**السيئة**﴾ مفعول به. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أعلم**﴾ خبره. ﴿**بما**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**يصفون**﴾ فعل وفاعل. صلة ما. ﴿**وقل**﴾ معطوف على قل: رب إما تريني.. ﴿**رب**﴾ منادَى تقدم إعراب مثله. ﴿**أعوذ**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**بك من همزات**﴾ متعلقان

بأعوذ. ﴿الشياطين﴾ مضاف إلى همزات. ﴿وأعوذ بك رب﴾ مثل ما سبقها.. ﴿أن يحضرون﴾ فعل وفاعل ومفعول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مقدر متعلق بأعوذ. والتقدير: وأعوذ بك رب من حضورهم إياي. ﴿حتى إذا جاء﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة حتى إذا فتحنا. ﴿أحدهم﴾ مفعول به. ﴿الموت﴾ فاعل. ﴿قال: رب﴾ منادَى مثل ما قبله. ﴿ارجعوني﴾ فعل دعاء. وضمير الجماعة فاعل. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. وحذفت ياء المتكلم فيه وفي قوله: ﴿أن يحضرون﴾ للتخفيف. ﴿لعلي﴾ لعل وسمها. ﴿أعمل﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم والجملة في محل رفع خبر لعل. ﴿صالحاً﴾ مفعول به. ﴿فيما﴾ متعلق بأعمل. ﴿تركت﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿كلا﴾ ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها. ﴿إنها﴾ إنّ واسمها. ﴿كلمة﴾ خبر إنّ. ﴿هو﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿قائلها﴾ خبره. والجملة نعت لكلمة وجملة إنها لكلمة.. تعليلية. ﴿ومن ورائهم﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿برزخ﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة عطف على ما قبلها. ﴿إلى يوم﴾ متعلق بالخبر الذي تعلق به من ورائهم. ﴿يبعثون﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل مضافة إلى يوم باعتبار مصدرها. ﴿فإذا﴾ شرط دخل عليه فاء التعقيب. ﴿نفخ﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول. ﴿في الصور﴾ نائب الفاعل. ﴿فلا أنساب﴾ الفاء رابط للجواب. ولا نافية للجنس. ﴿أنساب﴾ اسمها. مبني على الفتح في محل نصب. ﴿بينهم يومئذ﴾ متعلقان بمحذوف خبر لا. ﴿ولا يتساءلون﴾ معطوف على قوله: ﴿فلا أنساب بينهم﴾ وجملة فلا أنساب بينهم.. جواب شرط إذا. ﴿فمن﴾ شرطية. والفاء للتفريع. ﴿ثقلت موازينُه﴾ فعل وفاعل. ﴿فأولئك﴾ في محل رفع مبتدأ أول. ﴿هم﴾ في محل رفع مبتدأ ثانٍ. ﴿المفلحون﴾ خبر المبتدإ الثاني. والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدإ الأول. وجملة ﴿فأولئك..﴾ جواب الشرط. والفاء رابطة للجواب. ﴿ومن خفت موازينهُ فأولئك﴾ مثل فمن ثقلت موازينه.. ﴿الذين﴾ في محل رفع خبر أولئك. ﴿خسروا أنفسهم﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿في جهنم﴾ متعلق بما بعده: ﴿خالدون﴾ خبر ثانٍ لأولئك. ﴿تلفح﴾ فعل مضارع. ﴿وجوههم﴾ مفعول به. ﴿النار﴾ فاعل. ﴿وهم﴾ في محل رفع مبتدأ. فيها متعلق بما بعده: ﴿كالحون﴾ خبر المبتدإ. ﴿ألم تكن﴾ مجزوم بلم والهمزة للاستفهام. ﴿آياتي﴾ اسم تكن. ﴿تتلى﴾ فعل

مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على آياتي. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بتتلى. وجملة ﴿**تتلى عليكم**﴾ في محل نصب خبر تكن. ﴿**فكنتم**﴾ كان واسمها. والفاء للتعقيب. ﴿**بها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**تكذبون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. ﴿**قالوا: ربنا**﴾ منادى. ﴿**غلبت**﴾ فعل ماضٍ. ﴿**علينا**﴾ متعلق بغلبت. ﴿**شقوتُنا**﴾ فاعل. ﴿**وكنا**﴾ كان واسمها. والواو للعطف. ﴿**قوماً**﴾ خبر كان. ﴿**ضالين**﴾ نعت لقوم. ﴿**ربنا**﴾ منادَى مثل ما سبق. ﴿**أخرجنا**﴾ فعل دعاء والفاعل ضمير يعود على ربنا. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**منها**﴾ متعلق بأخرجنا. ﴿**فإن عدنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط وفاء التعقيب. ﴿**فإنا**﴾ إن واسمها. ﴿**ظالمون**﴾ خبرها. وجملة ﴿**فإنا ظالمون**﴾ جواب الشرط. والفاء رابطة للجواب. ﴿**قال الله: اخسئوا**﴾ أمر للمخاطبين. فيها متعلق بفعل الأمر. ﴿**ولا تكلمون**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخلت عليه لا الناهية الجازمة.. ﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**كان فريق**﴾ وكان واسمها. ﴿**من عبادي**﴾ متعلق بمحذوف نعت لعباد. ﴿**يقولون**﴾ فعل وفاعل. وجملة ﴿**يقولون**﴾ خبر كان. وجملة ﴿**كان**﴾ خبرُ إنّ. وجملة ﴿**إنه كان**﴾ تعليلية. ﴿**ربنا**﴾ منادَى. ﴿**آمنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**فاغفر لنا**﴾ ترتيب الدعاء على الإيمان. ﴿**وارحمنا**﴾ معطوف على اغفر لنا. ﴿**وأنت**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**خير**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الراحمين**﴾ مضاف إلى خير. ﴿**فاتخذتموهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿**سخرياً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**حتى أنسوكم ذكري**﴾ فعل وفاعل ومفعول وحتى هنا غاية لما قبلها عاطفة. ﴿**وكنتم**﴾ كان واسمها. والواو للعطف. ﴿**منهم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**تضحكون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. ﴿**إني**﴾ إنّ واسمها. ﴿**جزيتهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إنّ. وجملة ﴿**إني جزيتهم**﴾ بيانية. ﴿**اليوم بما**﴾ متعلقان بجزيتهم. ﴿**صبروا**﴾ فعل وفاعل والجملة صلة ما. ﴿**أنهم**﴾ أن واسمها. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**الفائزون**﴾ خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول ثانٍ لجزيتهم. ﴿**قال: كم**﴾ اسم استفهام مفعول. ﴿**لبثتم**﴾ فعل وفاعل. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بلبثتم. ﴿**عدد**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**سنين**﴾ مضاف إلى عدد. ﴿**قالوا: لبثنا يوماً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**أو بعض**﴾ معطوف على يوماً. ﴿**يَوم**﴾ مضاف إلى بعض. ﴿**فاسأل**﴾ فعل أمر للمخاطب. والفاء للتعقيب. ﴿**العادّين**﴾ مفعول به. ﴿**قال: إن لبثتم**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف النفي.

﴿**إلا قليلاً**﴾ مفعول به. ﴿**لو أنكم**﴾ أن واسمها. ولو شرطية. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تعلمون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وكان واسمها وخبرها خبر أنّ. وجواب شرط لو محذوف يدل عليه ما سبق. والتقدير: لو أنكم كنتم تعلمون لعلمتم قلة لبثكم في الدنيا. ﴿**أفحسبتم**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه فاء التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**خلقناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**عبثاً**﴾ حال من نون العظمة. ﴿**وأنكم**﴾ أن واسمها. والواو للعطف. ﴿**إلينا**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**لا ترجعون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول دخل عليه حرف النفي. وواو الجماعة نائب الفاعل والجملة معطوفة على أنما خلقناكم عبثاً. ﴿**فتعالى الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه فاء التعقيب. ﴿**الملك**﴾ عطف بيان لله. ﴿**الحق**﴾ مثله. ﴿**لا إله**﴾ لا نافية للجنس تعمل عمل إنّ. ﴿**إله**﴾ اسمها مبني على الفتح في محل نصب. ﴿**إلا هو**﴾ بدل من خبر لا المقدر، والتقدير: لا إله موجود إلا هو. ﴿**رب**﴾ عطف بيان لهو. ﴿**العرش**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**الكريم**﴾ نعت لعرش. ﴿**ومَنْ**﴾ اسم شرط جازم. والواو للعطف. ﴿**يدع**﴾ مجزوم بحذف حرف العلة. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**مع**﴾ متعلق بيدع. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**إلهاً**﴾ مفعول به. ﴿**آخر**﴾ نعت له. ﴿**لا برهان**﴾ لا واسمها. ﴿**له به**﴾ متعلقان بمحذوف خبر لا. وجملة لا برهان له به نعت لقوله: ﴿**إلهاً**﴾. ﴿**فإنما حسابه**﴾ مبتدأ وقع بعد إنما. ﴿**عند**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**ربه**﴾ مضاف إلى الظرف وجملة فإنما حسابه.. جواب الشرط. والفاء رابطة للجواب. ﴿**إنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا يفلح الكافرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبرُ إنّ. وجملة ﴿**إنه لا يفلح الكافرون**﴾ تعليلية. ﴿**وقل: رب**﴾ منادَى. ﴿**اغفر**﴾ فعل دعاء. ﴿**وارحم**﴾ معطوف عليه. ﴿**وأنت**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**خير**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الراحمين**﴾ مضاف إلى خير.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون..**﴾ إلخ.. فهذا الكلام مقابل ما تضمنه ما قبله من ذكر أحوال الكافرين من قوله تعالى: ﴿**فقطعوا أمرهم بينهم كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين. أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين. نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون**﴾. فكانت هذه الجمل

كالتفصيل لبيان من له المسارعة في الخيرات إثر إقناط الكفار عنها وإبطال حسبانهم الكاذب. وافتتاح الكلام بإنّ للاهتمام بالخبر. والإتيان بالموصولاتِ للإيحاء إلى وجه بناء الخبر. وهو أنهم يسارعون في الخيرات ويسابقون إليها.. ويكرر أسماء الموصولات.. للاهتمام بكل صلة من صلاتها فلا تُذكر تبعاً بالعطف.. وتقديم المجرورات الثلاثة على عواملها للرعاية على الفواصل. مع الاهتمام بمضمونها.. فجملة ﴿**ولا نكلف نفساً إلا وسعها**﴾ تذييل مقرر لما تقدم من أحوال ﴿**الذين هم من خشية ربهم مشفقون..**﴾ فقوله: ﴿**ولا نكلف نفساً إلا وسعها**﴾ خيرُ مراد منه لازمه: وهو تسجيل التقصير على ﴿**الذين تقطعوا أمرهم بينهم**﴾، وقطع معذرتهم، وتيسير الاعتذار على ﴿**الذين هم من خشية ربهم مشفقون**﴾. ولمراعاة هذا المعنى عطف قوله: ﴿**ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون**﴾؛ لأنه تتمة لما قبله ببيان أحوال ما كلفوه من الأعمال وأحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب. والمراد بالكتاب صحائف الأعمال التي يقرؤونها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله: ﴿**ينطق بالحق**﴾ كقوله تعالى: ﴿**هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**﴾. وقوله تعالى: ﴿**وهم لا يظلمون**﴾ بيان لفضل الله تعالى وعدله في الجزاء إثر بيان لطفه في التكليف وكتب الأعمال. وقوله تعالى: ﴿**بل قلوبهم في غمرة من هذا..**﴾ إضراب انتقائي إلى ما هو أغرب مما سبق. وهو وصف غمرة أخرى انغمس فيها المشركون.. فهم في غمرة غمرت قلوبهم وأبعدتها عن أن تتخلق بخلق ﴿**الذين هم من خشية ربهم مشفقون..**﴾ فكيف وأعمالهم على الضد من ذلك؟!.. فقوله: ﴿**ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون**﴾ موصول بالعطف على جملة ﴿**بل قلوبهم في غمرة من هذا**﴾. وهي فنون كفرهم ومعاصيهم وتجرؤهم على التكذيب والإعراض عن آيات الله.. ﴿**حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون**﴾: حتى هنا جاءت بداية لكلام لاحق وغاية لكلام سابق.. أي: ﴿**لا يزالون يعملون أعمالهم..**﴾ إلى حيث ﴿**إذا أخذنا رؤساءهم وزعماءهم ومترفيهم، بالعذاب إذا هم يجأرون**﴾. والمراد بالعذاب عذاب يوم القيامة. وتخصيص مترفيهم بما ذكر؛ لأنهم الذين أضلوا غيرهم من عامة قومهم.. فهم سبب عذاب العامة.. ولأنهم أشد إحساناً بالعذاب لأنهم لم يعتادوا مس الضراء.. وجملة ﴿**لا تجأروا اليوم**﴾ معترضة بين ما قبلها وما تفرع عليه من قوله: ﴿**أفلم يدبروا القول**﴾؟ وجملة لا تجأروا اليوم مقول لقول مقدر.. وجملة

﴿**إنكم منا لا تنصرون**﴾ تعليل للنهي المستعمل في التسوية. وضمن تنصرون معنى النجاة فعدى الفعل بِمِنْ. أي: فلا نجاة لكم منا.. ﴿**قد كانت آياتي تتلى عليكم**﴾: تعليل لما ذكر من عدم النجاة من العذاب.. ﴿**فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً تهجرون**﴾: فهو تفريع وتعقيب على ما تقدم وكان كبراء قريش يشمرون حول الكعبة يتحدثون بالطعن في الدين وتكذيب الرسول.. ﴿**أفلم يدبروا القول**؟.. **أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين**؟.. **أم لم يعرفوا رسولهم.. فهم له منكرون**؟.. **أم يقولون به جنة**﴾؟.. فهذه الاستقامات استنكار لواقع المشركين المتعنت.. وهو مفرع على سبب إعراضهم وتعنتهم وتكذيبهم وطعنهم في القرآن والرسول.. فهذه الاستفهامات مستعملة في التخطئة على طريقة المجاز المرسل. ومآل معاني هذه الاستفهامات أنها إحصاء لمثار ضلالهم وخطئهم: فالاستفهام الأول ﴿**أفلم يدبروا القول**﴾ عن عدم تدبرهم فيما يتلى عليهم من القرآن. والاستفهام الثاني هو المقدر بعد أم ﴿**أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين**﴾ وأم هنا بمعنى بل المقدر بعدها الاستفهام؛ والتقدير: بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين.. حتى استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال. يعني أن مجيء الكتب من عند الله تعالى إلى الرسل سنة قديمة لله، لا يكاد يتسنى إنكاره، وأن مجيء القرآن على هذه السنة.. فمن أين تنكرونه؟!. والاستفهام الثالث المقدر بعد أم الثانية ﴿**أم لم يعرفوا رسولهم.. فهم له منكرون**﴾؟!.. فالتقدير: بل ألم يعرفوا محمداً ﷺ بالأمانة والصدق وحسن الأخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من أحد.. فجحودهم بما جاء به مرتب على عدم معرفتهم برسولهم.. فمن ضرورة انتقاء المبنى بطلان ما بني عليه.. فهو تأكيد لما قبله. والاستفهام الرابع ﴿**أم يقولون به جنة**..﴾ بل أيقولون به جنة مع أنه أرجح الناس عقلاً. وأتقنهم ذهناً. وأتقنهم رأياً. وأوفرهم رزانة.. فقد روعي في هذه التوبيخات الأربعة: التي اثنان منها مُتعلقان بالقرآن، واثنان متعلقان بشخص الرسول ﷺ الترقي من الأدنى إلى الأعلى حيث وبخوا أولاً بعدم التدبر.. ثم وبخوا بشيء لو اتصف به القول لكان سبباً لعدم تصديقهم به.. ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول من عدم معرفتهم به.. ثم وبّخوا بشيء لو كان فيه ـ وهو الجنون ـ لقدح في رسالته.. ﴿**بل جاءهم بالحق**..﴾ فهو إضراب وإبطال عما يدل عليه ما سبق؛ أي: ليس الأمر كما زعموا في حق القرآن والرسول..

﴿**وأكثرهم للحق كارهون. ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض من فيهن**﴾: عطف هذا الشرط الامتناعي على جملة ﴿**وأكثرهم للحق كارهون**﴾ زيادة في التشنيع على أهوائهم.. والاتّباع مجاز شائع في الموافقة. لو وافق الحق أهواءهم المختلفة والمنحرفة لانهارت الحقائق المبنية على الحق الثابت من أساسها.. ﴿**بل أتيناهم بذكرهم**﴾: إضراب وإبطال لما اقتضاه الفرض.. وانتقل من تشنيعهم بكراهة الحق الذي به يقوم العالم إلى تشنيعهم بالإعراض عما جبل عليه كل حي من الرغبة فيما فيه خيره والمراد بالذكر القرآن الذي هو فخر العرب وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى: ﴿**وإنه لذكر لك ولقومك.. فهم عن ذكرهم معرضون**﴾: فهم بما فعلوه من النكوص والإعراض عن شرفهم وفخرهم معرضون!.. ﴿**أم تسألهم خرجاً**﴾؟: انتقال من توبيخهم بما ذكر أولاً.. إلى استفهام آخر عن دعاوي إعراضهم. وهو توبيخ بوجه آخر؛ كأنه قيل: أم يزعمون أنك تسألهم على أداء الرسالة أجراً؟!.. ﴿**فخراج ربك خير**﴾: هو تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار. أي: لا تسألهم ذلك.. فإن ما رزقك الله في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك. ﴿**وهو خير الرازقين**﴾: تقرير لخيرية خراج الله.. وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطب في قوله: ﴿**فخراج ربك خير**﴾ من تعليل الحكم وتشريفه ما لا يخفى. والخراج أعم من الخرج.. ففي التعبيرية إشعار بالكثرة واللزوم. ﴿**وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم**﴾: وصل الكلام بالعطف على ما قبله.. فالتوكيد بإنّ واللام باعتبار أنه مسوق للتعريض بالمنكرين على ما دعاهم إليه النبي ﷺ. ﴿**وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون**﴾: أكدت هذه الجملة بما أكدت به الجملة المعطوف عليها تشنيعاً لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم أن لا حياة إلا الحياة الدنيا، وإشعاراً بعلة الحكم.. فإن الإيمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من أقوى الدواعي إلى طلب الحق وسلوك سبيله المستقيم. ﴿**ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على الآية التي قبلها توضيحاً لما هم عليه من العناد والتمادي في الضلال.. فهم يعمهون في الطغيان فلا يشعرون بما هم فيه.. ﴿**ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون**﴾: هذا استدلال على مضمون قوله: ﴿**ولو رحمناهم..**﴾ والتعبير بالمضارع في قوله: ﴿**وما يتضرعون**﴾ للدلالة على تجدد انتفاء تضرعهم.. ﴿**حتى**

إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون. .﴾ فهم في طغيانهم لا يحسون بعذاب الدنيا باعتباره أمراً طبيعياً ليس له سبب من جهتهم. . فيستمرون في كفرهم وعنادهم حتى يفتح لهم الباب الذي يأتي منه العذاب النهائي الهائل الفظيع. وهو عذاب يوم القيامة. فشبهت هيئة إصابتهم بالعذاب بعد أن كانوا في سلامة وعافية بهيئة ناس في بيت مغلق عليهم ففتح عليهم باب البيت من عدو ومكروه. . ففوجئوا بهذا أو أيسوا من النجاة! **﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾**: هذا رجوع إلى غرض الاستدلال على انفراد الله بصفات الإلهية والامتنان بما منح الله الناس من نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد. . ولكنهم حرموا نعمة الإسعاد بما فيهم من الكفر والعناد. **﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون﴾**: هذا امتنان آخر بنعمة الإيجاد والحياة وتيسير التمكن في الأرض وإكثار النوع. **﴿وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون﴾**؟: هذا الأسلوب مثل ما تقدم من قوله: **﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار. .﴾** ومن قوله: وهو الذي ذرأكم في الأرض. . فلما كانت هذه الأدلة تُفيد مَنْ نَظَر فيها علماً بأن الله واحد، وأن البعث واقع، وكان المقصودون بالخطاب قد أشركوا به، ولم يهتدوا بهذه الأدلة جُعلوا بمنزلة غير العقلاء. . فأنكر عليهم عدمَ العقل بالاستفهام الإنكاري المفرع على الأدلة الأربعة بالفاء في قوله: **﴿أفلا تعقلون؟!. . بل قالوا مثل ما قال الأولون: قالوا: أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً إنا لمبعوثون﴾**: هذا إدماج لذكر أصل آخر من أصول الشرك. وهو إحالة البعث بعد الموت. وبل للإضراب الإبطالي، وإثبات لإنكارهم البعث مع بيان ما حملهم على إنكاره. وهو تقليد الآباء. والكلام جرى على طريقة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة؛ لأن الكلام انتقل من التقريع والتهديد إلى حكاية ضلالهم. . فناسب هذا الانتقال مقامَ الغيبة؛ لما في الغيبة من الإبعاد!. . فالضمير عائد إلى المخاطبين. وجملة **﴿قالوا: أئذا متنا﴾**؟ بدلاً مطابق من جملة **﴿قالوا: مثل ما قال الأولون﴾**. وهو تفصيل لإجمال المماثلة. والجمع بين ذكر الموت والكون تراباً وعظاماً لقصد تقوية الإنكار لتفظيع أخبار القرآن بوقوع البعث!. وأما ذِكر حرف إنّ في قولهم: **﴿إنا لمبعوثون﴾**، فالمقصود منه حكاية دعوى البعث بأن الرسول الذي يدعيها بتحقيق وتوكيد مع كونها شديدة الاستحالة. . ففي حكاية توكيد مدعيها زيادة في تفظيع الدعوى في وهمهم!. وجملة **﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من**

قبل..﴾ تعليل للإنكار وتقوية له. وقد جعلوا مسند تكذيبهم بالبعث: أنه تكرّر الوعد به في أزمنة متكررة. فلم يقع ولم يبعث واحد من آبائهم. وجملة **﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾** من القول الأول.. وهي مستأنفة استئنافاً بيانياً لجواب سؤال يثيره قولهم **﴿لقد وعدنا نحن..﴾** والعدول عن الإضمار إلى اسم الإشارة الثاني لقصد زيادة تمييزه تشهيراً بخطئه في زعمهم!. **﴿قل لمن الأرض ومن فيها..﴾** استئناف واستدلال عليهم في إثبات الوحدانية لله عاد به الكلام متصلاً بقوله: **﴿وهو الذي يحيي ويميت..﴾** والاستفهام تقريري. ولا يسعهم إلا الجواب بأنها لله. والمقصود إثبات لازم جوابهم. وهو انفراد الله بالوحدانية. وجملة **﴿إن كنتم تعلمون﴾** شرط حذف جوابه لدلالة الاستفهام عليه. ووقعت جملة **﴿أفلا تذكرون﴾** جواباً لإقرارهم واعترافهم بأنها لله. والاستفهام إنكاري. إنكار لعدم تذكرهم بذلك.. **﴿قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم﴾**؟: تكرّر الأمر بالقول وإن كان المقول مختلفاً دون أن يعطف جملة **﴿من رب السماوات..﴾** لأنها وقعت في سياق التعداد.. فناسب أن يعاد الأمر بالقول دون الاستغناء بحرف العطف. والمقصود وقوع هذه الأسئلة متتابعة دفعاً لهم بالحجة!.. **﴿سيقولون لله قل أفلا تتقون؟!.. قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون. سيقولون لله.. قل فأنى تُسحرون﴾**؟!.. جاءت هذه الأدلالة على سبيل الترقي.. فابتدىء بالسؤال عن مالك الأرض ومن فيها؛ لأنها أقرب العوالم لإدراك المخاطبين.. ثم ارتقى إلى الاستدلال بربوبية السماوات السبع والعرش العظيم.. ثم ارتقى إلى ما هو أعم وأشمل. وهو نصرفه المطلق في الأشياء كلها؛ ولذلك اجتلبت فيه أداة العموم. وهو كل: **﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل: فأنى تسحرون؟! بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون! ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله﴾**: اتبع الاستدلال على إثبات الوحدانية لله الاستدلال على انتفاء الشركاء له في الإلهية. وقدمت النتيجة القياس لتجعل هي المطلوب.. فإن النتيجة والمطلوب متحدان في المعنى مختلفان بالاعتبار.. فهي باعتبار حصولها بعد القياس تسمى نتيجة، وباعتبار كونها دعوى مُقام عليها الدليل تسمى مطلوباً.. فإذن في قوله: **﴿إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض..﴾** حرف جواب وجزاء لكلام قبلها ملفوظ أو مقدر.. فالكلام المجاب هنا هو ما تضمنه قوله: **﴿وما كان معه**

من إله. .﴾ فالجواب ضد ذلك النفي. وإذ قد كان هذا الضد أمراً مستحيل الوقوع تعين أن يكون له شرط على وجه الفرض والتقدير. والحرف المعد لمثل هذا الشرط هو لو الامتناعية؛ فالتقدير: لو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق. والذهاب في قوله: لذهب مستعار للاستقلال بالمذهوب به وعدم مشاركة غيره له. ولما اقتضى هذ الدليل بطلان قولهم عقب الدليل تنزيه الله عن أقوال المشركين بقوله: ﴿**سبحان الله عما يصفون**﴾!. وإنما أتبع الاستدلال على انتقاء الشريك بقوله: ﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ بناء على توافقهم في تفرد الله بذلك. والمراد به عموم العلم وإحاطته بكل شيء. . فهو من تمام الاستدلال على انتفاء الشركاء؛ ولذلك فرع عنه بالفاء بقوله: ﴿**فتعالى عما يشركون!. قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين**﴾: آذنت الآيات السابقة بأقصى ضلال المشركين وانتفاء عذرهم فيما دانوا به الله سبحانه وتعالى. . وآذنت بغضب الله عليهم لذلك. . فكان ذلك إنذاراً لهم، وتهديداً بما سيلقونه عاجلاً. وكان ذلك مثاراً لخشية النبي ﷺ أن يحل العذاب بقومه في حياته. . ثم بين الله لرسوله أنه قادر على أن يأخذهم بعذاب الاستئصال بقوله: ﴿**وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون. .**﴾

فإذا كان ذلك كذلك: ﴿**ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون**﴾. وفي هذا وعيد لهم بالجزاء والعقوبة. . وتطمين للنبي وتسلية له، وإرشاد إلى تفويض أمره لربه. . ثم أمره أن يستعيذ به من وساوس الشياطين وهواجسهم، ومن حضورهم معه ومع أصحابه في مجالسهم: ﴿**وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون. .**﴾ ففي الأسلوب مبالغة في التحذير والتخويف من شر الشياطين. . حتى لا تكون الاستعاذة منهم إلا بالله!. . ﴿**حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت**﴾: حتى هذه هي التي يبتدأ بها الكلام. دخلت على الجملة الشرطية. وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون. . وما بينهما اعتراض مؤكد للإفضاء المأمور به النبي ﷺ وبالاستعاذة به تعالى من همزات الشياطين ومن حضورهم. . فالمعنى أن هؤلاء المشركين مستمرون على الوصف المذكور إلى وقت حضور الأجل. وعندئذ يندم كل كافر حيث لا ينفع الندم: ﴿**كلا إنها كلمة هو قائلها**﴾! وهي كلمة قيلت في غير وقتها المطلوب. . «إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء

بجهالة.. ثم يتوبون من قريب.. فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً. وليست التوبة للذين يعملون السيئات.. حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً». ﴿**ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون..**﴾ فالموت برزخ حاجز بين الدنيا والآخرة. وهو مانع من الرجوع إلى الدنيا.. فلا فائدة في طلب الرجوع؛ إذ لو رجعوا إلى الدنيا لرجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والعناد. «ولو ردوا لعادوا.. لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون..» ﴿**فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون**﴾: مرتب على ما قبله من قوله: ﴿**ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون**﴾. وجملة ﴿**فلا أنساب بينهم يومئذ**﴾ جواب شرط إذا.. وجملة ﴿**ولا يتساءلون**﴾ متصلة بالعطف على قوله: ﴿**فلا أنساب..**﴾ فهناك تنتهي العلاقات من جهة النسب، وتنتهي المودات من جهة الحسب. والعبرة بنتائج الأعمال.. ﴿**فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون.. ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون..**﴾ واسم الإشارة في الموضعين عبارة عن الموصول. وجمعه باعتبار معناه.. كما أن إفراد الضميرين في قوله: ﴿**فمن ثقلت موازينه.. ومن خفت موازينه..**﴾ باعتبار لفظه. ومن يصح أن تكون شرطية.. وأن تكون موصولة. وهما في لفظهما ومعناهما سواء. وجملة ﴿**تلفح وجوههم النار**﴾ زيادة توضيح لقوله: ﴿**في جهنم خالدون**﴾. وجملة ﴿**وهم فيها كالحون**﴾ زيادة في تقبيح الصورة وتهويل الحالة المهولة!.. ﴿**ألم تكن آياتي تتلى عليكم**﴾؟!.. سؤال من الله موجه إلى أهل النار.. وجملة ﴿**فكنتم بها تكذبون**﴾ مرتب على ما قبله.. فسرعة التكذيب بهذه الآيات يدل على رفضهم لها من أول وهلة.. «وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب.. فاعمل إننا عاملون»!. ﴿**قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا**﴾: جواب عن السؤال واعتراف بعد فوات الأوان.. فلا حيرة الآن بهذا المقال. وجملة ﴿**وكنا قوماً ضالين**﴾ متصل بالعطف على ما قبله إنكار على أنفسهم بزيادة الاعتراف وتوكيده.. ﴿**ربنا أخرجنا منها.. فإن عدنا فإنا ظالمون**﴾: بعدما اعترفوا بما كانوا عليه في الدنيا من الشقاوة وشدة الضلال طلبوا الخروج من النار والرجوع إلى الدنيا ليستأنفوا العمل من الإيمان والعمل الصالح.. وتعهدوا بأن لا يعودوا من جديد إلى الكفر والقبائح!.. ولكن لا قيمة لهذا الدعاء، ولا حقيقة لهذا العهد والرجاء.. فقد فات الأوان

ولات حين مناص: قال: ﴿**قال اخسئوا فيها ولا تكلمون**﴾! وجُمْلَةُ ﴿**إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون**..﴾ تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء. ولأنكم كنتم تستهزئون بالداعين وتشتغلون باستهزائهم.. حتى أنسوكم ذكري؛ ولأنكم كنتم تضحكون منهم سخرية واحتقاراً!.. ﴿**إني جزيتهم اليوم بما صبروا.. أنهم هم الفائزون**﴾: استئناف لبيان حسن حالهم وأنهم انتفعوا بما آذوهم بسبب صبرهم على هذا الأذى الذي لا يطاق!. ﴿**قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين**﴾؟: سؤال موجه إلى الكفار الذين استنكروا البعث واستبعدوه غاية الاستبعاد.. وقالوا: ﴿**هيهات هيهات لما توعدون**﴾!.. فأجابوا مستقلين لبثهم في الدنيا: ﴿**قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم**﴾!... فرد الله عليهم بما هو الواقع من مدة الدنيا: ﴿**قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون**﴾: لو أنكم حقاً ثبت علمكم بحقيقة الدنيا وأنها تمر لحظة بعد لحظة وساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وعاماً بعد عام وقرناً بعد قرن.. حتى انقضت وانتهت لما وقعتم في هذه النار التي أحرقتكم وشوهتكم وأقلقتكم حتى طلبتم الخروج منها.. ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾؟!: الاستفهام تعجيبي من موقف المخاطبين المنكرين للبعث. وجملة ﴿**وأنكم ألينا لا ترجعون**﴾ معطوفة على الاستفهام.. فإن خلقكم من غير بعث من قبيل العبث. والله سبحانه وتعالى منزه عن العبث: ﴿**فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم**﴾! فالله وحده الملك الحق والإله الواحد ورب المخلوقات جميعاً من الفرش إلى العرش.. فكيف لا يحقق وعده ببعث عباده ليجازيهم بتنفيذ مراده: ﴿**ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه**..﴾ فقد ثبت أن الله هو الملك الحق الإله الواحد مالك الملك والملكوت ذو العزة والجبروت.. فمن يدع معه غيره فقد خسر وخاب، واستحق شديد العقاب يوم البعث والحساب: ﴿**إنه لا يفلح الكافرون**﴾. بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين. ﴿**وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين**﴾: توجيه الأمر إلى الرسول بما هو مطلوب من كل مؤمن يفعل ويقول.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام:

التوجيه الأول: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون. والذين هم بربهم لا يشركون. والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾: في هذا التوجيه عرض صورة كاملة واضحة، تظهر فيها أوصاف المؤمنين بما فيها من الحساسية والإرهاف والتحرج والتطلع إلى الكمال وحساب العواقب مما عملوا من الأعمال الصالحة فهؤلاء المؤمنون يشفقون من ربهم خشية وتقوى.. وهم يؤمنون بآياته.. ولا يشركون به.. وهم ينهضون بتكاليفهم وواجباتهم.. وهم يأتون بالطاعات ما استطاعوا.. ولكنهم بعد هذا كله: يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون؛ لإحساسهم بالتقصير في جانب ربهم.. بعد أن بذلوا ما في وسعهم.. وهو في نظرهم قليل!.. فإن قلب المؤمن يستشعر يد الله عليه.. ويحس آلاه في كل نفَس وكل نبضة.. ومن ثَم يستصغر كل عباداته.. ويستقل كل طاعاته إلى جانب آلاء الله ونعمائه.. كذلك هو يستشعر بكل ذرة فيه جلالَ الله وعظمتَه.. ويرقب بكل مشاعره يدَ الله في كل شيء من حوله.. ومن ثَمّ يشعر بالهيبة، ويشعر بالوجل، ويشفق أن يلقى وهو مقصر في حقه. لم يوفّه حقه: عبادةً وطاعةً.. ولم يقارب أياليه عليه: معرفةً وشكراً.. وهؤلاء هم الذين يسارعون في الخيرت، وهم الذي يسبقون لها فينالونها في الطليعة بهذه اليقظة، وبهذا التطلع، وبهذا العمل، وبهذه الطاعة: **﴿أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون..﴾** أما أولئك الذين يعيشون في غمرة، ويحسبون لغفلتهم أنهم مقصودون بالنعمة مرادون بالخير، فهم كالصيد الغافل يُستدرج إلى مصرعه بالطعم المغري.. ومثل هذا الطير في الناس كثير: يغمرهم الرخاء، وتشغلهم النعمة، ويطغيهم الغنى، ويلهيهم الغرور.. حتى يلاقوا المصير!

تلك اليقظة التي يفرضها الإسلام على قلب المسلم، والتي يستجيشها الإيمان بمجرد استقراره، في القلوب.. ليست أمراً فوق الطاقة، وليست تكليفاً فوق الاستطاعة.. إنما هي الحساسية الناشئة من الشعور بالله والاتصال به، ومراقبته في السر والعلن. وهي في حدود الطاقة الإنسانية حين يشرق فيها ذلك النور الوضيء: **﴿ولا نكلف نفساً إلا وسعها، ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون..﴾** فالله

شرع التكاليف وفق ما يعلم من استعداد النفوس. وهو محاسبهم وفق ما يعلمونه في حدود الطاقة.. فلا يظلمون بتحميلهم ما لا يطيقون، ولا يبخسهم شيئاً مما يعملون. وكل ما يعملونه محسوب في سجل ينطق بالحق.. ويبرزه ظاهراً غير منقوص. والله خير الحاسبين!.. إنما يغفل الغافلون؛ لأن قلوبهم في غمرة من الحق لم يمسسها نورُه المحيي؛ لانشغالها عنه واندفاعها في التيه.. حتى تفيق على الهول؛ لتلقى العذاب الأليم، وتلقى معه التوبيخ والتحقير!: ﴿**بل قلوبهم في غمرة من هذا..**﴾ فعلة اندفاعهم فيما هم فيه ليست هي تكليفهم بما هو فوق الطاقة.. إنما العلة أن قلوبهم في غمرة لا ترى الحق الذي جاء به القرآن.. وأنهم مندفعون في طريق آخر غير النهج الذي جاء به: ﴿**ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون..**﴾ ثم يرسم مشهد انتباههم على الكارثة الباغتة المفاجئة: ﴿**حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون..**﴾ فالمترفون أشد الناس استغراقاً في المتاع والانحراف والذهول عن المصير. فها هم أولاء يفاجأون بالعذاب الذي يأخذهم أخذاً.. فإذا هم يرفعون أصواتهم بالجؤار مستغيثين مسترحمين ـ وذلك في مقابل الترف والغفلة والاستكبار والغرور ـ ثم ها هم أولاء يتلقون الزجر والتأنيب: ﴿**لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون..**﴾ وإذا المشهد حاضر، وهم يتلقون الزجر والتأنيب، والتيئيس من كل نجدة ومن كل نصير، والتذكير بما كان منهم وهم في غمرتهم مستغرقون: ﴿**قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون..**﴾ فتتراجعون على أعقابكم كأنّ ما يتلى عليكم خطر تحاذرونه.. أو مكروه تجانبونه.. مستكبر عن الإذعان للحق.. ثم تزيدون على هذا سوء القول وهُجره في سمركم.. حيث تتناولون الرسول وما جاء به بكلمات السوء. ولقد كانوا يطلقون ألسنتهم بهُجْر القول وفحْشه في مجالسهم، وهم يتحلقون حول الأصنام في مسامرهم بالكعبة. فها هو ذا القرآن يرسم لهم مشهد حسابهم على ما هم فيه، وهم يجأرون طالبين الغوث.. فيذكّرهم بسمرهم الفاحش، وهجرهم القبيح، وكأنما هو واقع اللحظة: ﴿**مستكبرين به سامراً تهجرون..**﴾ فهم الآن يشهدونه ويعيشون فيه! وذلك على طريقة القرآن الكريم في رسم مشاهد القيامة كأنها واقع مشهود. والمشركون في تهجّمهم على رسول الله ﷺ وعلى القرآن في نواديهم وفي سمرهم يمثلون الكبرياء الجاهلة، التي لا تدرك قيمة الحق؛ لأنها مطموسة البصيرة عمياء.. فتتخذ منه مادة للسخرية والهزء والاتهام.

ومثل هؤلاء في كل زمان.. وليست جاهلية العرب إلا نموذجاً لجاهليات كثيرة خلت في الزمان، وما تزال تظهر الآن بعد الآن!.

وينتقل بهم من مشهد التأنيب في الآخرة.. فيعود بهم إلى الدنيا من جديد! يعود بهم ليسأل ويعجب من موقفهم ذاك الغريب.. ما الذي يصدهم عن الإيمان بما جاءهم به رسولهم الأمين؟ ما الشبهات التي تحيك في صدورهم فتصدهم عن الهدي؟ ما حجتهم في الإعراض عنه والسمر في مجالسهم بقالة السوء فيه؟ وهو الحق الخالص والطريق المستقيم: ﴿**أفلم يدبروا القول**﴾؟!.. فإن مثل ما جاء به محمد رسول الله لا يملك من يتدبره أن يظل معرضاً عنه.. ففيه من الجمال، وفيه من الكمال، وفيه من التناسق، وفيه من الجاذبية، وفيه من موافقة الفطرة، وفيه من الإيحاءات الوجدانية، وفيه من غذاء القلب، وفيه من زاد الفكر، وفيه من عظمة الاتجاهات، وفيه من قويم المناهج، وفيه من محكم التشريع، وفيه من كل شيء.. ما يستجيش عناصر الفطرة ويغذيها ويلبيها.. أفلم يدبروا القول إذن؟!.. فهذا سر إعراضهم عنه؛ لأنهم لم يتدبروه!. ﴿**أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين**﴾؟.. فكان بدعاً في مألوفهم ومألوف آبائهم أن يجيئهم رسول.. وأن يجيئهم بكلمة التوحيد! وذلك تاريخ الرسالات كلها يثبت أن الرسل جاءوا قومهم تترى.. وكلهم جاءوا بالكلمة الواحدة التي يدعوهم إليها هذا الرسول.. ﴿**أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون**﴾؟.. فيكون هذا هو الاعتراض والتكذيب.. ولكنهم يعرفون رسولهم حق المعرفة: يعرفون نسبه.. ويعرفون شخصه.. ويعرفون أكثر من أي أحد صفاته.. يعرفون صدقه وأمانته.. حتى لقد أطلقوا عليه قبل الرسالة كلمة الأمين!.. ﴿**أم يقولون به جنة**﴾؟.. كما كان بعض سفهائهم يقولون.. فهم على ثقة أنه العاقل الكامل، الذي لا يعرفون عنه ذلة في تاريخه الطويل!. إنه ما من شبهة من هذه الشبهات يمكن أن يكون لها أصل.. إنما هي كراهية أكثرهم للحق؛ لأنه يسلبهم القيم الباطلة التي بها يعيشون.. ويصْدُم أهواءهم المتأصلة التي بها يعتزون: ﴿**بل جاءهم بالحق، وأكثرهم للحق كارهون..**﴾ والحق لا يمكن أن يدور مع الهوى. وبالحق تقوم السماوات والأرض. وبالحق يستقيم الناموس، وتجري السنين في هذا الكون وما فيه ومن فيه: ﴿**ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن..**﴾ فالحق واحد ثابت. والأهواء كثيرة متقلبة.. وبالحق الواحد يُدبّر الكونُ كلّه.. فلا

ينجرف ناموسه لهوى عارضٍ.. ولا تتخلف سنته لرغبة طارئة.. فلو خضع الكون للأهواء العارضة والرغبات الطارئة لفسد كله.. وفسد الناس معه.. ولفسدت القيم والأوضاع.. واختلت الموازين والمقاييس.. وتأرجحت بين الغضب والرضى، والكره والبغض، والرغبة والرهبة، والنشاط والخمول.. وسائر ما يعرض من الأهواء والمواجد والانفعالات والتأثرات.. وبناء الكون المادي واتجاهه إلى غايته كلاهما في حاجة إلى الثبات والاستقرار والاطراد على قاعدة ثابتة ونهج مرسوم، لا يتخلف ولا يتأرجح ولا يحيد. ومن هذه القاعدة الكبرى في بناء الكون وتدبيره جعل الإسلام التشريع للحياة البشرية جزءاً من الناموس الكوني، تتولاه اليد التي تدير الكون كله، وتنسق أجزاءه جميعاً. والبشر جزء من هذا الكون خاضع لناموسه الكبير.. فأولى أن يشرع لهذا الجزء من يشرع للكون كله، ويدبره في تناسق عجيب!. بذلك لا يخضع نظام البشر للأهواء فيَفْسُد ويختل: ﴿**ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن**..﴾ إنما يخضع للحق الكلي ولتدبير صاحب التدبير. وهذه الأمة التي جاء لها الإسلام كانت أولى الأمم باتباع الحق الذي يتمثل فيه.. ففوق أنه الحق هو كذلك مَجْدٌ لها وذِكْرٌ. وما كان لها من ذكر لولاه في العالمين: ﴿**بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون**..﴾ وقد ظلت أمة العرب لا ذكر لها في تاريخ العالم حتى جاءها الإسلام. وقد ظل ذكرها يدوي في آذان القرون طالما كانت به مستمسكة. وقد تضاءل ذكرها عندما تخلت عنه؛ فلم تعد في العير ولا في النفير. ولن يقوم لها ذكر إلا يوم أن تفيء إلى عنوانها الكبير.. وبعد هذا الاستطراد بمناسبة دعواهم على الحق الذي جاءهم فأعرضوا عنه واتهموه، يعود السياق إلى استنكار موقفهم، وإلى مناقشة الشبهات التي يمكن أن تصدّهم عما جاءهم به الرسول الكبير: ﴿**أم تسألهم خرجاً**﴾؟.. فهم يفرون مما تسألهم من أجر على الهداية والتعليم.. فإنك لا تطلب إليهم شيئاً.. فما عند ربك خير مما عندهم: ﴿**فخراج ربك خير وهو خير الرازقين**..﴾ فماذا يطمع أن ينال من البشر الضعاف المحاويج؟ وهو متصل بالفيض اللدني الذي لا ينضب ولا يفيض.. بل ماذا يطمع أتباع نبي أن ينالوا من عرض هذه الأرض، وهم معلقوا الأنظار والقلوب بما عند الله الذي يرزق بالكثير وبالقليل؟ ألا أنه يوم يتصل القلب بالله يتضاءل هذا الكون كله بما فيه وكل من فيه!. ألا إنما تطلب هدايتهم إلى المنهج القويم: ﴿**وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم**..﴾ فهو يصلهم

بالناموس الذي يحكم فطرتهم، ويصلهم بالوجود كله، ويقودهم في قافلة الوجود إلى خالق الوجود، في استقامة لا تحيد. ألا وإنهم ـ ككل من لا يؤمنون بالآخرة ـ حائدون عن النهج ضالون عن الطريق: ﴿**وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون**. .﴾ فلو كانوا مهتدين لتابعوا بقلوبهم وعقولهم أطوار النشأة التي تحتّم الإيمان بالآخرة، وبالعالم الذي يسمح ببلوغ الكمال الممكن، وتحقيق العدل المرسوم. . فليست الآخرة إلا حلقة من حلقات الناموس الشامل الذي ارتضاه الله لتدبير هذا الوجود.

التوجيه الثاني: ﴿**ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون. ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون. حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون**﴾: هذا التوجيه متصل بالتوجيه الأول، لا يكاد ينفصل عنه إلا بزيادة الدلائل والحجج والبراهين. هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة، والذين تنكبوا الطريق، لا يفيدهم الابتلاء بالنعمة، ولا الابتلاء بالنقمة. . فإن أصابتهم النعمة حسبوا: أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات. وإن أصابتهم النقمة لم تلن قلوبهم، ولم تستيقظ ضمائرهم، ولم يرجعوا إلى الله يتضرعون له ليكشف عنهم الضر. ويظلون كذلك. . حتى يأتيهم العذاب الشديد يوم القيامة. . فإذا هم حائرون آيسون. وهذه صفة عامة لذلك الصنف من الناس: القاسية قلوبهم، الغافلين عن الله، المكذبين بالآخرة. ومنهم المشركون الذين كانوا يواجهون رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ!. . فالاستكانة والتضرع عند مس الضر دليل على الرجوع إلى الله، والشعور بأنه الملجأ والملاذ. والقلب متى اتصل بالله على هذا النحو رق ولان، واستيقظ وتذكر، وكانت هذه الحساسية هي الحارس الواقي من الغفلة والزلل. واستفاد من المحنة والنفع بالبلاء. . فأما حين يسدر في غيه، ويعمه في ضلاله، فهو ميؤوس منه لا يرجى له صلاح. وهو متروك لعذاب الآخرة الذي يفاجئه فيُسقط في يده ويبلس ويحتار وييأس من الخلاص. . ثم يجول معهم جولة أخرى لعلها توقظ وجدانهم إلى دلائل الإيمان في أنفسهم وفي الآفاق من حولهم: ﴿**وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة**. .﴾ فلو تدبر الإنسان خلقه وهيئته، وما زوده الله من الحواس والجوارح. . وما وهبه الله من الطاقات والمدارك لوجد الله، ولاهتدى إليه بهذه الخوارق الدالة على أنه الخالق الواحد الرازق. . فما أحد غير الله بقادر على إبداع

هذه الخلائق.. فهذا السمع وحده. وكيف يعمل؟ كيف يلتقط الأصوات ويكيفها؟ وهذا البصر وحده، وكيف يبصر؟ وكيف يستوعب ويميز الأضواء والأشكال؟ وهذا الفؤاد، ما هو؟ وكيف يدرك؟ وكيف يقدر الأشياء والأشكال، والمعاني والقيم والمشاعر والمدركات؟. إن مجرد معرفة طبيعة هذه الحواس والقوى وطريقة عملها يُعدّ كشفاً معجزاً في عالم البشر. فكيف بخلقها وتركيبها على هذا النحو المتناسق مع طبيعة الكون الذي يعيش فيه الإنسان؛ ذلك التناسق الملحوظ الذي لو اختلت نسبة واحدة من نسبه في طبيعة الكون أو طبيعة الإنسان لفقد الاتصال.. فما استطاعت أذن أن تلتقط صوتاً، ولا استطاعت عين أن تلاحظ ضوءاً.. ولكن القدرة المدبرة نسقت بين طبيعة الإنسان وطبيعة الكون الذي يعيش فيه.. فتمّ هذا الاتصال.. ولكن الإنسان الكافر لا يُشكر على النعمة: ﴿**قليلاً ما تشكرون**..﴾ فالشكر يبدأ بمعرفة واهب النعمة، وتمجيده بصفاته.. ثم عبادته وحده.. فهو الواحد الذي تشهد بوحدانيته آثاره في صنعته. ويتبعه استخدام هذه الحواس والطاقات في تذوق الحياة والمتاع بها بحس العابد لله في كل نشاط وفي كل متاع. ﴿**وهو الذي ذرأكم في الأرض**..﴾ فاستخلفكم فيها بعدما زودكم بالسمع والأبصار والأفئدة، وأمدكم بالاستعدادات والطاقات الضرورية لهذه الخلافة.. ﴿**وإليه تحشرون**..﴾ فيحاسبكم على ما أحدثتم في هذه الخلافة من خير وشر، ومن صلاح وفساد، ومن هدي وضلال.. فلستم بمخلوقين عبثاً، ولا متروكين سدى.. إنما هي الحكمة والتدبير والتقدير. ﴿**وهو الذي يحيي ويميت**..﴾ فالحياة والموت حادثان يقعان في كل لحظة. وليس إلا الله يملك الموت والحياة.. فالبشر ـ أرقى الخلائق ـ أعجز من بث الحياة في خلية واحدة، وأعجز كذلك من سلب الحياة سلباً حقيقياً عن حي من الأحياء.. فالذي يهب الحياة هو الذي يعلم سرها، ويملك أن يهبها ويستردها. والبشر قد يكونون سبباً وأداة لإزهاق الحياة، ولكنهم هم ليسوا الذين يجردون الحي من حياته على وجه الحقيقة.. إنما الله الذي يحيي ويميت وحده دون سواه. ﴿**وله اختلاف الليل والنهار**..﴾ فهو الذي يملكه ويصرّفه ـ كاختلاف الموت والحياة ـ وهو سنة كونية كسنة الموت والحياة. هذه في النفوس والأجساد، وهذه في الكون والأفلاك. وكما يسلب الحياة من الحي فيعتم جسده ويهمد، كذلك هو يسلب الضوء من الأرض فتعتم وتسكن.. ثم تكون حياة ويكون ضياء. يختلف هذا على ذاك بلا

فتور ولا انقطاع إلا أن يشاء الله. . ﴿**أفلا تعقلون**﴾؟ وتدركون ما في هذا كله من دلائل على الخالق المدبر، المالك وحده لتصريف الكون والحياة؟!. وهنا يعدل عن خطابهم وجدالهم، ليحكي مقولاتهم عن البعث والحساب، بعد كل هذه الدلائل والآيات: ﴿**بل قالوا مثل ما قال الأولون. قالوا: أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً إنا لمبعوثون. .**﴾ فتبدو تلك القولة مستنكرة غريبة بعد هذه الآيات والدلائل الناطقة بتدبير الله، وحكمته في الخلق. . فقد وهب الإنسانَ السمعَ والبصر والفؤاد ليكون مسؤولاً عن نشاطه وعمله، مجزياً على صلاحه وفساده. والحساب والجزاء يكونان على حقيقتهما في الآخرة. . فالمشهود على هذه الأرض أن الجزاء قد لا يقع؛ لأنه متروك إلى موعده هناك. والله يحيي ويميت. . فليس شيء من أمر البعث بعسير. . والحياة تدب في كل لحظة، وتنشأ من حيث لا يدري إلا الله. ولم يكف هؤلاء أن تقصر مداركهم عن إدراك حكمة الله وقدرته على البعث. . فإذا هم يسخرون مما يوعَدون من البعث والجزاء، أن كان هذا الوعد قد قيل لهم ولآبائهم من قبل، ولم يقع بعدُ: ﴿**لقد وعدنا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين. .**﴾ فالبعث متروك لموعده الذي ضرب الله له وفق تدبيره وحكمته. لا يستقدم ولا يستأخر تلبية لطلب جيل من أجيال الناس، أو استهزاء جماعة من الغافلين المحجوبين!. ولقد كان مشركوا العرب مضطربي العقيدة لا ينكرون الله ولا ينكرون أنه مالك السماوات والأرض، مدبر السماوات والأرض، المسيطر على السماوات والأرض. . ولكنهم مع ذلك يشركون معه آلهة مُدّعاة، يقولون: إنهم يعبدونها لتقربهم من الله. . وينسبون له البنات. . سبحانه وتعالى عما يصفون. . فهو هنا يأخذهم لمسلماتهم التي يقرون بها ليصحح ذلك الاضطراب في العقيدة، ويردهم إلى التوحيد الخاص الذي تقود إليه مسلماتهم، لو كانوا يستقيمون على الفطرة ولا ينحرفون: ﴿**قل: لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون؟! سيقولون: لله. قل: أفلا تذكرون**﴾؟. . فالأول سؤال عن ملكية الأرض ومن فيها: سيقولون: لله. . ولكنهم مع ذلك لا يذكرون هذه الحقيقة، وهم يتوجهون بالعبادة لغير الله! ﴿**قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم. .**﴾ فهذا سؤال ثانٍ أرقى وأعمق من السؤال الأول. . فهو سؤال عن الربوبية المدبرة، المصرفة للسماوات السبع والعرش العظيم. . والسماوات السبع قد تكون عوالم غيبية سبعة. . والعرش رمز للاستعلاء والهيمنة على الوجود كله.

بما فيه السماوات السبع!.. فمن هو رب السماوات السبع ورب العرش العظيم؟ ﴿**سيقولون: لله..**﴾ ولكنهم مع ذلك لا يخافون رب السماوات السبع والعرش..! وهم يشركون معه أصناماً مهينة ملقاة على الأرض لا تبدي ولا تعيد.. ﴿**قل: أفلا تتقون؟.. قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون**﴾؟.. فهو سؤال ثالث أعم وأشمل مما قبله.. فهو سؤال عن السيطرة والسطوة والسلطان. سؤال عمن بيده ملكية كل شيء، ملكية استيلاء وسيطرة. ومن هو الذي يجير بقوته من يشاء فلا يناله أحد. ولا يملك أحد أن يجير عليه، وأن ينقذ من يريده بسوء من عباده.. مَنْ؟ ﴿**سيقولون: لله**﴾! فما لهم يُصرفون عن عبادة الله؟ وما لعقولهم تنحرف وتتخبط كالذي مسه السحر: ﴿**قل: فأنى تُسحرون**﴾؟ ألا إنه الاضطراب والتخبط الذي يُصاف به المسحورون!. وفي اللحظة المناسبة لتقرير حقيقة ما جاءهم به الرسول ﷺ من التوحيد وبطلان ما يدعونه من الولد والشريك. في اللحظة المناسبة بعد ذلك الجدل يجيء هذا التقرير: ﴿**بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون. ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله..**﴾ يجيء هذا التقرير في أساليب شتى.. بالإضراب عن الجدل معهم.. وتقرير كذبهم.. ثم يفصل فيم هم كاذبون.. ثم يأتي بالدليل الذي ينفي دعواهم ويصور ما في عقيدة الشرك من سخف واستحالة: ﴿**إذن لذهب كل إله بما خلق..**﴾ مستقلاً بما خلقه يصرّفه حسب ناموس خاص.. فيصبح لكل جزء من الكون، أو لكل فريق من المخلوقات ناموس خاص لا يلتقي فيه بناموس عام يصرف الجميع. ﴿**ولعلا بعضهم على بعض..**﴾ بغلبة سيطرته وتصريفه على الكون الذي لا يبقى ولا ينتظم إلا بناموس واحد، وتصريف واحد، وتدبير واحد. وكل هذه الصور لا وجود لها في الكون الذي نشهد وحدة تكوينه بوحدة خالقه، ونشهد وحدة ناموسه بوحدة مدبره. وكل جزء فيه وكل شيء يبدو متناسقاً مع الأجزاء الأخرى بلا تصادم ولا تنازع ولا اضطراب: ﴿**سبحان الله عما يصفون!.. عالم الغيب والشهادة..**﴾ فليس لغيره من خلق يستقل به، ويعلم من دون الله أمره.. ﴿**فتعالى عما يشركون**﴾!. وعند هذا الحد يلتفت عن خطابهم وجدلهم وحكاية حالهم إلى الرسول ﷺ يأمره أن يتوجه إلى ربه مستعيذاً به أن يجعله مع هؤلاء القوم ـ إن كان قد قدر له أن يرى تحقيق ما وعدهم به من العذاب. وأن يستعيذ به كذلك من الشياطين فلا تثور نفسه ولا يضيق صدره بما يقولون:

﴿وقل: رب إما تريني ما يوعدون. رب فلا تجعلني في القوم الظالمين. وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون. ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾.
ورسول الله ﷺ في منجاة من أن يجعله الله مع القوم الظالمين حين يحل بهم العذاب الأليم ويتحقق ما يوعدون ولكن هذا الدعاء زيادة في التوقي، وتعليم لمن بعده ألا يأمنوا مكر الله، وأن يظلوا أبداً أيقاظاً، وأن يلوذوا دائماً بِحِمَى ربّهم. والله قادر على أن يحقق ما وعد به الظالمين في حياة الرسول: **﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾**. كما حصل لقريش بعد هذا.. ولكن في مكة لم يكن إلا الصفح والدفع بالتي هي أحسن: **﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون﴾**. واستعاذة الرسول من همزات الشياطين ودفعاتهم ـ وهو معصوم منها ـ زيادة كذلك في التوقي، وزيادة في الالتجاء إلى الله، وتعليم لأمته وهو قدوتها وأسوتها أن يتحصنوا بالله من همزات الشياطين في كل حين.. بل إن الرسول ليُوجّه إلى الاستعاذة بالله من مجرد قرب الشياطين. لا من همزاتهم ودفعاتهم: **﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾**.

التوجيه الثالث: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت..﴾: في هذا التوجيه يستعرض السياق صورة شاملة من صور الكافرين يبرزها في مشهد يبتدىء بمشهد الاحتضار في الدنيا وينتهي بعد النفخ في الصور بمشاهد القيامة وما فيها من نكال ووبال لأهل الكفر والفسوق والضلال!.. فالآن يبتدىء بمشهد الاحتضار.. فكل فرد من أفراد هؤلاء الكافرين يعلن التوبة عند مواجهة الموت.. فيطلب الرجعة إلى الدنيا ليتدارك ما فات.. فيعلنها أمام ربه ومعه الأشهاد من الملائكة الذين يشهدون قبض روحه: **﴿رب ارجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت!.. كلا إنها كلمة هو قائلها..﴾** فهي كلمة لا معنى لها، ولا مدلول وراءها.. ولا تنبغي العناية بها ولا بقائلها.. فهي كلمة تقال في لحظة الضيق، ليس لها في القلب من رصيد.. وبها ينتهي مشهد الاحتضار. وإذا الحواجز قائمة بين قائل هذه الكلمة والدنيا جميعاً.. فلقد قضي الأمر، وانقطعت الصلات وأغلقت الأبواب: **﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون..﴾** ففي هذا البرزخ يحجز كل متهم ويوقف إلى يوم المحكمة التي يظهر فيها المذنب والبريء.. ثم يستطرد السياق إلى ذلك اليوم، يصوره ويعرضه للأنظار: **﴿فإذا نفخ**

في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون. .﴾ فقد تقطعت الروابط وسقطت القيم التي كانوا يتفاخرون بها ويتعارفون عليها في الدنيا. . كأن لم يكن بينهم نسب ولا لبعضهم على بعض شرف ولا حسب. . «ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم. .» ثم يعرض ميزان الحساب وعملية الوزن في سرعة واختصار: **﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون. ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون. تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون. .﴾** وعملية الوزن بالميزان تجري على طريق القرآن في التعبير بالتصوير وتجسم المعاني العقلية في صور حسية، ومشاهد ذات حركة. . والتصوير العقلي غير التعبير الخيالي. . فالوزن يوم القيامة حقيقة يعقلها العقل البشري من غير شرط إدراكها بالحواس. ومشهد لفح النار للوجوه حتى تكلح وتشوه هيئتها ويكدر لونها ويسوء منظرها. . مشهد مؤذٍ أليم. وهؤلاء الذين خفت موازينهم خسروا كل شيء. . فقد خسروا أنفسهم وحين يخسر الإنسان نفسه فماذا يملك إذن؟!. . وما الذي يتبقى له ـ وقد خسر نفسه التي بين جنبيه وخسر ذاته التي تميزه ـ بعد هذا؟!. . فكأنما لم يكن له وجود!. . وهنا يعدل السياق عن أسلوب الحكاية إلى أسلوب الخطاب والمواجهة. . وقد أطنب مع الذين خفت موازينهم. وأوجز مع الذين ثقلت موازينهم؛ لأن سياق الكلام موجه للمنكرين. . فهو يواجههم أولاً بعذاب الجسم المحرق المغير المنفر. . ثم بعذاب النفس الذي هو أفظع وأشد وقعاً عليها. . فيجتمع العذابان: عذاب الجسم وعذاب الضمير: **﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم. . فكنتم بها تكذبون﴾**؟!. . وكأنما يخيل إليهم ـ وقد سمعوا هذا السؤال ـ أنهم مأذونون في الكلام، مسموح لهم بالرجاء. وأن الاعتراف بالذنب قد يجدي في قبول الرجاء: **﴿قالوا: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين. ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون. .﴾** فهذا اعتراف تتجلى فيه المرارة والشقوة. . ولكن كأنما هم قد تجاوزوا حدهم، وأساءوا أدبهم. . فلم يكن مأذوناً لهم في غير الإجابة على قدر السؤال بنعم أو لا. . بل لعله كان سؤالاً للتبكيت لا يطلب عليه منهم جواب. . فهم يزجرون زجراً عنيفاً قاسياً: **﴿قال: اخسأوا فيها ولا تكلمون. .﴾** اخرسوا واسكتوا سكوت الأذلاّء المهينين. . فإنكم لتستحقون ما أنتم فيه من العذاب الأليم والشقاء المُهين: **﴿إنه كان فريق من عبادي يقولون: ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين. فاتخذتموهم سخرياً حتى**

أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون. .﴾ وكذلك لم يكن جرمكم أنكم كفرتم فحسب، واقتصرتم على أنفسكم بالكفر، وهو جرم عظيم!. . إنما بلغ بكم السفه والتوقّح أن تسخروا ممن آمنوا، وراحوا يرجون غفران ربهم ورحمته. وأن تضحكوا منهم. . حتى ليشغلكم هذا الهذر عن ذكر الله، ويباعد بينكم وبين التدبر والتفكر في دلائل الإيمان المبثوثة في صفحات الوجود. . فانظروا اليوم أين مكانكم ومكان أولئك الذين كنتم تسخرون منهم وتضحكون: **﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون. .﴾** وبعد هذا الرد القاسي المُهين، وبيان أسبابه، وما في هذا البيان من ترذيل وتبكيت. . يبدأ استجواب جديد: **﴿قال: كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾**؟ وإن الله سبحانه ليعلم، ولكنه سؤال لاستصغار أمر الدنيا، واستقصار مكثهم فيها. . وقد باعوا بها حماة الخلود. . وإنهم ليحسون اليوم بضآلتهم وقصر مدتها. . وإنهم ليائسون ضيقو الصدور، لا يعنيهم حسابها وعدتها: **﴿قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين﴾**. فهي إجابة الضيق واليأس والأسى والقنوط. والرد: إنكم لم تلبثوا إلا قليلاً بالقياس إلى ما أنتم عليه مقبلون لو كنتم تحسنون التقدير: **﴿قال: إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون. .﴾** ثم عودة إلى الترذيل والتعنيف على تكذيبهم بالآخرة مع التبصير بحكمة البعث المكنونة منذ أول الخلق: **﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون. .﴾** فحكمة البعث من حكمة الخلق. محسوب حسابها، ومقدر وقوعها، ومدبر غايتها. وما البعث إلا حلقة في سلسلة النشأة تبلغ بها كمالها، ويتم فيها تمامها. ولا يغفل عن ذلك إلا المحجوبون المطموسون، الذين لا يتدبرون حكمة الله الكبرى. وهي متجلية في صفحات الكون، مبثوثة في أطواء الوجود. . وتنتهي سورة الإيمان بتقرير القاعدة الأولى للإيمان. . وإعلان الخسارة الكبرى لمن يشركون بالله، في مقابل الفلاح في أول السورة للمؤمنين. . وبالتوجيه إلى الله في طلب الرحمة والغفران، وهو أرحم الراحمين: **﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم. ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون. وقل: رب غفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾**. هذا التعقيب يجيء بعد مشهد القيامة السابق، وبعدما حوته السورة قبل هذا المشهد من جدل وحجج ودلائل وبينات. يجيء نتيجة طبيعية منطقية لكل محتويات السورة. وهو يشهد بتنزيه الله سبحانه عما يقولون ويصفون. ويشهد بأنه الملك الحق،

والمسيطر الحق، الذي لا إله إلا هو. صاحب السلطان والسيطرة والاستعلاء: رب العرش الكريم. وكل دعوى بألوهية أحد مع الله فهي دعوى ليس معها برهان، لا من الدلائل الكونية، ولا من منطق الفطرة، ولا من حجة العقل. وحساب مدعيها عند ربه، والعاقبة معروفة: إنه لا يفلح الكافرون. سنة نافذة لا تتخلف.. كما أن الفلاح للمؤمنين طرف من الناموس الكبير. وكل ما يراه الناس على الكافرين من نعمة ومتاع، وقوة وسلطان في بعض الأحيان فليس فلاحاً في ميزان القيم الحقيقية.. إنما هو فتنة واستدراج. ينتهي بالوبال في الدنيا.. فإن ذهب بعضهم ناجين في الدنيا فهناك في الآخرة يتم الحساب. والآخرة هي الشرط الأخير من مراحل النشأة، وليست شيئاً منفصلاً في تقدير الله وتدبيره. ومن ثمّ هي ضرورة لا بد منها في النظرة البعيدة. وآخر آية في هذه السورة هي اتجاه إلى الله في طلب الرحمة والغفران: ﴿**وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين**﴾. وهنا يلتقي مطلع السورة وختامها في تقرير الفلاح للمؤمنين والخسران على الكافرين. وفي تقرير صفة الخشوع في الصلاة في مطلعها والتوجه إلى الله بالخشوع في ختامها.. فيتناسق المطلع والختام في ظلال الإيمان والإسلام. ونسأل الله حسن الختام.

3 ـ في أول سورة النور بيان حكم الزنى والقذف والرمي والإفك والفجور



النص:

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿1﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿2﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿3﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿4﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿5﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿6﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿7﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿8﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿9﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿10﴾

۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ
خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ
كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿11﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿12﴾ لَّوۡلَا جَآءُو
عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ
هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿13﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿14﴾
إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ
هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿15﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ
لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿16﴾ يَعِظُكُمُ
ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿17﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿18﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ
أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿19﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ
ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿20﴾
۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ
وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي

مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (21) وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ
وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ
وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٌ (22) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ
لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ (23) يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ
أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (24)
يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ (25)
ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ
وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ
لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ (26) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ
أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ (27)
فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ
وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ (28) لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا
غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ (29)
* قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ
ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ (30)

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ
عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ
أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ
أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ
أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ
بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ
إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31)
وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ
إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (32)
وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ
وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ
إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْ
وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ
عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ (33) وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ
خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (34)

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**سورة أنزلناها وفرضناها. .**﴾ سورة: جزء من القرآن معيّن. له بداية ونهاية وعِدد آيات. أقلها ثلاث آيات، مثل سورة الكوثر. وسميت هذه السورة بسورة النور. أنزلناها: أنزلها الله على رسوله محمد ﷺ. وفرضناها: عيّنّاها. وقدرناها وأوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً. ﴿**وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون. .**﴾ آيات: جمع آية. وهي قطعة من الكلام القرآني دالة على معنى مستقل. ومعنى كونها بينات وضوح دلالاتها على أحكامها. ومعنى لعلكم تذكرون: رجاء أن تتذكروها فتعملوا بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية إلى إجراء أحكامها. ﴿**الزانية والزاني فاجلدوا واحد منهما مائة جلدة. .**﴾ الزانية: هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه. والزاني: هو الرجل الناكح المرأة غير الزوجة والأمة. والجلد: الضرب بسير من الجلد. مشتق من الجلد؛ لأنه ضرب الجلد. ﴿**ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله. .**﴾ الرأفة: رحمة خاصة تنشأ عند مشاهدة ضر بالمرؤوف. ومعنى في دين الله: في طاعته وإقامة حده. وقوله: ﴿**إن كنتم تؤمنون بالله وباليوم الآخر**﴾ من باب التهييج والإلهاب. . فإن الإيمان بهما يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في إجراء أحكامه. ﴿**وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين. .**﴾ الطائفة: فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء. مأخوذ من الطواف. والمراد بالطائفة هنا: جمع يحصل به التشهير والزجر. ﴿**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين**﴾: جيء بهذا الكلام لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن. والغرض منه قطع ظاهرة الزنا في المجتمع المسلم. . ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة. .**﴾ الرمي، حقيقته قذف شيء من اليد. . ثم استعمل في نسبة فعل أو وصف إلى شخص. والمراد به هنا: قذف المرأة العفيفة بالزنا. . والمحصنات: جمع محصنة. مأخوذ من أحصن الشخص الشيء إذا منعه من الإضاعة واستيلاء الغير عليه. والمحصنة المرأة التي أحصنها زوجها من الوقوع في الزنا. وحدّ القذف هذا ثمانون جلدة. ﴿**ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون. إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله**

غفور رحيم. .﴾ فهذا زيادة في حكم القاذف على الجلد بأن لا تقبل شهادته ويوصف بالفسق ما دام على حاله هذا فإن تاب وأصلح فقد خرج من وصف الفسق. أما حد القذف فقد مضى بالجلد. أما قبول شهادته بعد التوبة فقد اختلف الفقهاء فيه. والتوبة: الإقلاع عن الذنب، والندم على ما فعل من الذنب، والعزم على أن لا يعود إلى الذنب. ومعنى أصلحوا: فعلوا الصلاح. **﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادت بالله إنه لمن الصادقين﴾**.

﴿والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. ويدرؤُ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادت بالله إنه لمن الكاذبين. والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾: هذا حكم اللعان بين الزوجين. وهي رمي الزوج زوجته بالزنا. . فيحكم القاضي باللعان: بأن يشهد الزوج ويقسم أربع مرات بأنه رآها أو علم أنها زنت. وأنه صادق فيما يدعي. . ثم يحلف يميناً خامساً: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. . ثم تأتي الزوجة فتشهد وتقسم أربع مرات إنه لمن الكاذبين عليها. . ثم تحلف يميناً خامساً: أن غضب الله عليها إن كان صادقاً فيما يدّعي. . فإن شهدت هذه الشهادة وأقسمت هذا القسم سلمت من حد الزنا. وحكم القاضي بالفراق الأبدي. . وتفاصيل الحكم في كتب الفقه المبنية على الكتاب والسنة المبينة لعمل السلف الصالح في هذا الحكم. **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾**: لولا تفضل الله تعالى عليكم ورحمته بكم، وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع أفعاله وأحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان!. . **﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم. .﴾** الإفك: الكذب والافتراء والبهتان. وهو مشتق من الأفلاك. وهو قلب الشيء؛ لأنه مأفوك عن وجهه وسننه. والمراد به هنا ما أفك به الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها. وفي لفظ المجيء إشارة إلى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل. العصبة، والعصابة: الجماعة الذين تربطهم رابطة مودة أو نسب أو حاجة. . **﴿لا تحسبوه شراً لكم. . بل هو خير لكم. . لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم. .﴾** لكل واحد من العصبة ما تحمل من إثم الإفك. . وهم جماعة المنافقين الذين أشاعوا هذا الإفك فيما بينهم. . **﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾**: هو زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن

سلول.. فقد أشاع هذا الإفك ونشره بين الناس حتى دخل على بعض المسلمين وانطلى عليهم.. فكان عبد الله هذا من ألد أعداء الإسلام فاستحق العذاب العظيم: لعنة الدنيا وعذاب الآخرة. ﴿**لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين..**﴾ فلولا هنا للتخصيص. وفيها معنى التوبيخ والزجر.. فكان الواجب أن يظن المؤمنون والمؤمنات أول ما سمعوه ممن اخترعه من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيراً وقالوا هذا إفك مبين بَيِّنٌ مكشوف كونه إثماً.. فكيف بالصديقة ابنة الصديق أم المؤمنين؟! ﴿**لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء..**﴾ هلاّ جاءوا على القذف لو كانوا صادقين بأربعة شهداء؟ ﴿**فإذا لم يأتوا بالشهداء**﴾ الأربعة ﴿**فأولئك عند الله هم الكاذبون. ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم..**﴾ أفاض في الحديث: خاض واندفع دون تروٍّ.. ﴿**إذ تلقونه بألسنتكم..**﴾ التلقي: قبول الشيء بسرعة دون النظر في أمره. ﴿**وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم**﴾: تقولون قولاً بالأفواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ في القلوب. ﴿**وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم..**﴾ الهيّن: السهل الذي لا تبعة فيه.. ﴿**ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾: هلا قلتم إذ سمعتم الإفك ما يصح لنا أن نتكلم بهذا.. ﴿**يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين..**﴾ الوعظ: النصح والتحريض على النافع والنهي والتحذير من الضار. والوعظ هنا التحذير مما وقع.. ﴿**ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم..**﴾ الآيات: الدلائل الواضحة وأحكام الشرائع والآداب الجميلة. ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون..**﴾ شيوع الفاحشة: انتشارها بين الناس.. والفاحشة: الفعلة التي يترتب عليها الذم والمعرّة.. وأقبحها فاحشة الزنا. والمراد بشيوعها شيوع خبرها. والمعنى: يحبون شيوعها ويتصدرون مع ذلك لإشاعتها. ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم**﴾: لولا فضل الله ورحمته ورأفته لعجل لكم العذاب بسبب ما حصل وشاع بينكم من قيل وقال.. ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾: مسالكه وآثاره ووساوسه بالإصغاء إلى ما يثيره أولياؤه من فعل أو قول مثل ما حصل بينكم من قول الإفك. وأصل الخطوة اسم لنقل الماشي إحدى قدميه التي كانت متأخرة عن القدم الأخرى وجعلها متقدمة

عليها. ﴿**ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر**..﴾ الفحشاء: كل فعل أو قول قبيح. والمنكر: ما تنكره الشريعة، وينكره أهل الخير، وما تنكره النفوس فتفر عنه ولا ترتضيه. ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم**﴾: جواب لولا ما زكى منكم.. والمعنى: ولولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهُر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك. ﴿**ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله**..﴾ الائتلاء الحلف. والمعنى: ولا يحلف أصحاب الكرم والمال على أن لا يعطوا قرابتهم والمحتاجين والمنقطعين في سبيل الله. ﴿**وليعفوا وليصفحوا**..﴾ العفو: الستر. والصفح: الإعراض. ﴿**ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**﴾: في هذا ترغيب في العفو والصفح ووعد كريم بمقابلته؛ كأنه قيل: ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟.. فهذا من موجباته. ﴿**إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم**..﴾ الرمي هنا: القذف بالزنى. والمحصنات: العفيفات النزيهات الشريفات.. الغافلات: اللاتي لم تخطر ببالهن الفاحشة ولم تسمع عنها.. المؤمنات: المتصفات بالإيمان الفطري والشرعي.. لعنوا: طردوا من رحمة الله ورضى الناس في الدنيا. ولهم عذاب في الآخرة: ﴿**يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**..﴾ كائن لهم عذاب عظيم في ذلك اليوم.. ﴿**يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين**﴾: يوم إذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله جزاءهم الثابت. ويعلمون يومها أن الله هو الحق المبين. ﴿**الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات**..﴾ الخبيثات جمع خبيثة: والخبيثون جمع خبيث. والخبيث: ضد الطيب من الرزق والولد والناس. والخبيث الرديء من كل شيء. والدنيء من الناس. والخبء اللئيم. ﴿**والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات**﴾: الطيب ضد الخبيث. وهذا الكلام جرى مجرى المثل. ﴿**أولئك مبرءون مما يقولون**﴾: أولئك الطيبون والطيبات منزهون عما يقول الخبيثون والخبيثات. ﴿**لهم مغفرة ورزق كريم**﴾: تكفل الله لهم بالمغفرة والرزق الكريم في الدنيا والآخرة. ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلّموا على أهلها**..﴾ بيت الإنسان: محله الذي يسكنه ويبيت فيه. وسمي البيت بيتاً لأنه محل المبيت. والاستئناس:

الاستئذان والاستعلام. من أنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً. والسلام: التحية. ﴿**ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون**﴾: ذلك الاستئناس والسلام خير من الدخول بدون استئذان وكلام.. ﴿**فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم..**﴾ فلا بد من وجود من يملك الإذن بالدخول.. فإن لم يجده فلا يدخل.. حتى يجيء ويأذن بالدخول. ﴿**وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا..**﴾ فهو وقت غير مسموح فيه بالدخول. ﴿**هو أزكى لكم..**﴾ فهو صيانة وحفظ لأهل البيت ولمن يريد الدخول. ﴿**والله بما تعملون عليم. ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم**﴾: البيوت غير المسكونة: المحلات العامة التي ليست سكناً لناس معينين. وفيها متاع لكم: حاجة ومنفعة مما اقتضت العادة دخولها.. مثل الخانات والحوانيت، وغيرها مما فيها مصلحة عامة لكافة الناس. ﴿**والله يعلم ما تبدون وما تكتمون**﴾: وعيد لمن يدخل مدخلاً من هذه المداخل لفساد أو اطلاع على عورات. ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم..**﴾ غض البصر: صرف المرء بصره عن التحديق وتثبيت النظر على شيء معين. ومادة الغض تفيد معنى الخفض والنقص. ويحفظوا فروجهم: يمنعونها من الوقوع في الزنا.. ﴿**ذلك**﴾: المأمور به من غض البصر وحفظ الفرج. ﴿**أزكى لهم**﴾: أطهر وأنقى وأتقى.. ﴿**إن الله خبير بما يصنعون.. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن..**﴾ فهو أمر للنساء كما هو أمر للرجال. ﴿**ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها..**﴾ الإبداء: الإظهار بقصد. والزينة: كل ما فيه جمال وحسن زائد على أصل الفطرة؛ كالتزيين باللباس الفاخر والحلي والتعطر بأنواع الطيب. وما ظهر منها دون قصد، مثل الوجه واليدين واللباس الذي لا يقصد به إظهار الزينة.. ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن..**﴾ الضرب: الإلقاء. والخِمار: ثوب تضعه المرأة على رأسها لتستر شعرها وجيدها وأذنيها. والجيب: طوق القميص مما يلي الرقبة. وهو مدخل الرأس من القميص. ﴿**ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء..**﴾ بعل المرأة: زوجها. وهو أخص الناس بالتمتع بزينة زوجته. وله أن ينظر إلى كل شيء منها. وبقية المحارم من المرأة لهم أن ينظروا إلى زينة المرأة

المباحة لهم. وللمرأة أن تنظر إلى زينة المرأة المباحة رؤيتها. وكذلك الرجال الذين لا إربة لهم في شؤون النساء. وهم مثل الأطفال الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال ولم يطلعوا على ما يتعلق بالنساء من شهوة الوقاع.. ﴿**ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن**﴾: ولا يضربن بأرجلهن الأرض ليظهر حس الحلي من خلخال في الرجل، أو عقود يظهر حسها بالحركة. ﴿**وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾: تحذير وتنبيه للمؤمنين من الوقوع في هذه المسالك والمزالق الخطيرة وهو ما كان عليه الناس من اختلاط النساء بالرجال والتبرج وظهور النساء في الميادين والطرقات قصد الفتنة والفساد. ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم**..﴾ الأيامى: جمع أيم. وهي المرأة التي لا زوج لها. ﴿**والصالحين من عبادكم وإمائكم**﴾: كلهن يصلح للزواج من المماليك. ﴿**إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**..﴾ فهذا تحريض على الزواج. ولا يكون الفقر عائقاً عنه؛ لأن الله يغني الفقير من فضله.. ولكن لا يستعجل الفقير قبل أن يكون له سبب يتمسك به من أسباب الرزق: ﴿**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله**..﴾ الاستعفاف: الاجتهاد في العفة وقمع الشهوة الملحة على التسرع في طلب النكاح قبل وجود أسبابه.. ﴿**والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً**..﴾ الكتاب: مصدر كاتب إذا عاقد على تحصيل الحرية من الرق على قدر معين من المال يدفع لسيد العبد منجماً. ومعنى إن علمتم فيهم خيراً: أمانة ورشداً وقدرة على أداء البدل بتحصيله من وجه حلال، وصلاحاً لا يؤذي الناس بعد العتق وإطلاق العِنان. ﴿**وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**﴾: أمر بمساعدة المكاتبين.. حتى يتخلصوا من الرق الذي هم مكبلون فيه.. ﴿**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً**..﴾ إكراه الفتيات على البغاء كان معمولاً به في الجاهلية لغرض كسب المال منه. والبغاء: مصدر باغت الجارية إذا تعاطت الزنى بالأجرة حرفة لها. وهو مشتق من البغْي؛ وهو الطلب. ومعنى إن أردن تحصناً: تعففاً عن الزنى. وإنما قيده بهذا الشرط لأن الإكراه لا يكون إلا مع إرادة التحصن.. فأمر المطيعة للبغاء لا يسمى مُكرها، ولا أُمره إكراهاً. ﴿**لتبتغوا عرض الحياة الدنيا**﴾: علة لإكراه الفتيات على الزنى. وهو كسب المال عن طريقَهن.. ﴿**ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم**﴾: ومن يكرهون بعدما تبين هذا الحكم فالإثم عليه وحده وهن معذورات حتى يزول

عنهن الإكراه.. وهو تهديد شديد لمن كان يتعاطى هذا الأمر من المنافقين.
﴿**ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات**﴾: والله لقد أنزلنا إليكم في هذه السورة آيات مبيَّنات من معاني الأحكام والحدود، موضَّحات محدَّدات المعالم والحدود.
﴿**ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين**﴾: هذه الآيات مبينات ومثل مضروب لكل من يعتبر وموعظة للمتقين الذين وقوا نفوسهم مواقع الشر والضرر.

مبحث الإعراب

﴿**سورةٌ**﴾ خبر لمبتدإ محذوف. أي هذه سورة. ﴿**أنزلناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت لسورة. ﴿**وفرضناها**﴾ عطف على أنزلناها. وهي مثلها في الإعراب. ﴿**وأنزلنا**﴾ فعل وفاعل معطوف على أنزلناها كذلك. ﴿**فيها**﴾ متعلق بأنزلنا. ﴿**آيات**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿**بينات**﴾ نعت لآيات. ﴿**لعلكم**﴾ لعل واسمها. ﴿**تذكرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر لعلّ. ﴿**الزانية**﴾ مُبتدأ. ﴿**والزاني**﴾ معطوف عليه مرفوع بضمة مقدرة على الياء. ﴿**فاجلدوا**﴾ فعل أمر للجماعة. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**كلّ**﴾ مفعول به. ﴿**واحدٍ**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**منهما**﴾ متعلق بمحذوف نعت لواحد. ﴿**مائة**﴾ مفعول مطلق. ﴿**جلدة**﴾ مضاف إلى مائة. ﴿**ولا تأخذكم**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والضمير المتصل بالفعل مفعول به. ﴿**بهما**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**رأفةٌ**﴾ فاعل. ﴿**في دين**﴾ متعلق بمحذوف نعت لرأفة. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دين. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها. دخل عليها حرف الشرط. ﴿**تؤمنون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجواب الشرط محذوف يدل عليه النهي المتقدم. ﴿**بالله**﴾ متعلق بتؤمنون. ﴿**واليوم**﴾ عطف على الله. ﴿**الآخر**﴾ نعت ليوم. ﴿**وليشهد**﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر. والواو للعطف. ﴿**عذابهما**﴾ مفعول به. ﴿**طائفة**﴾ فاعل. ﴿**من المؤمنين**﴾ متعلق بمحذوف نعت لطائفة. ﴿**الزاني**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الياء. ﴿**لا ينكح**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير يعود على الزاني. ﴿**إلا زانية**﴾ مفعول به دخل عليه حرف الاستثناء. ﴿**أو مشركة**﴾ معطوف على زانية. ﴿**والزانية**﴾ مبتدأ. ﴿**لا ينكحها**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**إلا زان**﴾ فاعل مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين دخل عليه حرف الاستثناء. ﴿**أو مشرك**﴾ معطوف على زان. ﴿**وحُرِّم**﴾ فعل ماضٍ

مبني للمجهول. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع نائب الفاعل. ﴿**على المؤمنين**﴾ متعلق بحُرّم. والجملة معطوفة على قوله: ﴿**الزاني**. .﴾ ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يرمون المحصنات**﴾ فعل وفاعل ومفعول. وجملة يرمون صلة الذين ثم لم يأتوا فعل جُزم بلم وفاعل دخل عليه حرف العطف ـ ثم. ﴿**بأربعة**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**شهداء**﴾ مضاف إلى أربعة مجرور بالفتحة. ﴿**فاجلدوهم**﴾ فعل أمر وفاعل ومفعول. والفاء لربط الخبر بالمبتدإ لشبهه بالشرط. ﴿**ثمانين**﴾ مفعول مطلق. ﴿**جلدة**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**ولا تقبلوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. والواو للعطف. ﴿**لهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**شهادة**﴾ مفعول به. ﴿**أبداً**﴾ ظرف زمان منصوب بالفتحة متعلق بقوله: ﴿**ولا تقبلوا**. .﴾ ﴿**وأولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ ثانٍ. ﴿**الفاسقون**﴾ خبر المبتدإ الثاني. والمبتدأ الثاني وخبره خبر أولئك. ﴿**إلا الذين**﴾ في محل نصب بالاستثناء. ﴿**تابوا**﴾ فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿**من بعد**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى بعد. ﴿**وأصلحوا**﴾ معطوف على تابوا. ﴿**فإن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**غفور رحيم**﴾ خبرها. والجملة تعليلية والفاء لربط العلة بمعلولها. ﴿**والذين يرمون أزواجهم**﴾ إعرابها مثل إعراب والذين يرمون المحصنات. ﴿**ولم يكن**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر يكن. ﴿**شهداء**﴾ اسم يكن. ﴿**إلا أنفسُهم**﴾ بدل من شهداء. وإلا أداة استثناء ملغاة. ﴿**فشهادة**﴾ خبر لمبتدإ محذوف. أي: فالواجبُ شهادة. والفاء للترتيب والتعقيب. ﴿**أحدهم**﴾ مضاف إلى شهادة. ﴿**أربعَ**﴾ مفعول مطلق. ﴿**شهادات**﴾ مضاف إلى أربع. ﴿**بالله**﴾ متعلق بشهادات. ﴿**إنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لمن الكاذبين**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. وجملة إنه لمن الكاذبين جواب القسم. ﴿**والخامسة**﴾ مبتدأ. ﴿**أنْ**﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن. ﴿**لعنة**﴾ مبتدأ. ﴿**الله**﴾ مضاف إليه. ﴿**عليه**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. وجملة المبتدإ والخبر خبر أن المخففة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع خبر المبتدإ. ﴿**إن كان**﴾ اسمها ضمير يعود على أحدهم. . ﴿**من الكاذبين**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. وكان واسمها وخبرها فعل شرط إن. وجواب الشرط محذوف يدل عليه قوله: ﴿**أن لعنة الله عليه**﴾. ﴿**ويدرأُ**﴾ فعل مضارع. والواو للعطف. ﴿**عنها**﴾ متعلق بيدرأ. ﴿**العذابَ**﴾ مفعول به. ﴿**أن تشهد**﴾ فعل مضارع دخلت عليه أن المصدرية

الناصبة. والفاعل ضمير الزوجة. ﴿**أربع**﴾ مفعول مطلق. ﴿**شهادات**﴾ مضاف إلى أربع. ﴿**بالله**﴾ متعلق بشهادات. وجملة ﴿**إنه لمن الكاذبين**﴾ مثل جملة ﴿**إنه لمن الصادقين**﴾. وجملة ﴿**أن تشهد مؤول**﴾ بمصدر مرفوع فاعل يدرأ. ﴿**والخامسة**﴾ مبتدأ. أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن. ﴿**غضب الله**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر أن. ﴿**عليها**﴾ متعلق بغضب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع خبر الخامسة. ﴿**إن كان من الصادقين**﴾ جملة شرطية وجوابها محذوف؛ مثل قوله: ﴿**والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين**﴾. ﴿**ولولا**﴾ حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿**فضل**﴾ مبتدأ. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى فضل. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بفضل. ﴿**ورحمته**﴾ معطوف على المبتدإ. والخبر محذوف. أي: موجود. ﴿**وأن الله**﴾ أن واسمها. ﴿**تواب حكيم**﴾ خبر أنّ. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع معطوف على المبتدإ. وجواب لولا محذوف لتهويله والإشعار بضيق العبارة عن حصره. ﴿**إن الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**جاءوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**بالإفك**﴾ متعلق بجاءوا. ﴿**عصبة**﴾ خبر إنّ. ﴿**منكم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لعصبة. ﴿**لا تحسبوه**﴾ فعل وفاعل مفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿**شراً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**لكم**﴾ متعلق به. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب.. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**خير**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**لكم**﴾ متعلق به. ﴿**لكل**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**امرىء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لامرىء. ﴿**ما**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**اكتسب**﴾ فعل ما. والفاعل ضمير يعود على امرىء. ﴿**من الإثم**﴾ متعلق باكتسب. وجملة اكتسب صلة ما. ﴿**والذي**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**تولى**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على الذي. ﴿**كبره**﴾ مفعول به. ﴿**منهم**﴾ متعلق بتولى. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عذاب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**عظيم**﴾ نعت لعذاب. وجملة لهم عذاب عظيم خبر الذي. وجملة تولى صلة الموصول. ﴿**لولا**﴾ حرف تحضيض. ﴿**إذ سمعتموه**﴾ فعل وفاعل ومفعول فعل شرط إذ. ﴿**ظن المؤمنون**﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب شرط إذْ. ﴿**والمؤمنات**﴾ معطوف على الفاعل. ﴿**بأنفسهم**﴾ متعلق بظن. ﴿**خيراً**﴾ مفعول به. أي: ظن المؤمنون.. حين سمعوا.. ﴿**وقالوا**﴾ فعل وفاعل معطوف على ظن. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**إفك**﴾ خير المبتدإ. ﴿**مبين**﴾ نعت لإفك. وجملة المبتدإ والخبر في محل نصب مقول القول. ﴿**لولا**

جاءوا﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التخصيص. **﴿عليه﴾** متعلق بجاءوا. **﴿بأربعة﴾** متعلق به أيضاً. **﴿شهداء﴾** مضاف إلى أربعة مجرور بالفتحة.. **﴿فإذْ لم يأتوا﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. والظرف المتضمن معنى الشرط وفاء التعقيب. **﴿بالشهداء﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿فأولئك﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿عند﴾** منصوب على الظرفية متعلق بالخبر بعده. **﴿الله﴾** مضاف إلى الظرف. **﴿هم﴾** في محل رفع مبتدأ ثانٍ. **﴿الكاذبون﴾** خبر المبتدإ الثاني. والمبتدأ الثاني وخبره خبر أولئك. وجملة فأولئك عند الله هم الكاذبون جواب شرط إذ. **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾** تقدم إعراب مثلها. **﴿لمسكم﴾** فعل ماضٍ. والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿فيما﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿أفضتم﴾** فعل وفاعل. والجملة صلة ما. **﴿فيه﴾** متعلق بأفضتم. **﴿عذاب﴾** فاعل مسّ. **﴿عظيم﴾** نعت لعذاب. وجملة **﴿لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾** جواب لولا والرابط للجواب اللام في لمسكم. **﴿إذ﴾** في محل نصب. ظرف متعلق بقوله: **﴿لمسكم﴾**. **﴿تلقونه﴾** فعل وفاعل ومفعول. والجملة في محل جر مضافة إلى إذ. **﴿بألسنتكم﴾** متعلق بتلقونه. **﴿وتقولون﴾** فعل وفاعل معطوف على تلقونه. **﴿بأفواهكم﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿ما﴾** في محل نصب مفعول به. **﴿ليس﴾** فعل ماضٍ ناقص. **﴿لكم﴾** متعلق بمحذوف خبر ليس. **﴿به﴾** متعلق بما بعده: **﴿علم﴾** اسم ليس. وجملة **﴿ليس لكم به علم﴾** صلة ما. **﴿وتحسبونه﴾** فعل وفاعل ومفعول معطوف على تلقونه.. **﴿هيناً﴾** مفعول ثانٍ. **﴿وهو﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿عند﴾** ظرف متعلق بالخبر. **﴿الله﴾** مضاف إلى الظرف. **﴿عظيم﴾** خبر المبتدإ. والجملة معطوفة على **﴿وتحسبونه هيناً﴾**. **﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم﴾** إعرابه مثل قوله: **﴿ولولا إذ سمعتموه ظن..﴾** **﴿ما يكون﴾** فعل مضارع ناقص منفي بما. **﴿لنا﴾** متعلق بمحذوف خبر يكون مقدم. **﴿أن نتكلم﴾** فعل مضارع منصوب بأن المصدرية. والفاعل نحن. **﴿بهذا﴾** متعلق بالفعل قبله. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع اسم يكون. وجملة **﴿ما يكون لنا أن نتكلم بهذا﴾** مقول القول. **﴿سبحانَك﴾** مفعول مطلق منصوب بالفتحة. والضمير فيه مضاف إليه. **﴿هذا﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿بهتان﴾** خبره. **﴿عظيم﴾** نعت لبهتان. **﴿يعظكم﴾** فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. **﴿الله﴾** فاعل. **﴿أن تعودوا﴾** فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناهية. **﴿لمثله﴾** متعلق بالفعل

قبله. ﴿**أبداً**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بأن تعودوا. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر حذف إطراداً متعلق بيعظكم. ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ كان واسمها وخبرها فعل شرط إن. وجوابها محذوف.. ﴿**ويبين**﴾ فعل مضارع معطوف على يعظكم. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**لكم**﴾ متعلق بيبين. ﴿**الآيات**﴾ مفعول به. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**عليم حكيم**﴾ خبر المبتدإ. والجملة تذييل. ﴿**إن الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يحبون**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**أن تشيع الفاحشة**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يحبون. أي: يحبون شيوعَ الفاحشة. ﴿**في الذين**﴾ متعلق بتشيع. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عذابٌ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. وجملة ﴿**لهم عذاب أليم**﴾ خبر إنّ. ﴿**في الدنيا**﴾ متعلق بالخبر. والآخرة معطوف على الدنيا. ﴿**واللَّهُ**﴾ مبتدأ. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإ. وأنتم في محل رفع مبتدأ. ﴿**لا تعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدأ. وجملة ﴿**وأنتم لا تعلمون**﴾ معطوفة على جملة ﴿**والله يعلم**﴾. والجملة تذييل مقرر لثبوت العذاب الأليم لهم. ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته**﴾ تقدم إعراب مثله. ﴿**وأنّ الله رؤوف رحيم**﴾ مثل ما سبق في قوله: ﴿**وأن الله تواب حكيم**﴾. ﴿**يا أيها**﴾ أيُّ منادي مبني على الضم في محل نصب. وها للتنبيه. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب نعت لأيُّ. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**لا تتبعوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿**خطواتِ**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿**الشيطان**﴾ مضاف إلى خطوات. ﴿**ومَنْ**﴾ اسم شرط جازم. ﴿**يتبع**﴾ فعل الشرط مجزوم بالسكون. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**خطوات الشيطان**﴾ مفعول ومضاف إليه. ﴿**فإنه**﴾ إن واسمها. ﴿**يأمر**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الشيطان. وجملة ﴿**يأمر**﴾ خبر إنّ. ﴿**بالفحشاء**﴾ متعلق بيأمر. ﴿**والمنكر**﴾ معطوف على الفحشاء. وجملة ﴿**فإنه يأمر..**﴾ علة للجواب المقدر؛ والتقدير: ومن يتبع خطوات الشيطان فقد ارتكب الفحشاء والمنكر؛ لأن الشيطان يأمر بهما. ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**ما زكى**﴾ فعل ماضٍ منفي بما. ﴿**منكم**﴾ متعلق بزكى. ﴿**من أحد**﴾ فاعل زكى جر بحرف الجر الزائد لفظاً في محل رفع. ﴿**أبداً**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بقوله: ﴿**ما زكى**﴾. ﴿**ولكن اللَّهَ**﴾ اسم لكن. والواو

للعطف. ﴿**يزكي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر لكنّ. ﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول يزكي. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة مَنْ. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**سميع عليم**﴾ خبره. والجملة تذييل. ﴿**ولا يأتل**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. وعلامة جزمه حذف حرف العلة. والواو للعطف. ﴿**أولوا**﴾ فاعل يأتل مرفوع بالواو. ﴿**الفضل**﴾ مضاف إلى أولوا. ﴿**منكم**﴾ متعلق بمحذوف حال من أولوا الفضل. ﴿**والسعة**﴾ معطوف على الفضل. ﴿**أن يؤتوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف المصدر الناصب. ﴿**أولي**﴾ مفعول به منصوب بالياء. ﴿**القربى**﴾ مضاف إلى أولي مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**والمساكين والمهاجرين**﴾ معطوفان على أولي. ﴿**في سبيل**﴾ متعلق بالمهاجرين. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**وليعفوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه لام الأمر الجازم. والواو للعطف. ﴿**وليصفحوا**﴾ معطوف على قوله: ﴿**وليعفوا**﴾. ﴿**ألا تحبون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفتاح. ﴿**أن يغفر الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف المصدر الناصب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول تحبون. ﴿**لكم**﴾ متعلق بيغفر. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**غفور رحيم**﴾ خبره. والجملة تذييل. ﴿**إن الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يرمون المحصنات**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**الغافلات المؤمنات**﴾ نعتان للمحصنات. ﴿**لُعِنُوا**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل خبر إنّ. ﴿**في الدنيا**﴾ متعلق بلعنوا. ﴿**والآخرة**﴾ معطوف على الدنيا. ﴿**ولهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عذاب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**عظيم**﴾ نعت لعذاب. والجملة معطوفة على لعنوا. ﴿**يوم**﴾ ظرف زمان منصوب بالفتحة متعلق بالخبر في قوله: ﴿**ولهم عذاب عظيم**﴾. ﴿**تشهد**﴾ فعل مضارع. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بتشهد. ﴿**ألسنتهم**﴾ فاعل تشهد. ﴿**وأيديهم وأرجلُهم**﴾ معطوفان على ألسنتهم. ﴿**بما**﴾ متعلق بتشهد. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة ﴿**كانوا يعملون**﴾ صلة ما. ﴿**يومئذ**﴾ يوم إذ تشهد عليهم. . ﴿**يوفيهم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**دينهم**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**الحقَّ**﴾ نعت لدينهم. ﴿**ويعلمون**﴾ فعل وفاعل معطوف على يوفيهم. ﴿**أنّ الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الحقّ**﴾ خبره. المبين نعت للحق. وجملة ﴿**هو الحق**﴾ خبر أن. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب

مفعول يعلمون. ﴿**الخبيثات**﴾ مبتدأ. ﴿**للخبيثين**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**والخبيثون للخبيثات**﴾ معطوف على المبتدإ والخبر قبله. ﴿**والطيبات للطيبين**﴾ إعرابها مثل إعراب قوله: ﴿**الخبيثات للخبيثين**﴾. ﴿**والطيبون للطيبات**﴾ كذلك. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**مبرؤون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**مما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**يقولون**﴾ فعل وفاعل. صلة ما. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مغفرة**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**ورزق**﴾ معطوف على مغفرة. ﴿**كريم**﴾ نعت لرزق. ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**لا تدخلوا بيوتاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿**غير**﴾ نعت لبيوتاً. ﴿**بيوتكم**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**حتى تستأنسوا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى. وواو الجماعة فاعل. والفعل مؤول بمصدر مجرور بحتى متعلق بقوله: ﴿**لا تدخلوا**﴾. ﴿**وتسلموا**﴾ معطوف على تستأنسوا. ﴿**على أهلها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ذلكم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**خير**﴾ خبره. ﴿**لكم**﴾ متعلق بخير. ﴿**لعلكم**﴾ لعلّ واسمها. ﴿**تذكرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر لعل. ﴿**فإن لم تجدوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لم الجازمة وإن الشرطية وفاء التعقيب. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أحداً**﴾ مفعول به. ﴿**فلا تدخلوها**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم والفاء الرابطة لجواب الشرط. ﴿**حتى يؤذن**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن مضمرة بعد حتى الجارة للمصدر. والجار والمجرور متعلق بقوله: ﴿**فلا تدخلوها**﴾. ﴿**لكم**﴾ متعلق بيؤذن. نائب عن الفاعل. ﴿**وإن قيل**﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول فعل شرط إن. ﴿**لكم**﴾ متعلق بقيل. ﴿**ارجعوا**﴾ فعل أمر للجماعة مقول القول. ﴿**فارجعوا**﴾ جواب شرط إن. واقترن بالفاء لأنه فعل طلب. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أزكى**﴾ خبر المبتدإ. مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**لكم**﴾ متعلق بأزكى. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**بما**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**عليم**﴾ خبر المبتدإ. والجملة تذييل. ﴿**ليس**﴾ فعل ماضٍ ناقص. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**جناح**﴾ اسم ليس مقدم. ﴿**أن تدخلوا بيوتاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر؛ والتقدير: ليس عليكم جناح في دخولكم بيوتاً ﴿**غير**﴾ نعت لبيوتاً. ﴿**مسكونة**﴾ مضافة إلى غير. ﴿**فيها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**متاع**﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿**لكم**﴾ متعلق بمتاع. وجملة ﴿**فيها متاع**﴾ علة للجملة التي قبلها. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. وفاعله ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**تبدون**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**وما تكتمون**﴾ معطوف على ما تبدون. والجملة تذييل. ﴿**قل للمؤمنين**﴾ متعلق بقل. ﴿**يغضوا**﴾ فعل وفاعل. والفاعل مجزوم في جواب الأمر. ﴿**من أبصارهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ويحفظوا فروجهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على قوله: ﴿**يغضوا**. .﴾ ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أزكى**﴾ خبره. ﴿**لهم**﴾ متعلق به. ﴿**إن الله خبير**﴾ جملة إنّ واسمها وخبرها تعليلية. ﴿**بما**﴾ متعلق بخبير. ﴿**يصنعون**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**وقل للمؤمنات**﴾ معطوف على قل للمؤمنين. ﴿**يغضضن**﴾ فعل مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة في محل جزم. . ﴿**من أبصارهن**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ويحفظن**﴾ معطوف على يغضضن. ﴿**فروجهن**﴾ مفعول به. ﴿**ولا يبدين**﴾ فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة في محل جزم بلا الناهية. ﴿**زينتهن**﴾ مفعول به. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول. ﴿**ظهر**﴾ صلة ما. ﴿**منها**﴾ متعلق بظهر. ﴿**وليَضْرِبْن**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. والفعل مبني على السكون في محل جزم بلام الأمر. ﴿**بخمرهن على جيوبهن**﴾ متعلقان بيضربْن. ﴿**ولا يبدين زينتهن**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**إلا لبعولتهن**﴾ متعلق بيبدين المستثنى من قوله ولا يبدين زينتهن لأحد إلا لهؤلاء المذكورين أو آبائهن. معطوف على بعولتهن. ﴿**أو آباء بعولتِهنّ أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن**﴾ كلها بالجر عطف على المجرور السابق. ﴿**أو ما**﴾ في محل جر مثل المعطوفات السابقة. ﴿**ملكت أيمانهن**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**أو التابعين**﴾ عطف على المجرورات. ﴿**غير**﴾ نعت للتابعين. ﴿**أولي**﴾ مضاف إلى غير مجرور بالياء. ﴿**الإربة**﴾ مضاف إلى أولي. ﴿**من الرجال**﴾ متعلق بالإربة. ﴿**أو الطفل**﴾ من جملة المعطوفات. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت للطفل. ﴿**لم يظهروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. والجملة صلة الذين. ﴿**على عورات**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولا يضربن**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. والواو للعطف. ﴿**بأرجلهن**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ليعلم**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿**ما**﴾ في محل رفع نائب الفاعل. ﴿**يخفين**﴾ فعل وفاعل والجملة

صلة ما. ﴿**من زينتهن**﴾ متعلق بيخفين. ﴿**وتوبوا**﴾ أمر لجماعة المؤمنين. ﴿**إلى الله**﴾ متعلق بتوبوا. ﴿**جميعاً**﴾ حال من ضمير الجماعة. ﴿**أيُّها**﴾ منادي حذف منه حرف النداء. ﴿**المؤمنون**﴾ نعت لأيُّ باعتبار اللفظ. ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ إعرابه مثل إعراب قوله: ﴿**لعلكم تذكرون**﴾. ﴿**وأنكحوا**﴾ أمر للجماعة. ﴿**الأيامى**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**منكم**﴾ متعلق بالأيامى. أي: من تأيم منكم. ﴿**والصالحين**﴾ معطوف على الأيامى. ﴿**من عبادكم**﴾ متعلق بالصالحين. ﴿**وإمائكم**﴾ معطوف على عبادكم. ﴿**إن يكونوا فقراء**﴾ جملة يكون واسمها وخبرها فعل شرط إنْ. ﴿**يغنهم**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الشرط. والضمير المتصل بالفعل مفعول به. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**من فضله**﴾ متعلق بيغنهم. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**واسع عليم**﴾ خبره. والجملة تذييل. ﴿**وليستعفف الذين**﴾ فعل وفاعل دخل عليه لام الأمر الجازم. والواو للعطف. ﴿**لا يجدون نكاحاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. والجملة صلة الموصول. ﴿**حتى يغنيهم**﴾ فعل مضارع بأن مضمرة بعد حتى. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**اللَّهُ**﴾ فاعل. ﴿**من فضله**﴾ متعلق بيغنيهم. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى متعلق بيستعفف. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يبتغون الكتابَ**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**مما**﴾ متعلق بيبتغون. ﴿**ملكت أيمانكم**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**فكاتبوهم**﴾ جملة فعل الأمر وفاعله ومفعوله خبر المبتدإ. ﴿**إن علمتم**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه إن الشرطية. ﴿**فيهم**﴾ متعلق بعلمتم. ﴿**خيراً**﴾ مفعول به. وجواب الشرط محذوف يدل عليه فكاتبوهم. ﴿**وآتوهم**﴾ معطوف على فكاتبوهم. ﴿**من مال**﴾ متعلق بآتوهم. ﴿**اللَّهِ**﴾ مضاف إلى مال. ﴿**الذي**﴾ في محل جر نعت لمال. ﴿**آتاكم**﴾ فعل ماضٍ. وفاعله ضمير يعود على الله. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**ولا تكرهوا فتياتكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. والواو للعطف. ﴿**على البغاء**﴾ متعلق بولا تكرهوا. ﴿**إن أردن تحصناً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه إن الشرطية. وجواب الشرط محذوف يدل عليه قوله: ﴿**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء**﴾. ﴿**لتبتغوا عرض**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التعليل المقدر بعده أن المصدرية الناصبة للفعل. ﴿**الحياة**﴾ مضاف إلى عرض. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**ومن يكرههن**﴾ فعل

مضارع مجزوم بمن الشرطية. وضمير النسوة مفعول به. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**فإن الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**من بعد**﴾ متعلق بخبر إنّ. ﴿**إكراههن**﴾ مضاف إلى بعد. ﴿**غفور رحيم**﴾ خبر إنّ. وجملة ﴿**فإن الله. .**﴾ جواب الشرط. والفاء رابطة للجواب لكون الجملة اسمية. ﴿**ولقد أنزلنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**إليكم**﴾ متعلق بأنزلنا. ﴿**آيات**﴾ مفعول به منصوب بالكسر. ﴿**مبينات**﴾ نعت لآيات. ﴿**ومثلاً**﴾ معطوف على آيات. ﴿**من الذين**﴾ متعلق بمحذوف نعت لمثلاً. ﴿**خلوا**﴾ فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿**من قبلكم**﴾ متعلق بخلوا. ﴿**وموعظة**﴾ عطف على آيات. ﴿**للمتقين**﴾ متعلق بموعظة.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون. .**﴾: وجه اتصال هذه السورة بالسورة التي قبلها: أنه سبحانه لما قال في السورة السابقة: ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون. .**﴾ ذكر في هذه السورة أحكام من لم يحفظ فرجه من الزانية والزاني، وما اتصل بذلك من شأن القذف وقصة الإفك، والأمر بغض البصر الذي هو داعية الزنا، والاستئذان الذي إنما جعل من أجل النظر، وأمر فيها بالإنكاح حفظًا للفرج، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف، ونهى عن إكراه الفتيات على الزنا. وهي سورة عظيمة يجب الاهتمام بحفظها ومعرفة معانيها. ودقة النظر في إحكام أحْكَامِها وما فيها من إعجاز في العبارة، وإيجاز مع وضوح الإشارة: هذه سورة. . فالإشارة إليها مع عدم سبق ذكرها، لكونها حاضرة في الذهن ماثلة أمام نظر العين. . ثم وصفت هذه السورة بصفات رسخت معانيها في الذهن بعدما رسخت صورتها في العين. ووصل قوله: ﴿**وأنزلنا فيها. .**﴾ بالعطف على قوله: ﴿**أنزلناها**﴾؛ لإبراز كمال العناية بشأنها. . فكلمة فيها تؤذن باستعارة مكنية، بتشبيه آيات هذه السورة بأعلاق نفيسة تكنز ويحرص على حفظها من الإضاعة والتلاشي كأنها مما يجعل في خزانة. ورُمز إلى المشبه به بشيء من روادفه، وهو حرف الظرفية، فيكون حرف في تخييلاً مجرداً. وتكرير أنزلنا مع أن جميع الآيات عينُ السورة، وإنزالُها عينُ إنزالها؛ لاستقلالها بعنوان رائق داع إلى تخصيص إنزالها بالذكر، إبانةً لخطرها ورفعاً لمحلها. والتذكر في قوله: ﴿**لعلكم تذكرون**﴾ ـ مستعار لاكتساب العلم من أدلته النقلية. ﴿**الزانية والزاني فاجلدوا كل**

واحد منهما مائة جلدة﴾: هذا ابتداء كلام يفصل ما ذكر من الآيات البينات ببيان وتوضيح أحكامها.. فهو كالعنوان والترجمة في التبويب.. فلذلك أتى بعده بالفاء المؤذنة بأن ما بعدها في قوة الجواب، وأن ما قبلها في قوة الشرط. وصيغتا الزانية والزاني صيغةُ اسمِ فاعل. وهو هنا مستعمل في أصل معناه. وهو اتصاف صاحبه بوصف مادته.. فلذا يقدر بمنزلة الفاعل للفعل المضارع في الدلالة على الاتصاف بالحدث في زمن الحال.. فكأنه قيل: التي تزني والذي يزني.. وقدم ذكر الزانية على الزاني للاهتمام بالحكم؛ لأن المرأة هي الباعث على الزنا؛ لكون الداعية فيها أوفر. ولولا تمكنها منه لم يقع.. ثم بين حكم الزنا بقوله: **﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين..﴾** ففي هذا الحكم إيلام الجسم بالضرب دون هوادة وإيلام النفس بالزجر والتفضيح والتشهير.. **﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾**: هذه الآية فصلت عما قبلها فلم تعطف.. لأن فيها حكماً مؤسساً على الغالب المعتاد. جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني في ذلك العصر: عصر الجاهلية الذي لا يفرق بين السفاح والنكاح.. بعد زجرهم عن الزنا بهن.. فموقع هذه الآية موقع المقصود من الكلام بعد المقدمة؛ ولذلك جاءت مستأنفة. كما تقع النتائج بعد أدلتها. وقدم قبلها حكم عقوبة الزنا لإفادة حكمه، وما يقتضيه ذلك من تشنيع فعله.. فالمراد بالزاني هنا مَنْ وصْفُ الزنا عادته.. وجملة **﴿وحرم ذلك على المؤمنين..﴾** تكميل للمقصود من الجملتين قبلها.. لما فيه من التشبيه بالفسقة.. والتعرض للنهمة.. والتسبب لسوء القالة.. والطعن في النسب.. واختلال أمر المعاش.. وغير ذلك من المفاسد التي كانت منتشرة عصر الجهل والفسق والشرك.. كما هو منتشر الآن في المجتمعات الضالة المنحرفة الملحدة..

﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾: وصل الكلام بالعطف على ما قبله؛ لإفادة بيان حكم من يرمي المرأة العفيفة بالزنا، بعد بيان حكم الزواني الشهيرات به. وفي التعبير عن التفوّه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبىء عن صلابة الآلة وإيلام المرمِي. وبعده عن الرامي، إيذانٌ بشدة تأثيره فيهن، وكونه رجماً بالغيب. والمراد بالرمي الرمي بالزنا. وهو ما يسمى القذف عند الفقهاء. وتفاصيل الحكم في هذا في كتب الفقه. وتخصيص

رميهن بهذا الحكم هنا مع أن حكم رمي المحصنين أيضاً كذلك لخصوص ما وقع. وشيوع الرمي فيهن. ﴿**ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً**﴾: عطف على قوله: ﴿**فاجلدوهم**. .﴾ داخل في حكمه متمّم له؛ لما فيه من معنى الزجر لأنه مؤلم للقلب، كما أن الجلد مؤلم للجسم. ورد الشهادة في هذا الحكم رد شهادتهم على الرمي لأن الرمي ساقط. . فكذلك شهادتهم. . فأجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كأصله. ﴿**وأولئك هم الفاسقون**﴾: كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبيّن لسوء حالهم عند الله عزّ وجلّ. وما في اسم الإشارة من معْنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد. أي: أولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود، الكاملون فيه؛ كأنهم هم المستحقون لإطلاق اسم الفسق عليهم لا غيرهم من الفسقة. وقوله تعالى: ﴿**إلا الذين تابوا**﴾ استثناء من الفاسقين كما ينبىء عنه التعليل الآتي. . وقوله تعالى: ﴿**من بعد ذلك**﴾ لتهويل المتوب عنه؛ أي: من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل. . ﴿**وأصلحوا**﴾: أصلحوا أعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم، بالتلافي والتدارك. ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف. . ﴿**فإن الله غفور رحيم**﴾: تعليل لما يفيده الاستثناء بالنهي. . ﴿**والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين**﴾: هذا بيان لحكم الرامين لأزواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن. . فيشهد الزوج أولاً أربعَ شهادات بالله على أنه من الصادقين فيما رماها به. . ثم يشهد شهادة خامسة زيادة على الشهادات الأربع. ﴿**والخامسة أن لعنة الله عليه أن كان من الكاذبين**﴾ وإفرادها عن الأربع مع كونها شهادة أيضاً لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في إفادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخير وإظهار الصدق. ﴿**ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين**﴾. وشهادة الزوجة أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين يدرأ عنها العذاب المترتب على شهادة الزوج بزنا زوجته. ﴿**والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين**. .﴾ فبهذا يحصل اللعان بين الزوجين ويفرق بينهما فراقاً أبدياً. . ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم**﴾: هذا الكلام التفات إلى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه. وجواب لولا محذوف لتهويله والإشعار بضيق العبارة عن حصره؛ كأنه قيل: ولولا تفضّله تعالى عليكم ورحمته، وأنه تعالى مبالغ في قبول

التوبة، حكيم في جميع أفعاله وأحكامه التي من جملتها ما شرح لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان.. **﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾**: هذا استئناف ابتدائي. ومعنى جاءوا بالإفك: قصدوا واهتموا. وأصله: أن الذي يخبر بخبر غريب، يقال له: جاء بخبر كذا؛ لأن شأن الأخبار الغريبة أن تكون مع الوافدين من أسفار. وذكر عصبة منكم تحقير لهم ولقولهم. ووصف العصبة بكونهم منكم يدل على أنهم من المسلمين. وفي ذلك تعريض لهم بأنهم حادوا عن خلق الإسلام حيث تصدروا لأذى المسلمين. **﴿لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم﴾**: هذا الكلام مستأنف خوطب به النبي وأبو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم من أول الأمر. والمقصود منه إزالة ما حصل في نفوسهم من الأسف من اجتراء عصبة على هذا البهتان الذي اشتملت عليه القصة. وقوله تعالى: **﴿بل هو خير لكم﴾** إضراب وإبطال لما حسبوه شراً.. بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم عند الله تعالى بإنزال ثماني عشرة آية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيراً. **﴿لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم﴾**: لكل واحد من الذين خاضوا في الإفك إثمه الذي اكتسبه بقدر حاله ووصفه.. **﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾**: والشخص الذي اختلقه وتولى إذاعته بين الناس حتى شاع وانتشر له عذاب عظيم في الدنيا والآخرة حيث ظهر كذبه في الدنيا وسيرى العذاب العظيم يوم يقوم الأشهاد.. **﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين﴾**: تلوين للخطاب، وصرف له عن الرسول وذويه إلى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ.. ثم العدول عنه إلى الغيبة في قوله تعالى: **﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾**؛ لتأكيد التوبيخ والتشنيع.. **﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء﴾**: هذا استئناف ثانٍ.. والمعنى: هلاّ جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ما قالوا.. **﴿فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾**: ذكر الشهداء في مقابل الضمير لزيادة التقرير. وما في الإشارة من معنى البعد للإيذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر. ومعنى عند الله: في حكمه وشرعه المؤسّس على الدلائل الظاهرة. وفي قوله: **﴿هم الكاذبون﴾** قصر إطلاق اسم الكذب عليهم دون غيرهم. **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾**: هذا

خطاب للسامعين والمسمعين جميعاً. وذكر جواب لولا هنا لبيان عظم العذاب. وقوله: ﴿**فيما أفضتم فيه**﴾ إبهام لتهويل أمره والاستهجان بذكره. والإفاضة في القول مستعار من إفاضة الماء الإناءُ. يُقال: أفاض في الحديث وخاض واندفع. ﴿**إذ تلقونه بألسنتكم**﴾: هذا ظرف للمس. والتلقي والتقلف والتلقن معاني متقاربة، غير أن في الأول معنى الاستقبال. وفي الثاني معنى الخطف والأخذ بسرعة. وفي الثالث معنى الحذق والمهارة. ﴿**وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم**﴾: عطف تفسير لقوله: ﴿**إذ تلقونه بألسنتكم**﴾. ﴿**وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم**﴾: إظهار لبشاعة وفظاعة ما حسبوه هيناً عند ما قالوا ما قالوا دون علم بلا تروّ ولا تثبت.. ﴿**ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾!!.. إنما كان عظيماً؛ لأنه مشتمل على منكرات كثيرة: وهي الكذب. وكون الكذب يطعن في صيانة العرض. وكونه يسبب إحنا عظيمة بين المفترين والمفترى عليهم بدون عذر. وكون المفترى عليهم من خيرة الناس. وأعظم من ذلك أنه اجتراء على مقام النبي وأم المؤمنين. وصلت هذه الآية بالعطف على ما قبلها زيادة في التنبيه على فظاعة ما تناقلوه دون علم وتحقيق. ولهذا أعقبه بقوله: ﴿**سبحانك هذا بهتان عظيم! يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين**﴾: فصلت هذه الآية ولم تعطف على ما قبلها لما فيها من التحذير من نقل الكلام دون تروٍّ، وتحريض على عدم الخوض فيما ليس لهم به علم. وسمّاه وعظاً لما فيه من التحذير والتحريض والترهيب والترغيب والحيطة والحذر. والتدبر والتكفر: ﴿**إن كنتم مؤمنين..**﴾ فالإيمان هو الوازع والمانع من الدخول في أمر لا يليق بمؤمن. وفيه تهييج وتقريع!. ﴿**ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم**﴾: هذا تذييل مقرر لما سبق مما حصل من الخوض في الإفك.. وإظهار اسم الله هنا دون ضميره لتضخيم شأن البيان. ولتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي أظهر اسم الله دون ضميره في قوله: ﴿**والله عليم حكيم**﴾. وفيه إشعار بعلة الألوهية للعلم والحكمة. ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾: هذه الآية مستأنفة استئنافاً ابتدائياً. واسم الموصول يعم كل من يتصف بمضمون الصلة. وهي محبة شيوع الفاحشة في مجتمع المؤمنين. والمعنى: يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لإشاعتها.. وإنما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة؛ فإنها مستتبعة له لا محالة. وإنما جاء

ترتيب العذاب على شيوع الفاحشة دون إشاعتها تنبيهاً على أن عذاب من يباشر الإشاعة ويتولاها أشد وأعظم!.. وجملة ﴿**والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ تقرير لثبوت العذاب لمن يحب الفاحشة. ومن يتولى إشاعتها وتعليل له. ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم**﴾: هذا تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعذاب للتنبيه على كمال عظم الجريرة. ﴿**وأن الله رؤوف رحيم**﴾: عطف على فضل الله.. وإظهار اسم الله لتربية المهابة، والإشعار باستتباع صفة الألوهية للرأفة والرحمة. وتغيير سبكه وتصديره بحرف التوكيد؛ لما أن بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة والرحمية التي هي المبالغة فيها على الدوام والاستمرار. لا بيان حدوث تعلق رأفته بهم.. كما أنه المراد بالمعطوف عليه. وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه. أي: ولو فضل الله عليكم ورحمته ورأفته لحل عليكم العذاب بسبب ما شاع بينكم من الإفك.. ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾: فصل هذا الكلام عما قبله؛ لأنه استئناف ابتدائي جيء به لما تضمنته الآيات السابقة من المناهي.. وظنون السوء.. ومحبة شيوع الفاحشة.. فكلها من وساوس الشيطان التي يوحي بها لأوليائه.. فشبه حال فاعلها في كونه متلبساً بوسوسة الشيطان بهيئة الشيطان يمشي، والعامل بأمره يتبع خطو ذلك الشيطان.. فهي تمثيل مبني على تشبيه حالة محسوسة بحالة معقولة.. ووضع الظاهر في قوله: ﴿**ومن يتبع خطوات الشيطان**﴾ موضع المضمر؛ لزيادة التقرير، والمبالغة في التنفير والتحذير. وجملة ﴿**فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر**﴾ علة للجزاء وضعت موضعه؛ كأنه قيل: ومن يتبع خطوات الشيطان فقد ارتكب الفحشاء والمنكر، وسار وراء الشيطان.. لأن دأب الشيطان أن يأمر أولياءه بهما. ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحداً أبداً**﴾: تكررت هذه الجملة بتكرر أغراضها. والغرض منها هنا: ولولا فضل الله عليكم ورحمته بما مِنْ جملتِه هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما طهر من دنسها منكم من أحد.. ﴿**ولكن الله يزكي من يشاء من عباده**﴾ بإضافة آثار فضله ورحمته عليه، وحمله على التوبة.. ثم قبولها منه، كما فعل بكم. ﴿**والله سميع**﴾ مبالغ في سمع الأقوال التي من جملتها ما أظهروه من التوبة.. ﴿**عليم**﴾ بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم. وفيه حث لهم على الإخلاص في التوبة. وإظهار اسم الله.. للإيذان باستدعاء الألوهية للسمع والعلم، مع ما فيه

من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي. ﴿**ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله**﴾: هذا الكلام متصل بالعطف على قوله: ﴿**لا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾. عطف خاص على عام؛ للاهتمام به. ﴿**وليعفوا وليصفحوا**﴾: عطف الأمر على النهي مقصود منه العفو والصفح عمن خاض في الإفك من المسلمين.. فلا يؤاخذهم أهل الفضل في الدين والسعة في الرزق بما حصل منهم عفواً دون قصد.. بل يعفوا ويصفحوا: ﴿**ألا تحبون أن يغفر الله لكم..**﴾ ففي الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب مواجهة بالاستفهام الإنكاري، تحضيضاً وترغيباً في السعي فيما به المغفرة. وعطف جملة ﴿**والله غفور رحيم**﴾ على جملة ﴿**ألا تحبون أن يغفر الله لكم**﴾ زيادة في الترغيب في العفو والصفح. كأنه قيل: ﴿**ألا تحبون أن يغفر الله لكم..**﴾ فهذا من موجباته. ﴿**إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم**﴾: هذا استئناف ثانٍ جاء بعد استئناف قوله: إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة. وهذا تفصيل بعد تفصيل زيادة في التشنيع والتهويل. وقوله تعالى: ﴿**يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**﴾، مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات حيث كان شاهدهم من أنفسهم.. والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا. وتقديم عليهم الفاعل في قوله: ﴿**يوم تشهد عليهم ألسنتهُم..**﴾ للمسارعة إلى بيان كون الشهادة ضارة لهم، مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر. وقوله تعالى: ﴿**يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق..**﴾ كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الإجمال. والمعنى: يوم إذ تشهد عليهم جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله جزاءهم الثابت وافياً كاملاً. وعند معاينتهم هذه الأهوال والخطوب يعلمون أن الله هو الحق المبين.. قد تتبعت ما في القرآن المجيد من آيات الوعيد الواردة في حق كل كفار مَريد وجبار عنيد لا تجد شيئاً منها فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد! وما ذاك إلا لإظهار منزلة النبي ﷺ في علو الشأن والنباهة، وإبراز رتبة الصديقة ـ رضي الله عنها ـ في العفة والنزاهة!. ﴿**الخبيثات للخبيثين. والخبيثون للخبيثات.**

والطيبات للطيبين. والطيبون للطيبات﴾: هذا كلام مستأنف مسوق على قاعدة السنة الإلهية الجارية فيما بين الخلق على موجب أن لله مَلَكاً يسوق الأهلَ إلى الأهل. وحيث كان رسول الله ﷺ أطيب الأطيبين، وخيرة الأولين والآخِرين تبيّن كون الصديقة ـ رضي الله عنها ـ من أطيب الطيبات بالضرورة. واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى: **﴿أولئك مبرءون مما يقولون..﴾** وجملة **﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾**: زيادة في البراءة وتكريم لأولئك المبرئين بحسن المثوبة وحسن السمعة والنزاهة. **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون﴾**: بعدما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي إلى أحدهما من مخالطة الرجال والنساء، ودخولهم عليهن في أوقات الخلوات.. وتعليم الآداب الجميلة والأفاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين.. **﴿فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾**: هذا مرتب على قوله: **﴿لا تدخلوا..﴾** إلخ. **﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾**: موصول بالعطف على ما قبله. وهذا تصريح بعدم الإذن.. **﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم﴾**: هذا الحكم مقابل حكم البيوت المسكونة. وهذه البيوت العامة؛ مثل الرباطات والخانات والحوانيت والحمامات.. وجملة **﴿فيها متاع لكم﴾** استئناف جار مجري التعليل لعدم الجناح.. وجملة **﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾** تذييل مقرر لمضمون الحكم بالإذن وعدم الإذن وما هو ممنوع وما هو مباح.. وفيها وعيد لمن يدخل مدخلاً من هذه المداخل لفساد أو اطلاع على عورات. **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾**: هذا شروع في بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة، يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجاً أولياً. وتلوين الخطاب وتوجيه إلى رسول الله ﷺ. وتقويض في حيزه من الأوامر والنواهي إلى رأيه؛ لأنها تكاليف متعلقة بأمور جزئية كثيرة الوقوع، حقيقة بأن يكون الآمر بها، والمتصدي لتدبيرها حافظاً ومهيمناً عليهم. وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ؛ لما في أمر النظر من السعة. وجملة **﴿ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾** تذييل وتعليل. **﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾**: موصول بالعطف على ما قبله.. فحكم النساء في هذا هو

حكم الرجال.. ﴿**ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**﴾: حكم زائد على حكم الرجال خاص بالنساء؛ لأن الزينة لهن مطلوبة ولكن إظهارها مشروط بأن لا يكون فيها مفسدة.. فالزينة لا تظهرها المرأة إلا ما كان لا بد منها كالوجه والكفين والمظهر الخارجي للمرأة مما لا يثير شبهة أو فتنة.. ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾: هذا إرشاد إلى كيفية إخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهي عن إبدائها.. فعلى المرأة المسلمة أن تلقي خمارها على كل ما يبدو من زينة المرأة ـ خصوصاً النحر والصدر.. وهي ما تحرص المرأة الفاجرة على إظهاره للأجانب غير المحارم. ﴿**ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن**﴾: كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعد ما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور. وأول ما يجوز له النظر المطلق والمباشرة المطلقة من المرأة هو الزوج.. فإنه المقصود بالزينة.. ثم عطف عليه قوله: ﴿**أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن..**﴾ فهؤلاء هم المحارم من المرأة.. فلهم أن ينظروا ما يبدو من المرأة مما لا يكون عورة لها يحرم النظر إليها.. ثم بين حكم نظر المرأة إلى المرأة: ﴿**أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن**﴾. من النساء المسلمات والأماء المملوكات.. ثم بين حكماً خاصاً بالذكور: ﴿**أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء..**﴾ فهم الرجال الذين ليس لهم حاجة في النساء.. أو الأطفال قبل البلوغ وما قارب البلوغ الذين لم يعرفوا شيئاً عن الشهوة التي تتعلق بالنساء بحيث الميل إليها والاطلاع على محاسنها.. ﴿**ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن**﴾: هذا نهي خاص بعد النهي العام.. ففي هذا زيادة حرص على حفظ كرامة المرأة.. حتى لا تشوبها ريبة ولا شبهة.. فالمرأة التي تتبختر في مشيتها ليعلم الناس حيويتها، وتضرب برجليها الأرض ليعلم الناس ويسمع السامع صوت خلخالها وحركة حليها.. فهي امرأة فاجرة عاصية لأمر الله فيما بيّن في كتابه. ﴿**وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾: تلوين للخطاب، وصرف له عن رسول الله إلى الكل بطريق التغليب لإبراز كمال العناية بما في حيزه من أمر التوبة، وأنها من معظمات المهمات الحقيقة بأن يكون تعالى هو الآمر بها لما أنه لا يكاد يخلو أحد من المكلفين عن نوع تفريط في إقامة موجب التكاليف كما ينبغي. لا سيما إذا كان المأمور به الكف عن الشهوات. وفي تكرير الخطاب بقوله

تعالى: ﴿**أيها المؤمنون**﴾ تأكيد للإيجاب، وإيذان بأن وصف الإيمان موجب للامتثال حتماً. وفي قوله: ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ تعليل للأمر بالتوبة. ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**﴾: بعد ما زجر الله تعالى عن السفاح ومبادئه القريبة والبعيدة أمر بالنكاح.. فإنه مع كونه مقصوداً بالذات من حيث كونه مناطاً لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك.. فالمعنى زوجوا من لا زوج له من الأحرار والحرائر.. والصالحين من عبادكم وإيمائكم. واعتبار الصلاح في الأرقاء؛ لأن من لا صلاح له منهم بمعزل من أن يكون خليقاً بأن يعتني مولاه بشأنه ويشق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعاً وعادة من بذل المال والمنافع.. بل حقه أن يستبقيه عنده.. وأما عدم اعتبار الصلاح في الأحرار والحرائر فلأن الغالب فيهم الصلاح على أنهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بأنفسهم وأموالهم.. فإذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الأولياء لهم؛ إذ ليس عليهم في ذلك غرامة.. وجملة ﴿**إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله**﴾ إزاحة لما عسى أن يكون مانعاً من النكاح من فقر أحد الجانبين. وجملة ﴿**والله واسع عليم**﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله.. ﴿**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله**﴾: هذا إرشاد للعاجزين عن مبادىء النكاح وأسبابها إلى ما هو أولى لهم وأحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء. وفي هذا عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى، ولطف لهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم. ﴿**والذين يبتغون الكتاب ما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً**﴾: بعد ما أمر الله بإنكاح صالحي المماليك الأحقاء بالإنكاح أمر بكتابة من يستحقها منهم. وهي أن يقول المالك لمملوكه كاتبتك على كذا من المال تؤديه إلي وتعتق، ويقول المملوك قبلت.. وقوله: ﴿**إن علمتم فيهم خيراً**﴾ شرط لعقد المكاتبة.. ﴿**وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**﴾: أمر للموالي ببذل شيء من أموالهم.. ﴿**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم**﴾: كانت العادة في الجاهلية إكراه الفتيات المملوكات على الزنا بأجرة معلومة يأخذها المالك وتكون كسباً له.. فمنع الإسلام ذلك من أصله. وفتح باب التوبة لكل من أكرهت.. فإن آمنت وتابت قبل الله منها وغفر لها. أما المكرهون فلهم حكم آخر.. فإن آمنوا فلا إكراه بعد الإيمان. وهذه عادة أبطلها القرآن وقضى عليها من أصلها: ﴿**ولقد**

أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين. .﴾ فليس بعد بيان القرآن بيان. وفيه من الأمثال مما كان يفعله الجاهلون في ذلك الزمان وفي هذا موعظة وعبرة لكل إنسان يتقي الله ويخشاه من أهل الإيمان والإسلام والإحسان.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون﴾: في هذا التوجيه التذكير بما في هذه السورة من الأحكام والآداب والتوجيهات. . . فهذه الأحكام والآداب والأخلاق المركوزة في الفطرة. . والتي ينساها الناس تحت تأثير المغريات والانحرافات. . فتذكرهم بها تلك الآيات البينات، وتردهم إلى منطق الفطرة الواضح وضوح النور. في سورة النور. . فيذكر فيها النور بآثاره ومظاهره في القلوب والأرواح؛ ممثلة هذه الآثار في الآداب والأخلاق التي يقوم عليها بناء هذه السورة. وهي آداب وأخلاق نفسية وعائلية وجماعية؛ تنير القلب، وتنير الحياة. ويربطها بذلك النور الكوني الشامل: أنها نور في الأرواح، وإشراق في القلوب، وشفافية في الضمائر، مستمدة كلها من ذلك النور الكبير: نور الله الذي أشرقت به الظلمات. وتبدأ هذه السورة بإعلان قوي حاسم عن تقرير ما فيها. . وفرضها بكل ما فيها من حدود وتكاليف. . ومن آداب وأخلاق. . فيدل هذا البدء الفريد على مدى اهتمام القرآن بالعنصر الأخلاقي في الحياة؛ ومدى عمق هذا العنصر وأصالته في العقيدة الإسلامية، وفي فكرة الإسلام عن الحياة الإنسانية. والمحور التي تدور عليه السور كلها من أولها إلى نهايتها هو محور التربية. التربية التي تشتد في وسائلها إلى درجة الحدود، وترقّ إلى درجة اللمسات الوجدانية الدقيقة. وبكلا الحالتين يصل القلب بنور الله وآياته المبثوثة في تضاعيف الكون وثنايا الحياة. والهدف واحد في الشدة واللين: هو تربية الضمائر، واستجاشة المشاعر؛ ورفع المقاييس الأخلاقية للحيات. . حتى تشف وترف وتتصل بنور الله. . وتتداخل الآداب النفسية الفردية، وآداب البيت والأسرة، وآداب الجماعة والقيادة؛ بوصفها نابعة كلها من مَعين واحد: هو العقيدة في الله. . متصلة كلها بنور واحد: هو نور الله. . وهي في صميمها نور وشفافية، وإشراق وطهارة: تربية عناصرها من مصدر النور الأول في السماوات والأرض: نور الله الذي

أشرقت به الظلمات: في السماوات والأرض. والقلوب والضمائر والنفوس والأرواح. ويجري سياق السورة حول محورها الأصيل في خمسة أشواط: الأول يتضمن الإعلان الحاسم الذي تبدأ به؛ ويليه بيان حد الزنا، وتفظيع هذه الفعلة، وتقطيع ما بين الزناة والجماعة المسلمة.. فلا هي منهم ولا هم منها.. ثم بيان حد القذف وعلة التشديد فيه. واستثناء الأزواج من هذا الحد مع التعريف بين الزوجين بالملاعنة.. ثم حديث الإفك وقصته.. فهذا موضوع التوجيه الأول.. ويتبع هذا المطلع القوي الصريح الجازم ببيان حد الزنا، وتفظيع هذه الفعلة، التي تقطع ما بين فاعليها وبين الأمة المسلمة من وشائج وارتباطات: ﴿**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين. الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين**..﴾ فكان حد الزانيين في أول التشريع ما جاء في سورة النساء.. فأخذ مرحلتين في مرحلة التدرج: الأول قوله تعالى: ﴿**والتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت أو يجعل الله لهن سبيلاً**..﴾ فكان إذا ثبت زنا المرأة تجس في البيت فلا تخرج منه. والغرض من هذا تطهير المجتمع من النساء المنحرفات.. الثاني قوله تعالى: ﴿**واللذان يأتيانها منكم فآذوهما**..﴾ فكان الحد الإيذاء بالضرب حسب ما حصل في أول التشريع.. ثم أنزل الله حد الزنا في هذه السورة.. والجلد مائة هو حد البكر من الرجال والنساء وهو الذي لم يسبق له زواج.. فأما المحصن وهو من سبق له الوطء في نكاح صحيح وهو مسلم حر بالغ فحده الرجم. وقد ثبت الرجم بالسنة العملية. وقد وضح الفقهاء في كتب الفقه كل ما يتعلق بالجلد والرجم مأخوذ من عمل الصحابة والتابعين وما سار عليه المجتهدون من بعدُ.. والحكمة في رجم المحصن: أن الذي سبق له الوطء في نكاح صحيح ـ وهو مسلم حر بالغ ـ قد عرف الطريق الصحيح النظيف وجربه.. فعدوله عنه إلى الزنا يشي بفساد فطرته وانحرافها.. فهو جدير بتشديد العقوبة؛ لأنه يُفسد الحياة الإنسانية كلها.. فالحد هنا هو حد البكر.. فيشدد في الأخذ به دون تسامح ولا هوادة.. فهي الصرامة في إقامة الحد، وعدم الرأفة في أخذ الفاعلين بجرمهما، وعدم تعطيل الحد، أو الترفق في إقامته، تراخياً في دين الله وحقه. وإقامته في مشهد عام تحضره طائفة من

المؤمنين.. فيكون أوجع وأوقع في نفوس الفاعلين ونفوس المشاهدين. ثم يزيد في تفظيع الفعلة وتبشيعها.. فيقطع ما بين فاعليها وبين الجماعة المسلمة من وشيجة: ﴿**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين.**.﴾ فالآية تفيد نفور طبع المؤمن من نكاح الزانية، ونفور طبع المؤمنة من نكاح الزاني.. واستبعاد وقوع هذا الرباط بلفظ التحريم الدال على شدة الاستبعاد. والإسلام ـ وهو يضع هذه العقوبات الصارمة الحاسمة لتلك الفعلة المستنكرة الشائنة ـ لم يكن يغفل الدوافع الفطرية أو يحاربها؛ كما غفل عنها بعض من انحرف عن دين الله الصحيح السليم.. فالإسلام يقدّر أنه لا حيلة للبشر في دفع هذه الميول، ولا خير لهم في كبتها أو قتلها. ولم يكن يحاول أن يوقف الوظائف الطبيعية التي ركّبها الله في كيانهم، وجعلها جزءاً من ناموس الحياة الأكبر، يؤدي إلى غايته من امتداد الحياة وعمارة الأرض التي استخلف فيها هذا الإنسان.. إنما أراد الإسلام محاربة الحيوانية التي لا تفرق بين جسد وجسد، أو لا تهدف إلى إقامة بيت وبناء عش وإنشاء حياة مشتركة لا تنتهي بانتهاء اللحظة الجسدية الغليظة!.. وأن يقيم العلاقات الجنسية على أساس من المشاعر الإنسانية الراقية التي تجعل من التقاء جسدين نفسين وقلبين وروحين، وبتعبير شامل التقاء إنسانين تربط بينهما حياة مشتركة وآمال مشتركة وآلام مشتركة ومستقبل مشترك يلتقي في الذرية المرتقبة ويتقابل في الجيل الجديد الذي ينشأ في العش المشترك الذي يقوم عليه الوالدان حارسيْن لا يفترقان. من هنا شدد الإسلام في عقوبة الزنا بوصفه نكسة حيوانية تذهب بكل هذه المعاني وتطيح بكل هذه الأهداف؛ وترد الكائن الإنساني مسخاً حيوانياً لا يفرق بين أنثى وأنثى وبين ذكر وذكر. مسخاً كل همه إرواء جوعة اللحم والدم في لحظة عابرة.. فإن فرق وميز فليس وراء اللذة بناء في الحياة وليس وراءهما عمارة في الأرض وليس وراءها نتاج ولا إرادة نتاج.. بل ليس وراءها عاطفة حقيقية راقية؛ لأن العاطفة تحمل طابع الاستمرار. وهذا ما يفرقها من الانفعال المنفرد المتفطع، الذي يحسبه الكثيرون عاطفة يتغنون بها.. وإنما هو انفعال حيواني يتزيا بزي العاطفة الإنسانية في بعض الأحيان!.. إن الإسلام لا يحارب دوافع الفطرة ولا يستقذرها.. إنما ينظمها ويطهرها ويرفعها عن المستوى الحيواني، ويرقيها حتى تصبح المحور الذي يدور عليه الكثير من الآداب النفسية والاجتماعية. فأما الزنا ـ وخصوصاً البغاء ـ فيجرد هذا الميل

الفطري من كل الرفرفات الروحية والأشواق العلوية، ومن كل الآداب التي تجمعت حول الجنس في تاريخ البشرية الطويل، ويبديه عارياً غليظاً قذراً كما هو في الحيوان.. بل أشد غلظاً من الحيوان! ذلك أن كثيراً من أزواج الحيوان والطير تعيش متلازمة في حياة زوجية منظمة بعيدة عن الفوضى الجنسية التي يشيعها الزنا ـ وبخاصة البغاء ـ في بعض بيئات الإنسان!.. دفعُ هذه النكسة عن الإنسان هو الذي جعل الإسلام يشدد ذلك التشديد في عقوبة الزنا.. ذلك إلى الأضرار الاجتماعية التي تعارف الناس على أن يذكروها عند الكلام عن هذه الجريمة من اختلاط الأنساب وإثارة الأحقاد وتهديد البيوت الآمنة المطمئنة.. وكل واحد من هذه الأسباب يكفي لتشديد العقوبة.. ولكن السبب الأول، وهو دفع النكسة الحيوانية عن الفطرة البشرية، ووقاية الآداب الإنسانية التي تجمعت حول الجنس، والمحافظة على أهداف الحياة العليا من الحياة الزوجية المشتركة القائمة على أساس الدوام والامتداد.. فهذا السبب هو الأهم، وهو الجامع لكل الأسباب الفرعية الأخرى. على أن الإسلام لا يشدد في العقوبة هذا التشديد إلا بعد تحقيق الضمانات الوقائية المانعة من وقوع الفعل، ومن توقيع العقوبة إلا في الحالات الثابتة التي لا شبهة فيها.. فالإسلام منهج حياة متكامل، لا يقوم على العقوبة.. إنما يقوم على توفير أسباب الحياة النظيفة.. ثم يعاقب بعد ذلك من يدع الأخذ بهذه الأسباب الميسرة، ويتمرغ في الحول طائعاً غير مضطر. وقد يظن أن العقوبة ـ وهي يشترط فيها هذه الشروط بأربعة شهداء يرون الفعلة بين الشخصين رأى العين ـ إذن وهمية لا تردع أحداً؛ لأنها غير قابلة للتطبيق.. ولكن الإسلام لا يقيم بناءه على العقوبة.. بل على الوقاية من الأسباب الدافعة إلى الجريمة؛ وعلى تهذيب النفوس وتطهير الضمائر، وعلى الحساسية التي يثيرها في القلوب فتتحرج من الإقدام على جريمة تقطّع ما بين فاعلها وبين الجماعة المسلمة من وشيجة.. ولا يعاقب إلا المتبجحين بالجريمة، الذين يرتكبونها بطريقة فاضحة مستهترة.. فيراها الشهود.. أو الذين يرغبون في التطهُّر بإقامة الحد عليهم كما وقع لماعز ولصاحبته الغامدية.. فإذا وقع اليقين وبلغ الأمر إلى الحاكم.. فقد وجب الحد، ولا هوادة ولا رأفة في دين الله.. فالرأفة بالزناة الجناة حينئذ هي قسوة على الجماعة وعلى الآداب الإنسانية وعلى الضمير البشري. وهي رأفة مصطنعة.. فالله أرأف بعباده وقد اختار لهم ـ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسله أمراً

أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ـ والله أعلم بمصالح العباد وأدرى بطبائعهم.. فليس لمتشدق أن يتحدث عن قسوة العقوبة الظاهرية.. فهي أرأف مما ينتظر الجماعة التي يشيع فيها الزنا وتفسد فيها الفطرة، وترتكس في الحمأة وتنتكس إلى درك البهيمية. والتشديد في عقوبة الزنا لا يغني وحده في صيانة حياة الجماعة وتطهير الجو الذي تعيش فيه؛ لذلك يعقب على حد الزنا بعزل الزناة عن جسم الأمة المسلمة.. ثم يمضي في الطريق خطوة أخرى في استبعاد ظل الجريمة من جو الجماعة.. فيعاقب على قذف المحصنات واتهامهم دون دليل أكيد: ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون.**.﴾ إن ترك الألسنة تلقي التهم على المحصنات بدون دليل قاطع يترك المجال فسيحاً لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئاً بتلك التهمة النكراء.. ثم يمضي آمناً.. فتصبح الجماعة وتمسي، وإذا أعراضها مجرحة وسمعتها ملوثة.. وإذا كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام.. وإذا كل زوج فيها شاك في زوجه.. وكل رجل فيها شاك في أصله.. وكل بيت فيها مهدد بالانهيار.. وهي حالة من الشك والقلق والريبة لا تطاق.. ذلك إلى أن اطراد سماع التهم يوحي إلى النفوس المتحرجة من ارتكاب الفعلة أن جو الجماعة كله ملوث، وأن الفعلة فيها شائعة.. فيقدم عليها من كان يتحرج منها وتهون في حسه بشاعتُها بكثرة تردادها، وشعوره بأن كثيرين غيره يأتونها!. ومن ثم لا تجدي عقوبة الزنا في منع وقوعه، والجماعة تمسي وتصبح وهي تتنفس في ذلك الجو الملوث الموحي بارتكاب الفحشاء لهذا، وصيانة للأعراض من التجحم وحماية لأصحابها من الآلام الفظيعة التي تصب عليهم.. شدد القرآن الكريم في عقوبة القذف.. فجعلها قريبة من عقوبة الزنا، مع إسقاط الشهادة والوصم بالفسق. والعقوبة الأولى جسدية، والثانية أدبية في وسط الجماعة، والثالثة دينية.. والجماعة المسلمة لا تخسر بالسكوت عن تهمة غير محققة كما تخسر بشيوع الاتهام والترخص فيه، وعدم التحرج من الإذعان به، وتحريض الكثير من المتحرجين من ارتكاب الفعلة التي كانوا يستقذرونها ويظنونها ممنوعة في الجماعة أو نادرة. وذلك فوق الآلام الفظيعة التي تصيب الحرائر الشريفات والأحرار الشرفاء، وفوق الآثار التي تترتب عليها في حياة الناس وطمأنينة البيوت. وتظل العقوبة التي توقع على القاذف بعد الحد مصلّتة فوق رأسه إلا أن يتوب: ﴿**إلا**

الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم. .﴾ فيرتفع الفسق بالتوبة، ويبقى مردود الشهادة إلى أن يعترف على نفسه أنه قال البهتان فيما قذف؛ لأنه يزيد على التوبة إعلان براءة المقذوف. ذلك حكم القذف العام. . ولكن استثنى منه أن يقذف الرجل امرأته، فإن مطالبته بأن يأتي بأربعة شهداء فيه إرهاق له وإعنات. والمفروض أن لا يقذف الرجل امرأته إلا صادقاً لما في ذلك من التشهير بعرضه وشرفه وكرامة أبنائه؛ لذلك جعل لهذا من القذف حكم خاص: **﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربعَ شهادات بالله إنه لمن الصادقين. والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين. والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين. .﴾** ففي هذه النصوص تيسير على الأزواج يناسب دقة الحالة وحرج الموقف. ذلك حين يطلع الزوج على فعلة زوجته؛ وليس له من شاهد إلا نفسه. . فعندئذ يحلف أربعَ مرات بالله إنه لصادق في دعواه عليها بالزنا. ويحلف يميناً خامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. وتسمى هذه شهادات لأنه الشاهد الوحيد. . فإذا فعل أعطاها قدر مهرها. . وحق عليها حد الزنا. . ذلك إلا أن ترغب في درء الحد عنها. . فإنها تحلف بالله أربع مرات إنه كاذب عليها فيما رماها به. وتحلف يميناً خامسة بأن غضب الله عليها إن كان صادقاً وهي كاذبة. . بذلك يدرأ عنها الحد، وتبين من زوجها بالملاعنة. ولا ينسب ولدها ـ إن كانت حاملاً ـ إليه، بل إليها. . وقد عقب على التخفيف والتيسير، ومراعاة الأحوال والظروف بقوله: **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم. .﴾** ولم يبين النص ما الذي كان يكون لولا فضل الله ورحمته بمثل هذه التيسيرات، وبالتوبة بعد مقارفة الذنوب. . ثم يبينه ليتركه مجملاً مرهوباً يتقيه المتقون. والنص يوحي أنه شر عظيم!. .

التوجيه الثاني: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم. .﴾: في هذا التوجيه عرض نموذج من القذف يكشف عن شناعة الجرم وبشاعته. . وهو حديث الإفك الذي تعرضت له عائشة الصديقة أم المؤمنين. . والنص يأتي به مجملاً مكتفياً منه بالأهم الذي تتعلق به حكمة التشريع المتعلق به حكم هذه السورة. . فلم يذكر الأسماء ولم يعين الأشخاص. ومن قال

ومن قيل فيه؟.. إنما هم عصبة أظهروا الإسلام فانتسبوا إلى المسلمين.. فهم ليسوا فرداً ولا أفراداً.. إنما هم عصبة متجمعة ذات هدف واحد. وهو يجمع بين عصبة اليهود وعصبة المنافقين الذين عجزوا عن حرب الإسلام جهرة.. فتواروا وراء ستار الإسلام ليكيدوا للإسلام خفية. وكان حديث الإفك إحدى مكائدهم القاتلة.. ثم خدع فيها المسلمون.. فخاض منهم من خاض في حديث الإفك. وقد فصلته وبينته كتب الحديث والسيرة.. حتى صار حديثه مشهوراً بين المسلمين.. وقد بدأ السياق ببيان تلك الحقيقة ليكشف عن ضخامة الحادث، وعمق جذوره، وما وراءه من عصبة تكيد للإسلام والمسلمين هذا الكيد الدقيق العميق اللئيم!.. ثم سارع بتطمين المؤمنين من عاقبة هذا الكيد: ﴿**لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم**..﴾ فهو خير؛ لأنه يكشف عن الكائدين للإسلام في شخص رسول الله ﷺ وأهل بيته وهو يكشف للجماعة المسلمة عن ضرورة تحريم القذف، وأخذ القاذفين بالحد الذي فرضه الله. ويبيّن مدى الأخطار التي تحيق بالجماعة لو أطلقت فيها الألسنة تقذف المحصنات... فهي عندئذ لا تقف عند حد.. إنما تمضي صعداً إلى أشرف المقامات، وتتطاول إلى أعلى الهامات.. وتعدم الجماعة كل وقاية وكل تحرج وكل حياء. وهو خير أن يكشف الله للجماعة المسلمة ـ بهذه المناسبة ـ عن المنهج القويم في مواجهة مثل هذا الأمر العظيم!. أما الآلام التي عاناها رسول الله ﷺ وأهل بيته والجماعة المسلمة كلها فهي ثمن التجربة وضريبة الابتلاء الواجبة الأداء!. أما الذين خاضوا في الإفك فلكل منهم بقدر نصيبه من تلك الخطيئة: لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم.. ولكل منهم نصيبه من سوء العاقبة عند الله. وبئس ما اكتسبوه.. فهو إثم يعاقبون عليه في حياتهم الدنيا وحياتهم الأخرى: ﴿**والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم**..﴾ فهو يناسب نصيبه من ذلك الجرم العظيم. والذي تولى كبره وقاد حملته واضطلع منه بالنصيب الأوفى، كان هو عبد الله بن أبي بن سلول، رأس النفاق وحامل لواء الكيد.. فقد ذكر هذا الاسم في كتب السيرة وكتب الحديث وأجمع عليه المفسرون.. لكن القرآن لم يذكر الاسم. وإن الإنسان ليدهش كيف أمكن أن تروج فرية ساقطة كهذه في جو الجماعة المسلمة حينذاك. وأن تحدث هذه الآثار الضخمة في جسم الجماعة، وتسبب هذه الآلام القاسية لأطهر النفوس وأكبرها على الإطلاق. لقد كانت معركة خاضها الرسول وخاضتها الجماعة المسلمة

يومذاك. وخاضها الإسلام. معركة ضخمة لعلها أضخم المعارك التي خاضها الرسول وخرج منها منتصراً كاظماً لآلامه الكبار، متحفظاً بوقار نفسه وعظمة قلبه وجميل صبره.. فلم تؤثر عنه كلمة واحدة تدل على نفاد صبره وضعف احتماله. والآلام التي تناوشه لعلها أعظم الآلام التي مرت به في حياته. والخطر على الإسلام من تلك الفرية من أشد الأخطار التي تعرض لها في تاريخه. ولو استشار كل مسلم قلبه يومها لأفتاه. ولو عاد إلى منطق الفطرة لهداه. والقرآن الكريم يوجه المسلمين إلى هذا المنهج في مواجهة الأمور، بوصفه أول خطوة في الحكم عليها: ﴿**لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين..**﴾ نعم كان هذا هو الأولى.. أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً. وأن يستبعدوا سقوط أنفسهم في مثل هذه الحمأة.. فهذه هي الخطوة الأولى في المنهج الذي يفرضه القرآن لمواجهة الأمور: خطوة الدليل الباطني الوجداني.. فأما الخطوة الثانية فهي طلب الدليل الخارجي والبرهان الواقعي: ﴿**لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء.. فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون..**﴾ فهذه الفرية الضخمة التي تتناول أعلى المقامات وأطهر الأعراض ما كان ينبغي أن تمر هكذا سهلة هينة، وأن تشيع هكذا دون تثبت ولا بينة؛ وأن تتقاذفها الألسنة وتلوكها الأفواه دون شاهد ولا دليل: لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء! أو هم لم يفعلوا.. فهم كاذبون إذن! كاذبون عند الله الذي لا يبدل القول لديه، والذي لا يتغير حكمه ولا يتبدل قراره.. فهي الوصمة الثابتة الصادقة الدائمة التي لا براءة لهم منها، ولا نجاة لهم من عقباها. هاتان الخطوتان: خطوة عرض الأمر على القلب واستفتاء الضمير.. وخطوة التثبت بالبينة والدليل.. غفل عنهما المؤمنون في حادث الإفك.. وتركوا الخائضين يخوضون في عرض أكرم مخلوق على الله! وهو أمر عظيم! لولا لطف الله لمس الجماعة كلَّها البلاءُ العظيم.. فالله يحذرهم أن يعودوا لمثله أبداً بعد هذا الدرس الأليم: ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم..**﴾ فقد احتسبها الله للجماعة المسلمة الناشئة درساً قاسياً.. فأدركهم بفضله ورحمته ولم يمسسهم بعقابه وعذابه.. فهي فعلة تستحق العذاب العظيم.. العذاب الذي يتناسب مع العذاب الذي سببوه للرسول ﷺ وزوجه وصاحبه الذي لا يعلم عليه إلا خيراً. والعذاب الذي يتناسب مع الشر الذي ذاع في الجماعة المسلمة وشاع.. ومس كل

المقدسات التي تقوم عليها حياة الجماعة. والعذاب الذي يناسب خبث الكيد الذي كادته عصبة المنافقين للعقيدة لتقتلعها من جذورها حين تزلزل ثقة المؤمنين بربهم ونبيهم وأنفسهم طوال شهر كامل حافل بالقلق والقلقلة والحيرة بلا يقين.. ولكن فضل الله تدارك الجماعة الناشئة، ورحمته شملت المخطئين بعد الدرس الأليم. والقرآن يرسم صورة لتلك الفترة التي أفلت فيها الزمام، واختلت فيها المقاييس، واضطربت فيها القيم، وضاعت فيها الأصول: ﴿**إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم..**﴾ فهي صورة فيها الخفة والاستهتار وقلة التحرج. وتناول أعظم الأمور وأخطرها بلا مبالاة ولا اهتمام: ﴿**إذ تلقونه بألسنتكم..**﴾ لسان يتلقى عن لسان بلا تدبر ولا تروّ ولا فحص ولا إفعام نظر.. حتى لكان القول لا يمر على الآذان ولا تتملاه الرؤوس ولا تتدبره القلوب: ﴿**وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم..**﴾ بأفواهكم لا بوعيكم ولا بعقلكم ولا بقلبكم.. إنما هي كلمات تقذف بها الأفواه قبل أن تستقر في المدارك؛ وقبل أن تتلقاها العقول.. ﴿**وتحسبونه هيناً**﴾ أن تقذفوا عِرض رسول الله، وأن تدعوا الألم يعصر قلبه وقلب زوجه وأهله؛ وأن تُلَوِّثوا بَيْتَ الصديق الذي لم يرم في الجاهلية؛ وأن تتهموا صحابياً مجاهداً في سبيل الله. وأن تمسوا عصمة رسول الله ﷺ وصلته بربه، ورعاية الله له.. ﴿**وتحسبونه هيناً.. وهو عند الله عظيم..**﴾ وما يعظم عند الله إلا الجليل الضخم الذي تزلزل له الرواسي وتضج منه الأرض والسماء. ولقد كان ينبغي أن تجفل القلوب من مجرد سماعه، وأن تتحرج من مجرد النطق به، وأن تنكر أن يكون هذا موضوعاً للحديث؛ وأن تتوجه إلى الله تنزهه عن أن يدع نبيه لمثل هذا؛ وأن تقذف بهذا الإفك بعيداً عن ذلك الجو الطاهر الكريم: ﴿**ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم..**﴾ وعندما تصل هذه اللمسة إلى أعماق القلوب فتهزها هزاً؛ وهي تطلعها على ضخامة ما جنت وبشاعة ما عملت.. عندئذ يجيء التحذير من العودة إلى مثل هذا الأمر العظيم: ﴿**يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين..**﴾ يعظكم.. في أسلوب التربية المؤثر. في أنسب الظروف للسمع والطاعة والاعتبار. مع تضمين اللفظ معنى التحذير من العودة إلى مثل ما كان: ﴿**يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً..**﴾ ومع تعليق إيمانهم على الانتفاع بتلك العظة: ﴿**إن كنتم مؤمنين..**﴾ فالمؤمنون لا يمكن أن يكشف لهم

عن بشاعة عمل كهذا الكشف، وأن يُحذّروا منه مثل هذا التحذير. ثم يعودوا إليه وهم مؤمنون: ﴿**ويبين الله لكم الآيات**. .﴾ على مثل ما بيّن في حديث الإفك، وكشف عما وراءه من كيد؛ وما وقع فيه من خطايا وأخطاء: ﴿**والله عليم حكيم**. .﴾ يعلم البواعث والنوايا والغايات والأهداف؛ ويعلم مداخل القلوب، ومسارب النفوس. وهو حكيم في علاجها وتدبير أمرها، ووضع النظم والحدود التي تصلح بها. . ثم يمضي السياق في التعقيب على حديث الإفك؛ وما تخلف عنه من آثار؛ مكرّراً التحذير من مثله؛ مذكراً بفضل الله ورحمته، متوعداً من يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بعذاب الله في الدنيا والآخرة، ذلك مع تنقية النفوس من آثار المعركة، وإطلاقها من ملابسات الأرض، وإعادة الصفاء إليها والإشراق: ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون**. .﴾ فالذين يرمون المحصنات ـ وبخاصة أولئك الذين تجرأوا على رمي بيت النبوة الكريم ـ إنما يعملون على زعزعة ثقة الجماعة المسلمة بالخير والعفة والنظافة؛ وعلى إزالة التحرج من ارتكاب الفاحشة. وذلك عن طريق الإيحاء بأن الفاحشة شائعة فيها. . بذلك تشيع الفاحشة في النفوس لتشيع بعد ذلك في الواقع. من أجل هذا وصف الذين يرمون المحصنات بأنهم يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا. . وتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة. وذلك جانب من منهج التربية، وإجراء من إجراءات الوقاية. يقوم على خبرة بالنفس البشرية، وعلم بطريقة تكيف مشاعرها واتجاهاتها. . فمن ثَمّ يعقب بقوله: ﴿**والله يعلم وأنتم لا تعلمون**. .﴾ ومن ذا الذي يعلم أمر هذه النفس إلا الذي خلقها؟ ومن ذا الذي يدبر أمر هذه الإنسانية إلا الذي برأها؟ ومن ذا الذي يرى الظاهر والباطن ولا يخفى على علمه شيء إلا العليم الخبير؟. ومرة أخرى يذكر المؤمنين بفضل الله عليهم ورحمته: ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم**. .﴾ إن الحدث لعظيم، وإن الخطأ لجسيم، وإن الشر الكامن فيه لخليق أن يصيب الجماعة المسلمة كلها بالسوء. . ولكن فضل الله ورحمته ورأفته ورعايته. . ذلك ما وقاهم السوء. . ومن ثم يذكرهم به المرة بعد المرة؛ وهو يربيهم بهذه التجربة الضخمة التي شملت حياة المسلمين. . فإذا تمثلوا أن ذلك الشر العظيم كان وشيكاً أن يصيبهم جميعاً، لولا فضل الله ورحمته، صور لهم عملهم بأنه اتباع لخطوات الشيطان. وما كان لهم أن يتبعوا خطوات الشيطان

عدوهم وعدو أبيهم من قديم. وحذرهم ما يقودهم الشيطان إليه من مثل هذا الشر المستطير: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم**. .﴾ وإنها لصورة مستنكرة أن يخطو الشيطان فيتبع المؤمنون خطاه. وهم أجدر الناس أن ينفروا من الشيطان وأن يسلكوا طريقاً غير طريقه المشؤوم!. صورة مستنكرة ينفر منها طبع المؤمن، ويرتجف لها وجدانه، ويقشعر لها خياله. ورسم هذه الصورة ومواجهة المؤمنين بها يثير في نفوسهم اليقظة والحذر والحساسية: ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر. . وحديث الإفك نموذج من هذا المنكر الذي قاد إليه المؤمنين الذين خاضوا فيه. وهو نموذج منفر شنيع. وإن الإنسان لضعيف معرض للنزعات، عرضة للتلوث، إلا أن يدركه فضل الله ورحمته حين يتجه إلى الله ويسير على نهجه: ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً**. . **ولكن الله يزكي من يشاء**. .﴾ فنور الله الذي يشرق في القلب يطهره ويزكيه. . ولولا فضل الله ورحمته لم يزك من أحد ولم يتطهر. والله يسمع ويعلم. . فيزكي من يستحق التزكية ويطهر من يعلم فيه الخير والاستعداد: ﴿**والله سميع عليم**﴾. وعلى ذكر التزكية والطهارة تجيء الدعوة إلى الصفح والمغفرة بين بعض المؤمنين وبعض. . كما يرجون غفران الله لما يرتكبونه من أخطاء وذنوب: ﴿**ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**. .﴾ نزلت هذه الآية تذكر المؤمنين المخاطبين بأنهم هم يخطئون. . ثم يحبون من الله أن يغفر لهم. . فليأخذوا أنفسهم ـ بعضهم مع بعض ـ بهذا الذي يحبونه، ولا يحلفوا أن يمنعوا البِرَّ عن مستحقيه إن كانوا قد أخطأوا وأساءوا. هكذا جاءت هذه الآية عامة شاملة لكل من أسيء إليه فعفا وصفح. ذلك الغفران الذي يذكر المؤمنين به. . إنما هو لمن تاب عن خطيئة رمي المحصنات، وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا. . فأما الذين يرمون المحصنات عن خبث وعن إصرار؛ كأمثال ابن أبي. . فلا سماحة ولا عفو ـ ولو أفلتوا من الحد في الدنيا؛ لأن الشهود لم يشهدوا ـ فإن عذاب الله ينتظرهم في الآخرة. ويومذاك لن يحتاج الأمر إلى شهود: ﴿**إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم**.

يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين. .﴾ فيجسم التعبير جريمة هؤلاء ويبشعها. . وهو يصورها رمياً للمحصنات المؤمنات وهن غافلات غارات غير آخذات حذرهن من الرمية. . وهن بريئات الطوايا مطمئنات لا يحذرن شيئاً؛ لأنهن لم يأتين شيئاً يحذرْنَه. . فهي جريمة تتمثل فيها البشاعة كما تتمثل فيها الخسة. ومن ثَم يعاجل التعبير مغتر فيها باللعنة: لعنة الله لهم. . وطردهم من رحمته في الدنيا والآخرة. . ثم يرسم ذلك المشهد الأخّاذ: يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم. . فهي مقابلة في المشهد مؤثرة. . ﴿**يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق. .**﴾ ويجزيهم جزاءهم العدل، ويؤدي لهم حسابهم الدقيق. . ويومئذ يستيقنون مما كانوا يستريبون: ﴿**ويعلمون أن الله هو الحق المبين. .**﴾ ثم يختم الحديث عن حادث الإفك ببيان عدل الله في اختياره الذي ركّبه في الفطرة، وحقّقه في واقع الناس. وهو أن تلتئم النفس الخبيثة بالنفس الخبيثة، وأن تمتزج النفس الطيبة بالنفس الطيبة. وعلى هذا تقوم العلاقات بين الأزواج. وما كان يمكن أن تكون عائشة ـ رضي الله عنها ـ كما رموها. . وهي مقسومة لأطيب نفس على وجه هذه الأرض: ﴿**الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون. .**﴾ ولقد أحبت نفسُ رسول الله عائشة حباً عظيماً. . فما كان يمكن أن يحببها الله لنبيّه المعصوم إن لم تكن طاهرة تستحق هذا الحب العظيم. أولئك الطيبون والطيبات مبرءون مما يقولون بفطرتهم وطبيعتهم لا يلتبس بهم شيء مما قيل. ﴿**لهم مغفرة ورزق كريم**﴾: براءة من الله وكرامة منه بستحقها أولئك الطيبون!. . بهذا ينتهي حديث الإفك. ذلك الحادث الذي تعرضت فيه الجماعة المسلمة لأكبر محنة؛ إذ كانت محنة الثقة في طهارة بيت الرسول، وفي عصمة الله لنبيه أن يجعل في بيته إلا العنصر الطاهر الكريم. وقد جعلها الله معرضاً لتربية الجماعة المسلمة. . حتى تشفّ وترفّ وترتفع إلى آفاق النور في سورة النور.

التوجيه الثالث: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون. .﴾: في هذا التوجيه عرض شامل لكيفية الوقاية من التعرض لأسباب التهم. وفتح الباب لإثارة الريب والشكوك. . فالإسلام لا يحارب الدوافع الفطرية ويسد عليها الطريق. . ولكن

ينظمها ويضمن لها الجو النظيف الخالي من المثيرات المصطنعة. . والفكرة السائدة في منهج التربية الإسلامية في هذه الناحية هي تضييق فرص الغواية وإبعاد عوامل الفتنة وأخذ الطريق على أسباب التهييج والإثارة. . فمن هنا يجعل للبيوت حرمة لا يجوز المساس بها. . فلا يفاجأ الناس في بيوتهم بدخول الغرباء عليهم إلا بعد استئذانهم وسماحهم بالدخول؛ خيفة أن تطلع الأعين على خفايا البيوت وعلى عورات أهلها وهم غافلون. . فقد جعل الله البيوت سكناً يفيء إليها الناس، فتسكن أرواحهم وتطمئن نفوسهم ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم، ويلقون أعباء الحذر والحرص المرهقة للأعصاب! . والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرماً آمناً لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم. وفي الوقت الذي يريدون، وعلى الحالة التي يحبون أن يلقوا عليها الناس. ذلك إلى أن استباحة حرمة البيت من الداخلين دون استئذان أن يجعل أعينهم تقع على عورات وتلتقي بمفاتين تثير الشهوات وتهيء الفرصة للغواية الناشئة من اللقاءات العابرة والنظرات الطائرة التي قد تتكرر. . فتتحول إلى نظرات قاصدة تحركها الميول التي أيقظتها اللقاءات الأولى على غير قصد ولا انتظار؛ وتحولها إلى علاقات آثمة بعد بضع خطوات. . أو إلى شهوات محرومة تنشأ عنها العقد النفسية والانحرافات. . ولقد كانوا في الجاهلية يهجمون هجوماً. . فيدخل الزائر البيت. . ثم يقول: لقد دخلت! وكان يقع أن يكون صاحب الدار مع أهله في الحالة التي لا يجوز أن يراهما عليها أحد. وكان يقع أن تكون المرأة عارية أو مكشوفة العورة، هي أو الرجل. وكان ذلك يؤذي ويجرح، ويحرم البيوت أمنها وسكينتها. كما يعرض النفوس من هنا ومن هناك للفتنة حين تقع العين على ما يثير. من أجل هذا وذاك أدب الله المؤمنين بهذا الأدب العالي: أدب الاستئذان على البيوت. . وأدب السلام على أهلها لإيناسهم. . وإزالة الوحشة من نفوسهم قبل الدخول. ويعبر النص عن الاستئذان بالاستئناس ـ وهو تعبير يوحي بلطف الاستئذان ولطف الطريقة التي يجيء بها الطارق ـ فتحدث في نفوس أهل البيت أنسابه واستعداداً لاستقباله. وهي لفتة دقيقة لطيفة لرعاية أحوال النفوس. ولتقدير ظروف الناس في بيوتهم، وما يلابسها من ضرورات لا يجوز أن يشقى بها أهلها ويحرجوا أمام الطارقين في ليل أو نهار. وبعد الاستئذان: إما أن يكون في البيوت أحد من أهلها أو لا يكون فإن لم يكن فيها أحد فلا يجوز اقتحامها بعد الاستئذان؛ لأنه لا دخول بغير إذن: ﴿**فإن لم**

تجدوا فيها أحد فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم. .﴾ وإن كان فيها أحد من أهلها فإن مجرد الاستئذان لا يبيح الدخول: فإنما هي طلب للإذن. . فإن لم يأذن أهل البيت فلا دخول كذلك؛ ويجب الانصراف دون تلكؤ ولا انتظار: **﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم. .﴾** ارجعوا دون أن تجدوا في أنفسكم غضاضة، ودون أن تستشعروا من أهل البيت الإساءة إليكم، أو النفرة منكم. . فللناس أسرارهم وأعذارهم. ويجب أن يترك لهم وحدهم تقدير ظروفهم وملابساتهم في كل حين. **﴿والله بما تعملون عليم﴾**: المطلع على خفايا القلوب، وعلى ما فيها من دوافع ومثيرات. . فأما البيوت العامة: كالفنادق والمثاوي والبيوت المعدة للضيافة منفصلة عن السكن فلا حرج في الدخول إليها بغير استئذان، دفعاً للمشقة ما دامت علة الاستئذان منتفية: **﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون. .﴾** فالأمر معلق باطلاع الله على ظاهركم وخافيكم، ورقابته لكم في سركم وعلانيتكم. وفي هذه الرقابة ضمان لطاعة القلوب وامتثالها لذلك الأدب العالي الذي يأخذها الله به في كتابه الذي يرسم للبشرية نهجها الكامل في كل اتجاه. إن القرآن منهاج الحياة. . فهو يحتفل بهذه الجزئية من الحياة الاجتماعية، ويمنحها هذه العناية؛ لأنه يعالج الحياة كلياً وجزئياً لينسق بين أجزائها وبين فكرتها الكلية العليا بهذا العلاج. . فالاستئذان على البيوت يحقق للبيوت حرمتها التي تجعل منها مثابة وسكناً، ويوفر على أهلها الحرج من المفاجأة والضيق بالمباغتة والتأذي بانكشاف العورات. وهي عورات كثيرة، تعني غير ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر هذه اللفظة. . إنها ليست عورات البدن وحدها. . إنما تضاف إليها عورات الطعام وعورات اللباس وعورات الأثاث التي قد لا يحب أهلها أن يفاجئهم عليها الناس دون تهيؤ وتجمل وإعداد. وهي عورات المشاعر والحالات النفسية. . فكم منا يحب أن يراه الناس وهو في حالة ضعف يبكي لانفعال مؤثر، أو يغضب لشأن مثير، أو يتوجع لألم يخفيه عن الغرباء؟!. . فكل هذه الدقائق يرعاها المنهج القرآني بهذا الأدب الرفيع - أدب الاستئذان - ويرعى معها تقليل فرص النظرات السانحة والالتقاءات العابرة، التي طالما أيقظت في النفوس كامن الشهوات والرغبات؛ وطالما نشأت عنها علاقات ولقاءات، يدبرها الشيطان ويوجهها في غفلة عن العيون الراعية والقلوب الناضجة هنا أو هناك!. ولقد وعاها الذين آمنوا يوم خوطبوا بها أول مرة عند نزول هذه

الآيات.. وبدأ بها رسول الله ﷺ وبيّن لأصحابه ولأمته من بعده كل ما يتعلق بهذه الآداب.. فامتلأت كتب الأحاديث من هذه التوجيهات السديدة الرشيدة.. فإلى هذا الحد من اللطف والدقة بلغ حس الرسول وصحابته بما علمهم الله من ذلك الأدب الرفيع الوضيء المشرق بنور الله.

التوجيه الرابع: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون..﴾: في هذا التوجيه يتوجه الأمر إلى الرسول بعد الانتهاء من أدب الاستئذان على البيوت ـ وهو إجراء وقائي في طريق تطهير المشاعر واتقاء أسباب الفتنة العابرة ـ يأخذ على الفتنة الطريق كي لا تنطلق من عقالها.. بدافع النظر لمواضع الفتنة المثيرة، وبدافع الحركة المعبرة، الداعية إلى الغواية.. فإن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف.. لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين.. فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفىء ولا يرتوي. والنظرة الخائنة، والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسم العاري.. كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون! وإلا أن يفلت زمام الأعصاب والإرادة.. فإما الإفضاء الفوضوي الذي لا يتقيد بقيد.. وإما الأمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة! وهي أن تكون عملية تعذيب!!.. وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الاستثارة، وإبقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليماً، وبقوته الطبيعية دون استثارة مصطنعة، وتصريفه في موضعه المأمون النظيف. ولقد شاع في وقت من الأوقات أن النظرة المباحة، والحديث الطليق، والاختلاط الميسور، والدعابة المرحة بين الجنسين، والاطلاع على مواضع الفتنة المخبوءة.. شاع أن كل هذا تنفيس وترويح، وإطلاق للرغبات الحبيسة ووقاية من الكبت، ومن العقد النفسية، وتخفيف من وحدة الضغط الجنسي، وما وراءه من اندفاع غير مأمون.. شاع هذا على إثر انتشار النظريات المادية القائمة على تجريد الإنسان من خصائصه التي تفرقه من الحيوان، والرجوع به إلى القاعدة الحيوانية الفارقة في الطين!.. ولكن هذا لم يكن سوى فروض نظرية. يراها الإنسان بعينه في أشد البلاد إباحية وتفلتاً من جميع القيود الاجتماعية والأخلاقية والدينية والإنسانية، يرى ما يكذبها وينقضها من الأساس. نعم يشاهد هذا في البلاد التي ليس فيها قيد واحد على الكشف الجسدي،

والاختلاط الجنسي، بكل صوره وأشكاله، أن هذا كله لم ينته بتهذيب الدوافع الجنسية وترويضها.. إنما انتهى إلى سعار مجنون لا يرتوي ولا يهدأ إلا ريثما يعود إلى الظمإ والاندفاع. شوهدت الأمراض النفسية والعقد التي كان مفهوماً أنها لا تنشأ إلا من الحرمان، وإلا من التلهف على الجنس الآخر المحجوب. شوهدت بوفرة ومعها الشذوذ الجنسي بكل أنواعه.. ثمرة مباشرة للاختلاط الكامل الذي لا يقيده قيد، ولا يقف عند حد. وللصداقات بين الجنسين تلك التي يباح معها كل شيء! وللأجسام العارية في الطريق.. وللحركات المثيرة والنظرات الجاهرة، واللفتات الموقظة، مما يدل بوضوح على ضرورة إعادة النظر في تلك النظريات التي كذبها الواقع المشهود. إن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق في التكوين الحيوي؛ لأن الله قد ناط به امتداد الحياة على هذه الأرض، وتحقيق الخلافة لهذا الإنسان فيها.. فهو ميل دائم يسكن فترة ثم يعود. وإثارته في كل حين تزيد من عرامته وتدفع به إلى الإفضاء المادي للحصول على الراحة.. فإذا لم يتم هذا تَعِبَتِ الأعصاب المستثارة. وكان هذا بمثابة عمليةِ تعذيبٍ مستمرة!. والنظرة تثير، والحركة تثير، والضحكة تثير، والدعابة تثير، والنبرة المعبرة عن هذا الميل تثير. والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات، بحيث يبقى هذا في حدوده الطبيعية.. ثم يُلبّي تلبية طبيعية.. وهذا هو المنهج الذي يختاره الإسلام. مع تهذيب الطبع، وشَغْل الطاقة البشرية بهموم أخرى في الحياة، غير تلبية دافع اللحم والدم.. فلا تكون هذه التلبية هي المنفذ الوحيد! وفي الآيتين المعروضتين هنا نماذج من تقليل فرص الاستثارة والغواية والفتنة من الجانبين. وغض البصر من جانب الرجال أدب نفسي، ومحاولة للاستعلاء على الرغبة في الاطلاع على المحاسن والمفاتن في الوجوه والأجسام. كما أن فيه إغلاقاً للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية. ومحاولة عملية للحيلولة دون وصول السهم المسموم. وحفظ الفرج هو الثمرة الطبيعية لغض البصر. أو هو الخطوة التالية لتحكيم الإرادة ويقظة الرقابة، والاستعلاء على الرغبة في مراحلها الأولى. ومن ثَمّ يجمع بينهما في آية واحدة؛ بوصفهما سبباً ونتيجة؛ أو باعتبارهما خطوتين متواليتين في عالم الضمير وعالم الواقع. كلتاهما قريب من قريب. ﴿**ذلك أزكى لهم**﴾: هو أطهر لمشاعرهم وأضمن لعدم تلوثها بالانفعالات الشهوية في غير موضعها المشروع النظيف، وعدم ارتكاسها إلى الدرك الحيواني الهابط. وهو

أطهر للجماعة وأصون لحرماتها وأعراضها، وجوّها الذي تتنفس فيه. والله هو الذي يأخذهم بهذه الوقاية. وهو العليم بتركيبهم النفسي وتكوينهم الفطري، الخبير بحركات نفوسهم وحركات جوارهم: ﴿**إن الله خبير بما يصنعون. .**﴾ فكل ما يصنع الإنسان مسؤول عنه. . ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**﴾: ولا يرسلن بنظراتهن الجائعة المتلصصة، أو الهاتفة المثيرة، تستثير كوامن الفتنة في صدور الرجال. ولا يُبِحْن فروجهن إلا في حلال طيب، يُلبّي داعيَ الفطرة في جوّ نظيف، لا يخجل الأطفال الذين يجيئون عن طريقه عن مواجهة المجتمع والحياة!. ﴿**ولا يبدين زينتهن إلى ما ظهر منها**﴾: والزينة حلال للمرأة، تلبية لفطرتها. . فكل أنثى مولعة بأن تكون جميلة، وأن تبدُوَ جميلة. والزينة تختلف من عصر إلى عصر. . ولكن أساسها في الفطرة واحد: وهو الرغبة في تحصيل الجمال أو استكماله وتجليته للرجال. والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية. . ولكنه ينظمها ويضبطها. . فأما ما ظهر من الزينة في الوجه واليدين. . فيجوز كشفه؛ لأن كشف الوجه واليدين مباح، كما بينته السنة. . ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾: والجيب فتحة الصدر في الثوب. . والخمار غطاء الرأس والنحر والصدر. . فيداري مفاتنهن. . فلا يعرضها للعيون. . والمؤمنات اللواتي تلقين هذا النهي. . وقلوبهن مشرقة بنور الله. . لم يتلكأن في الطاعة على الرغم من رغبتهن الفطرية في الظهور بالزينة والجمال. وقد كانت المرأة في الجاهلية - كما هي اليوم في الجاهلية الحديثة! - تمر بين الرجال مسطحة بصدرها لا يواريه شيء. . وربما أظهرت عنقها ودوائب شعرها. . فقد رفع الإسلام ذوق المجتمع الإسلامي، وطهّر إحساسه بالجمال. . فلم يعد الطابع الحيواني للجمال هو المستحب. . بل الطابع الإنساني المهذب. . فجمال الكشف الجسدي جمال حيواني يهفو إليه الإنسان بحس الحيوان؛ مهما يكن من التناسق والاكتمال. . فأما جمال الحشمة فهو الجمال النظيف، الذي يرفع الذوق الجمالي، ويجعله لائقاً بالإنسان، ويحيطه بالنظافة والطهارة في الحس والخيال. هذا التحشم وسيلة من الوسائل الوقائية للفرد والجماعة. . ومن ثَمّ يبيح القرآن تركه عندما يأمن الفتنة. . فيستثني المحارم الذين لا تتوجه ميولهم عادة ولا تثور شهواتهم: ﴿**ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن. .**﴾ كما يستثني النساء المؤمنات: ﴿**أو**

نسائهن. .﴾ فأما غير المسلمات فلا. . ويستثني كذلك ما ملكت أيمانهن: **﴿أو ما ملكت أيمانهن. .﴾** ويستثني التابعين غير أولي الإربة من الرجال: **﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال. .﴾** فهم الذين لا يشتهون النساء لسبب من الأسباب. . كالجَبِّ والعنة والبلاهة والجنون. . ويستثني الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء: **﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء. .﴾** فهم الأطفال الذين لا يثير جسم المرأة فيهم الشعور الجنسي. . فإذا ميزوا وثار فيهم هذا الشعور ـ ولو كانوا دون البلوغ ـ فهم غير داخلين في هذا الاستثناء وهؤلاء كلهم ـ عدا الأزواج ـ ليس عليهم ولا على المرأة جناح أن يروا منها إلا ما تحت السرة إلى تحت الركبة؛ لانتفاء الفتنة التي من أجلها كان الستر والغطاء. . فأما الزوج فله رؤية كل جسدها بلا استثناء. ولما كانت الوقاية هي المقصودة بهذا الإجراء فقد مضت الآية تنهي المؤمنات عن الحركات التي تعلن عن الزينة المستورة، وتهيج الشهوات الكامنة، وتوقظ المشاعر النائمة، ولو لم يكشفن فعلاً عن الزينة: **﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن. .﴾** وإنها لعلم وخبرة عميقة بتركيب النفس البشرية وانفعالاتها واستجاباتها. . فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى في إثارة الشهوات من العيان. وكثير تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها أو حليها أكثر مما تثيرها رؤية جسد المرأة ذاته. كما أن كثيرين يثيرهم طيف المرأة يخطر في خيالهم أكثر مما يثيرهم شخص المرأة بين أيديهم ـ وهي الحالات معروفة عند علماء الأمراض النفسية اليوم ـ وسماع وسوسة الحلي أو شمام شذى العطر من بعيد، قد يثير حواس رجال كثيرين، ويهيج أعصابهم، ويفتنهم فتنة جارفة لا يملكون لها رداً. والقرآن يأخذ الطريق على هذا كله؛ لأنّ مُنزّله هو الذي خلق. وهو الذي يعلم من خلق. وهو اللطيف الخبير. وفي النهاية يرد القلوب كلها إلى الله، ويفتح لها باب التوبة مما ألمت به قبل نزول هذا القرآن: **﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون. .﴾** بذلك يثير الحساسية برقابة الله، وعطفه ورعايته وعونه للبشر في ضعفهم أمام ذلك الميل الفطري العميق، الذي لا يضبطه إلا الشعور بالله والالتزام بتقواه.

التوجيه الخامس: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم. .﴾: في هذا التوجيه العلاج الواقعي الإيجابي. . فقد كان في الآيات السابقة العلاج النفسي الوقائي. . وهذه

الحلول الواقعة هي تيسير الزواج والمعاونة عليه؛ مع تصعيب السبل الأخرى للمباشرة الجنسية أو إغلاقها نهائياً. إن الزواج هو الطريق الطبيعي لمواجهة الميول الجنسية الفطرية. وهو الغاية النظيفة لهذه الميول العميقة.. فيجب أن تزول العقبات من طريق الزواج لتجري الحياة على طبيعتها وبساطتها. والعقبة المالية هي العقبة الأولى في طريق بناء البيوت وتحصين النفوس. والإسلام نظام متكامل.. فهو لا يفرض العفة إلا وقد هيأ لها أسبابها، وجعلها ميسورة للأفراد الأسوياء.. فلا يلجأ إلى الفاحشة حينئذ إلا الذي يعدل عن الطريق النظيف الميسور عامداً غير مضطر. لذلك يأمر الله الجماعة المسلمة أن تعين من يقف المال في طريقهم إلى النكاح الحلال: ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله**..﴾ فالأيامى هم الذين لا أزواج لهم من الجنسين: والمقصود هنا الأحرار. وقد أفرد الرقيق بالذكر بعد ذلك: ﴿**والصالحين من عبادكم وإمائكم**﴾. وكلهم ينقصهم المال كما يفهم من قوله بعد ذلك: ﴿**إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله**﴾. وهذا أمر للجماعة بتزويجهم. والجمهور على أن الأمر هنا للندب. ودليلهم أنه قد وجد أيامى على عهد رسول الله لم يزوجوا. ولو كان الأمر للوجوب لزوّجهم. والذي يظهر من النص أن الأمر للوجوب ويتعين إعانة الراغبين في الزواج وتمكينهم من الإحصان بوصفه وسيلة من وسائل الوقاية العملية، وتطهير المجتمع الإسلامي من الفاحشة.. فهو واجب. ووسيلة الواجب واجبة. وينبغي أن يوضع في الحساب ـ مع هذا ـ أن الإسلام ـ بوصفه نظاماً متكاملاً ـ يعالج الأوضاع الاقتصادية علاجاً أساسياً.. فيجعل الأفراد الأسوياء قادرين على الكسب وتحصيل الرزق، وعدم الحاجة إلى مساعدة الغير.. فإذا وجد في المجتمع الإسلامي ـ بعد ذلك ـ أيامى فقراء وفقيرات تعجز مواردهم الخاصة عن الزواج فعلى الجماعة أن تزوجهم.. فلا يجوز أن يكون الفقر عائقاً عن الزواج.. فالرزق بيد الله. وقد تكفل الله بإغنائهم إن هم اختاروا طريق العفة النظيف: ﴿**إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**..﴾ وفي انتظار قيام الجماعة بتزويج الأيامى يأمرهم بالاستعفاف حتى يغنهم الله بالزواج: ﴿**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله**﴾. وهكذا يواجه الإسلام المشكلة مواجهة عملية.. فيهيىء لكل فرد صالح للزواج أن يتزوج؛ ولو كان عاجزاً من ناحية المال. والمال هو العقبة الكؤود غالباً في طريق الإحصان.

ولما كان وجود الرقيق في الجماعة من شأنه أن يساعد على هبوط المستوى الخلقي، وأن يساعد على الترخص والإباحية بحكم ضعف حساسية الرقيق بالكرامة الإنسانية ـ وكان وجود الرقيق ضرورة إذ ذاك لمقابلة أعداء الإسلام بمثل ما يعاملون به أسرى المسلمين. لما كان الأمر كذلك عمل الإسلام على التخلص من الأرقاء كلما واتت الفرصة.. حتى تتهيأ الأحوال العالمية لإلغاء نظام الرق كله.. فأوجب إجابة الرقيق إلى طلب المكاتبة على حريته. وذلك في مقابل مبلغ من المال يؤديه.. فينال حريته: ﴿**والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**﴾. وأخطر من وجود الرقيق في الجماعة احتراف بعض الرقيق للبغاء.. فكان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة فتاة أرسلها تزني، وجعل عليها ضريبة يأخذها منها ـ وهذا هو البغاء في صورته التي ما تزال معروفة حتى اليوم ـ فلما أراد الإسلام تطهير البيئة الإسلامية حرم الزنا بصفة عامة؛ وخص هذه الحالة بنص خاص: ﴿**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم..**﴾ فنهى الذين يُكرهون فتياتهم على هذا المنكر. ووبخهم على ابتغاء عرض الحياة الدنيا من هذا الوجه الخبيث.. ووعد المكرهات بالمغفرة والرحمة بعد الإكراه الذي لا يَدّ لهنّ فيه. هذا النهي عن إكراه الفتيات على البغاء ـ وهن يردن العفة ـ ابتغاء المال الرخيص كان جزءاً من خطة القرآن في تطهير البيئة الإسلامية، وإغلاق السبق القذرة للتصريف الجنسي. ذلك أن وجود البغاء يغري الكثيرين لسهولته.. ولو لم يجدوه لانصرفوا إلى طلب هذه المتعة في محلها الكريم النظيف. وهذا ما يصنعه الإسلام بنظامه المتكامل النظيف العفيف الذي يصل الأرض بالسماء.. ويرفع البشرية إلى الأفق المشرق الوضيء المستمد من نور الله. ويعقب على هذا الشوط بالصفة التي تناسب موضوعه وجوّه: ﴿**ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين..**﴾ فهي آيات أنزلها الله للناس.. فانتفع بها المؤمنون.. ووضحها لكل من سمعها وعرف أغراضها وما تحويه من تحذير وتحريض وترهيب وترغيب وتحذير وإغراء.. فلا يدع مجالاً للغموض والتأويل والانحراف عن المنهج القويم. وفيه عرض لمصائر العابرين الذين انحرفوا عن نهج الله.. فكان مصيرهم ما تحدثت عنه هذه الآيات المنزلة مما نزل بهؤلاء وأولئك من القوم الأفاكين الفاسقين.. وهي موعظة وتذكرة وعبرة توجه المؤمن إلى أن يقي نفسه شر ما وقع فيه أولئك

الكاذبون الفاسقون وما وقع فيه أمثالهم من القوم الكافرين.. والأحكام التي تضمنها هذا الشوط تتناسق مع هذا التعقيب العجيب الذي يربط القلوب المطمئِنة والعقول المستقيمة برباط التقوى الذي يربط المؤمن بالله الذي نزّل هذا القرآن..

4 ـ تمثيل أحكام الله بالنور لما فيها من قوة الوضوح وشدة الظهور

النص

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ
كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (36)
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ
يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ
عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (38) أَوْ كَظُلُمَاتٍ
فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ
ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن

لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿39﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿40﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ
وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿41﴾ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ
ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ
عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ
يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿42﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ
وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ
يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿43﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ
مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿44﴾ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ
وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿45﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿46﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ
إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿47﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿48﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ

بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿49﴾
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿50﴾
۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ
طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿51﴾
قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ
مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى
ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿52﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم
مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن
كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿53﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿54﴾ لَا تَحْسَبَنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ
ٱلْمَصِيرُ ﴿55﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ
صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ
وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ
جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ

كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿56﴾
وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا
ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿57﴾ * وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ
ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿58﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ
مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ
أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم
بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿59﴾
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ
جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿60﴾ ۞ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿61﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿62﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**الله نور السماوات والأرض. .**﴾ حقيقة النور: الإشراق والضياء. وهو يضيء الأشياء التي من شأنها أن تخفى عن مدارك الناس. ونور الله بيانه وإيضاحه لكل ما في السماوات والأرض. ﴿**مثل نوره كمشكاة فيها مصباح. .**﴾ المثل: تشبيه حال بحال. ونوره: القرآن العظيم الذي أنزله الله على رسوله الكريم. والمشكاة: فرجة في الجدار غير نافذة. والمصباح: الفتيلة المشتعلة. وهو كل آلة مستعملة للإضاءة. مشتق من الصباح تشبيهاً له بضياء الصبح. الزجاجة: اسم إناء يصنع من الزجاج يُجعل داخلَه المصباح. ويعبر عنه بالفنار. والكوكب الدري: النجم الساطع. والإيقاد: وضع الوقود. والمراد هنا ما يمد به المصباح من الزيت. والشجرة المباركة: فسرها النص بالزيتونة. وهي شجرة معروفة. ووصفت هذه الزيتونة بكونها مباركة وكونها لا شرقية ولا غربية. ووصف زيتها بالضياء الذاتي لصفائه ولمعانه. . ﴿**نور على نور**﴾: ذلك النور الذي عبر به عن القرآن، ومثلت صفته العجيبة الشأن بما فُصّل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور عظيم!

﴿**يهدي الله لنوره من يشاء**﴾: يهدي هداية خاصة موصلة للمطلوب؛ بأن يوفق من يشاء لفهم ما في القرآن من دلائل حقيقية وكونه من عند الله. ﴿**ويضرب الله الأمثال للناس**﴾: يضرب الله للناس المعنى المعقول بالمعنى المحسوس. ﴿**والله بكل شيء عليم**﴾: معقولاً كان أو محسوساً، ظاهراً كان أو باطناً. ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال..**﴾ المراد بالبيوت: المساجد. والمراد بالإذن في رفعها: الأمر ببنائها رفيعة مميزة معلومة من حيث المكان والشكل مخالفة لسائر البيوت. والمراد بذكر اسمه تعالى فيها: إقامة الصلوات جماعة. ويفسر هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**يسبح له فيها بالغدو والآصال**﴾. رجال: فاعل يسبح له فيها.. ﴿**لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة..**﴾ لا تلهيهم: لا تشغلهم.. والتجارة: جلب السلع للربح في بيعها. والبيع: بدل الشيء بثمن مقدر.. فالبيع أعم من التجارة: ﴿**يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾: صفة ثانية لرجال. والمراد بالخوف هنا خوف التقصير.. واليوم الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار: هو يوم القيامة. ﴿**ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب..**﴾ فهم يعملون ما يعملون.. ليجزيهم الله عليه الجزاء الأحسن في الدنيا.. ويزيدهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر يوم القيامة.. وجملة والله يرزق من يشاء بغير حساب وعد كريم بأن الله تعالى يعطيهم غير أجزية أعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب.. فهو تذييل مقرر لزيادة ما سبق من الجزاء الأحسن!. ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً..**﴾ مقابل لما سبق من أعمال المؤمنين. والأعمال: هي أعمال البر التي يعملونها في الدنيا.. السراب: هو ما يُرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن أنه ما يسرب.. ينشأ من الرطوبة الكثيفة تصعد على وجه الأرض ولا تعدو في الجو في المناطق الحارة الرملية.. فتلوح من بعيد كأنه ماء. والقيعة: الأرض المستوية الخالية من النبات. وتسمى بالقاعة. وتقدم في قوله تعالى: ﴿**فيدرها قاعاً صفصفاً**﴾ معنى هذا. والظمآن: الشخص الذي اشتد به العطش. ﴿**ووجد الله عنده**﴾: وجدوا حكم الله وقضاءه عند مجيئهم يوم القيامة. ﴿**أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها..**﴾

فهي مثل آخر لأعمال الكفار التي ليس فيها خير لأحد.. فهي مثل ظلمات الليل في بحر عميق يعتريه الموج من مكان سحيق زيادة على الظلمة الأصلية، ومن فوق ذلك كله سحاب ظلماني متراكم يمنع شعاع النجوم من الظهور بحيث من كان في هذه الظلمات إذا أخرج يده لم يكد يراها. ﴿**ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**﴾: هذا التقرير لما أفاده التمثيل. أي: ومن لم يشإ الله أن يهديه لنوره الذي هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتماً ولم يوفقه للإيمان به.. ﴿**ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون**﴾: الهمزة للتقرير. والمعنى: قد علمت علماً يقينياً شبيهاً بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح: أن الله يسبح له من في السماوات والأرض. والطيرُ كذلك صافات أجنحتها في السواء ما يمسكها إلا الله. كل واحد من هذه المخلوقات قد علم صلاته وتسبيحه.. وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم.. والله عليم بما يفعلون: اعتراض مقرر لمضمون ما قبله. ﴿**ولله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير**﴾: جملة مقررة لمضمون ما تقدم وجملة وإلى الله المصير: بيان لاختصاص الملك بالله في المعاد إثر اختصاصه به في المبدإ. ﴿**ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله..**﴾ الإزجاء: سوق الشيء برفق وسهولة: غُلّب في سوق شيء يسير.. ومنه البضاعة المزجاة.. والتأليف: ضم شيء إلى شيء. والركام: مشتق من الركم. والركم: الجمع والضم. والودق: المطر النازل من السحاب. والخلال: جمع خلل. وهي الفتوق. والجبال هنا: السحاب المتراكم يُرى مثل الجبال: ﴿**وينزل من السماء من جبال فيها من برد..**﴾ والبرد: قطع الماء الجامد ينزل من السحاب مثل الحجر.. ﴿**فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء**﴾: معلوم أن البرد عندما يشتد قد يكون ضاراً بالنبات والحيوان والإنسان: ﴿**يكاد سنَا برقه يذهب بالأبصار..**﴾ سنا البرق: شدة لمعان البرق. والبرق: شرارة كهربية شديدة اللمعان يكون معها صوت شديد. وهو الرعد. وقد تقوى هذه الشرارة حتى تكون صاعقة. ومعنى يذهب بالأبصار: يخطفها من شدة وفرط الإضاءة وسرعة ورودها. وتقدم معنى هذا في قوله تعالى من سورة البقرة: يكاد البرق يخطف أبصارهم. ﴿**يقلب الله الليل والنهار..**﴾ التقليب: تغيير هيئة إلى ضدها. ومعناه هنا: معاقبة بين الليل والنهار

بمجيء أحدهما بعد الآخر. أو بينهما بالنقص والزيادة والحر والبرد.. ﴿**إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**﴾: تعليل لما سبق من الدلائل والعبر. ﴿**والله خلق كل دابة من ماء**﴾: والدابة كل حيوان يدب على الأرض.. والمراد بالماء الماء النازل من السماء؛ لأن الماء أصل الحياة وسبب بقائها.. كما في قوله تعالى: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي.. فمنهم من يمشي على بطنه**﴾: ترتيب لأنواع الدواب. والذي يمشي على بطنه أنواع الزواحف من الحشرات والثعابين والحيات والسمك.. ﴿**ومنهم من يمشي على رجلين**﴾: مثل الإنسان والطير.. ﴿**ومنهم من يمشي على أربع**﴾: مثل بقية الحيوانات. ﴿**يخلق الله ما يشاء**﴾: مما ذكر ومما لم يُذكر بسيطاً كان أو مركباً على ما يشاء من الصور والأعضاء والهيئات والحركات والطبائع والأفاعيل مع اتحاد العنصر الأصلي. وهو الماء. كما قال تعالى في النبات: تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل. ﴿**إن الله على كل شيء قدير**﴾: تذييل تعليلي مقرر لمضمون ما سبق.. ﴿**لقد أنزلنا آيات مبينات**﴾: تقدم معنى هذه الآية في قوله: ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات.. ﴿**والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾: تذييل مقرر لمضمون ما تقدم. ﴿**ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا..**﴾ فاعل يقولون: المنافقون بدليل قوله: ﴿**ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين..**﴾ فالمنافقون جميعاً غير مؤمنين سواء من قال هذا القول أو لم يقله.. ﴿**وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون. وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين..**﴾ فهذا بيان لموقفهم من حكم الرسول.. فإن كان عليهم أعرضوا عنه وإن كان لهم أقبلوا وقبلوا.. فالمذعن: المنقاد الطائع السريع الإقبال.

﴿**أفي قلوبهم مرض**﴾؟: استفهام عن موقفهم المتردد بين القبول والرفض.. ﴿**أم ارتابوا**﴾؟: أم شكوا في أمر رسالة الرسول مع ظهور حقيقتها؟!.. ﴿**أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله**﴾؟ أم يخافون الظلم والجور نحوهم من الله ورسوله؟!.. ثم أضرب عن الكل وأبطلت مشيئته، وحكم بأن المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل: ﴿**بل أولئك هم الظالمون.. إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا..**﴾ إنما كان قولهم سمعنا وأطعنا هو قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم. أما قولهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا.. ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك فليس بشيء..

﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾: المؤمنون الذين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم يذعنون للأمر دون تردد هم المفلحون حقاً.. ﴿**ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**﴾: هذا تقرير لمضمون ما سبقه، من حسن حال المؤمنين، وترغيب من عداهم في الانتظام في مسلكهم. ﴿**وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن..**﴾ فهذا قول آخر من أقوال المنافقين. وهو أنهم يقسمون بالله أشد القسم إنهم تحت أمر الرسول وطوع إرادته.. ﴿**قل: لا تقسموا**﴾: لا تقسموا على ما تدّعون من الطاعة.. وعلّل هذا بقوله طاعة معروفة.. ﴿**إن الله خبير بما تعملون**﴾: تعليل للحكم بنفي الصدق في قولهم.. ﴿**قل: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول.. فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم..**﴾ ما حمل الرسول من تبليغ الدعوة، وما حملوا هم من طاعة الأمر وتنفيذه دون تردد: ﴿**وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين**﴾: إن غائلة التولي وفائدة الإطاعة مقصورتان عليكم؛ لأن ما على الرسول إلا البلاغ المبين. ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً..**﴾ فالمراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالإيمان بعد الكفر على الإطلاق، من أي طائفة كان وفي أي وقت كان.. فالخطاب لعامة الكفرة، لا للمنافقين خاصة. والاستخلاف في الأرض: جعلهم خلفاء فيها بالملك والحكم والتصرف. وتمكين الدين: إظهاره على أيديهم. والدين الذي ارتضى لهم: هو دين الإسلام الذي جاء به محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ. وتبديل الخوف أمناً: جعلهم سادة بعد أن كانوا عبيداً: فقراء وضعفاء وأرقاء.. ﴿**يعبدونني لا يشركون بي شيئاً**﴾: هذا شرط في الاستخلاف والتمكن وإظهار الدين.. ﴿**ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾: ومن لم يأت بهذه الشروط فقد كفر النعمة واستحق النقمة ونزعت منه السيطرة والهيمنة.. فأصبح ذليلاً حقيراً ليس له في الأمر قيمة! ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون**﴾: خلاصة الأوامر تظهر في ثلاثة مطالب: إقامة الصلاة وهو حق الله. وإيتاء الزكاة وهو حق المستحق من الناس. وإطاعة الرسول في كل ما يأمر وينهي، وهو حق الدعوة التي جاء بها رسول الله.. ونتيجة هذا: الرحمة الشاملة في الدنيا والآخرة. ﴿**لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض**﴾: لما بين حال من أطاع الرسول عقب ذلك

ببيان من عصاه.. ﴿**ومأواهم النار**﴾: إنهم مدركون ومقهورون ومأواهم النار. ﴿**ولبئس المصير**﴾: مقرر لما قبله. ولبئس المصير النار!.. ﴿**يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء..**﴾ الاستئذان: طلب الإذن بالدخول. والذين ملكت أيمانكم: الأرقاء.. والذين لم يبلغوا الحلم: الأطفال.. ثلاث مرات: ثلاثة أوقات: قبل صلاة الفجر. وهو وقت النهوض من النوم ووقت تغيير الثياب. وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة. وهو وقت الراحة في القيلولة.. ومن بعد صلاة العشاء، عند إرادة النوم وتغيير الثياب.. ﴿**ثلاث عورات لكم..**﴾ فهي ثلاثة أوقات يختل فيها التستر عادة. والعورة في الأصل: هو الخلل. غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره. ﴿**ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن**﴾: بعد هذه الأوقات الثلاثة لا حرج على المماليك والأطفال في الدخول على أهل البيت.. ﴿**طوافون عليكم**﴾: بيان للعذر المرخص فيه.. ﴿**بعضكم على بعض**﴾: بعضكم طائف على بعض طوافاً كثيراً.. ﴿**كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم**﴾: مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات الدالة على الأحكام السابقة واللاحقة.. ﴿**وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم..**﴾ فإذا بلغ الطفل وصار رجلاً فحكمه حكم الرجال في الاستئذان السابق في قوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا..**﴾ إلخ الآية. ﴿**والقواعد من النساء التي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة..**﴾ القواعد: جمع قاعد، مثل: حامل وحائض.. وهو القعود عن الولادة والحيض.. وهن اللاّتي لا رغبة لهن في النكاح لكبرهن.. فلا حرج عليهن في خروجهن سافرات بدون جلباب.. غير متبرجات.. بزينة يقصدن بها التجمل للرجال. والتبرج: التكلف في إظهار ما يخفى مما يجب ستره.. ﴿**وأن يستعففن خير لهن..**﴾ الاستعفاف: طلب العفة والتزامها. بحيث يكنّ عفيفات شريفات، لا متبرجات مستهترات!. ﴿**ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج..**﴾ الأعمى: فاقد البصر. والأعرج: من برجله عيب.. والمريض: المختل المزاج. وهؤلاء كان يتحرج من الأكل معهم.. ﴿**ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم**

أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم. .﴾ فلا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوت هؤلاء. . **﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾**: حكم آخر من جنس ما بين قبله. . فالمعنى: ليس عليكم جناح في الأكل مجتمعين أو متفرقين. . **﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾**: شروع في الآداب التي تجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه إثر بيان الرخصة فيه. **﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾**: تكرر هذا التعقيب بعد كل حكم من هذه الأحكام المهمة. **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾**: تقريراً للأحكام السابقة، وتكميلاً لها ببيان بعض آخر من جنسها. والأمر الجامع: هو الأمر الذي يقتضي الحضور فيه لجميع المؤمنين. . فهم يحضرونه ولا يتخلفون عنه إلا بإذن شرعي. **﴿إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله. .﴾** فقضى بأن المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الأول بأن الكاملين في الإيمان هم الجامعون بين الإيمان بالله ورسوله وبين الاستئذان. . **﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم. .﴾** فهذا من وظائف الرسول ﷺ في هذا الحكم. . أي: بعدما تحقق أن الكاملين في الإيمان هم المستأذنون. . فإذا استأذنوك لبعض شأنهم المهم وخطبهم الملم فأذن لم شئت منهم لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة. . فإن الاستئذان وإن كان لعذر قوي فلا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة، **﴿واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم. . لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾**: لا تجعلوا دعوة الرسول إياكم مثل دعاء بعضكم بعضاً في الأمور العادية. . بل دعاء الرسول أمر شرعي يجب تنفيذه. . **﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً. .﴾** التسلل: الخروج من البين على التدريج والخفية. والملاوذة أن يستتر بعضهم ببعض. **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره. .﴾** الحذر: أخذ الحيطة. خالفه عن الأمر: إذا صد عنه دونه. **﴿أن تصيبهم فتنة. .﴾** الفتنة: المحنة في الدنيا. **﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾** في الآخرة. **﴿ألا﴾**: أداة استفتاح. **﴿إن لله ما في السماوات والأرض﴾** من الموجودات بأسرها: خلقاً وملكاً وتصرفاً إيجاداً وإعداماً وإعادة. **﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾**: من الأحوال والأوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والإخلاص والنفاق. **﴿ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما**

عملوا﴾: فينبئهم بما عملوا يوم يرجعون إليه. . فيجازيهم بما عملوا. **﴿والله بكل شيء عليم﴾**: لا يخفى عليه شيء!.

مبحث الإعراب

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. **﴿نورُ﴾** خبر المبتدإ. **﴿السماوات﴾** مضاف إلى نور. **﴿والأرض﴾** معطوف على السماوات. والجملة ابتدائية لا محل لها من الإعراب. **﴿مثلُ﴾** مبتدأ. **﴿نوره﴾** مضاف إلى مثل. **﴿كمشكاة﴾** الكاف في محل رفع خبر المبتدإ. ومشكاة مجرور بالكاف. **﴿فيها﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿مصباح﴾** مبتدأ مؤخر. والجملة في محل جر نعت لمشكاة. **﴿المصباحُ﴾** مبتدأ. **﴿في زجاجة﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. والجملة في محل رفع نعت لمصباح. **﴿الزجاجة﴾** مبتدأ. **﴿كأنها﴾** كأنّ واسمها. **﴿كوكبٌ﴾** خبر كأن. **﴿درّيّ﴾** نعت لكوكب. وجملة **﴿كأنها كوكب﴾** خبر المبتدإ. وجملة المبتدإ والخبر في محل جر نعت لزجاجة. **﴿يوقد﴾** فعل مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على المصباح. **﴿من شجرة﴾** متعلق بيوقد. **﴿مباركة﴾** نعت لشجرة. **﴿زيتونة﴾** بدل من شجرة. **﴿لا شرقية﴾** نعت لزيتونة. **﴿ولا غربية﴾** معطوف على لا شرقية. **﴿يكاد﴾** فعل مضارع ناقص. **﴿زيتُها﴾** اسم يكاد. **﴿يضيء﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على زيتها. وجملة **﴿يضيء﴾** في محل نصب خبر يكاد. **﴿ولو لم تمسسه﴾** فعل مضارع مجزوم بلم. ولو وصلية. والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿نار﴾** فاعل. والجملة معطوفة على قوله: **﴿يكاد زيتها يضيء﴾**. **﴿نورٌ﴾** خبر لمبتدإ محذوف. هو نور. **﴿على نور﴾** متعلق بمحذوف نعت لنور. **﴿يهدي الله﴾** فعل وفاعل. **﴿لنوره﴾** متعلق بيهدي. **﴿مَنْ﴾** في محل نصب مفعول به. **﴿يشاء﴾** صلة مَنْ. **﴿ويضرب الله الأمثال﴾** فعل وفاعل ومفعول. **﴿للناس﴾** متعلق بيضرب. **﴿والله﴾** مبتدأ. **﴿بكل﴾** متعلق بالخبر. **﴿شيء﴾** مضاف إلى كل. **﴿عليم﴾** خبر المبتدإ. **﴿في بيوت﴾** متعلق بيسبح. **﴿أذن الله﴾** فعل وفاعل. **﴿أن ترفع﴾** فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن. ونائب الفاعل ضمير يعود على بيوت. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بأذن. أي: أمر الله برفعها. وجملة **﴿أذن الله أن ترفع﴾** في محل جر نعت لبيوت. **﴿ويذكر﴾** معطوف على ترفع. **﴿فيها﴾** متعلق بيذكر. **﴿اسمه﴾** نائب فاعل يُذكر.

﴿**يسبح**﴾ فعل مضارع. ﴿**له فيها بالغدو**﴾ متعلقات بيسبح. ﴿**والآصال**﴾ معطوف على الغدو. ﴿**رجال**﴾ فاعل يسبح. ﴿**لا تلهيهم**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**تجارة**﴾ فاعل تلهي. وجملة ﴿**لا تلهيهم تجارة**﴾ في محل رفع نعت لرجال. ﴿**ولا بيع**﴾ معطوف على تجارة. ﴿**عن ذكر**﴾ متعلق بتلهيهم. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى ذكر. ﴿**وإقام**﴾ معطوف على ذكر. ﴿**الصلاة**﴾ مضاف إلى إقام. ﴿**وإيتاء**﴾ مثل وإقام. ﴿**الزكاة**﴾ مضاف إلى إيتاء. ﴿**يخافون يوماً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت لرجال. ﴿**تتقلب**﴾ فعل مضارع. ﴿**فيه**﴾ متعلق به. ﴿**القلوب**﴾ فاعل. وجملة ﴿**تتقلب**﴾ نعت ليوماً. ﴿**والأبصار**﴾ معطوف على القلوب. ﴿**ليجزيهم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**أحسن**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى أحسن. ﴿**عملوا**﴾ صلة ما. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام العلة متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من أعمالهم المرضية. أي: يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وإيتاء الزكاة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله أحسن ما عملوا. ﴿**ويزيدهم**﴾ معطوف على يجزيهم. ﴿**من فضله**﴾ متعلق بيزيدهم. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**يرزق**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. وجملة ﴿**يرزق**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يشاء**﴾ صلة مَنْ. ﴿**بغير**﴾ متعلق بيرزق. ﴿**حساب**﴾ مضاف إلى غير. وجملة ﴿**والله يرزق**﴾ تذييل مقرر للزيادة. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ أول. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. والواو للعطف. ﴿**أعمالهم**﴾ مبتدأ ثانٍ. ﴿**كسراب**﴾ الكاف في محل رفع خبر المبتدإ الثاني. والمبتدأ الثاني وخبرُه خبر عن المبتدإ الأول. وسراب مجرور بالكاف. ﴿**بقيعة**﴾ متعلق بمحذوف نعت لسراب. ﴿**يحسبه**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول أول. ﴿**الظمآن**﴾ فاعل يحسب. ﴿**ماء**﴾ مفعول ثانٍ. وجملة ﴿**يحسبه..**﴾ نعت ثانٍ لسراب. ﴿**حتى إذا جاءه**﴾ فعل ماضٍ دخلت عليه إذا الظرفية الشرطية وحتى الفائية. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الظمآن. ﴿**لم يجده**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الظمآن. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول ثانٍ. وجملة ﴿**لم يجده شيئاً**﴾ جواب الشرط. ﴿**ووجد**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على الظمآن. ﴿**الله**﴾ مفعول وجد.

﴿**عنده**﴾ متعلق بوجد. ﴿**فوفاه**﴾ مرتب على وجد. ﴿**حسابه**﴾ مفعول ثانٍ لوفى. والمفعول الأول الضمير المتصل بالفعل. وفاعل وفّى ضمير يعود على الله. ﴿**واللَّهُ**﴾ مبتدأ. ﴿**سريعُ**﴾ خبره. ﴿**الحساب**﴾ مضاف إلى سريع. والجملة تذييل. ﴿**أو كظلمات**﴾ عطف على كسراب. ﴿**في بحر**﴾ متعلق بمحذوف نعت لظلمات. ﴿**لجّيّ**﴾ نعت لبحر. ﴿**يغشاه**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**موجٌ**﴾ فاعل يغشى. ﴿**من فوقه**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**موج**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة نعت لموج. وجملة ﴿**يغشاه موج**﴾ نعت ثانٍ لبحر. . ﴿**من فوقه سحاب**﴾ إعرابه كإعراب ما قبله. ﴿**ظلمات**﴾ خبر مبتدإ محذوف: هي ظلمات. . ﴿**بعضها**﴾ مبتدأ. ﴿**فوق**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**بعض**﴾ مضاف إلى فوق. والجملة بيانية. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**أخرج**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على ما فهم من السياق. ﴿**يدَه**﴾ مفعول به. ﴿**لم يكد**﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بلم. واسم يكد ضمير يعود على ما عاد عليه الضمير الأول. ﴿**يراها**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. وجملة ﴿**يراها**﴾ في محل نصب خبر يكدْ. وجملة ﴿**لم يكد يراها**﴾ جواب شرط إذا. ﴿**ومن**﴾ اسم شرط جازم. ﴿**يجعل الله**﴾ فعل وفاعل فعل شرط من. ﴿**له**﴾ متعلق بيجعل. ﴿**نوراً**﴾ مفعول به. ﴿**فما له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. وما نافية. والفاء رابطة للجواب. ﴿**من نور**﴾ مبتدأ مؤخر جر بحرف الجر الزائد ومحله رفع. وجملة ﴿**فما له من نور**﴾ جواب شرط مَنْ. والجملة تذييل. ﴿**ألم تر**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والهمزة للاستفهام. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**أن الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**يسبح**﴾ فعل مضارع. ﴿**له**﴾ متعلق به. ﴿**مَنْ**﴾ في محل رفع فاعل يسبح. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**والطير**﴾ فاعل بفعل مقدر معطوف على يسبّح. . ﴿**صافات**﴾ حال من الطير. ﴿**كلٌّ**﴾ مبتدأ. والتنوين عوض عن المضاف إليه. ﴿**قد علم**﴾ فعل ماضٍ دخل عليه حرف التحقيق. والفاعل ضمير يعود على ما تقدم من فاعل يسبح. ﴿**صلاته**﴾ مفعول به. ﴿**وتسبيحَه**﴾ معطوف عليه. وجملة ﴿**قد علم صلاته وتسبيحه**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. وجملة ﴿**كل قد علم. .**﴾ بيانية. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**عليم**﴾ خبره. ﴿**بما**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**يفعلون**﴾ صلة ما. والجملة تذييل. ﴿**ولله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ملكُ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**السماوات**﴾

مضاف إلى ملك. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**وإلى الله المصير**﴾ عطف على ما قبله وهو مثله في الإعراب. وكلا الجملتين بيان. ﴿**ألم تر أن الله**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**يزجي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**سحاباً**﴾ مفعول به. وجملة ﴿**يزجي**﴾ خبر أنّ. ﴿**ثم يؤلف**﴾ معطوف على يزجي. ﴿**بينه**﴾ متعلق بيؤلف. ﴿**ثم يجعله**﴾ معطوف على يؤلف. ﴿**ركاماً**﴾ مفعول ثانٍ ليجعل. ﴿**فترى**﴾ فعل مضارع مرتب على قوله: ﴿**ثم يجعله ركاماً**﴾. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**الودق**﴾ مفعول به. ﴿**يخرج**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الودق. ﴿**من خلاله**﴾ متعلق بيخرج. وجملة ﴿**يخرج**﴾ في محل نصب حال من الودق. ﴿**وينزل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بينزل. ﴿**من جبال**﴾ بدل من السماء. ﴿**فيها**﴾ متعلق بمحذوف نعت لجبال. ﴿**من برد**﴾ مفعول ينزل جُرّ بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**فيصيب**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف التعقيب. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**به**﴾ متعلق بيصيب. ﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يشاء**﴾ صلة مَنْ. ﴿**ويصرفه**﴾ معطوف على يصيب. ﴿**عمّن**﴾ متعلق بيصرفه. ﴿**يشاء**﴾ صلة مَنْ. ﴿**يكاد**﴾ فعل مضارع ناقص، من أفعال المقاربة. ﴿**سنا**﴾ اسم يكاد مرفوع بضمة مقدرة على الألف. . ﴿**برقه**﴾ مضاف إلى سنا. ﴿**يذهب**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على سنا. والجملة في محل نصب خبر يكاد. ﴿**بالأبصار**﴾ متعلق بيذهب. ﴿**يقلب الله الليل**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**والنهار**﴾ معطوف على الليل. ﴿**إن في ذلك**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**لعبرةً**﴾ اسمها مؤخر. والجملة تعليل. ﴿**لأولي**﴾ متعلق بعبرة. ﴿**الأبصار**﴾ مضاف إلى أولي. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**خلق**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على الله. وجملة ﴿**خلق**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**كلَّ**﴾ مفعول به. ﴿**دابة**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**من ماء**﴾ متعلق بخلق. ﴿**فمنهم**﴾ الفاء للتفريع. ومن للتبعيض في محل رفع مبتدأ. ﴿**مَنْ**﴾ في محل رفع خبر. ﴿**يمشي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. ﴿**على بطنه**﴾ متعلق بيمشي. ﴿**ومنهم من يمشي على رجلين**﴾ إعرابه مثل ما قبله. ﴿**ومن من يمشي على أربع**﴾ كذلك. ﴿**يخلق الله ما**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**يشاء**﴾ صلة ما. والجملة بيانية. ﴿**إن الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**على كل**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**قدير**﴾ خبر إنّ. وجملة ﴿**إن الله على كل**

شيء قدير﴾ تعليلية. **﴿لقد أنزلنا آيات﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. **﴿مبينات﴾** نعت لآيات. **﴿والله﴾** مبتدأ. **﴿يهدي﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. **﴿مَنْ﴾** في محل نصب مفعول به. **﴿يشاء﴾** صلة مَنْ. **﴿إلى صراط﴾** متعلق بيهدي. **﴿مستقيم﴾** نعت لصراط. والجملة تذييل. **﴿ويقولون﴾** فعل وفاعل. والواو للعطف. **﴿آمنا﴾** فعل وفاعل. والجملة مقول القول. **﴿بالله﴾** متعلق بآمنا. **﴿وبالرسول﴾** معطوف على ما قبله. **﴿وأطعنا﴾** معطوف على آمنا. **﴿ثم يتولى فريق﴾** فعل وفاعل معطوف بثمّ. **﴿منهم﴾** متعلق بمحذوف نعت لفريق. **﴿من بعد﴾** متعلق بيتولى. **﴿ذلك﴾** في محل جر مضاف إلى بعد. **﴿وما﴾** بمعنى ليس ترفع الاسم وتنصب الخبر. والواو للعطف. **﴿أولئك﴾** في محل رفع اسم ما. **﴿بالمؤمنين﴾** خبر ما. جُرّ بحرف الجر الزائد، في محل نصب. **﴿وإذا﴾** ظرف متضمن معنى الشرط. **﴿دعوا﴾** الفعل ونائب الفاعل فعل شرط إذا. **﴿إلى الله﴾** متعلق بدُعوا. **﴿ورسوله﴾** معطوف على الله. **﴿ليحكم﴾** فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على رسوله. **﴿بينهم﴾** متعلق ليحكم. **﴿إذا﴾** فجائية. **﴿فريق﴾** مبتدأ. **﴿منهم﴾** متعلق بمحذوف نعت لفريق **﴿معرضون﴾** خبر المبتدإ. والجملة جواب شرط إذا. والرابط للجواب إذا الفجائية. **﴿وإن يكن﴾** مجزوم بإن. **﴿لهم﴾** متعلق بمحذوف خبر يكن. **﴿الحق﴾** اسم يكن. **﴿يأتوا﴾** فعل وفاعل والفعل مجزوم في جواب الشرط. **﴿إليه﴾** متعلق بيأتوا. **﴿مذعنين﴾** حال من الفاعل في يأتوا. **﴿أفي قلوبهم﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. والهمزة للاستفهام. **﴿مرض﴾** مبتدأ مؤخر. **﴿أم ارتابوا﴾** فعل وفاعل معطوف بأم على ما قبله. **﴿أم يخافون﴾** فعل وفاعل معطوف على أم ارتابوا. **﴿أن يحيف الله﴾** فعل وفاعل دخلت عليه أن الناصبة. **﴿عليهم﴾** متعلق بيحيف. **﴿ورسوله﴾** معطوف على الله. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يخافون. أي: أم يخافون حيْفَ الله.. **﴿بل﴾** حرف إضراب وعطف. **﴿أولئك﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿هم﴾** ضمير فصل. **﴿الظالمون﴾** خبر المبتدإ. **﴿إنما﴾** كافة ومكفوفة. **﴿كان﴾** فعل ماضٍ ناقص. **﴿قول﴾** خبر كان مقدم. **﴿المؤمنين﴾** مضاف إلى قول. **﴿إذا﴾** في محل نصب. **﴿دعوا﴾** الفعل ونائب الفاعل في محل جر مضاف إلى الظرف. **﴿إلى الله﴾** متعلق بدعوا. **﴿ورسوله﴾** معطوف على الله. **﴿ليحكم بينهم﴾** تقدم إعراب مثله. **﴿أن**

يقولوا﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع اسم كان مؤخر. **﴿سمعنا﴾** فعل وفاعل. والجملة مقول القول. **﴿وأطعنا﴾** معطوف على سمعنا. **﴿وأولئك﴾** في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. **﴿هم﴾** ضمير فصل. **﴿المفلحون﴾** خبر المبتدإ. **﴿ومن﴾** اسم شرط جازم. **﴿يطع﴾** فعل الشرط مجزوم بالسكون وحرك لالتقاء الساكنين. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. **﴿الله﴾** معمول يطع. **﴿ورسولَه﴾** معطوف على الله. **﴿ويخش﴾** معطوف على يطع. مجزوم بحذف الألف. **﴿الله﴾** معمول يخش. **﴿ويتقه﴾** معطوف كذلك. والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿فأولئك﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿هم﴾** ضمير فصل. **﴿الفائزون﴾** خبر المبتدإ. والجملة في محل حزم جواب الشرط. والرابط الفاء. **﴿وأقسموا﴾** فعل وفاعل. والواو للعطف. **﴿بالله﴾** متعلق بأقسموا. **﴿جهد﴾** مفعول مطلق. **﴿أيمانهم﴾** مضاف إلى جهد. **﴿لئن أمرتهم﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط الجازم ولام القسم. **﴿ليخرجن﴾** فعل مضارع دخل عليه لام جواب القسم. والفاعل واو الجماعة المحذوف لالتقاء الساكنين. والنون للتوكيد. وحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال. وجملة ليخرجن جواب القسم سد مسد جواب الشرط. **﴿قل: لا تقسموا﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. وجملة لا تقسموا مقول القول. **﴿طاعة﴾** خبر لمبتدإ محذوف. **﴿معروفة﴾** نعت لطاعة. **﴿إن الله﴾** إن واسمها. **﴿خبير﴾** خبرها. **﴿بما﴾** متعلق بخبير. **﴿تعملون﴾** فعل وفاعل صلة ما. **﴿قل: أطيعوا﴾** فعل أمر للمخاطبين. **﴿الله﴾** مفعول به. **﴿وأطيعوا الرسول﴾** معطوف على أطيعوا. **﴿فإن تولوا﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط. والفاء للتعقيب. **﴿فإنما﴾** كافة ومكفوفة. **﴿عليه﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿ما﴾** في محل رفع مبتدأ مؤخر. **﴿حُمِّل﴾** فعل ماضٍ مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على الرسول والجملة صلة ما. **﴿وعليكم﴾** عطف على قوله: عليه ما حمل.. **﴿ما حملتم﴾** إعرابه مثل إعراب ما حمل. وجملة فإنما عليه ما حمل جواب الشرط. والفاء رابطة للجواب. **﴿وإن تطيعوه﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط الجازم. والواو للعطف. **﴿تهتدوا﴾** فعل وفاعل جواب الشرط. **﴿وما على الرسول﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. وما نافية والواو للعطف. **﴿إلا البلاغ﴾** مبتدأ مؤخر. **﴿المبين﴾** نعت للبلاغ. **﴿وعد الله﴾** فعل وفاعل. **﴿الذين﴾** في محل

نصب مفعول. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**منكم**﴾ متعلق بآمنوا. ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ فعل وفاعل ومفعول. معطوف على آمنوا. ﴿**ليستخلفنهم**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والفاعل ضمير يعود على الله. والضمير المتصل بالفعل مفعول. واللام للقسم. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بالفعل. ﴿**كما استخلف**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق. وما مصدرية والفعل بعدها مؤول بمصدر مجرور بالكاف. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول. ﴿**من قبلهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة الموصول. والتقدير: ليستخلفنهم استخلافاً مثل استخلاف الذين سبقوا. . ﴿**وليمكنن**﴾ معطوف على ليستخلفنهم. ﴿**لهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**دينهم**﴾ مفعول به. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب نعت لدينهم. ﴿**ارتضى**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة الموصول. ﴿**لهم**﴾ متعلق بارتضى. ﴿**وليبدلنهم**﴾ معطوف مثل سابقه. ﴿**من بعد**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**خوفهم**﴾ مضاف إلى بعد. ﴿**أمناً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**يعبدونني**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة بيانية. ﴿**لا يشركون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**بي**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول به. ﴿**ومن كفر**﴾ جملة شرطية. ﴿**بعد**﴾ متعلق بكفر. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى بعد. ﴿**فأولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**الفاسقون**﴾ خبر المبتدإ. والجملة في محل جزم جواب الشرط. والفاء رابط. ﴿**وأقيموا**﴾ فعل أمر وفاعله. ﴿**الصلاة**﴾ مفعول به. ﴿**وآتوا الزكاة**﴾ معطوف على مقدر. ﴿**وأطيعوا الرسول**﴾ كذلك. ﴿**لعلكم**﴾ لعل واسمها. ﴿**ترحمون**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل رفع خبر لعل. ﴿**لا تحسبن**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد في محل جزم بلا الناهية. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**معجزين**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بمعجزين. ﴿**ومأواهم**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**النار**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**ولبئس**﴾ فعل ماضٍ. ﴿**المصير**﴾ فاعل. ﴿**يا أيها**﴾ منادي مبني على الضم في محل نصب. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب نعت لأي باعتبار محلها. ﴿**آمنوا ليستأذنكم**﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**ملكت أيمانكم**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**والذين**﴾ معطوف على الذين ملكت. . ﴿**لم يبلغوا الحلم**﴾ فعل

وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي الجازم. ﴿**منكم**﴾ متعلق بمحذوف حال من الذين. ﴿**ثلاث**﴾ مفعول مطلق. ﴿**مرات**﴾ مضاف إلى ثلاث. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بمحذوف بدل من ثلاث. ﴿**صلاة**﴾ مضاف إلى قبل. ﴿**الفجر**﴾ مضاف إلى صلاة. ﴿**وحين**﴾ معطوف على من قبل. ﴿**تضعون ثيابكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة في محل جر مضافة إلى حين. ﴿**من الظهيرة**﴾ بيان لحين. ﴿**ومن بعد صلاة العشاء**﴾ إعرابها مثل إعراب من قبل صلاة الفجر. ﴿**ثلاث**﴾ خبر لمبتدإ محذوف. ﴿**عورات**﴾ مضاف إلى ثلاث. ﴿**لكم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لثلاث. والجملة استئناف مسوق لبيان علة وجوب الاستئذان. ﴿**ليس**﴾ فعل ماضٍ ناقص. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**ولا عليهم**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**جناح**﴾ اسم ليس. ﴿**بعدهن**﴾ متعلق بنفي الإثم. ﴿**طوافون**﴾ خبر لمبتدإ محذوف. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بطوافون. ﴿**بعضكم**﴾ مبتدأ. ﴿**على بعض**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**كذلك يبين الله**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق. وذلك في محل جر بالكاف. ﴿**يبين الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لكم**﴾ متعلق بيبين. ﴿**الآيات**﴾ مفعول به. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**عليم حكيم**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**وإذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**بلغ الأطفال**﴾ فعل وفاعل. ﴿**منكم**﴾ متعلق بمحذوف حال من الأطفال. ﴿**الحلم**﴾ مفعول به. ﴿**فليستأذنوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه لام الأمر الجازم.

﴿**كما**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق. وما مصدرية. ﴿**استأذن الذين**﴾ فعل وفاعل. وما وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالكاف. ﴿**من قبلهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة الموصول. ﴿**كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم**﴾ تقدم إعراب مثلها. . ﴿**والقواعد**﴾ مبتدأ. ﴿**من النساء**﴾ متعلق بالقواعد. ﴿**اللاتي**﴾ في محل رفع نعت للقواعد. ﴿**لا يرجون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة صلة الموصول. ﴿**نكاحاً**﴾ مفعول به. ﴿**فليس عليهن**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**جناح**﴾ اسم ليس مؤخر. والجملة خبر المبتدإ. والفاء رابط بين المبتدإ والخبر تشبيهاً له بالشرط وجوابه. ﴿**أن يضعن ثيابهن**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفعل مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة في محل نصب بأنْ. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بجناح. والتقدير: فليس عليهن جناح في وضع ثيابهن. . ﴿**غير**﴾ حال من ضمير النسوة. ﴿**متبرجات**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**بزينة**﴾ متعلق بمتبرجات. ﴿**وأن**﴾ حرف

مصدر ونصب. ﴿**يستعففن**﴾ مبني على السكون في محل نصب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع مبتدأ. ﴿**خيرٌ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**لهن**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**واللَّهُ**﴾ مبتدأ. ﴿**سميع عليم**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**ليس على الأعمى حرج**﴾ إعراب هذا مثل إعراب ليس عليكم جناح.. ﴿**ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم**﴾ معطوفات على ليس على الأعمى حرج. ﴿**أن تأكلوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بالحكم المنفي. أي: ليس عليكم جناح في الأكل من بيوتكم أو من بيوت من يذكر بعده: ﴿**أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم**﴾ كلها معطوفة بعضها على بعض. ﴿**أو ما**﴾ في محل جر نعت لمجرور مقدر؛ والتقدير: أو من البيوت التي ﴿**ملكتم مفاتحه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة ما. ﴿**أو صديقكم**﴾ مضاف إلى مجرور مقدر معطوف على ما قبله. أي: من بيوت أصدقائكم. ﴿**ليس عليكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدر. ﴿**جناح**﴾ اسمها مؤخر. ﴿**أن تأكلوا**﴾ تقدم إعراب مثله.. ﴿**جميعاً**﴾ حال من واو الجماعة. ﴿**أو أشتاتاً**﴾ معطوف على الحال. ﴿**فإذا دخلتم بيوتاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. فعل شرط إذا. والفاء للتعقيب. ﴿**فسلموا**﴾ جواب شرط إذا. والفاء رابطة للجواب. ﴿**على أنفسكم**﴾ متعلق بسلموا. ﴿**تحية**﴾ مفعول مطلق. ﴿**من عند**﴾ متعلق بمحذوف نعت لتحية. ﴿**مباركةً طيبةً**﴾ منصوبان على الحل من تحية.. ﴿**كذلك يبين الله لكم الآيات**﴾ تقدم إعراب مثلها.. ﴿**لعلكم تعقلون**﴾ مثل لعلكم ترحمون.. ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله**﴾ المؤمنون مبتدأ. والذين خبره. ﴿**وإذا كانوا**﴾ كان واسمها فعل شرط إذا. ﴿**معه على أمر**﴾ متعلقان بمحذوف خبر كان. ﴿**جامع**﴾ نعت لأمر. ﴿**لم يذهبوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. والجملة جواب شرط إذا. ﴿**حتى يستأذنوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفعل منصوب بأن بعد حتى. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى متعلق بالفعل قبله. ﴿**إن الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يستأذنونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع نعت لأولئك. ﴿**يؤمنون**﴾ صلة الموصول. ﴿**بالله**﴾ متعلق به. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على

الله. ﴿فإذا استأذنوك﴾ فعل وفاعل ومفعول فعل شرط إذا. والفاء للتعقيب. ﴿لبعض﴾ متعلق باستأذنوك. ﴿شأنهم﴾ مضاف إلى بعض. ﴿فأذن﴾ أمر للمخاطب. والفاء رابطة لجواب شرط إذا. ﴿لمن﴾ متعلق بأذن. ﴿شئت﴾ فعل وفاعل صلة مَنْ. ﴿منهم﴾ متعلق بشئت. ﴿واستغفر﴾ أمر للرسول. ﴿لهم﴾ متعلق باستغفر. ﴿اللَّهَ﴾ مفعول به. ﴿إن الله﴾ إنّ واسمها. ﴿غفور رحيم﴾ خبر إنّ. ﴿لا تجعلوا دعاء﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿الرسول﴾ مضاف إلى دعاء. ﴿بينكم﴾ متعلق بقوله: لا تجعلوا. ﴿كدعاء﴾ الكاف في محل نصب مفعول ثانٍ. ودعاء مجرور بالكاف. ﴿بعضكم﴾ مضاف إلى دعاء. ﴿بعضاً﴾ مفعول بالمصدر. ﴿قد يعلم الله﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. ﴿الذين﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿يتسللون﴾ فعل وفاعل. صلة الموصول. ﴿منكم﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿لواذاً﴾ حال من ضمير الجماعة. ﴿فليحذر الذين﴾ فعل وفاعل دخل عليه لام الأمر الجازم. والفاء للتعقيب. ﴿يخالفون﴾ فعل وفاعل، صلة الذين. ﴿عن أمره﴾ متعلق بيخالفون. ﴿أن تصيبهم﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿فتنة﴾ فاعل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدّر متعلق بقوله: فليحذر.. والتقدير: فليحذر الذين يخالفون عن أمره من إصابتهم فتنة.. ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ معطوف على قوله: أن تصيبهم فتنة. ﴿ألا إن لله﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. وَأَلاَ حرف استفتاح. ﴿ما﴾ في محل نصب اسم إنّ مؤخر. ﴿في السماوات﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿والأرض﴾ معطوف على السماوات. ﴿قد يعلم﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف التحقيق. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿ما﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿أنتم﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿عليه﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. والجملة صلة ما. ﴿ويوم﴾ متعلق بيعلم. والواو للعطف. ﴿يرجعون﴾ الفعل ونائب الفاعل في محل جر مضاف إلى يوم. ﴿فينبئهم﴾ مرتب على قوله: يرجعون إليه. ﴿بما﴾ متعلق بينبئهم. ﴿عملوا﴾ فعل وفاعل. صلة ما. ﴿والله﴾ مبتدأ. والواو للعطف. ﴿بكل﴾ متعلق بالخبر. ﴿شيء﴾ مضاف إلى كل. ﴿عليم﴾ خبر المبتدإ.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**الله نور السماوات والأرض**﴾: فصل الكلام عما قبله فلم يعطف عليه: لكمال شدة الاتصال بما قبله من قوله: ﴿**ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات**. .﴾ فهذا الكلام استئناف مسوق لتقرير ما في الآيات من البيان، مع الإشعار بكونها في غاية الكمال. . وبدىء هذا الكلام بكلمة «الله» وهي أعرف المعارف على الإطلاق. وأخبر عنه بنور السماوات والأرض للدلالة على كمال شيوع البيان في المحسوسات والمعقولات: ﴿**مثل نوره كمشكاة فيها مصباح. المصباح في زجاجة. الزجاجة كأنها كوكب دري. يوقد من شجرة مباركة: زيتونة لا شرقية ولا غربية. يكاد زيتها يضيء ـ ولو لم تمسسه نار ـ نور على نور**. .﴾ فهذا تشبيه تمثيلي بلغ غاية التبيين والتوضيح. وهو تمثيل لهيئة إرشاد الله المؤمنين إلى ما في القرآن من دلائل وأحكام وتوجيهات وآداب بهيئة المصباح الذي حفت به وسائل قوة الإشراق. وهذا تشبيه بالغ كمال الإفصاح: بحيث هو مع أنه تشبيه هيئة بهيئة، هو أيضاً مفرَّق التشبيهات لأجزاء المركب المشبه مع أجزاء المركب المشبه به. وذلك أقصى كمال التشبيه التمثيلي في صناعة البلاغة. ولما كان المقصود تشبيه الهيئة بالهيئة والمركب بالمركب حسن دخول حرف التشبيه: مثل نوره كمشكاة. . إلخ والمقصود من مجموع أجزاء المركب التمثيلي هنا هو البلوغ إلى إيضاح أن الهيئة المشبه بها قد بلغت حد المضاعفة لوسائل الإنارة: إذ تظاهر فيها المشكاة والمصباح والزجاج الخالص والزيت الصافي. . فالمصباح إذا كان في مشكاة كان شعاعه منحصراً غير منتشر. . فكان أشدّ إضاءة لها مما لو كان في حجرة. . وإذا كان موضوعاً في زجاجة صافية تضاعف نوره. وإذا كان زيته نقياً صافياً كان أشدّ إسراجاً. . فحصل تمثيل حال الكتاب المنزل من الله في بيانه، وسرعة فشوه في الناس بحال انبثاق نور المصباح وانتشاره فيما حفّ به من أسباب قوة شعاعه وانتشاره في الجهة المضاءة به بالمشكاة بشبهها في الإرشاد الإلهي من انضباط اليقين، وإحاطة الدلالات بالمدلولات دون تردد. . وحفظ المصباح من الانطفاء ما يحيط بالقرآن من حفظه من الله. . ومعاني هداية إرشاد القرآن تشبه المصباح في التبصير والإيضاح وتبيين الحقائق من ذلك الإرشاد. . وسلامته من أن يطرقه الشك واللبس، يشبه الزجاجة في تجلية حال ما تحتوي عليه. والوحي الذي أبلغ الله به حقائق الديانة من القرآن والسنة يشبه الشجرة المباركة التي تعطي ثمرة يستخرج

منها دلائل الإرشاد نور على نور.. فهذه الجملة فذلكة للتمثيل، وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه من قوله: ﴿**يهدي الله لنوره من يشاء. ويضرب الله الأمثال للناس. والله بكل شيء عليم**..﴾ فهذه الجمل الثلاث تذييل للتمثيل. والغرض منها دفع التعجب من عدم اهتداء كثير من الناس بالنور الذي أنزل الله.. فإن الله تعالى إذا لم يشأ هديَ أحد خلقه جبله على العناد والكفر. وإن الله يضرب الأمثال للناس مرجواً منهم التذكر بها.. فمنهم من يعتبر بها فيهتدي.. ومنهم من يعرض عنها فيستمر على ضلاله.. ولكن شأن تلك الأمثال أن يهتدي بها غير من طبع على قلبه.. وجملة والله بكل شيء عليم. تذييل مقرر لمضمون الجملتين قبلها. أي: لا يعزب عن علمه شيء.. ومن ذلك علم من هو قابل للهدى، ومن هو مصر على غيه. وهذا تعريض بالوعد للأولين، والوعيد للآخرين. ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾: الكلام مستأنف استئنافاً بيانياً لما نشأ من قوله: ﴿**يهدي الله لنوره من يشاء**..﴾ لما بين ذكر شأن القرآن العظيم في بيانه للشرائع والأحكام ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من أحوال الآخرة وأهوالها. وأشير إلى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والإظهار حيث مُثّل بما فُصّل من نور المشكاة وأشير إلى أن ذلك النور مع كونه في أقصى مراتب الظهور إنما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله بهدايته دون من عداه. عقّب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض أعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه. والمراد بالبيوت المساجد. وتنكيرها للتفخيم. والمراد بالإذن في رفعها الأمر ببنائها رفيعة. لا كسائر البيوت.. بل تتميز عنها بالشكل والهيئة والمقدار ليعلم الناس أنها مساجد.. والتعبير عن الأمر بالإذن تلويح بأن اللائق بحال المأمور أن يكون متوجهاً إلى المأمور به قبل ورود الأمر به ناوياً لتحقيقه كأنه مستأذن في ذلك. فيقع الأمر به موقع الإذن فيه. والمراد بالتسبيح في قوله: ﴿**يسبح له فيها الصلوات**﴾ المفروضة كما ينبىء عنه تعيين الأوقات بقوله: ﴿**بالغدوّ والآصال**﴾. وإفراد طرفي النهار بالذكر لقيامهما مقام الكل؛ لكونهما العمدة في بقية الأوقات؛ بكونهما مشهودين.. وكونهما أشهر ما يقع فيه المباشرة للأعمال والأشغال بالأشغال. وقوله تعالى: ﴿**رجال فاعل يسبح**﴾. وتأخيره عن الظروف لما مر مراراً

من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر؛ ولأن في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام. وقوله تعالى: ﴿**لا تلهيهم تجارة**..﴾ صفة لرجال مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم إلى الله تعالى، واستغراقهم فيما حكي عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائناً ما كان.. وتخصيص التجارة بالذكر لكونها أقوى الصوارف عندهم وأشهرها.. وقوله: ﴿**ولا بيع**..﴾ أفرده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للإيذان بإنافته على سائر أنواعها.. وكررت كلمة لا لتذكير النفي وتأكيده. وقوله: ﴿**يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾ وصف آخر لرجال زيادة على الوصف الأول.. فهم يخافون ربهم في كل زمان ومكان.. وقوله: ﴿**ليجزيهم الله أحسن ما عملوا**..﴾ علة ونتيجة للأعمال التي مر ذكرها: من المداومة على العبادة دون شاغل يشغلهم عنها.. وقوله: ﴿**ويزيدهم من فضله**﴾ زيادة لا تخطر لهم على بال ولا تقدر بميزان ولا مكيال حسبما دل عليه قوله: ﴿**والله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾: فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون. ﴿**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**﴾. وبهذا يتم بيان أحوال من اهتدى بهداه على أوضح وجه وأجلاه. ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة**..﴾ فهذا موصول بالعطف على ما ينساق إليه ما قبله من أعمال الذين اهتدوا بنور الله.. وأما الذين لم يهتدوا فأعمالهم مثل ما وصف.. فأعمال الكافرين للرائين كما يظهر السراب في الفلوات للمارين.. فتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائناً من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الذي هو المطلع المُطمِع والمقطع المُيئِس! وقوله: ﴿**حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً**..﴾ تتميم لبيان أحوال الكفرة بطريق التمثيل. وقوله تعالى: ﴿**ووجد الله عنده فوفاه حسابه**..﴾ بيان لبقية أحوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة؛ لئلا يتوهم أن قصارى أمرهم الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن.. بل يجدوا أعمالهم بخلاف ما حسبوا!.. فوجد كل واحد منهم حكم الله جاهزاً ناجزاً.. فوفاه حسابه بما يستحق.. وقوله: ﴿**والله سريع الحساب**﴾ تذييل مقرر لمضمون ما سبقه.. ﴿**أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه لسحاب: ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها**﴾: هذا نوع آخر من أنواع أعمال الكفرة.. فبعدما مثلت أعمالهم التي كان يتراءى فيها لمعان

الخير.. مثلت أعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خير بظلمات كائنة في بحر لجي.. إلخ وهو تمثيل عميق بالغ في الدقة والتحقيق: ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها! وقوله: **﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾**. تذييل جيء به لتقرير ما أفاده التمثيل من كون أعمال الكفرة كما فُصّل.. وتحقيق أن ذلك لعدم هداية الله تعالى إياهم لنوره.. **﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض﴾**: هذا الكلام مستأنف استئنافاً بيانياً لما سبق من تمثيل حال المؤمن وحال الكافر.. فهو يبين ويوضح حال كل من في السماوات والأرض يدل دلالة قاطعة على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال.. فقد نبّه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو أقوى مراتب التنزيه وأظهرها تنزيلاً للسان الحال منزلة لسان المقال، وأكد ذلك بإيثار كلمة «مَنْ» على ـ ما ـ؛ كان كل شيء مما عز وهان، وكل فرد من أفراد الأعراض والأعيان، عاقل ناطق، ومُخْبِرٌ صادق بعلو شأن الله تعالى وعزة سلطانه سبحانه!. وقوله تعالى: **﴿والطير صافات..﴾** موصولة بالعطف على جملة يسبح له من في السماوات.. وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة من في السماوات والأرض لوضوح إنبائها عن كمال قدرة صانعها، ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بالحال في قوله: **﴿صافات﴾**. وقوله تعالى: **﴿كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه..﴾** بيان لكمال عراقة واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه، بتمثيل حاله بحال من يعلم. يصدر عنه من الأفاعيل.. فيفعلها عن قصد ونية. لا عن اتفاق بلا روية. وقد أدمج في تضاعيفه الإشارة إلى أن لكل واحد من الأشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية إليه تعالى.. واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده.. وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلاة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل، وإفادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل. وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها عليه في الرتبة.. فالتسبيح داخل في الصلاة.. وقوله تعالى: **﴿والله عليم بما يفعلون..﴾** تذييل مقرر لمضمون ما قبله.. **﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾**: بيان لاختصاص الله بما ذكر.. وقوله تعالى: **﴿وإلى الله المصير..﴾** بيان لاختصاص الملك بالله تعالى في المعاد إثر اختصاصه به في المبدإ. وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة، والإشعار بعلة الحكم. **﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم**

يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله﴾: هذا الكلام توضيح وتوكيد لقوله: **﴿ولله ملك السماوات والأرض..﴾** فهو المنصرف في الكون وحده.. فكيفية تكوين السحاب وضم بعضه إلى بعض وإنزال الماء منه عملية خاصة بالله. ليس للإنسان فيها أي دخل. **﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾!** هذه الجمل موصولة بالعطف على قوله: يزجي سحاباً.. فالأول بيان للمطر الذي ليس فيه خطر.. والثاني بيان لاشتداد قوة المطر عندما يصير برداً مثل الحجر: يصيب به من يشاء من النبات والحيوان والبشر، ويصرفه عمن يشاء فيزدهر بالماء النبات والشجر.. **﴿يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾**: هذا بيان وتوضيح لكل ما تقدم.. **﴿والله خلق كل دابة من ماء: فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع﴾**: لما ذكر فيما سبق كيفية نزول الماء من السماء من أول نشأة السحاب إلى تراكمه حتى يصير كالجبال فينزل منه البرد المتجمد ويلمع منه البرق المتوقد.. ذكر هنا كيفية خلق الحيوان ومادته التي لا بد منها. وهو الماء النازل من السماء. وذكر في هذا العرض كلَّ ما يدب على الأرض.. وقوله تعالى: **﴿يخلق الله ما يشاء..﴾** دليل على اختصاص الله بالخلق، كما بُيّن سابقاً اختصاص الله بالمُلك. وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتفخيم شأن الخلق المذكور.. والإيذان بأنه من أحكام الألوهية.. وجملة **﴿إن الله على كل شيء قدير﴾**: تعليل لما ذكر من كيفية الخلق الدال على وحدة الخالق المالك المتصرف. **﴿لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾**: هذه الآية جاءت مستأنفة مفصولة عما قبلها؛ لأنها مقدمة لما يأتي بعدها. بخلاف آية ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين.. جاءت موصولة معطوفة على ما قبلها. جيء بها تذييلاً مقرراً لمضمون ما قبلها. ومن اختلاف المساق يعلم ذكر وجه إليكم هناك وعدم ذكره هنا. وجملة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم تذييل مقرر لمضمون ما سبقه. **﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا. ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾**: وصلت هذه الآية بالعطف على جملة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.. جاءت تبييناً لما تتضمنه جملة يهدي من يشاء من هداية بعض الناس وحرمان بعضهم منها. كما هو مقتضى من يشاء. وهذا تخلص إلى ذكر بعض من لم يشإ

الله هدايتهم، وهم الذين أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام. وهم أهل النفاق.. فبعد أن ذكرت دلائل انفراد الله بالإلهية وذكر الكفار الصرحاء الذين لم يهتدوا.. تهيأ المقام لذكر صنف آخر من الكافرين الذين لم يهتدوا بآيات الله المبينات.. ثم أظهروا أنهم آمنوا بها.. ففي قوله تعالى: ﴿**ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا**﴾ إيماء إلى أن حظهم من الإيمان مجرد القول دون الاعتقاد﴾. وعبر بالمضارع لإفادة تجدّد ذلك منهم واستمرارهم عليه لما فيه من تكرير الكذب. ونحوه من خصال النفاق. وقوله: ﴿**ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك**..﴾ تعقيب على ما حصل من بعض المنافقين عندما أعرضوا عن حكم الرسول ﷺ. والإشارة في قوله: ﴿**وما أولئك بالمؤمنينۚ إلى ضمير يقولون**..﴾ فيشمل هذا الحكم كل من قال بلسانه ولم يصدق بقلبه. والفريق المتولي داخل في هذا الحكم على أبلغ وجه وآكده. وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم في الكفر والفساد. ﴿**وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين**﴾: هذا شرح وبيان لقوله: ﴿**ثم يتولى فريق منهم**﴾، ومبالغة فيه.. فقد ظهر كفرهم من هذا الوجه.. فهم إذا عرفوا الحق عليهم أعرضوا.. وإن عرفوا الحق لهم أتوا إليه مذعنين مسرعين: ﴿**أفي قلوبهم مرض**﴾!. فهذا إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور.. ﴿**أم ارتابوا**﴾؟ سبب آخر جعلهم معرضين عن حكم الرسول. وهو ارتيابهم في صحة حكم الرسول.. فهو زيادة في الإنكار والتقبيح!.. ﴿**أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله**﴾؟!.. فهو ترق في الإنكار لإظهار كفرهم بعدما كانوا يخفونه بقولهم: آمنا بالله وبالرسول وأطعنا.. ثم أضرب عن الكل وأبطل سببه وحكم بأن السبب شيء آخر: ﴿**بل أولئك هم الظالمون**﴾!.. فليس ذلك لشيء مما ذكر.. بل لأنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم.. ﴿**إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون**﴾: استئناف بياني. وقد أفاد هذا الاستثناء الثناء على المؤمنين الأحقاء بضد ما كان ذماً للمنافقين. وذلك من مناسبات هذا الاستئناف على عادة القرآن في إرداف التوبيخ بالترغيب والوعيد بالوعد. وجيء بصيغة الحصر بإنما لدفع أن يكون مخالف هذه الحالة في شيء من الإيمان؛ وإن قال بلسانه إنه مؤمن.. فهذا القصر إضافي. وقوله: ﴿**وأولئك هم المفلحون**..﴾ إشارة إلى المؤمنين باعتبار صدور القول

المذكور عنهم. وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل. وقوله: ﴿**هم المفلحون**﴾ قصر مخرج لكل من يدّعي الإيمان وليس في قلبه الإذعان.. ﴿**ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**﴾: استئناف جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين، وترغيب مَنْ عداهم في الانتظام في مسلكهم.. فالكلام تذييل على كل حال، جاء يبين قاعدة تحقق ما عليه الإنسان في الحال والمآل!. ﴿**وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجُنّ**﴾: حكاية لبعض آخر من أكاذيب المنافقين مُؤكَّد بالأيمان الفاجرة.. وهو موصول بالعطف على ويقولون.. فأتبعت حكاية قولهم ذلك بحكاية قسم أقسموا بالله ليتنصلوا من وصمة ما ظهر من قولهم وخفي من فعلهم وترددهم عندما يدعو داعي الجهاد. وجملة لئن أمرتهم بيان لجملة أقسموا.. وجملة ليخرجن جواب القسم.. وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة أمر الله رسوله بردها: ﴿**قل: لا تقسموا**﴾ لا تقسموا على ما تدّعون من الطاعة؛ لأن طاعتكم طاعة نفاق واقعة باللسان وليس لها حقيقة في الجَنان!: ﴿**طاعة معروفة**﴾!.. وجملة ﴿**إن الله خبير بما تعملون**﴾ تعليل للحكم بأن طاعتهم طاعة نفاقية. ﴿**قل: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول..**﴾ فتكرير الأمر بالقول لإبراز كمال العناية به. والإشعار باختلافهما من حيث أن المقول الأول نهي بطريق الرد والتقريع.. وفي الثاني أمر بطريق التكليف والتشريع.. فهو تلقين آخر للرسول بما يرد بهتان المنافقين بقلة الاكتراث بمواعيدهم الكاذبة وأن يقتصروا من الطاعة بطاعة الله وطاعة الرسول فيما كلفهم دون ما تبرعوا به كذباً. ﴿**فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم**﴾: مرتب على الأمر بالطاعة. وهو خطاب للمأمورين من جهة الله تعالى. وارد لتأكيد الأمر بالطاعة والمبالغة في إيجاب الامتثال. وجملة فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم جواب الشرط مقصور على ما على الرسول من التبليغ وعليهم من الطاعة. ولعل التعبير عنه بالتحميل للإشعار بثقله وكونه مؤنة باقية في عهدتهم بعدُ. كأنه قيل: وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل. وقوله تعالى: ما حُمّل محمول على المشاكلة. ﴿**وإن تطيعوه تهتدوا**﴾: ما يجب عليكم فعله.. ﴿**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**﴾: ما يجب على الرسول فعله.. وفائدة القصر هنا مفيدة أن غائلة التولي وفائدة الإطاعة مقصورتان عليهم هم وحدهم. وأما الرسول فقد بلغ.. فأدى ما عليه مما حُمّل. ﴿**وعد الله الذين آمنوا**

منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾: هذا استئناف مقرر لما في قوله: **﴿وإن تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم﴾**. ومعرب عنه بطريق التصريح. ومبين لتفاصيل ما أجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التي هي من آثار الاهتداء. ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء. والمراد بهم أصحاب الرسول الذين صدقهم الله وعده فأورثهم الأرض التي فتحوها وأورث بقيتها مَنْ بعدَهم، الذين ساروا سيرتهم ونهجوا نهجهم وقصدوا قصدَهم. وهذا من أنباء الغيب التي تحفظت بعد عصر النزول.. فكانت معجزة تجاوزت عهدَهم.. **﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم﴾**: موصول بالعطف على قوله ليستخلفنهم، منتظم معه في سك الجواب. وتأخيره عنه مع كونه أجل الرغائب الموعودة وأعظمها لما أن النفوس إلى الحظوظ العاجلة أميل.. فتصدير الوعد بها في الاستمالة أدخل. ولأن الخلافة كانت السبب في تمكين الدين من المقصد الأجل. والمعنى: ليجعلن دينهم ثابتاً مقرراً بحيث يستمرون على العمل بأحكامه ويرجعون إليه في كل ما يأتون وما يذرون. والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكاناً لآخر. وفي إضافة الدين إليهم. وهو دين الإسلام.. ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم. ومزيد ترغيب فيه. وفضل تثبيت عليه. **﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾**: زيادة في تأكيد الوعد بتذكير ما كانوا عليه في مكة وما صاروا إليه بعد فتحها.. فأظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب. وصاروا إلى حال يخافهم كل من عداهم.. ففي توكيد الجمل الثلاث بنون التوكيد الثقيلة ولام القسم من الدلالة على صحة الدعوة للإخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى. **﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾**: هذا شرط في استحقاق الاستخلاف في الأرض والتمكين في الدين الحق وتبديل الخوف بالأمن. **﴿ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾**: من بقي مصراً على كفر بعد مشاهدة الدلائل التي توجب الإيمان، ولم يتأثر بالترغيب والترهيب فقد خرج عن جادة الصواب، واستحق المقت والعقاب.. **﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾**: هذا خلاصة ما تقدم من الأوامر التي توجب تحقيق ما تقدم من الوعد الصادق يندرج في ثلاث حالات: إقامة الصلاة.. وإيتاء الزكاة.. وإطاعة الرسول في كل ما أمر به.. فبذلك يتحقق رجاء ما وعد به. وهو النصر والتأييد والظهور على كل من كفر به: **﴿لا تحسبن**

الذين كفروا معجزين في الأرض..﴾ فهذا تعقيب ببيان حال من عصى الرسول، وبيان مآله في الدنيا والآخرة. بعد بيان تناهيه في الفسق تكميلاً لأمر الترغيب والترهيب.. وقوله تعالى: **﴿ومأواهم النار..﴾** موصول بالعطف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية، لأن المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان. كأنه قيل: ليس الذين كفروا معجزين ومأواهم النار. وجملة **﴿ولبئس المصير﴾** تذييل مقرر لما قبله.. وفي إيراد النار بعنوان كونها مأوى ومصيراً لهم إثر نفي قوتهم بالهرب في الأرض كل مهرب من الجزالة ما لا غاية وراءه!.. **﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾**: استئناف انتقالي إلى غرض من أحكام المخالطة والمعاشرة. وهو رجوع إلى بيان تتمة الأحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالأوامر والنواهي الواردة فيها.. فجاء الأمر للمؤمنين بأن يأمروا مماليكهم وصبيانهم أن يستأذنوا عند الدخول في أوقات ثلاثة: **﴿ثلاث مرات: من قبل صلاة الفجر. وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء..﴾** وقوله: **﴿ثلاث عورات لكم﴾** استئناف مسوق لبيان علة وجوب الاستئذان. وقوله: **﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾** جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس.. وقوله تعالى: **﴿طوافون عليكم بعضكم على بعض﴾** استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان. وهي المخلطة الضرورية وكثرة المداخلة.. وفي هذا دليل لتعليل الأحكام. **﴿كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليكم حكيم﴾**: جملة مستأنفة تبين الغرض من هذه الأحكام التي ذكرت فيما تقدم من الكلام. وجملة والله عليم حكيم تذييل مقرر لمضمون ما أشير إليه.. **﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾**: لما بين فيما مر آنفاً حكم الأطفال في أنه لا جناح عليهم في ترك الاستئذان فيما عدا الأوقات الثلاثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعاً لما عسى يتوهم أنهم وإن كانوا أجانب ليسوا كسائر الأجانب بسبب اعتيادهم الدخول. والذين من قبلهم هم الذين قيل لهم: لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها.. والكلام في قوله: **﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾** كالذي سبق.. والتكرير للتأكيد والمبالغة في الأمر بالاستئذان. وإضافة الآيات إلى ضمير الجلالة لتشريفها. **﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة﴾**: هذا تخصيص

لما سبق من قبله في قوله: ﴿**ولا يبدين زينتهن**..﴾ ومناسبة هذا التخصيص هنا أنه وقع بعد فرض الاستئذان في الأوقات التي يضع الرجال والنساء فيها ثيابهم.. فعطف الكلام إلى نوع من وضع الثياب عن لابسها. وجملة ﴿**وأن يستعففن خير لهن**﴾ بيان لما هو أليق وأوفق لحال المرأة من حيث هي مرأة. وجملة ﴿**والله سميع عليم**﴾ تذييل مقرر لمضمون ما سبقه. وفيه تحذير لما عسى أن يكون من قصد خفي.. ﴿**ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج**﴾: الجملة وما عطف عليها مستأنفة استئنافاً ابتدائياً تبين فيه حكماً يتعلق بالأعمى والأعرج والمريض من مخالطة ومؤاكلة قد يكون فيها حرج عليهم وعلى من يتعاملون منهم.. فقيل لهم: ليس على الطوائف المعدودة، ﴿**ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم**..﴾ وقوله: ﴿**وليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً**..﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بيّن قبله.. فكان بعضهم يتحرج من أن يأكل وحده دون أن يكون معه ضيف. وكانت لهم عادات تتعلق بالأكل مع الضيف أو الضعيف أو الفقير.. فبين الله تعالى أن هذه العادات والتقاليد ليست ملزمة لكم بشيء مما تعودتم عليه.. وإنما كلوا كيف شئتم جميعاً أو أشتاتاً.. ﴿**فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة**..﴾ فهذا شروع في بيان الآداب التي تجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه إثر بيان الرخصة فيه.. ﴿**كذلك يبين الله لكم الآيات**﴾: هذا تكرير لتأكيد الأحكام المختتمة به وتفخيمها.. وجملة ﴿**لعلكم تعقلون**﴾ تعليل لما تقدم من أحكام المخالطة والمعاشرة التي جاءت على وفق الفطرة الإنسانية والمنطق المعقول السليم من العادات الفاسدة والتقاليد الممقوتة الباردة. وهي عادات الجاهلية التي تقلب الأمور.. فتجعل الحسنة سيئة والسيئة حسنة. وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الأولَيْن بما يوجبها من الجزالة ما لا يخفى!. ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله**﴾: هذا الكلام استئناف جيء به في أواخر الأحكام السابقة تقريراً لها وتأكيداً لوجوب مراعاتها، وتكميلاً لها ببيان بعض آخر من جنسها.. وإنما ذكر الإيمان بالله ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع خبراً للمبتدإ مع تضمنه له قطعاً تقريراً لما قبله وتمهيداً لما بعده إيذاناً بأنه

حقيق بأن يجعل قريناً للإيمان بهما منتظماً في سلكه.. فقوله تعالى: ﴿**وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه**﴾؛ معطوف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة. والمعنى: إنما الكاملون في الإيمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم، وأطاعوهما في جميع الأحكام التي من جملتها ما فُصّل من قبلُ من الأحكام المتعلقة بعامة أحوالهم المطردة في الوقوع، وأحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق؛ كما إذا كانوا معه على أمر جامع مهم يجب اجتماعهم في شأنه؛ كالجمعة والأعياد والحروب وغيرها من الأمور الداعية إلى اجتماع أولي الآراء والتجارب. ووصف الأمر بالجامع للمبالغة. وهذه الآية أصل من نظام الجماعات في مصالح الأمة؛ لأن من السنة أن يكون لكل اجتماع إمام. ﴿**إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله**﴾: هذا حكمٌ قاضٍ بأن المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله، كما حكم في الأول بأن الكاملين في الإيمان هم الجامعون بين الإيمان بهما وبين الاستئذان.. وفي أولئك من تفخيم شأن المستأذنين ما لا يخفى!.. ﴿**فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم**﴾: بيان لما هو وظيفة الرسول ﷺ في هذا الباب إثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين، وأن الإذن عند الاستئذان ليس بأمر محتوم، بل هو مفوض إلى رأي الرسول. والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها. فقوله: ﴿**واستغفر لهم الله**﴾ معطوف على قوله: ﴿**فأذن لمن شئت منهم**﴾؛ لأن الاستئذان وإن كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة. وجملة ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الأمر بالاستغفار لهم. ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾: استئناف مقرر لمضمون ما قبله.. فلا تقيسوا دعاء الرسول إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في حال من الأحوال وأمر من الأمور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه بغير استئذان.. فإن ذلك من المحرمات. وهو مثل قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾. وقوله تعالى: ﴿**قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً**﴾، وعيد لمن يخالف أمر الرسول فيما ذكر من قبل.. ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾: تحذير مرتب على قوله: ﴿**قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً**﴾. تعريض بالمنافقين الذين يتلاعبون بأوامر الله، ولا يخضعون للأوامر التي تجب عليهم.. فهو تهديد بما يحل بهم من مصائب الدنيا وعذاب الآخرة إن لم

يتوبوا ويخضعوا لأمر الله ورسوله.. وجملة **﴿ألا إن لله ما في السماوات والأرض﴾**؛ تأكيد لوجوب الحذر. وفيه تهديد ووعيد شديد على مخالفة الأمر.. فالكلام مؤكد بعدة تأكيدات: ألا الافتتاحية. وإنّ المؤكدة. وتقديم الجار والمجرور - لله - وما التي تفيد العموم. وجملة **﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾** تحريض للمؤمنين، وتحذير للمنافقين.. وهو تذييل مقرر لضمون ما قبله.. وجملة **﴿ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا﴾** براعة المقطع تشير إلى نهاية السورة كما أن نهاية الناس إلى الله الذي له ما في السماوات والأرض وهو الذي نزل هذا الكتاب وما فيه من الآيات البينات ليُنذر من كان حياً القول على الكافرين. وجملة **﴿والله بكل شيء عليم﴾** تذييل مقرر لمضمون لكل ما تقدم في سورة النور: من أحكام وآداب وتوجيهات ودلالات وأحداث تقتضي المحاسبة والمساءلة والمجازاة على الحسنات والسيئات.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿الله نور السماوات والأرض..﴾: في هذا التوجيه لفت الأنظار إلى آيات الله في الكون والنفوس وما فيه من الاعتبار. وهو توجيه إلى مصدر النور الرباني الذي جاء به هذا القرآن وهو النور الذي سطع في قلب محمد فكان نوراً بسبب نور جاء بوساطة نور.. فالتقت أنوار الكون والنفوس وأنوار الهداية من الله الملك القدوس.. ولكن الكيان البشري لا يقوى طويلاً على تلقي ذلك الفيض العامر دائماً، ولا يستشرف طويلاً ذلك الأفق البعيد.. فبعد أن جلا النص هذا الأفق المترامي. عاد يقارب مداه ويقربه إلى الإدراك البشري المحدود في مثل قريب محسوس: **﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح..﴾** فهو مثل يقرب للإدراك المحدود صورة غير المحدود.. ويرسم النموذج المصغر الذي يتأمله الحس، حين يقصر عن تملي الأصل. وهو مثل يقرب للإدراك طبيعة النور حين يعجز عن تتبع مداه وآفاقه المترامية وراء الإدراك البشري الحسير. ومن عرض السماوات والأرض إلى المشكاة. وهي الكوة الصغيرة في الجدار غير النافذة يوضع فيها المصباح فتحصر نوره وتجمعه فيبدو قوياً متألقاً: **﴿المصباح في زجاجة..﴾** تقيه الريح، وتصفي نوره، فيتألق ويزداد: **﴿الزجاجة كأنها كوكب دري..﴾** فهي بذاتها شفافة رائقة سنية منيرة.. هنا يصل بين المثل والحقيقة. بين

النموذج والأصل. حين يرتقي من الزجاجة الصغيرة إلى الكوكب الكبير؛ كي لا ينحصر التأمل في النموذج الصغير، الذي ما جعل إلا لتقريب الأصل الكبير. وبعد هذه اللفتة يعود إلى النموذج، إلى المصباح: ﴿**يوقد من شجرة مباركة زيتونة**..﴾ فنور زيت الزيتون كأن أصفى نور يعرفه المخاطبون.. ولكن ليس لهذا وحده كان اختيار هذا المثل.. إنما هو كذلك الظلال المقدسة التي تلقيها الشجرة المباركة: ظلال الوادي المقدس في الطور. وهو أقرب منابت الزيتون لجزيرة العرب. ومرة أخرى يلتفت من النموذج الصغير ليذكر بالأصل الكبير.. فهذه الشجرة ليست شجرة بعينها، وليست متحيزة إلى مكان أو جهة.. إنما هي مثل مجرد للتقريب: ﴿**لا شرقية ولا غربية**..﴾ وزيتها ليس زيتاً من هذا المشهود المحدود.. إنما هو زيت آخر عجيب: ﴿**يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار**..﴾ فهو من الشفافية بذاته، ومن الإشراق بذاته.. حتى ليكاد يضيء بغير احتراق: ﴿**نور**..﴾ فذلك تعود إلى النور العميق الطليق في نهاية المطاف. إنه نور الله الذي أشرقت به الظلمات في السماوات والأرض. النور الذي لا تدرك غايته ولا مداه.. إنما هي محاولة لوصل القلوب به والتطلع إلى رؤياه: ﴿**يهدي الله لنوره من يشاء**..﴾ ممن يفتحون قلوبهم للنور فتراه.. فهو شائع في السماوات والأرض، فائض في السماوات والأرض، دائم في السموات والأرض. لا ينقطع ولا يحتبس ولا يخبو.. فحيثما توجه إليه القلب رآه. وحيثما تطلع إليه الحائر هداه، وحيثما اتصل به وجد الله الذي دل عليه نوره في الأنفس والآفاق وفيما أنزل الله.. إنما هذا المثل الذي ضربه الله للناس ومثل به نوره وسيلة لتقريبه إلى المدارك. وهو العليم بطاقة البشر: ﴿**ويضرب الله الأمثال للناس. والله بكل شيء عليم**..﴾ ذلك النور الطليق الشائع في كل مخلوق، الفائض في السماوات والأرض يتجلى ويتبلور في بيوت الله التي تتصل فيها القلوب بالله بالذكر والصلاة، تتطلع إليه وتذكره وتخشاه، وتتجرد له وتؤثره على كل مغريات الحياة: ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدوّ والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**..﴾ فهذه الصلة صلة تصويرية بين مشهد المشكاة هناك، وبين مشهد البيوت هنا، على طريقة التناسق القرآنية في عرض المشاهد ذات الشكل المتشابه أو المتقارب. وهناك صلة مثَلُها بين المصباح المشرق بالنور في المشكاة، والقلوب المشرقة بالنور في بيوت الله. تلك البيوت -

أذن الله أن ترفع ـ فهي مرفوعة قائمة.. وهي مطهرة رفيعة. يتناسق مشهدها المرفوع مع النور المتألق في السماوات والأرض. وتتناسق طبيعتها الرفيعة مع طبيعة النور السني الوضيء.. وتتهيأ بالرفعة والارتفاع لأن يذكر فيها اسم الله: ويذكر فيها اسمه.. وتتسق معها القلوب الوضيئة الطاهرة، المسبحة الواجفة.. قلوب الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.. فالتجارة والبيع لتحصيل الكسب والشراء.. ولكنهم مع شغلهم بهما لا يغفلون عن أداء حق الله في الصلاة، وأداء حق العباد في الزكاة.. ﴿**يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار**..﴾ تتقلب.. فلا تثبت على شيء من الهول والكرب والاضطراب. وهم يخافون ذلك اليوم فلا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.. فهم مع هذا الخوف يعلقون رجاءهم بثواب الله: ﴿**ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله**..﴾ فرجاؤهم لن يخيب في فضل الله: ﴿**والله يرزق من يشاء بغير حساب**..﴾ ففضل الله لا حدود له ولا قيود.. فلا يتقيد بالنواميس والأسباب.. في مقابل ذلك النور المتجلي في السماوات والأرض، المتبلور في بيوت الله، المشرق في قلوب أهل الإيمان.. يعرض السياق مجالاً آخر. مجالاً مظلماً لا نور فيه. مخيفاً لا أمن فيه. ضائعاً لا خير فيه. ذلك هو مجال الكفر الذي يعيش فيه الكفار: ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً**..﴾ فهذا التعبير يرسم لحال الكافرين ومآلهم مشهدين عجيبين حافلين بالحركة والحياة: في المشهد الأول يرسم أعمالهم كسراب في أرض مكشوفة مبسوطة يلتمع التماعاً كاذباً فيتبعه صاحبه الظامي وهو يتوقع الري غافلاً عما ينتظره هناك.. وفجأة يتحرك المشهد حركة عنيفة.. فهذا السائر وراء السراب، الظامىء الذي يتوقع الشراب، الغافل عما ينتظره هناك من العقاب.. يصل.. فلا يجد ماء يرويه.. إنما يجد المفاجأة المذهلة التي لم تخطر له ببال.. المرعبة التي تقطع الأوصال، وتورث الخبال: ﴿**ووجد الله عنده**..﴾ فقد وجد الله الذي كفر به وجحده وخاصمه وعاداه.. وجده هنالك ينتظره! ولو وجد في هذه المفاجأة خصماً له من بني البشر لروعه، وهو داخل غافل على غير استعداد.. فكيف، وهو يجد الله القوي المنتقم الجبار؟!.. ﴿**فوفاه حسابه**..﴾ هكذا في سرعة عاجلة تتناسق مع البغتة والمفاجأة.. ﴿**والله سريع الحساب**..﴾ تعقيب يتناسق مع المشهد الخاطف المرتاح!.. وفي المشهد الثاني تطبق الظلمة بعد الالتماع

الكاذب: ﴿**أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها**..﴾ فيتمثل الهول هنا في ظلمات البحر اللجي. ظلمة ذاتية.. ثم تحيط به ظلمة أخرى: يغشاه موج.. ثم تأتيه ظلمة من فوقه: من فوقه موج.. وتتعانق الظلمات من البحر ومن الجو: من فوقه سحاب.. وتتراكم الظلمات بعضها فوق بعض.. حتى ليخرج يده أمام بصره فلا يراها لشدة الرعب والظلام! إنه الكفر ظلمة منقطعة عن نور الله الفائض في الكون، وضلال لا يرى فيه القلب أقرب علامات الهدى. ومخافة لا أمن فيها ولا قرار.. ﴿**ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**..﴾ فنور الله هدى في القلب. وتفتح في البصيرة. واتصال في الفطرة بنواميس الله في السماوات والأرض. والتقاء بها على الله نور السماوات والأرض.. فمن لم يتصل بهذا النور فهو في ظلمة لا انكشاف لها.. وفي مخافة لا أمن فيها.. وفي ضلال لا رجعة منه ونهاية العمل سراب ضائع يقود إلى الهلاك والعذاب؛ لأنه لا عمل بغير عقيدة. ولا صلاح بغير إيمان. إن هدى الله هو الهدي.. ونور الله في هذا القرآن.

التوجيه الثاني: ﴿**ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض**..﴾: في هذا التوجيه لفت النظر إلى مشهد الإيمان والهدى والنور في الكون الفسيح. مشهد يتمثل فيه الوجود كله.. بمن فيه ومن فيه.. شاخصاً يسبح لله: إنسُه وجنه. أملاكه وأفلاكه.. أحياؤه وجماده.. فإذا الوجود كله تتجاوب بالتسبيح أرجاؤه.. في مشهد يرتعش له الوجدان حين يتملاه.. فالإنسان ليس مفرداً في هذا الكون الفسيح.. فإن من حوله، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، وحيثما امتد به النظر أو طاف به الفكر، إخواناً له من خلق الله، لهم طبائع شتى، وصور شتى، وأشكال شتى.. ولكنهم بعد ذلك كله يلتقون في الله ويتوجهون إليه ويسبحون بحمده.. والقرآن يوجه الإنسان إلى النظر فيما حوله من صنع الله، وإلى مَنْ حولَه من خلق الله في السماوات والأرض، وهم يسبحون بحمده وتقواه.. ويوجه بصره وقلبه خاصة إلى مشهد في كل يوم يراه.. فلا يثير انتباهه ولا يحرك قلبه لطول ما يراه.. ذلك مشهد الطير صافات: ﴿**والطير صافات**..﴾ فهي صافات في جو السماء تسبح بحمد الله: ﴿**كل قد علم صلاته وتسبيحه**..﴾ فالإنسان وحده هو الذي يغفل عن تسبيح ربه باختياره.. وهو أجدر خلق الله بالإيمان والتسبيح والصلاة. وإن الكون ليبدو في هذا المشهد الخاشع متجهاً كله

إلى خالقه، مسبحاً بحمده، قائماً بصلاته، وإنه لكذلك في فطرته، وفي طاعته لمشيئة خالقه الممثلة في نواميسه. وإن الإنسان ليدرك ـ حين يشف ـ هذا المشهد ممثلاً في حسه كأنه يراه. وإنه ليسمع دقات هذا الكون وإيقاعاته تسابيح لله. وإنه ليشارك كل كائن في هذا الوجود صلاته ونجواه.. لذلك كان لمحمد بن عبد الله ـ صلاة الله وسلامه عليه ـ إذا مشى سمع تسبيح الحصى.. وكذلك كان داوود ـ عليه السلام ـ يرتل مزاميره فتؤوّب الجبال معه والطير.. ﴿**ولله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير**..﴾ فلا اتجاه إلا إليه، ولا ملجأ من دونه، ولا مفر من لقائه.. وإلى الله المصير. ومشهد آخر من مشاهد هذا الكون التي يمر عليها الناس غافلين. وفيها متعة للنظر، وعبرة للقلب، ومجال للتأمل في صنع الله وآياته، وفي دلائل النور والهدى والإيمان: ﴿**ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار**..﴾ فالمشهد يُعرض على مهل وفي إطالة، وتُترك أجزاؤه للتأمل قبل أن تلتقي وتتجمع. كل أولئك لتؤدي الغرض من عرضها في لمس القلب وإيقاظه، وبعثه إلى التأمل والعبرة، وتدبُّر ما وراءها من صنع الله.. فإن يد الله تزجي السحاب وتدفعه من مكان إلى مكان.. ثم تؤلف بينه وتجمعه.. فإذا هو ركام بعضه فوق بعض.. فإذا ثقل خرج منه الماء، والوبل الهاطل. وهو في هيئة الجبال الضخمة الكثيفة، فيها قطع البرد الثلجية الصغيرة. ومشهد السحب كالجبال لا يبدو كما يبدو لراكب الطائرة ـ الآن ـ وهي تعلو فوق السحب.. فإذا المشهد مشهد الجبال حقاً بضخامتها ومساقطها وارتفاعاتها وانخفاضاتها. وإنه لتعبير مصور للحقيقة التي لم يرها الناس إلا بعد ما ركبوا الطائرات.. وهذه الجبال مسخرة بأمر الله، وفق ناموسه الذي يحكم الكون. ووفق هذا الناموس يصيب الله بالمطر من يشاء ويصرفه عمن يشاء.. فلا أحد من البشر يستطيع أن يجلب مطراً أو يصرفه حسبما يريد!.. وتكملة للمشهد الضخم تأتي هذه الجملة: يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار.. ذلك ليتم التناسق مع جو النور الكبير في الكون العريض، على طريقة التناسق في التصوير.. ثم مشهد كوني ثالث: مشهد الليل والنهار: ﴿**يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**..﴾ فالتأمل في تقلب الليل والنهار بهذا النظام الذي لا يختل ولا يفتر، يوقظ في القلب الحساسية وتدبر الناموس

الذي يصرف هذا الكون والتأمل في صنع الله. والقرآن يوجه القلب إلى هذه المشاهد التي ذهبت الألفة بوقعها المثير؛ ليواجه القلبُ هذا الكون دائماً بحس جديد، وانفعال جديد.. فعجيبة الليل والنهار كم شاقت القلب البشري، وهو يتأملها أول مرة. وهي هي لم تتغير، ولم تفقد جمالها وروعتها.. إنما القلب البشري هو الذي صدىء وهمد.. فلم يعد يخفق لها. وكم ذا نفقد من حياتنا، وكم ذا نخسر من جمال هذا الوجود، حين نمر غافلين بهذه الظواهر التي شاقت حِسَّنا وهي جديدة.. والقرآن يُجدّد حسّنا الخامد، ويوقظ حواسَّنا الملول، ويلمس قلبنا البارد، ويثير وجداننا الكليل؛ لنرتاد هذا الكون دائماً كما ارتدناه أول مرة. نقف أمام كل ظاهرة نتأملها ونسألها عما وراءها من سر دفين ومن سحر مكنون. ونرقب يد الله تفعل فعلها في كل شيء من حولنا، ونتدبر حكمته في صنعته، ونعتبر بآياته المبثوثة في تضاعيف الوجود. إن الله سبحانه يريد أن يمن علينا بأن يهبنا الوجود مرة كلما نظرنا إلى إحدى ظواهره فاستعدنا نعمة الإحساس بها كأننا نراها أول مرة.. فنظل نجد الكون مرات لا تحصى.. وكأننا في كل مرة نُوهبُه من جديد، ونستمتع به من جديد. وإن هذا الوجود لجميل وباهر ورائع.. وإن فطرتنا لمتوافقة مع فطرته، مُستَمدَّة من المنبع الذي يستمد منه، قائمة على ذات الناموس الذي يقوم عليه.. فالاتصال بضمير هذا الوجود يهبنا أنساً وطمأنينة، وصلة ومعرفة، وفرحة كفرحة اللقاء بالقريب الغائب أو المحجوب!. وإننا لنجد نور الله هناك.. فالله نور السماوات والأرض.. نجده في الآفاق وفي أنفسنا.. في ذات اللحظة التي نشهد فيها هذا الوجود بالحس البصير، والقلب المتفتح، والتأمل الواصل إلى حقيقة التدبير. لهذا يوقظنا القرآن المرة بعد المرة، ويوجّه حسَّنا وروحنا إلى شتى مشاهد الوجود الباهرة؛ كي لا تمر علينا غافلين مغمضي الأعين.. فتخرج من رحلة الحياة على ظهر هذه الأرض بغير رصيد، أو برصيد قليل هزيل! ويمضي السياق في عرض مشاهد الكون، واستثارة تطلعنا إليها.. فيعرض نشأة الحياة من أصل واحد، وطبيعة واحدة.. ثم تنوعها مع وحدة النشأة والطبيعة: ﴿**والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير**..﴾ فهذه الحقيقة الضخمة التي يعرضها القرآن بهذه البساطة، حقيقة أن كل دابة خلقت من ماء. قد تعني أنها من أصل واحد.. ثم هي متنوعة الأشكال: منها

الزواحف تمشي على بطنها.. ومنها الإنسان والطير يمشي على رجلين.. ومنها بقية الحيوان يدب على أربع. كل أولئك وفق سنة الله ومشيئته. لا عن فلتة ولا مصادفة: يخلق الله ما يشاء.. غير مقيد بشكل ولا هيئة.. فالنواميس والسنن التي تعمل في الكون قد اقتضتها مشيئة الله الطليقة وارتضتها: إن الله على كل شيء قدير. وإن تملى الأحياء، وهي بهذا التنوع في الأشكال والأحجام، والأصول والأنواع، والشيات والألوان.. وهي خارجة، من أصل واحد.. ليوحي بالتدبير المقصود، والمشيئة العامدة. ويتقي فكرة الفلتة والمصادفة.. وإلا.. فأي فلتة تلك التي تتضمن كل هذا التدبير؛ وأيّ مصادفة تلك التي تتضمن كل هذا التقدير؟!.. إنما هو صنع الله العزيز الحكيم الذي أعطى كل شيء خلقه.. ثم هدى.

التوجيه الثالث: ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات..﴾: في هذا التوجيه إشارة إلى ما تضمنته الآيات السابقة من الدلائل البينة والبراهين الساطعة والأحكام الواضحة المفصلة.. وحديث مستفيض عن المنافقين الذين لا ينتفعون بآيات الله المبينات ولا يهتدون.. فهم يظهرون الإسلام.. ولكنهم لا يتأدبون بأدب المؤمنين في طاعة رسول الله ﷺ وفي الرضى بحكمه، والطمأنينة إليه.. ويوازن بينهم وبين المؤمنين الصادقين في إيمانهم.. فهو يمهد لهذا التوجيه بقوله: **﴿لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم..﴾** فآيات الله وضحها الله وبينها للناس.. تجلو نور الله، وتكشف عن ينابيع هداه وتحدد الخير والشر، والطيب والخبث، وتبين منهج الإسلام في الحياة كاملاً دقيقاً لا لبس فيه ولا غموض، وتحدد أحكام الله في الأرض بلا شبهة ولا إبهام.. فإذا تحاكم الناس إليها فإنما يتحاكمون إلى شريعة واضحة مضبوطة؛ لا يخشى منها صاحب حق على حقه، ولا يلتبس فيها حق بباطل: والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.. فمشيئة الله مطلقة لا يقيدها قيد.. غير أن الله قد جعل للهدى طريقاً: من وجّه نفسَه إليه، وجد فيه هدى الله ونوره.. فاتصل به وسار على الدرب.. حتى يصل بمشيئة الله.. ومن حاد عنه وأعرض فَقَد النور الهادي، ولجّ في طريق الضلال.. حسب مشيئة الله في الهدى والضلال. ومع هذه الآيات المبينات يوجد ذلك الفريق من الناس: فريق المنافقين الذين كانوا يظهرون الإسلام ولا يتأدبون بأدب الإسلام: **﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا.. ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما**

أولئك بالمؤمنين. .﴾ فإن الإيمان الصحيح متى استقر في القلب ظهرت آثاره في السلوك. والإسلام عقيدة متحركة لا تطيق السلبية. فهي بمجرد تحققها في عالم الشعور تتحرك لتحقق مدلولها في الخارج؛ ولتترجم نفسها إلى حركة وإلى عمل في عالم الواقع. ومنهج الإسلام الواضح في التربية يقوم على أساس تحويل الشعور الباطن بالعقيدة وآدابها إلى حركة سلوكية واقعية؛ وتحويل هذه الحركة إلى عادة ثابتة أو قانون. . مع استحياء الدافع الشعوري الأول في كل حركة؛ لتبقى حية متصلة بالينبوع الأصيل. وهؤلاء كانوا يقولون: آمنا بالله وبالرسول وأطعنا. . يقولونها بأفواههم. . ولكن مدلولها لا يتحقق في سلوكهم. . فيقولون ناكصين: يكذبون بالأفعال ما قالوه باللسان: وما أولئك بالمؤمنين. . فالمؤمنون تصدق أفعالهم أقوالهم. والإيمان ليس لعبة يتلهى بها صاحبها. . ثم يدعها ويمضي. . إنما هو الكيف في النفس، وانطباع في القلوب، وعمل في الواقع. . ثم لا تملك النفسُ الرجوعَ عنه متى استقرت حقيقته في الضمير. ولقد كان هؤلاء الذين يدّعون الإيمان يخالفون مدلوله حين يُدْعَوْن ليتحاكموا إلى رسول الله على شريعة الله التي جاء بها: **﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون. وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين. .﴾** فلقد كانوا يعلمون أن حكم الله ورسوله لا يحيد عن الحق، ولا ينحرف مع الهوى، ولا يتأثر بالمودة والشنآن. وهذا الفريق من المنافقين لا يريد الحق ولا يطيق العدل. ومن ثَمّ كانوا يُعرضون عن التحاكم إلى رسول الله ـ ويأبون أن يجيئوا إليه. . فأما إذا كانوا أصحاب حق في قضية فهم يسارعون إلى تحكيم رسول الله راضين خاضعين؛ لأنهم واثقون أنه سيقضي لهم بحقهم وفق شريعة الله التي لا تظلم ولا تبخس الحقوق. هذا الفريق الذي كان يدّعي الإيمان. . ثم يسلك هذا السلوك الملتوي. . إنما هو نموذج للمنافقين في كل زمان ومكان: المنافقين الذين لا يجرأون على الجهر بكلمة الكفر. . فيتظاهرون بالإسلام. . ولكنهم لا يرضون أن تَقضى بينهم شريعة الله، ولا أن يحكم فيهم قانونه. . فإذا دعوا إلى حكم الله ورسوله أبوا وأعرضوا وانتحلوا المعاذير. . فما يستقيم الإيمان وإباءُ حكم الله ورسوله إلا أن تكون لهم مصلحة في أن يتحاكموا إلى شريعة الله أو يحكّموا قانونه. إن الرضى بحكم الله ورسوله هو دليل الإيمان الحق. وهو المظهر الذي ينبىء عن استقرار حقيقة الإيمان في القلب. وهو الأدب الواجب مع الله ومع رسول الله. وما يرفض حكم الله وحكم

رسوله إلى سيّء الأدب.. فلم يتأدب بأدب الإسلام، ولم يشرق قلبه بنور الإيمان. ومن ثمّ يعقب على فعلتهم هذه بأسئلة تثبت مرض قلوبهم، وتتعجب من ريبتهم، وتستنكر تطرفهم العجيب: ﴿**أفي قلوبهم مرض؟. أم ارتابوا؟. أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله**﴾؟!.. والسؤال الأول للإثبات.. فمرض القلب جدير بأن ينشيء مثل هذا الأثر. وما ينحرف الإنسان هذا الانحراف وهو سليم الفطرة.. إنما هو المرض الذي تختل به فطرته عن استقامتها.. فلا تتذوق حقيقة الإيمان، ولا تسير على نهجه القويم. والسؤال الثاني للتعجب.. فهل هم يشكون في حكم الله وهم يزعمون الإيمان؟!. هل هم يشكون في مجيئه من عند الله؟ أو هم يشكون في صلاحيته لإقامة العدل؟! على كلتا الحالتين.. فهذا ليس طريق المؤمنين.. والسؤال الثالث للاستنكار والتعجب من أمرهم الغريب.. فهل هم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله؟! وإنه لعجيب أن يقوم مثلُ هذا الخوف في نفس إنسان.. فالله خالق الجميع ورب الجميع.. فكيف في حكمه على أحد من خلقه لحساب أحد من خلقه؟!. إن حكم الله هو الحكم الوحيد المبرأ من مظنة الحيف؟ لأن الله هو العادل الذي لا يظلم أحداً. وكلُّ خَلْقِه أمامَه سواءً.. فلا يظلم أحداً منهم لمصلحة أحد. وكلُّ حكيم غيرِ حَكْمِه هو مظنّةُ الحيف.. فالبشر لا يملكون أنفسهم وهم يشرعون ويحكمونَ أن يميلوا إلى مصالحهم. أفراداً كانوا أو جماعات؛ طبقة أم دولة. وحين يُشرّع فرد ويحكم فلا بد أن يلحظ في التشريع حماية نفسه وحماية مصالحه.. وكذلك حين تشرّع طبقة لطبقة، وحين تشرع دولة لأفرادها أو جماعاتها. أو أمة لأمة.. فأما حين يشرع الله فلا حماية ولا مصلحة.. إنما هي العدالة المطلقة التي لا يضعها تشريع غير تشريع الله، ولا يحققها حكم غير حكمه. من أجل ذلك كان الذين لا يرتضون حكم الله ورسوله هم الظالمين، الذين لا يريدون للعدالة أن تستقر، ولا يحبون للحق أن يسود: ﴿**بل أولئك هم الظالمون..**﴾ فأما المؤمنون حقاً فلهم أدب غير هذا مع الله ورسوله. ولهم قول آخر إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم.. فهو القول الذي يليق بالمؤمنين، وينبيء عن إشراق قلوبهم بالنور: ﴿**إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا..**﴾ فهو السمع والطاعة بلا تردد ولا جدال ولا انحراف. السمع والطاعة المستمدان من الثقة المطلقة في أن حكم الله ورسوله هو الحكم وما عداه الهوى.. النابعان من التسليم

المطلق لله واهب الحياة المتصرف فيها كيف يشاء. ومن الاطمئنان إلى أن ما يشاؤه الله للناس خير مما يشاؤونه لأنفسهم.. فالله الذي خلق أعلم بمن خلق: **﴿وأولئك هم المفلحون﴾**: المفلحون؛ لأن الله هو الذي يدبر أمورهم، وينظم علاقاتهم، ويحكم بينهم بعلمه وعدله.. فلا بد أن يكونوا خيراً ممن يدبر أمورهم وينظم علاقاتهم ويحكم بينهم بشرٌ مثلُهم قاصرون لم يُؤتوا من العلم إلا قليلاً.. والمفلحون؛ لأنهم مستقيمون على منهج واحد لا عوج فيه ولا التواء! مطمئنون إلى هذا المنهج ماضون فيه لا يتخبطون.. فلا تتوزع طاقاتهم ولا يمزقهم الهوى كل ممزق ولا تقودهم الشهوات والأهواء. والنهج الإلهي أمامهم واضح مستقيم. وقد كان الحديث فيما سبق عن الطاعة والتسليم في الأحكام! والآن يتحدث عن الطاعة كافة في كل أمر أو نهي: **﴿ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون..﴾** فهم الناجون في دنياهم وأخراهم. وعد الله ولن يخلف الله وعده.. فهم للفوز أهل ولديهم أسبابه من واقع حياتهم.. فالطاعة لله ولرسوله يقتضي السير على النهج القويم الذي رسمه الله للبشرية عن علم وحكمة. وهو بطبيعته يؤدي إلى الفوز في الدنيا والآخرة، وخشية الله وتقواه هي الحارس الذي يكفل الاستقامة على النهج، وإغفال المغريات التي تهتف بهم على جانبيه فلا ينجرفون ولا يلتفتون. وأدب الطاعة لله ورسوله مع خشية الله وتقواه أدب رفيع ينبىء عن مدى إشراق القلب بنور الله، واتصاله به، وشعوره بهيبته. كما ينبىء عن عزة القلب المؤمن واستعلائه.. فكل طاعة لا ترتكن على طاعة الله ورسوله ولا تستمد منها هي ذلّة يأباها الكريم وينفر منها طبع المؤمن ويستعلي عليها ضميره.. فالمؤمن الحق لا يحني رأسه إلا لله الواحد القهار. وبعد هذه المقابلة بين حسن أدب المؤمنين وسوء أدب المنافقين الذين يدّعون الإيمان وما هم بمؤمنين. بعد هذه المقابلة يعود إلى استكمال الحديث عن هؤلاء المنافقين: **﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجنّ..﴾** فلقد كان المنافقون يتسمون ويحلفون لرسول الله لئن أمرهم بالخروج إلى الجهاد ليخرجن.. والله يعلم إنهم لكاذبون.. فهو يرد عليهم متهكماً ساخراً من أيمانهم: **﴿قل: لا تقسموا. طاعة معروفة﴾**. لا تحلفوا.. فإن طاعتكم معروف أمرها مكشوف سرها مفروغ منها لا تحتاج إلى حلف أو توكيد. ويعقب على هذا التهكم الساخر بقوله: **﴿إن الله خبير بما تعملون..﴾** فلا يحتاج إلى قسم ولا توكيد، وقد علم أنكم لا تطيعون ولا

تخرجون! ؛ لهذا يعود فيأمرهم بالطاعة: الطاعة الحقيقية. لا طاعتهم تلك المعروفة المفهومة: ﴿**قل: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول. . فإن تولوا**﴾، وتفرضوا أو تنافقوا ولا تنقذوا. . ﴿**فإنما عليه ما حمل**﴾ من تبليغ الرسالة وقد قام به وأداه. . ﴿**وعليكم ما حملتم**﴾، وهو أن تطيعوا وتخلصوا. . وقد نكصتم عنه ولم تؤدوه. . ﴿**وإن تطيعوه تهتدوا**. .﴾ إلى المنهج السليم المؤدي إلى الفوز والفلاح. . ﴿**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**. .﴾ فليس الرسول مسؤولاً عن إيمانكم. وليس مقصراً إذا أنتم توليتم. . إنما أنتم المسؤولون المعاقبون بما توليتم وبما عصيتم وبما خالفتم عن أمر الله وأمر رسوله. وبعد استعراض أمر المنافقين والانتهاء منه على هذا النحو يَدعهُم السياقُ وشأنَهم. . ويلتفت عنهم إلى المؤمنين المطيعين. . يبين جزاء الطاعة المخلصة والإيمان العامل في هذه الأرض قبل يوم الحساب الأخير: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً**. .﴾ فذلك وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمة محمد أن يستخلفهم في الأرض، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً. ذلك وعد الله ووعد الله حق. ووعد الله واقع ولن يخلف الله وعده. . فما حقيقة ذلك الإيمان؟ وما حقيقة هذا الاستخلاف؟ إن حقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقةٌ ضخمة تستغرق النشاط الإنساني كله. . وتوجه النشاط الإنساني كله. . فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط وبناء وإنشاء موجَّه كلُّه إلى الله. لا يبتغي به صاحبه إلا وجه الله. وهي طاعة لله واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة. لا يبقى معها هوى في النفس ولا شهوة في القلب ولا ميل في الفطرة إلا وهو تبع لما جاء به رسول الله من عند الله. . هو الإيمان الذي يستغرق الإنسان كلَّه: بخواطر نفسه وخلجات قلبه وأشواق روحه وميول فطرته وحركات جسمه ولفتات جوارحه. وسلوكه مع ربه: في أهله ومع الناس جميعاً. . يتوجه بهذا كله إلى الله. . يتمثل هذا في قول الله سبحانه في الآية نفسها تعليلاً للاستخلاف والتمكين والأمن: ﴿**يعبدونني لا يشركون بي شيئاً**. .﴾ فالشرك مداخل وألوان. والتوجه إلى غير الله بعمل أو شعور هو لون من ألوان الشرك بالله. ذلك الإيمان منهج حياة كاملٌ. يتضمن كل ما أمر الله به. ويدخل فيما أمر الله به توفير الأسباب وإعداد العدة والأخذ بالوسائل والتهيؤ لحمل

الأمانة الكبرى في الأرض. فما حقيقة الاستخلاف في الأرض؟ إنها ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم.. إنما هي هذا كلُّه على شرط استخدامه في الإصلاح والتعمير والبناء، وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه، وتصل عن طريقه إلى مستوى الكمال المقدر لها في الأرض اللائق بخليقة أكرمها الله. إن الاستخلاف في الأرض قدرة على العمارة والإصلاح، لا على الهدم والإفساد.. وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، لا على الظلم والقهر.. وقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري، لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارك الحيوان. وهذا الاستخلاف هو الذي وعده الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. وعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض.. كما استخلف المؤمنين الصالحين قبلهم.. ليحققوا النهج الذي أراده الله.. ويقرروا العدل الذي أمر به الله.. ويسيروا بالبشرية خطوات في طريق الكمال المقدر لها يوم أنشأها الله.. فأما الذين يملكون فيفسدون في الأرض وينشرون فيها البغي والفساد والجور وينحدرون بها إلى دركات الحيوان.. فهؤلاء ليسوا مستخلفين في الأرض.. إنما هم مبتلون بما هم فيه، أو مبتلى بهم غيرُهم ممن يسلطون عليهم لحكمة يقدرها الله. آية هذا الفهم لحقيقة الاستخلاف قوله تعالى بعده: وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم.. فتمكين الدين يتم بتمكينه في القلوب، كما يتم بتمكينه في تصريف الحياة وتدبيرها بيد قوية ونفوس أبية وأداة تنفيذ مرهوبة مرعية.. فقد وعدهم الله إذن أن يستخلفهم في الأرض.. وأن يجعل دينهم الذي ارتضى لهم هو الذي يهيمن على الأرض. ودينهم يأمر بالإصلاح. ويأمر بالعدل، ويأمر بالاستعلاء على شهوات الأرض، ويأمر بعمارة هذه الأرض، وبالانتفاع بكل ما أودعها الله من ثروة ومن رصيد ومن طاقة مع التوجه بكل نشاط فيها إلى الله. ومن هذا كله ندرك معنى وجوب إقامة الخلافة في الإسلام: خلافة مثل خلافة أبي بكر وعمر وعثمان.. صيانة الدين وحفظ الأحكام. وكانت نتيجة الاستخلاف وتمكين الدين تبديل الحال غير الحال: لقد كانوا خائفين لا يأمنون: وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون.. فأظهر الله نبيه على العرب فآمنوا.. ثم إن الله أظهر خلفاءه: أبا بكر وعمر وعثمان.. فانتشر الدين في معظم بلدان الشرق والغرب.. فقد تحقق وعد الله مرّة.. وتحقق وعيده مرات.. فانهزموا وضعفوا وذلوا واحتقروا تنفيذاً لقوله:

﴿**ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون..**﴾ فقد تخلف الشرط المشروط به النصر والتأييد: ﴿**يعبدونني لا يشركون بي شيئاً**﴾! فوعد الله منخور لكل من يقوم على الشرط من هذه الأمة إلى يوم القيامة. وما خنوع حكام المسلمين اليوم لأعدائهم، والذلة التي حلت بهم إلا بترك هذا الشرط.. فقد جعلوا أنفسهم آهلة يتحكمون في شعوبهم.. واستغلوا الثروة لشهواتهم.. فكانوا بلاءً على أنفسهم وبلاءً على شعوبهم.. حتى إذا شعرت الشعوب بهذا البلاء، وجازت الابتلاء. وخافت فطلبت الأمن. وذلت فطلبت العزة.. وتخلفت فطلبت الاستخلاف. وخاف منها من كان يتحكم فيها بالقهر والاستخفاف. كل ذلك بوسائله التي أرادها الله، وبشروطه التي قررها الله.. فعند ذلك يتحقق وعد الله الذي لا يتخلف ولا تقف في طريقه قوة من قوى الأرض جميعاً. لذلك يعقب على هذا الوعد بالأمر بالصلاة والزكاة والطاعة وبألا يُحسَب حساباً لقوة الكافرين الذين يحاربون المؤمنين، ويحاربون دينهم الذي ارتضاه لهم رب العالمين: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون. لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير..**﴾ فهذه هي العدّة.. الاتصال بالله وتقويم القلب بإقامة الصلاة. والاستعلاء على الشح وتطهير النفس أفراداً وجماعات بإيتاء الزكاة. وطاعة الرسول والرضى بحكمه. وتنفيذ شريعة الله في الصغيرة والكبيرة. وتحقيق النهج الذي أراده للحياة: لعلكم ترحمون.. في الأرض من الفساد والانحدار والخوف والقلق والضلال. وفي الآخرة من الغضب والعذاب والنكال.. فإذا استقمتم على النهج فلا عليكم من قوة الكافرين.. فما هم بمعجزين في الأرض. وقوتهم الظاهرة لن تقف لكم في الطريق، وأنتم أقوياء بإيمانكم، أقوياء بنظامكم، أقوياء بعدتكم التي تستطيعون. وقد لا تكونون في مثل عدتهم من الناحية المادية ولكن القلوب المؤمنة التي تجاهد تصنع الخوارق والأعاجيب! إن الإسلام حقيقة ضخمة لا بد أن يتملاها من يريد الوصول إلى حقيقة وعد الله في تلك الآيات. ولا بد أن يبحث عن مصداقها في تاريخ الحياة البشرية وهو يدرك شروطها على حقيقتها قبل أن يتشكك فيها أو يرتاب، أو يستبطىء وقوعها في حالة من الحالات. إنه ما مِنْ مرّة سارت هذه الأمة على نهج الله، وحكمت هذا النهج في الحياة، وارتضته في كل أمورها إلا تحقق وعد الله بالاستخلاف والتمكين والأمن. وما من مرة خالفت عن هذا النهج إلا تخلفت في ذيل الغافلة وذلت،

وطرد دينها من الهيمنة على البشرية، واستبد بها الخوف وتخطفها الأعداء. ألا وإن وعد الله قائم. ألا وإن شرط الله معروف.. فمن شاء الوعد فليقم بالشرط. ومن أوفى بعهده من الله؟!.

التوجيه الرابع: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات..**﴾: في هذا التوجيه بيان أحكام الاستئذان في داخل البيوت بعد ما بين فيما سبق أحكام الاستئذان على البيوت.. فإن الإسلام منهاج حياة كامل.. فهو ينظم حياة الإنسان في كل أطوارها ومراحلها، وفي كل علاقاتها وارتباطاتها، وفي كل حركاتها وسكناتها. ومن ثمّ يتولى بيان الآداب اليومية الصغيرة، كما يتولى بيان التكاليف العامة الكبيرة؛ وينسق بينها جميعاً، ويتجه بها إلى الله في النهاية. وهذه السورة نموذج من ذلك التنسيق. لقد تضمنت بعض الحدود إلى جانب الاستئذان على البيوت. وإلى جانبها جولة ضخمة في مجالي الوجود.. ثمّ عاد السياق يتحدث عن حسن أدب المسلمين في التحاكم إلى الله ورسوله، وسوء أدب المنافقين.. إلى جانب وعد الحق للمؤمنين بالاستخلاف والأمن والتمكين. وها هو ذا في هذا التوجيه يعود إلى آداب الاستئذان في داخل البيوت.. فالخدم من الرقيق، والأطفال المميزون الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال يدخلون بلا استئذان إلا في ثلاثة أوقات تتكشف فيها العورات عادة.. فهم يستأذنون فيها. هذه الأوقات هي: ﴿**من قبل صلاة الفجر. وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة. ومن بعد صلاة العشاء. ثلاث عورات لكم..**﴾ فقبل صلاة الفجر حيث يكون الناس في ثياب النوم عادة، أو أنهم يغيرونها ويلبسون ثياب الخروج. ووقت الظهيرة عند القيلولة حيث يخلعون ملابسهم في العادة ويرتدون ثياب النوم للراحة. وبعد صلاة العشاء حين يخلعون ملابسهم كذلك ويرتدون ثياب الليل.. وسمى هذه الأوقات الثلاثة عورات لانكشاف العورات فيها.. وفي هذه الأوقات الثلاثة لا بد أن يستأذن الخدم، وأن يستأذن الصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم؛ كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم. وهو أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية. مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخُلقية.. ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة.. وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر.. بينما يقرر النفسيون اليوم ـ بعد تقدم العلوم النفسية ـ أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر

في حياتهم كلها.. وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها. والعليم الخبير يؤدب المؤمنين بهذه الآداب.. وهو يريد أن يبني أمة سليمة الأعصاب سليمة الصدور مهذبة المشاعر طاهرة القلوب نظيفة التصورات.. ويخصص النص هذه الأوقات الثلاثة دون غيرها؛ لأنها مظنة انكشاف العورات. ولا يجعل استئذان الخدم والصغار في كل حين منعاً للحرج: ﴿**ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض..**﴾ فهم كثيروا الدخول والخروج على أهليهم ومواليهم؛ بحكم صغر سنهم أو قيامهم بالخدمة.. فبذلك يجمع النص بين الحرص على عدم انكشاف العورات وإزالة الحرج والمشقة لو حتم أن يستأذنوا كما يستأذن الكبار. وعلق على هذه الأحكام بقول الله تعالى: ﴿**كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم**﴾. أما حين يدرك الصغار سن البلوغ.. فإنهم يدخلون في حكم الأجانب الذين يجب أن يستأذنوا في كل وقت حسب النص العام الذي سبق في حكم الاستئذان العام: ﴿**وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم**﴾. والتعليق في هذه الآية مثل التعليق في الآية التي قبلها.. فالمقام فيهما مقام علم الله بنفوس البشر، وما يصلحها من الآداب.. ومقام حكمته كذلك في علاج النفوس والقلوب بما يبين من أحكام ويُشرّع من آداب!. ولقد سبق الأمر كذلك بإخفاء زينة النساء منعاً لإثارة الفتن والشهوات.. فعاد هنا يستثني من النساء القواعد اللواتي فرغت نفوسهن من الرغبة في معاشرة الرجال؛ وفرغت أجسامهن من الفتنة المثيرة للشهوات: ﴿**والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن..**﴾ فهؤلاء القواعد لا حرج عليهن أن يخلعن ثيابهن الخارجية، على أن لا تنكشف عوراتهن ولا يكشفن عن زينة. وخير لهن أن يبقين كاسيات ثيابهن الخارجية الفضفاضة.

وسمى هذا استعفافاً: طلباً للعفة وإيثاراً لها؛ لما بين التبرج والفتنة من صلة. وبين التحجب والعفة من صلة.. وذلك حسب نظرية الإسلام في أن خير سبل العفة تقليل فرص الغواية، والحيلولة بين المثيرات وبين النفوس.. ثم يأتي التعليق على هذا الحكم بقول الله تعالى: ﴿**والله سميع عليم**﴾: يسمع ويعلم ويطلع على ما يقوله اللسان، وما يُوسوَس في الجَنان.. فالأمر هنا أمر نية وحساسية في

الضمير.. ثم يمضي في تنظيم العلاقات والارتباطات بين الأقارب والأصدقاء، وبين أهل العاهات والمعوّقين والضعفاء: ﴿**ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم**..﴾ فهذه الآية ترفع الحرج عن الأعمى والمريض والأعرج.. وعن القريب أن يأكل من بيت قريبه، وأن يصحب معه أمثال هؤلاء المحاويج.. وذلك محمول على أن صاحب البيت لا يكره هذا ولا يتضرر به، استناداً إلى القواعد العامة في أنه: لا ضرر ولا ضرار.. وإلى أنه لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفس؛ ولأن الآية آية تشريع.. فإننا نلحظ فيها دقة الأداء اللفظي والترتيب الموضوعي والصياغة التي لا تدع مجالاً للشك والغموض. كما نلمح فيها ترتيب القرابات.. فهي تبدأ ببيوت الأبناء والأزواج ولا تذكرهم.. بل تقول الآية: ﴿**من بيوتكم**..﴾ فيدخل فيها بيت الابن وبيت الزوج.. فبيت الابن بيت لأبيه. وبيت الزوج بيت لزوجته، وتليها بيوت الآباء فبيوت الأمهات فبيوت الإخوة فبيوت الأخوات فبيوت الأعمام فبيوت العمات فبيوت الأخوال فبيوت الخالات. ويضاف إلى هذه القرابات الخازن على مال الرجل.. فله أن يأكل مما يملك مفاتحه بالمعروف ولا يزيد على حاجة طعامه. ويلحق بها بيوت الأصدقاء؛ ليلحق صلتهم بصلة القرابة، عند عدم التأذي والضرر.. فقد يسر الأصدقاء أن يأكل أصدقاؤهم من طعامهم بدون استئذان.. فإذا انتهى من بيان البيوت التي يجوز الأكل منها، بين الحالة التي يجوز عليها الأكل: ﴿**ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً**..﴾ فقد كان من عادات بعضهم في الجاهلية أن لا يأكل طعاماً على انفراد.. فإن لم يجد من يؤاكله عاف الطعام.. فرفع الله هذا الحرج المتكلّف، ورد الأمر إلى بساطته بلا تعقيد.. فأباح أن يأكلوا أفراداً أو جماعات. وبعض الناس اليوم يتحرّج من أن يأكل مع غيره.. فيخصص لكل شخص طبق وملعقة وسكين وشوكة.. فهي عادة متكلفة من عادات الجاهلية المعاصرة!.. فإذا انتهى النص من بيان الحالة التي يكون عليها الأكل ذكر آداب دخول البيوت التي يؤكل فيها: ﴿**فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة**..﴾ فهذا التعبير تعبير لطيف عن قوة الرابطة بين المذكورين في الآية..

فالذي يسلم منهم على قريبه أو صديقه يسلم على نفسه. والتحية التي يلقيها عليه هي تحية من عنده. تحمل ذلك الروْح وتفوح بذلك العطر. وتربط بينهم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها. وهكذا ترتبط قلوب المؤمنين بربهم في الصغيرة والكبيرة: ﴿**كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون..**﴾ فتدركون ما في المنهج الإلهي من حكمة ومن تقدير. فالعاقل هنا هو الذي يميز ويقارن بين ما في القرآن الكريم.. وبين عادات الناس التي لا تستند إلى تشريع ولا ترتبط بتنظيم قويم!. وينتقل النص من تنظيم العلاقات بين الأقارب والأصدقاء إلى تنظيمها بين الأسرة الكبيرة.. أسرة المؤمنين.. ورئيسها وقائدها محمد رسول الله ﷺ وإلى آداب المسلمين في مجلس الرسول: ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله..**﴾ فهذه الآية تتضمن الآداب النفسية التنظيمية بين الجماعة وقائدها.. هذه الآداب التي لا يستقيم أمر الجماعة إلا حين تنبع من مشاعرها وعواطفها وأعماق ضميرها.. ثم تستقر في حياتها.. فتصبح تقليداً متبعاً وقانوناً نافذاً.. وإلا.. فهي الفوضى التي لا حدود لها: إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله.. لا الذين يقولون بأفواههم.. ثم لا يحققون مدلول قولهم، ولا يطيعون الله ورسوله. وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه: فالأمر الجامع الأمر الهام التي يقتضي اشتراك الجماعة فيه: لرأي أو حرب أو عمل من الأعمال العامة.. فلا يذهب المؤمنون حتى يستأذنوا إمامهم؛ كي لا يصبح الأمر فوضى بلا وقار ولا نظام: إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله: فهؤلاء الذين يؤمنون هذا الإيمان، ويلتزمون هذا الأدب، لا يستأذنون إلا وهم مضطرون.. فلهم من إيمانهم ومن أدبهم عاصم أن لا يتخلوا عن الأمر الجامع الذي يشغل بال الجماعة ويستدعي تجمعها له. ومع هذا.. فالقرآن يدَع الرأي في الإذن أو عدمه للرسول رئيس الجماعة بعد أن يبيح له حرية الإذن: ﴿**فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم..**﴾ فهنا يدع النصَّ الرأيَ للرسول.. فإن شاء أذن، وإن شاء لم يأذن.. فيرفع الحرج عن عدم الإذن. وقد تكون هناك ضرورة ملحة.. ويستبقي حرية التقدير لقائد الجماعة؛ ليوازن بين المصلحة في البقاء والمصلحة في الانصراف. ويترك له الكلمة الأخيرة في هذه المسألة التنظيمية يدبرها بما يراه. ومع هذا يشير إلى أن مغالبة الضرورة وعدم الانصراف هو

الأولى، وأن الاستئذان والذهاب فيهما تقصير أو قصور يقتضي استغفار الرسول للمعتذرين: **﴿واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾**. وبذلك يقيد ضمير المؤمن.. فلا يستأذن وله مندوحة لقهر العذر الذي يدفع به إلى الاستئذان.. ثم يأتي النص يبين الفرق بين دعاء الرسول للناس، وبين دعاء الناس بعضهم بعضاً.. فدعاء الرسول أمر مشروع من الله.. فلا عذر في التخلف عنه ولا المخالفة: **﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً..﴾** فلا بد أن يسمع كلامُه، وتُستجابَ دعوتُه في كل حال وعلى أي حال.. يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم.. ثم يحذر المنافقين الذين يتسللون ويذهبون بدون إذن: يلوذ بعضهم ببعض، ويتدارى ليتوارى بعضهم ببعض.. فعين الله عليهم، وإن كانت عين الرسول لا تراهم: **﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً..﴾** فهو تعيين يصور حركة التخلي والتسلل بحذر من المجلس.. ويتمثل فيها الجبن عن المواجهة، وحقارة الحركة والشعور المصاحب لها في النفوس: **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم..﴾** فهذا تحذير مرهوب، وتهديد رعيب!.. فليحذر الذين يخالفون عن أمره.. ويتبعون نهجاً غير نهج الله ورسوله.. ويتسللون من الصف ابتغاء منفعة أو اتقاء مضرة.. فليحذروا أن تصيبهم فتنة تضطرب فيها المقاييس، وتختل فيها الموازين وينتكس فيها النظام.. فيختلط الحق بالباطل والطيب بالخبيث.. فتفسد أمور الجماعة وحياتها.. فلا يأمن على نفسه أحد، ولا يقف عند حده أحد، ولا يتميز فيها خير من شر.. فهي فترة شقاء للجميع: أو يصيبهم عذاب أليم: في الدنيا أو في الآخرة. جزاء المخالفة عن أمر الله ونهجه الذي ارتضاه للحياة. ويختم هذا التحذير ويختم معه السورة كلها بإشعار القلوب المؤمنة والمنحرفة بأن الله مطلع عليها رقيب على عملها عالم بما تنطوي عليه وتخفيه: **﴿ألا إن لله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم﴾**. وهكذا تختم السورة بتعليق القلوب والأبصار بالله. وتذكيرها بخشيته وتقواه!. فهذا هو الضمان الأخير. وهذا هو الحارس لتلك الأوامر والنواهي، وهذه الأخلاق والآداب التي فرضها الله في هذه السورة وجعلها كلها سواء.

1 ـ هذه السورة الفرقان تدلل على صحة الرسالة بقوة البيان وشدة الإتقان



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1)
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (2)
وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ
مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (3) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ
فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) قُلْ أَنزَلَهُ
الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا
رَّحِيمًا (6) وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ
وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ

نَذِيرًا ﴿7﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا
وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿8﴾
ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿9﴾
* تَبَٰرَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿10﴾ بَلْ كَذَّبُواْ
بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿11﴾
إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿12﴾
وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ
هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿13﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ
ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿14﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى
وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿15﴾ لَّهُمْ
فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿16﴾
وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَآنتُمْ
أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿17﴾ قَالُواْ
سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ
وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ
قَوْمًا بُورًا ﴿18﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا يَسْتَطِيعُونَ
صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿19﴾

وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿20﴾ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿21﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿22﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿23﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿24﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿25﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿26﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿27﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿28﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿29﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿30﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿31﴾ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿32﴾

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ اِلَّا جِئْنَٰكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً (33)
اَ۬لذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَيٰ وُجُوهِهِمْ إِلَيٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً (34) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى اَ۬لْكِتَٰبَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيراً (35) فَقُلْنَا اَ۪ذْهَبَآ إِلَى
اَ۬لْقَوْمِ اِ۬لذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيراً (36) وَقَوْمَ
نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ اُ۬لرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً
وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً (37) وَعَاداً وَثَمُوداً
وَأَصْحَٰبَ اَ۬لرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيراً (38) وَكُلّاً
ضَرَبْنَا لَهُ اُ۬لْأَمْثَٰلَ وَكُلّاً تَبَّرْنَا تَتْبِيراً (39) وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى
اَ۬لْقَرْيَةِ اِ۬لتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ اَ۬لسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا
بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُوراً (40) وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُؤاً أَهَٰذَا اَ۬لذِي بَعَثَ اَ۬للَّهُ رَسُولاً (41) إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
حِينَ يَرَوْنَ اَ۬لْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (42) أَرَآيْتَ مَنِ
اِ۪تَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (43)
أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ
إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (44) * أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ
رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ اَ۬لظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا

ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿45﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿46﴾
وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ
نُشُورًا ﴿47﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ
وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿48﴾ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا
وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿49﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ
بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿50﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿51﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم
بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿52﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ
وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿53﴾
وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا
وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿54﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ
وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿55﴾
وَمَا أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿56﴾ قُلْ مَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَا أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿57﴾ وَتَوَكَّلْ
عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿58﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ
ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿59﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟

لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ
نُفُورًا ۩ ﴿60﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ
فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿61﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿62﴾ وَعِبَادُ
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ
قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿63﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿64﴾
وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا
كَانَ غَرَامًا ﴿65﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿66﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ
أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿67﴾
وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ
وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿68﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿69﴾ إِلَّا مَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ
حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿70﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿71﴾ وَٱلَّذِينَ
لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿72﴾
وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا

صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿73﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿74﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿75﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿76﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿77﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده..**﴾ تبارك: تعاظم خيره.. وتقدس أمره.. وتنزّه عن النقائص فلا نظير له.. الفرقان: جَعل علماً بالغلبة على القرآن. والأصل مصدر فرق بين الشيئين.. سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل.. والمراد بعبده: رسول الله - ﷺ -.. وقد تكرر هذا في كثير من سور القرآن. ﴿**ليكون للعالمين نذيراً..**﴾ النذير: المخبر بسوء يقع.. ﴿**الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً..**﴾ الذي: صفة لموصوف مقدر دائماً. والمقدر في هذا وفيما قبله اللَّهُ الذي له.. ﴿**ملك**﴾ بضم الميم: الحكم والتصرف المطلق.. والملك. بكسر الميم: التملك للدور والعقار.. والشريك في الملك هنا: المشارك في الألوهية. وخلق كل شيء.. الخلق: الإيجاد من العدم. بخلاف الصنع فإنه نقل شيء.

من حالة إلى حالة أخرى.. فقدره تقديراً.. التقدير: جعل الشيء على مقدار وحد معين لا مجرد مصادفة بدون قصد. والمعنى: أن الله سبحانه أوجد كل شيء فقدره في ذلك الإيجاد تقديراً بديعاً لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه؛ كتهيئة الإنسان

للفهم والإدراك والنظر والتدبر في أمور المعاش والمعاد، واستنباط الصنائع المتنوعة، ومزاولة الأعمال المختلفة. وهكذا أحوال سائر الأنواع. ﴿**واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً**﴾: اتخذوا لأنفسهم متجاوزين الله تعالى الذي ذكر بعض شؤونه الجليلة؛ من اختصاص ملك السماوات والأرض به، سبحانه وتعالى، وانتفاء الولد والشريك عنه، وخلق جميع الأشياء وتقديرها أبدع تقدير، آلهةً لا يخلقون ولا يقدرون على خلق شيء من الأشياء أصلاً.. وهم مخلوقون كسائر المخلوقات.. ولا يملكون لأنفسهم.. الخ. زيادة في بيان عجزهم وعدم تصرفهم في شيء من الأشياء.

﴿**وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه..**﴾ الإفك: الشيء المختلق الذي لا أصل له. والافتراء: نشر الشيء المختلق على أسماع الناس. ﴿**وأعانه عليه قوم آخرون**﴾: ساعده على هذا الاختلاق المفترى قوم آخرون من الناس يتصل بهم سراً ويسمع منهم ما يبنى عليه هذا الإفك المفترى.. ﴿**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وَأصيلا..**﴾ فبعد ما رد عليهم قولهم: إن هذا إلا إفك افتراه.. بقوله: فقد جاؤوا ظلماً وزوراً ذكر لهم مقالة أخرى تبين كيفية الإعانة.. فهو يسمع الحكايات الملفقة والخرافات المزيفة التي كتبها له من أعانوه على ما قاله من إفك وافتراء.. فهو يسمعها لَيْلَ نَهَارَ حتى رسخت في ذهنه وحفظت في ذاكرته.. ﴿**قل**﴾ - لهم رداً عليهم وتحقيقاً للحق: ﴿**أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً..**﴾ فالمعنى: ليس ذلك مما يُفترى ويُفتعل بإعانة قوم وكتابة آخرين من الأحاديث. الملفقة، وأساطير الأولين المزيفة.. بل هو أمر علوي أنزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء.. ﴿**وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق**﴾؟!.. فهم ينكرون على محمدٍ أن يكون رسولاً؛ لأنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.. ﴿**لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً.. أو يلقى إليه كنز.. أو تكون له جنة يأكل منها.. وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً!..**﴾ فهذه الاقتراحات اقتراحات المعنِّت المعاند.. فلا قيمة لقولهم ولا استجابة لمقترحاتهم.. وإنما تعجب يا محمد مما يقول الظالمون ويقترح المقترحون: ﴿**انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً!..**﴾

فالمعنى: انظر يا محمد كيف قالوا في حقك تلك الأقاويل العجيبة الخارجة عن العقول، الجارية لغرابتها مجرى الأمثال.. واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال الشاذة البعيدة عن الوقوع! فإن من اعتاد استعمال أمثال هذه الأباطيل لا يكاد يهتدي إلى استعمال المقدمات الحقة. **﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً﴾**. تبارك: تقدم معناه. وهذا رد لاقتراح المشركين بأن تكون لمحمد جنّة يأكل منها. والقصور: جمع قصر. وهو بناء له بهاء ورونق يسكنه الملوك وأهل الثراء.. **﴿بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا..﴾** فهذا إضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه إلى توبيخهم بحكاية جناياتهم الأخرى للتخلص إلى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله: وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا.

﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً..﴾ أعتدنا: هيئنا.. والسعير: النار المستعرة التي لا يطاق حرها.. والتغيظ: ما يسمع من صوت الغضبان.. والزفير: شدة الصوت المسموع من جوف المغتاض. **﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبور كثيراً﴾**: المثال الأول مثال محال السعير.. وهذا المثال مثال لأصحاب السعير.. فهم مقرنون في الأصفاد.. ومقرنون مع الشياطين.. فكل كافر مقرون مع شيطان ليجتمع ضيق المكان وضيق الحال من توبيخ الشيطان، والثبور: الهلاك وسوء الحال وشدة الهوان.. والثبور الواحد غير كاف بل تدعون وتدعون.. فلا يحصل الهلاك المطلوب.. إنما هو عذاب دائم لا ينقطع له زمان!.. **﴿قل أذلك خير أم جنة الخلد﴾**؟!.. استفهام تقريع وتهكم وتحسير على ما فاتهم.. أذلك السعير أم جنة الخلد **﴿التي وعد المتقون؟!.. كانت لهم جزاء ومصيراً لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعداً مسؤولاً.. ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول: ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل؟.. قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾**!.. مفردات السؤال معلومة.. غير أن السؤال فيه تقدير؛ والتقدير: سبحانك! ما كان يصح لنا ولا يستقيم أن نتولى أحداً دونك.. فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك؟!.

﴿ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً..﴾ استدراك لبيان

السبب الذي ضلوا به. وهو كثرة المال والترف المفرط المستمر مع الآباء والأجداد والأحفاد والأولاد.. حتى نسوا الذكر الذي جاء به الرسول فضلوا وأضلوا وهلكوا وأهلكوا.. ﴿**فقد كذبوكم بما تقولون**﴾: فقال الله عند ذلك: قد كذبكم المعبودون أيها الكفرة بقولكم: إنهم آلهة.. ﴿**فما يستطيعون صرفاً ولا نصراً**﴾: الصرف: الدفع. والنصر: المعاونة في الحرب.. ﴿**ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً**﴾: ومن يتعد منكم أيها المكلفون مثل ما فعل هؤلاء المشركون نذقه عذاباً لا يُقادر قدرُه ولا يُطاق ضره وحرُّه. ﴿**وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق**﴾: هذا جواب عن قولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟!.

﴿**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة..**﴾ الفتنة: الابتلاء والمحنة والاختبار؛ ليظهر كل فرد على حقيقته.. ﴿**أتصبرون؟ وكان ربك بصيراً**﴾: بصيراً بما ينتج عنه هذا الابتلاء من صبر وتحمل من الرسل، وكفر وعناد من الكفرة. ﴿**وقال: الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا..**﴾ الذين لا يرجون لقاءنا: هم الكفرة المكذبون بالبعث. ولقاء الشيء: عبارة عن مصادفته من غير أن يمنع مانع من إدراكه بوجه من الوجوه. لولا أنزل علينا الملائكة: هلا جاءتنا الملائكة لتخبرنا بصدق الرسول. وهلا جاءتنا رسل من الملائكة لا من البشر مثلنا.. أو نرى ربنا بدون أن يرسل رسولاً! ﴿**لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً**﴾: والله لقد تجاوزوا الحد في الكفر استكباراً وعنادًا وجهلاً وفساداً وإفسادا!!.

والاستكبار: مبالغة في التكبر. والعتو: تجاوز الحد في الظلم. ﴿**يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذٍ للمجرمين..**﴾ فلا فائدة من طلبهم إنزال الملائكة؛ لأن إنزال الملائكة له يوم معلوم. ويومها لا بشرى للمجرمين فيه.. وإنما فيه ما يرونه من هول وعقاب وعذاب.. ﴿**ويقولون حجراً محجوراً..**﴾ فهي كلمة تقال عند لقاء عدو موتور، وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة..

فالمعنى: أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه، وهم إذا رأوهم كرهوا لقاءهم أشد كراهة وفزعوا منهم فزعاً شديداً، وقالوا: ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس شديد فظيع!!.. ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً..**﴾ وقدمنا: قصدنا وأسرعنا وأنحينا على أعمال الكافرين بالإفساد

والتمزيق والتفريق في مهب الرياح.. والهباء: ما يرى في شعاع الشمس الداخل من نافذة ضيقة.. والمنثور المفرق المبعثر.. ﴿**أصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقراً وأحسن مقيلاً..**﴾ المستقر: المكان الذي يعد في أكثر الأوقات للتجالس والتحدث فيه. والمقيل: المكان الذي يُؤوَى إليه للراحة والاسترواح في وقت القيلولة. ﴿**ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً..**﴾ تشقّق: تتشق بمعنى تتفتح.

والغمام: الشيء الذي يغم المكان من كثرته.. ونزل الملائكة تنزيلاً: هو تفسير للغمام والتنزيل تكثير النزول وتكريره فوجاً بعد فوج. ﴿**الملك يومئذٍ الحق للرحمان..**﴾ فلا يملك أحد في ذلك اليوم شيئاً بخلاف الدنيا.. فقد يملك البعض ظاهراً، ويتصرف فيما له استخلافاً.. ﴿**وكان يوماً على الكافرين عسيرا.. ويوم يعض الظالم على يديه..**﴾ العضّ: الشد بالأسنان على الشيء ليؤلمه أو يمسكه. والعض على اليدين هنا من شدة الندم: ﴿**يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. يا ويلتَى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني..**﴾ كلمة يا ليتني نداء وَتَمَنٍّ. ومعناها التفجع بالصوت والتحسر على الفوت: يا ويلتَى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً.. فهو تصريح وتوضيح لما اعتراه من المفاجأة والمفاجعة بهذا الأمر القبيح: لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ﴿**وكان الشيطان للإنسان خذولا..**﴾

كلمة فلان: اسم يكنى به عمن لا يذكرُ اسمُه العلَم.. والخليل: المحب الذي تخللت محبته بأعماق النفس. والخذل: ترك نصْرِ المستنجد مع القدرة على نصره.. ثم استعمل لكل من يمني ويزين ويموه.. ثم في النهاية لا يكون من هذا شيء. يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا. ﴿**وقال الرسول: يارب إن قومي اتخذوا هذا القرءان مهجورا..**﴾ الرسول: محمد ـ ﷺ ـ. والقوم: قريش والعرب الذين لم يؤمنوا بالقرآن. والمهجور: المتروك. ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبئ عدواً من المجرمين**﴾: كذلك مضت سنتنا على أن يكون لكل نبئ عدواً من مجرمي قومه.. ﴿**وكفى بربك هادياً ونصيراً..**﴾ فلا تهتم بما يقولون وما يفعلون.

﴿**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة**﴾. فهذا حكاية

لاقتراحهم الخاص بالقرآن.. فهم يريدون بهذا الكلام أن ينزل القرآن دفعة واحدة كما أنزلت الكتاب لسابقة.. فجاء الرد مبيناً الغرض المقصود من تنزل القرآن مفرقاً: ﴿**كذلك لنثبت به فؤادك**..﴾ فإن في تنزيله مفرقاً فوائد: منها التثبت في الحفظ والفهم. ﴿**ورتلناه ترتيلاً**..﴾ ومنها ترتيله وتنزيله آية بعد آية وفي هذا الترتيل زيادة البيان والتفصيل.. ﴿**ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً**..﴾ ومنها إبطال ما يقترحون بالجواب الواضح الصريح.. ﴿**الذين يحشرون على وجوهم إلى جهنم أولئك شراً مكاناً وأضل سبيلاً**..﴾ فهذا بيان لحال أولئك المكذبين المقترحين استهزاءً واستنكاراً.. فهم يحشرون يوم القيامة إلى جهنم على أقبح صورة تحقيراً وازدراءً جزاء وفاقاً!، ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً**﴾: تقدم معنى هذا من قصة موسى في عدة مواضع، ﴿**وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذاباً أليما**﴾: تقدم معنى هذا في قصة نوح مفصلاً.. ﴿**وعاداً وثموداً وأصحب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً**..﴾ فكل هؤلاء أهلكهم الله بسبب تكذيبهم الرسل.

﴿**وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيراً**..﴾ التتبير: التفتيت للأجسام الصلبة كالزجاج والحديد والذهب.. ومنه التبر لقطع الذهب الصغيرة. ونحن نسمي التبروري لقطع البرَد النازل مع المطر. ﴿**ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء**..﴾ القرية: قرية قوم لوط. ومطر السوء: عذاب نازل من السماء، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل.. ﴿**أفلم يكونوا يرونها**..﴾ فهم يمرون بها.. ولكنهم لم يتّعظوا بها لأنهم قوم يجهلون حكمة الله في إهلاك القوم.. ﴿**بل كانوا لا يرجون نشوراً**﴾.

وهو السبب الحقيقي في عدم تذكرهم بما حصل.. فهم دهريون ملحدون يحملون كل ما يحصل للناس على المصادفة والاتفاق!.. ﴿**وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزؤاً! أهذا الذي بعث الله رسولاً**﴾؟!.. الخطاب موجه للرسول محمد ﷺ يبين فيه ما يفعل المشركون من استهزاء به واحتقار له.. فهم عندما يرونهم يرى منهم ما حكاه عنه القرآن ويسمع منهم هذا الهذيان: أهذا الذي بعث الله رسولاً؟!.. ﴿**إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها**..﴾

﴿**وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً**﴾: جواب عن مقالهم ورد له حيث تظهر الحقيقة يوم يرون العذاب في الآخرة من أضل سبيلاً: هم.. أم أنت.. ﴿**أرأيت من اتخذ إلهه هواه**﴾؟!!: انظر وتعجب من جعل هواه إلهاً له.. فصار يحكم على حسب ما يسول له.. ﴿**أفأنت تكون عليه وكيلاً**﴾؟!: أبعد ما شاهدت غلوه في طاعة الهوى، وعتوه عن اتباع الهدى تقسره على الإيمان شَاء أَوْ أبى؟!. لالالا..!! اتركه وما هوى ﴿**أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون**﴾؟!: أتحسب أن أكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم حق السماع.. أو يعقلون ما في تضاعيف هذه الآيات من المواعظ الزاجرة عن القبائح، الداعية إلى المحاسن فتعتني بشأنهم وتطمع في إيمانهم؟! كلاّ.. ﴿**إن هم إلا كالأنعام.. بل هم أضل سبيلاً**﴾!.. فهم معطلون لقواهم العقلية، مطيعون للفطرة الأصلية التي فطر الناس عليها، مستحقون بذلك أعظم العقاب وأشد النكال.

﴿**ألم تر إلى ربك كيف مد الظل..**﴾ فالخطاب لرسول الله - ﷺ - والاستفهام للتقرير ومد الظل يكون عند ابتداء طلوع الشمس. إلى الضحى.. ثم ينقص ويتقلص إلى الزوال.. ثم يأخذ في الطول إلى أن تغرب الشمس. ﴿**ولو شاء لجعله ساكناً..**﴾ فليس مد الظل على هذه الكيفية بالسبب العادي فقط.. وإنما المؤثر فيه المشيئة والقدرة.. ﴿**ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً**﴾: هذه هي الأسباب الظاهرة العادية.. ﴿**ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً..**﴾ فالمد والقبض داخلان تحت تصرف المشيئة والقدرة. وكونه على هذه الكيفية مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة. ﴿**وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً**﴾: زيادة في بيان النعم الفائضة على الخلق. وتعقيب بيان أحوال الظل ببيان أحوال الليل الذي هو ظل الشمس.. فتسمية الليل لباساً لما فيه من الستر والإخفاء. والنوم سباتاً لما فيه من قطع الحركة.

وجعل النهار نشوراً لما فيه من الظهور والانتشار والحركة.. فكل ذلك نعم من الله يجب على الإنسان شكرها.. ﴿**وهو الذي أرسل الرياح نشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً..**﴾ فأشير في هاتين الآيتين إلى نعمتين عظيمتين: نعمة الرياح ونعمة الماء الطهور وما فيه من منافع الإنسان والأنعام.. ﴿**ولقد صرفناه بينهم**

ليذكروا. .﴾ فالتصريف هنا: التصريف الواقع في القرآن حيث يبين كل ما هو صالح للإنسان.

وفيه تذكير لما قد يكون وقع عليه النسيان. . ولكن الأمر جاء عكس المطلوب من الإنسان. . **﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً!. . ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾**: لو شئنا لخففنا عنك أعباءَ نذارةِ جميع القرى، ولبعثنا في كل قرية نبيئاً ينذرها. . ولكن شئنا أن يجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة إلى كافة العالمين. . فقصرنا الأمر عليك وعظمناك به. . **﴿فلا تطع الكافرين﴾** فيما يدعونك إليك من موافقتهم ومداهنتهم. . **﴿وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾**: جاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهاداً جامعاً لكل مجاهدة. . **﴿وهو الذي مرج البحرين: هذا عذاب فرات وهذا ملح أجاج﴾**: خلاّهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان. مأخوذ من قول العرب: مرج دابته إذا خلاها ترعى في المرج الواسع. والعذب الفرات: شديد الحلاوة قامع للعطش. والملح الأجاج: شديد الملوحة. **﴿وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً. .﴾** البرزخ: الحاجز غير المرئي. والحجر المحجور: التنافر المفرط بحيث يكون لكل منهما حدٌّ محدود. وهو تَحَدٍّ عِلْمِيٌّ في بيان حقيقة الماء بين المختلطين ظاهراً المتنافرين باطناً!.

﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾: الماء عنصر أساسي في تكوين البشر وكل حيوان. . **﴿فجعله نسباً وصهراً﴾**: النسب من ناحية الذكور، والصهر من ناحية الإناث. وأصل الصهر: إذابة الشحم حتى يصير ودكاً. . فالصهر هنا: الاختلاط بين الذكر والأنثى بالنكاح. **﴿وكان ربك قديراً﴾**: حيث مرج البحرين. . ومزج بين الجنسين! **﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم﴾**: ومع هذه الدلائل الساطعة والحجج القاطعة يعبدون أصناماً وأشخاصاً تعجز عن نفع عابدها وضر منبذها. . **﴿وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾**: يتظاهر مع الشيطان ومع الكفرة من الأقران والخلان! يتعصبون لكفرهم ضد المؤمنين في كل وقت وحين.

﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾: لم نرسلك لتجبرهم على الإيمان. . ولكن أرسلناك لتبشر المؤمنين وتنذر الكافرين المتظاهرين. . **﴿قل: ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾**: تعريف بوظيفة الرسول في رسالته. . فهي ليست حرفة يحترف بها. . ولكنها رسالة يبلغها. . فمن شاء أن يتخذ إلى ربه

سبيلا.. فهو الاختيار المطلق المخير.. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. ﴿**وتوكل على الحي الذي لا يموت**..﴾ التوكل على الله: الاعتماد عليه في كل أمر. والمعنى: اتخذ من لا يموت وكيلاً، لا يكلك إلى من يموت ذليلاً. والحيّ: اسم من أسماء الله الحسنى. ﴿**وسبح بحمده**﴾: نزهه عن صفات النقصان مثنياً عليه بصفات الكمال، طالباً لمزيد الإنعام بالشكر على نعمة العِظام.

﴿**وكفى به بذنوب عباده خبيراً**﴾: خبير بأعمال العباد ما ظهر منها وما بطن كاف في جزائها.. ﴿**الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾: وصف الله نفسه بالصفة الفعلية بعدما وصف نفسه بالصفة الأبدية: ﴿**الرحمان فاسأل به خبيراً**﴾: اسم جامع لما تقدم من الأسماء الحسنى التي تدل على الكمال المطلق في العلم والقدرة واتساع الملك الخبير بكل شيء.

﴿**وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمان قالوا وما الرحمان**﴾؟!.. ومع هذا.. فالمشركون ينكرون إطلاق اسم الرحمان على الله تعالى. ويسألون في تهكم عن هذا الاسم الغريب عندهم! وما الرحمان؟ ﴿**أنسجد لما تأمرنا**﴾؟!.. فأبوا مستنكرين مستكبرين ﴿**وزادهم نفوراً**﴾ عن الإيمان برب العالمين!. ﴿**تبارك الذي جعل في السماء بروجاً**..﴾ البروج هنا: منازل الكواكب.. وسميت هذه المنازل بالبروج التي هي القصور العالية؛ لأنها كالمنازل لسكانها.. واشتقاق البروج من التبرج.

وهو الظهور. ﴿**وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً**..﴾ السراج: الشمس والقمر المنير: البدر في تمامه وكمال نوره.. ﴿**وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا**..﴾ الخلفة: هي اسم للحالة؛ مأخوذ من خلف إذا تعاقبا.. فخلف كل منهما الآخر. ﴿**وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هوناً**..﴾ الهوْن: الليِنُ والرفق. يمشون بسكينة وتواضع. ﴿**وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً**..﴾ الجاهلون: مراد به السفهاء. مثل: وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين.

﴿**والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً**﴾: يبيتون مصلين لما فرض عليهم من صلاة العشاء وصلاة الصبح. أو مصلين لما طلب منهم من قيام الليل كما كان الرسول وأصحابه أول البعثة. ﴿**والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن**

عذابها كان غراماً. .﴾ فهم مع حسن معاملتهم مع الناس، ودوام عبادتهم لله يخافون ربهم. . فيدعون بهذا الدعاء. وأصل الطرف: تفريق المتجمع. والمراد به هنا إبعاد العذاب عنهم.

والغرام: الشر الدائم والهلاك اللازم. ومنه الغريم لملازمته. . ﴿**إنها ساءت مستقراً ومقاماً. .**﴾ ساءت جهنم، وساء حال من يقيم فيها ويُستقر. . ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يُقتروا وكان بين ذلك قواماً. .**﴾ الإسراف: مجاوزة الحد في الإنفاق بحسب حال المُنفِق والمُنفَق عليه. والإقتار: التضييق الذي هو نقيض الإسراف. والقوام: العدل بين الشيئين. سمي قواماً لاستقامة الطرفين ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر**﴾: لا يشركون بالله شيئاً. . ﴿**ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق**﴾: لا يقتلون في أي حال من الأحوال إلا في حال قتل الحق المشروع. . ﴿**ولا يزنون**﴾: هو قتل خفي حيث يضعون نطفهم في غير موضعه المشروع: ﴿**ومن يفعل ذلك يلق أثاماً**﴾: من يفعل الشرك. والقتل والزنا يجد جزاءه عذاباً متعدداً. . ﴿**يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً**﴾: مضاعفة العذاب شدته وهوله. والخلود فيه ديموميته الأبدية. والمهان: الذليل المحتقر المنسى في العذاب المستمر.

﴿**إلا من تاب وءامن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً**﴾: هذا فتح لباب التوبة حتى لا ييأس من فعل هذه القبائح. . ﴿**ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً**﴾: هذا تعميم بعد تخصص. . ﴿**والذين لا يشهدون الزور. .**﴾ فهم لا يحضرون محاضر الباطل. . ولا يشهدون بالزور في الحكم. . ﴿**وإذا مروا باللغو مروا كراماً. .**﴾ اللغو: كل ما يجب أن يلغى ويطرح مما لا خير فيه. ومروا كراماً: معرضين عن اللغو مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه أو الخوض فيه. وما أكثرَ لغْو السفهاء!!. . ﴿**والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً. .**﴾ التذكير بآيات الله: إسماعهم القرآن وما فيه من المواعظ والأحكام.

ومعنى لم يخروا عليها صماً وعمياناً: أكبوا عليها سامعين بآذان واعية، مجتلين لها بعيون راعية. ﴿**والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين**﴾: يقولون يا ربنا هب لنا من جهة أزواجنا وذرياتنا ما تقربه عيوننا من طاعة

وصلاح.. فإن المؤمن إذا ساعده أهله في طاعة الله وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه؛ لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة.. ﴿**واجعلنا للمتقين إماماً**﴾: اجعلنا بحيث يقتدون بنا في إقامة مواسم الدين بإقاضة العلم والتوفيق للعمل.. ﴿**أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً**﴾: أولئك الموصوفون بالأوصاف السابقة يجزيهم الله بسبب صبرهم على تلك الأوصاف المنازل العالية في جنة الخلد.. ويلقون فيها التحية والسلامة.. ﴿**خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً**..﴾ فهو مقابل ساءت مستقراً ومقاماً.. ﴿**قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم**﴾: أيُّ عبء يعبأ بكم؟ وأي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى؟!.. ﴿**فقد كذبتم.. فسوف يكون لزاماً**﴾: فقد كذبتم بما أخبرتكم به وخالفتموه أيها الكفرة، ولم تعملوا عمل أولئك المذكورين.. فكان العذاب لزاماً لا بدّ منه في الدنيا والآخرة.

مبحث الإعراب

﴿**تبارك**﴾ فعل ماض. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**نزل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الذي. ﴿**الفرقان**﴾ مفعول به. وجملة نزل الفرقان صلة الموصول. ﴿**على عبده**﴾ متعلق بنزل. ﴿**ليكون**﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل واسم يكون ضمير يعود على عبده. ﴿**للعالمين**﴾ متعلق بالخير بعده. ﴿**نذيراً**﴾ خبر يكون. وأن ما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بنزّل. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر لمبتدإ مقدر: هو الذي. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ملك**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**السماوات**﴾ مضاف إلى ملك ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. وجملة له ملك، صلة الموصول. ﴿**ولم يتخذ**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والواو للعطف. والفاعل ضمير يعود على الذي. ﴿**ولداً**﴾ مفعول به.

﴿**ولم يكن**﴾ مثل إعراب ولم يتخذ. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر يكن. ﴿**شريك**﴾ اسم يكن. ﴿**في الملك**﴾ متعلق بشريك. ﴿**وخلق**﴾ فعل ماض. والواو للعطف. والفاعل ضمير يعود على الذي. ﴿**كل**﴾ مفعول به. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**فقدره**﴾ فعل ماض. مرتب على خلق. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل هو فاعل خلق. ﴿**تقديراً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**واتخذوا**﴾ فعل

وفاعل. والواو للعطف. ﴿**من دونه**﴾ متعلق باتخذوا. ﴿**آلهة**﴾ مفعول به. ﴿**لا يخلقون شيئاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حَرف النفي. وجملة لا يخلقون شيئاً في محل نصب نعت لآلهة. ﴿**وهم**﴾ مبتدأ في محل رفع.

﴿**يخلقون**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل في محل رفع خبر المبتدإ. وجملة وهم يخلقون معطوفة على جملة لا يخلقون. ﴿**ولا يملكون**﴾ مثل لا يخلقون.. لأنفسهم متعلق بالفعل قبله. ﴿**ضرا**﴾ مفعول به. ﴿**ولا نفعا**﴾ معطوف عليه. ﴿**ولا يملكون موتاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول عطف على لا يخلقون.. ﴿**ولا حياة ولا نشوراً**﴾ معطوفان على المفعول. ﴿**وقال الذين**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**إنْ**﴾ حرف نفي. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء لا عمل لها. ﴿**إفك**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**افتراه**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الرسول المعلوم من السياق. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة افتراه في محل رفع نعت لإفك ﴿**وأعانه**﴾ معطوف على افتراه. ﴿**عليه**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**قوم**﴾ فاعل. ﴿**آخرون**﴾ نعت لقوم. ﴿**فقد جاؤوا ظلماً**﴾ فعل وفاعل ومفعُول دخل عليه حرف التحقيق وفاء التعقيب. ﴿**وزوراً**﴾ معطوف على «ظلماً». ﴿**وقالوا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**أساطير**﴾ خبر لمبتدإ محذوف. ﴿**الأولين**﴾ مضاف إلى أساطير. ﴿**اكتتبها**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الرسول. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة اكتتبها نعت لأساطير. ﴿**فهي**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتعقيب. ﴿**تُمْلَى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على الأساطير المكتتبة. ﴿**عليه**﴾ متعلق بتملَى. وجملة تُمْلَى عليه خبر المبتدإ. ﴿**بكرة**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بتملي. ﴿**وأصيلاً**﴾ معطوفة على بكرة.

قل: ﴿**أنزله**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع فاعل. يعلم فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الموصول. ﴿**السر**﴾ مفعول. وجملة يعلم صلة الموصول. في ﴿**السماوات**﴾ متعلق بيعلم أو بمحذوف نعت للسر. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**إنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على الذي. ﴿**غفوراً رحيماً**﴾ خبر كان. وجملة كان

غفوراً رحيماً خبر إنّ. وجملة إنه كان.. تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**وقالوا**﴾ فعل وفاعل ﴿**ما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**لهذا**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**الرسول**﴾ عطف بيان لهذا. ﴿**يأكل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الرسول. ﴿**الطعام**﴾ مفعول به. ﴿**ويمشي**﴾ معطوف على يأكل. في ﴿**الأسواق**﴾ متعلق بيمشي. وجملة يأكل الطعام حال من الرسول. ﴿**لولا**﴾ حرف تحضيض.

﴿**أنزل**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**إليه**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**ملك**﴾ نائب الفاعل. ﴿**فيكون**﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية. واسم يكون ضمير يعود على ملك. ﴿**معه**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**نذيراً**﴾ خبر يكون. ﴿**أو يلقى إليه كنز**﴾ معطوف على فيكون. ﴿**أو تكون له**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكون مقدم. ﴿**جنة**﴾ اسم تكون مؤخر. وجملة أو تكون معطوفة على جملة أو يلقى إليه كنز. ﴿**يأكل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الرسول. ﴿**منها**﴾ متعلق بيأكل. وجملة يأكل منها نعت لجنّة. ﴿**وقال الظالمون**﴾ فعل وفعل. والواو للعطف. ﴿**إن**﴾ نافية. ﴿**تتبعون**﴾ فعل وفاعل. إلا ﴿**رجلاً**﴾ مفعول به. ﴿**مسحوراً**﴾ نعت له. وجملة إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً مقول القول. ﴿**انظر**﴾ فعل أمر. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**كيف**﴾ مبني على الفتح في محل نصب مفعول بانظر. ﴿**ضربوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لك**﴾ متعلق بضربوا.

﴿**الأمثالَ**﴾ مفعول به. ﴿**فضلوا**﴾ مرتب على ضربوا. ﴿**فلا يستطيعون سبيلاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب. ﴿**تبارك الذي**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**إن شاء**﴾ فعل شرط إنْ. والفاعل ضمير يعود على الذي ﴿**جعل**﴾ جواب الشرط في محل جزم. ﴿**لك**﴾ متعلق بجعل. ﴿**خيراً**﴾ مفعول به. ﴿**من ذلك**﴾ متعلق به. ﴿**جنات**﴾ بدل من المفعول. منصوب بالكسرة. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. ﴿**من تحتها**﴾ متعلق بتجري. ﴿**الأنهارُ**﴾ فاعل وجملة تجري نعت لجنات. ﴿**ويجعل**﴾ فعل مضارع مجزوم عطف على جواب الشرط. ﴿**لك**﴾ متعلق بيجعل. ﴿**قصوراً**﴾ مفعول به. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. يعطف به على ما قبله. ﴿**كذبوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بالساعة**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**وأعتدنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**لمن**﴾ متعلق بأعتدنا.

﴿**كذب**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ.. والجملة صلتها. ﴿**بالساعة**﴾ متعلق بكذب. ﴿**سعيراً**﴾ مفعول به. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. متعلق بالجواب. ﴿**رأتهم**﴾ فاعل رأت ضمير يعود على السعير. ﴿**من مكان**﴾ متعلق برأتهم. ﴿**بعيد**﴾ نعت لمكان. ﴿**سمعوا**﴾ فعل وفاعل. جواب شرط إذا. وجملة الشرط وجوابه نعت للسعير. ﴿**لها**﴾ متعلق بسمعوا. ﴿**تغيظاً**﴾ مفعول به. ﴿**وزفيراً**﴾ معطوف عليه. ﴿**وإذا ألقوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل فعل شرط إذا. ﴿**منها**﴾ متعلق بمحذوف حال من الظرف. ﴿**مكاناً**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**ضيقاً**﴾ نعت له. ﴿**مقرنين**﴾ حال من نائب الفاعل. ﴿**دعوا**﴾ فعل وفاعل.

﴿**هنالك**﴾ ظرف متعلق بدعوا. ﴿**ثبوراً**﴾ مفعول به. ﴿**لا تدعوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿**اليوم**﴾ ظرف متعلق بالفعل قبله. ﴿**ثبوراً**﴾ مفعول به. ﴿**واحداً**﴾ نعت له. ﴿**وادعوا**﴾ فعل أمر للمخاطبين. ﴿**ثبوراً كثيراً**﴾ مفعول ونعت. ﴿**قل: أذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. والهمزة للاستفهام. ﴿**خير**﴾ خبر المبتدإ. وجملة أذلك خير مقول القول. ﴿**أم جنة**﴾ عطف على المبتدإ. ﴿**الخلد**﴾ مضاف إلى جنة. والخبر محذوف اكتفاء بالخبر السابق. «خيرٌ». ﴿**التي**﴾ في محل رفع نعت لجنة الخلد. ﴿**وُعِد المتقون**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل صلة التي. ﴿**كانت**﴾ اسم كانت ضمير يعود على جنة الخلد. ﴿**لهم**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**جزاء**﴾ خبر كانت. ﴿**ومصيراً**﴾ معطوف عليه. ﴿**لهم فيها**﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ما**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**يشاؤون**﴾ صلة ما.

﴿**خالدين**﴾ حال من فاعلِ يشاءون. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على ما يشاءون. ﴿**على ربك**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**وعداً**﴾ خبر كان. ﴿**مسؤولاً**﴾ نعت له. ﴿**ويوم**﴾ ظرف متعلق بفعل مقدر. ﴿**نحشرهم**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. و﴿**ما**﴾ في محل نصب معطوف على المفعول. ﴿**يعبدون**﴾ صلة ما. ﴿**من دون**﴾ متعلق بيعبدون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**فيقول**﴾ مرتب على نحشرهم. والفاعل ضمير يعود على الله؟! ﴿**أأنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والهمزة للاستفهام. ﴿**أضللتم عبادي**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر المبتدإ. وجملة أأنتم أضللتم.. مقول القول.

﴿**هؤلاءِ**﴾ مبني على الكسر في محل نصب بدل من عبادي. ﴿**أم هم**﴾ في

محل رفع مبتدأ. وأم حرف عطف معادلة لهمزة الاستفهام. ﴿**ضلوا السبيل**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**قالوا: سبحانَك**﴾ مفعول مطلق. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ما كان**﴾ فعل ماض ناقص دخل عليه حرف النفي. ﴿**ينبغي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على المعنى المأخوذ من السياق. والجملة خبر كان مقدم. ﴿**لنا**﴾ متعلق بينبغي. ﴿**أن نتخذ**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل نحن. ﴿**من دونك**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**من أولياء**﴾ مفعول به مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع اسم كان. وتقدير الكلام: ـ سبحانك! ـ ما كان اتخاذنا أولياء من دونك ينبغي لنا.

﴿**ولكن**﴾ حرف استدراك. والواو للعطف. ﴿**متعتهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. و﴿**ءاباءهم**﴾ معطوف على الضمير المنصوب. ﴿**حتى نسوا الذكر**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الغاية. ﴿**وكانوا**﴾ كان اسمها. والواو للعطف. ﴿**قوماً**﴾ خبر كان. بوراً نعت له. ﴿**فقد كذبوكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق وفاء التعقيب. ﴿**بما**﴾ متعلق بالفعل قلبه. ﴿**تقولون**﴾ صلة ما! ﴿**فما يستطيعون صرفاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب. ﴿**ولا نصراً**﴾ معطوف على المفعول. ﴿**ومن**﴾ اسم شرط جازم. والواو للعطف. ﴿**يظلم**﴾ فعل الشرط مجزوم بلم. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**منكم**﴾ متعلق بيظلم.

﴿**نذقه**﴾ جواب الشرط مجزوم. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**عذاباً**﴾ مفعول ثان. ﴿**كبيراً**﴾ نعت له. ﴿**وما أرسلنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿**قبلك**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**من المرسلين**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء لا عمل لها. ﴿**إنهم**﴾ إن واسمها. ﴿**ليأكلون الطعام**﴾ فعل وفاعل ومفعول. واللام لتوكيد الخبر. وجملة إنهم ليأكلون الطعام حال من المرسلين. ﴿**ويمشون**﴾ معطوف على يأكلون. ﴿**في الأسواق**﴾ متعلق بيمشون. ﴿**وجعلنا بعضكم**﴾ فعل وفعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**لبعض**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**فتنة**﴾ مفعول ثان. ﴿**أتصبرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**وكان ربك بصيرا**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها تذييل. ﴿**وقال الذين**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف.

﴿**لا يرجون لقاءنا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف النفي والجملة صلة الموصول. ﴿**لولا**﴾ حرف تحضيض. ﴿**أنزل**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**علينا**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**الملائكةُ**﴾ نائب الفاعل. ﴿**أو نرى**﴾ معطوف على أنزل. والفاعل نحن. ﴿**ربنا**﴾ مفعول. وجملة المعطوف والمعطوف عليه في محل نصب مقول القول. ﴿**لقد استكبروا**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**في أنفسهم**﴾ متعلق باستكبروا. ﴿**وعتوا**﴾ معطوف على استكبروا. ﴿**عتوا**﴾ مفعلو مطلق. ﴿**كبيراً**﴾ نعت له. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بقوله الآتي لا بشرى. ﴿**يرون الملائكة**﴾ فعل وفاعل ومفعول ﴿**لا بشرى**﴾ لا واسمها. ﴿**يومئذٍ**﴾ متعلق به. ﴿**للمجرمين**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا.

﴿**ويقولون حجراً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**محجوراً**﴾ نعت للمفعول مؤكد له.. ﴿**وقدمنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**إلى ما**﴾ متعلق بقدمنا. ﴿**عملوا**﴾ صلة ما. ﴿**من عمل**﴾ متعلق بعملوا. ﴿**فجعلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب. ﴿**هباءً**﴾ مفعول ثان. ﴿**منثوراً**﴾ نعت له. ﴿**أصحابُ**﴾ مبتدأ. ﴿**الجنةِ**﴾ مضاف إلى أصحاب. ﴿**يومئذٍ**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**خيرٌ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**مستقراً**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**وأحسن**﴾ معطوف على خير. ﴿**مقيلاً**﴾ تمييز. ﴿**ويوم**﴾ ظرف متعلق بمقدر مفهوم من السياق.. أي: ينفرد الله بالملك يوم ﴿**تشقق السماء**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بالغمام**﴾ متعلق بتشقق. ﴿**ونزل**﴾ معطوف على تشقق.

﴿**الملائكةُ**﴾ نائب الفاعل. ﴿**تنزيلاً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**الملك**﴾ مبتدأ. ﴿**يومئذٍ**﴾ متعلق بما بعد قوله: ﴿**الحقُّ**﴾ نعت للملك. ﴿**للرحمان**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**وكان**﴾ اسمها ضمير يعود على ما سبق من قوله «الملك يومئذٍ الحق للرحمان». ﴿**يوماً**﴾ خبر كان. ﴿**على الكافرين**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**عسيراً**﴾ نعت للخبر. ﴿**ويوم**﴾ ظرف متعلق باذكر مقدر. ﴿**يعض الظالم**﴾ فعل وفاعل. ﴿**على يديه**﴾ متعلق بيعض. ﴿**يقول**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الظالم. ﴿**يا ليتني**﴾ الياء حرف نداء. والمنادى مقدر. ليت حرف تمني يعمل عمل إنّ. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب اسم ليت. ﴿**اتخذت**﴾ فعل وفاعل. و﴿**مع**﴾ ظرف متعلق باتخذت.

﴿**الرسول**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**سبيلاً**﴾ مفعول به. وجملة أتخذت في محل رفع خبر ليت. ﴿**يا ويلتَى**﴾ منادى مضاف إلى ياء المتكلم المنقلبة ألفاً. ﴿**ليتني**﴾ مثل ما قبلها. ﴿**لم أتخذ**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**فلاناً**﴾ مفعول أول. ﴿**خليلاً**﴾ مفعول ثان. ﴿**لقد أضلني**﴾ أضل فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. والفاعل ضمير يعود على فلان. ﴿**عن الذكر**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**بعد**﴾ ظرف متعلق بأضلني عن الذكر. ﴿**إذ**﴾ في محل نصب ظرف للزمان الماضي. مضاف إلى بعد. ﴿**جاءني**﴾ فعل ماض. والنون للوقاية. والياء مفعول به. والفاعل ضمير يعود على الذكر. ﴿**وكان الشيطان**﴾ كان واسمها. ﴿**للإنسان**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**خذولاً**﴾ خبر كان. والجملة تذييل. ﴿**وقال الرسول**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف.

﴿**يا رب**﴾ منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف. في محل نصب. ﴿**إن قومي**﴾ إن واسمها. وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى اسم إنّ. وحركت بالفتحة للتخفيف. ﴿**اتخذوا هذا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**القرآن**﴾ عطف بيان لهذا. ﴿**مهجوراً**﴾ مفعول ثان. وجملة اتخذوا خبرُ إنّ. وجملة إن قومي اتخذوا مقول القول. ﴿**وكذلك**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب نعت لمفعول مقدر. جعلنا لك عدواً مثل ما جعلنا لكل نبئ عدواً. ﴿**جعلنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لكل**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**نبئ**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**عدواً**﴾ مفعول به. ﴿**من المجرمين**﴾ متعلق بمحذوف نعت لعدو. ﴿**وكفى**﴾ فعل ماض. ﴿**بربك**﴾ فاعل كفى جر بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**هادياً**﴾ منصوب على التمييز.

﴿**ونصيراً**﴾ معطوف عليه. والجملة تذييل. ﴿**وقال الذين**﴾ فعل وفاعل. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**لولا**﴾ أداة تحضيض. ﴿**نزل**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**عليه**﴾ متعلق بنزل. ﴿**القرءان**﴾ نائب الفاعل. ﴿**جملة**﴾ حال من القرءان. ﴿**واحدة**﴾ نعت لجملة. ﴿**كذلك**﴾ محل الكاف النصب نعت لمصدر مقدر. . واسم الإشارة في محل جر بالكاف. . أي نزلناه تنزيلاً مثل هذا التنزيل. ﴿**لنثبت**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل نحن. ﴿**به**﴾ متعلق بنثبت. ﴿**فؤادك**﴾ مفعول به. وأن ما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور

بلام التعليل متعلق بنزلنا المقدر. والتقدير: نزلناه كذلك لتثبيتنا به فؤادك. ﴿**ورتلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**ترتيلاً**﴾ مفعول مطلق.

﴿**ولا يأتونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿**بمثل**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء لا عمل لها. ﴿**جيئناك**﴾ فعل وفعل ومفعول. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وأحسن**﴾ معطوف على الحق مجرور بالفتحة.. ﴿**تفسيراً**﴾ تمييز. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع مبتدأ أول. ﴿**يحشرون**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل صلة الموصول. ﴿**على وجوههم إلى جهنم**﴾ متعلقان بيحشرون. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿**شر**﴾ خبره. وجملة المبتدإ الثاني وخبره خبر المبتدإ الأول. ﴿**مكاناً**﴾ تمييز. ﴿**وأضل سبيلاً**﴾ معطوف على شر مكاناً. ﴿**ولقد آتينا موسى**﴾ فعل وفعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**الكتاب**﴾ مفعول ثان. ﴿**وجعلنا**﴾ معطوف على آتينا. ﴿**معه**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**أخاه**﴾ مفعول أول. ﴿**هارونَ**﴾ بدل. ﴿**وزيراً**﴾ مفعول ثان. ﴿**فقلنا**﴾ فعل وفاعل مرتب على ما قبله.

﴿**اذهبا**﴾ فعل أمر لموسى وهارون. ﴿**إلى القوم**﴾ متعلق باذهبا. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت للقوم. ﴿**كذبوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**فدمرناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب. ﴿**تدميراً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**وقوم**﴾ مفعول مقدر معطوف على قوله: فدمرناهم. أي: ودمرنا قوم ﴿**نوح**﴾ مضاف إلى قوم. ﴿**لما**﴾ ظرف زمان متضمن معنى الشرط. ﴿**كذبوا الرسل**﴾ فعل وفاعل ومفعول. فعل الشرط. ﴿**أغرقناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. جواب الشرط. ﴿**وجعلناهم**﴾ معطوف على أغرقناهم. ﴿**للناس**﴾ متعلق بجعلناهم. ﴿**آية**﴾ مفعول ثان. ﴿**وأعتدنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**للظالمين**﴾ متعلق بأعتدنا. ﴿**عذاباً**﴾ مفعول به.

﴿**أليماً**﴾ نعت له. ﴿**وعاداً وثموداً وأصحاب..**﴾.. معطوفات على قوم نوح.. ﴿**الرس**﴾ مضاف إلى أصحاب. ﴿**وقروناً**﴾ مثل ما قبلها.. ﴿**بين**﴾ ظرف متعلق بمحذوف نعت لقرون. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى الظرف. ﴿**كثيراً**﴾ نعت لقرون. ﴿**وكلاً**﴾ مفعول بفعل مقدر. أي: ذكّرنا كلا.. ﴿**ضربنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**له**﴾ متعلق بضربنا. الأمثال مفعول به. ﴿**وكلا تبرنا**﴾ معطوف على

قوله وكلا ضربنا. . ﴿**تتْبيراً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ولقد أتوا**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**على القرية**﴾ متعلق بأتوا. ﴿**التي**﴾ في محل جر نعت للقرية. ﴿**أمطرت**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على القرية. والجملة صلة التي. ﴿**مطر**﴾ مفول مطلق. ﴿**السوء**﴾ مضاف إلى مطر.

﴿**أفلم يكونوا**﴾ يكون واسمها دخل عليها النفي الجازم وفاء التعقيب وهمزة الاستفهام. ﴿**يرونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر يكون. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب يعطف به على ما قبله. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**لا يرجون نشوراً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر كان. ﴿**وإذا رأوك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة مضافة إلى الظرف. ﴿**إن يتخذونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي ﴿**إلا**﴾ ملغاة ﴿**هزؤاً**﴾ مفعول ثان. ﴿**أهذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**بعث الله**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. والرابط بينهما ضمير مقدر. أي: بعثه الله ﴿**رسولاً**﴾ حال من الضمير المقدر. ﴿**إنْ**﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن. ﴿**كاد**﴾ فعل ماض ناقص من أفعال المقاربة. واسمها ضمير يعود على المبعوث رسولاً.

﴿**ليضلنا**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على اسم كاد. والضمير المتصل بالفعل مفعول. واللام لتوكيد الخبر. وجملة ليضلنا في محل نصب خبر كاد. ﴿**عن آلهتنا**﴾ متعلق بيضلنا. وجملة كاد ليضلنا. . في محل رفع خبرُ إن المخففة. . ﴿**لولا**﴾ حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط ﴿**أن**﴾ مصدرية. ﴿**صبرنا**﴾ فعل وفاعل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع مبتدأ. وخبره محذوف. أي لولا صبْرُنَا عليها موجود. والجواب محذوف يدل عليه ما قبله. أي: صبرنا على آلهتنا لأضلّنا عنها. . ﴿**وسوف يعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التسويف. ﴿**حين**﴾ ظرف متعلق بيعلمون. ﴿**يرون العذاب**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة مضافة إلى الظرف.

﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول يعلمون ﴿**أضلُّ**﴾ خبر لمبتدإ محذوف. ﴿**هو أضلُّ**﴾. والجملة صلة مَنْ. ﴿**سبيلاً**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**أرأيت**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**اتخذ**﴾

فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. ﴿**إلهه**﴾ مفعول أول. ﴿**هواه**﴾ مفعول ثان. ﴿**أفأنت**﴾ في محل رفع مبتدأ. دخل عليه فاء التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**تكون**﴾ اسمها ضمير المخاطب. عليه متعلق بالخبر: ﴿**وكيلاً**﴾ خبر تكون. ﴿**أم تحسب**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. وأم حرف انتقال من غرض إلى غرض. يفيد الاستفهام. ﴿**أنَّ أكثرهم**﴾ أن وسمها. ﴿**يسمعون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر أنّ. وجملة أن أكثرهم يسمعون في تأويل مصدر منصوب مفعول تحسب. ﴿**أو يعقلون**﴾ معطوف على يسمعون.

﴿**إنْ هم**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف النفي. ﴿**إلا**﴾ ملغاة. ﴿**كالأنعام**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل رفع خبر المبتدإ. والأنعام مجرور بالكاف. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. . ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أضلُّ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**سبيلاً**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**ألم تر**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والهمزة للاستفهام. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**إلى ربك**﴾ متعلق بتر. كيف في محل نصب مفعول به. ﴿**مدّ**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على ربك. ﴿**الظل**﴾ مفعول به. ﴿**ولو شاء**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على ربك والجملة فعل الشرط. ﴿**لجعله**﴾ جواب الشرط. ﴿**ساكناً**﴾ مفعول ثان. ﴿**ثم جعلنا الشمس**﴾ فعل وفعل ومفعول. معطوف على مدّ. ﴿**عليه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**دليلاً**﴾ مفعول ثان.

ثم ﴿**قبضناه**﴾ معطوف على جعلنا. . ﴿**إلينا**﴾ متعلق بقبضناه. ﴿**قبضا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**يسيراً**﴾ نعت له. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**جعل**﴾ فاعله ضمير يعود على الذي. والجملة صلة الموصول. ﴿**لكم**﴾ متعلق بجعل. ﴿**الليل**﴾ مفعول أول. ﴿**لباساً**﴾ مفعول ثان. ﴿**والنوم سباتاً**﴾ معطوف على الليل لباساً. ﴿**وجعل**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**النهار**﴾ مفعول أول. ﴿**نشوراً**﴾ مفعول ثان. ﴿**وهو الذي**﴾ مثل وهو الذي جعل السابق. ﴿**أرسل**﴾ صلة الموصول. ﴿**الرياح**﴾ مفعول به. ﴿**نشراً**﴾ حال من الرياح. ﴿**بين**﴾ ظرف متعلق بنشراً. ﴿**يدي**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**رحمته**﴾ مضاف إلى يدي.

﴿**وأنزلنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بأنزلنا. ﴿**ماء**﴾

مفعول به. ﴿**طهوراً**﴾ نعت لماء. ﴿**لنحيي**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل نحن. ﴿**به**﴾ متعلق بنحيي. ﴿**بلدة**﴾ مفعول به. ﴿**ميتاً**﴾ نعت لبلدة. ﴿**ونسقيه**﴾ معطوف على نحيي. ﴿**مما**﴾ متعلق بنسقيه. ﴿**خلقنا أنعاماً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**وأناسيّ**﴾ معطوف على «أنعاماً» كثيراً نعت لأناسي. ﴿**ولقد صرفناه**﴾ فعل وفعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**بينهم**﴾ متعلق بصرفناه. ﴿**ليذكروا**﴾ فعل وفاعل. منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿**فأبى أكثرُ**﴾ فعل وفعل مرتب على ما قبله. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى أكثر. ﴿**إلاّ**﴾ ملغاة. ﴿**كفوراً**﴾ مفعول به.

﴿**ولو شئنا**﴾ فعل وفاعل فعل شرط لو. ﴿**لبعثنا**﴾ فعل وفاعل. جواب الشرط. واللام لتوكيد الخبر. ﴿**في كل**﴾ متعلق ببعثنا. ﴿**قرية**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**نذيراً**﴾ مفعول به. ﴿**فلا تطع**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاء للتفريع. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**الكافرين**﴾ مفعول به. ﴿**وجاهدهم**﴾ فعل أمر للمخاطب. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**به**﴾ متعلق بالأمر. ﴿**جهاداً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**كبيراً**﴾ نعت له. ﴿**وهو الذي**﴾ مبتدأ وخبر مثل ما سبق.. ﴿**مرج**﴾ فعل ماض والفاعل ضمير يعود على الذي. والجملة صلة الذي. ﴿**البحرين**﴾ مفعول به. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**عذب**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**فرات**﴾ نعت لعذب. ﴿**وهذا ملح أجاج**﴾ معطوف على ما قبله. وهو مثله في الإعراب. وجملة هذا.. وهذا بيان لصفة كل من البحرين.

﴿**وجعل**﴾ معطوف على مرج.. ﴿**بينهما**﴾ متعلق بجعل. ﴿**برزخاً**﴾ مفعول به. ﴿**وحجراً**﴾ معطوف عليه. ﴿**محجوراً**﴾ نعت له. ﴿**وهو الذي خلق**﴾ مثل وهو الذي مرج. ﴿**من الماء**﴾ متعلق بخلق. ﴿**بشراً**﴾. ﴿**فجعله**﴾ مرتب على خلق. ﴿**نسباً**﴾ مفعول ثان. ﴿**وصهراً**﴾ معطوف عليه. ﴿**وكان ربك قديراً**﴾ الجملة من كان واسمها وخبره تذييل. ﴿**ويعبدون**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**من دون**﴾ متعلق بيعبدون، ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**لا ينفعهم**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير يعود على ما. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة لا ينفعهم صلة ما. ﴿**ولا يضرهم**﴾ معطوف على لا ينفعهم. ﴿**وكان الكافر**﴾ كان واسمها. والواو للعطف. ﴿**على ربه**﴾ متعلق بما

بعده: ﴿ظهيراً﴾ خبر كان. ﴿وما أرسلناك﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿إلا مبشراً﴾ حال من الضمير المنصوب. ﴿ونذيراً﴾ معطوف عليه.

﴿قل: ما أسألكم﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاعل ضمير المتكلم. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿عليه﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿من أجر﴾ مفعول ثان جُرّ بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿إلا﴾ أداة استثناء. ﴿مَنْ﴾ في محل نصب على الاستثناء. ﴿شاء﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. ﴿أن يتخذ﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير مثل فاعل شاء. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول شاء. إلى ﴿ربه﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿سبيلاً﴾ مفعول به. ﴿وتوكل﴾ فعل أمر للمخاطب. والواو للعطف. ﴿على الحي﴾ متعلق بتوكل. ﴿الذي﴾ في محل جر نعت للحي. ﴿لا يموت﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير يعود على الذي. والجملة صلته.

﴿وسبح﴾ معطوف على توكل ﴿بحمده﴾ متعلق بسبح. وكفى فعل ماض ﴿به﴾ الضمير فاعل كفى جر بحرف الجر الزائد. ﴿بذنوب﴾ متعلق بالتمييز الآتي. . ﴿عباده﴾ مضاف إلى ذنوب ﴿خبيراً﴾ منصوب على التمييز. ﴿الذي﴾ في محل جر نعت ثان للحي. ﴿خلق﴾ فاعله ضمير يعود على الذي. والجملة صلته. ﴿السماوات﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿والأرض﴾ معطوف على الأرض. ﴿وما﴾ في محل نصب معطوف كذلك. . ﴿بينهما﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿في ستة﴾ متعلق بخلق. ﴿أيام﴾ مضاف إلى ستة. ﴿ثم استوى﴾ معطوف على خلق. . ﴿على العرش﴾ متعلق باستوى. ﴿الرحمانُ﴾ خبر لمبتدإ محذوف. أي: هو الرحمان، والجملة نعت ثالث للحي. وهو نعت مقطوع. ﴿فاسأل﴾ فعل أمر للمخاطب. والفاء رابط لفعل شرط مقدر. ﴿به﴾ متعلق بما بعده: ﴿خبيراً﴾ مفعول اسأل. ﴿وإذا﴾ ظرف متضمن معنى الشرط.

﴿قيل﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لهم﴾ متعلق بقيل. ﴿اسجدوا﴾ فعل أمر للمخاطبين. مقول القول. ﴿للرحمان﴾ متعلق باسجدوا. ﴿قالوا﴾ فعل وفاعل جواب الشرط: ﴿وما الرحمان﴾ ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. الرحمان

خبره. والجملة مقول القول. ﴿**أنسجد**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام والفاعل نحن. ﴿**لما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**تأمرنا**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة تأمرنا صلة ما. ﴿**وزادهم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الأمر بالسجود للرحمان. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**نفوراً**﴾ مفعول ثان.

﴿**تبارك الذي جعل**﴾ إعراب هذا مثل إعراب تبارك الذي نزل.. في ﴿**السماء**﴾ متعلق بجعل. ﴿**بروجاً**﴾ مفعول به. ﴿**وجعل فيها سراجاً**﴾ معطوف على جعل في السماء بروجاً. ﴿**وقمراً**﴾ معطوف على «سراجاً». ﴿**منيراً**﴾ نعت «لقمراً». ﴿**وهو الذي جعل الليل**﴾ تقدم إعراب مثله. ﴿**والنهار**﴾ معطوف على الليل. ﴿**خلفة**﴾ مفعول ثان. ﴿**لمن**﴾ متعلق بخلفة. ﴿**أراد**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على من. والجملة صلته. ﴿**أن يذكر**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير مثل الأول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر ما منصوب مفعول أراد. ﴿**أو أراد شكوراً**﴾ معطوف على أراد أن يذكر. وجملة أراد.. صلة مَنْ. ﴿**وعباد الرحمٰن**﴾ مبتدأ. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**يمشون**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**على الأرض**﴾ متعلق بيمشون. ﴿**هوناً**﴾ حال من فاعل يمشون.

﴿**وإذا خاطبهم الجاهلون**﴾ فاعل. ﴿**قالوا**﴾ جواب الشرط. ﴿**سلاماً**﴾ مفعول به. وجملة الشرط معطوفة على يمشون على الأرض هوناً. ﴿**والذين**﴾ معطوف على الذين يمشون. ﴿**يبيتون**﴾ صلة الذين. ﴿**لربهم**﴾ متعلق يبيتون. ﴿**سجداً**﴾ حال من فاعل يبيتون. ﴿**وقياماً**﴾ معطوف على «سجداً». ﴿**والذين يقولون..**﴾ معطوفة كذلك. ﴿**ربنا**﴾ منادى منصوب بالفتحة. وحرف النداء حُذف للتخفيف. ﴿**اصرف**﴾ فعل دعاء. ﴿**عنا**﴾ متعلق به. ﴿**عذاب**﴾ مفعول به. ﴿**جهنم**﴾ مضاف إليه. ﴿**إن عذابها**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على عذاب جهنم. ﴿**غراماً**﴾ خبر كان. وكان واسمها وخبرها خبرُ إنّ. وجملة إن عذابها كان غراماً تعليل. ﴿**إنها**﴾ إن واسمها. ﴿**ساءت**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على جهنم ﴿**مستقراً**﴾ تمييز.

﴿**ومقاماً**﴾ معطوف على التمييز. والجملة خبرُ إنّ. وجملة إنها ساءت..

تعليل ثان. الأول تعليل لحال سوء عذابها. والثاني تعليل لحال من يستقر فيها. ﴿**والذين**﴾ عطف على ما سبق.. ﴿**إذا أنفقوا**﴾ **فعل وفاعل. فعل شرط إذا.** ﴿**لم يسرفوا**﴾ جواب الشرط. ﴿**ولم يقتروا**﴾ معطوف على الجواب. ﴿**وكان**﴾ اسمها ضمير يعود على الإنفاق. ﴿**بين**﴾ متعلق بخبر كان. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى بين. ﴿**قواماً**﴾ خبرُ كان. ﴿**والذين لا يدعون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة صلة الذين مِع متعلق بيدعون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**إلـٰهاً**﴾ مفعول به. ﴿**آخر**﴾ نعت له. ﴿**ولا يقتلون النفس**﴾ فعل وفعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. معطوف على الفعل قبله. ﴿**التي**﴾ في محل نصب نعت للنفس.

﴿**حرم الله**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة التي ﴿**إلا**﴾ ملغاة. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بفعل مقدر. أي يقتلونها بالحق. ﴿**ولا يزنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة معطوفة على قوله: لا يدعون.. ﴿**ومن يفعل**﴾ فاعله ضمير يعود على مَنْ. والجملة فعل الشرط. ﴿**ذلك**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يلق**﴾ جواب الشرط مجزوم بحذف الألف والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**أثاما**﴾ مفعول به. ﴿**يضاعف**﴾ بدل من يلق. ﴿**له**﴾ متعلق بيضاعف. ﴿**العذابُ**﴾ نائب الفاعل. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بيضاعف. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**ويخلد**﴾ معطوف على يضاعف. ﴿**فيه**﴾ متعلق بيخلد. ﴿**مهاناً**﴾ حال من فاعل يخلد.

﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء ﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب على الاستثناء. ﴿**تاب**﴾ فعل ﴿**ماض**﴾. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلتها. ﴿**وآمن وعمل**﴾ معطوفان على تاب. ﴿**عملا**﴾ مفعول به. ﴿**صالحاً**﴾ نعت له. ﴿**فأولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يبدل الله سيئاتهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر المبتدإ. وجملة فأولئك يبدل الله... جواب الشرط. ﴿**حسنات**﴾ مفعول ثان. ﴿**وكان اللَّهُ غفوراً رحيماً**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها تذييل. ﴿**ومن تاب**﴾ مثل إلا من تاب. و﴿**عمل صالحاً**﴾ عطف على تاب. ﴿**فإنه**﴾ إن واسمها. ﴿**يتوب**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على من. والجملة خبر إنّ. وجملة فإنه يتوب جواب الشرط. ﴿**إلى الله**﴾ متعلق بيتوب. ﴿**متاباً**﴾ مفعول مطلق.

﴿**والذين لا يشهدون الزور**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي.

والجملة صلة الموصول. والموصول معطوف على الموصول في قوله: الذين يمشون على الأرض هوناً. ﴿**وإذا مروا**﴾ فعل وفاعل فعل شرط إذا. ﴿**باللغو**﴾ متعلق بمروا. ﴿**مروا**﴾ فعل وفاعل جواب إذا. ﴿**كراماً**﴾ حال من فاعل مروا. ﴿**والذين**﴾ من جملة المعطوفات. ﴿**إذا ذكروا**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل فعل شرط إذا. ﴿**بآيات**﴾ متعلق بذُكّروا. ﴿**ربهم**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**لم يخروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. والجملة جواب إذا. ﴿**عليها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**صماً**﴾ حال من فاعل يخروا. ﴿**وعمياناً**﴾ معطوف عليه. ﴿**والذين**﴾ مثل ما سبقه من الموصولات. ﴿**يقولون**﴾ صلة الموصول. ﴿**ربنا**﴾ منادى حذف منه حرف النداء. ﴿**هب**﴾ فعل دعاء. ﴿**لنا من أزواجنا**﴾ متعلقان بهب. ﴿**وذرياتنا**﴾ معطوف على أزواجنا. ﴿**قُرَّةَ**﴾ مفعول به.

﴿**أعين**﴾ مضاف إلى قرة. ﴿**واجعلنا**﴾ معطوف على هب لنا. ﴿**للمتقين**﴾ متعلق باجعلنا. ﴿**إماماً**﴾ مفعول به. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يجزون**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل خبر المبتدإ. ﴿**الغرفة**﴾ مفعول ثان. ﴿**بما**﴾ متعلق بيُجزون. ﴿**صبروا**﴾ صلة ما. ﴿**ويُلقّون**﴾ معطوف على يُجزون. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**تحية**﴾ مفعول ثان. ﴿**وسلاماً**﴾ معطوف عليه. ﴿**خالدين**﴾ حال من نائب الفاعل في يلقون. ﴿**فيها**﴾ متعلق بخالدين. ﴿**حسُنت**﴾ فعل ماض والفاعل ضمير يعود على الغرفة. ﴿**مستقراً**﴾ تمييز. ﴿**ومقاماً**﴾ معطوف عليه. ﴿**قل: ما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ.

﴿**يعبأ**﴾ فعل مضارع. ﴿**بكم**﴾ متعلق به. ﴿**ربي**﴾ فاعل مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة. وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى رب. وجملة يعبأُ بكم ربي في محل رفع خبر المبتدإ. وجملة ما يعبأ بكم ربي مقول القول. ﴿**لولا**﴾ حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿**دعاؤكم**﴾ مبتدأ. وخبره محذوف. وجواب لولا محذوف يدل عليه ما قبله. ﴿**فقد كذبتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق وفاء التعقيب. ﴿**فسوف يكون**﴾ اسمها ضمير يعود على التكذيب. ﴿**لزاماً**﴾ خبر يكون. والمراد به العذاب الذي هو جزاء التكذيب.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً. .**﴾ ابتدئت هذه السورة بذكر الفرقان فسميت بسورة الفرقان. وهي من السور المكية. . ومناسبتها من السورة التي قبلها أنها جاءت خلاصة لها لما فيها من ذكر التنويه بالقرآن وبالرسول الذي نزل عليه هذا القرآن. وبرفعة شأنه. . ولما فيها من الرد على المنكرين من مشركين ومنافقين حسبما ذكر تفصيلاً في سورة النور. وفي أول هذه السورة وآخر السورة السابقة ربط حيث ذكر وجوب متابعة الرسول ومنْعَ مخالفته ذكر هنا رفعة شأن الذي نزل هذه الأوامر والنواهي. وما فيها من خير وبركة ورفعة وسمو. ورفعة شأن المنزل عليه وما له من عظمة وسمو عند ربه: تبارك الذي نزل الفرقان على عبده. فالافتتاح بهذه الجملة ـ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ـ بديع؛ لندرة أمثاله في كلام بلغاء العرب. وبهذه الندرة يكون في طالع هذه السورة براعة المطلع؛ لأن الندرة من العزة، والعزة من محاسن الألفاظ.

وقول الله تعالى: الذي نزل الفرقان على عبده، إخبار عن تعظيم شأن القرءان ومن أنزل عليه بعد الإخبار بتعظيم الله الذي أنزل القرءان. وإيثار كلمة الفرقان بدل القرآن هنا؛ للإيماء إلى أن ما سيذكر من الدلائل على التوحيد. . وإنزال القرءان دلائل قيمة تفرق بين الحق والباطل. . ووصف النبي بعبده تشريف وتنويه بشأنه. . وتكذيب للمشركين في زعمهم. . والتنبيه على الرسول لا يكون إلا عبد للمرسِل رداً على النصارى. . وقوله: ليكون للعالمين نذيراً. . علة لتنزيل القرآن. . فهو دليل على عموم رسالة محمد ﷺ.

وعدم التعرض للتبشير هنا؛ لانسياق الكلام على أحوال الكفرة. وتقديم للعالمين على متعلقها لمراعاة الفواصل. ﴿**الذي له ملك السماوات والأرض، ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تَقديراً**﴾: هذا الكلام مستأنف مقرر لما قبله. وأجريت على اسم الله تعالى هذه الصفات الأربع بطريق تعريف الموصولية؛ لأن بعض الصلات معروف عند المخاطبين اتصاف الله بها. وهي صفة الملكية العامة الخاصة به. وصفة الخلق لكل شيء. وإذ قد كانتا معلومتين كانت الصلتان الأخريان المذكورتان معهما في حكم المعروف. . ومن بديع النظم أن جُعل الوصفان المختلف فيهما مع المشركين متوسطين بين الوصفين

الذين لا مِرْية فيهما. . حتى يكون الوصفان المسلمان كالدليل أولاً، والنتيجة آخِراً.

ومعنى قدره: جعله على مقدار وحد معين، لا مجرد مصادفة. . وهذا يقتضي أنه خلقه بإرادة وعلم، على كيْفِيةٍ أرادها وعينها. وتأكيد الفعل ـ قدره ـ بالمفعول المطلق ـ تقديراً ـ للدِّلالة على أنه تقدير كامل في نوع التقادير. . وجملة وخلق كل شيء فقدره تقديراً وصلت بالعطف على ما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها في سلك الصلة لأنها تعليل لها. . فإن خلقه تعالى لجميع الأشياء على ذلك النمط البديع؛ كما يقتضي استقلاله تعالى باتصافه بصفات الألوهية يقتضي انتظام كل ما سواه، كائناً ما كان تحت ملكوته بحيث لا يشذ عنه شيء من ذلك قطعاً. وما كان كذلك كيف يتوهم كونه ولداً له، أو شريكاً في ملكه؟!. . وما جاء من أول السورة إلى هنا براعة استهلال بأغراضها.

﴿واتخذوا من دونه، آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾: استطراد لانتهاز الفرصة لوصف ضلال أهل الشرك وسفالة تفكيرهم. . فهو عطف على جملة الذي له ملك السماوات والأرض. . وما تلاها مما هو استدلال على انفراد الله تعالى بالإلهية. . فالخبر غير مقصود به الإفادة. . بل هو للتعجيب من حالهم: كيف قابلوا نعمة إنزال القرءان بالجحد والطغيان؟ وكيف أشركوا بالذي تلك صفاته ءالهة أخرى صفاتها على الضد؟!. وجملة لا يخلقون شيئاً مقابلة جملة الذي له ملك السماوات والأرض. وجملة وهم يُخلقون مقابلة جملة ولم يتخذ ولداً.

وجملة لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً مقابلة جملة ولم يكن له شريك في الملك. وجملة ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً مقابلة جملة وخلق كل شيء فقدره تقديراً. **﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم ءاخرون فقد جاؤوا ظلماً وزوراً﴾**: انتقال من ذكر كفرهم في أفعالهم إلى ذكر كفرهم في أقوالهم الباطلة. وهذه الجملة مقابلة جملة تبارك الذي نزل الفرقان على عبده. والقصر المشتمل عليه كلامهم المستفاد من إن النافية وإلاّ قصر قلب. زعموا به رد دعوى أن القرءان منزل من عند الله.

والقصر المستفاد من قوله تعالى: إن هو إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم

آخرون متسلط على كلتا الجملتين: بأن يكون افترى بعضه من نفسه، وأعانه قوم على بعضه. وعقب على حكاية قولهم هذا بيان أنهم ارتكبوا ظلماً وزوراً.. **﴿وقالوا: أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾**: وصل هذا الكلام بالعطف على ما قبله زيادة في تكذيبهم بالقرءان توضح معنى افتراه وأعانه عليه قوم آخرون بعدما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه إفكاً مختلقاً بإعانة البشر بيّنوا على زعمهم الفاسد كيفية الإعانة.. **﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً﴾**: لقن الله رسوله في هذه الآية الجواب لرد بهتانهم في قولهم: ما هذا إلا إفك افتراه.. وأساطير الأولين اكتتبها.. بأن القرآن أنزله الله على رسوله.. فعبر عن منزل القرآن بطريق الموصول ـ أنزله الذي يعلم السر ..ـ لما تقتضيه الصلة من استشهاد الرسول الله تعالى على ما في سره؛ لأن الله يعلم كل سر في كل مكان.. فجملة الصلة ـ يعلم السر ..ـ مستعملة في لازم الفائدة. وهو كون المتكلم عالماً بذلك. والتعريف ـ في السر تعريف الجنس يستغرق كل سر. ومنه أسرار الطاعنين في القرآن عن مكابرة وبهتان.. ولهذا يعلم موقع جملة إنه كان غفوراً رحيماً، ترغيباً لهم في الإقلاع عن هذه المكابرة، وفي اتباع دين الحق. ليغفر الله لهم ويرحمهم. وذلك تعريض بأنهم إن لم يفعلوا ويتوبوا حق عليهم الغضب والنقمة.

﴿وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾؟!.. انتقال من حكاية مطاعنهم في القرآن وبيان إبطالها.. إلى بيان مطاعنهم في الرسول.. وقد أوردوا طعنهم في نبوءة النبيء بصيغة الاستفهام عن الحالة المختصة به؛ إذ أوردوا اسم الاستفهام ـ ما ـ ولام الاختصاصِ ـ والجملة الحالية التي مضمونها مثار الاستفهام. والاستفهام تعجيبي مستعمل في لازمه، وهو بطلان كونه رسولاً!. وتسميته رسولاً في قولهم ما لهذا الرسول، على طريق الاستهزاء والتهكم.. كما قال فرعون في حق موسى: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون! ثم انتقلوا إلى اقتراح أشياء تؤيد رسالته.. فقالوا: **﴿لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً..﴾** فهذا اقتراح فاسد من أصله؛ لأنه لو كان معه ملك ينذر من لم يؤمن به لكان الإيمان بالإكراه.

والإسلام لا يكره الناس على الإيمان. **﴿أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة**

يأكل منها. .﴾ فيكون غنياً فيطمع الناس في ماله. . فيؤمنون به طمعاً فيه. . وهذا ينافي دعوة الرسول التي جاءت بالاختيار والاقتناع دون خوف أو طمع. . **﴿وقال الظالمون إن تبتعون إلا رجلاً مسحوراً﴾**: وحيث لم تكن له قوة خارقة ولم يكن له مال وافر. . ثم يدعوا الناس إلى اتباعه فهو رجل مغلوب على عقله. وليس له من مقومات الدعوة شيء. وقوله: **﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾** استعظام للأباطيل التي اجترأوا على التفوه بها وتعجيب منها! والمعنى: انظر كيف قالوا في حقك تلك الأقاويل العجيبة الخارجة عن المعقول البعيدة عن المنقول، الجارية لغرابتها مجرى الأمثال. . فاخترعوا لك تلك الصفات والأحوال الشاذة البعيدة من الوقوع.

وجملة انظر كيف ضربوا لك الأمثال مستعارة لمعنى العلم تشبيهاً للأمر المعقول بالأمر المرئي المحسوس لشدة وضوحه. . فكيف: اسم للكيفية. والحال هنا مجرد عن معنى الاستفهام. . ثم فرع على هذا التعجيب الإخبارَ عنهم بأنهم ضلوا في تلفيق المطاعن في رسالة الرسول. . فسلكوا طرائق لا تصل بهم إلى دليلٍ مقنعٍ على مرادهم. . ففِعْلُ ضلوا مستعمل في معنييه المجازيين هما: معنى عدم التوفق في الحجة، ومعنى عدم الوصول للدين الصحيح. . فهو هنا تعجيب من خطلهم، وإعراض عن كل مجاريتهم. . **﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك: جنات تجري من تحتها الأنهار﴾**.

﴿ويجعل لك قصوراً﴾: هذه الآية استئناف واقع موقع الجواب عن قولهم: أو تكون له جنة يأكل منها. والمعنى: إن شاء جعل لك خيراً من الذي اقترحوه. وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الأولين ـ وهما: إنزال الملك، وإلقاء الكنز . ـ للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل، واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية؛ لأن حكمة التشريع في الإسلام الاختيار والاقتناع دون تخويف أو إطماع. . وإنما الذي له وجه في الجملة هو الاقتراح الأخير. . فإنه غير منافٍ للحكمة بالكلية. . فإن بعض الأنبياء قد أوتوا في الدنيا مع النبوءة ملكاً عظيماً. . **﴿بل كذبوا بالساعة﴾**: إضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه إلى توبيخهم بحكاية جناتهم الأخرى؛ للتخلص إلى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى: **﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً. .﴾** فوضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع. . **﴿إذا رأتهم من**

مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾: هذا وصف السعير المعد لمن كذب بالساعة، حيث وصفت برؤيتها إياهم قبل أن يروها.. ولكن يسمعون لها ذلك الصوت المزعج المنبىء عن هيجان الغضب.. فنسبة إليها لا إليهم للإيذان بأن التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها إياهم.. ﴿**وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً**﴾: هذا وصف لحال أهل السعير بعد ذكر وصف حال السعير نفسها في شدة غيظها وتلهفها على أهلها.. فهم إذا ألقوا منها في مكان ضيق مقرنين مع شياطينهم دعوا هنالك ثبوراً!.. فهم ينادون بالويل والثبور تندماً وحسرة على ما ضيعوا وما وجدوا من عقاب وعذاب.. وزيادة على هذا عندما يسمعون التنديد والتهديد بدوام هذا الوعيد الشديد: ﴿**لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً.. وادعوا ثبوراً كثيراً**﴾!.. فالعذاب دائم مستمر والدعاء في هذا اليوم يتكرر ويتكرر.. فلا مفرّ من هذا المقرّ!.. ﴿**قل أذلك خير؟ أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاءً ومصيراً**﴾: قل لهم تقريعاً لهم وتهكماً بهم وتحسيراً على ما فاتهم: أذلك السعير الموصوف بما ذكر من حاله وحال أهله خير؟! وهذه الكلمة جاءت للتهكم؛ إذ ليس في السعير خير. أم ﴿**جنةُ الخلد**﴾؟! أجيبوا عن هذا السؤال. وهنا وصف الجنة بالخلد الدائم والنعيم المقيم التي وعد المتقون، كما أعد للمكذبين سعيراً.. كانت لهم جزاء ومصيراً، كما كانت السعير جزاء ومصيراً للمكذبين بالساعة.. ﴿**لهم فيها ما يشاءون**﴾، كما لأصحاب السعير ما يكرهون.. ﴿**خالدين**﴾ في النعيم كما أن المكذبين خالدون في الجحيم.

﴿**كان على ربك وعداً مسؤولاً**﴾، كما كان الوعيد كذلك حتماً منقولاً.. ثم بعد بيان ما لكل من المصدق والمكذب بين ما يلقاه المكذبون من التقريع والتحسير والتحقير يوم يلتقون مع ما عبدوا من دون الله وما يقال لهم وما يقولون هم: ﴿**ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله.. فيقول: أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء؟. أم هم ضلوا السبيل**﴾؟!.. فالكلام هنا موجه من الله إلى المعبودين من دونه سواء كانوا عقلاء أو غير عقلاء: حيوان أو جماد، من الجن أو من الملائكة.. وعبادي هؤلاء: الحاضرون في المحشر جميعاً من عبدوا آلهة من دون الله كيفما كانت .. أأنتم دعوتموهم إلى الضلال؟ أم هم ضلوا السبيل بأنفسهم دون دعوة أحد إياهم إلى الضلال؟.. ﴿**قالوا..**﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية السؤال؛ كأنه قيل: فماذا قالوا في الجواب؟ فقيل: قالوا:

﴿**سبحانك**﴾: تعجباً بما قيل لهم؛ لأنهم: إما ملائكة معصومون أو جمادات لا قدرة لها على شيء..: ﴿**ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء..**﴾ ما كان اتخاذنا أولياء من دونك حقاً لنا.. فكيف يتخذنا الناسَ أولياء لهم من دونك؟!.

أو ما كان اتخاذنا أولياء عابدين لنا حقاً لنا من دونك.. فهما وجهان صالحان كل المعنى المراد.. ﴿**ولكن متعتهم وآباءهم.. حتى نسوا الذكر..**﴾ فهذا استدراك مسوق لبيان أنهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن إضلالهم. وقد نعى عليهم سوء صنيعهم: حيث جعلوا أسباب الهداية أسباباً للضلالة.. فالمعنى: ما أضللناهم.. ولكنك متعتهم وآباءهم بأنواع النعم؛ ليعرفوا حقها ويشكروها.. فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها.. حتى غفلوا عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك.. فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة إلى الغواية.. فجملة ﴿**وكانوا قوماً بوراً**﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله. ﴿**فقد كذبوكم بما تقولون**﴾: هذا حكاية لاحتجاج الله تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم، وتوجيهه إلى العبدة مبالغة في تقريعهم وتوبيخهم وتبكيتهم على تقدير قوله مرتب على الجواب. والمعنى: فقال الله عند ذلك: فقد كذبكم المعبودون أيها الكفرة في قولكم: إنهم آلهة.. ﴿**فما يستطيعون صرفاً ولا نصراً**﴾: فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب ولا ينصروكم. والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب.

﴿**ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً**﴾: وجه إليهم هذا الخطاب بطريق الشرط والجزاء لكونهم هم الذين ظلموا حيث ركبوا متن المكابرة والعناد، واستمروا على ما هم عليه من الفساد، وتجاوزوا في اللجاج كل حد معتاد. ﴿**وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق**﴾: هذا جواب عن قولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ والمعنى: ما أرسلنا أحداً قبلك من المرسلين إلاّ آكلين وماشين.. ﴿**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة**﴾: تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل مع أممهم.. فالرسول محمد - ﷺ - مع قومه داخل في هذا الخطاب، ولهذا جاء بعده هذا الاستفهام دون جواب: ﴿**أتصبرون**﴾؟!.. وجملة ﴿**وكان ربك بصيراً**﴾ وعد كريم لرسول الله - ﷺ -

بالأجر الجزيل على صبره الجميل مع مزيد تشريف له بالالتفات إلى اسم الرب مضافاً إلى ضميره مخاطباً له دون غيره!.

﴿**وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا**﴾؟!: هذا شروع في حكاية بعضٍ آخر من أقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها إثر إبطال أباطيلهم السابقة. والجملة موصولة بالعطف على جملة وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ ووضع الموصول ـ الذين لا يرجون.. ـ موضع الضمير ـ قالوا ـ للتنبيه بما في حيز الصلة ـ لا يرجون لقاءنا ـ على أن يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير إلى الله. ولذلك عنون عليهم هنا بالذين لا يرجون لقاءنا. وعنون عليهم في المقالات السابقة بالذين كفروا، وبالظالمين.

لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا.. فهو غلو في المكابرة والعناد حيث طلبوا ما هو خارج عن المعتاد: ﴿**لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً**..﴾ ففيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه. والإشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى!.. ﴿**يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذٍ للمجرمين**..﴾ فهو استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة. وإنما قيل يوم يرون دون أن يقال يوم ينزل الملائكة، إيذاناً من أول الأمر بأن رؤيتهم لهم ليست على طريق الإجابة إلى ما اقترحوه.. بل على وجه آخر غير معهود. ويومَ منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله: لا بشرى يومئذٍ للمجرمين.. فإنه في معنى: لا يبشر يومئذٍ المجرمون. والعدول إلى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى.

ووضع الظاهر موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالإجرام مع ما هم عليه من الكفر.. وجملة ﴿**ويقولون حجراً محجوراً**﴾ عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبىء عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر، وغاية هول مطلعه ببيان أنهم يقولون عند مشاهدتهم له: حجراً محجوراً. وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور، وهجوم نازلة هائلة! يضعونها موضع الاستعاذة. والمعنى: أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم إذا رأوهم كرهوا لقاءهم أشد كراهة، وفزعوا منهم فزعاً شديداً، وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس شديد فظيع!.

﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً**﴾: هذا بيانٌ لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ومنٍّ على أسير وغير ذلك مما كان يفتخر به العرب من كرم وإحسان.. فهو تشبيه شبه به أعمال الكفرة المحبطة التي لا نتيجة لها ولا فائدة تحصل منها البتَّة.. ﴿**أصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقراً وأحسن مقيلاً**﴾: هذا استئناف ابتدائي جيء به لمقابلة حال المشركين في الآخرة بضدها من حال أصحاب الجنة. ووجه الخيرية باعتبار ما كان فيه الكفرة في الدنيا من النعيم والترف والمتاع الذي زال وضاع!.

فصار هباء منثوراً.. ﴿**ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً**﴾: الكلام موصول بالعطف على ما قبله جيء به لبيان ما يكون في ذلك اليوم الذي أنكروه وغفلوا عنه.. يوم يرون الملائكة ـ ويوم تشقق السماء بالغمام.. فهو تشبيه لمواكب الملائكة وكثرتها.. حتى تُرى كالغمام المتراكم بعضه فوق بعض يسد الأفق.. ونزل الملائكة تنزيلاً.. ﴿**الملك يومئذٍ الحق للرحمان**﴾: ينفرد الرحمان في ذلك اليوم بالملك.. فلا أحد يدعى أنه مالك شيئاً: لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهّار!.

﴿**وكان يوماً على الكافرين عسيراً**﴾: هذه الجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله.. ففيه تيئيس للكفار من الطمع في الرحمة من الرحمان.. ﴿**ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً**﴾!: الخبر مقصود به التحسر. وعَضُّ اليدين والأنامل وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة والتندم والتأسف على ما فاته!: ﴿**يا ويلتَى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً**﴾!.. وهذا التمني منه وإن كان مسوقاً لإبراز الندم والحسرة.. لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته إلى الغير. وهو فلان المقصود به شخص معين عنده.

وقوله: ﴿**لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني**﴾ تعليل لتمنيه المذكور، وتوضيح لتعلله. وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطئه وإظهار ندمه وحسرته.. والذكر هنا دعوة الرسول بالقرآن إلى دين الحق. وجملة ﴿**وكان الشيطان للإنسان خذولاً**﴾: تذييل مقرر لمضمون ما قبله.. فالشيطان هنا: إبليس اللعين؛ لأنه هو الذي حمله على مخالطة المُضلّين ومخالفة الرسول الهادي..

فإبليس كان يعده في الدنيا ويمنيه بأنه ينفعه ويُريدُ له الخيرَ.. فخذله وغره.. حتى وصل به إلى هذه النهاية المخزية المهينة. ﴿**وقال الرسول يا ربّ: إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً**﴾: الكلام موصول بالعطف على أقوال المشركين.. ومناسبته لقوله: لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني فحُكِيَتْ شكاية الرسولِ إلى ربه قومَه من نبذهم القرآن بتسويل زعمائهم.. ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبئ عدواً من المجرمين**﴾: هذه الآية تسلية للنبئ بأنه ما لقيه من قومه هو سنّة من سنن الأمم مع أنبئائهم.. فهو حمل له على الاقتداء بمن قبله من الأنبئاء.

والمعنى: كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الأباطيل جعلنا لكل نبئ من الأنبئاء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة إليها عدواً من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا. وجملة ﴿**وكفى بربك هادياً ونصيراً**﴾: وعد كريم للنبئ - ﷺ - بالهداية إلى كافة مطالبه والنصر على أعدائه.. ﴿**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرءان جملة واحدة**﴾: هذا عود إلى معاذيرهم وتعللاتهم الفاسدة؛ إذ طعنوا في القرءان بأنه نُزّل مُنجَّماً.. فهو حكاية لاقتراحهم الخاص بالقرءان بعد حكاية اقتراحهم في حق النبئ.. وإيرادهم بعنوان الكفر لذمهم به، والإشعار بعلة الحكم.

وقد جاء قوله: ﴿**كذلك لنثبت به فؤادك**﴾ رد على طعنهم.. فإنه استئناف وارد من جهة الله تعالى؛ لبيان فوائده في تنزيل القرآن منجماً.. فمحلُّ الكافِ النصبُ على أنها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده. وذلك: إشارة لما يُفهم من كلامهم.. أي: مثلَ ذلك التنزيل المُفرّق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه، لا تنزيلاً مغايراً له: لنُقوّي بذلك التنزيل المفرّق فؤادك. فإن فيه تيسيراً لحفظ النظم، وفهم المعاني، وضبط الأحكام، والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة.. وجملة ﴿**ورتلناه ترتيلاً**﴾ عطف على ذلك المضمر.

وتنكير ترتيلاً للتفخيم. والمعنى: كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلاً بديعاً لا يقادر قدره. ﴿**ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً**﴾: من الفوائد التي تحصل من تنجيم القرآن الاستجابة عن اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول، الجارية لذلك مجرى المثل. وفيه من الدلالة على المسارعة إلى إبطال ما

أتوا به، وتثبيت فؤاد النبئ ما لا يخفى. وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الأسئلة وبصحة جميع الأجوبة.. وبإشارته منبىء عن بطلان السؤال الأخير ـ لولا نزل عليه القرءان جملة واحدة ـ وصحة جوابه؛ إذ لولا أن تنزيل القرءان على التدريج لما أمكن إبطال تلك الاقتراحات الشنيعة.. ولَمَا حصل تثبيت فؤاد الرسول من تلك الحيثية.

﴿**الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً**﴾: المراد بهذا الكلام الإخبار بما يؤول إليه أمر هؤلاء الذين قالوا ما قالوا وفعلوا ما فعلوا.. فمصيرهم ما ذكر من حشرهم على هذه الصفة.. ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً. فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بئاياتنا فدمرناهم تدميراً**﴾: هذه الآية مستأنفة سيقت لتأكيد ما مرّ من الوعيد والتسلية بحكاية ما جرى بين الأنبئاء وبين أممهم.. حكاية إجمالية كافية فيما هو المقصود. وحرف التحقيق ولام القسم ـ لقد ـ لتأكيد الخبر باعتبار ما يشتمل عليه من الوعيد بتدميرهم.

وقد حصل بهذا الأسلوب إيجاب عجيب اختصرت به القصة.. فذكر منها حاشيتاها.. ثم ذكر ما آل إليه أمر بقية الأمم الذين كذبوا الرسل.. فذكر قوم نوح لأنهم أول من كذب صراحة مع صراحة الرسول لهم بالدعوة: ﴿**وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً. وعاداً وثموداً وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً. وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيراً.**.﴾ وقد تقدم الكلام على قوم نوح وعاد وثمود.. وذكر هنا أصحاب الرس، وهم قوم أهل زرع وماء وماشية لم تذكر قصتهم كما ذكرت قصة من قبلهم في القرآن بالتفصيل.. مثل ما ذكر من القرون الكثيرة والأمم الغزيرة جاءتهم الرسل وضربت لهم الأمثال.. فاستحقوا بذلك العقاب والنكال!. ﴿**ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشوراً**﴾: هذه الآية مستأنفة مسوقة لبيان مشاهدة قريش لآثار هلاك بعض الأمم المتبّرة وعدم اتعاظهم بها.

وتصدير بالقسم وحرف التحقيق لمزيد تقرير مضمونها. أي: وبالله لقد أتى قريش في مسيرهم إلى الشام على القرية التي أمطرت بالحجارة التي انهمرت عليهم

مثل المطر.. وهي قرى قوم لوط. وجملة أفلم يكونوا يرونها استفهام إنكار وتوبيخ.. وجملة بل كانوا لا يرجون نشوراً انتقال من التوبيخ بما ذكر من التذكر.. إلى التوبيخ بما هو أعظم منه من عدم توقع النشور والبعث يوم القيامة. ﴿**وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوءاً أهذا الذي بعث الله رسولاً**﴾؟!: الكلام موصول بما قبله بالعطف.

والمقصود منه بيان موقف مَنْ ذكروا مِنَ الرسول ودعوته.. وجملة أهذا الذي بعث الله رسولاً محكية بعد قول مضمر.. أي: يستهزئون بك قائلين: أهذا الذي بعثه الله رسولاً؟!.. فالإشارة للاستحقار والاستغراب.. ﴿**إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها**..﴾ فهذا قول صدر منهم تناقضوا فيه مناقضة صريحة.. فهو اعتراف منهم بأن هذا الرسول الذي استبعدوا دعوته واستغربوا رسالته، قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة إلى الحق وإظهار المعجزات وإقامة الحجج والبينات إلى حيث شارفوا أن يتركوا دينهم لولا فرط تمسكهم وصبرهم الشديد على عبادة آلهتهم.. ﴿**وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً**﴾: جواب من جهة الله تعالى لآخر كلامهم.. ورد لما ينبىء عنه من نسبة الرسول إلى الضلال في ضمن الإضلال الذي تضمنه قولهم: إن كاد ليضلنا عن آلهتنا.. وفيه ما لا يخفى من الوعيد.. والتنبيه على أن الله تعالى لا يهملهم وإن أمهلهم.. ﴿**أرأيت من اتخذ إلهه هواه**﴾؟!: هذا تعجيب لرسول الله من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الأقوال والأفعال.. وبيان ما لهم من المصير والمآل.. وتنبيه على أن ذلك من الغرابة بحيث يجب أن يُرى ويتعجب منه.. وقدم المفعول الثاني على المفعول الأول ـ إلهه هواه ـ للاعتناء به؛ لأنه هو الذي يدور عليه أمر التعجيب.

والمعنى: أرأيت من جعل هواه إلهاً لنفسه من غير أن يلاحظه.. فبنى عليه أمر دينه معرضاً عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية. على معنى انظر إليه وتعجب منه. وجملة ﴿**أفأنت تكون عليه وكيلاً**﴾؟! إنكار واستبعاد لكون الرسول حفيظاً عليه يزجره عما هو فيه من الضلال ويرشده إلى الحق طوعاً أو كرهاً ﴿**أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون**﴾ إضراب وانتقال عن الاتكال المذكور إلى إنكار حسبانهم.. وجملة ﴿**إن هم إلا كالأنعام**..﴾ مستأنفة مسوقة لتقرير النكير وتأكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة.. وجملة ﴿**بل هم أضل سبيلاً**﴾

انتقال إلى ما هو أشد من حال الأنعام، بأنهم أضل سبيلاً من الأنعام؛ لما أنها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتأوي إلى معاطنها.

وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم ورازقهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو أعدى عدوهم، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك، ولا يهتدون للحق هو المَشْرع الهني والمورد العذب الروي. ولأنها إن لم تعتقد حقاً مستتبعاً لاكتساب الخير لم تعتقد باطلاً مستوجباً لاقتراف الشر، بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها أحكام الشرور. ولأن أحكام جهالتها وضلالتها مقصورةٌ على أنفسها لا تتعدى إلى أحد.

وجهالة هؤلاء مؤدية إلى ثوران الفتنة والفساد وصدّ الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد. ولأنها غيرُ معطِّلة لقوة من القوى المودَعة، بل صارفة لها إلى ما خُلقت هي له، فلا تقصيرَ من قِبَلِها في طلب الكمال. وأما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة الأصلية التي فُطِر الناسُ عليها مستحقون بذلك أعظم العقاب وأشد النكال!.. ﴿**ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً.. ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً.. ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً**﴾: هذا استئناف ابتدائي، فيه انتقال من إثبات صدق الرسول وإثبات أن القرءان من عند الله أنزله على رسوله.

وبيان صفات الرسل، وما تخلل ذلك من الوعد والوعيد. وهو من هذا الاعتبار متصل بقوله: وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرءان جملة واحدة. وفيه انتقال في الاستدلال على بطلان شرك المشركين وإثبات الوحدانية لله تعالى. وهو من هذه الجهة متصل بقوله في أول السورة واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً.. الآية. وتوجيه الكلام إلى الرسول يقتضي أن الكلام متصل بنظيره من قوله: قل أنزله الذي يعلم السر.. وما عطف عليه.. قل أذلك خير.. وما أرسلنا قبلك من المرسلين.. وكفى بربك هادياً.. فكلها مخاطبات للرسول ﷺ. وقد جعل مدّ الظل وقبضه تمثيلاً لحكمة التدريج في التكوينات الإلهية، والعدول بها

عن الطفرة في الإيجاد؛ ليكون هذا التمثيل بمنزلة كبرى القياس للتدليل على أن تنزيل القرءان منجماً جار على حكمة التدرج؛ لأنه أمكن في حصول المقصود. فكان في قوله: ألم تر إلى ربك كيف مد الظل.. زيادة في التعليل على ما في قوله: كذلك لنثبت به فؤادك.. ويستتبع هذا إيماء إلى تمثيل نزول القرآن بظهور شمس في المواضع التي كانت مظلمة.. فنظم الآية بما اشتمل عليه من التمثيل أفاد تمثيل هيئة تنزيل القرءان منجماً بهيئة مد الظل مدرَّجاً.

والاستفهام تقريري.. فهو صالح لطبقات السامعين: من غافِل يُسأل عن غفلته ليقربها تحريضاً على النظر.. ومن جاحد يُنكر عليه إهماله النظر.. ومن مُوفَق يُحث على زيادة النظر. **﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً﴾**: هذا بيان لبعض بدائع قدرة الله تعالى وحكمته وروائع أحكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق. وتكوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه ـ جعل لكم الليل.. الخ!. وفي تعقيب بيان أحوال الظل ببيان أحوال الليل الذي هو ظل الأرض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه.. فهو انتقال من الاستدلال باعتبار أحوال الظل والضياء إلى الاعتبار بأحوال الليل والنهار.. فالليل يشبه الظل في أنه ظلمة يعقبه نور الشمس.. ومن لطائف التعبير أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور!.. **﴿وهو الذي أرسل الرياح نشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾**: هذا استدلال على الانفراد بالخلق.. وامتنان بتكوين الرياح والسحاب والمطر.. فمناسبة الانتقال من حيث ما في الاستدلال الذي قبله من ذكر حال النشور والامتنان به.. فانتقل إلى ما في الرياح من النشور بذكر وصفها بأنها نشر.

وفي قوله: بين يدي رحمته استعارة بديعة. والالتفات إلى نون العظمة في قوله: وأنزلنا.. لإبراز كمال العناية بالإنزال لأنه نتيجة ما ذكر من إرسال الرياح. والماء الطهور: البالغ الكمال في الطهارة في نفسه وفي الطهارة لغيره.. ثم بين فوائده بقوله: **﴿لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً..﴾** وحيث كانت الأنعام قنية للإنسان، وعامة منافعه ومعايشه منوطة بها قدم سقيها على سقي الأناسي كما قدم عليها إحياء الأرض.. فإنه سبب لحياتها وتعيشها.. **﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾**: وصل الكلام بالعطف

على ما قبله؛ ليتم الاستدلال الذي ذكر في هذه السورة على كمال علمه وقدرته وحكمته وتمام نعمته على الناس بسبب ما فصل ووضح وبيّن وأنذر وحذر.

ولكن الناس انصرفوا عنه وتمسكوا بأوهام تلقفوها من محترفي الكهانات وسماسرة السياسات.. فتاهوا في متاهات الضلالات.. فهم على هذه الحالة ما دامت الأرض والسماوات.. ﴿**ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً..**﴾ فهذا الكلام له اتصال بما قبله من كل ما يتعلق بدعوة الرسول من أول السورة إلى هنا.. فهذا غاية التعظيم والتكريم، والتنويه بهذا النبئ الكريم.. فإذا كان ذلك كذلك.. ﴿**فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً..**﴾ فقد أسند الله إليه مهمة الدعوة بكل ما تحمل من مشقة وما تحتاج من قوة حسبما جاء في القرءان من إعداد العدة وتوفير كل قوة وشدة.. فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين.. ﴿**وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً**﴾: عود إلى الاستدلال على تفرد الله تعالى بالخلق.

جمعت هذه الآية استدلالاً وتمثيلاً وتثبيتاً ووعداً.. فصريحها استدلال على شيء عظيم من آثار القدرة الإلهية وهو مرج الماء بين: العذب والملح.. وفي ضمنها تمثيل لحال دعوة الإسلام في مكة يومئذٍ واختلاط المؤمنين مع المشركين بحال مرج الماءين: أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج. وتمثيل الإيمان بالعذب الفرات والشرك بالملح الأجاج: إن الله كما جعل بين الماءين برزخاً يحفظ العذب من أن يكدّر بالأجاج؛ كذلك حجز بين المسلمين والمشركين.. فلا يستطيع المشركون أن يدسوا كفرهم بين المسلمين.

ولأجل ما فيها من التمثيل والتثبيت والوعد كان لموقعها عقب جملة فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً أكْمَلُ حُسْنٍ!!.. ﴿**وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً**﴾: وصل الكلام بالعطف على ما قبله زيادة في الاستدلال على قدرة الخالق على الخلط والمزج والحجز والمنع حيث خلق من الماء الواحد بشرين مختلفين: الذكر والأنثى.. فجعل النسب من جهة الذكر والصهر من جهة الأنثى!.. وجملة وكان ربك قديراً: تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الدليل.

﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم..﴾ فهذا استغراب وتعجيب من حال المشركين الذين تركوا عبادة الله الذي ينفع ويضر، وتمسكوا بعبادة ما لا ينفع ولا يضر!،، وجملة **﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾** تذييل مقرر لمضمون ما قبله.. فهذا زيادة في الاستغراب والتعجيب!. **﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾**: وظيفة الرسول ـ ﷺ ـ مقصورة على تبشير المؤمنين وإنذار المُرْضين.

﴿قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾: رسالة الرسول التبشير والإنذار، وليست حرفة يحترف بها للارتزاق وجلب الأموال.. إنماهي دعوة خالصة لله إلى الذين يريدون اتخاذ الطريق الموصل إلى الله الحي القيوم! **﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾**: وما عليك بعد هذا إلا أن تعتمد على الله وتفوض الأمر إليه.. فهو الحي الباقي الذي لا يزول، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور! **﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام.. ثم استوى على العرش الرحمان فاسأل به خبيراً﴾**: في هذه الآية تقرير لوجوب التوكل على منْ هذه أسماؤه وصفاته.. وكلمة الرحمان جاءت على القطع لإفادة زيادة التوكيد من التوكل.

وجملة فاسأل به خبيراً تعقيب لما يقتضيه المقام من صحة التوكل والتفويض التامّ. **﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمان قالوا وما الرحمان﴾**؟!: شتان بين من عرف حقيقة الرحمان. ففوض إليه الأمر في السر والإعلان! ومن جهل فأنكر واستكبر وأعرض.. ففوض أمره إلى الشيطان.. فأنكروا واستكبروا وقالوا: **﴿أنسجد لما تأمرنا؟.. وزادهم نفوراً!.. تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾**: استئناف ابتدائي جعل تمهيداً لما يأتي.. وكذلك قوله: **﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً..﴾** فبهذه البراهين القاطعة والأدلة الساطعة التي ظهرت في الآفاق والأنفس، عرفت وشكرت كل نفس طائعة خاشعة!، **﴿وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً..﴾**: هذا الكلام متصل بالعطف على قوله: وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

فبمناسبة ذكر من أراد أن يذكر تخلص إلى خصال المؤمنين؛ إذ كان مفاجئاً للسامع مطعماً أنه استطراد عارض كسوابقه.. حتى يفاجئه ما يؤذن بالختام. وفي

الإطناب بصفاتهم الطيبة تعريض بأن الذين أَبَوْا السجود للرحمان وزادهم نفوراً هم على الضد من تلك المحامد. واعلم بأن هذه الصلات التي أجريت على عباد الرحمان جاءت على أربعة أقسام: القسم الأول التحلي بالكمالات الدينية.

وهي التي ابتدىء بها من قوله: ﴿**الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً. والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً. والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً إنها ساءت مستقراً ومقاماً**﴾. القسم الثاني إصلاح الإنفاق في المال: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾. القسم الثالث التخلي عن ضلالات أهل الشرك: ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلهاً ءاخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون..**﴾ القسم الرابع الاستقامة على شرائع الإسلام: ﴿**الذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً. والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً. والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً**﴾.

وإعادة الموصول ـ والذين ـ في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصِّلاتِ. بطريق العطف على صلة الموصول الأول ـ يمشون . .ـ للإيذان بأن كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله. له شأن خطير. حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل. . ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لغيره. وتوسيط العاطف ـ والذين ـ بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي. وهذا إطناب يقتضيه مقام المدح. مثل قول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام   وليث الكتائب في الخردم

فعدد الأوصاف وجعل كل وصف مستقلاً بذاته. ﴿**أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً. خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً**﴾: هذه الآية مستأنفة مبينة لما لعباد الرحمان الذين فصلت صفاتهم الحميدة في الآخرة من السعادة الأبدية إثر بيان ما لهم في الدنيا من الأعمال السَّنِيَّة. . فأولئك: إشارة إلى المتصفين بما فُصّل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به.

وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميُّز، منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة. وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل. وجملة ﴿**قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً**﴾ موجهة إلى

الرسل لينذر السامعين بهذا الكلام في نهاية هذه السورة التي بدىء بها الإنذار العام.. فهو رد للكلام بالعجز على الصدر. وفي هذا براعة المقطع، كما في ذلك براعة المطلع.. فما أبلغ هذا الكلام!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا..﴾: قبل هذه التوجيهات تستعرض خلاصة ما في هذه السورة من أغراض: هذه السورة تبدو كلها وكأنها إيناس لرسول الله - ﷺ - وتسرية وتطمين له وتقوية. وهو يواجه مشركي قريش، وعنادهم له، وتطاولهم عليه، وتعنتهم معه، وجدالهم بالباطل، ووقوفهم في وجْهِ الهُدى وصدهم عنه.. فهي في لمحة منها تصور الإيناس اللطيف الذي يحيط به الله عبده ورسوله. وكأنما يمسح على آلامه ومتاعبه مسحاً رفيقاً؛ ويهدهد قلبه، ويفيض عليه من الثقة والطمأنينة، وينسم عليه من أنسام الرعاية واللطف والمودة.

وهي في اللمحة الأخرى تصور المعركة العنيفة مع البشرية الضالة الجاحدة المشاقة لله ورسوله، وهي تجادل في عنف، وتشرد في جموح، وتتطاول في قحّة، وتتعنت في عناد، وتجنح عن الهدى الواضح الناطق المبين. إنها البشرية التي تقول عن هذا القرآن العظيم: إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون.. أو تقول: أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً.. والتي تقول عن محمد رسول الله الكريم: إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً.. أو تقول في استهزاء: أهذا الذي بعث الله رسولاً؟!. والتي لا تكتفي بهذا الضلال.. فإذا هذ تتطاول في فجور على ربها الكبير المتعال: وإذا قيل لهم: اسجدوا للرحمان، قالوا: وما الرحمان؟! أنسجد لما تأمرنا؟! وزادهم نفوراً!!.. أو تتعنت فتقول: لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا!! وهي هي من قديم كما يرسمها سياق السورة من عهد نوح إلى موقفها هذا الأخير مع رسولها الأخير. لقد اعترض القوم على بشرية الرسول فقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ لولا أنزل إلي ملك فيكون معه نذيراً! واعترضوا على حظه من المال فقالوا: أو يُلْقَى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها!. اعترضوا على طريقة تنزيل القرءان فقالوا: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة!.

وذلك فوق التكذيب والاستهزاء والقحة والافتراء الأثيم. ووقف الرسول ـ ﷺ ـ يواجه هذا كله؛ وهو وحيد فريد مجرد من الجاه والمال، ملتزم حدّه مع ربه لا يقترح عليه شيئاً، ولا يزيد على أن يتوجه إليه مبتغياً رضاه ولا يحفل بشيء سواه.. فهنا في هذه السورة يؤويه ربه إلى كنفه، ويمسح على ءالامه ومتاعبه، ويهدهده ويسري عنه، ويهون عليه مشقة ما يلقى من عنت القوم وسوء أدبهم وتطاولهم عليه؛ بأنهم يتطاولون على خالقهم ورازقهم وخالق هذا الكون كله ومقدّره ومدبّره.. فلا عليه أن ينالوه بشيء من ذاك!.. فيعزيه عن استهزائهم به بتصوير المستوى الهابط الذي يتمرغون فيه: أرأيت من اتخذ إلهه هواه؟ أفأنت تكون عليه وكيلاً؟! أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون؟! إن هم إلا كالأنعام!.. بل هم أضل سبيلاً!!.. ويعد الله رسوله العون والمساعدة في معركة الجدل والمحاجة: ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً.. وفي نهاية المعركة كلها يعرض عليه مصارع المكذبين من قبلُ: موسى ونوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وما بين ذلك من قرون.. ويعرض عليه نهايتهم التعيسة في سلسلة من مشاهد القيامة: الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً.. بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً.

إذا رأيتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً. وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً. لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً.. ويوم يعض الظالم على يديه يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً. ويسليه بأن مثله مثل الرسل كلهم قبله: وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.. وكذلك جعلنا لكل نبئ عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً. ويكلفه أن يصبر ويصابر ويجاهد الكافرين بما معه من قرءان واضح الحجة قوي البرهان، عميق الأثر في الوجدان: فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً. ويغريه على مشاق الجهاد بالتوكل على مولاه: وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً.

وهكذا تمضي السورة: في لمحة منها إيناس وتسرية وعطف وإيواء من الله لرسوله.. وفي لمحة منها مشاقة وعنت من المشركين للرسول، وتتبير ونكال من

الله للمشركين. . حتى تقرب من نهايتها. . فإذا ريح رخاء ورَوْح وريحان، وطمأنينة وسلام. . فإذا صورة عباد الرحمان. . «الذين يمشون على الأرض هوناً. . إلى آخر الصفات التي فصّلت. . وكأنما تتمخض عنهم معركة الجهاد الشاقة مع البشرية الجاحدة الضالة المعاندة المشاقة. . وكأنما هم الثمرة الحلوة الجنية الممثلة للخير الكامن في شجرة البشرية ذات الأشواك.

وتختم السورة بتصوير هوان البشرية على الله، لولا تلك القلوب المؤمنة التي تلتجىء إليه وتدعوه: قل: ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم؟! فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً!. هذه هي أهداف السورة وأغراضها. . وذلك محورها الذي تدور عليه، وموضوعها الذي تعالجه. وهي وحدة متصلة يصعب فصل بعضها عن بعض. . ولكن يمكن تقسيمها إلى أربعة توجيهات في علاج هذا الموضوع: يبدأ **التوجيه الأول** منها بذكر البركة والخير الزائد من الله الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا. . ثم بتوحيد الله المالك لما في السماوات والأرض المدبر للكون بحكمة وتقدير. . ثم بنفي الولد والشريك. . ثم بذكر اتخاذ المشركين مع ذلك آلهة من دونه لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون. . كل أولئك قبل أن يحكى مقولاتهم المؤدية. .

في هذا **التوجيه الأول**: البدء الموحي بموضوع السورة الرئيسي: تنزيل القرءان من عند الله، وعموم الرسالة إلى البشر جميعاً، ووحدانية الله المطلقة، وتنزيهه عن الولد والشريك، وملكيته لهذا الكون كله، وتدبيره بحكمة وتقدير. . ثم بعد ذلك كله يشرك المشركون، ويفتري المفترون، ويجادل المجادلون، ويتطاول المتطاولون! تبارك: تفاعل، من البركة. يوحي بالزيادة فيها والفيض والرفعة جميعاً. . ولم يذكر لفظ الجلالة ـ الله ـ واكتفى بالاسم الموصول ـ الذي نزل الفرقان ـ لإبراز صلته وإظهارها في هذا المقام؛ لأن موضوع الجدل في السورة هو صدق الرسالة وتنزيل القرءان.

وسماه الفرقان؛ لما فيه من فارق بين الحق والباطل، والهدى والضلال. وبما فيه من تفرقة بين نهج في الحياة ونهج. . وبين عهد للبشرية وعهد. . فالقرءان يرسم منهجاً واضحاً للحياة كلها في صورتها المستقرة في الضمير، وصورتها الممثلة في الواقع. . منهجاً لا يختلط بأي منهج ءاخر مما عرفته البشرية قبله. .

ويمثل عهداً جديداً للبشرية في مشاعرها وفي واقعها لا يختلط كذلك بكل ما كان قبله.. فهو فرقان بهذا المعنى الواسع الكبير.

فرقان ينتهي به عهد الطفولة ويبدأ به عهد الرشد.. وينتهي به عهد الخوارق المادية، ويبدأ به عهد المعجزات العقلية.. وينتهي به عهد الرسالات المحلية الموقوتة، ويبدأ به عهد الرسالة العامة الشاملة؛ ليكون للعالمين نذيراً. وفي موضع التكريم لرسول الله - ﷺ - وفي مقام التعظيم يصفه بالعبودية في مقام التنزيل؛ لما وصفه في مقام الإسراء والمعراج.. وكما وصفه في مقام الدعاء.. وكما وصفه في مقام الإنزال في سورة الكهف. والوصف بالعبودية في هذه المواضع له دلالة على رفعة هذا المقام، وأنه أرفع ما يرتفع إليه بشر من بني الإنسان.. كما أن فيه تذكيراً خفياً بأن مقام البشرية حين يبلغ مداه لا يزيد على أن يكون مقام العبودية لله.

ويبقى مقام الألوهية منفرداً بالجلالة، متجرداً من كل شبهة شرك أو مشابهة. ذلك أن مثل مقام الإسراء والمعراج، أو مقام الدعاء والمناجاة، أو مقام الوحي والتلقي، كان مزلّة لبعض أتباع الرسل من قبل. منها نشأت أساطير النبوة لله.. أو الصلة القائمة على غير الألوهية والعبودية. ومن ثَمّ يحرص القرءان على توكيد صفة العبودية في هذا المقام بوصفها أعلى أفق يرتفع إليه المختارون من بني الإنسان.

ويرسم الغاية من تنزيل الفرقان على عبده.. ليكون للعالمين نذيراً.. وهذا النص مكّي، وله دلالته على إثبات عالمية هذه الرسالة منذ أيامها الأولى. لا كما يدعي بعض المؤرخين غير المسلمين: أن الدعوة الإسلامية نشأت محلية.. ثم طمحت بعد اتساع رقعة الفتوح أن تكون عالمية.. فهي منذ نشأتها رسالة للعالمين. طبيعتها طبيعة عالمية شاملة، ووسائلها وسائل إنسانية كاملة؛ وغايتها نقل هذه البشرية كلها من عهد إلى عهد، ومن نهج إلى نهج. عن طريق هذا الفرقان الذي نزّله الله على عبده ليكون للعالمين نذيراً.. فهي عالمية للعالمين والرسول يواجه في مكة بالتكذيب والمقاومة والجحود.. ومرة أخرى لا يذكر لفظ الجلالة.. ولكن يذكر الاسم الموصول - الذي . .- لإبراز صلته الدالة على صفات يراد توكيدها في هذا المقام: ﴿**الذي له ملك السماوات والأرض..**﴾ فله السيطرة

المطلقة على السماوات والأرض. سيطرة الملكية والاستعلاء، وسيطرة التصريف والتدبير، وسيطرة التبديل والتغيير..

﴿**ولم يتخذ ولداً**..﴾ فالتناسل ناموس من النواميس التي خلقها الله لامْتدادِ الحياة. وهو سبحانه باق لا يفنى، قادر لا يحتاج.. ﴿**ولم يكن له شريك في الملك**..﴾ فكل ما في السماوات والأرض شاهد على وحدة التصميم، ووحدة الناموس، ووحدة التصريف. ﴿**وخلق كل شيء فقدره تقديراً**..﴾ فقدّرَ حجْمَه وشكْلَه، وقدر وظيفته وعمله، وقدر زمانه ومكانه، وقدر تناسقه مع غيره من أفراد هذا الوجود الكبير. وإن تركيب هذا وتركيب كل شيء فيه، لما يدعو إلى الدهشة حقاً، وينفي فكرة المصادفة نفياً باتّاً.

ويظهر التقدير الدقيق الذي يعجز البشر عن تتبع مظاهره في جانب واحد من جوانب هذا الكون الكبير.. وكلما تقدم العلم البشري.. فكشف عن بعض جوانب التناسق العجيب في قوانين الكون ونسبه ومفرداته اتسع تصور البشر لمعنى ذلك النص القرءاني الهائل: وخلق كل شيء فقدره تقديراً!.. ومع هذا.. فإن المشركين هؤلاء وأولئك لم يدركوا شيئاً من هذا كله: ﴿**واتخذوا من دونه ءالهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً**..﴾ وهكذا يجرد النص آلهتهم المدعاة من كل خصائص الألوهية.. فهم لا يخلقون شيئاً.. والله خلق كل شيء.. وهم يُخلقون.. بصنعهم عُبّادهم إن كانوا أصناماً وأوثاناً.. ويخلقهم اللّهُ إن كانوا ملائكة أو جناً أو بشراً أو شجراً أو حجراً.. ولا يملكون لأنفسهم، فضلاً عن أن يملكوا لعُبّادهم ضراً ولا نفعاً.

والذي لا يملك لنفسه النفع قد يسهل عليه أن يمنع نفسه من الضر.. ولكن.. حتى هذا لا يملكونه. ومن ثَمّ يقدمه في التعبير بوصفه أيسر شيء كان يملكه أحد لنفسه.. ثم يرتقي إلى الخصائص التي لا يقدر عليها إلا الله: ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً.. فلا إماتة حي، ولا إنشاء حياة. ولا إعادتها داخل في مقدورهم.. فماذا لهم بعد ذلك من خصائص الألوهية، وما شبهة أولئك المشركين في اتخاذهم آلهة؟! ألا إنه الانحراف المطلق الذي لا يستغرب معه أن يدّعوا على الرسول بعد ذلك ما يدّعون.. فدعواهم على الله أضخم وأقبح من كل ما يدّعونه على رسوله.

وهل أقبح من ادّعاء إنسان على الله وهو خالقه وخالق كل شيء؟ هل أقبح من ادّعاء إنسان أن لله شريكاً؟! وبعد عرض هذا التطاول على مقام الخالق سبحانه وتعالى، يعرض السياق تطاولهم على رسول الله ـ ﷺ ـ ويردع عليه عقب عرضه بما يُظهر سخفه وكذبه: ﴿**وقال الذين كفروا: إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون. . فقد جاؤوا ظلماً وزوراً**﴾. فأكذب شيء أن يقول كفار قريش هذه المقالة؛ وهم يوقنون في أنفسهم أنها الفرقة التي لا تقوم على أساس. . فما يمكن أن يخفي على كبرائهم الذين يلقنونهم هذا القول إن القرآن الذي يتلوه عليهم الرسول شيء آخر غير كلام البشر.

وهم كانوا يحسون هذا بذوقهم في الكلام، وكانوا لا يملكون أنفسَهم من التأثر بالقرءان. . ثم هم كانوا يعلمون عن محمد ـ ﷺ ـ قبل البعثة أنه الصادق الأمين، الذي لا يكذب ولا يخون. . فكيف به يكذب على الله وينسب إليه قولاً لم يقله؟!. . ولكنه العناد والخوف على مراكزهم الاجتماعية المستمدة من سيادتهم الدينية، كان يجنح بهم إلى هذه المناورات يطلقونها في وسط جمهور العرب الذين قد لا يميزون بين الكلام، ولا يعرفون درجته. . فإن كان بشر يملك أن يفتري مثل هذا القرءان بمعاونة قوم آخرين فما يمنعهم هم عن الإتيان بمثله مستعينين بأقوام منهم؛ ليبطلوا حجة دعوة الرسول وهو يتحداهم به وهم عاجزون؟!.

ومن ثم لا يجادلهم هنا ولا يناقشهم في هذا القول التافه المتهافت. . إنما يدمغهم بالوصف البارز الثابت؛ فقد جاؤوا ظلماً وزوراً: ظلماً للحق، ولرسول الله، ولأنفسهم. . وظلماً لمن يأتمر بأمرهم. . وزوراً واضح الكذب ظاهر البطلان. . ثم يمضي السياق في استعراض مقولاتهم عن الرسول وعن القرءان: ﴿**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها. . فهي تملى عليه بكرة وأصيلا. .**﴾ ذلك لمّا وجدوا في القرآن من قصص الأولين التي يسوقها للعبرة والعظة، وللتربية والتوجيه. . فقالوا عن هذا القَصص الصادق: أساطير الأولين. . وزعموا أن الرسول طلب أن تكتب له، لتقرأ عليه في الصباح والمساء ـ إذ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ـ ثم يقولها هو بدوره وينسبه إلى الله! وهذا استطراد في دعواهم التي لا تقوم على أساس، ولا تثبت للمناقشة.

وإن سياقة القصص في القرءان بهذا التنسيق في عرضه، وبهذا التناسق بينه

وبين الموضوع الذي يساق فيه، ويستشهد بالقصص عليه؛ وبهذا التناسب بين أهداف القصص وأهداف السياق في السورة الواحدة.. إن هذا كله ليشهد بالقصد والتدبير العميق اللطيف الذي لا يُلحظ في الأساطير المبعثرة التي لا تجمعها فكرة، ولا يوجهها قصد.. إنما تساق للتسلية وترجية الفراغ! وفي قولهم: إنها أساطير الأولين إشارة إلى بعدها في الزمان.. فلا يعلمها محمد الأمي إلا أن تملى عليه من حفاظ الأساطير الذين ينقلونها جيلاً بعد جيل.. فلهذا يرد عليهم بأن الذي يمليها على الرسول أعلم من كل عليم.. فهو الذي يعلم الأسرار جميعاً، ولا يخفى عليه نبأ في الأولين والآخرين: ﴿**قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض**..﴾ فأين علم حفاظ الأساطير ورواتها من ذلك العلم الشامل؟! وأين أساطير الأولين من السر في السماوات والأرض؟! وأين النقطة الصغيرة من الخضمّ الذي لا ساحل له ولا قرار؟!.

إلا إنهم ليرتكبون الخطيئة الكبيرة، وهم يدّعون على الرسول تلك الدعوى المتهافتة؛ ومن قبلُ يصرون على الشرك بالله وهو خلقهم.. ولكن باب التوبة مفتوح، والرجوع عن الإثم ممكن، والله الذي يعلم السر في السماوات والأرض، ويعلم ما يفترون وما يكيدون غفور رحيم: ﴿**إنه كان غفوراً رحيماً**﴾. ثم يستطرد في عرض مقولاتهم عن رسول الله - ﷺ - واعتراضاتهم الجاهلة على بشريته واقتراحاتهم المتعنتة على رسالته: ﴿**وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟! لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً! أو يلقى إليه كنز! أو تكون له جنة يأكل منها**﴾!.. فما له بشر يتصرف تصرفات البشر؟.. فهذا هو الاعتراض المكرور الذي رددته البشرية عن كل رسول! كيف يمكن أن يكون فلان بن فلان المعروف لهم المألوف في حياتهم، الذي يأكل كما يأكلون ويعيش كما يعيشون؟! كيف يمكن أن يكون رسولاً من عند الله يُوحَى إليه؟ كيف يمكن أن يتصل بعالم آخر غير عالم الأرض يتلقى عنه؟ وهم يرونه واحداً منهم من لحم ودم! وهم لا يُوحَى إليهم، ولا يعرفون شيئاً عن ذلك العالم الذي يأتي منه الوحي لواحد منهم، لا يتميز في شيء عنهم! والمسألة من هذا الجانب قد تبدو غريبة مستبعدة.. ولكنها من الجانب الآخر تبدو طبيعية مقبولة.. لقد نفخ الله من روحه في هذا الإنسان.

وبهذه النفخة الإلهية تميز وصار إنساناً، واستخلف في الأرض، وهو قاصر

العلم محدود التجربة، ضعيف الوسيلة، وما كان الله ليدعه في هذه الخلافة دون عون منه، ودون هدى ينير له طريقه. وقد أودعه الاستعداد للاتصال به عن طريق تلك النفخة العلوية التي ميزته.. فلا عجب أن يختار الله واحداً من هذا الجنس صاحب استعداد روحي للتلقي.. فيوحي إليه ما يهدي به إخوانه إلى الطريق كلما غام عليهم الطريق، وما يقدم به إليهم العون كلما كانوا في حاجة إلى العون. إنه التكريم الإلهي للإنسان. يبدو في هذه الصورة العجيبة من بعض جوانبها الطبيعية من البعض الآخر.. ولكن الذين لا يدركون قيمة هذا المخلوق، ولا حقيقة التكريم الذي أراده الله له ينكرون أن يتصل بشر بالله عن طريق الوحي.

وينكرون أن يكون واحد من هؤلاء البشر رسولاً من عند الله. يرون الملائكة أولى بهذا وأقرب. وإنها الحكمة الإلهية كذلك تبدو في رسالة واحد من البشر إلى البشر. واحد من البشر يحس إحساسهم، ويتذوق مواجدهم، ويعاني تجاربهم، ويدرك آلامهم وآمالهم، ويعرف نوازعهم وأشواقهم، ويعلم ضروراتهم وأثقالهم.. ومن ثَمّ يعطف على ضعفهم ونقصهم، ويرجو في قوتهم واستعلائهم، ويسير بهم خطوة خطوة، وهو يفهم ويقدّر بواعثهم وتأثراتهم واستجاباتهم؛ لأنه في النهاية واحد منهم، يرتاد بهم الطريق إلى الله بوحي من الله وعون منه على وعثاء الطريق.

وهم من جانبهم يجدون فيه القدوة الممكنة التقليد. لأنه بشر منهم يتسامى بهم رويداً رويداً. ويعيش فيهم بالأخلاق والأعمال والتكاليف التي يبلغهم أن الله قد فرضها عليهم وأرادها منهم.. فيكون هو بشخصه ترجمة حية للعقيدة التي يحملها إليهم. وتكون حياته وحركاته وأعماله صفحة معروضة لهم ينقلونها سطراً سطراً، ويحققونها معنى معنى؛ وهم يرونها بينهم.. فتهفو نفوسهم إلى تقليدها؛ لأنها ممثلة في إنسان! ولو كان ملكاً ما فكروا في عمله ولا حاولوا أن يقلدوه؛ لأنهم منذ البدء يشعرون أن طبيعته غير طبيعتهم.. فلا جرم يكون سلوكه غير سلوكهم على غير أمل في محاكاته ولا شوق إلى تحقيق صورته!.. في حكمة الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً.

هي حكمة الله البالغة أن جعل الرسول بشراً ليؤدي دوره على قيادة البشر. والاعتراض على بشرية الرسول جهل بهذه الحكمة فوق ما فيه من جهل بتكريم الله

للإنسان. وكان من اعتراضاتهم الساذجة الجاهلة أن هذا الرسول يمشي في الأسواق ليكسب رزقه.. فهلا كفاه الله ذلك، وحباه بالمال الكثير عن غير كد ولا عمل. والله لم يرد لرسوله أن تكون له قوة من الملائكة، ولا أن يكون له كنز من المال!؛ إذ لو كان كذلك لآمن به جميع الناس خوفاً أو طمعاً..

وهذا ينافي طبيعة الاختيار الذي خوله الله للإنسان.. ولكن القوم ما كانوا يدركون هذه الحقائق التي جاء بها القرآن: ﴿**وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً**..﴾ فهذا هو مبلغ العلم عندهم: ﴿**انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً**..﴾ فهم يشبهونك بالمسحور مرة.. ويتهمونك بالتزوير مرة.. ويقولون عنك: إنك من رواة الأساطير مرة أخرى!.. فكل هذه الأقوال أوهام وضلال وبعد عن إدراك الحق: فضلوا.. فلا يستطيعون سبيلاً!.

ويُنهى هذا الجدل ببيان تفاهة ما يقترحون وما يتصورون من أعراض الحياة الدنيا التي يحسبونها ذات قيمة، ويرونها أجدر أن يعطيها الله لرسوله إن كان حقاً رسولاً، من كنز يلقى إليه أو جنة يأكل منها.. فلو شاء الله لأعطاه أكبر مما يقترحون من هذا المتاع: ﴿**تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً**..﴾ وعند هذا الحد من استعراض مقولاتهم الظالمة على الله وعلى رسوله يكشف عن مدًى آخر من آماد كفرهم وضلالهم.. فهم يكذبون بالساعة ومن ثَمّ لا يتحرجون من ظلم ولا افتراء، ولا يخشون يوماً يلقون فيه الله فيحاسبهم عن الظلم والافتراء.

وهنا يصورهم في مشهد من مشاهد القيامة يزلزل القلوب الصلدة، ويهز المشاعر الخامدة، ويطلعهم على هول ما ينتظرهم هناك؛ وعلى حسن ما ينتظر المؤمنين في ذلك الهول العظيم: ﴿**بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً**..﴾ بل كذبوا بالساعة.. وبلغوا هذا المدى من الكفر والضلال. هذا المدى الذي يصوره التعبير بعيداً متطاولاً. يُضرب عن كل ما قبله ليبرزه ويجسمه: بل كذبوا بالساعة.. ثُمّ يكشف عن الهول الذي ينتظر أصحاب هذه الفعلة الشنيعة: إنها السعير حاضرة مهيأة.. وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً. والتشخيص ـ وهو خلع الحياة وتجسيمها على ما ليس من شأنه الحياة المجسمة من الأشياء والمعاني والحالات النفسية ـ فنٌّ في القرءان: يرتفع بالصور وبالمشاهد التي يُعرّفها إلى حد الإعجاز، بما يبثّ فيه من عنصر الحياة.

ونحن هنا أمام مشهد السعير المشعرة، وقد دبت فيها الحياة!.. فإذا هي تنظر فترى أولئك المكذبين بالساعة. تراهم من بعيد!.. فإذا هي تتغيظ وتزفر.. فيسمعون زفيرها وتغيظها؛ وهي تتحرق عليهم، وتُصعد الزفرات غيظاً منهم. وهي تتميز من النقمة وهم إليها في الطريق!: ﴿**إِذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً**﴾ فهو مشهد رعيب يزلزل الأقدام والقلوب!.. ثُمّ ها هم أولاء قد وصلوا.. فلم يُتركوا لهذا الغول طلقاء يصارعونها فتصرعهم، ويتحامونها فتغلبهم.. بل ألقوا إليها إلقاء.

ألقوا مقرنين مع شياطينهم مقرنين في الأصفاد.. وألقوا في مكان منها ضيق لكثرة الضيوف والنزلاء في هذا النزل غير المعتاد!.. فيزيدهم هذا التجمع الهائل كربة وضيقاً، ويُعجزهم عن التفلت والتململ.. ثم ها هم أولاء آيسون من الخلاص، مكروبون في السعير.. فراحوا يدعُون الهلاك أن يُنقذهم من هذا البلاء: ﴿**وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً**.. ﴾ فالهلاك اليوم أمنية المُتَمنِّي، والمنفذ الوحيد للخلاص من هذا الكرب الذي لا يطاق.. ثُمّ هاهم أولاء يسمعون جواب الدعاء. يسمعون تهكماً ساخراً مريراً: ﴿**لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً**.. ﴾ فهلاك واحد لا يجدي شيئاً.. ولا يكفي شيئاً. وفي هذا الموقف المكروب الرعيب يعرض ما أعد للمتقين الذين يخشون ربهم ويرجون لقاءه، ويؤمنون بالساعة. يعرض في أسلوب مُتَهكِّمٍ كذلك ساخر:

﴿**قل: أذلك خير؟ أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيراً لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعداً مسؤولاً**.. ﴾ أذلك الكرب الفظيع خير؛ أم جنة الخلد التي وعدها الله المتقين، وخولهم حق سؤاله عنها، وطلب تحقيق وعده الذي لا يُخلف، ومنحهم أن يطلبوا فيها ما يشاءون. وهل هناك وجه للموازنة؟!.. ولكنها السخرية المريرة بالساخرين الذين يتطاولون على الرسول الكريم.. ثُمّ يمضي مستطرداً يعرض مشهداً آخر من مشاهد الساعة التي كذب بها المكذبون.. مشهد أولئك المشركين؛ وقد حشروا مع آلهتهم التي كانوا يزعمون.

ووقف الجميع عباد أو معبودين أمام الديان يُسألون ويجيبون: ﴿**ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل**﴾؟.. فهؤلاء المعبودون قد يكون الأصنام والأوثان.. وقد يكون هم

الملائكة والجن، وكل معبود من دون الله.. وإن الله ليعلم.. ولكن الاستجواب هكذا في الساحة الكبرى، وهم محشورون أجمعين، فيه تشهير وتأنيب. وهو ذاته عذاب مرهوب! والجواب هو الإنابة من هؤلاء الآلهة: الإنابة لله الواحد القهار. وتنزيهه عن ذلك الافتراء.

والتبرؤ لا من ادعاء الألوهية.. ولكن من مجرد أن يتخذوا لهم أولياء من دون الله، والزراية على أولئك الجاحدين الجهال: ﴿**سبحانك! ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء.. ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً..**﴾ فهذا المتاع الطويل الموروث ـ على غير معرفة بواهب النعمة ولا توجه ولا شكر ـ قد ألهاهم وأنساهم ذكر النعم فانتهت قلوبهم إلى الجدب والبوار. كالأرض البور لا حياة فيها ولا زرع ولا ثمار. والبوار الهلاك.

ولكن اللفظ يوحي كذلك بالجدب والخواء.. جدب القلوب وخواء الحياة. عندئذٍ يتوجه الخطاب إلى أولئك العباد الجهال بهذا الكلام المخزي المهين: ﴿**فقد كذبوكم بما تقولون.. فما يستطيعون صرفاً ولا نصراً**﴾: فلا يستطيعون صرف العذاب عن أنفسهم، ولا يملكون الانتصار لغيرهم!.. فبينما المشهد في الآخرة يوم الحشر ينتقل السياق فجأة إلى المكذبين وهم بعدُ في الأرض: ﴿**ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً..**﴾ ذلك على طريقة القرءان في لمسِ القلوب في اللحظة التي تتهيأ فيها للاستجابة، وهي متأثرة بمثل ذلك المشهد المرهوب!..

فالآن ـ وقد شهدوا وشهد الرسول نهاية الافتراء والتكذيب والاستهزاء، ونهاية الاعتراض على بشرية الرسول وأكله الطعام ومشيه في الأسواق.. الآن يعود الخطاب إلى الرسول يسليه ويؤسيه بأنه لم يكن بدعاً من الرسل.. فكلهم يمشون على سواء! ﴿**وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق..**﴾ فإذا كان هناك اعتراض فليس هو اعتراضاً على شخصه.. إنما هو اعتراض على سنة من سنن الله. سنة مقدرة مقصودة، لها غايتها المرسومة: ﴿**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة..**﴾ فليعترض من لا يدركون حكمة الله وتدبيره وتقديره. وليصبر من يثق بالله وحكمته ونصره.. فلتمض الدعوة تغالب وتغلب بوسائل البشر وطرائق البشر. وليثبت من يثبت على هذا الابتلاء: ﴿**أتصبرون؟!.. وكان ربك بصيراً**﴾: بصيراً بالطبائع والقلوب، والمصائر والغايات. ولهذه الإضافة

هنا ـ وكان ربك بصيراً ـ إيحاؤها وظلها ونسمتها الرخية على قلب الرسول في مقام التأسية والتسلية والإيواء والتقريب. . والله بصير بمداخل القلوب. . .

التوجيه الثاني: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا. .﴾: يبدأ هذا التوجيه بما يشبه **التوجيه الأول**. ويسير سيرته في تقديم ما يتطاول به المشركون على ربهم. وما يتفوهون به من اعتراضات واقتراحات، مقدمة لما يتطاولون به على رسول الله في مقام تسليته وتعزيته. غير أن السياق هنا يعجل بعرض ما ينتظرهم من عذاب الآخرة عقاباً على ذلك التطاول في سلسلة متصلة من مشاهد القيامة. . فهؤلاء المشركون لا يرجون لقاء الله، ولا ينتظرون هذا اللقاء، ولا يحسبون حسابه، ولا يقيمون حياتهم وتصرفاتهم على أساسه. . فمن ثَمّ لا تستشعر قلوبُهم وقارَ الله وهيبتَه وجلالَه. . فتنطلق ألسنتُهم بكلمات وتصورات لا تصدر عن قلب يرجو لقاء الله!. . فقد كانوا يستبعدون أن يكون الرسول بشراً. . وكانوا يطلبون لكي يؤمنوا بالعقيدة التي يدعوهم إليها أن تنزل عليهم الملائكة تشهد بها. . أو أن يروا الله سبحانه وتعالى. . فيصدّقوا. . وهو تطاول على مقام الله تعالى.

تطاول الجاهل المستهتر الذي لا يحس جلال الله في نفسه. ولا يقدر الله حق قدره. . فمن هم؟!. . حتى يتطاولوا هذا التطاول! من هم إلى جوار الله العظيم الجبار المتكبر؟!. . من هم؟ ـ وهم في ملك الله وخلقه كالذرة التائهة الصغيرة، إلا أن يربطوا أنفسهم عن طريق الإيمان فيستمدوا منه قيمتهم!. . فمن ثَمّ يرد عليهم في نفس الآية قبل أن تنتهي. يكشف عن منبع هذا التطاول: **﴿لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً. .﴾** فقد عظم شأنهم في نظر أنفسهم. . فاستكبروا وطغوا طغياناً كبيراً! لقد تضخم شعورهم بأنفسهم حتى شغلهم عن تقدير القيم الحقيقية، ووزنها وزناً صحيحاً.

لقد عادوا ما يحسون إلا أنفسهم ـ وقد كبرت في أعينهم وتضخمت وعظمت. . حتى ليحسبونها شيئاً عظيماً في هذا الكون تستحق أن يظهر لها الله جلّ جلاله ليؤمنوا ويصدّقوا. . ثم يسخر منهم بصدق وحق؛ إذ يطلعهم على الهول ينتظرهم يوم يرون الملائكة ـ ورؤية الملائكة هي أقل الطلبين تطاولاً ـ فإنهم لا يرون الملائكة إلا في يوم عصيب هائل! ينتظرهم فيه العذاب الذي لا طاقة لهم

به، ولا نجاة لهم منه! ذلك هو يوم الحساب والعقاب: ﴿**يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذٍ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً**. .﴾ فيوم يتحقق اقتراحهم الذي اقترحوه: يوم يرون الملائكة. يومئذٍ لا يُبشَّر المجرمون. . ولكن يُعذّبون. . فيا لها من استجابة لما يقولون! يومئذٍ يقولون حجراً محجوراً! كانوا يقولونها في الدنيا استبعاداً لأعدائهم، وتحرزاً من أذاهم.

وهي تجري في ذلك اليوم على ألسنتهم بحكم العادة من الذهول حين يفاجأون. . ولكن أين هم اليوم مما كانوا يقولون؟!. . فإن الدعاء هنا لا يعصمهم ولا يمنعهم: ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً**. .﴾ هكذا في لحظة! والخيال يتبع حركة القدوم المجسمة المتخيلة ـ على طريقة القرءان في التجسيم والتخييل ـ وعملية الإثارة، والتذرية في الهواء، فإذا كل ما عملوا في الدنيا من عمل صالح هباءٌ! ذلك: أنه لم يقم على الإيمان الذي يصل القلب بالله، والذي يجعل العمل الصالح منهجاً مرسوماً وأصلاً قاصداً. لا خبط عشواء. ولا نزوة طارئة. ولا حركة مبتورة لا قصد لها ولا غاية. . فلا قيمة لعمل مفرد ولا يتصل بمنهج ولا فائدة لحركة مفردة ليست حَلَقَةً من سلسلة ذاتِ هدف معلوم.

إن وجود الإنسان وحياتَه وعمله في نظر الإسلام موصولةٌ كلُّها بأصل هذا الكون، وبالناموس الذي يحكمه، والذي يصله كلَّه بالله. بما فيه الإنسان وما يصدر عنه من نشاط. . فإذا انفصل الإنسان بحياته عن المحور الرئيسي الذي يربطه ويربط الكون، فإنه يصبح لُقًى ضائعاً لا وزن له ولا قيمة، ولا تقدير لعمله ولا حساب. . بل لا وجود لهذا العمل ولا بقاء. والإيمان هو الذي يصل الإنسان بربه. . فيجعل لعمله قيمة ووزناً، ويجعل له مكانه في حساب هذا الكون وبنائه. وهكذا تُعدم أعمال أولئك المشركين. تُعدم إعداماً يصوره التعبير القرءاني تلك الصورة الحسية المتحلية: وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً.

وهنا يلتفت السياق إلى الجانب الآخر. . فإذا المؤمنون أصحاب الجنة!، ليتم التقابل في المشهد: ﴿**أصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقراً وأحسن مقيلاً**. .﴾ فهم مستقرون مستروحون ناعمون في الظلال. والاستقرار هنا يقابل خفة الهباء المنثور. والاطمئنان يقابل الفزع الذي يُطلق الاستعاذة في ذهول. ولقد كان الكفار يقترحون نزول الملائكة ويقترحون رؤية ربهم. . فهنا يعود السياق ليرسم مشهداً آخر يوم

يتحقق اقتراحهم بنزول الملائكة إليهم: ﴿**ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً. الملك يومئذٍ الحق للرحمان وكان يوماً على الكافرين عسيراً**﴾.

وتشقق السماء بالغمام كناية عن كثرة الملائكة النازلة دفعات إثر دفعات سادين أفق الجو.. كما يسد السحاب المتراكم المتدافع المستمر.. حتى يعم الفضاء الواسع.. فهو اليوم الذي يظهر فيه للناس انفراد الملك للرحمان.. وكان يوماً على الكافرين عسيراً بما فيه مِن هول، وبما فيه من عذاب.. فما لهم يقترحون نزول الملائكة، وهم لا ينزلون إلا في مثل ذلك اليوم العسير؟!.. ثم يعرض مشهداً من مشاهد ذلك اليوم: يصور ندم الظالمين.. يعرضه عرضاً طويلاً مديداً يخيل للسامع أنه لن ينتهي ولن يبرح: مشهد الظالم يعضُّ على يديه من الندم والأسف والأسى.. ﴿**ويوم يعض الظالم على يديه يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. يا ويلتَى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً.**.﴾ فيصمت كل شيء من حوله.. ويروح يمد في صوته المتحسر ونبراته الأسيفة.. والإيقاع المحدود يزيد الموقف طولاً، ويزيد أثره عمقاً.. حتى ليكاد القارىء للآيات والسامع يشاركان في الندم والأسف والأسى.. فهو يعض على يديه.. فلا تكفيه الأصابع ولا اليد الواحدة.. إنما هو يداول بين هذه وتلك.. أو يجمع بينهما لشدة ما يعانيه من الندم اللاذع المتمثل في عضه على اليدين.

وهي حركة معهودة يُرمز بها إلى حالة نفسية، فيجسمها تجسيماً. ومع ما يرى منه من فعل يسمع منه هذا: يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً.. فسلكت طريقه.. فلم أفارقه، ولم أضلّ عنه.. الرسول الذي كان ينكر رسالته، ويستبعد أن يبعثه الله رسولاً!.. فهو اليوم يتمنى أن يكون من أتباعه ويردد هذا القول ناعياً على نفسه داعياً عليها بالويل والثبور: يا ويلتَى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً!.. من هو فلان هذا؟!.. فهو كل صاحب سوء يصد عن سبيل الرسول، ويمنع كل خليل من الوصول.. فها هو الآن يعلن على رؤوس الأشهاد عن ضلاله: ﴿**لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني.**.﴾ فلولا هذا المضل لنجوت اليوم من هذا الهون والذل.. ولكن قد غفل عن عمل الشيطان مع أوليائه؛ ليضلوا الناس عن سبيل الله: ﴿**وكان الشيطان للإنسان خذولاً**﴾!.. فهذا هو القرءان يهز قلوب الناس هزاً بهذه المشاهد المزلزلة التي تجسم لهم المصير المخيف وتريهم إياه واقعاً مشهوداً!..

وهم بعدُ في هذه الأرض يكذبون بلقاء الله، ويتطاولون على مقامه سبحانه دون تقدير.. فقد هجروا القرآن الذي نزّله الله على عبده ورسوله لينذرهم ويحذرهم ويبصرهم..: ﴿**وقال الرسول: يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً.**.﴾ فقومه في النسب هجروه.. وقومه في الدعوة جهلوه.. فلم يعرفوه.. هجروه جميعاً.. فلم يفتحوا له أسماعهم.. وهجروه.. فلم يتدبروه؛ ليدركوا الحق من خلاله، ويجدوا الهدى على نوره، وهجروه فلم يجعلوه دستور حياتهم، وقد جاء ليكون دستور حياة يقودها إلى أقوم طريق. وإن ربه ليعلم.. ولكنه دعاء البث والإنابة، يُشهد به ربَّه على أنه لم يأل جهداً.. ولكن قومه لم يسمعوا لهذا القرءان ولم يتدبروه.. فيسليه ربه ويعزيه.. فتلك هي السنّة الجارية قبله في جميع الرسالات.. فلكل نبيء أعداء يهجرون الهدى الذي يجيئهم به، ويصدون عن سبيل الله.. ولكن الله يهدي رسله إلى طريق النصر على أعدائهم المجرمين: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبئ عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً.**.﴾ فللَّهِ الحكمة البالغة.. فإن بروز المجرمين لحرب الأنبئاء والدعوات يُقوّي عودها، ويطبعها بطابع الجد الذي يناسب طبيعتها.

وكفاح أصحاب الدعوات للمجرمين الذين يتصدون لها ـ مهما كلفهم من مشقة وكلف الدعوات من تعويق ـ هو الذي يميز الدعوات الحقة من الدعاوى الزائفة. وهو الذي يمحص القائمين عليها، ويطرد الزائفين منهم.. فلا يبقى بجوارها إلا العناصر المؤمنة القوية المتجردة، التي لا تبتغي مغانم قريبة، ولا تريد إلا الدعوة خالصة تبتغي بها وجه الله تعالى. ولو كانت الدعوات سهلة ميسورة تسلك طرقاً ممهدة مفروشة بالأزهار، ولا يبرز لها في الطريق خصوم ومعارضون، ولا يتعرض لها المكذبون والمعاندون، لسهل على كل إنسان أن يكون صاحب دعوة، ولاختلطت دعوات الحق ودعاوى الباطل، ووقعت البلبلة والفتنة.. ولكن بروز الخصوم والأعداء للدعوات هو الذي يجعل الكفاح لانتصارها حتماً مقضياً، ويجعل الآلام والتضحيات لها وقوداً.. فلا يكافح ويناضل، ويتحمل الآلام والتضحيات إلا أصحاب دعوة الحق الجادون المؤمنون، الذين يؤثرون دعوتهم على الراحة والمتاع، وأعراض الحياة الدنيا.. بل على الحياة نفسها حين تقتضيهم دعوتهم أن يستشهدوا في سبيلها.

ولا يثبت على الكفاح المرير إلا أصلبهم عوداً، وأشدهم إيماناً، وأكثرهم

تطلعاً إلى ما عند الله واستهانة بما عند الناس. . فعندئذٍ تتميز دعوة الحق من دعاوى الباطل. وعندئذٍ تمحص الصفوف فيتميز الأقوياء من الضعفاء. وعندئذٍ تمضي دعوة الحق في طريقها برجالها الذين ثبتوا عليها، واجتازوا امتحانها وبلاءها. أولئك هم الأمناء عليها الذين يحتملون تكاليف النصر وتبعاته، وقد نالا هذا النصر بثمنه الغالي، وأدوا ضريبته صادقين مُؤْثِرين. وقد علمتهم التجارب والابتلاءات كيف يسيرون بدعوتهم بين الأشواك والصخور. وقد حفزت الشدائد والمخاوف كل طاقاتهم ومقدراتهم. . فنما رصيدهم من القوة وذخيرتهم من المعرفة. . فيكون هذا كله رصيداً للدعوة التي يحملون رايتها على السراء والضراء.

والذي يقع غالباً أن كثرة الناس تقف متفرجة على الصراع بين المجرمين وأصحاب الدعوات. . حتى إذا تضخم رصيد التضحيات والآلام في صف أصحاب الدعوات وهم ثابتون على دعوتهم ماضون في طريقهم، قالت الكثرة المتفرجة أو شعرت أنه لا يمسك أصحاب الدعوة على دعوتهم على الرغم من التضحيات والآلام إلا أن في هذه الدعوة ما هو أغلى مما يضحون به وأثمن. . فعندئذٍ تتقدم الكثرة المتفرجة لترى ما هو هذا العنصر الغالي الثمين الذي يرجح كل أعراض الحياة، ويرجح الحياة ذاتها عند أصحاب الدعوة. وعندئذٍ يدخل المتفرجون أفواجاً في هذه العقيدة بعد طول التفرج بالصراع! من أجل هذا كله جعل الله لكل نبئ عدواً من المجرمين.

وجعل المجرمين يقفون في وجه دعوة الحق. وجملة الدعوة يكافحون المجرمين. . فيصيبهم ما يصيبهم وهم ماضون في الطريق. والنهاية مقدرة من قبل، ومعروفة لا يخطئها الواثقون بالله: إنها الهداية إلى الحق والانتهاء إلى النصر: وكفى بربك هادياً ونصيراً. وبروز المجرمين في طريق الأنبئاء أمر طبيعي. . فدعوة الحق إنما تجيء في أوانها لعلاج فساد واقع في الجماعة أو في البشرية: فساد في القلوب، وفساد في النظم، وفساد في الأوضاع. ووراء هذا الفساد يكمن المجرمون الذين ينشئون الفساد من ناحية ويستغلونه من ناحية.

والذين تتفق مشاربهم مع هذا الفساد وتتنفس شهواتهم في جوه الوبيء والذين يجدون فيه سنداً للقيم الزائفة التي يستندون هم في وجودهم إليها. . فطبيعي إذَنْ

أن يبرزوا للأنبئاء وللدعوات دفاعاً عن وجودهم، واستبقاءً للجو الذي يملكون أن يتنفسوا فيه.. وطبيعي إذن أن يكونوا أعداءً لدعوة الحق. يستميتون في كفاحها.. وطبيعي أن تنتصر دعوة الحق في النهاية؛ لأنها تسير مع خط الحياة، وتتجه إلى الأفق الكريم الوضيء الذي تتصل فيه بالله، والذي تبلغ عنده الكمال المقدر لها كما أراده الله.. ثم يمضي السياق في استعراض مقولات المجرمين الذين يقفون في وجه دعوة القرءان والرد عليها: ﴿**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرءان جملة واحدة.**﴾ فقد جاء هذا القرءان ليربّي أمة، وينشىء مجتمعاً، ويقيم نظاماً. والتربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثر وانفعال بالكلمة، وإلى حركة تترجم التأثر والانفعال إلى واقع.

والنفس البشرية لا تتحول تحولاً كاملاً شاملاً بين يوم وليلة بقراءة كتاب كامل شامل للمنهج الجديد.. إنما تتأثر يوماً بعد يوم بطرف من هذا المنهج، وتتدرج في مراقيه رويداً رويداً، وتعتاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئاً. فما تجفل منه كما تجفل لو قدم لها ضخماً ثقيلاً عسيراً. وهي تنمو في كل يوم بالوجبة المغذية.. فتصبح في اليوم التالي أكثر استعداداً للانتفاع بالوجبة التالية، وأشد قابلية لها والتذاذاً بها. ولقد جاء القرآن بمنهاج كامل شامل للحياة كلها. وجاء في الوقت ذاته بمنهاج للتربية يوافق الفطرة البشرية عن علم بها من خالقها.. فجاء لذلك منجماً وفق الحاجات الحية للجماعة المسلمة، وهي في طريق نشأتها ونموها، ووفق استعدادها الذي ينمو يوماً بعد يوم في ظل المنهج التربوي الإلهي الدقيق.

جاء ليكون منهج تربية ومنهاج حياة لا ليكون كتاب ثقافة يُقرأ لمجرد اللذة، أو لمجرد المعرفة. جاء ليُنفّذ حرفاً حرفاً وكلمة كلمة وتكليفاً تكليفاً. جاء لتكون ءاياتهُ هي الأوامر اليومية التي يتلقاها المسلمون في حينها ليعملوا بها فور تلقيها، كما يلتقى الجندي في ثكنته أو في الميدان الأمر اليومي، مع التأثر والفهم والرغبة في التنفيذ؛ ومع الانطباع والتكيف وفق ما يتلقاه. من أجل هذا كله نزل القرءان مفصلاً: يُبيّن أولَ ما يبين عن منهجه لقلب الرسول. ويثبّتُه على طريقه، ويتتابع على مراحل الطريق رَتْلاً بعد رتل وجزءاً بعد جزء: ﴿**كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً**﴾.

والترتيل هنا: هو التتابع والتوالي وفق حكمة الله وعلمه بحاجات تلك القلوب

واستعدادها للتلقي. ولقد حقق القرءان بمنهجه ذاك خوارق في تكييف تلك النفوس التي تلقته مرتلاً متتابعاً.. وأثرت به يوماً يوماً.. وانطبعت به أثراً أثراً.. فلما غفل المسلمون عن هذا المنهج، واتخذوا القرآن كتاب متاع للثقافة، وكتاب تعبد للتلاوة فحسب؛ لا منهج تربية للانطباع والتكيف، ومنهج حياة للعمل والتنفيذ، لم ينتفعوا من القرءان بشيء؛ لأنهم خرجوا عن منهجه الذي رسمه العليم الخبير.. ويمضي السياق في تثبيت الرسول وتطمينه على إمداده بالحجة البالغة كلما فتحوا له باباً من الجدل، وكلما اقترحوا عليه اقتراحاً، أو اعترضوا عليه اعتراضاً: ﴿**ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً..**﴾ فهم يجادلون بالباطل، والله يرد عليهم باطلهم بالحق الذي يدمغه.

والحق هو الغاية التي يريد القرءان تقريرها، وليس مجرد الانتصار على الجدل، ولا الغلب في المحاجة.. إنما هو الحق القوي بنفسه، الواضح الذي لا يتلبس به الباطل. والله سبحانه يعد رسوله بالعون في كل جدل يقوم بينه وبين قومه.. فهو على الحق، والله يمده بالحق الذي يعفى على الباطل.. فأنّى يقف جدلهم لحجة الله البالغة؟! وأنى يقف باطلهم للحق الدامغ الذي يتنزل من عند الله؟!. وتنتهي هذه الجولة بمشهدهم يحشرون على وجوههم يوم القيامة جزاء تأبِّيهم على الحق، وانقلاب مقاييسهم ومنطقهم في جدلهم العقيم: الذين يحشرون على وجوهم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً.. فمشهد الحشر على الوجوه فيه من الإهانة والتحقير والانقلاب ما يقابل التعالي والاستكبار والإعراض عن الحق، وهو يضع هذا المشهد أمام الرسول تعزية له عما يلقاه منهم. ويضعه أمامهم تحذيراً لهم مما ينتظرهم. وهو مشهد مجرّدُ عَرْضِهِ يُذل كبرياءهم ويزلزل عنادهم ويهز كيانهم.

وقد كانت هذه الإنذارات تهزهم هزاً.. ولكنهم يتحاملون على أنفسهم ويظلون معانِدين!.. ثم يجول بهم جولة في مصارع المكذبين من السابقين! ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً.. فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا.. فدمرناهم تدميراً..**﴾ فهذا موسى يُؤتى الكتاب، ويُرسل معه أخوه هارون وزيراً ومعيناً، ويُؤمران بمواجهة القوم الذين كذبوا بآيات الله ذلك أن فرعون وقومه كانوا مكذبين بآيات موسى وقبل أن تتم الآية الثانية في السياق يرسم

مصيرهم في عنف وإجمال: فدمرناهم تدميراً. ﴿**وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم..**﴾ وهؤلاء قوم نوح: لما كذبوا الرسل أغرقناهم.. فهم كذبوا نوحاً وحده.. ولكن نوحاً إنما جاءهم بالعقيدة الواحدة التي أرسل بها الرسل جميعاً.. فلما كذبوه كانوا قد كذبوا الرسل جميعاً.. ﴿**وجعلناهم للناس ءاية..**﴾ فإن آية الطوفان لا تنسى على الدهر. ﴿**وأعتدنا للظالمين عذباً أليماً..**﴾ فهو حاضر لا يحتاج إلى إعداد.

ويظهر لفظ الظالمين بدل الضمير لإثبات هذا الوصف لهم، وبيان سبب العذاب. ﴿**وعاداً وثموداً وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً..**﴾ فهؤلاء عاد وثمود وأصحاب الرس والقرون الكثيرة بين ذلك.. فكلهم لاقوا ذات المصير بعد أن ضربت لهم الأمثال.. فلم يتدبروا القول ولم يتّقوا البوار والدمار: ﴿**وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيراً. ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها..**﴾ فهذه قرى قوم لوط وهم يمرون عليها في رحلة الصيف إلى الشام.. فقد أهلكها الله بمطر بركاني.. فدمرها تدميراً!.. ﴿**بل كانوا لا يرجون نشوراً..**﴾ فيقرر السياق في نهاية العرض أن قلوب هؤلاء المكذبين بالقرآن لا تعتبر ولا تتأثر؛ لأنهم لا ينتظرون البعث ولا يرجون لقاء الله.. فذلك سبب قساوة تلك القلوب وانطماسها.

ومن هذا المَعِين تنبع تصرفاتهم واعتراضاتهم وسخرياتهم من القرءان ومن الرسول. وبعد هذا الاستعراض السريع يجيء ذكر استهزائهم برسول الله ـ ﷺ ـ وقد سبقه تطاولهم على ربهم، واعتراضهم على طريقة تنزيل القرآن. وسبقه كذلك مشاهدهم المفجعة في يوم الحشر.. ومصارع المكذبين أمثالِهم في هذه الأرض.. فكل أولئك تطييباً لقلب الرسول قبل ذكر استهزائهم به وتوقحهم عليه.. ثم يعقب عليه بتهديدهم وتحقيرهم وتنزيلهم إلى أحط من درك الحيوان: ﴿**وإذا رأوك: إن يتخذونك إلا هزؤاً!: أهذا الذي بعث الله رسولاً**﴾؟.. فقد كان محمد ـ ﷺ ـ ملء السمع والبصر بين قومه قبل بعثته.. فقد كان عندهم ذا مكانة من بيته. وهو من ذرية بني هاشم، وهم ذروة قريش.. وكان عندهم ذا مكانة من خُلُقه، هو الملقب بينهم بالأمين.. ولقد ارتضوا حكومته بينهم في وضع الحجر الأسود قبل البعثة بزمن طويل.. فهو الشاهد على صدقه إلى اليوم وبعد اليوم.. ولكنهم بعد البعثة،

وبعد أن جاءهم بهذا القرءان العظيم راحوا يهزءون به ويقولون: أهذا الذي بعث الله رسولاً؟!.. فهذه القولة قولة ساخرة مستنكرة. أكان ذلك عن اقتناع منهم بأن شخصه الكريم يستحق منهم هذه السخرية، وأن ما جاءهم به يستحق منهم هذا الاستهزاء؟!.. كلا.. إنما كانت تلك خطة مدبرة من كبراء قريش للتصغير من أثر شخصيته العظيمة، ومن أثر هذا القرآن الذي لا يُقَاوَمُ.

وكانت وسيلة من وسائل مقاومة الدعوة الجديدة التي تهددهم في مراكزهم الاجتماعية وأوضاعهم الاقتصادية.. وتجردهم من الأوهام والخرافات الاعتقادية التي تقوم عليها تلك المراكز وهذه الأوضاع. ولقد كانوا يعقدون المؤتمرات لتدبير المآمرات المحبوكة، ويتفقون فيها على مثل هذه الوسيلة، وهم يعلمون كذبهم فيها عن يقين.. فهذا مثل من الكيد والتدبير يشي بحيْرَةِ القوم في المؤامرات ضد رسول الله ـ ﷺ ـ ومعرفتهم بحقيقته في الوقت.. فما كان اتخاذهم إياه هزؤاً، وقولهم ساخرين: أهذا الذي بعث الله رسولاً؟! بصورة الاستغراب والاستنكار والزراية إلا طرفاً من تلك المؤامرات المدبّرة.

لا ينبعث عن حقيقية شعورية في نفوسهم.. إنما يُتّخذ وسيلة للحط من قدره في أعين الجماهير، التي يحرص سادة قريش على استبقائها تحت وصايتهم الدينية، استبقاء للمراكز الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية التي يتمتعون بها في ظل تلك الوصاية! شأن قريش في هذا شأن أعداء دعوات الحق ودعاتها في كل زمان ومكان. وبينما كانوا يظهرن الهزؤ والاستخفاف كانت أقوالهم ذاتها تَشِي بمقدار ما في نفوسهم من شخص الرسول من حجّته ومن القرءان الذي جاء به.. فيقولون: ﴿**إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها**﴾!.. فلقد زلزل قلوبَهم إذن باعترافهم.. حتى كادوا يتركون آلهتهم وعبادتها ـ على شدة حرصهم على استبقاء ديانتهم وما وراءها من مراكز مغانم ـ لولا أنهم قاوموا تأثّرَهم به، وصبروا على آلهتهم.

والصبر لا يكون إلا على المقاومة العنيفة للجاذبية العنيفة. وهم يسمون الهداية إضلالاً لسوء تقديرهم للحقائق وتقويمهم للقيم.. ولكنهم لا يملكون إخفاء الزلزلة التي أصابت قلوبهم من دعوة الرسول وشخصيته والقرآن الذي معه.. حتى وهم يتظاهرن بالاستخفاف بشخصه ودعوته إصراراً وعناداً!.. فمن ثَمّ يعاجلهم

بالتهديد المجمل الرهيب: ﴿**وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً. .**﴾ فيعلمون إن كان ما جاءهم به هو الهدى أو أنه هو الضلال. ولكن حين لا ينفع العلم.

حين يرون العذاب: سواء أكان ذلك في الدنيا كما سيكون من قتلهم وأسرهم أو كان في الآخرة كما سيكون من عقاب وعذاب يوم الحساب. ويلتفت السياق بالخطاب إلى الرسول يعزيه عن عنادهم وجموحهم واستهزائهم. . فهو لم يقصّر في الدعوة، ولم يقصّر في الحجة، ولم يستحقَّ ما لاقوه به من التطاول. . إنما العلة فيهم أنفسِهم. . فهم يجعلون من هواهم إلهاً يعبدونه، ولا يرجعون إلى حجة أو برهان! وماذا يملك الرسول لمن يتخذ إلهه هواه: ﴿**أرأيت من اتخذ إلهه هواه! أفأنت تكون عليه وكيلاً**﴾؟ وهو تعبير عجيب يرسم نموذجاً عميقاً لحالة نفسية بارزة. . حين تنفلت النفس من كل المعايير الثابتة والمقاييس المعلومة والموازين المضبوطة، وتخضع لهواها وتُحكّم شهواتها وتتعبّد ذاتها.

فلا تخضع لميزان ولا تعترف بحدّ ولا تقتنع بمنطق متى اعترض هواها الطاغي الذي جعلت منه إلهاً يُعبد ويُطاع! والله سبحانه وتعالى يخاطب عبده في رفق ومودّة وإيناس في أمر هذا النموذج من الناس: أرأيت؟. . ويرسم له هذه الصورة الناطقة المعبرة عن ذلك النموذج الذي لا جدوى من المنطق معه، ولا وزن للحجة، ولا قيمة للحقيقة؛ ليطيِّب خاطره من مرارة الإخفاق في هدايته. . فهو غير قابل للهدى وغير صالح لأن يتوكل الرسول بأمره، لا أن يحفل بشأنه: أفأنت تكون عليه وكيلاً؟!. . ثم يخطو خطوة أخرى في تحقير هؤلاء الذين يتعبدون هواهم ويُحكّمون شهواتهم ويتنكرون للحجة والحقيقة، تعبداً لذواتهم وهواها وشهواتها.

يخطو خطوة أخرى. . فيسويهم بالأنعام التي لا تسمع ولا تعقل. . ثم يخطو الخطوة الأخيرة. . فيدحرجهم من مكانة الأنعام إلى درك أسفل وأحط: ﴿**أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون؟! إن هم إلا كالأنعام. . بل هم أضل سبيلاً**﴾؟!. . ففي التعبير تحرز وإنصاف، إذ يذكر أكثرهم. . ولا يعمم. . لأن قلة منهم كانت تجنح إلى الهدى، أو تقف عند الحقيقة تتدبرها. . فقد آمن بعد هذا الكثيرُ. . فأما الكثرة التي تتخذ من الهوى إلهاً مطاعاً، والتي تتجاهل الدلائل وهي تطرق الأسماع والعقول فهي كالأنعام.

وما يفرق الإنسانَ من البهيمة إلا الاستعدادُ للتدبر والإدراك والتكيف وفق ما يتدبر ويدرك من الحقائق عن بصيرة وقصد وإرادة واقتناع، ووقوف عند الحجة والاقتناع. . بل إن الإنسان حين يتجرد عن خصائصه هذه ليكون أحط من البهيمة؛ لأن البهيمة تهتدي بما أودعها الله من استعداد. . فتؤدي وظائفها أداءً كاملاً صحيحاً. بينما يهمل الإنسان ما أودعه الله من خصائص ولا ينتفع بها كما ينتفع البهيمة: إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً. . فهكذا يعقب السياق على استهزائهم برسول الله ـ ﷺ ـ ذلك التعقيب الذي يُخرج المستهزئين من إطار الآدمية في عنف واحتقار ومهانة! . . فهكذا ينتهي **التوجيه الثاني** في السورة.

التوجيه الثالث: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً. . ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً. .﴾: في هذا التوجيه يدع السياق مقولات المشركين وجدالهم مع الرسل؛ ليبدأ جولة في مشاهد الكون ومجاليه. . فيوجه إليها قلب الرسول ويصل بها مشاعره. وهذا الاتصال كاف وحده ليدفع خاطره عن مضايقات المشركين الصغيرة. . ويفتح قلبه على تلك الآفاق الوسيعة، التي يتضاءل معها كيد الكائدين وعداوة المجرمين. . والقرءان يوجه القلوب والعقول دائماً إلى مشاهد هذا الكون؛ ويربط بينها وبين العقول والقلوب.

ويوقظ المشاعر لاستقبالها بحس جديد متفتح. يتلقى الأصداء والأضواء، وينفعل بها ويستجيب، ويسير في هذا الكون ليلتقط الآيات المبثوثة في تضاعيفه المنثورة في أرجائه، المعروضة في صفحاته، ويرى فيها يد الصانع المدبر. . فيستشعر آثار هذه اليد في كل ما تقع عليه عينه، وكل ما يلمسه حسه، وكل ما يلتقطه سمعه؛ ليتخذ من هذا كله مادة للتدبر والتفكر، والاتصال بالله عن طريق الاتصال بما صنعت يداه. وحين يعيش الإنسان في هذا الكون مفتوح العين والقلب، مستيقظ الحس والروح، الموصول الفكر والخاطر. . فإن حياته ترتفع عن ملابسات الأرض الصغيرة، وشعوره بالحياة يتسامى ويتضاعف معاً. وهو يحس في كل لحظة أن آفاق الكون أفسح كثيراً من رقعة هذه الأرض؛ وأن كل ما يشهده صادر عن إرادة واحدة، مرتبط بناموس واحد، متجه إلى خالق واحد. وإن هو إلا واحد من هذه المخلوقات الكثيرة المتصلة بالله؛ ويد الله في كل ما حوله وكل ما تقع عليه عينه وكل ما تلمسه يداه.

إن شعوراً من التقوى، وشعوراً من الأُنس، وشعوراً من الثقة لتمتزج في

حسه، وتفيض على روحه، وتعمر عالمه فتطبعه بطابع خاص من الشفافية والمودة والطمأنينة في رحلته على هذا الكوكب حتى يلقى الله؛ وهو يقضي هذه المرحلة كلها في مهرجان من صنع الله، وعلى مائدة من يد الصانع المدبر الجميل التنسيق. وفي هذا الدرس ينتقل السياق من مشهد الظل اللطيف، ويد الله تمده ثم تقبضه في يسر ولطف، إلى مشهد الليل وما فيه من نوم وسبات، والنهار وما فيه من حركة وانبعاث، إلى مشهد الرياح تنشر الرحمة وتبشر بالخير.

ثم يعقبها الماء المحيي للموات، إلى مشهد البحرين الفرات والأجاج وبينهما برزخ يمنعهما ويحجر بينهما فلا يختلطان، ومن ماء السماء إلى ماء النطفة، وإذا هو بشر يصرّف الحياة، إلى مشهد خلق السماوات والأرض في ستة أيام، إلى مشهد البروج في السماء وما فيها من سراج مضيء وقمر منير، إلى مشهد الليل والنهار يتعاقبان على مدار الزمان. وفي خلال هذه المشاهد الموحية يوقظ القلب وينبه العقل إلى تدبر صنع الله فيها، ويذكّر بقدرته وتدبيره؛ ويعجب معه إشراك المشركين عبادتهم ما لا ينفعهم ولا يضرهم وجهلهم بربهم وتطاولهم عليه وتظاهرهم على الكفر والجحود والنكران.. فإذا هو تصرف عجيب مريب في وسط هذا الحشد المعروض من آيات الله، ومشاهد الكون الذي خلقه الله.

إن مشهد الظل الوريف اللطيف ليوحي إلى النفس المجهودة المكدودة بالراحة والسكن والأمان. وكأنما هو اليد الآسية الرحيمة تنسم على الروح والبدن، وتمسح على القرح والألم، وتهدهد القلب المتعب المكدود.. أفهذا الذي يريده الله سبحانه وهو يوجه قلب عبده ورسوله إلى الظل بعدما ناله من استهزاء ولأواء؟. وهو يمسح على قلبه المتعب في هذه المعركة الشاقة؛ وهو في مكة يواجه الكفر والكبر والمكر والعناد، في قلة من المؤمنين وكثرة من المشركين؛ ولم يُؤذن له بعدُ في مقابلة الاعتداء بمثله، وفي رد الأذى والتهجم والاستهزاء؟!. إن هذا القرءان الذي كان يتنزل على قلب رسول الله كان هو البلسم المريح والظل الظليل والروح المحيي في هجير الكفر والجحود والعصيان. إن الظل ـ وبخاصة في هجير الصحراء المحرق ـ لهو المشهد الذي يتناسق مع روح السورة كلها وما فيها من أنداء وظلال. والتعبير يرسم مشهد الظل ويد الله الخفية التدبير تمده في رفق. وتقبضه في لطف.

والظل هو ما تلقيه الأجرام من الظلمة الخفيفة حين تحجب أشعة الشمس في النهار. وهو يتحرك مع حركة الأرض في مواجهة الشمس.. فتتغير أوضاعه وامتداداته وأشكاله. والشمس تدل عليه بضوئها وحرارتها، وتميز مساحتَه وامتداده وارتدادَه. ومتابعة خطوات الظل في مده وانقباضه يشيع في النفس نداوة وراحة كما يثير فيها يقظة لطيفة شفيفة. وهي تتبع صنع البارىء اللطيف القدير. وإن مشهد الظلال والشمس مائلة للمغيب، وهي تطول وتطول، وتمتد وتمتد.. ثم في لحظة: لحظة الظلال والشمس مائلة للمغيب، وهي تطول وتطول، وتمتد وتمتد.. ثم في لحظة: لحظة واحدة ينظر الإنسان فلا يجدها جميعاً.

لقد اختفى قرص الشمس وتوارث معه الظلال. أين تراها ذهبت؟ لقد قبضتها اليد الخفية التي مدتها.. لقد انطوت كلها في الظل الغامر الطامي: ظل الليل والظلام!. إنها يد القدرة القوية اللطيفة التي يغفل البشر عن تتبع آثارها في الكون من حولهم وهي تعمل دائبة لا يدركها الكلال.. فبناء الكون المنظور على هذا النسق، وتنسيق المجموعة الشمسية هذا التنسيق هو الذي جعل الظل متحركاً هذه الحركة اللطيفة. ولو اختلف ذلك النسق أقل اختلاف لاختلفت آثاره في الظل الذي نراه. لو كانت الأرض ثابتة لكان الظل فوقها لا يمتد ولا يقبض. ولو كانت سرعتها أبطأ أو أسرع مما هي عليه لكان الظل في امتداده وقبضه أبطأ أو أسرع.. فتنسيق الكون المنظور على ناموسه هذا هو الذي يسمح بظاهره الظل ويمنحها خواصها التي نراها.

وهذا التوجيه إلى تلك الظاهرة التي نراها كل يوم ونمر بها غافلين هو طرف من منهج القرآن في استحياء الكون دائماً في ضمائرنا، وفي إحياء شعورنا بالكون من حولنا. وفي تحريك خوامد إحساسنا التي أفقدها طول الألفة إيقاع المشاهد الكونية العجيبة وطرف من ربط العقول والقلوب بهذا الكون الهائل العجيب!!..

ومن مشهد الظل إلى مشهد الليل الساتر والنوم الساكن والنهار وما فيه من حركة ونشور: ﴿**وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً**..﴾ فالليل يستر الأشيء والأحياء.. فتبدو هذه الدنيا وكأنها تلبس الليل وتتشح بظلامه.. فهو لباس.. وفي الليل تنقطع الحركة ويسكن الدبيب، وينام الناس وكثير من الحيوان والطيور والهوام.. والنوم انقطاع عن الحس والوعي

والشعور.. فهو سبات.. ثم يتنفس الصبح وتنبعث الحركة وتدب الحياة في النهار.. فهو نشور من ذلك الموت الصغير، الذي يتداول الحياة على هذه الأرض مع البعث والنشور مرة في كل دورة من دورات الأرض الدائبة التي لا يصيبها الكلال.

وهي تمر بالبشر وهم غافلون عما فيها من دلالة على تدبير الله الذي لا يغفل لحظة واحدة ولا ينام.. ثم ظاهرة الرياح الناشرة للسحاب المبشرة بالرحمة: ﴿**وهو الذي أرسل الرياح نشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً**..﴾ فالحياة على هذه الأرض كلها تعيش على ماء المطر. إما مباشرة.. وإما بما ينشئه من جداول وأنهار على سطح الأرض، ومن ينابيع وعيون وآبار من المياه الجوفية المتسربة إلى باطن الأرض منه.. ولكن الذين يعيشون مباشرة على المطر هم الذين يدركون رحمة الله الممثلة فيه إدراكاً صحيحاً كاملاً. وهم يتطلعون إليه شاعرين بأن حياتهم كلها متوقفة عليه. وهم يترقبون الرياح التي يعرفونها تسوق السحب ويستبشرون بها، ويحسون فيها رحمة الله. إن كانوا ممن شرح الله صدورهم للإيمان.

والتعبير يبرز معنى الطهارة والتطهير؛ وهو بصدد ما في الماء من حياة: ﴿**لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسى كثيراً**..﴾ فهذا التعبير يلقي على الحياة ظلاً خاصاً: ظل الطهارة. فالله سبحانه وتعالى أراد الحياة طاهرة نقية. وهو يغسل وجه الأرض بالماء الطهور الذي ينشىء الحياة في الموات ويسقي الأناسى والأنعام. وعند هذا المقطع من استعراض المشاهد الكونية يلتفت إلى القرءان النازل من الملإ الأعلى؛ لتطهير القلوب والأرواح؛ وكيف يستبشرون بالماء المحيي للأجسام ولا يستبشرون بالقرءان المحيي للأرواح: ﴿**ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً**..﴾ فعرضنا على الناس القرءان في صور شتى، وأساليب متعددة، ولفتات متنوعة، وخاطبنا به مشاعرهم ومداركهم وأرواحهم وأذهانهم.. فدخلنا عليهم به من كل باب من أبواب نفوسهم، وبكل وسيلة تستجيش ضمائرهم.. فما يحتاج الأمر إلى أكثر من التذكر. والحقيقة التي يحاول القرءان رد الناس إليها مركوزة في فطرتهم، أنساهم إياها الهوى الذي اتخذوا منه إلهاً.. فمهمة الرسول إذن ضخمة شاقة..

فهو يواجه الناس جميعاً. . وأكثر الناس أضله الهوى وأبى إلا الكفر ودلائل الإيمان حاضرة: ﴿**ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً. .**﴾ فتوزع المشقة، وتخف المهمة. . ولكن الله اختار لها عبداً واحداً: هو خاتم الأنبئاء محمد ـ ﷺ ـ وكلفه إنذار القرى جميعاً؛ لتتوحد الرسالة الأخيرة. . فلا تتفرق على ألسنة الرسل في القرى المتفرقة. وأعطاه القرءان ليجاهدهم به: ﴿**فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً. .**﴾ فإن في هذا القرءان من القوة والسلطان والتأثير العميق والجاذبية التي لا تقاوم ما كان يهز قلوبهم هزاً. . ويزلزل أرواحهم زلزالاً شديداً. . فيغالبون أثره بكل وسيلة. . فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً. . ولقد كان كبراء قريش يقولون للجماهير: لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه لعلكم تغلبون! وكانت هذه المقالة تدل على الذعر الذي تضطرب به نفوسهم ونفوس أتباعهم من تأثير هذا القرآن؛ وهم يرون هؤلاء الأتباع كأنما يُسحرون بين عشية وضحاها من تأثير الآية والآيتين والسورة والسورتين يتلوهما محمد بن عبدالله ـ ﷺ ـ فتنقاد إليه النفوس وتهوى إليه الأفئدة.

ولم يقل رؤساء قريش لأتباعهم هذا القول؛ وهم في نجوة من تأثير هذا القرءان. . فلولا أنهم أحسوا في أعماقهم هزّة روَعتهم ما أمَرُوا هذا الأمر. . وما أشاعوا في أشياعهم بهذا التحذير، الذي هو أدل من كل قول على عمق التأثير! وإن في القرءان من الحق الفطري البسيط لَمَا يصل القلبَ مباشرة بالنبع الأصيل. . فيصعب أن يقف لهذا النبع الفوار، وأن يصد عنه تدفق التيار. وإن فيه من مشاهد القيامة، ومن القصص، ومن مشاهد الكون الناطقة، ومن مصارع الغابرين، ومن قوة التشخيص والتمثيل لَمَا يهزّ القلوب هزاً لا تملك معه قراراً.

وإن السورة الواحدة لتهز الكيان الإنساني في بعض الأحيان، وتأخذ على النفس أقطارها ما لا يأخذه جيش ذو عِدّة وعتاد. . فلا عجب مع ذلك أن يأمر الله نبيئه أن لا يطيع الكافرين وأن لا يتزحزح عن دعوته وأن يجاهدهم بهذا القرءان. فإنما يجاهدهم بقوة لا يقف لها كيان البشر، ولا يثبت لها جدال أو مِحال!. وبعد هذه اللفتة يعود السياق إلى مشاهد الكون. . فيعقب على مشهد الرياح الناشرة للسحاب المبشرة بالمطر والماء الطهور وبمشهد البحرين: العذب والملح: ﴿**وهو الذي مرج البحرين: هذا عذب فرات وهذا ملح أجاح. . وجعل بينهما برزخاً**

وحجراً محجوراً. .﴾ فالله وحده سبحانه هو الذي مرج البحرين يجريان ويلتقيان فلا يختلطان ولا يمتزجان. . فالمرج غير المزج.

وطبيعة الماء العذب لا تمتزج بالماء الملح. . بل تختلط. . ولكن جعل الله بينهما حاجزاً معنوياً عرفه الناس في هذا العصر، حيث استطاعوا أن يأخذوا الماء العذب ويستخلصوه من البحر الملح بآلة التبخير كما هو معروف من قبل في عملية المطر. عندما تتجمع السحب من البخار الصاعد من البحار والمياه والأنهار والأشجار!. . وهو إعجاز علمي من القرآن النازل على الرسول الأمي المبعوث في العرب الأميين الذين لا يعرفون هذه الحقائق المبثوثة في السماوات والأرض!. . فلا يكون هذا التقدير مصادفة واتفاقاً كما يقول الكافرون الملحدون. . إنما يتم بإرادة الخالق الذي أنشأ هذا الكون لغاية تحققها نواميسه في دقة وإحكام!.

واليد التي برهن الكون مرجت البحرين وجعلت بينهما برزخاً وحاجزاً من طبيعتهما ومن طبيعة هذا الكون المتناسق الذي تجري مقاديره بيد الصانع المدبر الحكيم. ومن ماء السماء وماء البحر والنهر إلى ماء النطفة الذي تنشأ منه الحياة البشرية المباشرة: **﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً. .﴾** فمن هذا الماء يتخلق الجنين: ذكراً فهو نسب. . وأنثى فهو صهر؛ بما أنها موضع للصَّهْر. . فيختلط الماآن كما يختلط البحران وكان بينهما حاجز لا يمتزجان!. . فهذه الحياة البشرية الناشئة من هذا الماء أعجب وأضخم من تلك الحياة الناشئة من ماء السماء. . فمن خلية واحدة من عشرات الألوف الكامنة في نقطة واحدة من ماء الرجل تتحد ببويضة المرأة في الرحم، ينشأ ذلك الخلْق المعقد المركب. . الإنسان. . أعجب الكائنات الحية على الإطلاق.

ومن الخلايا المتشابهة والبويضات المتشابهة ينشأ ذكور وإناث بطريقة عجيبة، لا يدرك البشر سرها، ولا يستطيع علم البشر ضبطها أو تعليلها. . فما من خلية من آلاف الخلايا يمكن أن تُلحظ فيها مميزات معروفة هي التي تؤهلها لأن تنتج ذكراً أو أنثى. وما من بويضة كذلك لوحظ فيها مثل هذه المميزات.

ومع ذلك تصير هذه إلى أن تكون رجلاً، وهذه إلى أن تكون امرأة في نهاية المطاف! وكان ربك قديراً! وها هي ذي القدرة تُكشف عن طرف منها في هذا العجب العجاب!. ولو راح الإنسان يدقق في هذا الماء الذي يُخلق منه الإنسان

لأدركه الدوار وهو يبحث عن خصائص الإنسان الكاملة الكامنة في الأجسام الدقيقة البالغة الدقة التي تحمل عناصر الوراثة للجنس كله، وللأبوين وأسرتيهما القريبتين لتنقلها إلى الجنين الذكر والجنين الأنثى، كل منهما بحسب ما ترسم له يد القدرة من خُلق واتجاه في طريق الحياة. وفي مثل هذا الجو: جو الخلق والتقدير.

وأمام تلك الحياة الناشئة من ماء السماء وماء النطفة، المزودة بتلك الخصائص التي تجعل من خلية ذكراً بمميزاته كلها ووراثاته، وتجعل من خلية أنثى بمميزاتها كذلك ووراثاتها.. في مثل هذا الجو تبدو عبادةُ غيرِ الله شيئاً مستغرباً مستنكراً تشمئز منه الفطرة.. فهنا يعرض عباداتهم من دون الله: ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا**﴾! فكل كافر ـ ومشركوا مكة من ضمنهم! ـ إنما هو حرب على ربه الذي خلقه وسواه.. فكيف ذلك ـ وهو صغير ضئيل لا يبلغ أن يكون حرباً ولا ضداً على الله؟!. إنه حرب على دينه، وحرب على منهجه الذي أراده للحياة.

إنما يريد التعبير أن يفظع جريمته ويبشّعَها.. فيصوره حرباً على ربه ومولاه!.. فهو يحارب ربه حين يحارب رسول الله ورسالته.. فلا على الرسول منه.. فإنما الحرب مع الله وهو به كفيل.. ثم يطمئن الله عبده ورسوله، ويخفف العبء عن عاتقه، ويشعره حين يؤدي واجبه في التبشير والإنذار وجهاد الكفار بما معه من قرآن.. فلا عليه من عداء المجرمين له ولا عناد الكافرين.. فالله يتولى عنه المعركة مع أعدائه الذين إنما يعادون الله.. فليتوكل على ربه. والله أعلم بذنوب عباده: ﴿**وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً. قل: ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً. وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده، وكفى به بذنوب عباده خبيراً..**﴾ فبهذا يحدد واجب الرسول.

وهو التبشير والإنذار، ولم يكن بعدُ مأموراً بقتال المشركين وهو في مكة؛ لضمان حرية التبشير والإنذار كما أمر به بعد ذلك في المدينة. وذلك لحكمة يعلمها الله.. فهو في هذه الفترة يعد الرجال الذين ترتكز إليهم هذه العقيدة الجديدة، وتعيش في نفوسهم، وتترجم في حياتهم، وتتمثل في سلوكهم، لكي يكونوا نواة المجتمع المسلم الذي يحكمه الإسلام ويهيمن عليه. ولكي لا يدخل في خصومات وثارات دموية تصد قريشاً عن الإسلام، وتغلق قلوبهم دونه. والله

يقدّر أنهم سيدخلون فيه، بعضهم قبل الهجرة وسائرهم بعد الفتح. ويكون منهم نواة صلبة للعقيدة الخالدة.. على أن لب الرسالة بقي في المدينة كما كان في مكة، هو التبشير والإنذار.

إنما جعل القتال لإزالة الموانع المادية دون حرية الدعوة. ولحماية المؤمنين حتى لا تكون فتنة.. فالنص صادق في مكة وفي المدينة على السواء: قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً.. فليس للرسول من مطمع في أجر ولا عَرض من أعراض الدنيا يناله ممن يهتدون إلى الإسلام. ليست هناك إثارة ولا نذر ولا قربان يقدمه المسلم. وهو يدخل في الجماعة المسلمة بكلمات ينطق بها لسانه ويعتقد بها قلبه. وهذه ميزة الإسلام. ميزته أن ليس هناك كاهن يتقاضى ثمن كهانته. ولا وسيط يقبض ثمن وساطته. ليس هناك رسم دخول، ولا ثمن لتناول سر ولا بركة ولا استقبال!.

هذه هي بساطة هذا الدين وبراءته من كل ما يحول بين القلب والإيمان. ومن كل ما يقف بين العبد وربه من وسطاء وكهان.. ليس هناك سوى أجر واحد للرسول هو اهتداء المهتدي إلى الله وتقربه إلى ربه بما يراه.. هذا وحده هو أجره.. يرضى قلبه الطاهر ويستريح وجدانه النبيل بأن دعا عبداً من عباد الله قد اهتدى إلى ربه يبتغي رضاه ويتحرّى طريقه ويتجه إلى مولاه.. فكل ما سوى الله ميت؛ لأنه صائر إلى موت.. فلا يبقى إلا الحي الذي لا يموت. والتوكل على ميت تفارقه الحياة يوماً طال عمره أم قصر هو ارتكان إلى ركن ينهار، وإلى ظل يزول.. إنما التوكل على الحي الدائم الذي لا يزول.

ولا يحمد إلا الله المنعم الوهاب.. ودع أمر الكفار الذين لا ينفعهم التبشير والإنذار إلى الحي الذي لا يموت فهو يعلم ذنوبهم ولا يخفى عليه منها شيء.. وفي معرض الخبرة المطلقة والقدرة على الجزاء يذكر خلق الله للسماوات والأرض واستعلاءه على العرش: ﴿**الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمان فاسأل به خبيراً..**﴾ فأيام الله التي خلق فيها السماوات والأرض غير أيامنا الأرضية قطعاً.. فإنما أيامنا هذه ظل للنظام الشمسي ومقياس لدورة فلكية وجدت بعد خلق السماوات والأرض. وهي مقيسة بقدر دورة الأرض حول نفسها أمام الشمس. والخلق لا يقتضي إلا توجه الإرادة الإلهية المرموز له

بلفظه «كن». فتتم الكينونة فيكون، ولعل هذه الأيام الستة من أيام الله التي لا يعلم مقدارها إلا هو. إنما تمت فيها أطوار متباعدة في السماوات والأرض حتى انتهت إلى وضعها الحالي.

أما الاستواء على العرش فهو معنى الاستعلاء والسيطرة. ولفظ ثُمَّ لا يدل على الترتيب الزمني.. إنما يدل على بعد الرتبة بين السماوات والأرض وبين ملكوت الله وسعة العرش الذي لا يعلم أحد عنه شيئاً.. ومع الاستعلاء والسيطرة الرحمة الكبيرة الدائمة «الرحمان».. ومع الرحمة الخبرة: فاسأل به خبيراً.. الخبرة المطلقة التي لا يخفى عليها شيء.. فإذا سألت فإنما تسأل خبيراً.. ومع هذا.. فإن أولئك المتحجبين المتطاولين يقابلون الدعوة إلى عبادة الرحمان باستخفاف واستنكار: ﴿**وإذا قيل لهم: اسجدوا للرحمان، قالوا: وما الرحمان؟!. أنسجد لما تأمرنا؟ وزادهم نفوراً**﴾!.

وهي صورة كريهة من صور الاستهتار والتطاول؛ تذكر هنا للتهوين من وقع تطاولهم على رسول الله - ﷺ -.. فهم لا يوقّرون ربهم.. فيتحدثون بهذه اللهجة عن ذاته العلية.. فهل يستغرب من هؤلاء أن يقولوا عن الرسول ما قالوا؛ وهم ينفرون من اسم الله الكريم، ويزعمون أنهم لا يعرفون اسم الرحمان، ويسألون عنه «بما» زيادة في الاستهتار.. فيرد على تطاولهم هذا بتمجيد الله سبحانه وتكبيره والتحدث ببركته وعظمته وعظمة خلقه وآياته المذكرة به في هذا الخلق العظيم: ﴿**تبارك الذي جعل في السماء بروجاً. وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً. وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً..**﴾ فالبروج منازل الكواكب السيارة ومداراتها الفلكية الهائلة. والفخامة هنا تقابل في الحس ذلك الاستخفاف في قولة المشركين: وما الرحمان؟!.. فهذا شيء من خلقه ضخْمٌ هائلٌ عظيم في الحسّ وفي الحقيقة.

وفي هذه البروج تنزل الشمس ويسميها «سراجاً» لما تبعث به من ضوء إلى أرضنا وغيرها.. وفيها القمر المنير الذي يبعث بنوره الهادىء اللطيف. ويعرض كذلك مشهد الليل والنهار وتعاقبهما.. وهما آيتان مكرورتان ينساهما الناس وفيهما الكفاية: لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.. ولولا أن جعلهما كذلك يتعاوران الناس، ويخلف أحدهما أخاه، ما أمكنت الحياة على ظهر هذا الكوكب لإنسان

ولا لحيوان ولا لنبات.. بل لو أنّ طُولَهما تغير لتعذرت كذلك الحياة.. فتبارك الذي خلق السماوات والأرض.. وخلق كل شيء فقدّره تقديراً.. وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً.. وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً!.

التوجيه الرابع: ﴿وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً..﴾: في هذا التوجيه الأخير في هذه السورة يبرز فيه عباد الرحمان بصفاتهم المميزة ومقوماتهم الخاصة. وكأنما هم خلاصة البشرية في نهاية المعركة الطويلة بين الهدى والضلال. بين البشرية الجاحدة المشاقّة، والرسل الذين يحملون الهدى لهذه البشرية. وكأنما هم الثمرة الجنيّة لذلك الجهاد الشاق الطويل، والعزاء المُريح لحملة الهدى فيما لا قوة من جحود وصلادة وإعراض.. وقد سبق ذكر تجاهل المشركين واستنكارهم لاسم الرحمان.. فهاهم أولاء عباد الرحمان الذين يعرفون الرحمان.. ويستحقون أن ينسبوا إليه وأن يكونوا عباده.. فهاهم أولاء بصفاتهم المميزة.. ومقومات نفوسهم وسلوكهم وحياتهم.. فهاهم أولاء مُثُلاً حيّةً واقعية للجماعة التي يريدها الإسلام، وللنفوس التي ينشئها بمنهجه التربوي القويم.

وهؤلاء هم الذين يستحقون أن يعبأ بهم الله في الأرض، ويوجه إليهم عنايته؛ فالبشر كلهم أهون على الله من أن يعبأ بهم لولا أن هؤلاء فيهم، ولولا أن هؤلاء يتوجهون إليه بالتضرّع والدعاء.. فها هي ذي السمة الأولى من سمات عباد الرحمان: أنهم يمشون على الأرض مِشية سهلة هينة. ليس فيها تكلف ولا تصنع، وليس فيها خيلاء ولا تنفج، ولا تصعير خدّ ولا تخلّع أو ترهّل.. فالمشية ككل حركة تعبير عن الشخصية وعما يستكن فيها من مشاعر. والنفس السوية المطمئنة الجادّة القاصدة تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها.. فيمشي مشية سوية مطمئنة جادّة قاصدة.. فيها وقار وسكينة، وفيها جدٌّ وقوّة.

وهم في جدهم ووقارهم وقصدهم إلى ما يشغل نفوسهم من اهتمامات كبيرة لا يتلفتون إلى حماقة الحمقى وسفه السفهاء.. ولا يشغلون بالهم ووقتهم وجهدهم بالاشتباك مع السفهاء والحمقى في جدل أو عراك.. ويترفعون عن المهاترة مع المهاترين الطائشين: وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.. فسلامهم

ليس عن ضعف.. ولكن عن ترفّع.. ولا عن عجز.. إنما عن استعلاء.. وعن صيانة للوقت والجهد أن يُنفقا فيما لا يليق بالرجل الكريم المشغول عن المهاترة بما هو أهم وأكرم وأرفع.. فهذا نهارهُم مع الناس.. فأما ليلُهم فهو التقوى ومراقبة الله، والشعور بجلاله، والخوف من عذابه:

﴿**والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً. والذين يقولون: ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً. إنها ساءت مستقراً ومقاماً..**﴾ والتعبير يبرز من الصلاة السجود والقيام لتصوير حركة عباد الرحمان في جنح الليل والناس نيام.. فهؤلاء قوم يبيتون لربهم سجداً وقياماً.. يتوجهون لربهم وحده، ويقومون له وحده، ويسجدون له وحده. هؤلاء قوم مشغولون عن النوم المريح بما هو أروح منه وأمتع.. مشغولون بالتوجه إلى ربهم، وتعليق أرواحهم وجوارحهم به. ينام الناس وهم قائمون ساجدون.. ويخلد الناس إلى الأرض وهم يتطلّعون إلى عرش الرحمان ذى الجلال والإكرام. وهم في قيامهم وسجودهم وتطلعهم وتعلقهم تمتلىء قلوبهم بالتقوى والخوف من عذاب جهنم. يقولون: ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً.

إنها ساءت مستقراً ومقاماً.. وما رأوا جهنم.. ولكنهم ءامنوا بوجودها، وتمثلوا صورتها مما جاءهم في القرءان الكريم، وعلى لسان رسول الله الكريم.. فهذا الخوف النبيل إنما هو ثمرة الإيمان العميق وثمرة التصديق. وهم يتوجهون إلى ربهم في ضراعة وخشوع ليصرف عنهم عذاب جهنم، لا يطمئنهم أنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً.. فهم لما يخالج قلوبهم من التقوى يستقلون عملهم وعبادتهم، ولا يرون فيها ضماناً ولا أماناً من النار، إن لم يتداركهم فضل الله وسماحته وعفوه ورحمته؛ فيصرف عنهم عذاب جهنم. والتعبير يوحي كأنما جهنم متعرضة لكل أحد، متصدية لكل بشر، فاتحة فاهاً تهمّ أن تلتهم، باسطة أيديها تهمّ أن تقبض على القريب والبعيد.

وعباد الرحمان الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً يخافونها ويخشونها، ويتضرعون إلى ربهم أن يصرف عنهم عذابها، وأن ينجيهم من تعرضها وتصديها. ويرتعش تعبيرهم وهم يتضرعون إلى ربهم خوفاً وفزعاً: إن عذابها كان غراماً: ملازماً لا يتحول عن صاحبه ولا يفارقه ولا يقيله.. فهذا ما يجعله مروعاً مخيفاً

شنيعاً.. إنها ساءت مستقراً ومقاماً! وهل أسوأ من جهنم مكاناً يستقر فيه الإنسان ويقيم؟!. وأين الاستقرار، وهي النار؟!.. وأين المقام وهو التقلب على اللظى ليلَ نهار؟!.. وهم في حياتهم نموذج القصد والاعتدال والتوازن: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**..﴾ فهذه سمة الإسلام التي يحققها في حياة الأفراد والجماعات. ويتجه إليها في التربية والتشريع. يقيم بناءه كله على التوازن والاعتدال. والمسلم ـ مع اعتراف الإسلام بالملكية الفردية المقيدة ـ ليس حراً في إنفاق أمواله الخاصة كما يشاء ـ كما هو الحال عند الأمم التي لا يحكم التشريع الإلهي حياتها في كل ميدان.. إنما هو مقيد بالتوسط في الأمرين: الإسراف والتقتير.. فالإسراف مفسد للنفس والمال والمجتمع. والتقتير مثله: حبس للمال عن انتفاع صاحبه به، وانتفاع الجماعة من حوله.. فالمال أداة اجتماعية لتحقيق خدمات اجتماعية.

والإسراف والتقتير يحدثان اختلالاً في المحيط الاجتماعي والمجال الاقتصادي. وحبس الأموال يحدث أزمات.. ومثله إطلاقها بدون حساب. ذلك فوق فساد القلوب والأخلاق. والإسلام وهو ينظم هذا الجانب من الحياة يبدأ به من نفس الفرد.. فيجعل الاعتدال من سمات الإيمان. وسمة عباد الرحمان بعد ذلك أنهم لا يشركون بالله، ويتحرجون من قتل النفس، ومن الزنا. تلك الكبائر المنكرات التي تستحق أليم العذاب: ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلهاً ءاخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون. ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً**..﴾ فتوحيد الله أساس هذه العقيدة، ومفرق الطريق بين الوضوح والاستقامة والبساطة في الاعتقاد، والغموض والالتواء والتعقيد الذي لا يقوم على أساسه نظام صالح للحياة.

والتحرج من قتل النفس ـ إلا بالحق ـ مفرق الطريق بين الحياة الاجتماعية الآمنة المطمئنة التي تَحترم فيها الحياة الإنسانية ويُقام لها وزن.. وحياة الغابات والكهوف التي لا يأمن فيها على نفسه أحد، ولا يطمئن إلى عمل أو بناء. والتحرج من الزنا هو مفرق الطريق بين الحياة النظيفة التي يشعر فيها الإنسان بارتفاعه عن الحس الحيواني الغليظ، ويحس بأن لالتقائه بالجنس هدفاً أسمى من إرواء سعار اللحم والدم.. والحياة الهابطة الغليظة التي لا هم للذكران والإناث

فيها إلا إرضاء ذلك السعار. ومن أجل أن هذه الصفات الثلاثة مفرق الطريق بين الحياة اللائقة بالإنسان الكريم على الله، والحياة الرخيصة الغليظة الهابطة إلى درك الحيوان.. فمن أجل ذلك ذكرها الله في سمات عباد الرحمان. أرفعُ الخلق عند الله وأكرمهم على الله وعقب عليها بالتهديد الشديد: ومن يفعل ذلك يلق آثاماً.

وفسر هذا بما بعده: ﴿**يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً..**﴾ فليس هو العذاب المضاعف وحده.. وإنما هي المهانة كذلك.. وهي أشد وأنكى!.. ثم يفتح باب التوبة لمن أراد أن ينجو من هذا المصير المسيء؛ بالتوبة والإيمان الصحيح والعمل الصالح: ﴿**إلا من تاب وءامن وعمل عملاً صالحاً..**﴾ ويَعِدُ التائبين المؤمنين العاملين أن يبدل ما عملوه من سيئات قبل التوبة حسنات بعدها تضاف إلى حسناتهم الجديدة: ﴿**فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات..**﴾ فهو فيض من عطاء الله لا مقابل له من عمل العبد إلا أنه اهتدى ورجع عن الضلال، وثاب إلى حمى الله، ولاَذَ بِهِ بعد الشرود والمتاهة: ﴿**وكان الله غفوراً رحيماً**﴾.

وباب التوبة دائماً مفتوح، يدخل منه كل من استيقظ ضميره، وأراد العودة والمآب. لا يُصدّ عنه قاصد. ولا يُغلق في وجه لاجىء. أياً كان.. وأياً ما ارتكب من الآثام.. فيضع قاعدة التوبة وشرطها: ﴿**ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً..**﴾ فالتوبة تبدأ بالندم والإقلاع عن المعصية، وتنتهي بالعمل الصالح الذي يثبت أن التوبة صحيحة. وأنها جدية. وهو في الوقت ذاته ينشىء التعويض الإيجابي في النفس للإقلاع عن المعصية فالمعصية عمل وحركة، يجب ملء فراغه بعمل مضاد وحركة.. وإلا حنّت النفس بتأثير الفراغ الذي تحسه بعد الإقلاع.

وهذه لمحة في منهج التربية الأخلاقية في القرآن عجيبة، تقوم على خبرة بالنفس الإنسانية عميقة.. ومن أخبرُ من الخالق بما خلق؟ سبحانه وتعالى! وبعد هذا البيان العارض يعود السياق إلى سمات عباد الرحمان: ﴿**والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً..**﴾ فعدم شهادة الزور قد تكون على ظاهراللفظ ومعناه القريب: أنهم لا يؤدون شهادة زور؛ لما في ذلك من تضييع الحقوق، والإعانة على الظلم. وقد يكون معناه الفرار من مجرد الوجود في مجلس أو مجال يقع فيه الزور بكل صنوفه وألوانه؛ ترفُّعاً منهم عن شهود مثل هذه المجالس

والمجالات، وهو أبلغ وأوقع. وهم كذلك يصونون أنفسهم واهتماماتهم عن اللغو والهذر.. وإذا مروا باللغو مروا كراماً: لا يشغلون أنفسهم به، ولا يلوثونها بسماعه.. إنما يكرمونها عن ملابسته ورؤيته، بلْهَ المشاركة فيه.. فللمؤمن ما يشغله عن اللغو والهذر.. وليس لديه من الفراغ والبطالة ما يدفعه إلى الشغل باللغو الفارغ.

وهو من عقيدته ومن دعوته ومن تكاليفها في نفسه وفي الحياة كلها في شغل شاغل.. ومن سماتهم أنهم سريعو التذكر إذا ذُكّروا، قريبو الاعتبار إذا وعظوا، مفتوحو القلوب لآيات الله يلتقونها بالفهم والاعتبار: ﴿**والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً**..﴾ وفي التعبير تعريض بالمشركين الذين ينكبّون على آلهتهم وعقائدهم وأباطيلهم كالصم والعميان لا يسمعون ولا يبصرون ولا يتطلعون إلى هدى أو نور.

وحركة الانكباب على الوجوه بلا سمع ولا بصر ولا تدبر حركة تصور الغفلة والانطماس والتعصب الأعمى.. فأما عباد الرحمان فهم يدركون إدراكاً واعياً بصيراً ما في عقيدتهم من حق، وما في آيات الله من صدق.. فيؤمنون إيماناً واعياً بصيراً، لا تعصباً أعمى ولا انكباباً على الوجوه.. فإذا تحمسوا لعقيدتهم فإنما هي حماسة العارف المدرك البصير. وأخيراً.. فإن عباد الرحمان لا يكفيهم أنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً، وأنهم يتسمون بتلك السمات العظيمة كلها.. بل يرجون أن تعقبهم ذرية تسير على نهجهم، وأن تكون لهم أزواج من نوعهم.. فتقرُّ بهم عيونهم، وتطمئن بهم قلوبهم.. ويتضاعف بهم عدد عباد الرحمان.. ويرجون أن يجعل الله منهم قدوة طيبة للذين يتقون الله ويخافونه: ﴿**والذين يقولون: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً**..﴾ فهذا هو الشعور الفطري الإيماني العميق.. شعور الرغبة في مضاعفة السالكين في الدرب إلى الله.. وفي أولهم الذرية والأزواج.. فهم أقرب الناس تبعة، وهم أول أمانة يُسأل عنها الرجال. والرغبة كذلك في أن يحس المؤمن أنه قدوة للخير. يأتم به الراغبون في الله.. وليس في هذا من أثرة ولا استعلاء.. فالركب كله في الطريق إلى الله. أما جزاء عباد الرحمان فيختم به هذا البيان:

﴿**أولئك يُجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً**..﴾ فالغرفة هنا

أرفع موضع وأعظم مكان وأفسح ساحة.. وهي الجنة بما فيها من نعيم مقيم ورضوان من الله عظيم!.. فأولئك الكرام الذين سبقت صفاتهم وسماتهم، يُستقبلون في الغرفة بالتحية والسلام، جزاء ما صبروا على تلك الصفات والسمات. وهو تعبير ذو دلالة.. فهذه العزائم تحتاج إلى الصبر على شهوات النفس ومغريات الحياة، ودوافع السقوط. والاستقامة جهد لا يقدر عليه إلا بالصبر. الصبر الذي يستحق أن يذكره الله في هذا الفرقان.

وفي مقابل جهنم التي يتضرعون إلى ربهم أن يصرفها عنهم؛ لأنها ساءت مستقراً ومقاماً؛ يجزيهم الله الجنة **﴿خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً﴾** فلا مخرج لهم إلا أن يشاء الله. وهم فيها على خير حال من الاستقرار والمقام. والآن وقد صور النص عباد الرحمان. تلك الخلاصة الصافية للبشرية. يختم السورة بهوان البشرية على الله لولا هؤلاء الذين يتطلعون إلى الملإ الأعلى.. فأما المكذبون فالعذاب حتم عليهم لزام: **﴿قل: ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً..﴾** فهو ختام يناسب موضوع السورة التي بدئت بالإنذار وختمت بالتهديد والإنذار.

ومساقها للتسرية عن رسول الله ـ ﷺ ـ وتعزيته عما يلاقي من عناد قومه وجحودهم وتطاولهم عليه؛ وهم يعرفون مقامه.. ولكنهم في سبيل الإبقاء على باطلهم يعاندون ويصرّون.. فما قومه؟! وما هذه البشرية كلها؟!.. لولا القلة المؤمنة التي تدعو الله وتتضرع إليه؛ كما يدعو عباد الرحمان ويتضرعون! مَن هم؟ والأرض التي تضم البشر جميعاً إن هي إلا ذرة صغيرة في فضاء الكون الهائل! والبشرية كلها إن هي إلا نوع من أنواع الأحياء الكثيرة على وجه هذه الأرض! والأمة الواحدة من أمم هذه الأرض، والجيل الواحد من أمة إن هو إلا صفحة من كتاب ضخم لا يعلم عدد صفحاته إلا الله؟!.. وإن الإنسان مع ذلك لينتفخ وينتفج.. ويحسب نفسه شيئاً!.. ويتطاول ويتطاول.. حتى ليتطاول على خالقه سبحانه! وهو هين هين.. ضعيف ضعيف قاصر قاصر! إلا أن يتصل بالله فيستمد منه القوة والرشاد؛ وعندئذٍ فقط يكون شيئاً في ميزان الله! ـ وقد يرجح ملائكة الرحمان في هذا الميزان ـ فضلاً من الله الذي كرم هذا الإنسان وأسجد له الملائكة ليعرفه ويتصل به ويتعبد له.. فيحفظ بذلك خصائصه التي سجدت له معها

الملائكة؛ وإلاَّ.. فهو لقي ضائع؛ لو وضع نوعه كله في الميزان ما رجحت به كفة الميزان!. وفي التعبير سند للرسول - ﷺ - وإعزاز.. فهو في جواره وحماه؛ لأنه ربه وهو عبده.. فما أنتم؟!. لولا إيمانكم به!.. فأنتم حصب جهنم.. فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً!!..

2 ـ خلاصة سورة الشعراء
ذكر ما فيها من قصص الأنبياء



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* طسٓمٓ ﴿1﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿1﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿2﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿3﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿4﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿5﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿6﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿7﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿8﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿9﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿10﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿11﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿12﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿13﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿14﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿15﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿16﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿17﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿18﴾

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (19) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا
خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (20) وَتِلْكَ
نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (21) * قَالَ فِرْعَوْنُ
وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (22) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم
مُّوقِنِينَ (23) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (24) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (25) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ
لَمَجْنُونٌ (26) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ
تَعْقِلُونَ (27) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ
الْمَسْجُونِينَ (28) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (29) قَالَ فَأْتِ بِهِ
إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (30) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ
مُّبِينٌ (31) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (32) قَالَ لِلْمَلَإِ
حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (33) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم
بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (34) قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ
فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (35) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (36) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ
لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (37) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ (38)
لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (39) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (40) قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (41) قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (42)

فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
اُ۬لْغَٰلِبُونَ ﴿43﴾ فَأَلْقَيٰ مُوسَيٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿44﴾
فَأُلْقِيَ اَ۬لسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿45﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ اِ۬لْعَٰلَمِينَ ﴿46﴾
رَبِّ مُوسَيٰ وَهَٰرُونَ ﴿47﴾ قَالَ ءَآمَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ
إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ اُ۬لذِے عَلَّمَكُمُ اُ۬لسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿48﴾ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿49﴾ * قَالُواْ لَا ضَيْرَ
إِنَّآ إِلَيٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿50﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَّغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَا أَن
كُنَّا أَوَّلَ اَ۬لْمُؤْمِنِينَ ﴿51﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَيٰ مُوسَيٰ أَنِ اِسْرِ بِعِبَادِے
إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿52﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِے اِ۬لْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿53﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرْذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿54﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿55﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ ﴿56﴾
فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿57﴾ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿58﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِے إِسْرَآءِيلَ ﴿59﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿60﴾
فَلَمَّا تَرَٰٓءَا اَ۬لْجَمْعَٰنِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَيٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿61﴾ قَالَ كَلَّآ
إِنَّ مَعِےَ رَبِّے سَيَهْدِينِ ﴿62﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيٰ مُوسَيٰ أَنِ اِضْرِب بِّعَصَاكَ
اَ۬لْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٖ كَالطَّوْدِ اِ۬لْعَظِيمِ ﴿63﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ
اَ۬لَاخَرِينَ ﴿64﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَيٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿65﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا
اَ۬لَاخَرِينَ ﴿66﴾ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿67﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَ۬لْعَزِيزُ اُ۬لرَّحِيمُ ﴿68﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ اَ۪بْرَٰهِيمَ ﴿69﴾

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿70﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا
فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿71﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿72﴾
أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿73﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿74﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿75﴾
أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿76﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ
إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿77﴾ * ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿78﴾ وَٱلَّذِى
هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿79﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿80﴾ وَٱلَّذِى
يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿81﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ
ٱلدِّينِ ﴿82﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿83﴾
وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿84﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿85﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿86﴾ وَلَا تُخْزِنِى
يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿87﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿88﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿89﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿90﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ
لِلْغَاوِينَ ﴿91﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿92﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ
هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿93﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿94﴾
وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿95﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿96﴾
تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿97﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿98﴾
وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿99﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿100﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿101﴾

فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (102) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (103) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (104)
كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106)
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108) وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (109) فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ (110) * قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (111)
قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (112) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ (113) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (114) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (115)
قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (116) قَالَ رَبِّ
إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (117) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن
مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (118) فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (119)
ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (120) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (121) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (122)
كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124)
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126) وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (127) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129)
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (131) وَاتَّقُوا

ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿132﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿133﴾ وَجَنَّٰتٖ
وَعُيُونٍ ﴿134﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿135﴾
قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿136﴾
إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿137﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿138﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿139﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿140﴾
كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿141﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿142﴾
إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿143﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿144﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ
عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿145﴾ * أَتُتۡرَكُونَ
فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿146﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿147﴾ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا
هَضِيمٞ ﴿148﴾ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ﴿149﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿150﴾
وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿151﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿152﴾
قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿153﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا
فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿154﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا
شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿155﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ
فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿156﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ
نَٰدِمِينَ ﴿157﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿158﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿159﴾

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (160) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (161)
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (162) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (163) وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (164) أَتَأْتُونَ
الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (166) قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (167) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ (168) رَبِّ نَجِّنِي
وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (169) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (170)
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (171) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (172) وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (173) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (174) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (175)
كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (176) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (177)
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (178) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (179) وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (180) * أَوْفُوا الْكَيْلَ
وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (181) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (182)
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (183)
وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (184) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ
الْمُسَحَّرِينَ (185) وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (186)
فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (187)

قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿188﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿189﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿190﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿191﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**طسم**﴾: ثلاث حروف من حروف الهجاء. وهي الطاء والسين والميم. ﴿**تلك آيات الكتاب المبين**﴾: الإشارة بتلك إلى الحروف التي ابتدئت بها هذه السورة.

وآيات الكتاب: آيات القرآن، والمبين: المظهر للأحكام الشرعية وما يتعلق بها. ﴿**لعلك باخع نفسك. .**﴾ باخع: اسم فاعل. وحقيقة البخع: إعماق الذبح بأن يبلغ به النخاع. وهو العرق المستبطن في فقرات الرقبة المتصل بصلب الظهر. ﴿**أن لا يكونوا مؤمنين**﴾: بسبب عدم إيمان قومك بهذا الكتاب المبين. . ﴿**إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية**﴾: ملجئة لهم إلى الإيمان قاسرة عليه. . ولكن لم نشَأْ هذا. . فلا معنى إذن على التأسف والحزن والتألم على عدم إيمانهم. . وجملة ﴿**فظلت أعناقهم لها خاضعين**﴾ مترتبة على جملة ننزل عليهم من السماء آية. والخضوع هنا: الإذعان والانقياد إلى الآيات الملجئة والقاسرة. أما آيات القرآن فهي مبينة ومقنعة ودالة على طريق الحق دون قسر وإكراه.

وخضوع الأعناق: خنوع أصحابها قهراً. ﴿**وما يأتيهم من ذكر من الرحمان محدث إلا كانوا عنه معرضين**﴾: ما يأتيهم من طائفة نازلة من القرءان تذكرهم أكمل تذكير وَتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه من جهة الله تعالى بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة إلا جددوا إعراضاً عنه على وجه التكذيب والاستهزاء وإصراراً على ما كانوا عليه من الكفرِ والضلال. . ﴿**فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون**﴾: ترتبت جملة فسيأتيهم أنباء ما كانوا به

يستهزئون على جملة فقد كذبوا بالحق لما جاءهم. وهي مترتبة على جملة ما يأتيهم من ذكر من الرحمان محدث إلا كانوا عنه معرضين.. فأعرضوا وكذبوا وعادوا في ضلالهم فسيأتيهم نتيجة ما هم عليه الخبر اليقين الذي لا شك فيه.

وهو استئصالهم والقضاء عليهم في الدنيا بالقتل والأسر وفي الآخرة بشدة العقاب والتنكيل والقهر!.. ﴿**أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم**﴾: لما لم يؤمن الكافرون بالآيات المنزلة استدل عليهم بالآيات القائمة المشاهدة في الأرض بما فيها من نبات متنوع كريم مفيد للإنسان وكل دواب الحيوان: ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم..**﴾ فهذه الآيات التي ذكرت في مبدإ هذه السورة من آيات القرآن وآيات الأكوان آيات دالة على وحدانية الرحمان وصحة دلائل القرآن.. وما كان أكثر الناس مؤمنين لهذا الكلام.. ولكن الله عزيز لا يقهر، ورحيم لا يؤاخذ الناس بما ظهر منهم من الكفر.. فهو يمهل ولا يهمل وبعد ذلك يأخذهم أخذ عزيز مقتدر!.. ﴿**وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين**﴾: واذكر لأولئك المعرضين المكذبين وقت نداء الله موسى حيث أمره بإتيان فرعون وقومه ليبلغهم رسالة الله.

وجملة ﴿**ألا يتقون**﴾ استفهام تعجيبي.. ﴿**قال: رب إني أخاف أن يكذبوني ويضيق صدري ولا ينطلق لساني..**﴾ أظهر موسى هذا الكلام تضرعاً لربه طالباً منه العون والتأييد، كما قال في سورة طه: رب اشرح لي صدري.. وضيق صدر موسى من شدة كفر فرعون وقومه، وقوة تعنتهم في المحاجّة والمجادلة.. فلهذا قال: ﴿**فأرسل إلى هارون**﴾؛ ليكون معيناً لي في أداء المهمة. ﴿**ولهم على ذنب**﴾: قتله المصري الذي وجده يتخاصم مع الإسراءيلي. ﴿**فأخاف أن يقتلوني**﴾ إن جئيتهم وحدي. ﴿**قال: كلا..**﴾ فلا تخف.. ﴿**فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون.. فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين: أن أرسل معنا بني إسراءيل..**﴾ فمطلوب موسى وهارون من فرعون إطلاق سراح بني إسراءيل من الأسر والذل والمهانة.. ﴿**قال: ألم نربك فينا وليدا..**﴾ قال فرعون لموسى.. فالتربية هنا كفالة الصبي وتدبير شؤونه.

والوليد: الطفل القريب الولادة. ويشير فرعون إلى قصة موسى عندما ألقى في

التابوت.. والقصة في سورة طه. وسورة القصص. ﴿**ولبثت فينا من عمرك سنين**..﴾ فقد بقي موسى في بيت فرعون مدة الطفولة والشباب.. حتى بلغ أشده واستوى. ﴿**وفعلت فَعلتك**..﴾ الفعلة: واحدة الفعال. والمراد بها قتل القبطي. التي فعلتها.. ﴿**وأنت من الكافرين**..﴾ فالكفر هنا كفر النعمة. وهي التربية التي حظي بها موسى في بيت فرعون. ﴿**قال: فعلتها إذن وأنا من الضالين**﴾: فعلت هذا في ذلك الوقت قبل الرسالة.

وهي حالة ضلال عامة لا يهتدي فيها الإنسان.. وهو يشير إلى الحالة التي كانت عليها مصر من الفوضى والاضطراب والاضطهاد والقويُّ يأكل فيها الضعيف.. ﴿**ففرت منكم لما خفتكم**..﴾ فهو يشير إلى خروجه من مصر وذهابه إلى مدين ﴿**فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين**..﴾ فهو يشير إلى ما حصل له في جبل الطور من خطاب الله إياه وأنه رسول الله.. ﴿**وتلك نعمة تمنها عَلَيّ: أن عبدت بني إسراءيل**﴾: يرد موسى على فرعون زعمه أنه أنعم عليه وربّاه.. ففي الحقيقة هي نقمة وليست نعمة..

﴿**قال فرعون: وما رب العالمين**﴾؟: أيُّ شيء رب العالمين الذي ادّعيت أنك رسوله؟ ﴿**قال**﴾ ـ موسى مجيباً له ـ: ﴿**رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موّقنين. قال**﴾ ـ فرعون ـ ﴿**لمن حوله**﴾ من قومه ـ: ﴿**ألا تستمعون؟ قال**﴾ ـ موسى ـ ﴿**ربكم ورب آبائكم الأولين. قال**﴾ ـ فرعون ـ ﴿**إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. قال**﴾ ـ موسى ـ: ﴿**رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون**﴾. زاد موسى تبييناً وتوضيحاً وتنبيهاً على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته. ﴿**قال**﴾ ـ فرعون لموسى مقسماً ـ: ﴿**لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين**﴾.

لم يجد فرعون شيئاً يرد به على موسى أكثر ممن يجعله من المسجونين الذين يشك فيهم بالخروج عليه لأمر ما!.. ﴿**قال**﴾ ـ موسى لفرعون متحدّياً ـ: ﴿**أو لو جئتك شيء مبين؟ قال**﴾ ـ فرعون ـ: ﴿**فأت به إن كنت من الصادقين.. فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين**..﴾ الثعبان: أكبر أنواع الحيات وأخطر. مشتق من ثعب الماء سال.. ففيه شبه من مجرى الماء الطويل الملتوي السريع في الحركة. والمبين: الواضح في ثعبانيَه من سرعة الحركة وطول القامة وهول المنظر رهيب

خطير!. ﴿**ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين**﴾: معجزة ثانية لموسى. مفسرة في قوله تعالى: وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء.. والنزع هنا: إخراج اليد بعد الإدخال في الجيب.

﴿**قال**﴾ ـ فرعون ـ ﴿**للملإ حوله: إن هذا لساحر عليم..**﴾ ساحر عليم: فائق في فن السحر. ﴿**يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره**﴾: فرعونُ يخوّف ملأه من سحر موسى.. فألقى إليهم مشورته بقوله: ﴿**فماذا تأمرون؟ قالوا: أرجه وأخاه**﴾: أخر أمرهما.. حتى يحضر مهرة السحرة من جميع المدن.. ﴿**وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحّار عليم..**﴾ السحار العليم: الفائق والبارز في فن السحر.. ﴿**فجمع السحرة لميقات يوم معلوم**﴾: هو اليوم الذي حدده موسى لهم في قوله: موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى.. ﴿**وقيل للناس: هل أنتم مجتمعون**﴾؟ هذا الاستفهام حث على المبادرة، وتحذير من الإبطاء والتخلف.. ﴿**لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين**﴾: رجا القوم أن تغلب السحرةُ موسى فيبقوا على ما هم عليه من سيادة السحرة فيتبعوهم.. ﴿**فلما جاء السحرة قالوا لفرعون: أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين**﴾: السحرة يطلبون من فرعون الأجر العظيم إن هم غلبوا موسى وأبطلوا سحره كما يظنون. ﴿**قال نعم**﴾: قال لهم فرعون مجيباً طلبهم: لكم ما طلبتم، وأكثر: ﴿**وإنكم إذاً لمن المقربين**﴾!.. فهو يغريهم ويمنيهم بما هو أكثر من الأجر. وهو أن يكونوا من خواصه المقربين.

﴿**قال لهم موسى: ألقوا ما أنتم ملقون**﴾: هذا القول قاله لهم بعد ما قالوا له: إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى.. ﴿**فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون**﴾: قد كانوا واثقين من نجاحهم معتمدين على عزة فرعون.. ﴿**فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون**﴾: ألقى موسى عصاه إلى الأرض فصارت ثعباناً مبيناً ابتلعت بسرعة كل ما ألقوه من حبال وعصى.. وهي مفاجأة عظيمة حصلت للقوم.. ﴿**فألقى السحرة ساجدين**﴾: إثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كان مُلْقِياً ألقاهم؛ لعلمهم بأن ذلك خارج عن حدود السحر.

﴿**قالوا آمنا برب العالمين**﴾: مصرحين بالإيمان الذي طلبه موسى منهم: ﴿**رب موسى وهارون**﴾ موضحين إيمانهم بما يرفع الإيهام عن إيمانهم السابق

بفرعون. ﴿**قال**﴾ ـ فرعون ـ: ﴿**أأمنتم له قبل أن آذن لكم**﴾؟! : يستنكر فرعون من السحرة إيمانهم وخضوعهم لموسى دون إذنه وإرادته تمسكاً بموقفه المنهار وخوفاً من اتباع القوم لهم في وضح النهار! . . فقال متهماً لهم: ﴿**إنه لكبيركم الذي علمكم السحر. . فلسوف تعلمون: لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين. .**﴾ ففرعون يوعد السحرة بأقصى ما عنده من الوعيد بعدما اتهمهم بأنهم متواطئون مع موسى متآمرون على فرعون من زمان بعيد! . . ولكن السحرة لم يبالوا بهذا التهديد ولم يمنعهم من الإيمان هذا الوعيد بل ﴿**قالوا: لا ضير**﴾: لا ضرر فيه علينا. . بل الأمر لله وحده. . ﴿**إنا إلى ربنا منقلبون: إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا: أن كنا أول المؤمنين! . . وأوحينا إلى موسى: أن أسر بعبادي إنكم متبعون. .**﴾ الإسراء: الذهاب آخر الليل. أو الليل كله.

ومتبعون: يتبعكم جنود فرعون. ﴿**فأرسل فرعون في المدائن حاشرين**﴾: فأرسل فرعون كبار جنوده ليجمعوا الجيش من كل مدينة ليكونوا على أهبة الاستعداد للخروج معه ليقطعوا دابر بني إسراءيل. . وقال: ﴿**إن هؤلاء لشرذمة قليلون. .**﴾ الشرذمة: الطائفة القليلة من الناس. . ﴿**وإنهم لنا لغائظون**﴾: فاعلون ما يغيظنا. والغيظ: الحقد الكامن في النفس ينشأ منه الكره الشديد. ﴿**وإنا لجميع حذرون**﴾: يريد فرعون أنهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم، ولكنهم يفعلون أفعالاً تغيظنا وتضيق صدورنا.

ونحن قوم عادتنا التيقظ والحذر والاستعمال الحزم في الأمور. . فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى إطفاء ثائرة فساده. وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن؛ لئلا يُظن به ما يكسر من قهره وسلطانه. ﴿**فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم**﴾: ترتب على خروجهم إخراجهم من مصر إخراجاً نهائياً، وتركوا كل ما كان لهم. . ﴿**كذلك وأورثناها بني إسراءيل**﴾: مثل ذلك الفعل فعلنا بفرعون وقومه وبموسى وقومه. . ﴿**فأتبعوهم مشرقين**﴾: مرتب على قوله: فأرسل فرعون في المدائن حاشرين؛ حيث خرج فرعون بجنوده عند شروق الشمس.

وقد خرج موسى ببني إسراءيل ليلاً. . ﴿**فلما تراءى الجمعان**﴾: لحق فرعون وقومه بني إسراءيل وتراءى الفريقان ﴿**قال أصحاب موسى إنا لمدركون**﴾: قال أصحاب موسى لموسى: إنا لمدركون. . فلا نجاة من القوم! ﴿**قال**﴾ ـ موسى ـ:

﴿**كلا:**﴾ ردعاً لهم وزجراً عما طرقهم من الخوف والهلع!. ﴿**إن معي ربي سيهدين**﴾: إن معي ربي سيرشدني إلى طريق الخلاص: ﴿**فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم..**﴾ فضرب موسى البحر بعصاه فانفلق فرقاً وصار بين كُلِّ طريقاً يبساً.

وصار كل فرق كالطود العظيم.. الطود: الجبل. والعظيم: العالي الشامخ الراسخ ﴿**وأزلفنا ثم الآخرين**﴾: وقربنا هناك قوم فرعون ليسيروا خلف أصحاب موسى.. فخرج موسى ومن معه: ﴿**وأنجينا موسى ومن معه أجمعين.. ثم أغرقنا الآخرين**﴾: عندما دخل فرعون وقومه الطريق اليبس التي سار فيها موسى ومن معه أطبق الله عليهم البحر.. فأغرقوا جميعاً!: ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾: هذه المرة الثانية عقب قصة موسى وفرعون تأتي هذه الآية عبرة للسامع وموعظة للغافل!.

﴿**واتل عليهم نبأ إبراهيم: إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون**﴾؟!: واتل يا محمد على المشركين نبأ إبراهيم ذلك الخبر المهم الذي غفل عنه هؤلاء، حين قال لأبيه آزر وقومه الذين بعث إليهم رسولاً: ما تعبدون؟ ﴿**قالوا: نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين**﴾: تقدم هذه الحوار بين إبراهيم وأبيه وقومه عدة مرات.. ﴿**قال هل يسمعونكم إذ تدعون؟!.. أو ينفعونكم أو يضرون؟!.. قالوا: بل وجدنا آباءَنا كذلك يفعلون!.. قال**﴾ - إبراهيم - ﴿**أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون.. فإنهم عدو لي إلا رب العالمين..**﴾ فإبراهيم عليه السلام عدو للأصنام.. لكن الله رب العالمين ليس عدواً لإبراهيم.. بل هو خليل له حميم: ﴿**الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحييني والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين..**﴾ فقد بين إبراهيم الأوصاف التي تكون للرب الحق الذي يقول عنه موسى رب العالمين ويقول عنه إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت ويعمل كيت وكيت.. أما آلهتكم المدّعاة فلا قيمة لها: لا تضر من يرفضها ولا تنفع من يعبدها.. فهي أصنام وأوهام.. وخيالات تراءت لبني الإنسان من عدوهم الشيطان.. ﴿**رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين**﴾: بعدما ذكر إبراهيم - عليه السلام - لقومه فنون الإلطاف الفائضة عليه من الله عزّ وجلّ من مبدإ خلقه إلى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاة ربه ودعائه؛ لربط العتيد وجلب المزيد.

والحُكْمُ: الحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق. وطلب إلحاقه بالصالحين: الجمع بينه وبينهم في الجنة.. ومعنى ﴿**واجعل لي لسان صدق في الآخرين**﴾: اجعل لي جاهاً وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقي أثره إلى يوم الدين. ﴿**واجعلني من ورثة جنة النعيم**﴾: اجعلني من الذين يرثون الفردوس كما وعد الله المؤمنين.. ﴿**واغفر لأبي إنه كان من الضالين**﴾: قد كان إبراهيم يدعو لأبيه بالهداية.. حتى تبين له أنه عدو لله.. ﴿**ولا تخزني يوم يبعثون: يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾: في هذا الدعاء بيان لما في هذا اليوم من الجزاء.. فهو تهويل وتحذير وتمهيد لما يأتي بعده من الوعد والوعيد. ﴿**وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين..**﴾ فمعنى أزلفت: قربت.

ومعنى بُرّزت: جعلت بارزة ظاهرة.. والغاوون: الضالون عن طريق الهدى. والغاوي: الهائم في شهواته وملذاته في الدنيا. ﴿**وقيل لهم: أينما كنتم تعبدون من دون الله**﴾؟: أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شفعاؤكم في هذا الموقف!.. ﴿**هل ينصرونكم؟ أو ينتصرون**﴾؟ هذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب.. ﴿**فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون..**﴾ فكبكبوا: ألقوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد أخرى إلى أن يستقروا فيها. هم: الأصنام. والغاوون: عبدة الأصنام. وجنود إبليس: دعاة الضلال.. ﴿**قالوا ـ وهم فيها يختصمون ـ: تالله إن كنا لفي ضلال مبين: إذ نسويكم برب العالمين..**﴾ قال الغاوون العابدون للمعبودين ـ معترفين بخطئهم ـ: هذا القول الذي يدل على خيبتهم وسوء حالتهم!.. ﴿**وما أضلنا إلا المجرمون..**﴾ المجرمون: الذين أجرموا.. فسولوا للناس الضلال وزينوا لهم ما ساء من أعمال.. وهم القادة والزعماء والرؤساء وغواة السفهاء من النساء والرجال!.. ﴿**فما لنا من شافعين ولا صديق حميم..**﴾ فقد بلغ بهم اليأس مبلغاً أعلنوه على رؤوس الأشهاد.. ﴿**فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين..**﴾ فهو تمنٍّ في غير محله.. وإنما هو إظهار للتحسر والتألم مما لاقوه من سوء الموقف وهوله.

﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾: الآية الثالثة من الآيات التي تعقب كل ذكر دعوة رسول من الرسل التي عرضت

قصصهم لأهل مكة.. ﴿**كذبت قوم نوح المرسلين: إذ قال لهم أخوهم نوح: ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين.. فاتقوا الله وأطيعوني وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين.. فاتقوا الله وأطيعوني**﴾: بعدما ذكر قصة إبراهيم ذكر قصة نوح.. وتقدم ذكر قصة نوح بالتفصيل في سورة هود وسورة الأنبياء.. فعرض هنا مقالته لقومه.. ﴿**قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون**﴾: هذه مقالة قومه له.. والأرذلون: جمع أرذل. وتقدم هذا القول في سورة هود: وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي.

وهم الدُّونُ من الناس أرباب الحرف الخسيسة من الفقراء والضعفاء! ﴿**قال**﴾ ـ نوح ـ: ﴿**وما علمي بما كانوا يعملون**﴾؟! هذا جواب عما أشير إليه من قولهم. ﴿**إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون**﴾: ما حسابهم على أحد إلا على ربي.. لو كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك.. ولكنكم لستم كذلك.. فتقولون ما تقولون!.. ﴿**وما أنا بطارد المؤمنين**﴾: جواب عما أوهمه كلامهم من استدعاء طردهم. وقوله: ﴿**إن أنا إلا نذير مبين**﴾ كالعِله. والمعنى: ما عليّ إلا إنذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما عليّ استرضاء بعضكم بنظر الآخرين.

﴿**قالوا: لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين..**﴾ فهو إصرار منهم على تكذيبه حيث هددوه بالقتل بالحجارة. وهو أشنع حكم يحكم به على جريمة عظيمة!. ﴿**قال رب: إن قومي كذبوني.. فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين**﴾: هذه حكاية إجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح.. ﴿**فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون**﴾: تعقيب على دعاء نوح بالفتح بينه وبين قومه. والمشحون: المملوء. وهو معنى قوله: فاسلك فيها من كل زوجين اثنين.. ﴿**ثم أغرقنا بعدُ**﴾ ـ بعد ذلك ـ ﴿**الباقين**﴾: من بقي خارج الفلك.

﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾: هذه الآية الرابعة من الآيات التي أُنذِرَا بها أهل مكة.. ﴿**كذبت عاد المرسلين: إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين.. فاتقوا الله وأطيعوني وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين**﴾: الكلام في هذه القصة كما مر في القصة السابقة. والقصد منه التنبيه على أن مبنى البعثة هو الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو إلى الثواب ويبعده من العقاب. وأن

الأنبئاء عليهم السلام مجمعون على ذلك.. وأنهم منزهون عن المطامع الدنية والأغراض الدنيوية بالكلية.

﴿**أتبنون بكل ريع آية تعبثون**﴾؟: هذه مقالة هود لقومه عاد يستفهم عما هم فيه من ترف وتمتع زائد عن القصد والاعتدال.. فهم يبنون ويشيدون ويتظاهرون بزخارف الدنيا ونعيمها من بناء القصور وتعبيد الطريق وتشييد المصانع راجين أن تخلدوا في الدنيا!.. وزيادة على هذا: ﴿**وإذا بطشتم بطشتم جبارين!.. فاتقوا الله وأطيعون..**﴾ فهذه هي دعوتي.. وأنتم تفعلون ما تفعلون غافلين عن مآلكم ومصيركم! ﴿**واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون: أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون..**﴾ فالله سبحانه أمد الناس بما فيه خيرهم، والناس عبثوا فيه وأترفوا وعملوا أشياء عبثاً لا فائدة منها.. فلو فعلوا ما أمروا به لحصلت لهم الوقاية مما كان سبباً في هلاكهم.. فإن ما جاءت به الرسل هو المطلوب اتباعه والعمل بمقتضاه: ﴿**إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**﴾! في الدنيا والآخرة. ﴿**قالوا: سواء علينا: أوعظت أم لم تكن من الواعظين**﴾؟!.. فإنا باقون على ما نحن عليه.. فسواء علينا وعظك وعدمه!: ﴿**إن هذا إلا خلق الأولين..**﴾ فما نحن عليه هي العادة المعروفة والخطة المألوفة! فما نحن بمعذبين حسب ما تنذر وتخوّف من العذاب العظيم! ﴿**فكذبوه.. فأهلكناهم**﴾!..

﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾: هذه هي الآية الخامسة من آيات الإنذار والتحذير. ﴿**كذبت ثمود المرسلين: إذ قال لهم أخوهم صالح: ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين.. فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربّ العالمين**﴾: مقالة صالح لقومه ثمود مثل مقالة هود لقومه عاد.. وقبلهما مقالة نوح لقومه..

﴿**أتتركون فيما ها هنا آمنين؟: في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم..**﴾ فأنكر صالح على قومه ما فيه من الخيرات وما هم عليه من الكفر والمنكرات.. فحذرهم عاقبة هذه من المهلكات! ﴿**وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين..**﴾ فهو يحذرهم من بطر النعمة وفراهة الطلعة ونسيان النقمة.. ﴿**فاتقوا الله وأطيعون.. ولا تطيعوا أمر المسرفين: الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون..**﴾ فالفرق بين طاعة هود وطاعة غيره فرق الضد لضده.. فالمسرف:

الخارج عن القصد. وهو المفسد الذي لا يكون في عمله أيُّ صلاح ﴿**قالوا: إنما أنت من المسحرين: ما أنت إلا بشر مثلنا**﴾!.. فهم ينكرون عليه دعوته، ويؤكدون أنه مسحور، مأخوذ العقل.. فيهرف بما لا يعرف!.. فهو مثلهم في البشرية.. فما له يتسلط عليهم ويأمرهم بشيء لا يعرفونه هم ولا آباؤهم.. ﴿**فَأْتِ بآية إن كنت من الصادقين**﴾! قال ـ صالح ـ: ﴿**هذه ناقة.. لها شرب**﴾: حظ وحصة من السقي.. ﴿**ولكم شرب يوم معلوم..**﴾ فشرب يومها خاص بها.. وشرب يومكم لكم.

﴿**ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم! فعقروها.. فأصبحوا نادمين.. فأخذهم العذاب**﴾!: تقدم معنى هذا بالتفصيل في سورة هود. ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾: هذه الآية السادسة من آيات الإنذار والتحذير.. ﴿**كذبت قوم لوط المرسلين: إذ قال لهم أخوهم لوط: ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين.. فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربّ العالمين**﴾. كلمة لوط هذه مثل كلمة صالح وهود ونوح من قبله. ﴿**أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم.. بل أنتم قوم عادون**﴾: تختلف كلمات الرسل لقومهم على حسب ما ظهر منهم من قبائح الفسق والفجور.

وقوم لوط هم الذين اخترعوا وابتدعوا عملية إتيان الذكور.. فسميت بفعل قوم لوط. واشتقت منها كلمة اللواطية!.. ﴿**قالوا: لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين**﴾!.. فهو تهديد منهم له ـ عليه السلام ـ. ﴿**قال**﴾ ـ لوط لهم ـ: ﴿**إني لعملكم من القالين..**﴾ القالي: الكارهُ والمبغض للعمل القبيح الفظيع! كأنه من شدته يقلي الفؤاد والكبد. ﴿**رب نجني وأهلي مما يعملون**﴾: أعرض لوط عن محاورتهم واتجه إلى الله طالباً منه النجاة له ولأهله.. ﴿**فنجيناه وأهله أجمعين.. إلا عجوزاً في الغابرين..**﴾ العجوز هنا: المرأة المسنّة. ومعنى في الغابرين: من الباقين في العذاب. وهذه العجوز هي امرأة لوط.. ﴿**ثم دمرنا الآخرين**﴾: غير الناجين مع لوط عليه السلام.

﴿**وأمطرنا عليهم مطراً**﴾ ـ غير معهود ـ حيث رموا بحجارة من نار.. ﴿**فساء مطر المنذرين!.. إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز**

الرحيم﴾: هذه الآية السابعة من آيات الإنذار والتحذير: **﴿كذب أصحاب ليكة المرسلين: إذ قال لهم شعيب: ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين. . فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربّ العالمين﴾**: كلمة شعيب هنا مثل كلمة من سبقه من الرسل لقومهم. وأصحاب الأيكة: قوم شعيب. والأيكة: الأرض المغطاة بالشجر. وليكة: تخفيف الأيكة. وقيل: القرية. . **﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين. وزنوا بالقسطاس المستقيم. ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾**.

﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين﴾: كلمة شعيب هنا تختلف عن كلمة لوط؛ لأن قوم شعيب فعلتهم أخذ الأموال وغصب حقوق الناس وإفساد المعاملات بينهم. . ومعنى واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين: اتقوا الله الذي خلقكم وخلق أصلكم من الآباء والأجداد. . **﴿قالوا: إنما أنت من المسحرين﴾**: هذه المقالة مثل مقالة قوم صالح لصالح. . والمسحّر: من تكررت عليه عملية السحر. . حتى ذهب عقله. . فصار لا يدري ما يعمل من قول أو فعل. **﴿وما أنت إلا بشر مثلنا﴾**: شيئان مانعان من صحة ما تقول لنا: أنك مسحرّ. . وأنك بشر مثلنا لا تختص بشيء زائد.

﴿وإن نظنك من الكاذبين!. . فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين. .﴾ الكسف: القطعة من الشيء. وتجمع على كِسَفٍ. والكسف: السحابة المظلمة. **﴿قال﴾** ـ شعيب ـ: **﴿ربي أعلم بما تعلمون. . فكذبوه. . فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾**: هذا ما طلبوه من شعيب. وهو أن يسقط عليهم كسفاً من السماء. . فالظلة هنا: السحابة التي أهلكتهم بما فيها من حر ونار. . **﴿إنه كان عذاب يوم عظيم!. . إن في ذلك الآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾**: هذه الآية الثامنة والأخيرة من الآيات التي أنذرت بها قريش وأنذروا بالعذاب. . فلم تنفعهم الموعظة ولم يسمعوا هذا الإنذار والتحذير!.

مبحث الإعراب

﴿طسم﴾ حروف مسرودة لا محل لها من الإعراب. **﴿تلك﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿آياتُ﴾** خبر المبتدإ. **﴿الكتاب﴾** مضاف إلى آيات. **﴿المبين﴾** نعت

للكتاب. ﴿**لعلك**﴾ لعل واسمها. ﴿**باخع**﴾ خبر لعل. ﴿**نفسَك**﴾ مفعول باسم الفاعل. ﴿**ألاّ يكونوا**﴾ يكون فعل مضارع ناقص. وواو الجماعة اسم يكون. والفعل منصوب بأن المصدرية، ومنفى بلا. ﴿**مؤمنين**﴾ خبر يكون. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء السببية متعلق بباخع. والتقدير: لعلك باخع نفسك بسبب عدم إيمانهم بما جئت به.. وجملة لعلك باخع نفسك تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**إن**﴾ حرف شرط جازم. ﴿**نشأ**﴾ فعل الشرط مجزوم بالسكون. والفاعل نحن. ﴿**ننزل**﴾ جواب الشرط مجزوم بالسكون.. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بننزل. ﴿**من السماء**﴾ كذلك. ﴿**آية**﴾ مفعول به. ﴿**فظلت**﴾ فعل ماض من أخوات كان. والفاء للتعقيب.

﴿**أعناقُهم**﴾ اسم ظلت. ﴿**لها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**خاضعين**﴾ خبر ظلت. ﴿**وما يأتيهم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي وواو العطف. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**من ذكر**﴾ فاعل يأتي جُرّ بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**من الرحمان**﴾ متعلق بيأتي. ﴿**محدث**﴾ نعت لذكر باعتبار لفظه. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**عنه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**معرضين**﴾ خبر كان. ﴿**فقد كذبوا**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف التحقيق وفاء التعقيب. ﴿**فسيأتيهم**﴾ فعل مضارع اتصل به سين الاستقبال وفاء الترتيب. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**أنباءُ**﴾ فاعل يأتي. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل جر مضاف إلى أنباء. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**به**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يستهزئون**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل نصب خبر كان. وجملة كانوا به يستهزئون صلة ما.

﴿**أولم يروا**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف النفي وواو العطف وحرف الاستفهام. إلى ﴿**الأرض**﴾ متعلق بيروا. ﴿**كم**﴾ في محل نصب مفعول بأنبتنا. ﴿**فيها من كل**﴾ متعلقان بأنبتنا ﴿**زوج**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**كريم**﴾ نعت لزوج. ﴿**إنَّ**﴾ حرف توكيد ونصب. ﴿**في ذلك**﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**لآيةً**﴾ اسم إنّ منصوب بالفتحة دخلت عليه لام التوكيد. ﴿**وما**﴾ الواو للعطف وما نافية. ﴿**كان**﴾ فعل ماض ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر. ﴿**أكثرُهم**﴾ اسم كان مرفوع بالضمة. والضمير المتصل به مضاف إليه.

﴿**مؤمنين**﴾ خبر كان منصوب بالياء. ﴿**وإنّ ربك**﴾ إنّ واسمها. والواو

للعطف. ﴿لهو﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿العزيز﴾ خبر المبتدإ. ﴿الرحيم﴾ خبر بعد خبر. والجملة من المبتدإ والخبر في محل رفع خبرُ إنَّ. واللام في لهو للتوكيد. ﴿وإذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمان في محل نصب. متعلق بفعل مقدر: واذكر.. ﴿نادى ربُّك موسى﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿أن﴾ حرف تفسير ﴿ائت﴾ فعل أمر مبني على حذف الياء. ﴿القومَ﴾ مفعول به. ﴿الظالمين﴾ نعت للقوم. ﴿قومَ﴾ بدل من القوم. ﴿فرعون﴾ مضاف إلى قوم مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة. ﴿ألا يتقون﴾ فعل وفاعل، دخل عليه حرف النفي وحرف الاستفهام. ﴿قال﴾ فاعله ضمير يعود على موسى. ﴿رب﴾ منادى حذف منه حرف النداء وياء المتكلم تخفيفاً. ﴿إني﴾ إنّ واسمها.

﴿أخافُ﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. والجملة في محل رفع خبرُ إنّ. ﴿أن يكذبوني﴾ فعل وفاعل ومفعول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول بأخاف. وجملة إني أخاف أن يكذبوني مقول القول، ﴿ويضيق﴾ معطوف على أخافُ. ﴿صدري﴾ فاعل يضيق مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة. ﴿ولا ينطلق لساني﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿فأرسل﴾ فعل دعاء. ﴿إلى هارون﴾ متعلق بأرسل. ﴿ولهم عَلَيّ﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ذنبٌ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿فأخاف﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. وهو موسى. والفاء للتعقيب. ﴿أن يقتلوني﴾ مثل أن يكذبوني في الإعراب. ﴿قال﴾ فاعله ضمير يعود على الله. ﴿كلا﴾ حرف ردع. ﴿فاذهبا﴾ أمر إلى موسى وهارون. ﴿بآياتنا﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿إنا﴾ إن واسمها. ﴿معكم﴾ متعلق بمحذوف خبر ثان قدم على الخبر الأول. ﴿مستعمون﴾ وهما خبران لأنّ. ﴿فأتيا﴾ مرتب على فاذهبا. ﴿فرعون﴾ مفعول به. ﴿فقولا﴾ مرتب على فأتيا. ﴿إنا﴾ إن واسمها. ﴿رسولُ﴾ خبرها. ﴿رب﴾ مضاف إلى رسول. ﴿العالمين﴾ مضاف إلى رب. ﴿أنْ﴾ حرف تفسير. ﴿أرسل﴾ فعل أمر لفرعون. ﴿معنا﴾ متعلق بأرسل. ﴿بني﴾ مفعول به منصوب بالياء. ﴿إسراءيل﴾ مضاف إلى بني مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة. ﴿قال﴾ فاعله ضمير يعود على فرعون. ﴿ألم نربّك﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي الجازم وحرف الاستفهام. والفعل مجزوم بحذف الياء والضمير المتصل به مفعول والفاعل نحن. ﴿فينا﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿وليداً﴾ حال من الضمير المفعول.

﴿ولبثت﴾ فعل وفاعل معطوف على نربك. **﴿فينا﴾** متعلق بلبثت. **﴿من عمرك سنين﴾** ظرف زمان. أي: مدة طويلة من عمرك. **﴿وفعلت فعلتك﴾** فعل وفاعل ومفعول. **﴿التي﴾** في محل نصب نعت لفعلتك. **﴿فعلت﴾** فعل وفاعل صلة التي. والرابط مقدّر والتقدير: التي فعلتها. **﴿وأنت﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿من الكافرين﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. والجملة من المبتدإ والخبر حال من الفاعل. **﴿قال﴾** فاعله ضمير يعود على موسى. **﴿فعلتها﴾** فعل وفاعل ومفعول. والجملة مقول القول. **﴿إِذَنْ﴾** أداة جواب. **﴿وأنا﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿من الضالين﴾** متعلق بمحذوف خبر المتبدإ والجملة حال من الفاعل. **﴿ففررت﴾** فعل وفاعل والفاء للتعقيب. **﴿منكم﴾** متعلق بففررت. **﴿لمّا﴾** ظرف متعلق بففررت. **﴿خفتكم﴾** فعل وفاعل ومفعول. **﴿فوهب﴾** مرتب على قوله: ففرت... **﴿لي﴾** متعلق بوهب. **﴿ربي﴾** فاعل وهب. **﴿حكماً﴾** مفعول به. **﴿وجعلني﴾** معطوف على قوله: فوهب... **﴿من المرسلين﴾** متعلق بجعلني. **﴿وتلك﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿نعمة﴾** خبر المبتدإ. **﴿تمنّها﴾** فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير المخاطب. **﴿عليّ﴾** متعلق بتمنّها. **﴿أنْ عبّدت بني﴾** فعل وفاعل ومفعول. وأن ما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع بدل من نعمة. وجملة تمنها عليّ نعت لنعمة. **﴿قال فرعون: وما﴾** اسم استفهام في محل رفع مبتدأ والواو للعطف. **﴿رب﴾** خبر المبتدأ. **﴿العالمين﴾** مضاف إلى رب. **﴿قال﴾** فاعله ضمير يعود على موسى. **﴿رب﴾** خبر لمبتدإ محذوف. **﴿السماوات﴾** مضاف إلى رب. **﴿والأرض﴾** معطوف على السماوات. **﴿وما﴾** في محل جر عطف على السماوات والأرض. **﴿بينهما﴾** متعلق بمحذوف صلة ما. **﴿إن كنتم﴾** كان واسمها دخل عليها حرف الشرط. **﴿موقنين﴾** خبر كان. وجوابها مقدّر يعرف من السياق. **﴿قال﴾** فاعله ضمير يعود على فرعون. **﴿لمن﴾** متعلق بقال. **﴿حوله﴾** متعلق بمحذوف صلة مَنْ. **﴿ألا تستمعون﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وحرف الاستفهام وجملة ألا تستمعون مقلو القول. **﴿قال﴾** فاعله ضمير يعود على موسى. **﴿ربكم﴾**خبر لمبتدإ محذوف. **﴿وربُّ﴾** معطوف على ربكم. **﴿آبائكم﴾** مضاف إلى رب. **﴿الأولين﴾** نعت لآبائكم. **﴿قال﴾** فرعونُ. **﴿إن رسولكم﴾** إن واسمها. **﴿الذي﴾** في محل نصب نعت لرسولكم. **﴿أرسل﴾** فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير يعود على الرسول. والجملة صلة الذي **﴿إليكم﴾**

متعلق بأرسل. ﴿**لمجنون**﴾ خبر إنّ وكل الجمل التي بعد قال مقول القول. ﴿**قال**﴾ ـ موسى ـ ﴿**رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون**﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين. ﴿**قال**﴾ ـ فرعون ـ ﴿**لئن اتخذت إلهاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط ولام القسم. ﴿**غيري**﴾ نعت لقوله إلهاً منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة. وياء المتكلم مضافة إلى غير مبنية على السكون في محل جر. ﴿**لأجعلنك**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير المتكلم. والجملة واقعة في جواب القسم لوجود اللام فيه. وجواب الشرط استغنى عنه بجواب القسم. ﴿**من المسجونين**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**قال**﴾ ـ موسى ـ ﴿**أولو جئتك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه لو الوصلية وواو العطف وهمزة الاستفهام. ﴿**بشيء**﴾ متعلق بجئتك ﴿**مبين**﴾ نعت لشيء. ﴿**قال**﴾ ـ فرعونُ ـ: ﴿**فأت**﴾ أمر لموسى. والفاء للتعقيب. ﴿**به**﴾ متعلق بائت. ﴿**إن كنت**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف الشرط. ﴿**من الصادقين**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. وجواب الشرط مقدر. يدل عليه قوله: فأت به. ﴿**فألقى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على موسى. ﴿**عصاه**﴾ مفعول به. والجملة مرتبة على ما قبلها.

﴿**فإذا**﴾ فجائية دخل عليها فاء التعقيب. ﴿**هي**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**ثعبانٌ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**مبين**﴾ نعت لثعبان. و﴿**نزع**﴾ عطف على ألقى. ﴿**يده**﴾ مفعول به. ﴿**فإذا هي بيضاء**﴾ إعرابها مثل إعراب فإذا هي ثعبان. ﴿**للناظرين**﴾ متعلق بمحذوف نعت لبيضاء. ﴿**قال**﴾ ـ فرعونُ ﴿**للملإ**﴾ متعلق بقال. ﴿**حوله**﴾ ظرف مكان متعلق بمحذوف حال من الملإ. ﴿**إن هذا**﴾ إن واسمها. ﴿**لساحر**﴾ خبر إنّ دخل عليه لام التوكيد. ﴿**عليم**﴾ نعت لساحر. ﴿**يريد**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ساحر. ﴿**أن يخرجكم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن المصدرية. والضمير المتصل بالفعل مفعول، والفاعل هو فاعل يريد. ﴿**من أرضكم**﴾ متعلق بيخرجكم. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يريد.

﴿**بسحره**﴾ متعلق بيخرجكم. ﴿**فماذا**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**تأمرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفعل. ﴿**أرجه**﴾ فعل أمر مبني على حذف الياء. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**وأخاه**﴾ معطوف على الضمير المنصوب. ﴿**وابعث**﴾ معطوف على أرجه. ﴿**في المدائن**﴾ متعلق بابعث. ﴿**حاشرين**﴾ مفعول به. ﴿**يأتوك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفعل مجزوم في جواب الأمر. ﴿**بكل**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**سحار**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**عليم**﴾ نعت لسحار. ﴿**فجمع**﴾ فعل ماض مبني للمجهول مرتب على ما قبله. ﴿**السحرة**﴾ نائب الفاعل. ﴿**لميقات**﴾ متعلق بجمع. ﴿**يوم**﴾ مضاف إلى ميقات. ﴿**معلوم**﴾ نعت ليوم. ﴿**وقيل**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**للناس**﴾ متعلق به. ﴿**هل**﴾ حرف استفهام. ﴿**أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿**مجتمعون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**لعلنا**﴾ لعل واسمها. نتبع﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والجملة خبر لعل. ﴿**السحرة**﴾ مفعول به. ﴿**إن كانوا**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف الشرط. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**الغالبين**﴾ خبر كان. وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله.. ﴿**فلما جاء السحرة**﴾ فعل وفاعل دخل عليه الظرف المتضمن معنى الشرط. والفاء للتعقيب. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل جواب الشرط. ﴿**لفرعون**﴾ متعلق بقالوا. ﴿**أئن**﴾ حرف توكيد ونصب دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**لنا**﴾ متعلق بمحذوف خبرُ إنّ. ﴿**لأجراً**﴾ اسم إنّ مؤخر. واللام للتوكيد. ﴿**إن كنا**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف الشرط. ﴿**نحن**﴾ ضمير فصل. ﴿**الغالبين**﴾ خبر كان.

وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله.. ﴿**قال**﴾ ـ فرعون ـ: ﴿**نعم**﴾ حرف جواب، يؤتى به للإيجاب. ﴿**وإنكم**﴾ إن واسمها. ﴿**إذنْ**﴾ أداة جواب وجزاء هنا. ﴿**لمن المقربين**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**قال لهم**﴾ متعلق بقال. ﴿**موسى**﴾ فاعل قال. ﴿**ألقوا**﴾ أمر للمخاطبين. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول ألقوا. ﴿**أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**ملقون**﴾ خبر المبتدإ. والجملة صلة ما. ﴿**فألقوا حبالهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على ما قبله. ﴿**وعصيهم**﴾ معطوف على حبالهم. ﴿**وقالوا**﴾ معطوف على ألقوا. ﴿**بعزة**﴾ متعلق بما بعده من قولهم: إنا نحن الغالبون. ﴿**فرعون**﴾ مضاف إلى عزة. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لنحن**﴾ ضمير فصل. ﴿**الغالبون**﴾ خبر إنّ.

﴿فألقى موسى عصاه﴾ فعل وفعل ومفعول. ﴿فإذا هي﴾ تقدم إعراب فإذا هي قريباً. ﴿تلقف﴾ فعل مضارع حذفت منه إحدى التاءين. والفاعل ضمير يعود على عصاه. والجملة خبر هي. ﴿ما﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿يأفكون﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿فألقى﴾ الفعل ونائبه الفاعل. ﴿السحرةُ﴾ مرتب على ما قبله.. ﴿ساجدين﴾ حال من السحرة. ﴿قالوا﴾ فعل وفاعل. ﴿آمنا﴾ فعل وفاعل. ﴿برب﴾ متعلق بآمنا. ﴿العالمين﴾ مضاف إلى رب. وجملة آمنا برب العالمين مقول القول. وجملة قالوا آمنا بدل اشتمال من أُلقي. ﴿رب﴾ بدل من ربّ العالمين. ﴿موسى﴾ مضاف إلى رب. ﴿وهارونَ﴾ معطوف على موسى مجرور بالفتحة. ﴿قال﴾ - فرعون - ﴿آآمنتم﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿له﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿قبل﴾ متعلق بآمنتم. ﴿أن آذن﴾ فعل مضارع منصوب بأن المصدرية. والفاعل ضمير المتكلم. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى الظرف. ﴿لكم﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿إنه﴾ إنّ واسمها. ﴿لكبيركم﴾ خبرُ إنّ. واللام للتوكيد. ﴿الذي﴾ في محل رفع نعت لكبير. ﴿علمكم﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على كبيركم. ﴿السحر﴾ مفعول ثانٍ. وجملة علمكم صلة الموصول ﴿فلسوف تعلمون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التسويف ولام القسم وفاء التعقيب. ﴿لأقطعنّ﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. واللام للقسم. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿أيديكم﴾ مفعول به.

﴿وأرجلكم﴾ معطوف على أيديكم. من خلاف. الجار والمجرور في محل نصب حال من الأيد والأرجل. أي: مختلفةً. ﴿ولأصلبنكم﴾ معطوف على لأقطعن.. أجمعين توكيد للضمير المنصوب. ﴿قالوا﴾ فعل وفاعل. ﴿لا ضير﴾ لا نافية للجنس. وضير اسمها مبني على الفتح في محل نصب. وخبرها مقدر؛ تقديره: لا ضرر كائن فيه علينا. ﴿إنّا﴾ إنّ واسمها. ﴿إلى ربنا﴾ متعلق بما بعده: ﴿منقلبون﴾ خبرُ إنّ. وجملة إنا إلى ربنا منقلبون تعليلية. ﴿إنا﴾ إنّ واسمها. ﴿نطمع﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والجملة خبر إنّ. وجملة إنا نطمع تعليل ثان. ﴿أن يغفر﴾ فعل مضارع منصوب بأن المصدرية. ﴿لنا﴾ متعلق بيغفر.

﴿**ربنا**﴾ فاعل يغفر. ﴿**خطايانا**﴾ مفعول به. ﴿**إن كنا**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف المصدر، ﴿**أول**﴾ خبر كان. ﴿**المؤمنين**﴾ مضاف إلى أول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بيغفر. وتقدير الكلام: إنا نطمع في غفران خطايانا لكوننا أول المؤمنين لموسى من قوم فرعون. ﴿**وأوحينا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**إلى موسى**﴾ متعلق بأوحينا. ﴿**أنْ**﴾ حرف تفسير. ﴿**أسر**﴾ أمر لموسى من الله. والجملة مفسَّرة لا محل لها من الإعراب. ﴿**بعبادي**﴾ متعلق بأسر. ﴿**إنكم**﴾ إن واسمها. ﴿**متبعون**﴾ خبر إنّ. والجملة تعليل للأمر. ﴿**فأرسل فرعونُ**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿ **في المدائن**﴾ متعلق بأرسل.

﴿**حاشرين**﴾ مفعول به. ﴿**إنّ**﴾ حرف توكيد ونصب. ﴿**هؤلاءِ**﴾ مبني على الكسر في محل نصب اسم إنّ. ﴿**لشرذمة**﴾ خبر إنّ. والكلام لتوكيد الخبر. ﴿**قليلون**﴾ نعت لشرذمة. ﴿**وإنهم**﴾ إن واسمها. ﴿**لنا**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**لغائظون**﴾ خبرُ إنّ. ﴿**وإنّا لجميع**﴾ إن واسمها وخبرها. ﴿**حذرون**﴾ خبر ثانٍ لإنَ. والجملة معطوفة على قوله: إن هؤلاء.. ﴿**فأخرجناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة مرتبة على ما قبلها. ﴿**من جنات**﴾ متعلق بأخرجناهم. ﴿**وعيون وكنوز ومقام**﴾ معطوفات على جنات. ﴿**كريم**﴾ نعت لمقام. ﴿**كذلك**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف. أي: الأمر مثلُ ذلك. وذلك في محل جر بالكاف.

﴿**وأورثناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**بني**﴾مفعول لأورثنا. والتقدير: وأورثنا بني إسراءيل ما ذكر.. ﴿**فأتبعوهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة مرتبة على قوله: أن أسر بعبادي إنكم متبعون. ﴿**مشرقين**﴾ حال من واو الجماعة. ﴿**فلما تراءى الجمعان**﴾ فعل وفاعل. والجملة فعل شرط لمّا. والفاء للتعقيب. ﴿**قال أصحاب**﴾ فعل وفاعل جواب الشرط. ﴿**موسى**﴾ مضاف إلى أصحاب. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لمدركون**﴾ خبرها. والجملة مقول القول. ﴿**قال**﴾ ـ موسى ـ: ﴿**كلا**﴾ حرف ردع. ﴿**إن معي**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**ربي**﴾ اسمها مؤخّر. منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة. وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى رب. ﴿**سيهدين**﴾ فعل مضارع. دخل عليه حرف الاستقبال. والنون للوقاية. وياء المتكلم المحذوفة

للتخفيف مفعول به. والفاعل ضمير يعود على ربي. ﴿**فأوحينا**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**إلى موسى**﴾ متعلق بأوحينا. ﴿**أن اضرب**﴾ مثل أن أسر في الإعراب. ﴿**بعصاك**﴾ متعلق باضرب. ﴿**البحر**﴾ مفعول به.

﴿**فانفلق**﴾ مرتب على فعل مقدر. والتقدير: فضرب فانفلق والفاعل ضمير يعود على البحر: ﴿**فكان**﴾ كلٌّ كان واسمها. ﴿**فرق**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**كالطود**﴾ الكاف في محل نصب خبر كان. والطود مجرور بالكاف. ﴿**العظيم**﴾ نعت للطود. والجملة مرتبة على ما قبلها. ﴿**وأزلفنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**ثم**﴾ ظرف متعلق بأزلفنا. ﴿**الآخرين**﴾ مفعول به. ﴿**وأنجينا موسى**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**ومَنْ**﴾ في محل نصب معطوف على موسى. ﴿**معه**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. ﴿**أجمعين**﴾ توكيد لمَنْ. ﴿**ثم أغرقنا الآخرين**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف بثم على أنجينا. ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾ تقدم إعراب مثلها.

﴿**واتل**﴾ أمر للرسول. والفعل مبني على حذف الواو. وهو معطوف على ما سبق من قوله: وإذ نادى ربك موسى المقدر قبله فعل واذكر. ﴿**عليهم**﴾ متعلق باتل. ﴿**نبأَ**﴾ مفعول به. ﴿**إبراهيم**﴾ مضاف إلى نبأ. مجرور بالفتحة. ﴿**إذ**﴾ متعلق باتل. ﴿**قال**﴾ - إبراهيم - ﴿**لأبيه**﴾ متعلق بقال. ﴿**وقومه**﴾ معطوف على أبي إبراهيم. ﴿**ما**﴾ اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم ﴿**تعبدون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**قالوا: نعبد أصناماً**﴾ مفعول به. ﴿**فنظل**﴾ مرتب على نعبد. ﴿**لها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**عاكفين**﴾ حال من فاعل نظل. ﴿**قال**﴾ - موسى -: ﴿**هل يسمعونكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**إذ**﴾ ظرف متعلق بيسمعونكم. ﴿**تدعون**﴾ فعل وفاعل. والجملة مضافة إلى الظرف. ﴿**أو ينفعونكم**﴾ معطوف على يسمعونكم. ﴿**أو يضرون**﴾ معطوف على ينفعونكم.

﴿**قالوا: بل وجدنا آباءنا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الإضراب العاطف. ﴿**كذلك**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق. وذلك في محل جر بالكاف. ﴿**يفعلون**﴾ فعل وفاعل. أي: يفعلون فعلاً مثلَ فعلنا هذا. ﴿**قال**﴾ - إبراهيم -: ﴿**أفرأيتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تعبدون**﴾ فعل وفاعل.

والجملة خبر كان. وجملة كنتم تعبدون صلة ما. ﴿**أنتم**﴾ ضمير فصل. ﴿**وآباؤكم**﴾ معطوف على واو الجماعة الفاعل. ﴿**الأقدمون**﴾ نعت لآباؤكم. ﴿**فإنهم**﴾ إن واسمها. والفاء للتعقيب. ﴿**عدو**﴾ خبرُ إنّ ﴿**لي**﴾ متعلق بعدو. ﴿**إلا ربَّ**﴾ مستثنى بإلا. ﴿**العالمين**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب نعت لرب. ﴿**خلقني**﴾ الفاعل ضمير يعود على الذي. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. والنون للوقاية. فهو في محل رفع مبتدأ.

﴿**يهدين**﴾ فعل مضارع. والفاعل مثل فاعل خلقني. وحذفت ياء المتكلم تخفيفاً. وجملة يهدين خبرُ المبتدإ. والجملة معطوفة على خلقني. ﴿**والذي هو يطعمني**﴾ معطوف على الذي خلقني. ﴿**وإذا مرضت**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه إذا الشرطية. ﴿**فهو**﴾ في محل رفع مبتدأ يشفين مثل يهدين في الإعراب. وجملة فهو يشفين جواب شرط إذا. والذي يميتني ثم يحين مثل ما قبلها في الإعراب. ﴿**والذي**﴾ معطوف على الذي خلقني. ﴿**أطمع**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم ﴿**أن يغفر**﴾ منصوب بأن. والفاعل ضمير يعود على الذي. ﴿**لي**﴾ متعلق بيغفر. ﴿**خطيئتي**﴾ مفعول به. ﴿**يوم**﴾ متعلق بيغفر.

﴿**الدين**﴾ مضاف إلى يوم. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول أطمع. وجملة أطمع صلة الذي. ﴿**رب**﴾ منادى حذف منه حرف النداء وياء المتكلم تخفيفاً. ﴿**هب**﴾ فعل دعاء مبني على السكون. لي متعلق بهب. ﴿**حكماً**﴾ مفعول به. ﴿**وألحقني**﴾ معطوف على هب. ﴿**بالصالحين**﴾ متعلق بألحقني. ﴿**واجعل**﴾ لي معطوف على هب لي. ﴿**لسان**﴾مفعول به. ﴿**صدق**﴾ مضاف إلى لسان. ﴿**في الآخرين**﴾ متعلق باجعل. ﴿**واجعلني**﴾ معطوف على هب. . ﴿**من ورثة**﴾ متعلق باجعلني ﴿**جنة**﴾ مضاف إلى ورثة. ﴿**النعيم**﴾ مضاف إلى جنة. ﴿**واغفر**﴾ مثل ما سبق من المعطوفات. ﴿**لأبي**﴾ متعلق باغفر. ﴿**إنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على أبي.

﴿**من الضالين**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. وجملة كان من الضالين خبر إنّ. وجملة إنه كان من الضالين تعليلية. ﴿**ولا تخزني**﴾ الفعل مجزوم بلا الواقعة في الدعاء. والفاعل ضمير يعود على رب. وياء المتكلم في محل نصب مفعول. ﴿**يوم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**يُبعثون**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل في محل جر مضافة إلى يوم. ﴿**يوم لا ينفع**﴾ بدل من يوم يبعثون.

﴿مال﴾ فاعل ينفع. ﴿ولا بنون﴾ معطوف على مال. ﴿إلا من﴾ مستثنى من قوله: لا ينفع مال ولا بنون. أي إلا مال وبنون من ﴿أتى﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿اللَّهَ﴾ مفعول به. ﴿بقلب﴾ متعلق بأتى. ﴿سليم﴾ نعت لقلب. ﴿وأزلفت﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿الجنةُ﴾ نائب الفاعل. والجملة معطوفة على قوله: لا ينفع.. ﴿للمتقين﴾ متعلق بأزلفت. ﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ معطوف على ما قبله.. ﴿وقيل﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لهم﴾ متعلق به. والواو للعطف. ﴿أين﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿ما﴾ اسم موصول في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿كنتم﴾ كان واسمها. ﴿تعبدون﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كنتم تعبدون صلة ما. ﴿من دون﴾ متعلق بتعبدون. ﴿الله﴾ مضاف إلى دون.

﴿هل ينصرونكم﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿أو ينتصرون﴾ فعل وفاعل معطوف على قبله. فكبكبوا فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل واو الجماعة. والفاء للتعقيب. ﴿فيها﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿هم﴾ ضمير فصل. ﴿والغاوون﴾ معطوف على نائب الفاعل. وهو الواو في كبكبوا. ﴿وجنود﴾ معطوف على هم والغاوون. ﴿إبليس﴾ مضاف إلى جنود مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة. ﴿أجمعون﴾ توكيد لجنود. ﴿قالوا﴾ فعل وفاعل. ﴿وهم﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للحال.

﴿فيها﴾ متعلق بما بعده. يختصمون فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. وجملة وهم فيها يختصمون حال من واو قالوا. ﴿تالله﴾ قسم. ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة. واسمها ضمير الشأن. ﴿كنا﴾ كان واسمها. ﴿لفي ضلال﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿مبين﴾ نعت لضلال. وجملة كنا لفي ضلال مبين خبر إن المخففة. وجملة إن كنا لفي ضلال مبين جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة تالله إن كنا لفي ضلال مبين مقول القول لا محل لها من الإعراب. ﴿إذ﴾ ظرف متعلق بما تعلق به الجار والمجرور لفي ضلال مبين. ﴿نسويكم﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة نسويكم مضافة إلى الظرف. ﴿برب﴾ متعلق بيسويكم. ﴿العالمين﴾ مضاف إلى رب. ﴿وما أضلنا﴾ فعل ماض دخل حرف النفي وواو العطف. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿إلا﴾ أداة استثناء مفرغ.

﴿**المجرمون**﴾ فاعل أضل. ﴿**فما**﴾ الفاء للتعقيب. وما نافية. ﴿**لنا**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**من شافعين**﴾ مبتدأ مؤخر جُرّ بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**ولا صديق**﴾ معطوف على شافعين باعتبار اللفظ. ﴿**حميم**﴾ نعت لصديق. ﴿**فلو**﴾ الفاء للتعقيب، ولو للتمني. ﴿**أن**﴾ حرف توكيد ومصدر ونصب. ﴿**لنا**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ مقدم. ﴿**كرّة**﴾ اسم أنّ مؤخر.

﴿**فنكون**﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية. واسم كان نحن. ﴿**من المؤمنين**﴾ متعلق بمحذوف خبر نكون. ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾: تقدم إعراب مثلها. ﴿**كذبت قومُ**﴾ فعل وفاعل. ﴿**نوح**﴾ مضاف إلى قوم. ﴿**المرسلين**﴾ مفعول به. ﴿**إذ**﴾ ظرف متعلق بكذبت. ﴿**قال لهم**﴾ متعلق بقال. ﴿**أخوهم**﴾ فاعل قال. ﴿**نوح**﴾ بدل من أخوهم. ﴿**ألا تتقون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وحرف الاستفهام. والجملة مقول القول. ﴿**إني**﴾ إن واسمها. ﴿**لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم.

﴿**رسول**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**أمين**﴾ نعت لرسول. وجملة لكم رسول أمين خبر إنّ. وجملة إني لكم رسول أمين تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**فاتقوا**﴾ أمر لقوم نوح. مرتب على قوله: إني لكم رسول أمين. ﴿**اللَّهَ**﴾ مفعول به. ﴿**وأطيعون**﴾ معطوف على اتقوا. حذفت ياء المتكلم للتخفيف. ﴿**وما أسألكم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي وواو العطف. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**عليه**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**من أجر**﴾ مفعول به جُرّ بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**إنّ**﴾ حرف نفي. ﴿**أجري**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم.. وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى أجر. وحركت بالفتحة تخفيفاً.

﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**على رب**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**العالمين**﴾ مضاف إلى رب. فاتقوا الله وأطيعون: تقدم إعراب مثلها. ﴿**قالوا**﴾: قال قوم نوح لنوح: ﴿**أنؤمن**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام. والفاعل نحن. ﴿**لك**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**واتبعك**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الأرذلون**﴾ فاعل. والجملة حال من الضمير المجرور ـ لك ـ ﴿**قال**﴾ ـ نوح ـ ﴿**وما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**علمي**﴾ خبر المبتدإ..

﴿**بما**﴾ متعلق بعلمي. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كانوا يعملون صلة ما. وجملة وما علمي بما كانوا يعملون مقول القول. ﴿**إنْ**﴾ حرف نفي. ﴿**حسابهم**﴾ مبتدأ. ﴿**إلا على ربي**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**لو تشعرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط. وجواب الشرط محذوف. أي: لو كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك. ﴿**وما**﴾ تعمل عمل ليس ترفع الاسم وتنصب الخبر. ﴿**أنا**﴾ في محل رفع اسم ما.

﴿**بطارد**﴾ خبر ما جرت بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**المؤمنين**﴾ مضاف إلى طارد. ﴿**إنْ**﴾ حرف نفي. ﴿**أنا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**إلا نذير**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**مبين**﴾ نعت لنذير. ﴿**قالوا: لئن لم تنته**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم دخل عليه حرف الشرط ولام القسم. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**يا نوح**﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب. ﴿**لتكونن**﴾ فعل مضارع ناقص مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. واسم تكون ضمير المخاطب يعود على نوح. ﴿**من المرجومين**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكون. وجملة لتكونن من المرجومين جواب القسم. سدّ مسد جواب الشرط. وجملة لئن لم تنته يا نوح.. مقول القول. ﴿**قال**﴾ ـ نوح ـ ﴿**رب**﴾ منادى وتقدم إعراب مثله. ﴿**إن قومي**﴾ إن واسمها. ﴿**كذبوني**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبرُ إنّ. وجملة إن قومي.. مقول القول.

﴿**فافتح**﴾ فعل دعاء مبني على السكون. والفاء للتعقيب ﴿**بيني**﴾ متعلق بافتح. ﴿**وبينهم**﴾ معطوف والضمير مضاف إليه. ﴿**فتحاً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ونجني**﴾ معطوف على افتح. ﴿**ومَنْ**﴾ في محل نصب معطوف على ياء المتكلم. ﴿**معي**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. ﴿**من المؤمنين**﴾ متعلق بالجار والمجرور وهو متعلق الظرف. ﴿**فأنجيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب. ﴿**وَمَنْ**﴾ في محل نصب معطوف على الضمير في أنجيناهُ. ﴿**معه**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. ﴿**في الفلك**﴾ متعلق بأنجيناه. ﴿**المشحون**﴾ نعت للفلك. ﴿**ثم أغرقنا**﴾ فعل وفاعل معطوف بثُم على ما قبله.. ﴿**بعدُ**﴾ ظرف مبني على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه. أيْ: بعدَ إنجائهم. الباقين مفعول به.

﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾:

تقدم إعراب مثلها. . ﴿**كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود: ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين**﴾: إعراب هذه الآيات مثل إعراب الآيات التي في قصة نوح. . ﴿**أتبنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**بكل**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ريع**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**آية**﴾ مفعول به. ﴿**تعبثون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**وتتخذون مصانع**﴾ فعل وفعل ومفعول. والجملة معطوفة على قوله: أتبنون بكل ريع آية تعبثون.

﴿**لعلكم**﴾ لعل واسمها. ﴿**تخلدون**﴾ فعل وفاعل. الجملة خبر لعل. وجملة لعلكم تخلدون تعليلية. ﴿**وإذا بطشتم**﴾ فعل وفاعل. فعل شرط إذا. ﴿**بطشتم**﴾ جواب شرط إذا. ﴿**جبارين**﴾ حال من الضمير الفاعل. ﴿**فاتقوا الله وأطيعون**﴾: تقدم إعراب مثلها ﴿**واتقوا**﴾ أمر للمخاطبين. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**أمدكم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الذي. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**بما**﴾ متعلق بأمدكم. ﴿**تعلمون**﴾ فعل وفاعل. صلة الموصول. ﴿**أمدكم بأنعام**﴾ مثل إعراب ما سبق. ﴿**وبنين**﴾ معطوف على أنعام. ﴿**وجنات وعيون**﴾ كذلك. ﴿**إني**﴾ إنّ واسمها.

﴿**أخاف**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. والجملة خبر إنّ. وجملة إني أخاف تعليل. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بأخاف. ﴿**عذابَ**﴾ مفعول به. ﴿**يوم**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**عظيم**﴾ نعت ليوم. ﴿**قالوا**﴾ قال قوم هود لهود: ﴿**سواء**﴾ خبر مقدم. ﴿**علينا**﴾ متعلق به. ﴿**أوعظت**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**أم**﴾ حرف عطف. ﴿**لم تكن**﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بلم. واسم تكن ضمير المخاطب يعود على هود. ﴿**من الواعظين**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكن. وتقدير الكلام: أوعظت أم لم تكن من الواعظين؛ ذلك سواء علينا. ﴿**إن**﴾ حرف نفي. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**إلا**﴾ استثناء مفرغ. ﴿**خُلُقُ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الأولين**﴾ مضاف إلى خلق. ﴿**وما نحن**﴾ في محل رفع اسم ما. والواو للعطف. ﴿**بمعذبين**﴾ خبر ما. جُرّ بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**فكذبوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب.

﴿**فأهلكناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على ما قبله. ﴿**إن في ذلك لآية وما**

كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾: تقدم إعراب مثلها. **﴿كذبت ثمود المرسلين. إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون. إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين﴾**: تقدم إعراب مثلها. **﴿أتُتركون في ما﴾** متعلق بالفعل قبله. والهمزة للاستفهام. **﴿ههنا﴾** ظرف متعلق بمحذوف صلة ما. **﴿آمنين﴾** حال من نائب الفاعل في تُتركون. **﴿في جنات﴾** تفسير لقوله: في ما ها هنا. **﴿وعيون وزروع ونخل﴾** معطوفات على جنات. **﴿طلعها﴾** مبتدأ. **﴿هضيم﴾** خبر المبتدإ. والجملة نعت لنخل. **﴿وتنحتون﴾** فعل وفاعل. والواو للعطف.

﴿من الجبال﴾ متعلق بالفعل قبله. **﴿بيوتاً﴾** مفعول به. **﴿فرهين﴾** حال من الضمير الفاعل. **﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾**: تقدم إعراب مثلها. **﴿ولا تطيعوا أمر﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. والواو للعطف. **﴿المسرفين﴾** مضاف إلى أمر. **﴿الذين﴾** في محل جر نعت للمسرفين.. **﴿يفسدون﴾** فعل وفاعل صلة الموصول. **﴿في الأرض﴾** متعلق بيفسدون. ولا يصلحون عطف على يفسدون. **﴿قالوا﴾** قال قوم صالح له: **﴿إنما﴾** كافة ومكفوفة. **﴿أنت﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿من المسحرين﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. **﴿ما أنت﴾** في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف النفي. **﴿إلاّ بشر﴾** خبر المبتدإ. **﴿مثلنا﴾** نعت لبشر. **﴿فأت﴾** أمر لصالح مرتب على ما قبله.. **﴿بآية﴾** متعلق بأن.

﴿إن كنت من الصادقين﴾: تقدم إعراب مثله في قوله: فأت به إن كنت من الصادقين. **﴿قال﴾** ـ صالح ـ: **﴿هذه﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿ناقة﴾** خبر المبتدإ. **﴿لها﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿شرب﴾** مبتدأ مؤخر. والجملة نعت لناقة. **﴿ولكم﴾** مثل لها. **﴿شرب﴾** مثل شرب السابق. **﴿يوم﴾** مضاف إلى شرب. **﴿معلوم﴾** نعت ليوم. **﴿ولا تمسوها﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. والواو للعطف. **﴿بسوء﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿فيأخذكم﴾** فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة بعد النهي. والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿عذاب﴾** فاعل يأخذ. **﴿يوم﴾** مضاف إلى عذاب. **﴿عظيم﴾** نعت ليوم. **﴿فعقروها﴾** فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب.

﴿فأصبحوا﴾ أصبح واسمها. **﴿نادمين﴾** خبرها. والجملة مرتبة على ما قبلها.

﴿**فأخذهم**﴾ مرتب كذلك. ﴿**العذاب**﴾ فاعل أخذ. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾: تقدم إعراب مثلها. ﴿**كذبت قوم لوط المرسلين. إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون. إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين**﴾: تقدم إعراب مثلها. ﴿**أتأتون الذكران**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**من العالمين**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**وتذرون ما**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**خلق**﴾ فعل ماض. ﴿**لكم**﴾ متعلق بخلق. ﴿**ربكم**﴾ فاعل. . ﴿**من أزواجكم**﴾ متعلق بخلق. وهو بيان لما خلق. ﴿**بل أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف الإضراب. ﴿**قوم**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**عادون**﴾ نعت لقوم. ﴿**قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين**﴾: تقدم مثل هذا في إعراب قوله: قالوا: لئن لم تنته يا نوح لتكون من المرجومين. ﴿**قال**﴾ ـ لوط ـ: ﴿**إني**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لعملكم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**من القالين**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**رب**﴾ منادى تقدم إعراب مثله. ﴿**نجني**﴾ فعل دعاء. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول.

﴿**وأهلي**﴾ معطوف على ياء المتكلم. ﴿**بما**﴾ متعلق بنجني. ﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**فنجيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. مرتب على ما قبله. ﴿**وأهله**﴾ معطوف على الضمير المنصوب. ﴿**أجمعين**﴾ توكيد لأهله. ﴿**إلا عجوزاً**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**في الغابرين**﴾ متعلق بمحذوف نعت لعجوز. ﴿**ثم دمرنا الآخرين**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف بثم على قوله: فنجيناه وأهله. . ﴿**وأمطرنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بأمطرنا. ﴿**مطراً**﴾ مفعول به. ﴿**فساء مطر**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**المنذرين**﴾ مضاف إلى مطر. ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾: تقدم إعراب مثلها. ﴿**كذب أصحاب ليكة المرسلين. إذ قال لهم شعيب ألا تتقون**﴾.

﴿**إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين**﴾: تقدم إعراب مثله. ﴿**أوفوا**﴾ أمر من شعيب لقومه. ﴿**الكيل**﴾ مفعول به. ﴿**ولا تكونوا**﴾ تكون واسمها دخل عليها حرف النهي

الجازم. والواو للعطف. ﴿**من المخسرين**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكون. ﴿**وزنوا**﴾ معطوف على أوفوا. ﴿**بالقسطاس**﴾ متعلق بزنوا. ﴿**المستقيم**﴾ نعت للقسطاس. ﴿**ولا تبخسوا الناس**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. والواو للعطف. ﴿**أشياءهم**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**ولا تعثوا**﴾ عطف نهي على نهي. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**مفسدين**﴾ حال من الضمير المرفوع. ﴿**واتقوا**﴾ أمر للمخاطبين من قوم شعيب. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**خلقكم**﴾ فعل ماض والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الموصول. وجملة خلقكم صلة الذي.

﴿**والجبلة**﴾ معطوف على الضمير المفعول. ﴿**الأولين**﴾ نعت للجبلة. ﴿**قالوا**﴾ قال قوم شعيب له: ﴿**إنما أنت من المسحرين**﴾: تقدم إعراب مثله.. ﴿**وما أنت إلا بشر مثلنا**﴾: كذلك. ﴿**وإنّ**﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن. ﴿**نظنك**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل نحن. والجملة خبر إن المخففة. ﴿**لمن الكاذبين**﴾ متعلق بنظنك. ﴿**فأسقط**﴾ فعل أمر. والفاء للتعقيب. ﴿**علينا**﴾ متعلق بأسقط. ﴿**كسفاً**﴾ مفعول به.

﴿**من السماء**﴾ متعلق بمحذوف نعت لكسف. ﴿**إن كنت من الصادقين:**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**قال**﴾ ـ شعيب ـ: ﴿**ربي**﴾ مبتدأ. ﴿**أعلم**﴾ خبره. ﴿**بما**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**تعملون**﴾ صلة ما. ﴿**فكذبوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب. ﴿**فأخذهم**﴾ مرتب على فكذبوه. ﴿**عذابُ**﴾ فاعل أخذ. ﴿**يوم**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**الظلة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**إنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على عذاب يوم الظلة. ﴿**عذاب**﴾ خبر كان. ﴿**يوم**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**عظيم**﴾ نعت ليوم. وجملة كان عذاب.. خبر إنّ. وجملة إنه كان عذاب يوم عظيم تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾: تقدم إعراب مثلها. وهي الآية الثامنة والأخيرة من الآيات التي جاءت تعقيباً لما ذكر من قصص الأنبئاء.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**طسَمَ. تلك آيات الكتاب المبين..**﴾ وجه اتصال سورة الشعراء بسورة

الفرقان! اشتمال كل على بسط وتفصيل لبعض ما ذكر فيها قبل. وقد افتتحت كلتا السورتين بما يفيد مدح القرءان الكريم. وختمتا بإيعاد المكذبين به.. فهذا الفرقان الذي نزله الله على عبده مؤلف من حروف يعرفها العرب جيداً.. ولكنهم عجزوا على أن يأتوا بمثل هذا القرءان.. فتلك آيات الكتاب المبين هي معجزتك التي دلت على صدقك.. فلا عليك بعد هذا أن لا يؤمن قومك بهذا: ﴿**لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين..**﴾ فجملة ﴿**إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية..**﴾ استئناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور؛ ببيان أن إيمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتماً.. فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته. وتقديم المجرورين ـ عليهم من السماء ـ على المفعول ـ آية ـ للاهتمام بهما، والتشويق إلى المفعول.

وجملة ﴿**فظلت أعناقهم لها خاضعين**﴾ مرتبة على ما قبلها. وإسناد الخضوع إلى الأعناق مجازي عقلي. وأصل الكلام: فظلوا لها خاضعين. أقحمت الأعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع. وقوله تعالى: ﴿**وما يأتيهم من ذكر من الرحمان محدث إلا كانوا عنه معرضين**﴾ بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة؛ لصرف الرسول عن الحرص على إسلامهم وقطع رجائه منه، وفي هذا دلالة على فضل الرسول وشرفه، وشناعة ما فعلوا به.. فالتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم، وتهويل جنايتهم.. فإن الإعراض عما يأتيهم من جناب الله تعالى على الإطلاق شنيع قبيح، وعما يأتيهم بموجب رحمته لمحض منفعتهم أشنع وأقبح!!.. ﴿**فقد كذبوا**﴾ عقب على ما ذكر من إعراضهم عن الذكر ليرتب عليه قوله: ﴿**فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون..**﴾ ففي هذا الكلام تهويل؛ لأن النبأ لا يطلق إلا على خبر خطير له وقع عظيم!.. ثم بعد ما ذكر من إعراضهم عن الذكر واستهزائهم به وما سينشأ عنه من أنباءَ خطيرةٍ، أستفهم منكراً موبخاً بقوله: ﴿**أولم يروا إلى الأرض كما أنبتنا فيها من كل زوج كريم..**﴾ فكأنهم لم ينظروا ولم يروا إلى الأرض وما فيها من عجائب وغرائب. فكما أنهم أعرضوا عن آيات الله المنزلة أعرضوا عن آيات الله الكونية المنتشرة.

وقوله تعالى: كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم استئناف مبيِّنٌ لما في الأرض

من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية إلى الإيمان. وكم خبرية دالة على الكثرة. والجمع بينها وبين كل لإفادة الإحاطة والكثرة معاً.. والكريم من كل شيء مرضية ومحمودةٌ؛ لما فيه من كثرة المنافع. ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾: هذا الكلام جيء به تعقيباً على ما ذكر من الآيات: آيات الكتاب المبين وآيات الأرض وعجائبها من كل زوج كريم. ومع هذا فلم يؤمن أكثرهم.. ففي هذا الكلام ترهيب للمعرضين وترغيب للمؤمنين. وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطب وهو الرسول من تشريفه والعِدَة الخفية بالانتقام من الكفرة المعرضين ما لا يخفي.

﴿**وإذ نادى ربك موسى: أن ائت القوم الظالمين: قوم فرعون.. ألا يتقون**﴾؟.. فهذا الكلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من إعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها إثر بيان إعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية. ولهذا وصل الكلام بالواو على ما قبله.. فالخطاب هنا موجه إلى الرسول بأن يذكر بقومه المعرضين المكذبين وقت نداء الله موسى.. ويذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم لموسى. زجراً لقريش عما هم عليه من التكذيب، وتحذيراً من أن يحيق بهم مثل ما حاق بأضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح للرسول أنهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات.. فقد استوى قوم فرعون وقوم هؤلاء المكذبين بدعوة الرسول.

﴿**قال رب: إني أخاف أن يكذبون..**﴾ فهذا الكلام استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية.. فكأنه قيل: ماذا قال موسى؟ فقيل: قال ـ متضرعاً إلى ربه ـ: رب إني أخاف أن يكذبون ﴿**ويضيق صدري ولا ينطلق لساني**﴾ جملتان متصلتان بالعطف على قوله: إني أخاف أن يكذبون. ﴿**فأرسل إلى هارون**﴾: هذا الكلام مرتب على ما تقدمه من الأمور الثلاثة: خوف التكذيب. وضيق الصدر. وعجز اللسان عن التعبير بالكلام حسبما يقتضيه المقام.. فاحتاج موسى إلى معين يقويه.. وينوب عنه في تأدية الكلام الذي يفهمه الخواص من الساسة والحكام.

فهارون تربى مع خاصة فرعون عرف فحوى كلامهم ومغزى إرادتهم بخلاف موسى.. فقد خرج من مصر ولم يخالط الخواص من قوم فرعون.. فهو من هذا يضيق صدره ولا ينطلق لسانه.. ﴿**ولهم على ذنب. فأخاف أن يقتلون**﴾: ومع ما

تقدم لهم على ذنب في زعمهم بقتلي القبطي الذي تخاصم مع الإسرائيلي.. فأخاف أن يقتلوني به قبل تبليغ الرسالة كما ينبغي. وليس هذا تعللاً وتملصاً من الدعوة.. وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها. وقوله تعالى: ﴿**قال: كلا.. فاذهبا بآياتنا**﴾ حكاية لإجابة الله تعالى إلى الطلبتين: الدفع المفهوم من الردع عن الخوف. وضم أخيه المفهوم من توجيه الخطاب إليهما بطريق التغليب.. فإنه معطوف على مضمر ينبىء عنه الردع؛ كأنه قيل: ارتدع يا موسى عما تظن.. فاذهب أنت ومن استدعيته.

وفي قوله: بآياتنا رمز إلى أنها تدفع ما يخافه. وقوله تعالى: ﴿**إنا معكم مستمعون..**﴾ تعليل للردع عن الخوف، ومزيد تسلية لهما. بضمان كمال الحفظ والنصرة.. وحيث كان الموعود بمحضر من فرعون اعتبره هنا في المعية ـ معكم ـ والمعنى: إنا سامعون ما يجري بينكما وبين فرعون فنظهر كما عليه. وهذا تمثيل؛ حيث مثّل شأنه بشأن ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم؛ ليُمد أولياء ويظهرهم على أعدائهم، مبالغة في الوعد بالإعانة. والفاء في قوله تعالى: ﴿**فأتيا فرعون فقولا إنا رسول ربّ العالمين..**﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم. وإفراد الرسول في قوله: إنّا رسول ربّ العالمين باعتبار رسالة كل منهما. وجملة ﴿**أن أرسل معنا بني إسراءيل**﴾ مفسرة لجملة فقولا: إنا رسول ربّ العالمين.

﴿**قال: ألم نُربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين**﴾: هذا الكلام موجه من فرعون إلى موسى يعدّدُ النعم التي أسداها لموسى.. مع أن موسى كفر بها عندما فعل ما فعل من قتل القبطي.. ﴿**قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين**﴾: رد موسى على فرعون باعترافه ما فعل. واعتذر عنه بأنه خطأ غير مقصود. ولم يكن هناك شرح من الله لموسى.. ﴿**ففررت منكم لما خفتكم.. فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين**﴾: ترتب على قتل موسى القبطي خروجه من مصر إلى مدين فاراً بنفسه خوفاً من القتل.. وترتب على هذا الخروج ما حصل له في رجوعه من مدين من مناداة الله إياه وإرساله.. ﴿**وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسراءيل**﴾: كانت هذه الكلمة من موسى رداً على ما زعم فرعون من إنعامه على بني إسراءيل عموماً

وإنعامه على موسى خصوصاً.. فهذه في الحقيقة ليست نعمة.. ولكنها نقمة ابتلى بها بنو إسرائيل في مصر من تعذيب وقهر. وتعبيد شامل للرجال وللنساء دون حصر.

﴿**قال فرعون: وما ربّ العالمين**﴾؟ لما سمع فرعون من موسى أنه رسول ربّ العالمين إليه، رد فرعون مستفسراً بقوله: وما ربّ العالمين؟!.. ﴿**قال**﴾ موسى مجيباً له: ﴿**ربّ السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين..**﴾ ففي جواب موسى هذا تعيين وتفصيل لزيادة التحقيق والتقرير. ﴿**قال لمن حوله: ألا تستمعون**﴾؟ فرعون يوجه كلامه لمن حوله من أشراف قومه متعجباً مما سمع من موسى: من كونه رسول ربّ العالمين رب السماوات والأرض وما بينهما.. ﴿**قال: ربكم وربّ آبائكم الأولين..**﴾ فهذا زيادة تصريح وتوضيح لما سبق في جوابيه السابقين. ﴿**قال: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون..**﴾ ففي قول فرعون هذا زيادة توكيد على ما سبق من كلامه بحرفي التأكيد: إنّ واللام. وسمي فرعونُ موسى رسولاً بطريق الاستهزاء. وإضافة إلى مخاطبيه ترفعاً من أن يكون موسى مرسلاً إليه.

﴿**قال**﴾ ـ موسى ـ: ﴿**رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون..**﴾ فهذا تكميل لجوابه الأول وتفسير له. وهو تثبيت على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته.. فإنه بيان لربوبيته تعالى للسماوات والأرض وما بينهما وإن كان متضمناً لبيان ربوبيته للخافقين وما بينهما.. لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات أجرام السماء وتغيرات أحوالها وأوضاعها إلى الله تعالى. أرشدهم إلى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر.. فإن ذكر المشرق والمغرب منبىء عن شروق الشمس وغروبها المنوطيْن بحركات أجرام السماء وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الأوضاع الرصينة.

وكل ذلك أمور حادثة مفتقرة إلى محدث قادر عليم حكيم؛ لا كذوات السماوات والأرض التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين باستمرارها استغناء عن الموجد المتصرف. وفي قوله: إن كنتم تعقلون إيذان بغاية وضوح الأمر بحيث لا يشتبه على من له عقل في الجملة. وتلويح بأنهم بمعزل من دائرة العقل، وأنهم المتصفون بما رموه من الجنون. قال ـ فرعون ـ لما سمع تلك المقالات المبنية

على أساس الحِكَمِ البالغة، وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية أمره، وأنه ممن لا يُجاري فيِ حلبة المحاورة، ضرب صفحاً عن المقاولة بالإنصاف، ونأى بجانبه إلى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهراً لما كان يضمره عند السؤال والجواب: ﴿**لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين**..﴾ فلم يقتنع فرعون من موسى بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض لها حتى كلفه أن يتخذه إلهاً! لغاية عتوّه وغلوه فيما فيه من دعوى الألوهية.

وهذا صريح في أن تعجبه وتعيبه من الجواب الأول. ونسبة موسى إلى الجنون في الجواب الثاني كان لنسبة موسى الربوبية إلى غير فرعون. وعبارة لأجعلنك من المسجونين أبلغ من عبارة لأسجننك. ﴿**قال**﴾ ـ موسى لفرعون: ﴿**أولو جئتك بشيء مبين؟ قال فأت به إن كنت من الصادقين**..﴾ فالحوار هنا واضح الدلالة على صدق موسى في دعواه الرسالة.. ﴿**فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين. ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين**﴾. فهَاتان آيتان أظهرهما موسى لفرعون مفاجئاً بهما مَنْ حوله من الحاضرين الناظرين.. ﴿**قال للملإ حوله: إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره.. فماذا تأمرون**﴾؟.. فقد بهر فرعونَ سلطان المعجزة وحيّره.. حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية إلى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بأمرهم!.. فأظهر استشعار الخوف من استيلاء موسى على ملكه! ونسبة الإخراج والأرض إليهم في قوله: يريد أن يخرجكم من أرضكم.. لتنفيرهم عن موسى.. ﴿**قالوا أرجه وأخاه**﴾: أمروه بأن لا يفعل شيئاً بموسى وأخيه. وأن يبعث من يحشر الناس من المدائن وأن يحضروا كل سحار عليم للمباراة مع موسى.. ﴿**فجمع السحرة لميقات يوم معلوم. وقيل للناس: هل أنتم مجتمعون. لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين**﴾: هذا الكلام مرتب على ما قبله من قولهم: أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين.. الخ.

واليوم المعلوم: هو يوم الزينة. كما هو مذكور في سورة طه.. فالمقصود من هذا الكلام حملُهم على الاهتمام والجد في المغالبة.. ﴿**فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين؟ قال: نعم.. وإنكم إذاً لمن المقربين**﴾: ترتب على مجيئهم طلبهم الأجر العظيم من فرعون إن غلبوا موسى.. فأجابهم بنعم.. وزادهم على الأجر العظيم تقريبهم إليه وكونهم من خواصه

المحبّبين!. ﴿**قال لهم موسى: ألقوا ما أنتم ملقون**﴾: قال موسى لهم بعدما قالوا له: يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى.. قال: بل ألقوا.. كما ورد في سورة طه.. ﴿**فألقوا حبالهم وعصيهم، وقالوا بعزة فرعون: إنّا لنحن الغالبون**﴾: أسرع السحرة في إلقاء حبالهم وعصيهم.

وهي أدواتهم التي كانوا يتلاعبون بها.. متظاهرين بما لهم من مهارة ودراية.. ومستعينين بقوة فرعون وجبروته.. غافلين عن قوة الله التي ركن إليها موسى.. ﴿**فألقى موسى عصاه.. فإذا هي تلقف ما يأفكون**﴾: أسرع موسى بإلقاء عصاه، وفجأة وبسرعة مذهلة تلقفت وقضت على كل خداع وإفك وبهتان. وبسرعة مذهلة وجد السحرة أنفسهم أمام حقيقة لا شك فيها ولا تردد.. ﴿**فألقي السحرة ساجدين: قالوا آمنا برب العالمين: ربّ موسى وهارون**﴾! هكذا ينتهي أمر السحرة بالإعلان الصارخ والخضوع الواضح أمام الحشد الواقف في الميدان الجامع! ﴿**قال آآمنتم له قبل أن آذن لكم**﴾؟ هذا القول من فرعون للسحرة تلبيس على قومه كي لا يعتقدوا أن السحرة آمنوا عن بصيرة وظهور حق.

وقوله: ﴿**إنه لكبيركم الذي علمكم السحر**﴾ تعليل لما قبله.. ﴿**فلسوف تعلمون**﴾: تعقيب بالتهديد بالوعيد الشديد: ﴿**لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين..**﴾ فهذا الكلام الموكد بأنواع التأكيد من فرعون للسحرة بيان وتفصيل لما أوعدهم به من التعذيب والتنكيل!. ﴿**قالوا: لا ضير..**﴾ فهذا رد من السحرة الذين آمنوا لموسى على ما هددهم به فرعون وأوعدهم.. ﴿**إنا إلى ربنا منقلبون**﴾ تعليل لعدم الضير.. ﴿**إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا..**﴾ فهو تعليل ثان لنفي الضير.. وقوله: ﴿**إن كنا أول المؤمنين**﴾ تعليل للطمع في الغفران.. ﴿**وأوحينا إلى موسى**﴾: اتصل الكلام بالعطف على خلاصة ما حصل في القصة من أحداث ذكر منها هنا ما حصل في نهاية الأمر من إيمان السحرة وتهديدهم من فرعون بالوعيد الشديد.. وجملة ﴿**أن أسر بعبادي**﴾ بيان وتفسير لأوحينا.. وجملة ﴿**إنكم متبعون**﴾ تعليل للأمر بالإسراء.

﴿**فأرسل فرعون في المدائن حاشرين..**﴾ ترتب على إسراء موسى بمن معه من بني إسراءيل إعلان فرعون التعبئة العامة من جميع المدائن في مصر.. وجملة ﴿**إن هؤلاء لشرذمة قليلون**﴾ تشجيع للقوم على الخروج. وجملة ﴿**وإنهم لنا**

لغائظون﴾ تعليل يبرر الخروج لمعاقبتهم. **﴿وإنّا لجميع حذرون﴾** إظهار لما كان كامناً في نفس فرعون من الخوف من بني إسراءيل: العنصر الغريب الخطير الدخيل.. فهذه معاذير اعتذر بها فرعون إلى أهل المدائن؛ لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه.. **﴿فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم﴾**: ترتب على خروجهم من المدائن إخراجهم من هذا الملك الهائل الكامل بما فيه مما لذ وطاب: جنات وعيون وكنوز ومقام كريم!!.. **﴿كذلك﴾** مثل هذا العمل كان عملنا مع فرعون وقومه، وجملة **﴿وأورثناها بني إسراءيل﴾** متصل بالعطف على المثل الذي كان لفرعون وقومه من الملك والعزة والقوة.. فانتقلت إلى بني إسراءيل إن أحسنوا التصرف وحافظوا على هذا الميراث.. **﴿فأتبعوهم مشرقين﴾**: تعقيب على جملة أن أسر بعبادي.. فموسى خرج ليلاً.. وفرعون وجنوده خرجوا مع شروق الشمس: أول النهار التالي.. **﴿فلما تراءى الجمان﴾**: فلحق فرعون وجنودُه موسى وقومه حين صار الجمعان قريبين بعضهما من بعض.. فحصل لبني إسراءيل الهلع والجزع: **﴿قال أصحاب موسى: إنا لمدركون﴾!** لا خلاص لنا منهم.. فجاؤوا بالجملة الاسمية المؤكّدة بحرفي التأكيد للدلالة على تحقق الإدراك واللحاق، **﴿قال كلا..﴾** قال لهم موسى: ارتدعوا عن هذا الكلام.. فإنهم لا يدركونكم: **﴿إن معي ربي سيهدين..﴾** فمن كان الله معه فلا يخاف من شيء.. **﴿فأوحينا إلى موسى: أن اضرب بعصاك البحر..﴾** فضرب **﴿فانفلق﴾** فرقاً وطرقاً.. وانحسر الماء.. **﴿فكان كل فرق كالطود العظيم﴾!** وساروا فيها كما يسير الماشي في طريقه.

﴿وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين.. ثم أغرقنا الآخرين..﴾ فانتهى أمر فرعون وقومه بالغرق في البحر! **﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾**: هذا الكلام جاء تعليلاً لما حصل في جميع ما فصل مما صدر عن موسى وظهر على يديه من المعجزات القاهرة، ومما عمل فرعون وقومه من الأقوال والأفعال، وما حصل لهم من العذاب والنكال. وما في اسم الإشارة من معنى البعد لتهويل أمر المشار إليه وتفظيعه؛ كتنكير الآية في قوله: لآية! إنها آية عظيمة!. موجبة لأن يعتبر بها المعتبرون، ويقيسوا شأن النبئ بشأن موسى، وحال أنفسهم بحال أولئك المهلكين.. وبما فيها من دلائل على صدق الرسول ـ ﷺ ـ..

فهذا إخبار من الله تعالى بما سيكون من المشركين بعدما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقريراً لما مر من قوله تعالى: وما يأتيهم من ذكر من الرحمان محدث إلا كانوا عنه معرضين. فقد كذبوا.. فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون. وإيثار الجملة الاسمية في قوله وما كان أكثرهم مؤمنين؛ للدلالة على تمكنهم في الكفر واستقرارهم عليه، واستمرارهم على عدم الإيمان. والتعبير بأكثرهم دون كلهم إيماء إلى أن بعضهم سيؤمن.. وجملة وإن ربك لهو العزيز الرحيم مقررة لما تضمنه الكلام.. ففيه ترهيب وترغيب.

﴿**واتل عليهم نبأ إبراهيم: إذ قال لأبيه وقومه: ما تعبدون**﴾؟ هذا الكلام موصول بالعطف على متعلق قوله تعالى: وإذ نادى ربك موسى.. أي: واذكر لهم وقت نداء ربك موسى.. واتل عليهم نبأ إبراهيم.. فنبأ إبراهيم مع أبيه وقومه مثل نبإ محمد مع قومه.. فجملة ﴿**قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين**﴾ جواب عن سؤال إبراهيم.. فلم يقتصروا فيه على الجواب الكافي بأن يقولوا: أصناماً.. بل أطنبوا فيه بإظهار الفعل ـ نعبد أصناماً ـ وعطف دوام عكوفهم على أصنامهم ـ فنظل لها عاكفين ـ قصداً إلى إبراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك!.. والتعبير بلها عاكفين دون عليها عاكفين ليفيد معنى زائداً؛ كأنهم قالوا: لنظل لأجلها مقبلين على عبارتها.. فهذا أيضاً من جملة إطنابهم.

﴿**قال: هل يسمعونكم إذ تدعون. أو ينفعونكم أو يضرون**﴾؟! هذا الكلام استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم.. فهو استفهام إنكاري تعجيبي من حالهم التي هم عليها من عبادة من لا يسمع ولا يضر ولا ينفع! ﴿**قالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون**﴾! هذا اعتراف منهم بأن أصنامهم بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرّة! وإنما رأينا آباءنا يفعلون هذا ففعلنا مثل فعلهم تقليداً لهم دون فهم لمعنى العبادة التي يستحقها المعبود الحق. ﴿**قال: أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون**﴾؟ توجه إبراهيم إلى قومه بهذا الخطاب يتفهم فيه عن موقفهم من عبادة ما لا يسمع ولا يضر ولا ينفع. ويقرر فيه على موقفه الحق الثابت بالدليل القاطع.. ﴿**فإنهم عدو لي إلا ربّ العالمين: الذي خلقني فهو يهدين. والذي هو يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين. والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين**﴾: صور إبراهيم هذا الأمر في

نفسه تعريضاً بقومه فإنه أنفع في النصيحة من التصريح. . وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بها لنفسه؛ ليكون أدعى إلى القبول.

وفصل إبراهيم الصفات التي اتصف بها ربه: رب العالمين ـ مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحاً بالنعم الخاصة به ـ عليه السلام ـ وتفصيلاً لها، لكونها أدخل في اقتضاء تخصيص العبادة بالله تعالى. وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة على الله تعالى. وجملة فهو يهدين مترتبة على قوله: الذي خلقني. والهداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار؛ كما ينبىء عنه حرف الفاء وصيغة المضارع. . فإن الله يهدي كل مخلوق لما خلق له هداية متدرجة من مبدإ إيجاده إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره: إما طبعاً وإما اختياراً. مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين في الرحم وهداية الطفل في المهد. . ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم.

وجملة والذي هو يطعمني ويسقين متصلة بالعطف على قوله: الذي خلقني وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة بعد الموصول الأول، مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الأول، للإيذان بأن كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل لله تعالى مستقل في استيجاب الحكم حقيقة بأن تجري على الله تعالى بحيالها ولا تجعل من روادف غيرها. وجملة وإذا مرضت فهو يشفين عطف على قوله: يطعمني ويسقين. نظم معهما في سلك الصلة لموصول واحد؛ لما أن الصحة والمرض من متفرعات الأكل والشرب غالباً.

ونسبة المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله مع أنهما من الله؛ لمراعاة حسن الأدب. . والذي يميتني ثم يحيين: لما كانت الموت خاصة بالله تعالى لم يقل إبراهيم: هو يميتني ويحيين بخلاف قوله: هو يطعمني. . والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين: ذكر إبراهيم عليه السلام هذا هضماً لنفسه، وتعليماً للأمة. . **﴿ربّ هب لي حكماً وألحقني بالصالحين﴾**: بعد ما ذكر إبراهيم عليه السلام لقومه فنون الإلطاف الفائضة عليه من ربه عزّ وجلّ من مبدإ خلقه إلى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى وندائه ودعائه؛ لربط العتيد وجلب المزيد. . فهو يطلب

من ربه أن يهبه الحكم، بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق وأن يلحقه بالصالحين من عباد الله المؤمنين في جنة النعيم. . ولقد أجاب الله دعاء إبراهيم حيث قال: وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين. . ﴿**واجعل لي لسان صدق في الآخرين**﴾: هي الحسنة التي جعلها الله لإبراهيم في قوله: وآتيناه في الدنيا حسنة وهو استمرار دينه في جميع الأجيال إلى أن جاء به محمد فوصل غاية الكمال.

﴿**واجعلني من ورثه جنة النعيم**﴾: طلب إبراهيم من ربه أن يجعله من المؤمنين الكاملين الذين يرثون الفردوس يوم الدين. ﴿**واغفر لأبي إنه كان من الضالين**﴾: قد كان إبراهيم يدعو لأبيه بالهداية. . فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه. . ﴿**ولا تخزني يوم يبعثون**﴾: آخر ما طلب إبراهيم من ربه هذا الدعاء. . ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾: هذا بيان وتوضيح ليوم يبعثون. جيء به تأكيداً للتهويل؟ وتمهيد لما يعقبه من الاستثناء وهو من أعم المفاعيل. ﴿**وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين**﴾: صيغة الماضي في وأزلفت. . وبرزت للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره؛ كما أن صيغة المضارع في المعطوف عليه ـ لا ينفع ـ الدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع!. ﴿**وقيل لهم: أينما كنتم تعبدون من دون الله؟!. . هل ينصرونكم؟! أو ينتصرون**﴾؟!: هذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب؛ ولذلك قيل: ﴿**فكبكبوا فيها هم والغاوون**﴾.

﴿**وجنود إبليس أجمعون**﴾. والتعبير بكبكبوا مقصود منه لفت النظر إلى الحال التي هم عليها وهم يتدحرجون نازلين إلى حضيض الجحيم؛ مثل ما يرمي بالشيء من فوق إلى أسفل!. . ﴿**قالوا ـ وهم فيها يختصمون ـ: تالله إن كنا لفي ضلال مبين: إذ نسويكم بربّ العالمين**﴾: هذا الكلام استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حالهم. . فكأنه قيل: ماذا قالوا حين فُعل بهم ما فُعل؟. . قال العبدة مخاطبين لمعبوديهم ـ وهم جميعاً يختصمون في الجحيم ـ: تالله. . فكلامهم يدل على تحسرهم نادمين على ما فعلوا. . ولكنهم يلقون اللوم على غيرهم بقولهم: ﴿**وما أضلنا إلا المجرمون**﴾! وهو بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم. . ﴿**فما لنا من شافعين ولا صديق حميم**﴾: تعقيب على ما وصل إليه

حالهم من عدم نفع آلهتهم وظهور سبب ضلالهم بأنهم اتبعوا المجرمين.. فبلغ بهم الحال إلى إعلان يأسهم وسوء مصيرهم.. فتمنوا أن يرجعوا إلى الدنيا كرة أخرى فيكونوا مؤمنين صادقين: ﴿**فلو أن لناكرةً فنكون من المؤمنين**﴾!.. فهو تمن جاء في غير وقته.. فهو زيادة في التحسر والتألم على عذاب الجحيم الهائل في نار جهنم!.

﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾: هذا تعليق على ما ذكر من نبإ إبراهيم المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه أهل مكة من عبادة الأصنام. وتفصيل ما يؤول إليه أمر عبدتها يوم القيامة.. وهذا هو التعليق الثالث بعد التعليق الذي ذكر بعد قصة موسى. ﴿**كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح: ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري على ربّ العالمين. فاتقوا الله وأطيعون**﴾: لما ذكر ما حصل لإبراهيم مع أبيه وقومه من حوار وجدال.. ذكر هنا ما حصل لنوح مع قومه من دعوته إياهم وما هم عليه من كفر وضلال.

كذب قومُ نوح نوحاً حين قال لهم مستفهماً وموجهاً، ألا تتقون؟ وبرر دعوته إليهم بأنه رسول من الله أمين في دعواه.. فليتقوا الله وليطيعوه في كل ما يأمرهم به.. فلا يطلب منهم أجراً مقابل دعوته.. وكرر طلب التقوى.. ولكن دون فائدة ولا جدوى: ﴿**قالوا: أنؤمن لك ـ واتبعك الأرذلونَ**﴾؟ جواب قومه هذا فيه سخرية وعجرفة وتمرد وإعراض ورفض قوي لدعوة نوح.. فهذا من كمال سخافة عقولهم، وقصرهم أنظارَهُم على حطام الدنيا، وكون الأشراف عندهم من هو أكثر منها حظاً.. والأرذل من حرمها.. ﴿**قال: وما علمي بما كانوا يعملون**﴾؟: هذا جواب عما بدر من سبب رفض دعوته. وهو تعلق الناس التافهين بها.

﴿**إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون**﴾: بيان لوظيفته التي كلف بها. وهي دعوة الناس إلى الهدى دون نظر إلى بواطنهم والشقّ عن قلوبهم.. ولو كنتم من أهل الشعور والإدراك لعلمتم ذلك. ﴿**وما أنا بطارد المؤمنين**﴾: هذا جواب عما أوهمه كلامهم من استدعاء طردهم، وتعليق إيمانهم بذلك؛ حيث جعلوا أتباعهم مانعاً عنه. وقوله: ﴿**إن أنا إلا نذير مبين**﴾ كالعلة.. فما أنا إلا نذير للمكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الأعزاء أو الأذلاء.. فكيف يتسنى

طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء؟!. ﴿**قالوا: لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين**﴾! عبارة ردهم قوية بما فيها من ازدراء: يا نوح.. وقسم وتوكيد وكونه من الجماعة المحكوم عليهم بالرجم. وهو عقاب خاص على جرائم خاصة.. ﴿**قال رب: إن قومي كذبون.. فافتح بيني وبينهم فتحاً. ونجني ومن معي من المؤمنين**﴾: هذه حكاية إجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح.. ﴿**فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون**﴾: هذا تعقيب على دعائه: ربّ نجني وأهلي مما يعملون.

ومعروف أن نوحاً ومن آمن معه نجوا في السفينة التي صنعها نوح للنجاة.. ﴿**ثم أغرقنا بعدُ الباقين**﴾: كان الإغراق بَعْد مُهلة تهيأ فيها نوح بقدر ما يرتب شؤون الرحلة.. وبعد ما نجا ومن معه أغرق الله كل من بقي خارج السفينة. ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾: التعليق الرابع بعد قصة نوح وما جرى له مع قومه.. حتى كانت نهايتها الطوفان الجارف الذي أغرق كل معارض أو مخالف!. ﴿**كذبت عاد المرسلين: إذ قال لهم أخوهم هود: ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون.. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربّ العالمين**﴾: الكلام هنا مثل الذي مرّ في قصة نوح.

ومن عادة القرآن أن يأتي بقصة هود بعد قصة نوح. وتصدير القصص في هذه السورة بقوله تعالى كذبت.. الخ: تنبيه على أن مبنى البعثة هو الدعاء إلى معرفة الحق. والطاعة فيما يقرب المدعوَّ إلى الثواب، ويبعده عن العقاب، وأن الأنبئاء مجمعون على ذلك، وأنهم متنزهون عن المطامع الدنية والأغراض الدنيوية بالكلية. ﴿**أتبنون بكل ريع آية تعبثون**﴾؟!: رأى هود ـ عليه السلام ـ من قومه تمحضاً للشغل بأمور دنياهم.. ورأى إعراضاً كاملاً عن التفكير في الآخرة. والعمل لها، والنظر في العاقبة.. ورأى إشراكاً مع الله في ألوهيته، وانصرافاً عن عبادة الله وحده، الذي خلقهم وأعمرهم في الأرض، وزادهم قوة على الأمم.. فانصرفت همّاتهم إلى التعاظم والتفاخر واللهو واللعب.. فطال عليهم الأمد، وتفننوا في إرضاء الهوى، وأقبلوا على الملذات، واشتد الغرور بأنفسهم.. فأضاعوا الجانب الأهم للإنسان؛ وهو جانب الدين وزكاء النفس.

وأهملوا أن يقصدوا من أعمالهم المقاصد النافعة، ونية إرضاء على أعمالهم

لحب الرياسة والسمعة.. فعبدوا الأصنام، واستخفوا بجانب الله تعالى، واسْتَخْفُوا الناصحين!! وأرسل الله إليهم هوداً عليه السلام ففاتحهم بالتوبيخ على ما فُتِنُوا بالإعجاب به وبذمه؟ إذ ألهاهم التنافس فيه عن معرفة الله تعالى. ولما صار أثر البناء شاغلاً عن المقصد النافع للحياة في الآخرة نزل فعلهم المفضي إلى العبث منزلة الفعل الذي أريد منه العبث عند الشروع فيه.. فأنكر عليهم البناء بإدخال همزة الاستفهام الإنكاري على فعل تبنون.. وعطف عليه قوله: **﴿وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾**.

وهو داخل في حيز التعجب والإنكار.. وكذلك قوله: **﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين.. فاتقوا الله وأطيعون..﴾** ثم كرر الأمر بالتقوى مرة أخرى فقال: **﴿واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون: أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون..﴾** إنما أتى بفعل التقوا في الأمر الثاني معطوفاً ولم يُؤت به مفصولاً؛ لما في الأمر الثاني من الزيادة على ما في الأمر الأول من التذكير بإنعام الله عليهم.. فعلق بفعل التقوى في الأمر الأول اسم الله ـ فاتقوا الله ـ للإشارة إلى استحقاقه التقوى لذاته.. ثم علق بفعل التقوى في الأمر الثاني اسم الموصول بصلته الدالة على إنعام الله ـ واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون ..ـ للإشارة إلى استحقاقه التقوى لاستحقاقه الشكر على ما أنعم به عليهم. وجملة **﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم..﴾** تعليل للأمر بالتقوى. وتحذير من مغبة نتيجة النسيان والكفران!.. **﴿قالوا: سواء علينا: أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾**!.. فأجابوا بتأييسه من أن يقبلوا إرشاده.. فجعلوا وعْظَه وعدَمَه سواءً!.

وجملة **﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾** تعليل لمضمون ما قبله.. فأرادوا من هذا الكلام أن هذا ما نحن عليه هو ما كان عليه أسلافنا الأولون.. فلا نقبل فيه عذلاً ولا ملاماً! **﴿وما نحن بمعذبين﴾** حسبما نقول.. **﴿فكذبوه.. فأهلكناهم﴾**: ترتب على إنكارِهم تكذيبُهم. وترتب على تكذيبهم إهلاكُهم!.. فهكذا ينتهي أمرُ قومِ هود؟ «ألا بعداً لعادٍ قوم هود». **﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾**. هذا هو التعليق الخامس على قصة هود وقومه.

﴿كذبت ثمود المرسلين: إذ قال لهم أخوهم صالح: ألا تتقون؟ إنّي لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربّ

العالمين﴾: قول صالح لثمود مثل قول نوح وهود.. ﴿**أتتركون في ما ها هنا ءامنين﴾**؟!: وجه صالح هذا الكلام إلى قومه ثمود مستفهماً استفهام إنكار ونفي لبقائهم على هذه النعم العظيمة مع بقائهم على ما هم فيه من الأعمال والقبائح الذميمة!. . وقوله تعالى: ﴿**في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم**﴾ تفسير مما قبله من المبهم.. ﴿**وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين**﴾: زيادة في تذكيرهم النعمة التي خصهم الله بها. وهي نحت البيوت في الجبال ليستمتعوا بها في الصيف برداً وفي الشتاء حرارة ودفئاً.

هذه هي طبيعة البيوت الجبلية.. وكانوا يتنمقون فيها بأنواع الزخارف.. وينوعونها أقساماً.. فلم تكن دهاليز وجحوراً مثل جحور الحيوان.. وكلمة فرهين تعطينا معنى هذا التفسير.. فالفره صفة مشبهة تدل على الاستقرار والاستمرار. ومعناها: الحاذق والماهر المجد النابه.. ﴿**فاتقوا الله وأطيعوني. ولا تطيعوا أمر المسرفين: الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون**﴾: رتب على تذكير النعمة قوله: فاتقوا الله وأطيعوني. ووصل بهذا الأمر نـهْيَهُ عن إطاعة المسرفين في أمرهم.. وجملة الذين يفسدون في الأرض تفسير وتوضيح للمسرفين. وعَطَفَ عليه ولا يصلحون بياناً لخلوص إفسادهم عن مخالطة الإصلاح.

﴿**قالوا: إنما أنت من المسحّرين**﴾: أجابوا موعظته بالبهتان.. فزعموه فقَدَ رُشْدَه وتغيَّر حاله.. واختلقوا أن ذلك من أثر سحر شديد.. ﴿**ما أنت إلا بشر مثلنا**﴾: كلام مستأنف للتعليل؛ أي: لأنك بشر مثلنا، لا تميُّزَ لك علينا.. فدعواك إنما هي لخلل في عقلك! ﴿**فأت بآية إن كنت من الصادقين**﴾: تعقيب على قولهم: ما أنت إلا بشر مثلنا. ﴿**قال: هذه ناقة**﴾: هذه الآية التي طلبتموها حاضرة أمامكم تشاهدونها.. ﴿**لها شرب**﴾: يوم شرب خاص بها.. ﴿**ولكم شرب يوم معلوم**﴾: يوم خاص بكم.. فهو قسمة بينكم.. ﴿**ولا تمسوها بسوء.. فيأخذكم عذاب يوم عظيم.. فعقروها.. فأصبحوا نادمين.. فأخذهم العذاب**﴾: تلاحقت الأحداث بعضها إثر بعض.. طلبوا منه آية تدل على صدق دعوته فجاءهم العذاب: تلاحقت الأحداث بعضها إثر بعض.. طلبوا منه آية تدل على صدق دعوته فجاءهم بناقة.

وشرط عليهم أن لها يوماً خاصاً بها تشرب فيه.. ونهاهم عن مسها بأي

سوء.. فخالفوا وضايقوها في يومها.. ثم تحيلوا عليها فعقروها.. فتحقق نزول العذاب بهم.. فأخذهم العذاب! ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾: هذه الآية السادسة بعد قصة صالح مع قومه ثمود. ﴿**كذبت قوم لوط المرسلين: إذ قال لهم أخوهم لوط: ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين**﴾.

﴿**فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربّ العالمين**﴾: جاء الكلام على لوط وقومه مثل الكلام على ما ذكر من قبله.. ﴿**أتأتون الذكران من العالمين. وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون**﴾ هود وصالح ولوط، كل منهم واجه قومه بالاستفهام الإنكاري التعجيبي.. وكل منهم نظر إلى ما تميز به قومه من أعمال.. فقال هود لقومه: أتبنون بكل ريع آية تعبثون..؟!.. وقال صالح لقومه: أتتركون في ما ها هنا آمنين في جنات وعيون..؟!.. وقال لوط لقومه: أتأتون الذكران من العالمين؛ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم؟ بل أنتم قوم عادون!.. فكان الرد من قوم هود: قالوا: سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين؟!.. وكان الرد من قوم صالح: قالوا: إنما أنت من المسحّرين..!. وكان الرد من قوم لوط: ﴿**قالوا: لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين**﴾.

وهذا مثل رد قوم نوح على نوح: قالوا: لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين!. ﴿**قال: إني لعملكم من القالين**﴾: رد لوط على قومه مثل ما رد نوح على قومه بقوله: رب إن قومي كذبوني فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين.. فالتعبير بقوله من القالين أبلغ من أن يقول: إني لعملكم قال لدلالته على أن لوطاً من زمرة الراسخين في بغض هذا العمل المشهورين فيه. ولعل لوطاً أراد إظهار الكراهة في مساكنتهم، والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم؛ ولذلك أعرض عن محاورتهم، وتوجه إلى ربه قائلاً: ﴿**رب نجني وأهلي مما يعملون..**﴾ فاستجاب الله له وأسرع في طلبه.. ﴿**فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزاً في الغابرين.. ثم دمرنا الآخرين. وأمطرنا عليهم مطراً.. فساء مطر المنذرين**﴾. لقد أهلك الله قوم لوط.. فأمطر عليهم حجارة من سجيل. وقلب عليهم مدينتهم رأساً على عقب.. فجعلنا عاليها سافلها.. فساء مطر

المنذرين! **﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾**: هذا هو التعليق السابع بعد قصة لوط مع قومه. **﴿كذب أصحاب ليكة المرسلين: إذ قال لهم شعيب ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربّ العالمين﴾**: بعث الله شعيباً إلى أصحاب ليكة. وهم غير أصحاب مدين الذين ذكروا في آية وإلى مدين أخاهم شعيباً.. فقال هنا: إذ قال لهم شعيب.. فكان أجنبياً منهم.

﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾: بعدما أمرهم بعبادة الله وحده وتقوى الله وطاعة رسوله، وأمرهم بحسن المعاملة في البيع والشراء والأخذ والعطاء.. فأمر ونهي بقوله: أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين. **﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم. ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين..﴾** فقد عمم بعدما خصص.. ثم جمع سبب التقوى في قوله: **﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين..﴾** ثم ماذا كان رد هؤلاء؟ **﴿قالوا: إنما أنت من المسحرين..﴾** فهو مثل رد قوم صالح لصالح.. **﴿وما أنت إلا بشر مثلنا..﴾** فإدخال الواو بين الجملتين للدلالة على أن كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة؛ مبالغة في التكذيب! **﴿وإن نظنك لمن الكاذبين.. فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين﴾**.

زادوا في التحدي بالتكذيب بقولهم: وإن نظنك لمن الكاذبين.. فكان جوابهم بهذا التحدي بعْدَ ما شعروا من التهديد بالأمر بالتقوى. ولم يكن طلبهم هذا إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب.. فكان جواب شعيب لهم ما حكى عنه: **﴿قال: رب أعلم بما تعملون.. فكذبوه.. فأخذهم عذاب يوم الظلة: إنه كان عذاب يوم عظيم﴾**!.. فهذا عذاب خاص بأصحاب ليكة. وهو سحاب فيه نار.. فأهلكتهم.. **﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾**: هذا هو التعقيب الثامن بعد قصة أصحاب ليكة.

ولعل أصحاب ليكة وأصحاب الحجر أمم غير مدين قوم شعيب. مثل أصحاب الرس.. فهذا آخر القصص السبع ـ موسى. وإبراهيم. ونوح. وهود. وصالح. ولوط. وشعيب ـ التي أوحيت إلى رسول الله ـ محمد ـ ﷺ ـ؛ لتصرفه عن الحرص على إسلام قومه ـ العرب ـ، وقطع رجائه عنه، ودفع تحسره على

فواته، تحقيقاً لمضمون ما مر في مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى: وما يأتيهم من ذكر من الرحمان محدث إلا كانوا عنه معرضين.. فقد كذبوا.. فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون.. فإن كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد أتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة.

وما كان أكثرهم مؤمنين بعدما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة، من غير أن يتدبروا فيها ويعتبروا بما في كل واحدة منها من الدواعي إلى الإيمان، والزواجر عن الكفر والطغيان.. ومن غير أن يتأملوا في شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع علمهم بأن محمداً - ﷺ - لم يسمع شيئاً منها من أحد أصلاً، واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال، كأن لم يسمعوا شيئاً يزجرهم عن ذلك قطعاً.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**طسم. تلك آيات الكتاب المبين..**﴾: في هذا التوجيه ذكرُ مقدمة تبين الغرض المقصود من هذه السورة.. فموضوع هذه السورة الرئيسي هو موضوع السور المكية جميعاً.. العقيدة.. ملخصة في عناصرها الأساسية: توحيد الله.. والخوف من الآخرة.. والتصديق بالوحي المنزل على محمد رسول الله - ﷺ -.. ثم التخويف من عاقبة التكذيب، إما بعذاب الدنيا الذي يدمر المكذبين.. وإما بعذاب الآخرة الذي ينتظر الكافرين.. ذلك.. إلى تسلية الرسول وتعزيته عن تكذيب المشركين له وللقرآن.. وإلى طمأنة قلوب المؤمنين وتصبيرهم على ما يلقون من عنت المشركين.. وتثبيتهم على العقيدة مهما أوذوا في سبيلها من الظالمين؛ كما ثبت مَن قبلهم من المؤمنين.. وأساس هذه السورة هو القَصَصُ الذي يشغل معظم السورة.. فالسورة هي هذا القصص مع مقدمة وتعقيب.

والقصص والمقدمة والتعقيب تؤلف وحدة متكاملة متجانسة، تعبر عن موضوع السورة وتبرزه في أساليب متنوعة، تلتقي عند هدف واحد.. فمن ثَمّ تعرض من كل قصة الحلقة أو الحلقات التي تؤدي هذه الأغراض. ويغلب على القصص، كما يغلب على السورة كلها جوُّ الإنذار والتكذيب، والعذاب الذي يتبع التكذيب. ذلك: أن السورة تواجه تكذيب مشركي قريش لرسول الله محمد - ﷺ -،

واستهزاءَهم بالنُّذُر، وإعراضَهم عن آيات الله، واستعجالهم بالعذاب الذي يوعدهم به مع التقوّل على الوحي والقرآن؛ والادعاء بأنه سحر أو شعر تتنزل به الشياطين! وتبدأ السورة بذكر حروف ثلاثة: ط س م. للتنبيه إلى أن آيات الكتاب المبين ـ ومنها هذه السورة ـ مؤلفة من مثل هذه الأحرف.. وهي في متناول المكذبين بالوحي؛ وهم لا يستطيعون أن يصوغوا منها مثل هذا الكتاب المبين.

والحديث عن هذا الكتاب منذ أول في السورة، في مقدمتها ونهايتها؛ كما هو الشأن في السور المبدوءة بالأحرف المقطعة في القرءان. وبعد هذا التنبيه يبدأ في مخاطبة رسول الله الذي يهمه أمرُ المشركين ويؤذيه تكذيبهم له وللقرآن الكريم.. فيسلّيه ويهوّنه عليه الأمر، ويستكثر ما يعانيه من أجلهم؛ وقد كان الله قادراً على أن يلوي أعناقهم كرهاً إلى الإيمان بآية قاهرة تقسرهم عليه قسراً: ﴿**لعلك باخع نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين. إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقُهم لها خاضعين**﴾.

وفي التعبير ما يشبه العتاب على شدة ضيق الرسول وهمه بعدم إيمانهم وهذا يصور مدى ما كان الرسول يعاني من تكذيبهم، وهو موقن بما ينتظرهم بعد التكذيب! فتذوب نفسه عليهم ـ وهم أهله وعشيرته وقومه ـ ويضيق صدره.. فربه يرأف به، وينهنهُه عن هذا الهم القاتل، ويهون عليه الأمر، ويقول له: إن إيمانهم ليس مما كلفت.

ولو شئنا أن نكرههم عليه لأكرهناهم، ولأنزلنا من السماء آية قاهرة لا يملكون معها جدالاً، ولا انصرافاً عن الإيمان. ويصور خضوعهم لهذه الآية صورة حسية: فظلت أعناقهم لها خاضعين.. ملوية محنية؛ حتى لكأن هذه هيئة لهم لا تفارقهم؛ فهم عليها مقيمون!.. ولكنه سبحانه ـ لم يشأ أن يجعل مع هذه الرسالة الأخيرة آية قاهرة.. فقد جعل آيتها القرءان. منهاج حياة كاملة. معجزاً في كل ناحية.. معجزاً في بنائه التعبيري وتنسيقه الفني، باستقامته على خصائص واحدة، في مستوى واحد، لا يختلف ولا يتفاوت، ولا تتخلف خصائصه؛ كما هي الحال في أعمال البشر.

إذ يبدو الارتفاع والانخفاض والقوة والضعف في عمل الفرد الواحد لتغير الحالات. بينما تستقيم خصائص هذا القرآن التعبيرية على نسق واحد، ومستوى

واحد ثابت لا يتخلف، يدل على مصدره الذي لا تختلف عليه الأحوال. معجزاً في بنائه الفكري وتناسق أجزائه وتكاملها. . فلا فلتة فيه ولا مصادفة. كل توجيهاته وتشريعاته تلتقي وتتناسق وتتكامل. وتحيط بالحياة البشرية وتستوعبها وتُلبّيها وتدفعها، دون أن تتعارض جزئية واحدة من ذلك المنهاج الشامل الضخم مع جزئية أخرى، ودون أن يصطدم واحدة منها بالفطرة الإنسانية، أو تقصر عن تلبيتها. . فكلها مشدودة إلى محور واحد، وإلى عروة واحدة، في اتساق لا يمكن أن تفطن إليه خبرة الإنسان المحدودة.

ولا بدّ أن تكون هناك خبرة مطلقة غير مقيدة بقيود الزمان والمكان، هي التي أحأطت به هذه الإحاطة ونظمته هذا التنظيم. معجزاً في يسر مداخله إلى القلوب والنفوس، ولمس مفاتيحها وفتح مغاليقها، واستجاشة مواضع التأثر والاستجابة فيها؛ وعلاجها لعُقَدها ومشكلاتها في بساطة ويسر عجيبين!. وفي تربيتها وتصريفها وفق منهجه بأيسر اللمسات دون تعقيد ولا التواء ولا معاظلة. لقد شاء الله أن يجعل هذا القرآن هو معجزة هذه الرسالة ـ ولم يشأ أن ينزل آية قاهرة مادية تلوي الأعناق وتخضعها وتضطرها إلى التسليم ـ ذلك: أن هذه الرسالة الأخيرة رسالة مفتوحة للأمم كلها، وللأجيال كلها. وليست رسالة مغلقة على أهل زمان أو أهل مكان. . فناسب أن تكون معجزتها مفتوحة كذلك للبعيد والقريب. لكل أمة ولكل جيل. والخوارق القاهرة لا تلوي إلا أعناق الذين يشاهدونها. . ثم تبقى بعد ذلك قصة تُروَى، لا واقعاً يُشهد. . فأما القرآن فهو ذا بعد أكثر من أربعة عشر قرناً كتاب مفتوح ومنهج مرسوم.

يستمد منه أهل هذا الزمان ما يقوّم حياتهم ـ لو هُدوا إلى اتخاذهم إمامَهم ـ ويُلبّى حاجاتهم كاملة؛ ويقودهم بعدها إلى عالم أفضل، وأفق أعلى، ومصير أمثل. وسيجد فيه من بعدنا كثيراً مما نجده نحن. ذلك: أنه يعطي كل طالب بقدر حاجته، ويبقى رصيده لا ينفد. . بل يتجدد. . ولكن كثيراً من الناس لم يكونوا يفطنون إلى هذه الحكمة الكبرى. . فكانوا يعرضون عما يتنزل عليهم من هذا القرءان العظيم حيناً بعد حين: ﴿**وما يأتيهم من ذكر من الرحمان محدث إلا كانوا عنه معرضين.** .﴾ فيذكر اسم الرحمان هنا للإشارة إلى عظيم رحمته بتنزيل هذا الذكر. . . فيبدو إعراضهم عنه مستقبحاً كريهاً! وهم يعرضون عن الرحمة التي

تتنزل عليهم ويرفضونها ويحرمون أنفسهم منها وهم أحوج ما يكونون إليها! ويعقب عن هذا الإعراض عن ذكر الله وحرمته بالتهديد بعقابه وعذابه: ﴿**فقد كذبوا. . فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون. .**﴾ فهو تهديد مضمر مجمل مهول!. . ففي التعبير سخرية تناسب استهزاءهم بالوعيد!: ستأتيهم أخبار العذاب الذي يستهزئون به: وهم لم يتلقوا أخباراً. . إنما سيذوقون العذاب ذاته ويصبحون هم أخباراً فيه: يتناقل الناس ما حل بهم منه. . ولكنهم يستهزئون فيستهزأ بهم مع التهديد المرهوب! ومع هذا. . فهم يطلبون آية خارقة، ويغفلون عن آيات الله الباهرة فيما حولهم؛ وفيها الكفاية للقلب المفتوح والحس البصير.

وكل صفحة من صفحات هذا الكون العجيب آية تطمئن بها القلوب: ﴿**أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم**﴾؟!. . فمعجزة إخراج النبات الحي من الأرض، وجعله زوجاً ـ ذكراً وأنثى ـ إما منفصلين، كما في بعض فصائل النبات. . وإما مجتمعين، كما هو الغالب في عالم النبات. . فهذه المعجزة تتكرر في الأرض حولهم في كل لحظة. . فالأمر لا يحتاج إلى أكثر من الرؤية! والمنهج القرءاني في التربية يربط بين القلب ومشاهد هذا الكون. . وينبه الحس الخامد والذهن البليد.

والقلب المغلق إلى بدائع صنع الله المبثوثة حول الإنسان في كل مكان؛ كي يرتاد هذا الكون الحي بقلب حي. يشاهد الله في بدائع صنعه ويشعر به كلما وقعت على بدائعه، ويتصل به في كل مخلوقاته، ويراقبه وهو شاعر بوجوده في كل لحظة من لحظات الليل والنهار. ويشعر أنه هو واحد من عباده، متصل لمخلوقاته، مرتبط بالنواميس التي تحكمهم جميعاً. وله دوره الخاص في هذا الكون، وبخاصة هذه الأرض التي استخلف فيها: أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم؟؟!!. . فالكريم كريم بما فيه من حياة صادرة من الله الكريم. . فاللفظ يوحي إلى النفس باستقبال صنع الله بما يليق به من التكريم والحفاوة والاحتفال. . لا بالاستهانة والغفلة والإغفال. . ﴿**إن في ذلك لآية. .**﴾ وهم يطلبون الآيات. . ولكن أكثرهم لا يؤمن بهذه الآية.

﴿**وما كان أكثرهم مؤمنين**﴾! وتنتهي مقدمة السورة بالتعقيب الذي يتكرر في السورة بعد استعراض كل آية: ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن**

ربك لهو العزيز الرحيم. .﴾ العزيز القوي القادر على إيداع الآيات وأخذ المكذبين بالعذاب. . الرحيم: الذي يكشف عن آياته. . فيؤمنُ بها من يهتدي قلبه. . ويمهل المكذبين. . فلا يعذبهم حتى يأتيهم نذير. . وفي آيات الكون غني ووفرة. . ولكن رحمته تقتضي أن يبعث بالرسل للتبصير والتنوير!. والتبشير والتحذير. .

التوجيه الثاني: ﴿وإذا نادى ربك موسى: أن ائت القوم الظالمين: قوم فرعون! ألا يتقون﴾؟! في هذا التوجيه يتجه الأمر إلى الرسول بذكر قصة موسى عندما ناداه ربه وأمره بأن يأتي القوم الظالمين ـ قوم فرعون ـ! ألا يتقون الله؟!. . فهذه الحلقة من قصة موسى ـ عليه السلام ـ تجيء في هذه السورة متناسقة مع موضوع السورة ومع اتجاهها إلى بيان عاقبة المكذبين بالرسالة وإلى طمأنة الرسول ـ ﷺ ـ وتعزيته عما يلقاه من إعراض المشركين وتكذيبهم. . وإلى رعاية الله لدعوته والمؤمنين بها ـ ولو كانوا مجردين من القوة، وأعداؤهم أقوياء جبارون في الأرض. مسلطون عليهم بالأذى والتنكيل ـ وهو الموقف الذي كان فيه المسلمون بمكة عند نزول هذه السورة ـ وقد كان القصص إحدى وسائل التربية في القرآن الكريم.

وقد وردت حلقات من قصة موسى حتى الآن: في سورة البقرة، وسورة المائدة، وسورة الأعراف، وسورة يونس، وسورة الإسراء، وسورة الكهف، وسورة طه. . عدا إشارات إليها في سور أخرى. . وفي كل مرة كانت الحلقات التي تعرض منها أو الإشارات متناسقة مع موضوع السورة، أو السياق الذي تعرض فيه، على نحو ما هي في هذه السورة؛ وكانت تشارك في تصوير الذي يهدف إليه السياق. والحلقة المعروضة هنا هي حلقة الرسالة والتكذيب وما كان من غرق فرعون وملئه جزاء على هذا التكذيب، وعقاباً على ائتماره بموسى ومن معه من المؤمنين، ونجاة موسى وبني إسراءيل من كيد الظالمين. وهذه الحلقة من قصة موسى مقسمة إلى مشاهد استعراضية، بينها فجوات بمقدار ما يسدل الستار على المشهد. . ثم يُرفع عن المشهد الذي يليه.

وهنا سبعة مشاهد: **أولها**: مشهد النداء والبعثة والوحي والمناجاة بين موسى وربه. . **وثانيها**: مشهد مواجهة موسى لفرعون وملئه برسالته وآيتى العصا واليد البيضاء. **وثالثها**: مشهد التآمر وجمع السحرة وحشد الناس للمباراة الكبرى.

ورابعها: مشهد السحرة بحضرة فرعون يطمئنون على الأجر والجزاء! **وخامسها**: مشهد المباراة ذاته وإيمان السحرة وتهديد فرعون ووعيده. **وسادسها**: مشهد ذو شقين: الشق الأول مشهد إيماء الله لموسى أن يسري بعباده، والثاني مشهد إرسال فرعون في المدائن حاشرين يجمعون الجنود لملاحقة بني إسرائيل. **وسابعها**: مشهد المواجهة أمام البحر ونهايته من انفلاق البحر وغرق الظالمين ونجاة المؤمنين.

وقد عرضت هذه المشاهد في سورة الأعراف، وفي سورة يونس، وفي سورة طه. ولكنها عرضت في كل موضع من الجانب الذي يناسب ذلك الموضع، والطريقة التي تتفق مع اتجاهه. وكان التركيز فيها على نقط معينة هنا وهناك.. ففي الأعراف مثلاً بدأ بمشهد المواجهة بين موسى وفرعون مختصراً، ومر بمشهد السحرة ونهايته سريعاً، بينما وسع في عرض مؤامرات فرعون وملئه بعد ذلك، وعرض آيات موسى مدة إقامته في مصر بعد المباراة قبل مشهد الغرق والنجاة. واستطرد بعد ذلك مع بني إسرائيل بعد مجاورتهم البحر في حلقات كثيرة.. واختصر هذا هنا فلم يشر إليه.. بينما وسع في مشهد الجدال بين موسى وفرعون حول وحدانية الله ووحيه إلى رسوله.. وهو موضوع الجدل في هذه السورة بين المشركين ورسول الله.. وفي يونس بدأ بمشهد المواجهة مختصراً لم يعرض فيه آيتى العصا واليد.

واختصر كذلك في مشهد المباراة. بينما توسع هنا في كليهما. وفي سورة طه توسع في مشهد المناجاة الأول بين موسى وربه.. واستطرد بعد مشهدي المواجهة والمباراة.. فصاحب بني إسراءيل في رحلتهم طويلاً.. ولم يجاوز هنا مشهد الغرق والنجاة. وكذلك لا نجد تكرار في عرض القصة على كثرة ما عُرضت في سور القرءان؛ لأن هذا التنويع في اختيار الحلقات التي تُعرض، ومشاهد كل حلقة، والجانب الذي يُختار من كل مشهد، وطريقة عرضه.. كل أولئك يجعلها جديدة في كل موضع، متناسقة مع هذا الموضع.

المشهد الأول: مشهد التكليف بالرسالة لموسى. وهو يبدأ بإعلان صفة القوم: أن ائت القوم الظالمين.. فقد ظلموا أنفسهم بالكفر والضلال.. وظلموا بني إسراءيل بما كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ويعذبونهم بالسخرة

والنكال.. فهو يقدم صفتهم.. ثم يعينهم: قوم فرعون!.. ثم يُعجّب موسى من أمرهم، ويُعجّب كُلَّ إنسان: ألا يتقون؟! ألا يخشون ربهم؟! ألا يخافون مغبّة ظلمهم؟! ألا يرجعون عن غيّهم؟! ألا إن أمرهم لعجيب يستحق التعجيب! وكذلك كل من كان على شاكلتهم من الظالمين! ولم يكن أمر فرعون وملئه جديداً على موسى.. فهو يعرفه، ويعرف فرعون وعتوه وجبروته، ويدرك أن مهمته مهمة ضخمة وتكليف عظيم.. فمن ثَمَّ يشكو إلى ربه ما به من ضعف وقصور.. لا ليتنصل أو يعتذر عن التكليف ـ ولكن ليطلب العون والمساعدة في هذا التكليف العسير.. ﴿**قال: ربّ إني أخاف أن يكذبوني ويضيق صدري ولا ينطلق لساني.. فأرسل إلى هارون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلوني..**﴾ فالظاهر من حكاية قول موسى: أن خوفه ليس من مجرد التكليف.. ولكن من حصوله في وقت يضيق فيه صدره ولا ينطلق لسانه.. فلا يملك أن يبين، وأن يناقش هذا التكذيب ويفنده؛ إذ لم يتمرّس عن محاورة الملوك الجبابرة.. فمن هنا خشي موسى أن يقصّر وهو في موقف المواجهة بالرسالة لظالم جبار كفرعون.. فشكا إلى ربه ضعفه في محاورته، وما يخشاه على تبليغ رسالته.. فطلب إلى ربه أن يرسل جبريل إلى هارون أخيه؛ لأنه أدرى بمجاورة فرعون وأعرف بمداخل القوم؛ لبقائه معهم.. فيشاركه معه في الرسالة، اتقاء للتقصير في أداء التكليف.. فهارون أفصح لساناً بما يقول ويقال له: لمعرفته الواسعة بلسانهم واطلاعه على أهدافهم وأغراضهم من كلامهم.

ومع هذا.. فهو مطالب بما فعل من قتل القبطي: ولهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلوني.. فهو حريص على نجاح الدعوة من ناحيتين: من ناحية قوة الحجة على صحة الدعوة. ومن ناحية بقاء الدعوة لو فرض أنه قتل.. حتى إذا قتلوه قام هارون من بعده بالرسالة، وأتم الواجب كما أمره ربه دون تعويق.. فهو الاحتياط للدعوة لا للداعية!.. الاحتياط من أن يحتبس لسانه في الأولى وهو في موقف المنافحة عن رسالة ربه وبيانها.. فتبدو الدعوة ضعيفة قاصرة. والاحتياط من أن يقتلوه في الثانية.. فتتوقف دعوة ربه التي كُلف أداءها وهو على إبلاغها واطرادها حريص.

ولمّا أظهر موسى لربه من حرصه وإشفاقه واحتياطه أجابه ربه إلى ما سأل،

وطمأنه مما يخاف. والتعبير هنا يختصر مرحلة الاستجابة، ومرحلة الإرسال إلى هارون، ومرحلة وصول موسى إلى مصر ولقائه لهارون. ويبرز مشهد موسى وهارون مجتمعين يتلقيان أمر ربهما، في نفس اللحظة التي يُطمْئِنُ الله فيها موسى، وينفي مخاوفه نفياً قاطعاً في لفظة تستخدم أصلاً للردع، وهي لفظة «كلاّ»!: **﴿قال: كلا. . فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون﴾**. كلا. . فلن يضيق صدرك. . ولا يحتبس لسانك. . ولن يقتلوك. . فأبعد هذا كله عن بالك. . فاذهب أنت وأخوك بآياتنا. . فالسياق يختصر ويقتصر عن الآيات في الجملة؛ لأن التركيز في هذه السورة موجه إلى موقف المواجهة وموقف السحرة وموقف الغرق والنجاة.

إنا معكم مستمعون: اذهبا إلى فرعون ولا تخافا. . فأنا حاضر أسمع وأرى ما يدور بينكم. . فدقة التعبير هنا تقتضي دقة الرعاية وقوة المعونة وحضور العناية الدائمة. . **﴿فأتيا فرعون. .﴾** فأخبراه بمهمتكما في غير حذر ولا تلجلج. . **﴿فقولا: إنا رسول ربّ العالمين. .﴾** فهما اثنان. . ولكنهما يذهبان في مهمة واحدة برسالة واحدة فهما رسول: رسول ربّ العالمين. في وجه فرعون الذي يدّعي الألوهية، ويقول لقومه: ما علمت لكم من إله غيري. . فهي المواجهة القوية الصريحة بحقيقة التوحيد منذ اللحظة الأولى، بلا تدرج فيها ولا حذر. . فهي حقيقة واحدة لا تحتمل التدرج والمداراة. . فواضح من هذا ومن أمثاله في قصة موسى في القرءان أنه لم يكن رسولاً إلى فرعون وقومه ليدعوهم إلى دينه ويأخذهم بمنهج رسالته. . إنما كانوا رسولاً إليهم ليطلب إطلاق بني إسراءيل ليعبدوا ربهم كمايريدون.

وقد كانوا أهل دين منذ أبيهم إسراءيل. . فبَهَتَ هذا الدينَ في نفوسهم وفسدت عقائدهم. . فأرسل الله إليهم موسى لينقذهم من ظلم فرعون، ويعيد تربيتهم على دين التوحيد الذي كان عليه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ـ إسرائيل ـ: **﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل. .﴾** فإلى هنا نحن أمام مشهد البعثة والوحي والتكليف. . ولكن الستار يسدل؛ لنكون أمام مشهد المواجهة. وقد اختصر ما هو مفهوم بين المشهدين؛ على طريقة القرآن في عرض المشاهد. . فيعجب فرعون وهو يرى موسى يواجهه بهذه الدعوى الضخمة: إنا رسول ربّ العالمين. . ويطلب إليه ذلك الطلب الضخم: أن أرسل معنا بني إسرائيل فإن آخر عهده

بموسى أنه كان ربيباً في قصره منذ أن التقطوا تابوته.. فهرب بعد قتله القبطي الذي وجده يتعارك مع الإسرائيلي.. فما أبعد المسافة بين آخر عهد فرعون بموسى إذن وهذه الدعوى الضخمة التي يواجهه بها!.

ومن ثمّ بدأ فرعون متهكماً مستهزئاً مستعجباً: ﴿**قال: ألم نربّك فينا وليداً؟! ولبثت فينا من عمرك سنين..**﴾ فهل هذا جزاء التربية والكرامة التي لقيتها عندنا وأنت وليد؟ لتأتي اليوم وتخالف ما نحن عليه من ديانة.. وتخرج على فرعون الذي نشأت في كنفه، وتدعو إلى إله غيره؟!.. ثم يذكره بحادث مقتل القبطي في تهويل وتجسيم: ﴿**وفعلت فعلتك التي فعلت..**﴾ فعلتك البشعة الشنيعة التي لا يليق الحديث عنها بالألفاظ المفتوحة! فعلتها.. ﴿**وأنت من الكافرين**﴾: حيث كفرت بنعمتي وتعديت على حرمتي.. فقتلت أحد رعيتي!!.. فهكذا جمع فرعون كل ما حسبه ردّاً قاتلاً حاسماً لا يملك موسى معه جواباً ولا يستطيع منه خلاصاً، وبخاصة قضية القتل وما يمكن أن يعقبها من قصاص.. فهو يتهدده به من وراء الكلمات!.. ولكن موسى وقد استجاب الله دعاءه فأزال عنه ما كان يخافه من عقدة لسانه أمام جبروت فرعون وطغيانه.. فانطلق يجيب بفصاحة لسانه وقوة جَنانه: ﴿**قال: فعلتها إذن وأنا من الضالين..**﴾ ففعلت تلك الفعلة، وأنا بعدُ مندفع: أندفع اندفاع العصبية لقومي؛ لا اندفاع العقيدة التي عرفتها اليوم بما أعطاني ربي من الحكمة.. ﴿**ففررت منكم لما خفتكم.. فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين**﴾.

قد وهب الله لموسى قوتين: قوة الحكم.. وقوة الوحي. ثم يجيب موسى فرعون تهكماً بتهكم: ﴿**وتلك نعمة تمنها عليّ: أن عبدت بني إسراءيل**﴾!!.. فما كانت تربيتي في بيتك وليداً إلا من جراء استعبادك لبني إسراءيل، وقتلك أبناءهم مما اضطر أمي أن تلقيني في التابوت.. فتقذف بالتابوت في الماء.. فتلتقطوني.. فأربى في بيتك لا في بيت أبوي.. فهل هذا هو ما تمنه عليّ؟ وهل هذا هو فضلك العظيم؟!. عندئذٍ عدل فرعون عن هذه المسألة، وراح يسأله عن صميم دعواه.. ولكن في تجاهل وهراء وسوء أدب في حق الله العزيز الكريم: ﴿**قال فرعون: وما ربّ العالمين**﴾؟! إن فرعون ـ قبحه الله ـ يسأل: أي شيء يكون ربّ العالمين الذي تقول: إنك من عنده رسول؟!.

وهو سؤال المتنكر للقول من أساسه، المتهكم على القول والقائل، المستغرب للمسألة كلها. . حتى ليراها غير ممكنة التصور، غير قابلة لأن تكون موضوع حديث!. . فيجيبه موسى بالصفة التي تدل على ربوبية الله تعالى للكون المنظور كله وما فيه: ﴿**قال: ربّ السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين. .**﴾ فهو جواب يكافىء ذلك التجاهل ويغطيه. . فهو ربّ هذا الكون الهائل الذي لا يبلغ إليه سلطانك ولا علمك. . وقصارى ما ادّعاه فرعون: أنه إله هذا الشعب، وهذا الجزء من وادي النيل.

وهو ملك صغير ضئيل؛ كالذرة أو الهباءة في ملكوت السماوات والأرض وما بينهما وكذلك كان جواب موسى يحمل استصغار ما يدّعيه فرعون مع بطلانه، وتوجيه نظره إلى هذا الكون الهائل، والتفكير فيمن يكون ربه. . فهو ربّ العالمين. . ثُمّ عقب على هذا التوجيه بما حكايته: إن كنتم موقنين. . فهذا وحده هو الذي يحسن اليقين به والتصديق. والتفت فرعون إلى من حوله، يُعجّبُهم من هذا القول، لعله يصرفهم عن التأثُرُ به، على طريقة الجبارين الذين يخشون تسرب كلمات الحق البسيطة الصريحة إلى القلوب: ﴿**قال لمن حوله: ألا تستمعون**﴾؟! ألا تستمعون إلى هذا القول العجيب الغريب، الذي لا عهد لنا به، ولا قاله أحد نعرفه؟! ولم يلبث موسى أن هجم عليه وعليهم بصفة أخرى من صفات ربّ العالمين: ﴿**قال: ربكم وربّ آبائكم الأولين. .**﴾ فهذه أشد مساساً بفرعون ودعواه وأوضاعه. . فهو يجبهه بأن ربّ العالمين هو ربه. . فما هو إلا واحد من عبيده، لا إلهٌ كما يدّعي بين قومه، وهو رب قومه. . فليس فرعونُ ربَّهم كما يزعم ويلبس عليهم. . فهو رب آبائهم الأولين. . فالوراثة التي تقوم عليها ألوهية فرعون دعوى باطلة. . فما كان من قبلُ إلا الله رباً للعالمين. وإنها للقاصمة لفرعون. . فما يطيق عليها سكوتاً والملأ حوله يستمعون. ومن ثَمّ يرمي قائلها في تهكم بالجنون: ﴿**قال: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. .**﴾ فهو يريد أن يتهكم على مسألة الرسالة في ذاتها. . فيُبعِد القلوب عن تصديقها بهذا التهكم، لا أنه يريد الإقرار بها والاعتراف بإمكانها.

ويتهم موسى بالجنون؛ ليذهب أثر مقالته التي تطعن وضع فرعون السياسي والديني في الصميم، وترد الناس إلى الله ربهم ورب آبائهم الأولين. . ولكن هذا

التهكم وهذا القذف لا يفتّ في عضد موسى.. فيمضي في طريقه يصدع بكلمة الحق التي تزلزل الطغاة والمتجبرين: ﴿**قال: رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون**﴾ فالمشرق والغرب مشهدان معروضان للأنظار كل يوم.. ولكن القلوب لا تنتبه إليهما لكثرة تكرارهما وشدة ألفتهما. واللفظ يدل على الشروق والغروب، كما يدل على مكانيهما. وهذان الحدثان العظيمان لا يجرُؤ فرعون ولا غيره من المتجبرين أن يدّعي تصريفهما.. فمن يصرفهما إذنْ؟ ومن ينشئهما بهذا الاطراد الذي لا يتخلف مرة، ولا يبطيء عن أجله المرسوم؟.

إن هذا التوجيه يهز القلوب البليدة هزاً، ويوقظ العقول الغافية إيقاظاً؛ وموسى يثير مشاعرهم، ويدعوهم إلى التدبر والتفكير: إن كنتم تعقلون.. فالطغيان لا يخشى شيئاً كما يخشى يقظة الشعوب وصحوة القلوب. ولا يكره أحداً كما يكره الداعين إلى الوعي واليقظة. ولا ينقم على أحد كما ينقم على من يهزون الضمائر الغافية. ومن ثَمّ ترى فرعون يهيج على موسى ويثور عندما يمس بقوله هذا أوتار القلوب.. فينهي الحوار معه بالتهديد الغليظ بالبطش الصريح الذي يعتمد عليه الطغاة عندما يُسقَط في أيديهم وتخذلهم البراهين: ﴿**قال: لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين..**﴾ فهذه هي الحجة وهذا هو الدليل: التهديد بأن يسلكه في عداد المسجونين.. فليس السجن عليه ببعيد.. وليس هو بالإجراء الجديد! وهذا هو دليل العجز وعلامة الشعور بضعف الباطل أمام الحق الدافع.. فتلك سمة الطغاة وطريقهم في القديم والجديد!.. غير أن التهديد لم يُفقد موسى رباطة جأشه.. فكيف ـ وهو رسول الله ـ والله معه ومع أخيه؟!.. فإذا هو يفتح الصفحة التي أراد فرعون أن يغلقها ويستريح.

يفتحها بقول جديد وبرهان جديد: ﴿**قال: أو لو جئتك بشيء مبين**﴾؟.. فحتى لو جئتك ببرهان واضح على صدق رسالتي، فإنك تجعلني من المسجونين؟ وفي هذا إحراج لفرعون أمام الملإ الذين استمعوا لما سبق من قول موسى.. فلو رفض الإصغاء إلى برهانه المبين لدل على خوفه من حجته وهو يدعي أنه مجنون. ومن ثَمّ وجد نفسه مضطراً أن يطلب منه الدليل: ﴿**قال: فأت به إن كنت من الصادقين..**﴾ إن كنت من الصادقين في دعواك وفي أن لديك شيئاً مبيناً.. ففرعون ما يزال يُشكك في موسى؛ خيفة أن تترك حجتُه في نفوس القوم شيئاً.

هنا كشف موسى عن معجزتيه الماديتين؛ وقد أخرهما حتى بلغ التحدي من فرعون أقصاه: ﴿**فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين. ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين**. .﴾ والتعبير يدل على أن العصا تحولت فعلاً إلى ثعبان تدب فيه الحياة.. وأن يده حين نزعها كانت بيضاء فعلاً. يدل على هذا بقوله: فإذا هي.. فلم يكن الأمر تخييلاً؛ كما هو الحال في السحر الذي لا يغير طبائع الأشياء.. إنما يخيل للحواس بغير الحقيقة.

ومعجزة الحياة التي تدب من حيث لا يعلم البشر معجزة تقع في كل لحظة.. ولكن الناس لا يلقون لها بالاً؛ لطول الألفة والتكرار.. ولأنهم لا يشهدون التحول على سبيل التحدي.. فأما في مثل هذا المشهد، وموسى يلقي في وجه فرعون بهاتين الخارقتين فالأمر يُزلزل ويُرهب!.. فقد أحس فرعون بضخامة المعجزة وقوتها.. فأسرع يقاومها ويدفعها، وهو يحس ضعف موقفه، ويكاد يتملق القوم من حوله؛ ويهيج مخاوفهم من موسى وقومه؛ ليغطي على وقع المعجزة المزلزِلة: ﴿**قال للملإ حوله: إن هذا لساحر عليم، يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره.. فماذا تأمرون؟**..﴾ ففي قولة فرعون هذه يبدو إقراره بعظمة المعجزة، وإن كان يسميها سحراً.. فهو يصف صاحبها بأنه ساحر عليم.. ويبدو ذعرُه من تأثر القوم بها.. فهو يغريهم به: يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره!.. ويبدو تضعضعَه وتهاويه وتواضعه للقوم الذين يجعل نفسه لهم إلهاً.. فيطلب أمرهم ومشاورتهم: فماذا تأمرون؟! ومتى كان فرعون يطلب أمر أتباعه، وهم له يسجدون؟!. وتلك شنشنة الطغاة حينما يحسون أن الأرض تتزلزل تحت أقدامهم. عندئذٍ يلينون في القول بعد التجبر، ويلجأون إلى الشعوب وقد كانوا يدوسونها بالأقدام.

ويتظاهرون بالشورى في الأمر وهم كانوا يستبدون بالهوى: ذلك إلى أن يتجاوزوا منطقة الخطر.. ثمّ إذا هم هم جبابرة مستبدون ظالمون! وأشار عليه الملأ؛ وقد خدعتهم مكيدته، وهم شركاء فرعون في باطله، وأصحاب المصلحة في بقاء الأوضاع التي تجعلهم حاشية مقربة ذات نفوذ ذو سلطان؛ وقد خافوا أن يغلبهم موسى وبنوا إسرائيل على أرضهم لو اتبعتهم الجماهير حين ترى معجزتي موسى وتسمع إلى ما يقول.. فأشاروا عليه أن يلقي سحره بسحر مثله بعد التهيئة

والاستعداد: ﴿**قالوا: أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحّار عليم..**﴾ فأمهل موسى وأخاه هارون إلى أجل؛ وابعث رسلك إلى مدائن مصر الكبرى يجمعون السحرة المهرة؛ لإقامة مباراة للسحر بينهم وبين موسى.. فهنا يسدل الستار على هذا المشهد؛ ليرفع على مشهد السحرة يُحشدون، والناس يجمعون للمباراة. وتبَثُّ فيهم الحماسة للسحرة ومن خلفهم من أصحاب السلطان.

وتُهيّأ أرض المباراة بين الحق والباطل.. وبين الإيمان والطغيان!: ﴿**فجمع السحرة لميقات يوم معلوم. وقيل للناس: هل أنتم مجتمعون؟ لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين**﴾!.. فتظهر من التعبير حركة الإهاجة والتحميس للجماهير: هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة.. هل لكم في التجمع وعدم التخلف عن الموعد؛ لنترقب فوز السحرة وغلبتهم على موسى الإسراءيلي.. والجماهير دائماً تتجمع لمثل هذه الأمور دون أن تفطن إلى أنّ حكامها الطغاة يلهون بها ويعبثون ويشغلونها بهذه المباريات والاحتفالات والتجمعات ليلهوها عما تعاني من ظلم وكبت وبؤس.. وهكذا تجمّع المصريون ليشهدوا المباراة بين السحرة وموسى عليه السلام.

ثم يجيء مشهد السحرة بحضرة فرعون قبل المباراة، يطمئنون على الأجر والمكافأة إن كانوا هم الغالبين.. ويتلقون من فرعون الوعد بالأجر الجزيل.. والقربى من عرشه الكريم..!!: ﴿**فلما جاء السحرة قالوا لفرعون: أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين؟ قال: نعم.. وإنكم إذاً لمن المقربين..**﴾ وهكذا ينكشف الموقف عن جماعة مأجورة يستعين بها فرعون الطاغية، تبذل مهارتها في مقابل الأجر الذي تنتظره.. فلا علاقة لها بعقيدة، ولا صلة لها بقضية! ولا شيء سوى الأجر والمصلحة.. فهؤلاء هم الذين يستخدمهم الطغاة دائماً في كل مكان وفي كل زمان. وها هم أولاء يستوثقون من الجزاء على تعبهم ولعبهم وبراعتهم في الخداع! وها هو ذا فرعون يعدهم بما هو أكثر من الأجر.. يعدهم أن يكونوا من المقربين إليه.. فهو بزعمه الملك والإله!.. ثُمّ يبدأ مشهد المباراة الكبير بأحداثه الجسام.. فيبدأ هادئاً عادياً.. إلا أنه يشي منذ البدء باطمئنان موسى إلى الحق الذي معه، وقلة اكتراثه لجموع السحرة المحشودين من المدائن المستعدين لعرض

أقصى ما يملكون من براعة.. ووراءهم فرحون وملؤه وحولهم تلك الجماهير المضللة المخدوعة.. يتجلى هذا الاطمئنان في تركه إياهم يبدأون: ﴿**قال لهم موسى: ألقوا ما أنتم ملقون..**﴾ ففي تعبير موسى هذا ما يشي بالاستهانة.. دون مبالاة ولا تحديد ولا اهتمام! وحشد السحرة أقصى مهارتهم وأعظم كيدهم.. فبدأوا الجولة باسم فرعون وعزته: ﴿**فألقوا حبالهم وعصيهم، وقالوا: بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون..**﴾ فلا يفُصّل السياق هنا ما كان من أمر حبالهم وعصيهم كما فصّله في سورة الأعراف وسورة طه؛ ليلقي ظل الطمأنينة والثبات للحق.

وينتهي مسارعاً إلى عاقبة المباراة بين الحق والباطل؛ لأن هذا هو هدف السورة الأصيل: ﴿**فألقى موسى عصاه.. فإذا هي تلقف ما يأفكون..**﴾ فوقعت المفاجأة المذهلة التي لم يكن يتوقعها كبارُ السحرة.. فقد بذلوا غاية الجهد في فنهم الذي عاشوا به وأتقنوه.. وجاؤوا بأقصى ما يملك السحرة أن يصنعوه.. وهم جمع كثير محشود من كل مكان.. وموسى وحده وليس معه إلا عصاه! ثم إذا هي تتلقف ما يأفكون.. فعهدهم بالسحر أن يكون تخييلاً.. ولكن هذه العصا تلقفت حبالهم وعصيهم حقاً.. فلا تبقى لها أثراً.. فلو كان ما جاء به موسى سحراً لبقيت حبالهم وعصيهم بعد أن خيل لهم وللناس أن حية موسى ابتلعتها.. ولكنهم ينظرون.. فلا يجدونها فعلاً. عندئذٍ لا يملك السحرة أنفسهم من الإذعان للحق الواضح الذي لا يقبل جدلاً.

وهم أعرف الناس بأنه الحق: ﴿**فألقى السحرة ساجدين قالوا: آمنا بربّ العالمين: ربّ موسى وهارون..**﴾ فهم قد كانوا منذ لحظة مأجورين ينتظرون الجزاء من فرعون على مهارتهم.. فلم يكونوا أصحاب عقيدة ولا قضية.. ولكن الحق الذي مس قلوبهم قد حولهم تحويلاً.. فقد كانت هزّةً رجتهم رجّاً، وخضّتهم خضاً.. فوصلت إلى أعماق قلوبهم وقرارة نفوسهم.. فأزالت عنها ركام الضلال، وجعلتها صافية حية خاشعة للحق، عامرة بالإيمان في لحظات قصار.. فإذا هم يجدون أنفسهم ملقين سجداً بغير إرادة منهم.. تتحرك ألسنتهم.. فتنطلق بكلمة الإيمان في نصاعة وبيان.. فإن القلب البشرى لعجيب غاية العجب.. فإن لمسة واحدة تصادف مكانها لنبدله تبديلاً.

وهكذا انقلب السحرة المأجورون مؤمنين من خيار المؤمنين. على مرأى

ومسمع من الجماهير المحشودة، ومن فرعون وملئه. لا يفكرون فيما يعقب جهرهم بالإيمان في وجه الطاغية من عواقب ونتائج.. ولا يعنيهم ماذا يفعل أو ماذا يقول. ولا بدّ إن كان لهذا الانقلاب المفاجىء وقعُ الصاعقة على فرعون وملئه.. فالجماهير حاشدة وقد عبأهم عملاء فرعون وهم يحشدونهم لشهود المباراة.. عبأوهم بأكذوبة أن موسى الإسرائيلي ساحر يريد أن يخرجهم من أرضهم بسحره، ويريد أن يجعل الحكم لقومه.. وأن السحرة سيغلبونه ويفحمونه.. ثُمّ ها هم أولاء يرون السحرة يلقون ما يلقون باسم فرعون وعزته.. ثُمّ يُغلَبون حتى ليقرون بالغلب؛ ويعترفون بصدق موسى في رسالته من عند الله، ويؤمنون بربّ العالمين الذي أرسله، ويخلعون عنهم عبادة فرعون، وهم كانوا منذ لحظة جنوده الذين جاؤوا لخدمته، وانتظروا أجره واستفتحوا بعزته! وإنه لانقلاب يهدد عرش فرعون؛ إذ يتهدد الأسطورة الدينية التي يقوم عليها هذا العرش. أسطورة ألوهية الحاكم أو بنوّة الحاكم للإله.. فالسحر كان حرفة لا يزاولها إلا كهنة المعابد في طول البلاد وعرضها. ها هم أولاء يؤمنون بربّ العالمين: ربّ موسى وهارون. والجماهير تسير وراء الكهنة في معتقداتها التي تلهيهم بها.. فماذا يبقي لعرش فرعون من سند إلا القوة؟ والقوة وحدها بدون عقيدة لا تقيم عرشاً ولا تحمي حكماً.

إن لنا أن نقدر ذعر فرعون لهذه المفاجأة، وذعر الملإ من حوله، إذا نحن تصورنا هذه الحقيقة؛ وهي إيمان السحرة الكهنة هذا الإيمان الصريح الواضح القاهر الذي لا يملكون معه إلا أن يلقوا سجداً معترفين منيبين. عندئذٍ جن جنون فرعون.. فلجأ إلى التهديد البغيض بالعذاب والنكال. بعد أن حاول أن يتهم السحرة بالتآمر عليه وعلى الشعب مع موسى: ﴿**قال آآمنتم له قبل أن آذن لكم..**﴾ فلم يقل آمنتم به.. إنما قال آمنتم له.. فعده استسلاماً لموسى قبل إذن فرعون، على طريقة المناورات التي يدبرها صاحبها وهو مالك لإرادته عارف بهدفه مقدر لعاقبته، ولم يُشعر قلبه بتلك اللمسة التي مسّت قلوب السحرة.

ومتى كان للطغاة قلوب تشعر بهذه اللمسات الوضيئة؟!.. ثم سارع في اتهامهم لتبرير ذلك الانقلاب الخطير: ﴿**إنه لكبيركم الذي علمكم السحر..**﴾ ثم جعل يهدد بالعذاب الغليظ بعد التهويل فيما ينتظر المؤمنين: ﴿**فلسوف تعلمون:**

لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف.. ولأصلبنكم أجمعين﴾!: إنها الحماقة التي يرتكبها كل طاغية، عندما يحس بالخطر على عرشه أو شخصه.. يرتكبها في عنف وغلظة وبشاعة، بلا تحرج من قلب أو ضمير.. وإنها لكلمة فرعون الطاغية المتجبر الذي يملك تنفيذ ما يقول.. فما تكون كلمة الفئة المؤمنة التي رأت النور! إنها كلمة القلب الذي وجد الله فلم يعد يحفل ما يفقد بعد هذا الوجدان.

القلب الذي اتصل بالله فذاق طعم العزة فلم يعد يحفل الطغيان. القلب الذي يرجو الآخرة فلا يهمه من أمر هذه الدنيا قليل ولا كثير!: ﴿**قالوا: لا ضير.. إنا إلى ربنا منقلبون..**﴾ فلا ضرر في تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف.. ولا ضرر في التصليب والتعذيب.. ولا ضرر في الموت والاستشهاد.. فلا ضير ولا خوف مما تهدد به وتوعد.. فليكن في هذه الأرض ما يكون: ﴿**إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا: أن كنا أول المؤمنين..**﴾ فالمطمع الذي نتعلق به ونرجوه: أن يغفر لنا ربنا خطايانا.. جزاء: أن كنا أول المؤمنين.. وأن كنا نحن السابقين!. بالله! يا لروعة الإيمان حين يشرق في الضمائر. وحين يفيض على الأرواح. وحين يبث الطمأنينة في القلوب. وحين يرتفع بسلالة الطين إلى أعلى عليين.

وحين يملأُ القلوب بالغنى والذخر والوفر.. فإذا كل ما على الأرض تافه حقير زهيد. هنا يسدل السياقُ الستارَ على هذه الروعة الغامرة.. فلا يزيد شيئاً.. فيسكت عن مصير المؤمنين من السحرة.. وكيف كانت نتيجة هذا التهديد؟!؛ ليُبقي للمشهد جلالَه الباهر وإيقاعه العميق. وهو يربي به النفوس في مكة. وهي تواجه الأذى والكرب والضيق.. ويربي به كل صاحب عقيدة يواجه بها الطغيان والعسف والتعذيب في كل زمان ومكان.. فأما بعد ذلك.. فالله يتولى عباده المؤمنين، وفرعون يتآمر ويجمع جنوده أجمعين: ﴿**وأوحينا إلى موسى: أن أسر بعبادي.. إنكم متبعون.. فأرسل فرعون في المدائن حاشرين..**﴾ فهناك فجوة في الوقائع والزمن لا تذكر في هذا الموضع.. فقد عاش موسى وبنو إسرائيل فترة بعد المباراة وقعت فيها الآيات الأخرى المذكورة في سورة الأعراف قبل أن يوحي الله لموسى بالرحيل بقومه ولكن السياق هنا يطويها؛ ليصل إلى النهاية المناسبة لموضوع السورة واتجاهها الأصيل.

لقد أوحى الله إلى موسى، إِذَنْ: أن يسري بعباده، وأن يرحل بهم ليلاً، بعد

تدبير وتنظيم، ونبأه: أن فرعون سيتبعهم بجنده، وأمره: أن يقود قومه إلى ساحل البحر ـ البحر الذي يفصل أرض مصر عن أرض سيناء ـ؛ وعلم فرعون بخروج بني إسرائيل خلسة. . فأمر بما يسمى التعبئة العامة، وأرسل في المدائن حاشرين يجمعون له الجنود؛ ليدرك موسى وقومَه، ويفسد عليهم تدبيرهم، وهو لا يعلم أنه تدبير صاحب التدبير!. وانطلق عملاء فرعون يجمعون الجند. . ولكن هذا الجمع قد يشي بانزعاج فرعون، وبقوة موسى ومن معه وعظم خطرهم. . حتى ليحتاج الملك الإله ـ بزعمه ـ إلى التعبئة العامة.

ولا بد إذن ـ من التهوين من شأن المؤمنين: ﴿**إن هؤلاء لشرذمة قليلون**. .﴾ ففيم ـ إذن ـ ذلك الاهتمام بأمرهم، والاحتشاد لهم، وهم شرذمة قليلون؟!. . ﴿**وإنهم لنا لغائظون**. .﴾ فهم يأتون من الأفعال والأقوال ما يُغيظ ويُغضب ويُثير! وإذن. . فلهم شأن وخطر على كل حال!. . فليقل العملاء: إن هذا لا يهم فنحن لهم بالمرصاد: ﴿**وإنا لجميع حذرون**. .﴾ فنحن مستيقظون دائماً لمكائدهم من زمان بعيد محتاطون لأمرهم، ممسكون بزمام الأمور! إنها حيرة الباطل المتجبر دائماً في مواجهة أصحاب العقيدة المؤمنين. وقبل أن يعرض المشهد الأخير يعجل السياق بالعاقبة الأخيرة من إخراج فرعون وملئه مما كانوا فيه من متاع، ووراثة بني إسراءيل المستضعفين: ﴿**فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم، كذلك وأورثناها بني إسراءيل**. .﴾ فقد خرج فرعون بجنوده يتبعون خطا موسى وقومه ويقفون أثرهم. . فكانت خرجتهم هذه هي الأخيرة. وكانت إخراجاً لهم من كل ما هم فيه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم. . فلم يعودوا بعدها لهذا النعيم!؛ لذلك يذكر هذا المصير الأخير عقب خروجهم يقفون أثر المؤمنين، تعجيلاً بالجزاء على الظلم والبطر والبغي والوخيم. كذلك. . وأورثناها بني إسرائيل. . فهذا مثل ضربه الله ولكل من يكفر ويطغى ويتجبر كائناً من كان من جنس البشر. ولا يعرف أن بني إسراءيل عادوا إلى مصر بعد خروجهم منها، وورثوا ملك مصر وكنوز فرعون ومقامه. .

فالله وعد بني إسرائيل أرض الشام إذا هم نفذوا ما أمرهم الله به من الأحكام. . فهي وراثة لنوع ما كان فيه فرعون وقومه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم. وبعد هذا الاعتراض يجيء المشهد الحاسم الأخير: ﴿**فأتبعوهم**

مشرقين. . فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى: إنا لمدركون﴾! فقد أسرى موسى بعباد الله، بوحي من الله وتدبير. . فأتبعهم فرعون بجنوده وقت شروق الشمس. . ثم هاهوذا المشهد يقترب من نهايته. . فالمعركة تصل إلى ذروتها. . فموسى وقومه أمام البحر ليس معهم ما ينقذهم، وما هم بمسلحين تسليحاً يمنعهم من أخذ القوم. . فقاربهم فرعون بجنوده شاكي السلاح يطلبونهم ولا يرحمون.

وقالت دلائل الحال كلها: أن لا مفر والبحر أمامهم والعدو خلفهم: قال أصحاب موسى: إنا لمدركون!. . فبلغ الكرب مداه، وإن هي إلا دقائق تمر. . ثم يهجم الموت ولا مناص ولا معين!. . ولكن موسى الذي تلقى الوحي من ربه، لا يشك لحظة، وملء قلبه الثقة بربه واليقين بعونه، والتأكد من النجاة، وإن كان لا يدري كيف تكون. . فهي لا بد كائنة، والله هو الذي يوجهه ويرعاه: ﴿**قال: كلا. . إن معي ربي سيهدين. .**﴾ فكلمة «كلا» هنا تعطي معناه الأكيد. . فبعد هذا الجزم والتأكيد واليقين، وفي اللحظة الأخيرة ينبثق الشعاع المنير في ليل اليأس والكرب الذي حل بقوم موسى. . فينفتح طريق النجاة من حيث لا يحتسبون: ﴿**فأوحينا إلى موسى: أن اضرب بعصاك البحر. .**﴾ فلا يتمهل السياق ليقول إنه ضَرَبَ بعصاه البحر. . فهذا مفهوم. . إنما يعجل بالنتيجة: ﴿**فانفلق. . فكان كل فرق كالطود العظيم. .**﴾ فوقعت المعجزة، وتحقق الذي يقول عنه الناس: مستحيل. . فهم يقيسون سنّة الله على المألوف المكرور. والله الذي خلق السنن قادر على أن يجريها وفق مشيئته عندما يريد.

ووقعت المعجزة وانكشف بين فرق الماء طريق، ووقف الماء على جانبي الطريق كالطود العظيم. واقتحم بنو إسراءيل. . ووقف فرعون مع جنوده مبغوتاً مشدوهاً بذلك المشهد الخارق، وذلك الحادث العجيب! ولا بدّ أن يكون قد وقف مبهوتاً. . فأطال الوقوف ـ وهو يرى موسى وقومه يعبرون الخضم في طريق مكشوف ـ قبل أن يأمر جنوده بالاقتحام وراءهم في ذلك الطريق العجيب! وتمّ تدبير الله. . فخرج بنو إسرائيل إلى الشاطىء الآخر، بينما كان فرعون وجنوده. بين فرقي الماء أجمعين. وقد قرّبهم الله لمصيرهم المحتوم: ﴿**وأزلفنا ثَمّ الآخرين. وأنجينا موسى ومن معه أجمعين. . ثُمّ أغرقنا الآخرين. .**﴾ ومضت آية في الزمان تتحدث عنها القرون. . فهل آمن بها الكثيرون؟: ﴿**إن في ذلك لآية وما**

كان أكثرهم مؤمنين. .﴾ فالآيات الخارقة لا تستتبع الإيمان حتماً، وإن خضع لها الناس قسراً. . إنما الإيمان هدى في القلوب. **﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم. .﴾** فهو التعقيب المعهود في السورة بعد عرض الآيات والتكذيب. .

التوجيه الثالث: ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم: إذ قال لأبيه وقومه: ما تعبدون﴾؟. . : في هذا التوجيه ذكر قصة إبراهيم مع أبيه وقومه. . فبعد ما مضت قصة موسى مع فرعون وملئه، وانتهت بتلك النهاية، وفيها البشرى للمؤمنين المستضعفين المضطهدين ـ كما كانت القلة المؤمنة يومذاك في مكة ـ وفيها الدمار للظالمين المتجبرين الذي يشبه موقفهم موقف المشركين. . فالآن تتبعها قصة إبراهيم وقومه. ويؤمر الرسول أن يتلوها على المشركين. ذلك: أنهم يزعمون أنهم ورثة إبراهيم، وأنهم على دينه القديم؛ وهم يشركون بالله، ويقيمون الأصنام لعبادتها في بيته الحرام، الذي بناه إبراهيم خالصاً لله. . فاتل عليهم نبأ إبراهيم ليتبينوا منه حقيقة ما يزعمون.

والقصص في هذه السورة لا يتبع الخط التاريخي؛ لأن العبرة وحدها هي المقصودة. . فأما في سورة الأعراف مثلاً فقد كان الخط التاريخي مقصود العرض خط وراثة الأرض وتتابع الرسل من عهد آدم. . فمضي القصص فيها يتبع خط التاريخ منذ هبوط آدم إلى الأرض وبدء الحياة البشرية. . فالحلقة التي تعرض هنا من قصة إبراهيم هي حلقة الرسالة إلى قومه، وحواره معهم حول العقيدة، وإنكار الآلهة المدّعاة، والاتجاه بالعبادة إلى الله. والتذكير باليوم الآخر.

يعقب هذا مشهد كامل من مشاهد القيامة، يتنكر فيه العباد للآلهة، ويندمون على الشرك الذي انتهى بهم إلى ما هم فيه. . فهنا عبرة القصة للمشركين. . فمن ثَمّ يتوسع في الحديث عن مقومات عقيدة التوحيد، وفساد عقيدة الشرك، ومصير المشركين في يوم الدين؛ لأن التركيز متجه إليها، ويختصر ما عدا ذلك مما يفصله في سور أخرى. وقد وردت حلقات من قصة إبراهيم في البقرة والأنعام وهود وإبراهيم والحجر ومريم والأنبياء والحج. وكانت في كل سورة مناسبة لسياقها العام، وعرض منها ما يتفق مع موضوع السورة وجوّها وظلها. عرضت في سورة البقرة حلقة بنائه للبيت هو وإسماعيل، ودعائه أن يجعل الله البلد الحرام بلداً آمناً. . وإعلانه أن وراثة البيت ووراثة بانيه إنما هي للمسلمين الذين يتبعون ملته،

لا لمن يدّعون بالنسب وراثته. . فكان هذا بصدد مخالفات بني إسراءيل وطردهم ولعنهم. وتوريث دين إبراهيم وبيته للمسلمين.

وعرضت كذلك حلقة محاجته للملك الكافر في صفة الله الذي يحيي ويميت، والذي يأتي بالشمس من المشرق، وتحديه للملك أن يأتي بها من المغرب. . فبهت الذي كفر. كما عرضت حلقة طلبه من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، وأمره بذبح أربعة من الطير وتوزيع أشلائهن على الجبال، ثم إحياؤها بين يديه، فجاءت تسعى إليه. وهذا وذاك في معرض الحديث في السورة عن آيات الله وقدرته على الإماتة والإحياء. وعرضت في الأنعام حلقة بحثه عن ربه واهتدائه إليه بعد تأمل في النجوم والقمر والشمس وتتبع مشاهد. . وكان ذلك في السورة التي تدور حول العقيدة وآيات الله في الكون ودلالتها على الصانع المبدع الذي لا شريك له. وعرضت في سورة هود حلقة تبشيره بإسحاق.

وكان ذلك في سياق قصة لوط ومرور الملائكة المكلفين بتدمير قرية قوم لوط. . وفيها تبدو رعاية الله للمختارين من عباده وتدمير الفاسقين. وعرضت في سورة إبراهيم حلقة دعائه بجوار البيت المحرم لمن أسكنه من ذريته. . وحمده على أن وهب له على الكبر إسماعيل وإسحاق. . فكان سياق السورة كله هو عرض أمة الرسل برسالة واحدة هي التوحيد، وعرض المكذبين بأمة الرسل. . وعرضت في سورة الحجر الحلقة التي عرضت في سورة هود مع شيء من التفصيل في صدد ذكر رحمة الله بعباده المؤمنين وعذابه للعصاة المذنبين.

وعرضت في سورة مريم حلقة دعوته في رفق لأبيه وغلظة أبيه عليه واعتزاله لأبيه وقومه وهبة إسماعيل وإسحاق له. . وذلك في السورة التي تعرض رعاية الله للمصطفين من عباده. . وعرضت في سورة الأنبياء حلقة دعوته لأبيه وقومه، وزرايته على أصنامهم. . وإلقائه في النار التي كانت برداً وسلاماً عليه بأمر الله. . وذلك في صدد استعراض أمة الرسل. . ووردت في سورة الحج إشارة إلى أمره بتطهير البيت. . ونداء الناس بحجه وفي هذه السورة تعرض قصة إبراهيم على المشركين من قريش الذين يزعمون أنهم ورثته وأنهم يتبعون ديانته: اتل عليهم نبأ إبراهيم، وهو يستنكر ما كان يعبده وقومه من أصنام كهذه الأصنام التي يعبدها المشركون في مكة، وهو يخالف أباه وقومه في شركهم، وينكر عليهم ما هم فيه

من ضلال، ويسألهم متعجباً مستنكراً: ما تعبدون؟!.. فأجابوه: ﴿**قالوا: نعبد أصناماً فتظل لها عاكفين**..﴾ فهم كانوا يسمون أصنامهم آلهة.. فحكاية قولهم: إنها أصنام تنبىء بأنهم لم يكونوا يملكون إنكار أنها أصنام منحوتة من الحجر.. وأنهم مع ذلك يعكفون لها ويدأبون على عبادتها.

هذه نهاية السخف.. ولكن العقيدة إذا زاغت متى زاغت لم يفطن أصحابها إلى ما تنحط إليه عبادتهم وتصوراتهم ومقولاتهم.. فهم يتبجحون ويفتخرون بها، وبخضوعهم لها والعكوف عليها ليل نهار! ويأخذ إبراهيم يوقظ قلوبهم الغافية وينبه عقولهم المتبلدة إلى هذا السخف الذي يزاولونه دون وعي ولا تفكير: ﴿**قال: هل يسمعونكم إذ تدعون؟ أو ينفعونكم أو يضرون**﴾؟.. فأقل ما يتوفر لإلهٍ يُعبد أن يكون له سمع كعابده الذي يتوجه إليه بالعبادة والابتهال! وهذه الأصنام لا تسمع عُبّادَها وهم يتوجهون إليها بالعبادة ويدعونها للنفع والضر.. فإن كانت صماء لا تسمع.. فهل هي تملك النفع والضر؟! لا هذا ولا ذاك يمكن أن يدّعوه!.

ولم يجب القوم بشيء عن هذا.. فهم لا يشكون في أن إبراهيم إنما يتهكم ويستنكر.. وهم لا يملكون حجة لدفع ما يقول.. فإذا تكلموا كشفوا عن التحجر الذي يصيب المقلدين بلا وعي ولا تفكير: ﴿**قالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون**..﴾ فهذه الأصنام لا تسمع، ولا تضر ولا تنفع.. ولكننا وجدنا آباءنا يعكفون عليها خاضعين لها.. فعكفنا عليها وعبدناها!. وهو جواب مخجل.. ولكن المشركين لم يخجلوا أن يقولوه؛ كما لم يخجل المشركون في مكة أن يفعلوه.. فقد كان فعلُ الآباء لأمر كفيلاً باعتباره دون بحث.. بل لقد كان من العوائق دون الإسلام أن يرجع المشركون عن دين آبائهم.. فيخلوا باعتبار أولئك الآباء ويقروا أنهم كانوا على ضلال.

وهذا ما لا يجوز في حق الذاهبين! وهكذا تقوم مثل هذه الاعتبارات الجوفاء في وجه الحق.. فيؤثرونها على الحق في فترات التحجر العقلي والنفسي والانحرافات التي تصيب الناس.. فيحتاجون معها إلى هزة قوية تردهم إلى التحرر والانطلاق والتفكير. وأمام ذلك التحجر لم يجد إبراهيم ـ على حلمه وأناته ـ إلا أن يهزهم بعنف ويعلن عداوته للأصنام وللعقيدة الفاسدة التي تسمح بعبادتها لمثل تلك الاعتبارات! وهكذا: لم يمنعه أن أباه وأن قومه يعبدون ما يعبدون أن يفارقهم

بعقيدته وأن يجاهر بعدائه لآلهتهم وعقيدتهم هم وآباؤهم ـ وهم آباؤه ـ الأقدمون: ﴿**قال: أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون؟!.. فإنهم عدو لي.. إلا ربّ العالمين..**﴾ فكذلك يعلم القرآن المؤمنين أن لا مجاملة في العقيدة لوالد ولا لقوم وأن الرابطة الأولى هي رابطة العقيدة، وأن القيمة الأولى هي قيمة الإيمان، وأن ما عداه تبع له يكون حيث يكون.

واستثنى إبراهيم ربّ العالمين من عدائه لما يعبدون هم وآباؤهم الأقدمون.. فقد يكون من آبائهم الأقدمين مَنْ عبد اللَّهَ قبل أن تفسد عقيدة القوم وتنحرف.. وقد يكون مَنْ عبد الله ولكن أشرك معه آلهة أخرى مدعاة.. فهو الاحتياط ـ إذن ـ في القول، والدقة الواعية في التعبير الجدير أن بإبراهيم في مجال التحدث عن العقيدة وموضوعها الدقيق. وأخذ إبراهيم يعلن في صراحة وتوضيح ما لربه من صفات يستحقها لذاته دون دعاية أو تزييف.. فأعلن اتصاله بربه في كل حال وفي كل حين.. فنحس في إعلانه هذا القربى الوثيقة والصلة الندية والشعور بيد الله في كل حركة ونأمة، وفي كل حاجة وغاية، ونستشعر من صفة إبراهيم لربه، واسترساله في تصوير صلته به، أنه يعيش بكيانه كله مع ربه، وأنه يتطلع إليه في ثقة، ويتوجه إليه في حب، وأنه يصفه كأنه يراه، ويحس وقع إنعامه وإفضاله عليه بقلبه ومشاعره وجوارحه.. والنغمة الرخية في حكاية قوله في القرآن تساعد على إشاعة هذا الجو وإلقاء هذا الظل بالإيقاع العذب الرخي اللين المديد: ﴿**الذي خلقني فهو يهديني**﴾. فالذي أنشأني من حيث يعلم ولا أعلم.. فهو أعلم بماهيتي وتكويني، ووظائفي ومشاعري وحالي ومآلي: فهو يهديني إليه وإلى طريقي الذي أسلكه وإلى نهجي الذي أسير عليه.. فكأنما يحس إبراهيم أنه عجينة طيعة في يد الصانع المبدع يصوغها كيف شاء على أيّ صورة أراد. إنه الاستسلام المطلق في طمأنينة وراحة وثقة ويقين. ﴿**والذي هو يطعمني ويسقينِ**﴾.

﴿**وإذا مرضت فهو يشفين**﴾: تلك هي الكفالة المباشرة الحانية الراعية الرفيقة الودود، يحس بها إبراهيم في الصحة والمرض، ويتأدب بأدب النبوّة الرفيع.. فلا ينسب مرضه إلى ربه ـ وهو يعلم أنه بمشيئة ربه يمرض ويصح ـ إنما يذكر ربه في مقام الإنعام والإفضال إذ يطعمه ويسقيه.. ويشفيه.. فلا يذكره في مقام الابتلاء حين يبتليه. ﴿**والذي يميتني ثم يحيينِ**﴾: ذلك هو الإيمان بأن الله هو الذي بيده

الموت. وهو الإيمان بالبعث والنشور في استسلام ورضى عميق. ﴿**والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين**﴾: ذلك أقصى ما يطمع فيه إبراهيم النبيّ الرسول الذي يعرف ربه هذه المعرفة، ويشعر بربه هذا الشعور، ويحس في قرارة نفسه هذه القربى.. فأقصى ما يطمع فيه أن يغفر له ربه خطيئته يوم الدين.. فهو لا يبرىء نفسه، وهو يخشى أن تكون له خطيئة، وهو لا يعتمد على عمله، ولا يرى أنه يستحق بعمله شيئاً.. إلا أنه يطمع في فضل ربه، ويرجو رحمته.

وهذا وحده هو الذي يطمعه في العفو والمغفرة. إنه شعور التقوى وشعور الأدب وشعور التحرج، وهو الشعور الصحيح بقيمة نعمة الله وهي عظيمة عظيمة، وقيمة عمل العبد وهو ضئيل ضئيل. وهكذا يجمع إبراهيم في صفة ربه عناصر العقيدة الصحيحة: توحيد الله ربّ العالمين. والإقرار بتصريفه للبشر في أدق شؤونهم على الأرض. والبعث والحساب بعد الموت.. وفضل الله وتقصير العبد. وهي العناصر التي ينكرها قومه وينكرها المشركون.. ثم يأخذ إبراهيم الأواه المنيب في دعاء رخي مديد يتوجه به إلى ربه في إيمان وخشوع.

ودعاء إبراهيم كله ليس فيه طلب لعرض من أعراض الدنيا على هذه الأرض، ولا حتى صحة البدن. إنه دعاء يتجه إلى آفاق أعلى تحركه مشاعر أصفى. ودعاء القلب الذي عرف الله فأصبح يحتقر ما عداه. والذي ذاق فهو يطلب المزيد، والذي يرجو ويخاف في حدود ما ذاق وما يريد: ﴿**ربّ هب لي حكماً**..﴾ فأعطني الحكمة والمعرفة التي أعرف بها القيم الصحيحة والقيم الزائفة.. ثم يقول هذه الكلمة في تواضع وتضرع: ﴿**وألحقني بالصالحين**..﴾ يقولها إبراهيم النبيّ الكريم الأواه الحليم.. فياللتواضع! ويا للتحرج! ويا للإشفاق من التقصير! ويا للخوف من تقلب القلوب! ويا للحرص على مجرد اللحاق بالصالحين! بتوفيق من ربه إلى العمل الصالح الذي يُلحقه بالصالحين! ﴿**واجعل لي لسان صدق في الآخرين**﴾: تلك دعوة تدفعه إليها الرغبة في الامتداد.. لا بالنسب.. ولكن بالعقيدة.. فهو يطلب إلى ربه أن يجعل له فيمن يأتون أخيراً لسان صدق يدعوهم إلى الحق ويردهم إلى الحنيفية السمحاء ـ دين إبراهيم ـ وقد استجاب الله له وحقق دعوته وجعل له لسان صدق في الآخرين.. وبعث فيهم رسولاً منهم.. فكانت الاستجابة بعد آلاف من السنين.. فقد بعث هذا الرسول الكريم استجابة لدعوة

إبراهيم.. ﴿**واجعلني من ورثة جنّة النعيم**﴾: أعاد إبراهيم هذا الدعاء توكيداً لما دعا من قبل: أن يلحقه بالصالحين بتوفيقه إلى العمل الصالح الذي يسلكه في صفوفهم.. وجنة النعيم يرثها عباد الله الصالحون.

﴿**واغفر لأبي إنه كان من الضالين..**﴾ ذلك على الرغم مما لقيه إبراهيم من أبيه من غليظ القول وبالغ التهديد.. ولكنه كان قد وعده أن يستغفر له.. فوفى بوعده.. وقد بين القرءان فيما بعد أنه لا يجوز الاستغفار للمشركين، ولو كانوا أولي قربى.. وقرر إن إبراهيم استغفر لأبيه بناءً على موعدة وعدها إياه.. فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.. وعرف أن القرابة ليست قرابة النسب.. إنماهي قرابة العقيدة.. وهذه هي إحدى مقوّمات التربية الإسلامية الواضحة.. فالرابطة الأولى هي رابطة العقيدة في الله. ولا تقوم صلة بين فردين من بني البشر إلا على أساسها.. فإذا قطعت هذه الصلة أنبتت سائر الوشائج، وكانت البعدى التي لا تبقى معها صلة ولا وشيجة.

﴿**ولا تخزني يوم يبعثون**﴾: يُستشفّ من كلمة إبراهيم هذه مدى شعوره بهول اليوم الآخر، ومدى حيائه من ربه، وخشيته من الخزي أمامه، وخوفه من تقصيره.. وهو النبئ الكريم.. كما يُستشف من قوله: ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾، مدى إدراكه لحقيقة ذلك اليوم. وإدراكه كذلك لحقيقة القيم.. فليست هنالك من قيمة في يوم الحساب إلا قيمة الإخلاص: إخلاص القلب كله لله، وتجرده من كل شائبة، ومن كل مرض، ومن كل غرض، وصفائه من الشهوات والانحرافات، وخلوه من التعلق بغير الله.. فهذه سلامته التي تجعل له قيمة ووزناً.. فلا ينفع شيء من هذه القيم الزائلة الباطلة؛ التي يتكالب عليها المتكالبون في الأرض؛ وهي لا تزن شيئاً في الميزان الأخير. وهنا يرد مشهد من مشاهد القيامة يرسم ذلك اليوم الذي يتقيه إبراهيم.. فكأنما هو. حاضر، ينظر إليه ويراه، وهو يتوجه لربه بذلك الدعاء الخاشع المنيب: ﴿**وأزلفت الجنة للمتقين. وبرزت الجحيم للغاوين..**﴾ فقد قربت الجنة وعرضت للمتقين، الذين كانوا من عذاب ربهم مشفقين. ولقد كشفت الجحيم وأبرزت للغاوين، الذين ضلوا الطريق وكذبوا بيوم الدين.

وإنهم لعلى مشهد من الجحيم يقفون، حيث يسمعون التقريع والتأنيب، قبل

أن يكبكبوا في الجحيم.. فهم يُسألون عما كانوا يعبدون من دون الله ـ وذلك تساوق مع قصة إبراهيم وقومه، وما كان بينه وبينهم من حوار عما كانوا يعبدون ـ إنهم يسألون اليوم.. ﴿**وقيل لهم: أين ما كنتم تعبدون من دون الله**﴾؟ أين هم؟ ﴿**هل ينصرونكم؟ أو ينتصرون**﴾؟.. ثم لا يسمع منهم جواب. ولا ينتظر منهم جواب!.. إنما هو سؤال لمجرد التقريع والتأنيب.. ﴿**فكبكبوا فيها هم والغاوون..**﴾ فكبكبوا! وإننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدفُّعِهم وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام، وصوت الكركبة الناشىء من الكبكبة؛ كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف.. فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه. وإنهم لغاوون ضالون، وقد كبكب معهم جميع الغاوين.. فهم ﴿**وجنود إبليس أجمعون**﴾.

والجميع جنود إبليس.. فهو تعميم شامل بعد تخصيص.. ونستمع إليهم وهم في الجحيم.. إنهم يقولون لآلتهم من الأصنام: ﴿**تالله إن كنا لفي ضلال مبين: إذ نسويكم برب العالمين..**﴾ فنعبدكم عبادته: إما معه، وإما من دونه! الآن يقولونها بعد فوات الأوان! وهم يلقون التبعة على المجرمين منهم: الذين أضلوهم وصدوهم عن الهدى: ﴿**وما أضلنا إلا المجرمون..**﴾ ثم يفيقون فيعلمون أن الأوان قد فات، وأنه لا جدوى من توزيع التبعات: ﴿**فما لنا من شافعين ولا صديق حميم..**﴾ فلا آلهة تشفع، ولا صداقات تنفع! وإذا لم تكن شفاعة فيما مضى.. أفلا رجعة إلى الدنيا؟ لنصلح ما فاتنا فيها.. ﴿**فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين**﴾! وما هو إلا التمني.. فلا رجعة ولا شفاعة.. فهذا يوم الدين!.. ثم يجيء التعقيب المعهود: ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين**﴾.

﴿**وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾. وهو نفس التعقيب الذي جاء في السورة بعد عرض مصارع عاد وثمود وقوم لوط؛ كماجاء تعقيباً على كل آية من آيات الله وقعت للمكذبين.. فهذا المشهد من مشاهد القيامة عرض في سياق السورة عن مصارع المكذبين في الدنيا: إذ يصور نهاية قوم إبراهيم، ونهاية الشرك كافة. وهو موضع العبرة في قصص السورة جميعاً. ومشاهد القيامة في القرءان تعرض كأنها واقعة، وكأنما تشهدها الأبصار حين تتلى، وتتملاّها المشاعر، وتهتز بها الوجدانات؛ كالمصارع التي تمت على أعين الناس وهم يشهدون.

التوجيه الرابع: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين. إذ قال لهم أخوهم نوح: ألا

تتقون؟. إني لكم رسول أمين. .﴾: في هذا التوجيه عرض قصة نوح بعد عرض قصة إبراهيم وقبله قصة موسى. . فكما رجع السياق القهقري في التاريخ من قصة موسى إلى قصة إبراهيم، كذلك يرجع القهقرى من قصة إبراهيم إلى قصة نوح. إن الخط التاريخي ليس مقصوداً هنا. . بل المقصود هو العبرة من نهاية الشرك والتكذيب. وقصة نوح كقصة موسى وقصة إبراهيم تعرض في سور شتى من القرءان. وقد عُرضت من قبلُ: في سورة الأعراف في الخط التاريخي للرسل والرسالات بعد هبوط آدم إلى الأرض عرضاً مختصراً: يتلخص في دعوته قومَه إلى التوحيد، وإنذارهم عذاب يوم عظيم، واتهام قومه له بالضلال، وعجبهم من أن يبعث الله إليهم رجلاً منهم، وتكذيبهم له، ومن ثَمّ إغراقهم ونجاته هو ومن معه بدون تفصيل. وعرضت في سورة يونس في اختصار كذلك في نهاية رسالته؛ إذ تحدى قومه فكذبوه، ثم كانت نجاته ومن معه في الفلك وإغراق الآخرين. وعرضت في سورة هود بتفصيل في قصة الطوفان والفلك وما بعد الطوفان كذلك من دعائه لربه في أمر ابنه الذي أغرق مع المغرقين، وما كان بينه وبين قومه قبل ذلك من جدال حول عقيدة التوحيد.

وعَرضت في سورة المؤمنون. . فذكر منها دعوته لقومه إلى عبادة الله الواحد، واعتراضهم عليه بأنه بشر منهم يرد أن يتفضل عليهم. . واتهامه بالجنون. . ثم توجهه إلى ربه يطلب نصرته، وإشارة سريعة إلى الفلك والطوفان. وهي تعرض في الغالب في سلسلة مع قصص عاد وثمود وقوم لوط وأهل مدين ـ وكذلك هي في هذه السورة ـ وأظهر ما في الحلقة المعروضة هنا دعوته لقومه إلى تقوى الله. . وإعلانه أنه لا يطلب منهم أجراً على دعوته. . وإيباؤه أن يطرد المؤمنين الفقراء الذين يستنكف منهم الكبراء ـ وهذا ما كان يواجهه رسول الله في مكة سواء بسواء ـ ثم دعاؤه لربه أن يفتح بينه وبين قومه، واستجابة الله له بإغراق المكذبين وتنجية المؤمنين. وقوم نوح لم يكذبوا إلا نوحاً. . ولكنه يذكر أنهم كذبوا المرسلين. . فالرسالة في أصلها واحدة. وهي دعوة إلى توحيد الله. وإخلاص العبودية له. . فمن كذب بها فقد كذب بالمرسلين أجمعين. . والقرءان يؤكد هذا المعنى ويقرره في مواضع كثيرة، بصيغ متعددة. . فهو كلية من كليات العقيدة الإسلامية تحتص بها الدعوات جميعاً، وتقسم بها البشرية كلها إلى صفين: صف المؤمنين وصف الكافرين، على مدار الرسالات، ومدار القرون وينظر المسلم. . فإذا الأمة المؤمنة

لكل دين وكل عقيدة من عند الله هي عقيدته وهو دينه وهم أمته، من فجر التاريخ إلى مشرق الإسلام دين التوحيد الأخير.

وإذا الصف الآخر هم الكفار في كل ملة وفي كل دين. وإذا المؤمن يؤمن بالرسل جميعاً، ويحترم الرسل جميعاً؛ لأنهم جميعهم حملة رسالة واحدة هي رسالة التوحيد. إنّ البشرية لا تنقسم في تقدير المسلم إلى أجناس وألوان وأوطان.. إنما تنقسم إلى أهل الحق وأهل الباطل. وهو مع أهل الحق ضد أهل الباطل، في كل زمان وفي كل مكان. وهكذا يتوحد الميزان في يد المسلم على مدار التاريخ كله؛ وترتفع القيم في شعوره عن عصبية الجنس واللون واللغة والوطن، والقرابات الحاضرة أو المتوغلة في بطن التاريخ. ترتفع فتصبح قيمة واحدة. هي قيمة الإيمان يحاسب بها الجميع ويُقوَّم بها الجميع.

هذه هي دعوة نوح التي كذبه فيها قومه ـ وهو أخوهم ـ وكان الأليق بالأخوة أن تقود إلى المسالمة والاطمئنان والإيمان والتصديق.. ولكن قومه لم يأبهوا لهذه الصلة، ولم تلن قلوبهم لدعوة أخيهم نوح إذ قال لهم: ألا تتقون؟، وتخافون عاقبة ما أنتم فيه؟ وتستشعر قلوبكم خوف الله وخشيته؟ وهذا التوجيه إلى التقوى مطرد في هذه السورة.. فهكذا قال الله عن فرعون وقومه لموسى، وهو يكلفه التوجه إليهم. وهكذا قال نوح لقومه. وهكذا قال كل رسول لقومه من بعد نوح: إني لكم رسول أمين.. فلا يخون ولا يخدع ولا يغش!.. فلا يزيد شيئاً ولا ينقص شيئاً مما كُلّفُه من التبليغ: ﴿**فاتقوا الله وأطيعون**..﴾ فهكذا يعود إلى تذكيرهم بتقوى الله ويحددها في هذه المرة وينسبها إلى الله، ويستجيش قلوبهم إلى الطاعة والتسليم.. لم يطمئنهم من ناحية الدنيا وأعراضها.. فما له فيها من إرب بدعوتهم إلى الله، وما يطلب منهم أجراً جزاء هدايتهم إليه.. فهو يطلب أجره من رب الناس الذي كلفه دعوة الناس. وهذا التنبيه على عدم طلب الأجر يبدو أنه كان دائماً ضرورياً للدعوة الصحيحة تمييزاً لها مما عهده الناس في الكهان ورجال الدين من استغلال الدين لسلب أموال الناس.. وقد كان الكهنة ورجال الدين المنحرفون دائماً مصدر ابتزاز للأموال بشتى الأساليب.. فأما دعوة الله الحقة فكان دعاتها دائماً متجردين، لا يطلبون أجراً على الهدى.. فأجرهم على ربّ العالمين.

وهنا يكرر نوح على قومه طلب التقوى والطاعة بعد اطمئنانهم من ناحية

الأجر والاستغلال: ﴿**وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربّ العالمين. فاتقوا الله وأطيعون**. .﴾ ولكن القوم يطلعون عليه باعتراض عجيب. وهو اعتراض مكرور في البشرية مع كل رسول: ﴿**قالوا: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون**﴾؟!!. . فهم يعنون بالأرذلين الفقراء. وهم السابقون إلى الرسل والرسالات، وإلى الإيمان والاستسلام، لا يصدهم عن الهدى كبرياء فارغة، ولا خوف على مصلحة أو وضع أو مكانة. ومن ثَمّ فهم الملبّون السابقون. . فأما الملأ من الكبراء. . فتقعد بهم كبرياؤهم، وتقعد بهم مصالحهم القائمة على الأوضاع المزيفة المستمدة من الأوهام والأساطير التي تلبس ثوب الدين. . ثم هم في النهاية يأنفون أن يسويهم التوحيد الخالص بالجماهير من الناس حيث تسقط القيم الزائفة كلها، وترتفع قيمة واحدة: قيمة الإيمان والعمل الصالح. قيمة واحدة ترفع قوماً وتخفض آخرين، بميزان واحد. هو ميزان العقيدة والسلوك القويم.

ومن ثم يجيبهم نوح الجواب الذي يقرر القيم الثابتة، ويحدد اختصاص الرسول، ويدع أمر الناس وحسابهم لله على ما يعملون: ﴿**قال: وما علمي بما كانوا يعملون؟ إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون. وما أنا بطارد المؤمنين. إن أنا إلا نذير مبين**. .﴾ فالكبراء يقولون دائماً عن الفقراء: إن عاداتهم وأخلاقهم لا تُرضِي العلّيّة. . ولا تطاق في أوساط الطبقة الراقية ذات الحس المرهف والذوق اللطيف!. . فنوح يقول لهم: إنه لا يطلب إلى الناس شيئاً سوى الإيمان، . وقد آمنوا. . فأما عملهم فموكول إلى الله. وهو الذي يزنه ويقدره. . فيجزيهم على الحسنات والسيئات، وتقدير الله هو الصحيح. وما تشعرون بالقيم الحقة التي ترجح في ميزان الله. وما وظيفتي إلا الإنذار والإفصاح: إن أنا إلا نذير مبين. ولما أن واجههم نوح بحجته الواضحة ومنطقه المستقيم، وعجزوا عن المضي في الجدل بالحجة والبرهان، لجأوا إلى ما يلجأ إليه الطغيان كلما أعوزته الحجة وخذله البرهان. لجأوا إلى التهديد بالقوة المادية الغليظة التي يعتمد عليها الطغاة في كل زمان ومكان، عندما تعوزهم الحجة ويعجزهم البرهان: ﴿**قالوا: لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين**﴾.

وأسفر الطغيان على وجهه الكالح، وكشف الضلال عن وسيلته الغليظة. . وعرف نوح أن القلوب القاسية لن تلين. هنا توجه نوح إلى ربه الولي الوحيد

والناصر الفريد، الذي لا ملجأ سواه للمؤمنين: ﴿**قال: رب إن قومي كذبون. .**﴾ فربه يعلم أن قومه كذبوه. . ولكنه البث والشكوى إلى الناصر المعين، وطلب النصفة. . ورد الأمر إلى صاحب الأمر: ﴿**فافتح بيني وبينهم فتحاً**﴾، يضع الحد الأخير للبغي والتكذيب: ﴿**ونجني ومن معي من المؤمنين. .**﴾ فاستجاب الله لنبيئه الذي يتهدده الطغيان بالرجم؛ لأنه يدعو الناس إلى تقوى الله وطاعة رسوله لا يطلب على ذلك أجراً ولا يبتغي جاهاً ولا مالاً: ﴿**فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون. . ثم أغرقنا بعد الباقين**﴾. هكذا في إجمال سريع يصور النهاية الأخيرة للمعركة بين الإيمان والطغيان في فجر البشرية. ويقرر مصير كل معركة تالية في تاريخ البشرية الطويل. . ثم يجيء التعقيب المكرور في السورة عقب كل آية من آيات الله العزيز الرحيم: ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾.

التوجيه الخامس: ﴿**كذبت عاد المرسلين: إذ قال لهم أخوهم هود: ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربّ العالمين. .**﴾ في هذا التوجيه عرض لقصة هود مع قومه عاد. . فقد جاؤوا بعد قوم نوح. وكانوا ممن زاغت قلوبهم بعد فترة من الطوفان الذي طهر وجه الأرض من العصاة والعتاة والطغيان. وقد وردت هذه القصة في الأعراف مفصلة وفي هود؛ كما وردت في سورة المؤمنون بدون ذكر اسم هود وعاد. وهي تعرض هنا مختصرة بين طرفيها: طرف دعوة هود لقومه. . وطرف العاقبة التي انتهى إليها المكذبون منهم. وتبدأ كما بدأت قصة نوح. . فهي الكلمة الواحدة التي يقولها كل رسول: دعوة إلى تقوى الله وطاعة رسوله. . وإعلان للزهد فيما لَدَى الناسِ من عرض الحياة، وترفع عن قيم الأرض الزائلة، وتطلع إلى ما عند الله من أجر كريم. . ثم يزيد هود ما هو خاص بحال قومه وتصرفاتهم. . فينكر عليهم الترف في البنيان لمجرد التباهي بالمقدرة والإعلاء عن الثراء، والتكاثر والاستطالة في البناء. . كما ينكر غرورهم بما يقدرون عليه من أمر الدنيا، وما يُسخِّرونه فيها من القوى، وغفلتهم عن تقوى الله ورقابته: ﴿**أتبنون بكل ريع ءاية تعبثون. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون. .**﴾ فالريع: المرتفع من الأرض.

والظاهر أنهم كانوا يبنون فوق المرتفعات قصوراً وحصوناً وقلاعاً تبدو للناظر

من بعد كأنها علامة. أو أنهم كانوا يبنون العمارات الشامخات مثل ما هو اليوم.. فالقصد من هذا أو ذاك هو التفاخر والتطاول بالمقدرة والمهارة بين الأفراد والجماعات.. فمن هذا القصد سماه عبثاً.. فهو توجيه إلى أن ينفق الجهد وتنفق البراعة وينفق المال فيما هو ضروري ونافع، لا في الترف والزينة ومجرد إظهار البراعة والمهارة والتفاخر بالأموال ترضية للأهواء والشهوات!!.. فقد بلغت عاد من الحضارة والمهارة والصناعة مبلغاً وصل بهم إلى أن يتخذوا المصانع التي تصنع ما يحتاجونه من أدوات وأثاث وقصور وحصون وعمارات مرتفعات.. حتى خيل للقوم أن هذه المصانع وما ينشئونه بواسطتها من البنيان والحصون والسدود والقلاع كافية لحمايتهم من الموت، ووقايتهم من مؤثرات الجو ومن غارات الأعداء ويمضي هود في استنكار ما عليه قومه: ﴿**وإذا بطشتم بطشتم جبارين**..﴾ فهم عتاة غلاظ، يتجبرون حين يبطشون، ولا يتحرجون من القسوة في البطش.

شأن المتجبرين المعتزين بالقوة المادية التي يملكونها.. فهنا يردهم إلى تقوى الله وطاعة رسوله؛ لينهنه من هذه الغلظة الباطشة المتجبرة: ﴿**فاتقوا الله وأطيعونِ**..﴾ ثم يذكرهم نعمة الله عليهم بما يستمتعون به ويتطاولون ويتجبرون. وكان الأجدر بهم أن يتذكروا فيشكروا، ويخشوا أن يسلبهم ما أعطاهم، وأن يعاقبهم على ما أسرفوا في العبث والبطش والبطر الذميم!: ﴿**واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون: أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون. إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**..﴾ فهكذا يذكرهم بالمنعم والنعمة على وجهَ الإجمال أولاً: أمدكم بما تعلمون.. فهو حاضر بين أيديهم: يعلمونه ويعرفونه ويعيشون فيه.. ثم يفصل بعض التفصيل: أمد بأنعام وبنين وجنات وعيون.

وهي النعم المعهودة في ذلك العهد. وهي نعمة في كل عهد.. ثم يخوفهم عذاب يوم عظيم في صورة الإشفاق عليهم من ذلك العذاب.. فهو أخوهم، وهو واحد منهم، وهو حريص ألاّ يحل لهم عذاب ذلك اليوم الذي لا شكّ فيه! ولكن هذه التذكرة وهذا التخويف لا يصلان إلى تلك القلوب القاسية الفظة الغليظة.. فإذا الإصرار والعناد والاستهتار: ﴿**قالوا: سواء علينا: أوعظت أم لم تكن من الواعظين**﴾؟! فما يعنينا أن تعظ، أو ألاّ تكون أصلاً من الواعظين؟! وهو تعبير فيه استهانة واستهتار وجفوة، يتبعه ما يشي بالجمود والتحجر والاعتماد على التقليد:

﴿**إن هذا إلا خلق الأولين**. .﴾ فحجتهم فيما هم عليه، وفيما يستنكره عليه هود: أنه خلق الأولين ونهجهم. وهم يسيرون على نهج الأولين!. . ثم إنهم لينفون احتمال العذاب على خلق الأولين. . فيستبعدون ذلك. . فيقولون: ﴿**وما نحن بمعذبين**﴾!.

ولا يستطرد السياق هنا في تفصيل ما ثار بينهم وبين رسولهم من جدل. . فيمضي قدما إلى النهاية: ﴿**فكذبوه فأهلكناهم**. .﴾ ففي كلمتين اثنين ينتهي الأمر. . فيُطوي قومُ عاد الجبارون!. . وتُطوى مصانعُهم التي يتخذون. . ويطوي ما كانوا فيه من نعيم: من أنعام وبنين وجنات وعيون!!. وكم من أمة بعد عاد ظلت تفكر على هذا النحو. . وتغتر هذا الغرور. . وتبعد عن الله كلما تقدمت في الحضارة. . وتحسب أن الإنسان قد أصبح في غنية عن الله. . وهي تنتج من أسباب الدمار لغيرها، والوقاية لنفسها، تحسبه واقيًا لها من أعدائها. . ثم تصبح وتمسي. . فإذا العذاب يُصب عليها من فوقها ومن تحتها. . فلم يغنها ما كسبت شيئاً!!. .

التوجيه السادس: ﴿**كذبت ثمود المرسلين: إذ قال لهم أخوهم صالح: ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين**. .﴾: في هذا التوجيه عرض قصة صالح مع قومه ثمود. إنها ذات الدعوة بألفاظها يدعوها كل رسول. ويُوحّد القرآن عن قصد حكاية العبارة التي يلقيها كل رسول على قومه للدلالة على وحدة الرسالة جوهراً ومنهجاً في أصلها الواحد الذي تقوم عليه؛ وهو الإيمان بالله وتقواه. . وطاعة الرسول الآتي من عند الله. . ثم يزيد صالح ما هو من شأن ثمود خاصة، وما تقتضيه طبيعة الموقف وطبيعة الظروف: إذ يذكرهم أخوهم صالح بما هم فيه من نعمة، ويخوفهم سلب هذه النعمة؛ كما يخوفهم ما بعد المتاع من حساب على ما كان من تصرفهم فيه.

وإنهم ليعيشون بين هذا المتاع الذي يصوره لهم أخوهم صالح. . ولكنهم يعيشون في غفلة عنه، لا يفكرون فيمن وهبهم إياه. . ولا يتدبرون منشأه ومأتاه. . ولا يشكرون المُنعِّمَ الذي أعطاهم هذا النعيم. . فيأخذ رسولهم في تصوير هذا المتاع لهم؛ ليتدبروه ويعرفوا قميته، ويخافوا زواله. وفيما قاله لهم لمسات توقظ القلوب الغافية، وتنبه فيها الحرص والخوف: ﴿**أتتركون في ما ها هنا ءامنين**﴾؟:

أتظنون أنكم متروكون لهذا الذي أنتم فيه من دعة ورخاء ومتعة ونعمة.. وسائر ما يتضمنه هذا الإجمال من تفخيم وتضخيم.. أتتركون في هذا كله آمنين: لا يروعكم فوت، ولا يزعجكم سلب، ولا يفزعكم تغيير؟!: ﴿**في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين**﴾: أتتركون في هذا كله من جنات وعيون وزروع متنوعات.. ونخل جيدة الطلع سهلة الهضم.. حتى كان جناها مهضوم جاهز لا يحتاج إلى طهي.. ولا يحتاج إلى جهد في البطون؟!.. وتُتركون في البيوت تنحتونها في الصخور بمهارة وبراعة.. وفي أناقة وفراهة..؟!.. فبعد أن يلمس قلوبهم هذه اللمسات الموقظة؛ يناديهم إلى التقوى وإلى الطاعة، وإلى مخالفة الملإ الجائرين البعيدين عن الحق والقصد.. الميالين إلى الفساد والشر: ﴿**فاتقوا الله وأطيعون**﴾.

﴿**ولا تطيعوا أمر المسرفين: الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون..**﴾ ولكن هذه اللمسات وهذه النداءات لا تصل إلى تلك القلوب القاسية الجافية.. فلا تصغي لها ولا تلين: ﴿**قالوا: إنما أنت من المسحرين..**﴾ إنما أنت ممن سحّرت عقولهم.. فهم يهرفون بما لا يعرفون!. كأنما الدعوة إلى الله لا يدعوها إلا مجنون!: ﴿**ما أنت إلا بشر مثلنا..**﴾ فتلك هي الشبهة التي ظلت تتخايل للبشرية كلما جاءها رسول.. فقد كان تصوَّرُ البشرية القاصر للرسول تصوّراً عجيباً دائماً! وما كانت تدرك حكمة الله في أن يكون الرسول بشراً.. وما كانت تدرك كذلك تكريم هذا الجنس البشري باختيار الرسل منه ليكونوا رواد البشرية المتصلين بمصدر الهدى والنور. وكانت البشرية تتصور الرسول خلقاً آخر غير البشر. أو هكذا ينبغي أن يكون؛ ما كان يأتي إليها بخبر الغيب.. وخبر العالم المحجوب عن البشر.. ذلك أنها ما كانت تدرك سر هذا الإنسان الذي كرمه الله بهذا السر العجيب! وهو أنه موهوب القدرة على الاتصال بالملإ الأعلى، وهو على هذه الأرض مقيم.

يأكل وينام ويتزوج ويمشي في الأسواق ويعالج ما يعالجه سائر البشر من المشاعر والنوازع؛ وهو متصل بذلك السر العظيم. وكانت البشرية جيلاً بعد جيل تطلب خارقة معجزة من الرسول تدل على أنه حقاً مرسل من الله: ﴿**فأت بآية إن كنت من الصادقين...**﴾ فهكذا طلبت ثمود تلك الخارقة.. فاستجاب الله لعبده

صالح، وأعطاه هذه الخارقة في صورة ناقة. لا نخوض في وصفها كما خاض المفسرون القدامى؛ لأنه ليس لدينا سند صحيح نعتمد عليه في هذا الوصف.. فنكتفي بأنها كانت خارقة كما طلبت ثمود: ﴿**قال: هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم. ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم..**﴾ فقد جاء صالح بالناقة كما طلبت ثمود. على شرط أن يكون الماء الذي يستقون منه يوماً للناقة ويوماً لهم. لا يجورون عليها في يومها، ولا تجوز عليهم في يومهم.

ولا يختلط شرابها بشرابهم، كما لا يختلط يومها بيومهم. ولقد حذرهم أن ينالوها بسوء على الإطلاق.. وإلاّ أخذهم عذاب يوم عظيم.. فماذا فعلت الآية الخارقة بالقوم المتعنتين؟! إنها لم تُكسب الإيمان في القلوب الجافة، ولم تُطلع النورَ في الأرواح المظلمة. على الرغم من قهرها لهم وتحديهم بها. وإنهم لم يحفظوا عهدهم، ولم يوفوا بشرطهم: ﴿**فعقروها فأصبحوا نادمين..**﴾ فاتبعوا أمر المفسدين.. فعقروا الناقة. والذين عقروها منهم هم الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون. ولقد حذرهم منهم صالح وأنذرهم.. فلم يخشوا النذير. ومن ثَمّ كتبت خَطِيئتها على الجميع، وكان الجميع مؤاخذين بهذا الإثم العظيم!. ولقد ندم القوم على ما فعلوا.. ولكن بعد فوات الأوان وتصديق النذير: ﴿**فأخذهم العذاب..**﴾ فلا يفصل نوع العذاب هنا؛ للمسارعة والتعجيل.. ثم يجيء التعقيب: ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾.

التوجيه السابع: ﴿كذبت قوم لوط المرسلين: إذ قال لهم أخوهم لوط: ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربّ العالمين..﴾: في هذا التوجيه عرض قصة لوط مع قومه.. فتجيء قصة لوط هنا. ومكانها التاريخي كان مع قصة إبراهيم.. ولكن السياق التاريخي ليس ملحوظاً في هذه السورة.. إنما الملحوظ وحدة الرسالة والمنهج، وعاقبة التكذيب: من نجاة للمؤمنين وهلاك للمكذبين. ويبدأ لوط مع قومه كما بدأ به نوح وهود وصالح: يستنكر استهتارهم ويستجيش في قلوبهم وِجْدَانُ التقوى، ويدعوهم إلى الإيمان والطاعة، ويطمئنهم إلى أنه لم يفجعهم في شيء من أموالهم مقابل الهدى.. ثم يواجههم باستنكار خطيئتهم الشاذة التي عرفوا بها

في التاريخ: ﴿**أتأتون الذكران من العالمين. وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون..**﴾ فالخطيئة الكبرى التي عرف بها قوم لوط هي الشذوذ الجنسي بإتيان الذكور وترك الإناث. وهو انحراف في الفطرة شنيع.. فقد خلق الله الذكر والأنثى، وفطر كلا منهما على الميل إلى صاحبه؛ لتحقيق حكمته ومشيئته في امتداد الحياة عن طريق النسل الذي يتم باجتماع الذكر والأنثى.. فكان هذا الميل طرفاً من الناموس الكوني العام، الذي يجعل كلَّ مَنْ في الكون، وكل ما في الكون في حالة تناسق وتعاون على إنفاذ المشيئة المدبّرة لهذا الوجود.. فأما إتيانُ الذكورِ الذكورَ فلا يرمي إلى هدف، ولا يحقق غاية، ولا يتمشى مع فطرة هذا الكون وقانونه. وعجيب أن يجد فيه أحد لذة. واللذة التي يجدها الذكر والأنثى في التقائهما ما هي إلا وسيلة الفطرة لتحقيق المشيئة.. فالانحراف عن ناموس الكون واضح في فعل قوم لوط.

ومن ثَمّ لم يكن بد أن يرجعوا عن هذا الانحراف، أو أن يهلكوا؛ لخروجهم من ركب الحياة ومن موكب الفطرة، ولتعريهم من حكمة وجودهم. وهي امتداد الحياة بهم عن طريق التزاوج والتوالد.. فلما دعاهم لوط إلى ترك هذا الشذوذ، واستنكر ما هم فيه من ترك ما خلق لهم ربهم من أزواجهم، والعدوان على الفطرة وتجاوز الحكمة المكنونة فيها.. تبين أنهم غير مستعدين للعودة إلى ركب الحياة وإلى سنّة الفطرة: ﴿**قالوا: لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين..**﴾ فقد هددوه بالطرد من بينهم؛ لأنه لم يسر سيرتهم، ولم يرض بما رضوا به من قباحة عادتهم.. فجدير بأن يخرجوه من ساحتهم، ويطردوه بعيداً عن جماعتهم.. فعندئذٍ لم يبق إلا أن يعالنهم بكراهة ما هم عليه من شذوذ في تقزز واستبشاع: ﴿**قال: إني لعملكم من القالين..**﴾ فيقز لوط بهذا الكره البالغ في وجوه القوم باشمئزاز ونفور.. ثم يتوجه إلى ربه بالدعاء لينجيه من هذا البلاء، مع أهله: ﴿**رب نجني وأهلي مما يعملون..**﴾ فهو يتوجه إلى ربه أن ينجيه وأهله مما سيأخذ به قومه من التدمير.

واستجاب الله دعوة نبيئه: ﴿**فنجيناه وأهله أجمعين.. إلا عجوزاً في العابرين..**﴾ فهذه العجوز هي امرأته ـ كما يذكر في سور أخرى ـ وقد كانت عجوزَ سوء تقر القوم على فعلتهم المنكرة وتعينهم عليها.. ﴿**ثم دمرنا الآخرين.**

وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين. .﴾ فقد قص القرآن نبأ قرى قوم لوط في سور أخرى وفصل كيفية هذا المطر. . ثم يعقب على مصرعهم بالتعقيب المكرور: **﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾**.

التوجيه الثامن: ﴿كذب أصحاب ليكة المرسلين: إذ قال لهم شعيب: ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربّ العالمين. .﴾: في هذه التوجيه عرض قصة أصحاب ليكة مع رسولهم شعيب. . فمكان هذه القصة التاريخي قبل قصة موسى وفرعون. . تجيء هنا في مساق العبرة كبقية القصص في هذه السورة.

وأصحاب ليكة هؤلاء، قيل: إنهم مدين. . وقيل: أمة أخرى أرسل إليهم شعيب. . فلهذا لم يقل: أخوهم هنا. . وقالها هناك عند ذكر مدين. . وقد بدأهم شعيب بما بدأ به كل رسول قومه من أصل العقيدة، والتعفف عن الأجر. . ثم أخذ يواجههم بما هو من خاصة شأنهم: **﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين. وزنوا بالقسطاس المستقيم. ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين. .﴾** فمن هذا الأمر لأهل ليكة ما يدل على أنهم مثل مدين في المعاملة والعقيدة وفي جميع الظواهر الاجتماعية على رأي من يقول: إن أصحاب ليكة غير مدين. . فقد كان شأنهم أن يطففوا في الميزان والمكيال. . وأن يأخذوا بالقسر والغصب زائداً عن حقهم ويعطوا أقل من حق الناس. . ويشتروا بثمن بخس ويبيعوا بثمن مرتفع. . فيبدو من هذا السياق أنهم كانوا على ممر القوافل التجارية. . ولهم أسواق يتاجرون فيها. . ويتحكمون فيها وفي قوافلها وفي طرقها. . فمن هذا كله أمرهم شعيب رسولهم بالعدل والقسط في هذا كله. . فإن العقيدة الصحيحة يتبعها حسن المعاملة. . فلا تستطيع أن تقضي عن الحق والعدل في معاملات الناس. . ثم استجاش شعيب مشاعر التقوى في نفوس قومه؛ وهو يذكرهم بخالقهم الواحد خالق الأجيال كلها والسابقين جميعاً: **﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين. .﴾** فما كان منهم إلا أن يطلقوا عليه الاتهام بأنه مسحور. . فهو يخلط ويهذي بما يقول: **﴿قالوا: إنما أنت من المسحرين. .﴾** وإلاّ أن يستنكروا رسالته فهو بشر مثلهم. . وما هكذا ـ في زعمهم ـ يكون الرسول.

ويرمونه بالكذب فيما يقول: ﴿**وما أنت إلا بشراً مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين**..﴾ فهم يتخذونه بأن يأتيهم بما يخوفهم به من العذاب إن كان صادقاً فيما يدعيه! وأن يسقط عليم رجوماً من السماء ويسقطها عليهم قطعاً.. ﴿**فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين**..﴾ فهو تحدي المستهتر الهازىء المستهين!.. فهو شبيه بتحدي المشركين للرسول الكريم!.. ثم إن شعيباً يرد عليهم، ويفوض الأمر إلى ربه.. فهو عليم بهم وبما يعملون من كفره وتكذيبهم: ﴿**قال: ربي أعلم بما تعملون**..﴾ فيعجل السياق بالنهاية دون تفصيل ولا تطويل: ﴿**فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم**﴾!!.. فكان ذلك يوم الظلة.. فالظلة كانت سمة اليوم المعلوم!!.. ثم يجيء التعقيب المكرور: ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين إن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾.

ويختم القصص في السورة ليجيء على إثره التعقب الأخير.